

تاريخ الطب

obeikandi.com

ذخائر العرب

٣٠

تاريخ الطب

تاريخ الرسل والملوك

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري

٢٢٤ - ٣١٠ هـ

الجزء الرابع

تحقيق

محمد أبو الفضل إبراهيم

الطبعة الخامسة



دار المعارف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ثم دخلت سنة ست عشرة

قال أبو جعفر : ففيها دخل المسلمون مدينة بَهْرَسِير ، وافتتحوا المدائن ، وهرب منها بَزْدَجِيرُ بن شهر يار .

...

ذكر بقية خبر دخول المسلمين مدينة بَهْرَسِير

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة والمهلب ، قالوا : لما نزل سعد على بَهْرَسِير بثّ الخيول ، فأغارَت على ما بيّن دجلة إلى مَنْ له عهد من أهل الفرات ، فأصابوا مائة ألف فلاح ، فحسبوا ، فأصاب كلٌّ منهم فلاحاً ؛ وذلك أن كلهم فارس بيهرسير . فخذلق لهم ، فقال له شيرازد دِهقان ساباط : إنك لا تصنع بهؤلاء شيئاً ؛ إنما هؤلاء علوج لأهل فارس لم يجرؤا إليك ، فدعهم إلى حتى يفرق لكم الرأي ^(١) . فكتب عليه بأسمائهم ، ودفعهم إليه ، فقال شيرازد : انصرفوا إلى قراكم . وكتب سعد إلى عمر : إننا وردنا بَهْرَسِير بعد الذي لقينا فيما بين القادسية وبَهْرَسِير ، فلم يأتنا أحد لقتال ؛ فبشتّ الخيول ، فجمعتُ الفلاحين من القرى والآجام ؛ فرأيتك .

فأجابه : إن مَنْ أتاكم من الفلاحين إذا كانوا مقيمين لم يُعينوا عليكم فهو أمانتهم ، ومن هرب فأدركموه فشانكم به .

فلما جاء الكتاب خلى عنهم . وراسله الله هاقين ، فدعاهم إلى الإسلام والرجوع ، أو الجزاء ولم النعمة والمنعة ، فراجعوا على الجزاء والمنعة ولم يدخل في ذلك ما كان لآل كمرى ، ومن دخل معهم ؛ فلم يبق في غربى دجلة إلى أرض العرب سوادى إلا آمين واغتنبط بملك الإسلام . واستقبلوا الخراج ؛ وأقاموا على بَهْرَسِير شهرين يرمونها بالجانيق ويدبّون إليهم

(١) يفرق لكم الرأي : يبدو ويظهر .

بالدبابات^(١) ، ويقاتلونهم بكلّ عدّة .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن المقدام بن شريح الحارثي ، عن أبيه ، قال : نزل المسلمون على بهر سير ، وعليها خنادقها وحرسها وعدّة الحرب ، فرمؤهم بالمجانيق والعرادات^(٢) ، فاستصنع سعد شيرزاد المجانيق ، فنصب على أهل بهر سير عشرين منجنيقاً ، فشغلهم بها .

٢٤٢٨/١

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن النضر بن السريّ ، عن ابن الرّفيل ، عن أبيه ، قال : فلما نزل سعد على بهر سير ، كانت العرب مطيفة بها ، والعجم متحصّنة فيها ، وربما خرج الأعاجم بمشون على المِسْنَيَات^(٣) المشرقة على دجلة في جماعتهم وعدّتهم لقتال المسلمين ؛ فلا يقومون لهم ، فكان آخر ما خرجوا في رجالة وناشية ، وتجرّدوا للحرب ، وتبايعوا على الصّبر ، فقاتلهم المسلمون فلم يثبتوا لهم ، فكذبوا وتولّوا ؛ وكانت على زهرة بن الجويّة درع مفصومة ، ف قيل له : لو أمرت بهذا الفصم فمرد ! فقال : ولم ؟ قالوا : نخاف عليك منه ، قال : إني لأكرّم على الله ، أن ترك سهم فارس الجند كلّه ثم أتاني من هذا الفصم ، حتى يثبت في ! فكان أول رجل من المسلمين أصيب يومئذ بنشابة ، فثبت فيه من ذلك الفصم ؛ فقال بعضهم : انزعوها عنه ، فقال : دعوني ، فإنّ نفسي معي ما دامت في ، لعلّي أن أصيب منهم بطعنة أو ضربة أو خطوة ، فضي نحو العدو ، فضرّب بسيفه شهربراز من أهل إصطخر ، فقتله ، وأحيط به فقتل وانكشفوا .

٢٤٢٩/١

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عبد الله بن سعيد ابن ثابت ، عن عمرة ابنة عبد الرحمن بن أسعد ، عن عائشة أم المؤمنين ، قالت : لما فتح الله عزّ وجلّ وقتل رستم وأصحابه بالقادسية وفُضّت جموعهم ،

(١) في اللسان : « الدبابة : آلة تتخذ من جلود وخشب ، يدخل فيها الرجال ويقربونها من الحصن المحاصر لينقبوه وتقبحهم ما يرمون به من فوقهم » .
(٢) المنجنيق : المقذف الذي ترمى به الحجارة ؛ والمرادة آلة شبهة ، صغيرة .
(٣) المسنة : صغيرة تقام على النهر لترد الماء .

اتَّبَعَهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى نَزَلُوا الْمَدَائِنَ ، وَقَدْ اِرْفَضَتْ جُمُوعُ فَارِسَ ، وَلَحَقُوا بِجِبَالِهِمْ ، وَتَفَرَّقَتْ جَمَاعَتُهُمْ وَفُرْصَانُهُمْ ، إِلَّا أَنَّ الْمَلِكَ مَقِيمٌ فِي مَدِينَتِهِمْ ، مَعَهُ مَنْ بَقِيَ مِنْ أَهْلِ فَارِسَ عَلَى أَمْرِهِ .

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ ، عَنْ شُعَيْبَ ، عَنْ سَيْفَ ، عَنْ سِمَاكَ بْنِ فُلَانٍ الْهُجَيْمِيِّ ، عَنْ أَبِيهِ وَمُحَمَّدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ الْحُلَيْسِ ، قَالَ : بَيْنَا نَحْنُ مُحَاصِرُونَ بِهَرَسِيرَ بَعْدَ زَحْفِهِمْ وَهَزِيمَتِهِمْ ، أَشْرَفَ عَلَيْنَا رَسُولُ فَقَالَ : إِنَّ الْمَلِكَ يَقُولُ لَكُمْ : هَلْ لَكُمْ إِلَى الْمَصَالِحَةِ عَلَى أَنْ لَنَا مَا يَلِينَا مِنْ دَجَلَةٍ وَجِبَلْنَا ، وَلَكُمْ مَا يَلِيكُمْ مِنْ دَجَلَةٍ إِلَى جِبَلِكُمْ ؟ أَمَا شَبِعْتُمْ لَا أَشْبِعَ اللَّهُ بَطُونَكُمْ ! فَبَدَرَ النَّاسَ أَبُو مَفْزَرَةَ الْأَسْوَدَ بْنَ قُطَيْبَةَ ، وَقَدْ أَنْطَقَهُ اللَّهُ بِمَا لَا يَدْرِي مَا هُوَ وَلَا نَحْنُ ؟ فَرَجَعَ الرَّجُلُ وَرَأَيْنَاهُمْ يَقْطَعُونَ إِلَى الْمَدَائِنَ ، فَقُلْنَا : يَا أَبَا مَفْزَرَةَ ، مَا قُلْتَ لَهُ ؟ فَقَالَ : لَا وَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا بِالْحَقِّ مَا أَدْرِي مَا هُوَ ؛ إِلَّا أَنَّ عَلَى سَكِينَةٍ ، وَأَنَا أَرْجُو أَنْ أَكُونَ قَدْ أَنْطَقْتُ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ؛ ٢٤٣٠/١ وَانْتَابَ النَّاسَ يَسْأَلُونَهُ حَتَّى سَمِعَ بِذَلِكَ سَعْدٌ ؛ فَجَاءَنَا فَقَالَ : يَا أَبَا مَفْزَرَةَ ، مَا قُلْتَ ؟ فَوَاللَّهِ إِنَّهُمْ لَهَرَّابٌ ؛ فَحَدَّثَنِي بِمَثَلِ حَدِيثِهِ إِيَّانَا ، فَنَادَى فِي النَّاسِ ، ثُمَّ نَهَدَ بِهِمْ ؛ وَإِنْ مَجَانِقُنَا لَتَخْطُرُ عَلَيْهِمْ ؛ فَمَا ظَهَرَ عَلَى الْمَدِينَةِ أَحَدٌ ، وَلَا خَرَجَ إِلَيْنَا إِلَّا رَجُلٌ نَادَى بِالْأَمَانِ فَأَمَّنَاهُ ، فَقَالَ : إِنْ بَقِيَ فِيهَا أَحَدٌ فَمَا يَمْنَعُكُمْ ! فَتَسَوَّرَهَا الرِّجَالُ ، وَافْتَتَحْنَاهَا ، فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا شَيْئًا وَلَا أَحَدًا ؛ إِلَّا أَسَارَى أَسْرَانَاهُمْ خَارِجًا مِنْهَا ، فَسَأَلْنَاهُمْ وَذَلِكَ الرَّجُلَ : لَأَيَّ شَيْءٍ هَرَبُوا ؟ فَقَالُوا : بَعَثَ الْمَلِكُ إِلَيْكُمْ يَعْرِضُ عَلَيْكُمْ الصَّلَاحَ ، فَأَجَبْتُمُوهُ بِأَنَّهُ لَا يَكُونُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ صَلَاحٌ أَبَدًا حَتَّى نَأْكُلَ عَسَلَ أَفْرِيذِينَ بِأَتْرَجٍ كَثُوثٍ ؛ فَقَالَ الْمَلِكُ : ٢٤٣١/١ وَابْوَيْلَهُ ! إِلَّا أَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَكَلَّمَتْ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ ، تَرَدَّدَتْ عَلَيْنَا وَتُجِيبُنَا عَنِ الْعَرَبِ ، وَاللَّهِ لَنْ يَكُنْ كَذَلِكَ ؛ مَا هَذَا إِلَّا شَيْءٌ أَلْقَيْتُ عَلَى فِي هَذَا الرَّجُلِ لِنَنْتَهِيَ ؛ فَأَرْزُوا إِلَى الْمَدِينَةِ الْقُصُوصَى .

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ عَنْ سَيْفَ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمَرْزِبَانَ ، عَنْ مُسْلِمٍ بِمَثَلِ حَدِيثِ سِمَاكَ .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة والمهلب وعمر وسعيد ، قالوا : لما دخل سعد والمسلمون بهُرمير أنزل سعد الناس فيها ، وتحول العسكر إليها ، وحاول العبور فوجدوهم قد ضمّوا السفن فيما بين البطائح وتكرّيت . ولما دخل المسلمون بهُرمير - وذلك في جوف الليل - لاح لهم الأبيض ، فقال ضرار بن الخطاب : الله أكبر ! أبيض كسرى^(١) ؛ هذا ما وعد الله ورسوله ، وتابعوا التكبير حتى أصبحوا . فقال محمد وطلحة : وذلك ليلة نزلوا على بهُرمير .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الأعمش ، عن حبيب بن صهْبَان أبي مالك ، قال : دفعنا إلى المدائن - يعني بهُرمير - وهي المدينة الدنيا ، فحصرنا ملكهم وأصحابه ، حتى أكلوا الكلاب والسنابر . قال : ثم لم يدخلوا حتى ناداهم مناد : والله ما فيها أحد ؛ فدخلوها وما فيها أحد .

• • •

حديث المدائن القصوى التي كان فيها منزل كسرى

قال سيف : وذلك في صفر سنة ست عشرة ، قالوا : ولما نزل سعد بهُرمير ، وهي المدينة الدنيا ، طلب السفن ليعبر بالناس إلى المدينة القصوى ، فلم يقدر

(١) قال ياقوت : الأبيض : قصر الأكاسرة بالمدائن ؛ كان من عجائب الدنيا ؛ لم يزل قائماً إلى أيام المكنى في حدود سنة ٢٩٠ ؛ وإياه أراد البحري بقوله :

ولقد راينى نبوة ابن عمى بعد لين من جانيه وأنس
وإذا ما جُفيت كنت حرياً أن أرى غير مُصبح حيث أُنسى
حضرت رَحلي الموم فوجهت إلى أبيض المدائن عني
أتسلى عن الحفظ وآسى لمحل من آل ساسان درم
ذكرتنيهم الخطوب التوالى ولقد تُذكر الخطوب وتُنسى
وهم خافضون في ظل عال مشرف يخسر العيون ويُنسى

على شيء ، ووجدهم قد ضمتوا السفن ، فأقاموا ببهر سير أياماً من صفر يريدونه على العبور فيمنعه الإبقاء على المسلمين ، حتى أتاه أعلاج فدلّوه على مخاضة تخاض إلى صلب الوادي ، فأبى وتردد عن ذلك ، وفجئهم المد ، فرأى رؤيا ؛ أن خيول المسلمين اقتحمتها فعبرت وقد أقبلت من المدّ بأمر عظيم ؛ فعزم لتأويل رؤياه على العبور ؛ وفي سنة جـود صيفها متتابع . فجمع سعد الناس ، فحمد الله وأثنى عليه ، وقال : إن عدوكم قد اعتصم منكم بهذا البحر ، فلا تخلصون إليه معه ، وهم يخلصون إليكم إذا شاءوا ، فيناوشونكم في سفنهم ، وليس وراءكم شيء تخافون أن تؤثروا منه ؛ فقد كفاكمهم أهل الأيام ، وعطلوا ثغورهم ، وأفنوا ذادتهم ، وقد رأيت من الرأي أن تبادروا جهاد العدو بنياتكم قبل أن تحصركم الدنيا . ألا إني قد عزم على قطع هذا البحر إليهم . فقالوا جميعاً : عزم الله لنا ولك على الرشد ، فافعل . فندب سعد الناس إلى العبور ، ويقول : من يبدأ ويحمي لنا الفيراض حتى ٢٤٣٣/١ تتلاحق به الناس لكيلا يمنعهم من الخروج ؟ فانتدب له عاصم بن عمرو ذو البأس ، وانتدب بعده ستمائة من أهل التّجندات ، فاستعمل عليهم عاصماً ، فسار فيهم حتى وقف على شاطئ دجلة ، وقال : من ينتدب معي لنمنع الفيراض من عدوكم ولنحميكم حتى تعبروا ؟ فانتدب له ستون من منهم أصم بنى ولاد وشرحبيل ، في أمثالهم ، فجعلهم نصفين على خيول إناث وذكورة ، ليكون أساساً لعموم الخيل . ثم اقتحموا دجلة ، واقتحم بقيّة الستمائة على أثرهم ، فكان أول من فصل من الستين أصم التميمي ، والكلاج ، وأبو مفرز ، وشرحبيل ، وجحل العجلي ، ومالك بن كعب الهمداني ، وغلام من بنى الحارث بن كعب ؛ فلما رأهم الأعاجم وما صنعوا أعدوا للخيل التي تقدمت سعداً مثلها ، فاقتحموا عليهم دجلة ، فأعاموها إليهم ، فلقوا عاصماً في السرعان ، وقد دنا من الفيراض ، فقال عاصم : الرماح الرماح ! أشرعوها وتوخّوا العيون ؛ فالتقوا فاطعنوا ، وتوخّى المسلمون عيونهم ، فولّوا نحو الجلد ، والمسلمون يشمّصون^(١) بهم خيلهم ، ما يملك رجالها منع ٢٤٣٤/١

(١) شمس الفرس : نخه ليتحرك ، وفي ابن حيش : « يشمسون » ، وهما سواء .

ذلك منها شيئاً . فلاحقوا بهم في الجُند ، فقتلوا عامتهم ، ونجا مَنْ نجا منهم عُرَواناً^(١) ، وتزلزلت بهم خيولهم ، حتى انتقضت عن الفِراض ، وتلاحق السمائة بأوائلهم الستين غير متعتعين . ولما رأى سعد عاصماً على الفِراض قد منعها ، أذن للناس في الاقتحام ، وقال : قولوا نستعين بالله ، ونتوكل عليه ، حسبنا الله ونعم الوكيل ، لاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ! وتلاحق عظمُ الجند ، فركبوا اللجة ، وإن دجلة لترى بالزبد ، وإنها المسودة ، وإن الناس ليتحدّثون في عومهم وقد اقترَبوا ما يكثرُون ، كما يتحدّثون في مسيرهم على الأرض ، ففجئوا أهل فارس بأمر لم يكن في حسابهم ، فأجهضوهم وأعجلوهم عن جُهور أموالهم ، ودخلها المسلمون في صفر سنة ست عشرة ، واستولوا على ذلك كله مما بقي في بيوت كسرى من الثلاثة آلاف ألف ألف ، وما جمع شيرى ومن بعده . وفي ذلك يقول أبو بُجَيْد نافع بن الأسود :

وأسلنا على المدائن خيلاً بخرها مثل برّهٍ أريضا^(٢) ،
فانتثلنا خزائن المرء كسرى يوم ولّوا وحاص منّا جرّيضا^(٣)

٢٤٣٥/١ كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الوليد بن عبد الله ابن أبي طيبة ، عن أبيه ، قال : لما أقام سعد على دجلة أثناء عُلج ، فقال : ما يقيمك ! لا يأتي عليك ثلاثة^(٤) حتى يذهب يزدجرد بكل شيء في المدائن ، فذلك مما هيّجه على القيام بالدعاء إلى العبور .

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن رجل ، عن أبي عثمان النهدي في قيام سعد في الناس في دعائهم إلى العبور بمثله ، وقال : طبقنا دجلة خيلاً ورجلاً ودواب حتى ما يرى الماء من الشاطئ أحد ، فخرجت

(١) عُرَواناً ، أى صاغرين أذلاء .

(٢) أريضا : معجب للعين .

(٣) انتثلنا ، أى استخرجنا ما فيها . حاص ، أى ولى وانهمز ، وجرىضا ، أى مشرقاً

على الهلاك . وفي ابن الأثير : « وخاض » .

(٤) ابن الأثير : « ثلاثة » .

بنا خيلنا إليهم تنفض أعرافها ، لها صهيل . فلما رأى القوم ذلك انطلقوا لا يلتوون على شيء ، فانتبهنا إلى القصر الأبيض ، وفيه قوم قد تحصنوا ، فأشرف بعضهم فكلّمنا ، فدعوناهم وعرضنا عليهم ، فقلنا : ثلاث تختارون منهنّ أبتنّ شتم ، قالوا : ما هنّ ؟ قلنا : الإسلام فإن أسلمتم فلكم ما لنا وعليكم ما علينا ، وإن أبيتم فالحزبية ، وإن أبيتم ففناجزتكم حتى يحكم الله بيننا وبينكم . فأجابنا مجيبهم : لا حاجة لنا في الأولى ولا في الآخرة ^(١) ، ولكن الوسطى .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عطية بمثله . قال :
والسفير سلمان .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن النضر بن السريّ ، عن ابن الرّفيل ، قال : لما هزموم في الماء وأخرجوهم إلى الفِراض ، ثم كشفوهم عن الفِراض أجلوهم عن الأموال ، إلّا ما كانوا تقدّموا فيه — وكان ٢٤٣٦/١ في بيوت أموال كبرى ثلاثة آلاف ألف ألف ^(٢) — فبعثوا مع رستم بنصف ذلك ، وأقرّوا نصفه في بيوت الأموال .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن بدر بن عثمان ، عن أبي بكر بن حفص بن عمر ، قال : قال سعد يومئذ وهو واقف قبل أن يُقحم الجمهور ، وهو ينظر إلى حُماة الناس وهم يقاتلون على الفِراض : والله أن لو كانت الخرساء — يعني الكتيبة التي كان فيها القعقاع بن عمرو وحسمّال بن مالك والرّبيل بن عمرو ، فقاتلوا قتال هؤلاء القوم هذه الخيل — لكانت قد أجزأت وأغنت ؛ وكتيبة عاصم هي كتيبة الأهوال ؛ فشبه كتيبة الأهوال — لما رأى منهم في الماء والفِراض — بكتيبة الخرساء . قال : ثمّ إنهم تنادوا بعد هزات قد اعتوروها عليهم ولم . فخرجوا حتى لحقوا بهم ، فلما استووا على الفِراض هم وجميع كتيبة الأهوال بأسرهم ، أقحم سعد الناس — وكان الذي يسير سعداً في الماء سلمان الفارسيّ — فعامت بهم الخيل ، وسعد

(١) س : « الأخيرة » . (٢) بعدها في ط : « ثلاث مرات » ، مقحمة ، وانظر ص ١٠ من ١٠ من هذا الجزء .

يقول : حسبنا الله ونعم الوكيل ! والله لينصرن الله وليه ، وليظهرن الله دينه ، وليهزمن الله عدوه ، إن لم يكن في الجيش بغي أو ذنوب تغلب الحسنات . فقال له سلمان : الإسلام جديد ، ذُللت لهم والله البحور^(١) كما ذُلل لهم البر ، أما والذي نفس سلمان بيده ليخرجن منه أفواجا كما دخلوه أفواجا . فطبقوا الماعتي ما يرى الماء من الشاطئ ، ولم فيه أكثر حديثا منهم في البر لو كانوا فيه ، فخرجوا منه - كما قال سلمان - لم يفقدوا شيئا ، ولم يفرق منهم أحد .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي عمر دثار ، عن أبي عثمان النهدي ، أنهم سلموا من عند آخرهم إلا رجلا من بارق يدعى غرقدة ، زال عن ظهر فرس له شقراء ، كأنى أنظر إليها تنفض أعرافها عريا والغريق طاف ، فثنى القعقاع بن عمرو عنان فرسه إليه ، فأخذ بيده فجره حتى عبر ، فقال البارقي - وكان من أشد الناس : أعجز^(٢) الأخوات أن يلدن مثلك يا قعقاع ! وكان للقعقاع فيهم خولة .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو وسعيد ، قالوا : لما ذهب لهم في الماء يومئذ إلا قدح كانت علاقته رثة ، فانقطعت ، فذهب به الماء ، فقال الرجل الذي كان يعاوم صاحب القدح معيرا له : أصابه القدر فطاح ، فقال : والله إني لعلتي جديلة ما كان الله ليسلبنى قدحي من بين أهل العسكر . فلما عبروا إذا رجل ممن كان يحمي الفيراض ، قد سفل حتى طلع عليه أوائل الناس ، وقد ضربته الرياح والأمواج حتى وقع إلى الشاطئ ، فتناوله برمحه ، فجاء به إلى العسكر فعرفه ، فأخذه صاحبه ، وقال للذي كان يعاومه : ألم أقل لك ! وصاحبه حكيك لقريش من عتس ، يدعى مالك بن عامر ، والذي قال : « طاح » يدعى عامر بن مالك .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن القاسم بن الوليد ، عن عمير الصائدي ، قال : لما أقحم سعد الناس في دجلة أقرنوا ، فكان

(١) ابن حبيش : « البحار » .

(٢) ابن حبيش : « أعجزت » ، ابن كثير : « عجز » .

سلمان قرين سعد إلى جانبه يسايره في الماء ، وقال سعد : ذلك تقدير العزيز العليم ، والماء يطمو بهم ، وما يزال فرس يستوى قائماً إذا أصيا يُنشَر له تَلْعَة فيستريح عليها ؛ كأنه على الأرض ، فلم يكن بالمدائن أمرٌ أعجب من ذلك ، وذلك يوم الماء ، وكان يدعى يوم الجرائم .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد والمهلب وطلحة وعمر وسعيد ، قالوا : كان يوم ركوب دجلة يدعى يوم الجرائم ، لا يعيا أحد إلا أنشِرت له جرثومة يُريح عليها .

٢٤٣٩/١

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس بن أبي حازم ، قال : خُصّنا دجلة وهي تطفح ، فلما كنّا في أكثرها ماء لم يزل فارس واقف ما يبلغ الماء حزامه .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الأعمش ، عن حبيب بن صُهبان أبي مالك ، قال : لما دخل سعد المدينة الدنيا ، وقطع القوم البحر ، وضموا السفن ، قال المسلمون : ما تنتظرون بهذه النطفة ! فائقم رجل ، فخاض الناس فما غرق منهم إنسان ولا ذهب لهم متاع ، غير أن رجلاً من المسلمين فقد قدَحاً له انقطعت علاقته ، فرأيته يطفح على الماء .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد والمهلب وطلحة ، قالوا : وما زالت حُماة أهل فارس يقاتلون على الفِراض حتى أتاها آتٍ فقال : علام تقتلون أنفسكم ! فوالله ما في المدائن أحد .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة والمهلب وعمر وسعيد ، قالوا : لما رأى المشركون المسلمين وما يهْمُون به بعثوا مَنْ يمنعهم من العبور ، وتحملوا فخرجوا هُرَابًا ، وقد أخرج يَزْدَجِرْد - قبل ذلك وبعد ما فُتِحَتْ بهرُسِير - عياله إلى حلوان ، فخرج يَزْدَجِرْد بعدُ حتى يتزل حلوان ، فلحق بعياله ، وخلف مِهْران الرازيّ والنخيران - وكان ٢٤٤٠/١ - على بيت المال - بالتهروان ، وخرجوا معهم بما قلدوا عليه من حرّ متاعهم

وخفيته ، وما قدروا عليه من بيت المال ، وبالنساء والذراري ، وتركوا في الخزائن من الثياب والمتاع والآنية والفضول والأطاف والأدهان مالا يُدرى ما قيمته ، وخلصوا ما كانوا أعدوا للحصار من البقر والغنم والأطعمة والأشربة ، فكان أول من دخل المدائن كتيبة الأهوال ، ثم الخرساء ، فأخذوا في سككها لا يلقون فيها أحداً ولا يحسونه إلا من كان في القصر الأبيض ، فأحاطوا بهم ودعواهم ، فاستجابوا لسعد على الجزاء والذمة ، وتراجع إليهم أهل المدائن على مثل عهدهم ؛ ليس في ذلك ما كان لآل كسرى ومن خرج معهم ، ونزل سعد القصر الأبيض ، وسرح زهرة في المقدمات في آثار القوم إلى الشهران ، فخرج حتى انتهى إلى الشهران ، وسرح مقدار ذلك في طلبهم من كل ناحية .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الأعشى ، عن حبيب بن صهيان أبي مالك ، قال : لما عبّر المسلمون يوم المدائن دجلة ، فنظروا إليهم يعبرون ، جعلوا يقولون بالفارسية : « ديوان آمد »^(١) . وقال بعضهم لبعض : والله ما تقاتلون الإنس وما تقاتلون إلا الجن . فانهزموا .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عطية بن الحارث وعطاء بن السائب ، عن أبي البختري ، قال : كان رائد المسلمين سكران الفارسي ، وكان المسلمون قد جعلوه داعية أهل فارس . قال عطية : وقد كانوا أمره بدعاء أهل بهرسير ، وأمروه يوم القصر الأبيض ، فدعاهم ثلاثاً . قال عطية وعطاء : وكان دعاؤه إياهم أن يقول : إني منكم في الأصل ، وأنا أرق لكم ، ولكم في ثلاث أدعوكم إليها ما يصلحكم : أن تسلموا فإخواننا لكم مالنا وعليكم ما علينا ، وإلا فالجزية ، وإلا نأخذناكم على سواء ؛ إن الله لا يحب الخائنين . قال عطية : فلما كان اليوم الثالث في بهرسير أبوا أن يجيبوا إلى شيء ، فقاتلهم المسلمون حين أبوا . ولما كان اليوم الثالث في المدائن قبل أهل القصر الأبيض وخرجوا ، ونزل سعد القصر الأبيض واتخذ

(١) في حاشية ابن حبيش : « قال أبو بكر بن سيف : يعني قد جاء الشيطان » .

الإيوان مُصْلَى ، وإنّ فيه لَمَائِلَ جِصٍّ فَمَا حَرَكَهَا .

كتب إلى المَرِيّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة والمهلب ، وشاركهم سَمَاكُ الهُجَيْمِيّ ، قالوا : وقد كان الملك سَرَبَ عِيَالِهِ حِينَ أَخَذَتْ ٢٤٤٢/١ بَهْرَسِيرَ إِلَى حُلُوانَ ، فلما ركب المسلمون الماء خرجوا هَرَّابًا ، وخیلهم على الشاطئ يَمْنَعُونَ الْمُسْلِمِينَ وَخَيْلَهُمْ مِنَ الْعُبُورِ ، فَاقْتَتَلُوا هُمُ وَالْمُسْلِمُونَ قِتَالًا شَدِيدًا ، حَتَّى نَادَاهُمْ مَنَادٌ : عَلَامَ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ ! فَوَاللَّهِ مَا فِي الْمَدَائِنِ مِنْ أَحَدٍ . فَانْهَزَمُوا وَاقْتَحَمَتِهَا الْخَيُْولُ عَلَيْهِمْ ، وَعَبَّرَ سَعْدٌ فِي بَقِيَّةِ الْجَيْشِ .

كتب إلى المَرِيّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة والمهلب ، قالوا : أدرك أوائلُ المسلمين أخرياتُ أهلِ فارسَ ، فأدرك رجلٌ من المسلمين يدعى ثَقِيفًا أَحَدُ بَنِي عَدِيٍّ ابْنَ شَرِيفٍ ؛ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ فَارَسَ ، مَعْرِضًا عَلَى طَرِيقٍ مِنْ طَرَفِهَا يَحْمِي أَدْبَارَ أَصْحَابِهِ ، فَضَرَبَ فَرَسَهُ عَلَى الْإِقْدَامِ عَلَيْهِ ، فَأَحْجَمَ وَلَمْ يُقَدِّمَ ، ثُمَّ ضَرَبَهُ لِلْهَرَبِ فَتَقَاعَسَ حَتَّى لَحِقَهُ الْمُسْلِمُ ، فَضَرَبَ عُنُقَهُ وَسَلَبَهُ .

كتب إلى المَرِيّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عطية وعمرو ووثار أبي عمر ، قالوا : كان فارس من فرسان العجم في المدائن يومئذ مما يلي جازِرَ ، فَقِيلَ لَهُ : قَدْ دَخَلْتَ الْعَرَبَ وَهَرَبَ أَهْلُ فَارَسَ ؛ فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى قَوْمِهِ ، وَكَانَ وَاثِقًا بِنَفْسِهِ ، وَمَضَى حَتَّى دَخَلَ بَيْتَ أَعْلَاجَ لَهُ ، وَهُمْ يَنْقُلُونَ ثِيَابًا لَهُمْ ، قَالَ : مَا لَكُمْ ؟ قَالُوا : أَخْرَجْتَنَا الزَّنَابِيرَ ، وَغَلَبْتَنَا عَلَى يَبُوتِنَا ، فَدَعَا بِجُلَاهِقٍ (١) وَبَطْنِينَ ، فَجَعَلَ يَرْمِيهِنَّ حَتَّى أَلْزَقَهُنَّ بِالْحَيِطَانِ ، فَأَفْنَاهُنَّ . وَانْتَهَى إِلَيْهِ ٢٤٤٣/١ الْقَنْزَعُ ، فَقَامَ وَأَمَرَ عِلْجًا فَأَسْرَجَ لَهُ ، فَاَنْقَطَعَ حِزَامُهُ ، فَشَدَّهُ عَلَى عَجَلٍ ، وَرَكِبَ ، ثُمَّ خَرَجَ فَوْقَ . وَرَمَى بِهِ رَجُلٌ فَطَعَنَهُ ، وَهُوَ يَقُولُ : خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ الْخَارِقِ ! فَقَتَلَهُ ثُمَّ مَضَى مَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ .

كتب إلى السَّرِيِّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن سعيد بن المرزبان بمثله ، وإذا هو ابنُ الخارقِ بنِ شهاب . قالوا : وأدرك رجل من المسلمين رجلًا منهم معه عصا يَتَلَاوَمُونَ ،

(١) الجلاهق : الطين المنور .

ويقولون : من أى شيء قربنا ! ثم قال قائل منهم لرجل منهم : ارفع لى كُرّة ، فرماها لا يخطئ ، فلما رأى ذلك عاج وعاجوا معه وهو أمامهم ؛ فانتهى إلى ذلك الرجل ، فرماه من أقرب مما كان يرى منه الكُرّة ما يصيبه ، حتى وقف عليه الرجل ، ففلق هامته ، وقال : أنا ابن مُشرط الحجارة . وتفرّج عن الفارسي أصحابه .

وقالوا جميعاً ؛ محمد والمهلب وطلحة وعمر وأبو عمر وسعيد ، قالوا : ولما دخل سعد المدائن ، فرأى خلوتها ، وانتهى إلى إيوان كسرى ، أقبل يقرأ : ﴿ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ • وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ • وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَاعِيَهُنَّ • كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴾ ^(١) . وصلى فيه صلاة الفتح — ولا تصلّى جماعة — فصلّى ثمانى ركعات لا يفصل بينهن ، واتخذ مسجداً ، وفيه تماثيل الجص رجال وخیل ، ولم يمنع ولا المسلمون لذلك ، وتركوها على حالها . قالوا : وأتمّ سعد الصلاة يوم دخلها ، وذلك أنه أراد المقام فيها . وكانت أول جمعة بالعراق جمعت جماعة بالمدائن ^(٢) ، فى صفر سنة ست عشرة .

• • •

ذكر ما جمع من فى أهل المدائن

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد والمهلب وعقبة وعمر وأبى عمر وسعيد ، قالوا : نزل سعد إيوان كسرى ، وقدّم زهرة ، وأمره أن يبلغ النهر وان . فبعث فى كل وجه مقدار ذلك لنفى المشركين وجمع القبيّوه ، ثمّ تحوّل إلى القصر بعد ثلاثة ، ووكل بالأقباض ^(٣) عمرو بن عمرو ابن مقرن ، وأمره بجمع ما فى القصر والإيوان والدور وإحصاء ما يأتى به الطلب ؛ وقد كان أهل المدائن تنهبوا عند الهزيمة غارة ، ثم طاروا فى كل وجه ، فما أفلت أحد منهم بشيء لم يكن فى عسكر مِهْران بالنهر وان

(١) سورة الدخان ٢٥ - ٢٨ . (٢) ابن كثير : « فكانت أول جمعة جمعت بالمرق » . الثوري : « وكانت أول جمعة أقيمت بالمدائن » .
(٣) الأقباض : جمع قبض ، بفتحين ، وهو ما جمع من الغنيمة قبل أن يُقسم .

ولا بخیط . وألح عليهم الطلب فتتقنوا ما في أيديهم ، ورجعوا بما أصابوا من الأقباض ، فضموه إلى ما قد جُمع ؛ وكان أول شيء جُمع يومئذ ما في القصر الأبيض ومنازل كسرى وسائر دور المدائن .

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الأعمش ، عن حبيب بن صُهبان ، قال : دخلنا المدائن ، فأتينا على قباب تركية مملوءة سلالاً مختمة بالرصاص ، فما حسبناها إلا طعاماً ، فإذا هي آنية الذهب ٢٤٤٥/١ والفضة فقسمت بعد بين الناس . وقال حبيب : وقد رأيت الرجل يطوف ويقول : من معه بيضاء يصفراء ؟ وأتينا على كافور كثير ، فما حسبناه إلا ملحاً ، فجعلنا نعجن به حتى وجدنا مرارته في الخبز .

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن النضر بن السرى ، عن ابن الرُقيل ، عن أبيه الرُقيل بن ميسور ، قال : خرج زهرة في المقدمة يتبعهم حتى انتهى إلى جسر النهر وان، وهم عليه ، فازدحموا ، فوقع بغل في الماء فجعلوا وكلبوا عليه ، فقال زهرة : إني أقسم بالله إن لهذا البغل لشأناً ! ما كلب القوم عليه ولا صبروا للسيوف بهذا الموقف الضنك إلا لشيء بعد ما أرادوا تركه ، وإذا الذي عليه حلية كسرى ؛ ثيابه وخرزاته وشاحه ودرعه التي كان فيها الجوهر ، وكان يجلس فيها للمباهاة ؛ وترجل زهرة يومئذ حتى إذا أراحهم أمر أصحابه بالبغل فاحتملوه ، فأخرجوه فجاءوا بما عليه ، حتى رده إلى الأقباض ، ما يدرون ما عليه ، وارتجز يومئذ زهرة :

فَدَى لِقَوْمِي الْيَوْمَ أَخْوَالِي وَأَعْمَامِي هُمْ كَرِهُوا بِالنَّهْرِ خِذْلَانِي وَإِسْلَامِي ^(١)

هُمْ فَلَجُّوا بِالْبَغْلِ فِي الْخِصَامِ بِكُلِّ قِطَاعٍ شُتُونِ الْهَامِ وَصَرَعُوا الْفَرَسَ عَلَى الْآكَامِ كَأَنَّهُمْ نَعْمٌ مِنَ الْأَنْعَامِ ٢٤٤٦/١

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن هُبيرة بن الأشعث ، عن جده الكلج ، قال : كنت فيمن خرج في الطلب ، فإذا أنا ببغاليين قد رداً الخيل عنهما بالنشاب ، فما بقي معهما غير نشأتين ، فألظت بهما ، فاجتمعا ، فقال أجدهما لصاحبه : ارميه وأحميك ، أو أرميه وتحميني !

فحمى كل واحد منهما صاحبه حتى رميا بها . ثم إني حملت عليهما فقتلتها
وجئت بالبغلين ما أدرى ما عليهما ، حتى أبلغتهما صاحب الأقباض ،
وإذا هو يكتب ما يأتيه به الرجال وما كان في الخزائن والدور ، فقال :
علني رسلك حتى ننظر ما معك ! فحططت عنهما ، فإذا سفتان على أحد
البغلين فيهما تاج كسرى مفستخا - وكان لا يحمله إلا أسطوانتان - وفيهما
الجوهر ، وإذا على الآخر سفتان فيهما ثياب كسرى التي كان يلبس
من الديباج المنسوج بالذهب المنظوم بالجوهر وغير الديباج منسوجاً منظوماً .

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة والمهلب ،
قالوا : وخرج القعقاع بن عمرو يومئذ في الطلب ، فلحق بفارسي يحمي
الناس ؛ فاقبلا فقتله ؛ وإذا مع المقتول جنينة عليها عيبتان وغلافان في
أحدهما خمسة أسياف وفي الآخر ستة أسياف ؛ وإذا في العيبتين أدرع ،
فإذا في الأدرع درع كسرى ومغفره وساقاه وساعده ، ودرع هرقل ، ودرع
خاقان ودرع داهر ودرع بهرام شوبين ودرع سياوخش ودرع النعمان ؛
وكانوا استلبوا ما لم يرثوا ، استلبوها أيام غزاتهم خاقان وهرقل وداهر ؛ وأما
النعمان وبهرام فحين هربا وخالفنا كسرى ، وأما أحد الغلافين ففيه سيف
كسرى وهرمز وقبادوفيروز ، وإذا السيوف الأخر ، سيف هرقل وخاقان
وداهر وبهرام وسياوخش والنعمان . فجاء به إلى سعد ، فقال : اختر أحد
هذه الأسياف ، فاختر سيف هرقل ، وأعطاه درع بهرام ، وأما سائرهما
فنفقها في الخرساء إلا سيف كسرى والنعمان - ليبعثوا بهما إلى عمر لتسمع
بذلك العرب لمعرفتهم بهما ، وحبسوهما في الأخماس - وحلى كسرى وتاجه
وثيابه ؛ ثم بعثوا بذلك إلى عمر ليراه المسلمون ، ولتسمع بذلك العرب ، وعلى هذا
الوجه سلب خالد بن سعيد عمرو بن معد يكرب سيفه الصمصامة في الردة
والقوم يستحيون من ذلك .

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عبيدة بن معتب ،
عن رجل من بني الحارث بن طريف ، عن عصمة بن الحارث الضبي ،
قال : خرجت فيمن خرج يطلب ، فأخذت طريقاً مسلوكة وإذا عليه حمار ،

فلما رآني حثته فلبحق بآخر قدّامه ، فالأ ، وحثّا حماريهما ، فأنتهيا إلى جدول قد كُسِرَ جسرُه ، فثبنا حتى أتيتهما ، ثم تفرّقا ، ورماني أحدهما فألظظت ^(١) به فقتلته وأفلت الآخر ، ورجعت إلى الحمارين ، فأتيت بهما صاحب الأقباض ، فنظر فيما على أحدهما ، فإذا سَفَطَانِ في أحدهما فرس من ذهب مسرّج بسرّج من فضة ، على ثنفره ولَبَّسَ به الياقوت ، والزرُّ مُرَدَّ منظوم على الفضة ، ولحام كذلك ، وفارس من فضة مكمل بالجوهر ، وإذا في الآخر ناقة من فضة ، عليها تشكيل ^(٢) من ذهب ، ويطان من ذهب ولها شناق ^(٣) — أوزام — من ذهب ، وكلّ ذلك منظوم بالياقوت ؛ وإذا عليها رجلٌ من ذهب مكمل بالجوهر ، كان كسرى يضعهما إلى أسطواني التاج .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن هيرة بن الأشعث ، عن أبي عبيدة العنبريّ ، قال : لما هبط المسلمون المدائن ، وجمعوا الأقباض ، ٢٤٤٩/١ أقبل رجل بحقّ معه ، فدفعه إلى صاحب الأقباض ، فقال والذين معه : ما رأينا مثل هذا قطّ ، ما يعدّ ما عندنا ولا يقاربه ؛ فقالوا : هل أخذت منه شيئا ؟ فقال : أمّا والله لولا الله ما أتيتكم به ، فعرفوا أنّ للرجل شأنًا ، فقالوا : من أنت ؟ فقال : لا والله لا أخبركم لتحمدوني ، ولا غيركم ليقرّظوني ، واكتفى أحمد الله وأرضى بثوابه . فأتبعوه رجلا حتى انتهى إلى أصحابه ، فسأل عنه ، فإذا هو عامر بن عبد قيس .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو وسعيد ، قالوا : قال سعد : والله إنّ الجيش لذنو أمانة ، ولولا ما سبق لأهل بدر لقلت : وإيم الله — على فضل أهل بدر — لقد تتبعت من أقوام منهم هنات وهنات فيما أحرزوا ، ما أحسبها ولا أجمعها من هؤلاء القوم .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن مبشر بن الفضيل ، عن جابر بن عبد الله ، قال : والله الذي لا إله إلاّ هو ؛ ما طلعنا على أحد من أهل القادسية ، أنه يريد الدنيا مع الآخرة ، ولقد اتهمنا ثلاثة نفر ، فما ٢٤٥٠/١

(١) ألظظت به ، يريد تبعته ؛ يقال : لظ به وألظ . (٢) الشليل : مسح من

صوف أو شعر يحمل على عجز البعير . (٣) الشناق : حبل يجذب به رأس البعير .

رأينا كالدی هجمنا علیه من أمانتهم وزُهدهم : طليحة بن خويلد ،
وعمر بن سعد يكره ، وقيس بن المكشوح .

كتب إلى المروى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد^(١) بن قيس
العجلي ، عن أبيه ، قال : لما قدم بسيف كسرى على عمر ومنطقته وزبرجه ،
قال : إن أقواماً أدوا هذا لئذ وأمانة ! فقال على : إنك عفت فعتت
الريضة .

كتب إلى المروى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو والمجالد ،
عن الشعبي ، قال : قال عمر حين نظر إلى سلاح كسرى : إن أقواماً أدوا
هذا للذو أمانة .

• • •

ذكر صفة قسم النوى الذى أصيب بالمدائن بين أهله

وكانوا - فيما زعم سيف - ستين ألفاً

كتب إلى المروى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وعمرو
وسعيد والمهلب ، قالوا : ولما بعث سعد بعد نزوله المدائن فى طلب الأحاجم ،
بلغ الطلب النهروان ؛ ثم تراجعوا ، ومضى المشركون نحو حُلوان ، فقام
سعد النوى بين الناس بعد ما خمسته ؛ فأصاب الفارس اثنا عشر ألفاً ،
وكلهم كان فارساً ليس فيهم راجل ؛ وكانت الجنائب فى المدائن كثيرة .

كتب إلى المروى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن المجالد ، عن الشعبي
بمثله ، وقالوا جميعاً : ونقل من الأخماس ولم يجتهدوا فى أهل البلاء .
وقالوا جميعاً : قسم سعد دور المدائن بين الناس ، وأوطنوها ، والذى ولى القبض
عمرو بن عمرو المزنى ، والذى ولى القسم سلمان بن ربيعة ؛ وكان فتح
المدائن فى صفر سنة ست عشرة . قالوا : ولما دخل سعد المدائن أتم الصلاة
وصام ، وأمر الناس بإيوان كسرى فجعل مسجداً للأعياد ، ونصب فيه
منبراً ، فكان يصلّى فيه - وفيه التماثيل - ويجمع فيه ، فلما كان الفطر

قيل : ابرزوا ، فإنَّ السَّنةَ في العيدين البرَّاز^(١) . فقال سعد : صلّوا فيه ؛ قال : فصلّني فيه ، وقال : سواء في عَقْر القرية أو في بطنها .

كتب إلى السريّ : عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو ، عن الشعبيّ ، قال : لما نزل سعد المدائن ، وقسم المنازل ، بعث إلى العيالات ، فأنزلهن الدُّور وفيها المرافق ، فأقاموا بالمدائن حتى فرغوا من جملولاء وتكريت والمتوصل ، ثمَّ تحوّلوا إلى الكوفة .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد والمهلب ، وشاركهم عمرو وسعيد : وجمع سعد الخمس ، وأدخل فيه كلَّ شيء أراد أن يعجب منه عمر ؛ من ثياب كمرى وحليّة وسيفه ونحو ذلك ، وما كان يُعجب العرب أن يقع إليهم ، ونقل من الأخماس ، وفضل بعد القسّم بين الناس وإخراج الخمس القطف ، فلم تعدل قسمته ، فقال للمسلمين : هل لكم في أن تطيب أنفسنا عن أربعة أخماسه ، فنبعث به إلى عمر فيضعه حيث يرى ، فإنّا لا نراه يتفق قسمه ؛ وهو بيننا قليل ؛ وهو يقع من أهل المدينة موقعاً ! فقالوا : نعم ها الله إذا ؛ فبعث به على ذلك الوجه ، وكان القطف ستين ذراعاً في ستين ذراعاً ، بساطاً واحداً مقدار جريب ؛ فيه طرق كالصّور وفصوص كالأنهار ؛ وخلال ذلك كالدير ، وفي حافاته كالأرض المزروعة والأرض المبجلة بالنبات في الربيع من الحرير على قضبان الذهب ونوّاره بالذهب والفضة وأشباه ذلك . فلما قدم على عمر نقل من الخمس أناساً ، وقال : إنّ الأخماس ينقل منها من شهد ومن غاب من أهل البلاء فيما بين الخمسين ؛ ولا أرى القوم جهلوا الخمس بالنقل ؛ ثمَّ قسم الخمس في مواضعه ، ثمَّ قال : أشيروا عليّ في هذا القطف ! فأجمع ملؤهم على أن قالوا : قد جعلوا ذلك لك ، فرّ رأيك ، إلّا ما كان من عليّ فإنه قال : يا أمير المؤمنين ، الأمر كما قالوا ، ولم يبق إلا التروية ؛ إنك إن تقبله على هذا اليوم لم تعدم في غد من يستحقّ به ما ليس له ،

(١) البراز بالفتح : اسم للفضاء الواسع .

قال : صدقتني ونصحتني . فقطعه بينهم .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عبد الملك بن عمير ، قال : أصاب المسلمون يوم المدائن بهار كسرى ، ثقل عليهم أن يذهبوا به ، وكانوا يُعَدُّونه للشتاء إذا ذهب الرياحين ، فكانوا إذا أرادوا الشرب شربوا عليه ؛ فكانهم في رياض بساط ستين في ستين ؛ أرضه بذهب ، وشيه بفصوص ، وثره بجوهر ، وورقه بحرير وماء الذهب ؛ وكانت العرب تسميه القِطَف ، فلما قعم سعد فيتهم فضل عنهم ، ولم يتفق قسمته ، فجمع سعد المسلمين ، فقال : إن الله قد ملأ أيدىكم ، وقد عسر قعم هذا البساط ، ولا يقوى على شرائه أحد ، فأرى أن تطيبوا به نفساً لأمر المؤمنين يضعه حيث شاء ؛ ففعلوا . فلما قدم على عمر المدينة رأى رؤيا فجمع الناس ، فحمد الله وأثنى عليه ، واستشارهم في البساط ، وأخبرهم خبره ؛ فن بين مُشير بقبضه ، وآخر مُفَوِّض إليه ، وآخر مرفق ، فقام على حين رأى عمر يأبى حتى انتهى إليه ، فقال : لم تجعل ^(١) علمك جهلا ، ويقينك شكاً ! إنه ليس لك من الدنيا إلا ما أعطيت فأمضيت ، أو لبست فألبيت ، أو أكلت فأفانيت . قال : صدقتني . فقطعه فقسمه بين الناس ، فأصاب علياً قطعة منه ، فباعها بعشرين ألفاً ؛ وما هي بأجود تلك القِطَع .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو وسعيد ، قالوا : وكان الذي ذهب بالأخماس ؛ أخماس المدائن ، بشير بن الحصاصية ، والذي ذهب بالفتح خنيس بن فلان الأسدي ، والذي ولي القبض عمرو ، والقسم سلمان . قالوا : ولما قسم البساط بين الناس أكثر الناس في فضل أهل القادسية ، فقال عمر : أولئك أعيان العرب وغرورها ، اجتمع لهم مع الأخطار الدين ، هم أهل الأيام وأهل القوادس . قالوا : ولما أتى بحلي كسرى وزيه في المباهاة وزيه في غير ذلك - وكانت له عدة أزياء لكل حالة زي - قال : علي بمحلّم - وكان أجسم عربي يومئذ

(١) ابن الأثير : « لم يجعل » .

بأرض المدينة — فألبس تاج كسرى على عمودين من خشب ، وصب عليه
أوشحته وقلائده وثيابه ، وأجلس للناس ، فنظر إليه عمر ، ونظر إليه الناس ،
فأروا أمراً عظيماً من أمر الدنيا وفتنتها ، ثم قام عن ذلك ، فألبس زيته الذي
يليه ، فنظروا إلى مثل ذلك في غير نوع ، حتى أتى عليها كلها ؛ ثم ألبسه
سلاحه ، وقلده سيفه ، فنظروا إليه في ذلك ، ثم وضعه ثم قال : والله
٢٤٥٥/١ إن أقواماً أدوا هذا لذو أمانة . ونقل سيف كسرى علماً ، وقال :
أحمق بامرئ من المسلمين غرته الدنيا ! هل يبلغن مغرور منها إلا دون هذا
أو مثله ! وما خير امرئ مسلم سبقه كسرى فيما يضره ولا ينفعه ! إن
كسرى لم يزد على أن تشاغل بما أوتيت عن آخرته ، فجمع لزوج امرأته
أو زوج ابنته ، أو امرأة ابنه ، ولم يقدم لنفسه ، فقدم امرؤ لنفسه ووضع
الفضول^(١) مواضعها تحصيل له ، وإلا حصلت للثلاثة بعده ؛ وأحمق بمن
جمع لهم أو لعدو جاريف !

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن كريب ،
عن نافع بن جببر ، قال : قال عمر مقدّم الأخماس عليه حين نظر إلى
سلاح كسرى وثيابه وحلته ، مع ذلك سيف النعمان بن المنذر ، فقال لجبير :
إن أقواماً أدوا هذا لذو أمانة ! إلى من كنتم تنسبون النعمان ؟ فقال
جببر : كانت العرب تنسبه إلى الأشلاء ، أشلاء قنص ، وكان أحد
بنى عجم بن قنص ، فقال : خذ سيفه فنقله إياه ، فجهل الناس «عجم» ، وقالوا
«لخم» . وقالوا جميعاً : ولّى عمر سعد بن مالك صلاة ما غلب عليه وحرّبه ،
فولى ذلك ؛ ولّى الخراج النعمان وسويداً ابني عمرو بن مقرن ؛ سويداً على
٢٤٥٦/١ ما سقى الفرات ، والنعمان على ما سقت دجلة ، وعقدوا الجسور ، ثم ولّى
عملهما ، واستعفيا حذيفة بن أسيد وجابر بن عمرو المزني ، ثم ولّى عملهما
بعد حذيفة بن اليمان وعثمان بن حنيف .

* * *

قال : وفي هذه السنة — أعني سنة ست عشرة — كانت وقعة جلولاء ، كذلك

(١) الفضول : ما يفضل بعد القسمة .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق . وكتب إلى السري يذكر أن شعيباً حدثه عن سيف بذلك .

• • •

ذكر الخبر عن وقعة جلولاء الواقعة

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس بن أبي حازم ، قال : لما أقمنا بالمدائن حين هبطناها واقتسمنا ما فيها ، وبعثنا إلى عمر بالأخماس ، وأوطناها ، أتانا الخبر بأن مهران قد عسكر بجلولاء ، وخذق عليه ؛ وأن أهل الموصل قد عسكروا بتشكريت .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الوليد بن عبد الله ابن أبي طيبة البجلي ، عن أبيه بمثله ؛ وزاد فيه : فكتب سعد بذلك إلى عمر ، فكتب إلى سعد : أن سرح هاشم بن عتبة إلى جلولاء في اثني عشر ألفاً ، واجعل على مقدمته القعقاع بن عمرو ، وعلى ميمته سيعر بن مالك ، وعلى ميسرته عمرو بن مالك بن عتبة ، واجعل على ساقته عمرو بن مرة الجهني . ٢٤٥٧/١

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة والمهلب وزباد ، قالوا : وكتب عمر إلى سعد : إن هزم الله الجنديين : جند مهران وجند الأنطاقي ؛ فقدّم القعقاع حتى يكون بين السواد وبين الجبل على حدّ سوادكم وشاركهم عمرو وسعيد . قالوا : وكان من حديث أهل جلولاء ، أن الأعاجم لما انتهوا بعد الحرب من المدائن إلى جلولاء ، واقرقت الطرق بأهل أذربيجان والباب وبأهل الجبال وفارس ، تذاَمروا وقالوا : إن افرقتم لم تجتمعوا أبداً ، وهذا مكان يفرق بيننا ، فهلموا فلنجتمع للعرب به ولنقاتلهم ، فإن كانت لنا فهو الذي نريد ، وإن كانت الأخرى كنا قد قضينا الذي علينا ، وأبلىنا عذراً . فاحتفروا الخندق ، واجتمعوا فيه على مهران الرازي ، ونفذ يزدجرد إلى حلوان فترل بها ، ورماهم بالرجال ؛

وخلّف فيهم الأموال ، فأقاموا في خندقهم ، وقد أحاطوا به الحسك من الخشب إلاّ طرقهم . قال عمرو ، عن عامر الشعبي : كان أبو بكر لا يستعين في حربه بأحد من أهل الردّة حتى مات ، وكان عمر قد استعان بهم ؛ فكان لا يؤمّر منهم أحداً إلاّ على النفر ومادون ذلك ؛ وكان لا يعدل أن يؤمّر الصحابة إذا وجد من يجرى عنه في حربه ؛ فإن لم يجد في التابعين بإحسان ؛ ولا يطمع من انبعث في الردّة في الرياسة ؛ وكان رؤساء أهل الردّة في تلك الحروب حشوة إلى أن ضرب الإسلام ^(١) بجراحه .

ثم اشترك عمرو ومحمد والمهلب وطلحة وسعيد ، فقالوا : ففصل هاشم ابن عتبة بالناس من المدائن في صفر سنة ست عشرة ، في اثني عشر ألفاً ؛ منهم ^(٢) وجوه المهاجرين والأنصار وأعلام العرب ممن ارتدّ ومن لم يرتدّ ؛ فسار من المدائن إلى جندولاء أربعمائة ، حتى قدم عليهم ، وأحاط بهم ، فحاصروهم وطاولهم أهل فارس ، وجعلوا لا يخرجون عليهم إلاّ إذا أرادوا ؛ وزاحفهم المسلمون بسجلولاء ثمانين زحفاً ، كل ذلك يعطى الله المسلمين عليهم الظفر ، وغلبوا المشركين على حسك الخشب ، فاتخذوا حسك الحديد .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عتبة بن مكرم ، عن بطان بن بشر ، قال : لما نزل هاشم على مهران بجندولاء حصرهم في خندقهم ، فكانوا يزاحفون المسلمين في زهاء وأهاويل ، وجعل هاشم يقوم في الناس ، ويقول : إنّ هذا المنزل منزل له ما بعده ؛ وجعل سعد يمدّه بالفرسان حتى إذا كان أخيراً احتفلوا للمسلمين ؛ فخرجوا عليهم ، فقام هاشم في الناس ، فقال : أبلّوا الله بلاء حسناً يتمّ لكم عليه الأجر والمغنم ، واعملوا لله . فالتقوا فاقتلوا ، وبعث الله عليهم ريحاً أظلمت عليهم البلاد فلم يستطيعوا إلاّ المحاجزة ، فنهافت ^(٣) فرسانهم في الخندق ؛ فلم يجدوا بداً من أن يجعلوا قرصاً مما يليهم ؛ تصعد منه خيلهم ؛ فأفسدوا حصنهم ؛ وبلغ ذلك المسلمين ، فنظروا إليه ، فقالوا : أنتهض إليهم ثانية فندخله عليهم .

(١) س : « الدين » . (٢) ابن حبيش : « فيهم » .

(٣) ابن حبيش : « قهافت » .

أو نموت دونه ! فلما نهّد المسلمون الثانية خرج القوم ، فرموا حول الخندق
 مما يلي المسلمين بحسك الحديد لكيلا يقدم عليهم الخيل ، وتركوا للمجال
 وجهاً ، فخرجوا على المسلمين منه ، فاقتتلوا قتالاً شديداً لم يقتتلوا مثله إلا
 ليلة الهرب ، إلا أنه كان أكش وأعجل ؛ وانتهى القعقاع بن عمرو في الوجه
 الذي زاحف فيه إلى باب خندقهم ، فأخذ به ، وأمر منادياً فنادى : يا معشر
 المسلمين ، هذا أميركم قد دخل خندق القوم وأخذ به فأقبلوا إليه ؛ ولا يمنعكم
 من بينكم وبينه من دخوله . وإنما أمر بذلك ليقوى المسلمين به ، فحمل
 المسلمون ولا يشكون إلا أن هاشماً فيه ، فلم يقيم لحمتهم شيء ، حتى انتهوا
 إلى باب الخندق ، فإذا هم بالقعقاع بن عمرو ، وقد أخذ به ؛ وأخذ المشركون
 في هزيمة يمنية ويسرة عن المجال الذي بجبال خندقهم ؛ فهلكوا فيما أعدوا
 للمسلمين فعقرت دوابهم ، وعادوا رجالة ؛ وأتبعهم المسلمون ، فلم يفلت
 منهم إلا من لا يعد ، وقتل الله منهم يومئذ مائة ألف ، فجعلت القتلى المجال
 وما بين يديه وما خلفه ، فسميت جلولاء بما جللها من قتلاهم ؛ فهي جلولاء
 الوقعة .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عبيد الله بن محفر ،
 عن أبيه ، قال : إني لفي أوائل الجمهور ، ملخلتهم ساباط ومظلمهما ،
 وإني لفي أوائل الجمهور حين عبّروا دجلة ، ودخلوا المدائن ؛ ولقد أصبت
 بها تمثالاً لو قمم في بكر بن وائل لسدّ منهم مسدّاً ، عليه جوهر ، فأديته ؛
 فلبثنا بالمدائن إلا قليلاً حتى بلغنا أن الأعاجم قد جمعت لنا بجلولاء جمعاً
 عظيماً ، وقدّموا عيالاتهم إلى الجبال ، وحبسوا الأموال ؛ فبعث إليهم سعد
 عمرو بن مالك بن عتبة بن أمسيب بن عبد مناف بن زهرة ، وكان جُنْد جلولاء
 اثني عشر ألفاً من المسلمين ، على مقدّمهم القعقاع بن عمرو ، وكان قد
 خرج فيهم وجوه الناس وفرسانهم ؛ فلما مروا ببابل مهزود صالحه دهقانها ،
 على أن يفرش له جريب أرض دراهم ؛ ففعل وصالحه . ثم مضى حتى قدم
 عليهم بجلولاء ، فوجدهم قد خندقوا وتحصنوا في خندقهم ، ومدهم بيت
 ما لهم ، وتواثقوا وتعاهدوا بالنيران ألا يفرّوا ، ونزل المسلمون قريباً منهم ، وجعلت

الأمماد تقدم على المشركين كل يوم من حلوان ، وجعل يمدّهم بكل من أمده من أهل الجبال ، واستمدّ المسلمون سعداً فأمدّهم بمائتي فارس ، ثم مائتين ، ثم مائتين . ولما رأى أهل فارس أمماد المسلمين بادروا بقتال المسلمين . وعلى خيل المسلمين يومئذ طليحة بن فلان ، أحد بنى عبد الدار ، وعلى خيل الأعاجم نحر زاذ بن نحر هرمز - فاقتلوا قتالا شديداً ، لم يقاتلوا^(١) المسلمين ٢٤٦٢/١ مثله في موطن من الموطن ، حتى أنفذوا النبيل ؛ وحتى أنفذوا النشاب ، وقصفوا الرماح حتى صاروا إلى السيوف والطبرزيات^(٢) . فكانوا بذلك صدر نهارهم إلى الظهر ؛ ولما حضرت الصلاة صلى الناس إيماء ، حتى إذا كان بين الصلاتين خنست^(٣) كتيبة وجاءت أخرى فوقفت مكانها ، فأقبل القعقاع بن عمرو على الناس ، فقال : أهالتكم هذه ؟ قالوا : نعم ؛ نحن مكبلون وهم مريحون ، والكمال يخاف العجز إلا أن يعقب ؛ فقال : إنا حاملون عليهم ومجادهم^(٤) وغير كافين ولا مقلعين حتى يحكم الله بيننا [وبينهم]^(٥) فاحملوا عليهم حملة رجل واحد حتى تخالطوهم ، ولا يكذب أحد منكم . فحمل فانفجروا ، فأنهيه أحد عن باب الخندق ، وألبسهم الليل رواقه ، فأخذوا يئمة وبسرة ؛ وجاء في الأمماد طليحة وقيس بن المكشوح وعمرو بن معد يكرب وحجر بن عدي ، فوافقوهم قد تجاوزوا مع الليل ، ونادى منادى القعقاع بن عمرو : أين تجاوزون وأميركم في الخندق ! فتفارق المشركون ، وحمل المسلمون ، فأدخل الخندق ، فألقى فسطاطاً فيه مرافق وثياب ؛ وإذا فرش على إنسان فأنبشه ، فإذا امرأة كالغزال في حسن الشمس ، فأخذتها وثيابها ، فأديت الثياب ، وطلبت في الجارية حتى صارت إلى فاتخلتها ٢٤٦٣/١ أم ولد .

كتب إلى المري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن حماد بن فلان البرجمي ، عن أبيه ، أن خارجة بن الصلت أصاب يومئذ ناقة من ذهب

(١) س : « لم يقتلوا » .

(٢) الطبرزين : آلة من السلاح تشبه الفأس .

(٣) خنست : تأخرت ليحل غيرها مكانها .

(٤) س : « ومجاهدوهم » . (٥) من س .

أو فضة موشحة بالدرّ والياقوت مثل الجفيرة إذا وضعت على الأرض ،
وإذا عليها رجلٌ من ذهب موشح كذلك ، فجاء بها وبه حتى أدّاهما .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة والمهلب
وعمر وسعيد والوليد بن عبد الله والمجالد وعقبة بن مكرم ، قالوا : وأمر هاشم
القعقاع بن عمرو بالطلب ، فطلبهم حتى بلغ خانقين ، ولما بلغت الهزيمة
يزدجرد سار من حلوان نحو الجبال ، وقدم الققعاع حلوان ، وذلك أن عمر
كان كتب إلى سعد : إن هزم الله الجنديين ؛ جند مهران وجند الأنطاق ،
فقدّم الققعاع ؛ حتى يكون بين السّود والجبل ، على حدّ سوادكم . فترل
القعقاع بحلوان في جند من الأفناء ومن الحمراء ، فلم يزل بها إلى أن تحوّل
الناس من المدائن إلى الكوفة ؛ فلما خرج سعد من المدائن إلى الكوفة لحق به
القعقاع ؛ واستعمل على الثغر قباد - وكان من الحمراء ، وأصله من خراسان -
ونقل منها من شهدا ، وبعض من كان بالمدائن نائياً .

وقالوا - واشتركوا في ذلك : وكتبوا إلى عمر بفتح جكّولاء وبترول
القعقاع حلوان واستأذنه في إتباعهم ، فأبى ، وقال : لوددت أن بين السّود
وبين الجبل سداً لا يخلّصون إلينا ولا نخلص إليهم ؛ حسبنا من الرّيف
السّود ، لأنّي آثرت سلامة المسلمين على الأتقال . قالوا : ولما بعث
هاشم الققعاع في آثار القوم ، أدرك مهران بخانقين ، فقتله وأدرك
الفيروزان فترل ، وتوقل في الظّرّاب^(١) ، وتخلّى فرسه^(٢) ، وأصاب الققعاع
سبايا ، فبعث بهم إلى هاشم من سباياهم ، واقتسموهم فيما اقتسموا من
النّى ، فاتّخذن ، فولدن في المسلمين . وذلك السبي ينسب إلى جكّولاء ،
فيقال : سبى جكّولاء . ومن ذلك السبي أم الشعبيّ ، وقعت لرجل من
بنى عبس ، فولدت فمات عنها فخلّف عليها شراحيل ، فولدت له عامراً ،
ونشأ في بنى عبس .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة والمهلب ،

(١) توقل في الظّرّاب : صعد فيها ، والظّرّاب : الروابي الصغار

(٢) تخلّى فرسه : ترك سبيلها السير .

قالوا : واقتسم في جكلولاء على كل فارس تسعة آلاف ، تسعة آلاف ؛ وتسعة من الدواب ، ورجع هاشم بالأخماس إلى سعد .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو ، عن الشعبي ، قال : أفاء الله على المسلمين ما كان في عسكرهم بجكلولاء وما كان عليهم ، وكل دابة كانت معهم إلا اليسير لم يفلتوا ^(١) بشيء من الأموال ، وولّى قسّم ذلك بين المسلمين سلمان بن ربيعة ؛ فكانت ^(٢) إليه يومئذ الأقباض ٢٤٦٥/١ والأقسام ، وكانت العرب تسميه لذلك ^(٣) سلمان الخليل ؛ وذلك أنه كان يقسم لها ويقصر بما دونها ، وكانت العتاق عنده ثلاث طبقات ، وبلغ سهم الفارس بجكلولاء مثل سهمه بالمدائن .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن المجالد وعمرو ، عن الشعبي ، قال : اقتسم الناس فيء جكلولاء على ثلاثين ألف ألف ، وكان الخمس ستة آلاف ألف .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن طلحة ومحمد والمهلب وصعيد ، قالوا : ونقل سعد من أخماس جكلولاء من أعظم البلاء من شهدا ومن أعظم البلاء من كان نائياً بالمدائن ، وبعث بالأخماس مع قضاعي ابن عمرو الدؤلي من الأذهاب والأوراق والآنية والثياب ، وبعث بالسبي مع أبي مفرز الأسود ، ففضيا .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن زهرة ومحمد بن عمرو ، قالوا : بعث الأخماس مع قضاعي وأبي مفرز ، والحساب مع زياد ابن أبي سفيان ، وكان الذي يكتب للناس ويدونهم ، فلما قلموا على عمر كلم زياد عمر فيما جاء له ، ووصف له ، فقال عمر : هل تستطيع أن تقوم في الناس بمثل الذي كلمتني به ؟ فقال : والله ما على الأرض شخص أهيب ٢٤٦٦/١ في صدرى منك ، فكيف لا أقوى على هذا من غيرك ! فقام في الناس بما

(١) س : « ولم » . (٢) ابن حبيش : « كانت » .

(٣) ابن حبيش : « بذلك » .

أصابوا وبما صنعوا، وبما يستأذنون^(١) فيه من الانسباح في البلاد . فقال عمر : هذا الخطيب المصقع ، فقال : إنَّ جُنْدَنَا أَطْلَقُوا بِالْفَعَالِ لِسَانَنَا^(٢) .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن زهرة ومحمد ، عن أبي سلسة ، قال : لما قُدِّم على عمر بالأخماس من جندلواء ، قال عمر : والله لا يُجَنِّته سقف بيت حتى أقسمه . فبات عبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن أرقم يحرسانه في صحن المسجد ، فلما أصبح جاء في الناس فكشف عنه جلاليته - وهي الأنطاع - فلما نظر إلى ياقوته وزبرجده وجوهره بكى ، فقال له عبد الرحمن : ما يبكيك يا أمير المؤمنين ، فوالله إنَّ هذا لموطن شكر ! فقال : عمر : والله ما ذاك يبكيك ، وتالله ما أعطى الله هذا قومًا إلاَّ تحاسدوا وتباغضوا ، ولا تحاسدوا إلاَّ ألقى بأسهم بينهم . وأشكل على عمر في أخماس القادسية حتى خطر عليه ما أفا الله - يعني من الخمس - فوضع ذلك في أهله ، فأجرى خمس جندلواء يُجرى خمس القادسية عن ملا وتشاور وإجماع من المسلمين ، ونفّل من ذلك بعض أهل المدينة . ٢٤٦٧/١

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة والمهلب وسعيد وعمرو ، قالوا : وجمع سعد من وراء المدائن ، وأمر بالإحصاء فوجدهم بضعة وثلاثين ومائة ألف ، ووجدهم بضعة وثلاثين ألف أهل بيت ، ووجد قِسْمَتَهُمْ ثلاثة لآكل رجل منهم بأهلهم ؛ فكتب في ذلك إلى عمر ، فكتب إليه عمر : أن أقرّ الفلاحين على حالهم ؛ إلاَّ من حارب أو هرب منك إلى عدوك فأدركتَه ، وأجر لهم ما أجريت للفلاحين قبلهم ؛ وإذا كتبتُ إليك في قوم فأجرُوا أمثالهم مجراهم . فكتب إليه سعد فيمن لم يكن فلاحًا فأجابه : أما من سوى الفلاحين فذاك إليكم ما لم تغنموه -- يعني تقتسموه - ومن ترك أرضه من أهل الحرب فخلاها فهي لكم ؛ فإن دعوتهم وقبلتم منهم الجزاء ورددتمهم قبل قسمتها فذمة ؛ وإن لم تدعهم ففيكم لكم لمن أفاء الله

(١) ابن الأثير والتوبري : « يستأنفون » .

(٢) س وابن كثير : « بالفعال » .

ذلك عليه . وكان أحظى بني الأرض أهل جكولاء ؛ استأثروا بني ما وراء
النهر وان ، وشاركوا الناس فيما كان قبل ذلك ، فأقرّوا الفلاحين ودعوا من
لج ، ووضعوا الخراج على الفلاحين وعلى من رجع وقبيل الذمة ، واستصفوا ٢٤٦٨/١
ما كان لآل كمرى ومن لج معهم فيئاً لمن أفاء الله عليه ، لا يُجاز بيع
شيء من ذلك فيما بين الجبل إلى الجبل من أرض العرب إلا من أهله الذين
أفاء الله عليهم ، ولم يجيزوا بيع ذلك فيما بين الناس - يعني فيمن لم يفئه الله
تعالى عليه ممن يعاملهم ممن لم يفئه الله عز وجل عليه - فأقرّه المسلمون ؛ لم
يقتسموه ؛ لأن قسمته لم تنأ لم ؛ فن ذلك الآجام ومغيض المياه وما كان
لببوت النار ولسكك البرد ، وما كان لكسرى ومن جامعه ^(١) ، وما كان
لمن قتل ، والأرحاء ؛ فكان بعض من يرق يسأل الولاة قسم ذلك ؛ فيمنعهم
من ذلك الجمهور ، أبوا ذلك ، فانتهاوا إلى رأيهم ولم يجيبوا ، وقالوا : لولا أن
يضرب بعضكم وجوه بعض لفعلنا ؛ ولو كان طلب ذلك منهم عن ملا لقسمها
بينهم .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن طلحة بن الأعم ،
عن ماهان ، قال : لم يثبت أحد من أهل السواد على العهد فيما بينهم وبين ٢٤٦٩/١
أهل الأيام إلا أهل قريبات ، أخذوها عنوة ، كلهم نكث ؛ ما خلا أولئك
القريبات ، فلما دعوا إلى الرجوع صاروا ذمة ، وعليهم الجزاء ، ولهم المنفعة ،
إلا ما كان لآل كمرى ومن معهم ، فإنه صافية فيما بين حلوان والعراق ؛
وكان عمر قد رضى بالسواد من الريف .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن طلحة ، عن ماهان ،
قال : كتبوا إلى عمر في الصوافي ^(٢) ، فكتب إليهم : أن اعمدوا إلى الصوافي
التي أصفاكموها الله ، فوزعوها على من أفاءها الله عليه ؛ أربعة أخماس
للجند ، وخمسة في مواضعه إلى ، وإن أحبوا أن يتزولوا فهو الذي لهم . فلما

(١) س : « جاء معه » .

(٢) الصوافي : الأملاك والأرض التي جلا عنها أهلها ، أو ماتوا ولا وارث لها .

جعل ذلك إليهم رأوا ألا يفترقوا في بلاد العجم ، وأقرّوها حبيساً لهم يؤلّونها من تراضوا عليه ، ثم يقتسمونها في كل عام ، ولا يؤلّونها إلا من أجمعوا عليه بالرضا ، وكانوا لا يجمعون إلا على الأمراء ، كانوا بذلك في المدائن ؛ وفي الكوفة حين تحولوا إلى الكوفة .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الوليد بن عبد الله ابن أبي طيبة ، عن أبيه ، قال : كتب عمر : أن احتازوا فيكم فإنكم إن لم تفعلوا فتقادّم الأمر بلسحج^(١) ؛ وقد قضيت الذي على . اللهم لا نني أشهدك عليهم فاشهد .

٢٤٧٠/١

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الوليد بن عبد الله ، عن أبيه ، قال : فكان الفلاحون للطرق والجسور والأسواق والحِث والدلالة مع الجزاء عن أيديهم على قدر طاقتهم ؛ وكانت الدّهاقين للجزية عن أيديهم والعمارة ، وعلى كلهم الإرشاد وضيافة ابن السبيل من المهاجرين ، وكانت الضيافة لمن أفاءها الله خاصة ميراثاً .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عبد العزيز بن سياه ، عن حبيب بن أبي ثابت بنحو منه ، وقالوا جميعاً : كان فتح جلولاء في ذى القعدة سنة ست عشرة في أولها^(٢) ، بينها وبين المدائن تسعة أشهر . وقالوا جميعاً : كان صلح عمر الذي صالح عليه أهل الذمة ؛ أنهم إن غشوا المسلمين لعدوّهم برئت منهم الذمة ، وإن سبّوا مسلماً أن يُنْهَكوا عقوبة ، وإن قاتلوا مسلماً أن يُقْتلوا ؛ وعلى عمر منعتهم ؛ وبرئ عمر إلى كل ذي عهد من معرة الجيوش .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن عبد الله والمستنير ، عن إبراهيم بمثله .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن طلحة ، عن ماهان ، قال : كان أشقى أهل فارس يجلّولاء أهل الرّي ؛ كانوا بها حُماة أهل

(١) يلحج ؛ أي يصير علاجه عمراً ؛ ولحج الشيء ، إذا ضاق .

(٢) ط : « أوله » .

فارس ، ففنى أهل الرى يوم جكولاء . وقالوا جميعاً : ولما رجع أهل جكولاء إلى المدائن نزلوا قطائعهم ، وصار السواد ذمة لهم إلا ما أصفاهم الله به من مال الأكاسرة ، ومن ليج معهم . وقالوا جميعاً : ولما بلغ أهل فارس قول عمر ورأيه فى السواد وما خلّفه ، قالوا : ونحن نرضى بمثل الذى رضوا به ، لا يرضى أكراد كل بلد أن ينالوا من ريفهم .

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن المستنير بن يزيد وحكيم بن عُمَيْر ، عن إبراهيم بن يزيد ، قال : لا يحلّ اشتراء أرض فيما بين حلوان والقادسية ، والقادسية من الصوافى ، لأنه لمن أفاءه الله عليه .
كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو بن محمد ، عن الشعبي مثله .

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن قيس ، عن المغيرة بن شَيْبَل ، قال : اشترى جرير من أرض السواد صافية على شاطئ الفُرات ، فأتى عمر فأخبره ، فردّ ذلك الشراء وكرهه ، ونهى عن شراء شيء لم يقتسمه أهله .

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن قيس ، قال : قلت للشعبي : أأخذ السواد عنوة ؟ قال : نعم ، وكلّ أرض إلا بعض القلاع والحصون ؛ فإن بعضهم صالح وبعضهم غلب ، قلت : فهل لأهل السواد ذمة اعتقدوها قبل الهرب ؟ قال : لا ، ولكنهم لما دُعوا ورضوا ٢٤٧٢/١ بالخراج وأخذ منهم صاروا ذمة .

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عبد العزيز ، عن حبيب بن أبي ثابت ، قال : ليس لأحد من أهل السواد عتق إلا بنى صلويا وأهل الحيرة وأهل ككواذى وقرى من قرى الفُرات ، ثم غدروا ، ثم دُعوا إلى الذمة بعد ما غدروا . وقال هاشم بن عتبة فى يوم جكولاء :

يَوْمُ جَلُولَاءَ وَيَوْمُ رُسْتَمَ وَيَوْمُ زَخَفِ الْكُوفَةِ الْمُقَدَّمِ
وَيَوْمُ عَرَضِ النَّهْرِ الْمُحَرَّمِ مِنْ بَيْنِ أَيَّامِ خَلَوْنَ صُرْمَ

شَيْبَنَ أَصْدَاغِي فَهَنَ هَرَمٌ مِثْلُ ثَعَالِ الْبَلَدِ الْمَحْرَمِ^(١)

وقال أبو بُجيد في ذلك :

وَيَوْمَ جُلُولَاءِ الْوَقِيعَةِ أَصْبَحَتْ كِتَابُنَا تَرْدِي بِأَسَدِ عَوَاسِ^(٢)
فَقَضَتْ جُمُوعَ الْفَرَسِ ثُمَّ أَنْتَهُمْ فَتَبًا لِأَجْسَادِ الْمَجُوسِ النَّجَاسِ !
وَأَفْلَتَنَ الْفَيْرِزَانُ بِمِرْعَةٍ وَمِهْرَانٌ أَرَدَتْ يَوْمَ حَزِّ الْقَوَاسِ
أَقَامُوا بِدَارِ لِمَنِئَةٍ مَوْعِدِ وَلِلْزَبِ تَحْنُوهَا خَجُوجُ الرِّوَامِ

٢٤٧٣/١ كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو وسعيد ، قالوا : وقد كان عمر رضى الله عنه كتب إلى سعد : إن فتح الله عليكم جلولاء فمرح القعقاع بن عمرو في آثار القوم حتى يتزل بحلوان ، فيكون رداءً للمسلمين ويحرز الله لكم سوادكم . فلما هزم الله عز وجل أهل جلولاء ، أقام هاشم بن عتبة بجلولاء ، وخرج القعقاع بن عمرو في آثار القوم إلى خانقين في جند من أفناء الناس ومن الحمراء ، فأدرك سبباً من سبيهم ؛ وقتل مقاتلة من أدرك ، وقتل مِهْرَان وأفلت الفيرزان ؛ فلما بلغ يَزْدَجْدَرُ هزيمة أهل جلولاء ومصاب مِهْرَان ، خرج من حلوان سائراً نحو الرتي ، وخلف بحلوان خيلاً عليها خُسْرَوْشَنُوم ؛ وأقبل القعقاع حتى إذا كان بقصر شيرين على رأس فرسخ من حلوان خرج إليه خُسْرَوْشَنُوم ، وقدم الزينبي دِهْقَان حُلُوان ، فلقى القعقاع فاقتلوا فقتل الزينبي ، واحتق فيه عميرة بن طارق وعبد الله ، فجعله وسلبه بينهما ، فعدت عميرة ذلك حقيرة وهرب خُسْرَوْشَنُوم ، واستولى المسلمون على حلوان وأنزلها القعقاع الحمراء ، وولّى عليهم^(٣) قُبَاذ ، ولم يزل القعقاع هنالك على الثغر والجزء بعد ما دعاهم ، ٢٤٧٤/١

(١) « الثغام : نبت أبيض الشر والزهر يشبه به بياض الشيب .

(٢) تردى بنجل عوايس ، أى ترى بها للقتال .

(٣) ابن حيش : « عليها » .

فترجعوا وأقرّوا بالجزاء إلى أن تحوّل سعد من المدائن إلى الكوفة ، فلقى به ، واستخلف قبّاذ على الثغر ، وكان أصله خراسانياً .

• • •

[ذكر فتح تكريت]

وكان في هذه السنة - أعني سنة ست عشرة في رواية سيف - فتح تكريت ، وذلك في جمادى منها .

• ذكر الخبر عن فتحها :

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة والمهلب وسعيد ، وشاركهم الوليد بن عبد الله بن أبي طيبة ، قالوا : كتب سعد في اجتماع أهل الموصل إلى الأنطاق وإقباله حتى نزل بتكريت ، وخذق فيه عليه ليحمي أرضه ، وفي اجتماع أهل جلولاء على مهران معه ؛ فكتب في جلولاء ما قد فرغنا منه ، وكتب في تكريت واجتماع أهل الموصل إلى الأنطاق بها : أن سرح إلى الأنطاق عبد الله بن المعتم^(١) ، واستعمل على مقدمته ربيع^٢ ابن الأفكل العتريّ ، وعلى ميمته الحارث بن حسان الذهليّ ، وعلى ميسرته فترات بن حبان العجليّ ، وعلى ساقته هاني بن قيس ، وعلى الخيل عرفة ابن هرثمة ؛ ففصل عبد الله بن المعتم في خمسة آلاف من المدائن ، فسار إلى تكريت أربعاً ؛ حتى نزل على الأنطاق ؛ ومعه الروم وإياد وتغلب والشمير ومعه الشهاجة وقد خندقوا بها ، فحصرهم أربعين يوماً ، فتزاحفوا فيها أربعة وعشرين زحفاً ؛ وكانوا أهون شوكة ، وأمرع^٣ أمراً من أهل جساولاء ، ووكل عبد الله بن المعتم بالعرب^(٤) ليدعوهم إليه وإلى نصرته على الروم ؛ فهم لا يخفون عليه شيئاً ؛ ولما رأَت الروم أنهم لا يخرجون خرجة إلا كانت عليهم ، ويهزمون في كل ما زاحفهم ؛ تركوا أمراءهم ، ونقلوا متاعهم إلى السفن ، وأقبلت العيون من تغلب وإياد والشمير إلى عبد الله بن المعتم بالخبر ، وسأله للعرب السلم ، وأخبروه أنهم قد استجابوا له ؛ فأرسل إليهم : إن كنتم

(١) المعتم ، ضبطه ابن الأثير بضم الميم وسكون العين المهملة وآخره ميم مشددة .

(٢) ر : « بالقرى » .

صادقين بذلك فاشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وأقرأوا بما جاء به من عند الله ؛ ثم أعلمونا رأيكم . فرجعوا إليهم بذلك ، فردَّوهم إليه بالإسلام ؛ فردَّهم إليهم ، وقال : إذا سمعتم تكبيرنا فاعلموا أننا قد نهضنا إلى الأبواب التي تليها لندخل عليهم منها ، فخذوا بالأبواب التي تلي درجلة ، وكبروا واقتلوا من قدرتم عليه ؛ فانطلقوا حتى تواطئهم على ذلك . ونهض عبد الله والمسلمون لما يليهم وكبروا ، وكبرت تغليب وإياد والنمير ، وقد أخذوا بالأبواب ، فحسب القوم أن المسلمين قد أتوهم من خلفهم ، فدخلوا عليهم مما يلي درجلة ، فبادروا الأبواب التي عليها المسلمون ، فأخذتهم السيوف ؛ سيوف المسلمين مستقبلتهم ، وسيوف الرَبَيعِيِّين الذين أسلموا ليلتذ من خلفهم ؛ فلم يفلت من أهل الخندق إلا مَنْ أسلم من تغليب وإياد والنمير . وقد كان عمر عهد إلى سعد ؛ إن هم هُزموا أن يأمر عبد الله بن المعتم بتسريح ابن الأفكل العنزي إلى الحصنين ؛ فمَرَّح عبد الله بن المعتم ابن الأفكل العنزي إلى الحصنين ، فأخذ بالطريق ، وقال : اسبق الخبر ، سر ما دون القيل ، وأحي الليل . وسرَّح معه تغليب وإياد والنمير ، فقدمهم وعليهم عتبة بن الوعل ؛ أحد بني جشم بن سعد وذو القُرط وأبو وداعة بن أبي كرب وابن ذى السنين قتل الكلاب وابن الحجر الإيادي وبشر بن أبي حنوط متساندين ، فسبقوا الخبر إلى الحصنين . ولما كانوا منها قريباً قدموا عتبة ابن الوعل فادعى بالظفر والنقل والقفل ، ثم ذوالقُرط ، ثم ابن ذى السنين ، ثم ابن الحجر ، ثم بشر ؛ ووقفوا بالأبواب ، وقد أخذوا بها ، وأقبلت سرعان الخيل مع ربيعي بن الأفكل حتى اقتحمت عليهم الحصنين ، فكانت إياها ، فنادوا بالإجابة إلى الصلح ، فأقام من استجاب ، وهرب من لم يستجب ، إلى أن أتاهم عبد الله بن المعتم ، فلما نزل عليهم عبد الله دعا من لجَّ وذهب ، ووفى لمن أقام ، فراجع الهرباء واغبط المقيم ، وصارت لهم جميعاً الذمة والمنعة ، واقتسموا في تكسريت على كل سهم ألف درهم ، للفارس (١) ثلاثة آلاف وللراجل ألف ، وبعثوا بالأخماس مع فرات بن حيسان ، وبالفتح

مع الحارث بن حسان وولى حرب الموصل ربيعاً بن الأفكل ، والخراج عرفة ابن هرثة .

• • •

[ذكر فتح ماسبذان]

وفي هذه السنة - أختى سنة ست عشرة - كان فتح ماسبذان أيضاً .

• ذكر الخبر عن فتحها :

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن طلحة ومحمد والمهلب ٢٤٧٨/١ وعمر وسعيد قالوا : ولما رجع هاشم بن عتبة من جلولاء إلى المدائن ، بلغ سعداً أن آذين بن الهرمزان قد جمع جمعاً ، فخرج بهم إلى السهل ، فكتب بذلك إلى عمر ، فكتب إليه عمر : ابعث إليهم ضرار بن الخطاب في جُند واجعل على مقدمته ابن الهذيل الأسدي ، وعلى مجنبيه ^(١) عبد الله بن وهب الراسبي حليف بـجيلة ، والمضارب بن فلان العجلي ؛ فخرج ضرار بن الخطاب ، وهو أحد بني محارب بن فيهر في الجند ، وقدم ابن الهذيل حتى انتهى إلى سهل ماسبذان ، فالتقوا بمكان يدعى بهندف ، فاقتتلوا بها ، فأسرع المسلمون في المشركين ، وأخذ ضرار آذين سلكاً ، فأسره فأنهزم عنه جيشه فقدمه فضرب عنقه . ثم خرج في الطلب حتى انتهى إلى السيروان فأخذ ماسبذان عنوة فتطائر أهلها في الجبال ، فدعاهم فاستجابوا له ، وأقام بها حتى تحول سعد من المدائن فأرسل إليه ، فترل الكوفة واستخلف ابن الهذيل على ماسبذان فكانت إحدى فروج الكوفة .

• • •

[ذكر وقعة قرقيساء]

وفيهما كانت وقعة قرقيساء في رجب .

• ذكر الخبر عن الوقعة بها :

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن طلحة ومحمد والمهلب ٢٤٧٩/١ وعمر وسعيد ، قالوا : ولما رجع هاشم بن عتبة عن جلولاء إلى المدائن

(١) س وابن حبش : « مجنبة » .

وقد اجتمعت جموع أهل الجزيرة ، فأمدوا هِرقل على أهل حِمْنَص ، وبعثوا جنداً إلى أهل هَيْت ، وكتب بذلك سعد إلى عمر ، فكتب إليه عمر أن ابعث إليهم عمرَ بن مالك بن عُتْبَةَ بن نوفل بن عبد مناف في جند ، وابعث على مقدمته الحارث بن يزيد العامري ، وعلى مجنبيه ربيع بن عامر ومالك ابن حبيب ، فخرج عمر بن مالك في جنده سائراً نحو هَيْت ، وقدم الحارث ابن يزيد حتى نزل على مَنْ يَهَيْت ^(١) ، وقد خندقوا عليهم . فلما رأى عمر ابن مالك امتناع القوم بخندقهم واعتصامهم به ، استطال ذلك ، فترك الأنحية على حالها وخلف عليهم الحارث بن يزيد محاصراً ^(٢) ، وخرج في نصف الناس يعارض الطريق حتى يجيء قَرْقِيسَاء في عِرة ، فأخذها عتوة ، فأجابوا إلى الجزاء ، وكتب إلى الحارث بن يزيد إن هم استجابوا فخل عنهم فليخرجوا ، وإلا فخذق على خندقهم خندقاً أبوابه مما يليك حتى أرى من رأى . فسمحوا بالاستجابة ، وانضم الجند إلى عمر والأعاجم إلى أهل بلادهم .

وقال الواقدي: وفي هذه السنة غرب عمرُ أبا محجن الثقفي إلى باضع ^(٣) . قال : وفيها تزوج ابن عمر صفية بنت أبي عبيدة .

٢٤٨٠/١

قال : وفيها ماتت مارية أم ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أم إبراهيم ، وصلى عليها عمر ، وقبرها بالبقيع ، في المحرم .

قال : وفيها كتب التاريخ في شهر ربيع الأول .

قال : وحدثني ابنُ أبي سبرة ، عن عثمان بن عبيد الله بن أبي رافع ، عن ابن المسيب ، قال : أول مَنْ كتب التاريخ عمر ، لستين ونصف من خلافته ، فكتب لست عشرة من الهجرة بمشورة علي بن أبي طالب .

حدثني عبدُ الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : حدثنا نعيم

(١) ابن حبيش : « عل هيت » .

(٢) ابن حبيش : « فحاصرهم » . ابن الأثير : « يحاصرهم » .

(٣) باضع ، ذكرها ياقوت ، وقال : إنها جزيرة في بحر اليمن .

ابن حمّاد ، قال : حدّثنا الدراورديّ ، عن عثمان بن عبيد الله بن أبي رافع ، قال : سمعت سعيد بن المسيّب يقول : جمع عمرُ بن الخطاب الناسَ ، فسألهم من أيّ يوم نكتب ؟ فقال عليّ : من يوم هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وترك أرضَ الشرك . ففعله عمر .

وحدّثني عبدُ الرحمن ، قال : حدّثني يعقوب بن إسحاق بن أبي عباد^(١) ، قال : حدّثنا محمد بن مسلم الطائفيّ ، عن عمرو بن دينار ، عن ابن عباس ، قال : كان التاريخ في السنة التي قدّم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة . وفيها ولد عبد الله بن الزبير .

• • •

وحجّ بالناس في هذه السنة عمر بن الخطاب ، واستخلف على المدينة ٢٤٨١/١ . - فيما زعم الواقديّ - زيد بن ثابت . وكان عامل عمر في هذه السنة على مكة عتاب بن أسيد ، وعلى الطائف عثمان بن أبي العاص ، وعلى اليمن يعلى بن أمية ، وعلى اليمامة والبحرين العلاء بن الحضرميّ ، وعلى عُمان حذيفة بن محصن ، وعلى الشام كلها أبو عبيدة بن الجراح ، وعلى الكوفة سعد بن أبي وقاص ، وعلى قضائها أبو قُرّة ، وعلى البصرة وأرضها المنغيرة بن شعبة ، وعلى حرب الموصل ربعي بن الأفكل ، وعلى الخراج بها عَرْفَجة بن هرثمة في قول بعضهم ، وفي قول آخرين عُتْبة بن فَرْقَد على الحرب والخراج - وقيل ذلك كلّهُ كان إلى عبد الله بن المعتم - وعلى الجزيرة عِيَاض بن عمرو^(٢) الأشعريّ .

(١) ط : « عتاب » ، وانظر التصويبات .

(٢) ط : « غم » ، وانظر التصويبات .

ثم دخلت سنة سبع عشرة

ففيها اختطت الكوفة ، وتحول سعد بالناس من المدائن إليها في قول سيف بن عمر وروايته .

ذكر سبب تحول من تحول من المسلمين من المدائن إلى الكوفة وسبب اختطاطهم الكوفة في رواية سيف

كتب إلى العري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة والمهلب وعمر وسعيد ، قالوا : لما جاء فتح جكلولاء وحلوان ونزول القعقاع بن عمرو بحلوان فيمن معه ، وجاء فتح تكريت والحصينين ، ونزول عبد الله بن المعتم وابن الأفكل الحصينين فيمن معه ؛ وقدمت الوفود بذلك على عمر ، فلما رآهم عمر قال : والله ما هيئتكم بالهيئة التي أبدأتم^(١) بها ؛ ولقد قدمت وفود القادسية والمدائن وإنهم لكما أبدعوا ، ولقد انتكتم فما غيركم ؟ قالوا : ونخومة البلاد . فنظر في حوائجهم ، وعجل سراحهم ؛ وكان في وفود عبد الله بن المعتم عتبة بن الوعل ، وذو القرط ، وابن ذى السنين ، وابن الحجير وبشر ، فعاقدوا عمر على بني تغلب ، ففقد لهم ؛ على أن من أسلم منهم فله ما للمسلمين وعليه ما عليهم ، ومن أبى فعليه الجزاء ؛ وإنما الإجماع من العرب على من كان في جزيرة العرب . فقالوا : إذا يهربون وينقطعون فيصيرون عجمًا ؛ فأمر أجمل الصدقة ؛ فقال : ليس إلا الجزاء ، فقالوا : تجعل جزيتهم مثل صدقة المسلم ، فهو مجهودهم ، ففعل على ألا ينصروا وليدًا من أسلم أبائهم ، فقالوا : لك ذلك ، فهاجر هؤلاء التغلبيون ومن أطاعهم من النمرين والأباديين إلى سعد بالمدائن وخطبوا معه بعد الكوفة ، وأقام من أقام في بلاده على ما أخذوا لهم على عمر مسلمهم وذميهم .

كتب إلى العري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن ابن شبرمة ، عن الشعبي ، قال : كتب حذيفة إلى عمر : إن العرب قد أترفت بطونها ،

(١) أبدأ مثل بدأ ، وفي س : « ابتدأتم » .

ونُفِثَت (١) أَعْضَادُهَا ، وَتَغَيَّرَت أَلْوَانُهَا . وَحَذِيفَةُ يَوْمَئِذٍ مَعَ سَعْدٍ .

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ ، عَنْ شَعِيبٍ ، عَنْ سَيْفٍ ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ وَأَصْحَابِهِمَا ، قَالُوا : كُتِبَ عَمْرٌ إِلَى سَعْدٍ : أَنْبِئْنِي مَا الَّذِي غَيَّرَ أَلْوَانَ الْعَرَبِ وَلَحُومَهُمْ ؟ فَكُتِبَ إِلَيْهِ : إِنَّ الْعَرَبَ خَدَّاهُم (٢) وَكُفَى (٣) أَلْوَانُهُمْ وَخُومَةُ الْمَدَائِنِ وَدِجَلَةُ ؛ فَكُتِبَ إِلَيْهِ : إِنَّ الْعَرَبَ لَا يُوَافِقُهَا إِلَّا مَا وَافَقَ إِبِلَتَهَا مِنَ الْبُلْدَانِ ، فَابْعَثْ سُلَمَانَ رَائِدًا وَحَذِيفَةَ — وَكَانَا رَائِدِي الْجَيْشِ — فَلْيَرْتَادَا مَنَزَلًا بَرِّيًّا بَحْرِيًّا ، لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ فِيهِ بَحْرٌ وَلَا جِسْرٌ ، وَلَمْ يَكُنْ بَقِيَ مِنْ أَمْرِ الْجَيْشِ شَيْءٌ إِلَّا وَقَدْ أَسْنَدَهُ إِلَى رَجُلٍ ، فَابْعَثْ سَعْدَ حَذِيفَةَ وَسُلَمَانَ ، فَخَرَجَ سُلَمَانُ حَتَّى يَأْتِيَ الْأَنْبَارَ ، فَسَارَ فِي غَرْبِي الْفُرَاتِ لَا يَرْضَى شَيْئًا ، حَتَّى أَتَى الْكُوفَةَ . وَخَرَجَ حَذِيفَةُ فِي شَرْقِي الْفُرَاتِ لَا يَرْضَى شَيْئًا حَتَّى أَتَى الْكُوفَةَ ، وَالْكُوفَةُ عَلَى حَصْبَاءٍ — وَكُلَّ رَمْلَةٍ حُمْرَاءَ يُقَالُ لَهَا سِهْلَةٌ ، وَكُلَّ حَصْبَاءٍ وَرْمَلٍ هَكَذَا مُخْتَطِطِينَ فَهُوَ كُوفَةٌ — فَأَتِيَا عَلَيْهَا ، وَفِيهَا دِيرَاتٌ ثَلَاثَةٌ : دِيرُ حُرْقَةٍ ، وَدِيرُ أُمِّ عَمْرٍو ، وَدِيرُ سِلْسِلَةٍ ، وَخِصَاصٌ* خِلَالَ ذَلِكَ ، فَأَعْجَبَتْهُمَا الْبَقْعَةُ ، ٢٤٨٤/١ فَتَزَلَّزَلَا فَصَلَّيَا ، وَقَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا : اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاءِ وَمَا أَظْلَمَتْ ، وَرَبَّ الْأَرْضِ وَمَا أَقْلَمَتْ ، وَالرَّيْحَ (٤) وَمَا ذَرَّتْ ، وَالنَّجُومَ وَمَا هَوَّتْ ، وَالْبَحَارَ وَمَا جَرَّتْ ، وَالشَّيَاطِينَ وَمَا أَضْلَمَتْ ، وَالْخِصَاصَ وَمَا أَجْنَتْ ؛ بَارِكْ لَنَا فِي هَذِهِ الْكُوفَةِ ، وَاجْعَلْهُ مَنَزَلًا ثَابِتًا . وَكُتِبَ (٥) إِلَى سَعْدٍ بِالْخَبَرِ .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ صَفْوَانَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أُمَيَّةُ بْنُ خَالِدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ ، عَنْ حُصَيْنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، قَالَ : لَمَّا هَزِمَ النَّاسُ يَوْمَ جَلْكُولَاءَ ، رَجَعَ سَعْدٌ بِالنَّاسِ ، فَلَمَّا قَدِمَ عَمَارُ خَرَجَ بِالنَّاسِ إِلَى الْمَدَائِنِ فَاجْتَنَوْهَا ؛ قَالَ عَمَّارٌ : هَلْ تَصْلُحُ بِهَا الْإِبِلُ ؟ قَالُوا : لَا ؛ إِنَّ بِهَا الْبَعُوضَ ، قَالَ : قَالَ عَمْرٌ : إِنَّ الْعَرَبَ لَا تَصْلُحُ بِأَرْضٍ لَا تَصْلُحُ بِهَا الْإِبِلُ .. قَالَ : فَخَرَجَ عَمَارٌ بِالنَّاسِ حَتَّى نَزَلَ الْكُوفَةَ .

(١) ابْنُ الْأَثِيرِ : « وَجِثَتْ » ؛ س : « وَوَهِنَتْ » .

(٢) خَدَّاهُم ، أَيْ أَهْزَلَهُمْ . (٣) ابْنُ حَبِيشٍ : « وَغَيْرِ » .

(٤) ابْنُ كَثِيرٍ : « وَرَبُّ الرِّيحِ » . (٥) ابْنُ الْأَثِيرِ ، ابْنُ حَبِيشٍ : « فَرَجَعَا » .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن مخلد بن قيس ، عن أبيه ، عن النسيّر^(١) بن ثور ، قال : ولما اجتوى المسلمون المدائن بعد ما نزلناها وآذاهم الغبار والذباب ، وكتب إلى سعد في بعثه وودّ أن يرتادون منزلاً برياً بحرياً ، فإن العرب لا يصلحها من البلدان إلّا ما أصلح البعير والشاة ؛ ٢٤٨٥ / ١
سأل من قبّله عن هذه الصفة فيما بينهم ، فأشار عليه من رأى العراق من وجوه العرب باللسان - وظهّر الكوفة يقال له اللسان ، وهو فيما بين النهرين إلى العين ، عين بني الحذاء ، كانت العرب تقول : أدلع البرّ لسانه في الريف ، فما كان يلي الفرات منه فهو المِلطاط ، وما كان يلي الطين منه فهو التّجاف - فكتب إلى سعد يأمره به .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو وسعيد ، قالوا : ولما قدم سلمان وحذيفة على سعد ، وأخبراه عن الكوفة ، وقدم كتاب عمر بالذي ذكرنا له ، كتب سعد إلى القعقاع بن عمرو : أن خلف على الناس بجلولاء قبّاذ فيمن تبعكم إلى من كان معه من الحمراء . ففعل وجاء حتى قدم على سعد في جنده ، وكتب سعد إلى عبد الله بن المعتم : أن خلف على الموصل مسلم بن عبد الله الذي كان أسير أيام القادسية فيمن استجاب لكم من الأساورة ، ومن كان معكم منهم . ففعل ، وجاء حتى قدم على سعد في جنده ، فارتحل سعد بالناس من المدائن حتى عسكر بالكوفة في المحرم سنة سبع عشرة . وكان بين وقعة المدائن ونزول الكوفة سنة وشهران ، وكان بين قيام عمر واختطاط الكوفة ثلاث سنين وثمانية أشهر ؛ اختطت سنة أربع ٢٤٨٦ / ١
من إمارة عمر في المحرم سنة سبع عشرة من التأريخ ، وأعطوا العطايا بالمدائن في المحرم من هذه السنة قبل أن يرتحلوا . وفي بهر سير ، في المحرم سنة ست عشرة ، واستقرّ بأهل البصرة منزلهم اليوم بعد ثلاث نزلات قبلها ، كلها ارتحلوا عنها في المحرم سنة سبع عشرة ، واستقرّ باقي قرارهما اليوم في شهر واحد .

* * *

وقال الواقديّ : سمعتُ القاسم بن معن يقول : نزل الناس الكوفة في آخر سنة سبع عشرة .

(١) ط : « اليسر » ، وانظر التصويبات .

قال : وحدَّثني ابن أبي الرُّقَاد، عن أبيه ، قال : نزلوها حين دخلت سنة ثمانى عشرة ، فى أوّل السنة .

• • •

رجع الحديث إلى حديث سيف . قالوا : وكتب عمر إلى سعد بن مالك وإلى عُتْبَةَ بنِ غَزْوَانَ أن يترتعا بالناس فى كلِّ حين ربيع فى أطيب أرضهم ، وأمر لهم بمعاونهم فى الربيع من كلِّ سنة ، وبإعطائهم فى المحرم من كلِّ سنة ، وبفيتهم عند طلوع الشُّعْرى فى كلِّ سنة ؛ وذلك عند إدراك الغلّات ، وأخذوا قبل نزول الكوفة عطاءين .

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن مخلد بن قيس ، عن رجل من بنى أسد يدعى المغرور ^(١) ، قال : لما نزل سعد الكوفة ، كتب إلى عمر : إنى قد نزلت بكوفة منزلاً بين الحيرة والفُرات برّياً بحوريا ، يُنبِت ^(٢) الحلى والنَّصِي ^(٣) ، ونحيرتُ المسلمين بالمدائن ، فمن أعجبه المقام فيها تركته فيها كالمسلحة . فبقي أقوام ^(٤) من الأفناء ، وأكثرهم بنو عَبَسَ .

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وعمرو وسعيد والمهلب ، قالوا : ولما نزل أهل الكوفة الكوفة ، واستقرت بأهل البصرة الدار ، عرف القوم أنفسهم ، وثاب إليهم ما كانوا فقدوا . ثمَّ إنَّ أهل الكوفة استأذنوا فى بنیان القصب ، واستأذن فيه أهل البصرة ، فقال عمر : العسكر أجده ^(٥) لحر بكم وأذكى لكم ، وما أحبُّ أن أخالفكم ، وما القصب ؟ قالوا : العكرش ^(٦) إذا روى قصب فصار قصباً ، قال : فشانكم ؛ فابتنى أهل المصرين بالقصب .

ثمَّ إنَّ الحريق وقع بالكوفة وبالبصرة ، وكان أشدهما حريقاً الكوفة ،

(١) ط « : المغرور » ، وانظر التصويبات .

(٢) س والنورى : « بيت » .

(٣) النصي : نبت سبط ناعم أبيض من أفضل المرعى .

(٤) س : « قوم » . (٥) النورى وابن الأثير : « أشد » .

(٦) العكرش : نبات شبه الثيل ، أشد خشونة منه .

فاحترق ثمانون عريشاً ، ولم يبق فيها قَصْبة في شِوَال ، فما زال الناس يذكرون ذلك . فبعث سعد منهم نفرأ إلى عُمر يستأذنون في البناء باللبن ، فقدّموا عليه بالخبر عن الحريق ، وما بلغ منهم - وكانوا لا يدعون شيئاً ولا يأتونه إلاّ - وأمره^(١) فيه - فقال : افعلوا^(٢) ؛ ولا يزيدن أحدكم على ثلاثة أبيات ، ولا تطاولوا^(٣) في البنيان ، والزموا السنة تلزمكم الدولة . فوجع القوم إلى الكوفة بذلك . وكتب عمر إلى عتبة وأهل البصرة^(٤) بمثل ذلك ؛ وعلى تنزيل أهل الكوفة أبو الهيثاج بن مالك ، وعلى تنزيل أهل البصرة عاصم ابن الدُّ لَيْف أبو الجرباء .

قال : وعهد عمر إلى الوفد وتقدّم إلى الناس ألاّ يرفعوا بنياناً فوق القدر . قالوا : وما القدر ؟ قال : ما لا يقربكم من السرف ، ولا يخرجكم من القصد .

كتب إلى المروى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو وسعيد ، قالوا : لما أجمعوا على أن يضعوا بنيان الكوفة ، أرسل سعد إلى أبي الهيثاج فأخبره بكتاب عمر في الطرُق ، أنه أمر بالمناهج أربعين ذراعاً ، وما يليها ثلاثين ذراعاً ، وما بين ذلك عشرين ، وبالأزقة سبع أذرع ، ليس دون ذلك شيء ، وفي القطائع ستين ذراعاً إلاّ الذي لبنى ضبّة . فاجتمع أهل الرأي للتقدير ؛ حتى إذا أقاموا على شيء قسم أبو الهيثاج عليه ؛ فأول شيء خُطّ بالكوفة وبُنِيَ حين عزموا على البناء المسجد ، فوضع في موضع أصحاب الصابون والتمازين من السوق ، فاخبطوه ، ثم قام رجل في وسطه ، رام شديد التزع ، فرمى عن يمينه فأمر من شاء أن يبني وراء موقع ذلك السهم ، ورمى من بين يديه ومن خلفه ، وأمر من شاء أن يبني وراء موقع السهمين . فترك المسجد في مربعة غلوة^(٤) من كل جوانبه ، وبني ظلّة في مقدمه ، ليست لها مجنّبات ولا مواخير ، والمربعة لاجتماع الناس لثلا يزدحموا -

(١) أمره ، أى شاوره . (٢) ابن حبّيش : « افعلوا وابنوا » .

(٣) س : « ولا يتناول أحد منكم » ، ابن حبّيش : « ولا يتناول أحد » .

(٤) ط : « علوه » تصحيف .

وكذلك كانت المساجد ما خلا المسجد الحرام ، فكانوا لا يشبهون به المساجد تعظيماً لحرمته ، وكانت ظلته مائتي ذراع على أساطين رخام كانت للأكاسرة ، سماؤها كاسمية الكنائس الرومية ، وأعلموا على الصحن بخندق لثلاثا يقتحمه أحد بينان ، وبنوا لسعد داراً بحماله بينهما طريق منقَبُ مائتي ذراع ، وجعل فيها بيوت الأموال ، وهي قصر الكوفة اليوم ، بنى ذلك له روزبه من آجر بنیان الأكاسرة بالحيرة ، ونهَج في الودعة من الصحن خمسة مناهج ، وفي قبيلته أربعة مناهج ، وفي شريقه ثلاثة مناهج ، وفي غربيته ثلاثة مناهج ، وعلمها ، فأُنزل في ودعة الصحن سليماً وثقيفاً مما يلي الصحن على طريقين ، وهندان على طريق ، وبجيلة على طريق آخر ، وتيم اللات على آخرهم ٢٤٩٠/١ وتغلب ، وأُنزل في قبلة الصحن بنى أسد على طريق ، وبين بنى أسد والنخع طريق ، وبين النخع وكيندة طريق ، وبين كيندة والأزد طريق ، وأُنزل في شرق الصحن الأنصار ، ومزينة على طريق ، وتيماً ومخارباً على طريق ، وأسداً وعامراً على طريق ، وأُنزل في غربي الصحن بجالة وبجلة على طريق ، وجديلة وأخلاطاً على طريق ، وجُهينة وأخلاطاً على طريق ، فكان هؤلاء الذين يلون الصحن وسائر الناس بين ذلك ومن وراء ذلك . واقتسمت على السهْمان ؛ فهذه مناهجها العظمى . وبنوا مناهج دونها تحاذي هذه ثم تلاقيها ، وأخترتُبعها ، وهي دونها في الدرع ، والحال من ورائها ؛ وفيما بينها ، وجعل هذه الطرقات من وراء الصحن ، ونزل فيها الأعشار من أهل الأيَّام والقوادس ، وحمل لأهل الثغور والموصل أماكن حتى يُوافوا إليها ؛ فلما ردفتم الروادف ؛ البدء والثناء ، وكثروا عليهم ، ضيق الناس الحال فمن كانت رادفته كثيرة شخص إليهم وترك محلته ، ومن كانت رادفته قليلة أنزلهم منازل من شخص إلى رادفته لقلته إذا كانوا جيرانهم ؛ وإلا وسعوا على روادفهم وضيقوا على أنفسهم ؛ فكان الصحن على حاله زمان ٢٤٩١/١

عمر كله ، لا تطمع فيه القبائل ؛ ليس فيه إلا المسجد والقصر ، والأسواق في غير بنیان ولا أعلام . وقال عمر : الأسواق على سنة المساجد ، من سبق

إلى مقعد^(١) فهو له ؛ حتى يقوم منه إلى بيته أو يفرغ من بيعه ؛ وقد كانوا أعدوا مناخاً لكل رادف ؛ فكان كل من يجيء سواء فيه - وذلك المناخ اليوم دور بني البكاء - حتى يأتوا بالهيتاج ، فيقوم في أمرهم حتى يقطع لهم حيث أحبوا . وقد بنى سعد في الذين خطوا للقصر قصراً بجبال محراب مسجد الكوفة اليوم ، فشيّده ، وجعل فيه بيت المال ، وسكن ناحيته . ثم إن بيت المال نُقب عليه نقباً ، وأُخذ من المال ، وكتب سعد بذلك إلى عمر ، ووصف له موضع الدار وبيوت المال من الصحن مما يلي ودعة الدار . فكتب إليه عمر : أن انقل المسجد حتى تضعه إلى جنب الدار ، واجعل الدار قبلته ؛ فإن للمسجد أهلاً بالنهار وبالليل ؛ وفيهم حصن لما هم المسجد وأراغ بنيانه ، فقال له دهقان من أهل همدان ؛ يقال له روزبه بن بزرجمهر : أنا أبنيه لك ، وأبني لك قصراً فأصلهما ، ويكون بنياناً واحداً . فخط قصر الكوفة على ما خط عليه ، ثم أنشأه من نقض^(٢) أجر قصر كان للأكاسرة في ضواحي الحيرة على مساحته اليوم ، ولم يسمح به ، ووضع المسجد بجبال بيوت الأموال منه إلى منتهى القصر ، يمتد على القبلة ، ثم مد به عن يمين ذلك إلى منقطع رحبة على بن أبي طالب عليه السلام ، والرحبة قبلته ، ثم مد به فكانت قبلة المسجد إلى الرحبة وميمنة القصر ، وكان بنيانه على أساطين من رخام كانت لكمرى بكنائس بغير مجنّبات ؛ فلم يزل على ذلك حتى بنى أزمان معاوية بن أبي سفيان بنيانه اليوم ؛ على يد زياد . ولما أراد زياد بنيانه دعا بينائين من بنيائى الجاهلية ، فوصف لهم موضع المسجد وقدره وما يشتهى من طوله في السماء ، وقال : أشتهى من ذلك شيئاً لا أقع على صفته ؛ فقال له بناء قد كان بناءً لكمرى : لا يجيء هذا إلا بأساطين من جبال أهواز ، تنقر ثم تُنقب ، ثم تحشى بالرصاص وبسفايد^(٣) الحديد ، وترفعه ثلاثين ذراعاً في السماء ، ثم تسقفه ، وتجعل له مجنّبات ومواخير ؛ فيكون أثبت له . فقال : هذه الصفة التي كانت نفسى تنازعنى

(١) س : « مقعده » .

(٢) النقض : اسم البناء المنقوض إذا هدم .

(٣) السفايد : جمع سفود ؛ حديدة معقفة ذات شعب .

إليها ولم تعبرها . وغلقت باب القصر ، وكانت الأسواق تكون في موضعه بين يديه ، فكانت غوغاؤهم تمنع سعداً الحديث ؛ فلما بنى ادعى الناس عليه ٢٤٩٣/١ ما لم يقل ، وقالوا : قال سعد : سَكَنَ ^(١) عني الصَّوْت . وبلغ عمر ذلك ، وأن الناس يسمونه قصر سعد ، فدعا محمد بن مسلمة ، فسرَّحه إلى الكوفة ، وقال : اعيد إلى القصر حتى تحرق بابه ، ثم ارجع عودك على بدئك ؛ فخرج حتى قدم الكوفة ، فاشترى حطباً ، ثم أتى به القصر ، فأحرق الباب ، وأتى سعد فأخبر الخبر ، فقال : هذا رسول أرسل لهذا من الشأن ، وبعث لينظر مَنْ هو ؟ فإذا هو محمد بن مسلمة ، فأرسل إليه رسولا بأن ادخل ، فأبى فخرج إليه سعد ، فأراه على الدخول والتزول ، فأبى ، وعرض عليه نفقة فلم يأخذ ، ودفع كتاب عمر إلى سعد : بلغني أنك بنيت قصرًا اتخذته حصناً ، ويسمى قصر سعد ، وجعلت بينك وبين الناس بابًا ؛ فليس بقصرك ؛ وإمكته قصر الحبال ؛ انزل منه منزلاً مما يلي بيوت الأموال وأغلقة ، ولا تجعل على القصر باباً تمنع الناس من دخوله وتنفيهم به عن حقوقهم ، ليوافقوا مجلسك ومخرجك من دارك إذا خرجت ؛ فحلف له سعد ما قال الذي قالوا . ورجع محمد بن مسلمة من فوره ؛ حتى إذا دنا من المدينة في زاده ، فتبلغ بلحاء من لحاء الشجر ، فقدم على عمر ، وقد سَنَقَ ^(٢) فأخبره خبره كله ، فقال : فهلاً قبلت من سعد ! فقال : لو أردت ذلك كتبت لي به ، أو أذنت ٢٤٩٤/١ لي فيه ، فقال عمر : إن أكمل الرجال رأياً من إذا لم يكن عنده عهد من صاحبه عمل بالحزم ، أو قال به ، ولم ينكل ؛ وأخبره بيمين سعد وقوله ، فصدَّق سعداً وقال : هو أصدق ممن روى عليه ومن أبلغني .

وكتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عطاء أبي محمد ، مولى إسحاق بن طلحة ، قال : كنت أجلس في المسجد الأعظم قبل أن يبنيه زياد ؛ وليست له مجنَّبات ولا مَواخير ، فأرى منه دير هند وباب الجسر .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن ابن شبرمة ، عن

(١) ابن الأثير : « سكنوا » ، التَّوَيَّرى : « سكتوا » . (٢) السَّق : البشيم .

الشعبي ، قال : كان الرجل يجلس في المسجد فيرى منه باب الجسر .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمر بن عياش أني
أبي بكر بن عياش ، عن أبي كثير ، أن روزبه بن بزرجمهر بن ساسان كان
همدانيًا ، وكان على فترج من فروج الروم ، فأدخل عليهم سلاحًا ،
فأخافه الأكاسرة ، فلحق بالروم ، فلم يأمن حتى قدم سعد بن مالك ، فبنى
له القصر والمسجد . ثم كتب معه إلى عمر ، وأخبره بحاله ، فأسلم ، وفرض له
عمر وأعطاه ، وصرقه إلى سعد مع أكريائه — والأكرياء يومئذ هم العباد —
حتى إذا كان بالمكان الذي يقال له قبر العبادي مات ، فحفروا له ، ثم
انتظروا به من يمر بهم ممن يشهدونه موته ، فرآهم من الأعراب ، وقد حفروا
له على الطريق ، فأرؤهموه ليبرهوا من دمه ، وأشهدوهم ذلك ، فقالوا : قبر
العبادي — وقيل قبر العبادي لمكان الأكرياء — قال أبو كثير : فهو والله أبي ،
قال : فقلت : أفلا تخبر الناس بحاله ! قال : لا .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة والمهلب
وعمر وسعيد وزباد ، قالوا : ورَجَّح الأعراب بعضهم بعضًا رجحانًا كثيرًا ،
فكتب سعد إلى عمر في تعديلهم ، فكتب إليه : أن عدّ لهم ، فأرسل إلى
قوم من نُسَاب العرب وذوي رأيهم وعقلانهم منهم سعيد بن نمران ومشلة
ابن نعم ، فعَدّ لهم عن الأسباع ، فجعلهم أسباعًا ، فصارت كنانة وحلفاؤها
من الأحابيش وغيرهم ، وجديلة — وهم بنو عمرو بن قيس عيلان — سبعا ،
وصارت قضاة — ومنهم يومئذ غسان بن شبام — وبجيلة وخثعم وكندة
وحضرموت ، والأزد سبعا ، وصارت مذحج وحمير وهمدان وحلفاؤهم سبعا ،
وصارت تميم وسائر الرِّبَاب وهوازن سبعا ، وصارت أسد وغطفان ومخارب والنَّسِير
وضُبَيْعة وتغلب سبعا ، وصارت إِيَاد وعك وعبد القيس وأهل هَجَرَ والحمراء
سبعا ، فلم يزالوا بذلك زمانَ عمر وعثمان وعليّ ، وعامة إمارة معاوية ^(١) ،
حتى ربَّعهم زباد ^(٢) .

(١) ابن حيش : « إلى عامة » . (٢) س : « فول زباد فربهم » .

٢٤٩٦/١

إعادة تعريف الناس

وعرفوهم على مائة ألف درهم ، فكانت كل عيرافة من القادسية خاصة ثلاثة وأربعين رجلا وثلاثاً وأربعين امرأة وخمسين من العيال ؛ لهم مائة ألف درهم ، وكل عيرافة من أهل الأيتام عشرين رجلاً على ثلاثة آلاف وعشرين امرأة ، وكل عيئل على مائة ، على مائة ألف درهم ، وكل عيرافة من الرادفة الأولى ستين رجلاً وستين امرأة وأربعين من العيال ممن كان رجالهم ألحقوا على ألف وخمسمائة على مائة ألف درهم ، ثم على هذا من الحساب .

وقال عطية بن الحارث : قد أدركت مائة عريف ، وعلى مثل ذلك كان أهل البصرة ، كان العطاء يُدفع إلى أمراء الأسباع وأصحاب الرايات ، والرايات على أيادي العرب ، فيدفعونه إلى العُرفاء والنقباء والأُمَناء ، فيدفعونه إلى أهله في دورهم .

. . .

فتوح المدائن قبل الكوفة

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة والمهلب ٢٤٩٧/١ وعمر وسعيد ، قالوا : فتوح المدائن السواد وحُلوان وما سبَدَ آن وقر قيسية ؛ فكانت الثغور تغور الكوفة أربعة : حُلوان عليها القعقاع بن عمرو ، وما سبَدَ آن عليها ضرار بن الخطاب الفهري ، وقر قيسية عليها عمر بن مالك أو عمرو بن عتبة بن نوفل بن عبد مناف ، والموصل عليها عبد الله بن المعتم ، فكانوا بذلك ، والناس مقيمون بالمدائن بعد ما تحول سعد إلى تمصير الكوفة ، وانضمام هؤلاء النفر إلى الكوفة واستخلافهم على الثغور من يمسك بها ويقوم عليها ؛ فكان خليفة القعقاع على حُلوان قُبَاذ بن عبد الله ، وخليفة عبد الله على الموصل مسلم بن عبد الله ، وخليفة ضرار رافع بن عبد الله ، وخليفة عمر عشتق بن عبد الله ، وكتب إليهم عمر أن يستعينوا بمن احتاجوا إليه من الأساورة ، ويرفعوا عنهم الجزاء ، ففعلوا . فلما اختطت الكوفة وأذن للناس بالبناء ، نقل الناس أبوابهم من المدائن إلى الكوفة فعلقوها على

ما بنوا وأوطنوا^(١) الكوفة . وهذه ثغورهم ، وليس في أيديهم من الرّيف إلا ذلك .
 كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن مجالد عن عامر ،
 قال : كانت الكوفة وسوادها والقروج : حلوان ، والموصل ، وماسبندان
 وقرقيساء . ثم وافقهم في الحديث عمرو بن الريان ، عن موسى بن عيسى
 الهمدانيّ بمثل حديثهم ، ونهاهم عمّا وراء ذلك ، ولم يأذن لهم في الانسياح .
 وقالوا جميعاً : وكى سعد بن مالك على الكوفة بعد ما اختطّطت ثلاث سنين ونصفاً
 سوى ما كان بالمدائن قبلها ، وعماته ما بين الكوفة وحلوان والموصل وماسبندان
 وقرقيساء إلى البصرة ، ومات عتبة بن غزوان وهو على البصرة فطّيع^(٢) بعمله ،
 وسعد على الكوفة فوّلّى عمر أبا سبرة مكان عتبة بن غزوان ، ثم عزل أبا سبرة
 عن البصرة ، واستعمل المغيرة ، ثم عزل المغيرة ، واستعمل أبا موسى الأشعريّ .

• • •

ذكر خبر حمص

حين قصد من فيها من المسلمين صاحب الروم

وفي هذه السنة قصدت الروم أبا عبيدة بن الجراح ومن معه من
 جند المسلمين بجمّص لحربهم ؛ فكان من أمرهم وأمر المسلمين ما ذكر
 أبو عبيدة ؛ وهو فيما كتب به إلى السريّ عن شعيب ، عن سيف عن
 محمد وطلحة وعمرو وسعيد - قالوا : أوّل ما أذن عمر للجند بالانسياح^(٣) ؛ أن
 الروم خرجوا ، وقد تكاثبواهم وأهل الجزيرة يريدون أبا عبيدة والمسلمين
 بجمّص ، فضمّ أبو عبيدة إليه مسالحه ، وعسكروا^(٤) بفناء مدينة حمّص ،
 وأقبل خالد^(٥) من قنسرين حتى انضمّ إليهم فيمن انضمّ من أمراء المسالحيّ ،
 فاستشارهم أبو عبيدة في المناجزة أو التحصن إلى مجيء الغياث ، فكان^(٦)
 خالد يأمره أن يناجزهم ، وكان سائرهم يأمرونه بأن يتحصن ، ويكتب إلى
 عمر ، فأطاعهم وعصى خالداً ، وكتب إلى عمر [يخبره]^(٧) بخروجهم عليه ،

(١) أوطن البلد : اتخذها وطناً . وفي س : « ووطنوا » . (٢) س : « فطن بجمله » .

(٣) ابن حبيش : « في الانسياح » . (٤) ابن الأثير والثوري : « وعسكر » .

(٥) س : « خالد بن الوليد » . (٦) ابن حبيش : « وكان » . (٧) من س .

وشغلهم أجناد أهل الشام عنه ، وقد كان عمر اتخذ في كل مصر^(١) على قدره خيولا من فضول أموال المسلمين عُدّة لكون إن كان ، فكان بالكوفة من ذلك أربعة آلاف فرس . فلما وقع الخبر لعمر كتب إلى سعد ابن مالك : أن ائذب الناس^(٢) مع القعقاع بن عمرو وسرحهم من يومهم الذي يأتيك فيه كتابي إلى حمص ؛ فإن أبا عبيدة قد أحبط به ، وتقدم^(٣) إليهم في الجدة والحث .

وكتب أيضاً إليه أن سرح سهيل بن عدى إلى الجزيرة في الجند وليأت الرقة^(٤) فإن أهل الجزيرة . هم الذين استثاروا الروم على أهل حمص ؛ وإن أهل قرقيسياء لهم^(٥) سلف . وسرح عبد الله بن عبد الله بن عثبان إلى نصيبين ، فإن أهل قرقيسياء لهم سلف ، ثم لينفضا^(٦) حران والرهاء . وسرح الوليد بن عتبة على عرب الجزيرة من ربيعة وتثؤخ وسرح عياضاً ؛ فإن كان قتال فقد جعلت أمرهم جميعاً إلى عياض بن غنم — وكان عياض من أهل العراق الذين خرجوا مع خالد بن الوليد مدين لأهل الشام ، وممن^(٧) انصرف أيام انصرف أهل العراق مدين لأهل القادسية ، وكان يرأفد أبا عبيدة — فضى القعقاع في أربعة آلاف من يومهم الذي أتاهم فيه الكتاب نحو حمص ؛ وخرج عياض بن غنم وأمراء الجزيرة فأخذوا طريق الجزيرة على الفراض وغير الفراض ، وتوجه كل أمير إلى الكوفة التي أمر عليها . فأتى الرقة ، وخرج عمر من المدينة مغنياً^(٨) لأبي عبيدة يريد حمص حتى نزل الحابية . ولما بلغ أهل الجزيرة الذين أعانوا الروم على أهل حمص واستثاروهم^(٩) وهم معهم مقيمون عن حديث من بالجزيرة منهم بأن الجنود^(١٠) قد ضربت^(١١) من الكوفة ، ولم^(١٢) يلبروا : الجزيرة يريدون أم حمص ! ففترقوا إلى بلدانهم

-
- (١) س : « على كل مصر » . (٢) س : « أن يئذب الناس » .
 (٣) وتقدم إليهم ، أي أمرهم . (٤) بعدها في س : « إلى مجى النياث » .
 (٥) س : « هم » . (٦) ابن الأثير والنويري : « ليقصد » .
 (٧) س : « ممن » ، ابن حبش : « فيمن » . (٨) ابن حبش : « معنياً » .
 (٩) ابن حبش : « واستثاروهم » . (١٠) س : « الخيول » .
 (١١) س : « قريت » . (١٢) س : « لم » .

وإخوانهم ، وخلصوا الروم . ورأى أبو عبيدة أمراً لما انفضوا غير الأول ، فاستشار
 ٢٥٠٣/١ خالداً في الخروج ، فأمره بالخروج ، ففتح الله عليهم . وقدم القعقاع بن عمرو
 في أهل الكوفة في ثلاث من يوم الوقعة ، وقدم عمر فتزل الجابية ، فكتبوا
 ٢٥٠٤/١ إلى عمر بالفتح وبقدوم المدد عليهم في ثلاث ، وبالحكم في ذلك . فكتب
 إليهم أن أشركوهم ، وقال : جزى الله أهل الكوفة خيراً ! يكفون حوزتهم^(١)
 ويُمِدُّون أهل الأمصار .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن زكرياء بن سياه ،
 عن الشعبي ، قال : استمد أبو عبيدة عمر ، وخرجت عليه الروم ، وتابعهم
 النصارى فحصره^(٢) ، فخرج وكتب إلى أهل الكوفة ، فنفر إليهم في غداة
 أربعة آلاف على البغال يجنبون الخيل ، فقدموا على أبي عبيدة في ثلاث
 بعد الوقعة ، فكتب فيهم إلى عمر ، وقد انتهى إلى الجابية ، فكتب إليه :
 أن أشركهم^(٣) ، فإنهم قد نفرُوا إليكم ، وتفرق لهم عدوكم .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن طلحة ، عن ماهان ،
 قال : كان لعمر أربعة آلاف فرس عُدَّة المكون إن كان ، يُسْتَتِيها في
 قبلة قصر الكوفة ويمسرتة ، ومن أجل ذلك يسمي ذلك المكان الآرى إلى
 اليوم ، ويربعتها فيما بين الفرات والأبيات من الكوفة مما يلي العاقول ، فسمته
 الأعاجم « آخر الشاهجان » ، يعنون مغلف الأمراء ، وكان قيمه عليها ستمائة
 ابن ربيعة الباهلي في نفر من أهل الكوفة ، يصنع سوابقها ، ويجريها في
 كل عام ، وبالبصرة نحو منها ، وقيمه عليها جترء بن معاوية ، وفي
 كل مصر من الأمصار الثمانية على قدرها ، فإن نابتهم نائبة ركب قوم
 ٢٥٠٥/١ وتقدموا إلى أن يستعد الناس .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن حلام ، عن شهر
 ابن مالك بنحو منه . فلما فرغوا رجعوا .

(١) ابن كثير : « يحمون حوزتهم » . (٢) س : « فحصرهم » .

(٣) ابن حبيش : « أشركهم » .

[ذكر فتح الجزيرة]

وفي هذه السنة - أعني سنة سبع عشرة - افتتحت الجزيرة في رواية سيف . وأما ابن إسحاق ، فإنه ذكر أنها افتتحت في سنة تسع عشرة من الهجرة ، وذكر من سبب فتحها ما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة عنه ؛ أن عمر كتب إلى سعد بن أبي وقاص : إن الله قد فتح على المسلمين الشام والعراق ، فابعث من عندك جنداً إلى الجزيرة ، وأمر عليهم أحد الثلاثة : خالد بن عرفة ، أو هاشم بن عتبة ، أو عياض بن غنم . فلما انتهى إلى سعد كتاب عمر ، قال : ما أحرأ أمير المؤمنين عياض بن غنم آخر القوم إلا أنه له فيه هووى أن أولييه ؛ وأنا موليه . فبعثه وبعث معه جيشاً ، وبعث أبا موسى الأشعري ، وابنه عمر بن سعد - وهو غلام حدث السن - ليس إليه من الأمر شيء - وعثمان بن أبي العاص بن بشر الثقفي ، وذلك في سنة تسع عشرة . فخرج عياض إلى الجزيرة ، فقتل بجنده على الرهاء فصالحه أهلها على الجزية ، وصالح حوران حين صالحته الرهاء ، فصالحه أهلها على الجزية . ثم بعث أبا موسى الأشعري إلى نصيبين ، ووجه عمر بن سعد إلى رأس العين في خيل رداء للمسلمين ، وسار بنفسه في بقية الناس إلى دارا ، فقتل عليها حتى افتتحها ، فافتتح أبو موسى نصيبين ، وذلك في سنة تسع عشرة . ثم وجه عثمان بن أبي العاص إلى أرمينية الرابعة فكان عندها شيء من قتال ؛ أصيب فيه صفوان بن المعطل السلمي شهيداً . ثم صالح أهلها عثمان بن أبي العاص على الجزية ، على كل أهل بيت دينار . ثم كان فتح قيسارية من فلسطين وهرب هرقل .

وأما في رواية سيف ؛ فإن الخبر في ذلك ، فيما كتب به إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد والمهلب وطلحة وعمر وسعيد ؛ قالوا : خرج عياض بن غنم في أثر القعقاع ، وخرج القهواد - يعني حين كتب عمر إلى سعد بتوجيه القعقاع في أربعة آلاف من جنده مدداً لأبي عبيدة حين قصدته الروم وهو بمحصر - فسلخوا طريق الجزيرة على الفراض وغيرها ،

فسلك سهيل بن عدى وجنده^(١) طريق الفراض حتى انتهى إلى الرقة^(٢) ،
وقد ارفض أهل الجزيرة عن حِمَص إلى كَوَرَم حين سمعوا بمُقْبِل أهل
الكوفة ، فتنزل عليهم ، فأقام محاصرهم حتى صالحوه ؛ وذلك أنهم قالوا فيما
بينهم : أنتم بين أهل العراق وأهل الشام ؛ فما بقاءكم على حرب هؤلاء
وهؤلاء ! فبعثوا في ذلك إلى عياض وهو في منزل واسط من الجزيرة ؛ فرأى
أن يقبل منهم ؛ فبايعوه وقبل منهم ؛ وكان الذي عقد^(٣) لهم سهيل بن عدى
عن أمر عياض ، لأنه أمير القتال وأجروا^(٤) ما أخذوا عتوة ، ثم أجابوا
مُجْرَى أهل الذمة ، وخرج عبد الله بن عبد الله بن عتبان ، فسلك على
دجلة حتى انتهى إلى الموصل ، فعبر إلى بلسد حتى أتى نصيبين ، فلقوه
بالصلح ، وصنعوا كما صنع أهل الرقة ، وخافوا مثل الذي خافوا ؛ فكتبوا إلى
عياض ، فرأى أن يقبل منهم ، فعقد لهم عبد الله بن عبد الله ، وأجروا
ما أخذوا عتوة ، ثم أجابوا مُجْرَى أهل الذمة ، وخرج الوليد بن عتبة حتى
قدم على بني تغلب وعرب الجزيرة ، فنهض معه مسلمهم وكافرهم إلا إياد
ابن نزار ، فإنهم ارتحلوا بقليتهم^(٥) ، فاقتحموا أرض الروم ، فكتب بذلك
الوليد إلى عمر بن الخطاب . ولما أعطى أهل الرقة ونصيبين الطاعة ضم
عياض سهيلا وعبد الله إليه فسار بالناس إلى حرّان ، فأخذ ما دونها . فلما
انتهى إليهم اتقوه بالإجابة إلى الجزيرة فقبل منهم ، وأجرى من أجاب بعد
غلبه مُجْرَى أهل الذمة . ثم إن عياضا سرح سهيلا وعبد الله إلى الرهاء ،
فاتقوهما بالإجابة إلى الجزيرة ، وأجرى من دونهم مجراهم ؛ فكانت الجزيرة
أسهل البلدان أمرا ، وأيسره فتحا ، فكانت تلك السهولة مهجئة عليهم
وعلى من أقام فيهم من المسلمين ، وقال عياض بن غنم^(٦) :

مَنْ مُبْلِغُ الْأَقْوَامِ أَنَّ جُمُوعَنَا حَوَتْ الْجَزِيرَةَ يَوْمَ ذَاتِ زِحَامِ^(٧)
جَمَعُوا الْجَزِيرَةَ وَالْفَيْثَ فَنَفَسُوا عَنْ يَحِمَصَ غِيَابَةَ الْقُدَامِ

(١) ابن حبيش : « في جنده » . (٢) ابن حبيش : « أهل الرقة » .

(٣) ابن حبيش : « عقده » . (٤) س ، : « وأخذوا » .

(٥) بقليتهم ، يريد بعددهم القليل . (٦) ياقوت ٣ : ٩٨ .

(٧) ياقوت وابن حبيش : « رجاء » .

إِنَّ الْأَعِزَّةَ وَالْأَكَارِمَ مَمَشَرٌ فَضُّوا الجزيرةَ عن فِرَاحِ الهَامِ^(١)
 غَلَبُوا الْمُلُوكَ عَلَى الْجَزِيرَةِ فَاتَمَّوْا عَنْ غَزْوِ مَنْ يَأْوِي بِلَادَ الشَّامِ
 ولما نزل عمر الجابية ، وفرغ أهل حمص أمد عياض بن غنم بحبيب
 ابن مسلمة ، فقدم على عياض مدداً^(٢) ، وكتب أبو عبيدة إلى عمر بعد
 انصرافه من الجابية يسأله أن يضم إليه عياض بن غنم إذ ضم خالداً إلى
 المدينة ، فصرفه إليه ، وصرف سهيل بن عدى وعبد الله بن عبد الله إلى الكوفة
 ليصرفهما إلى المشرق ، واستعمل حبيب بن مسلمة على عجم الجزيرة وحرها ،
 والوليد بن عقبة على عرب الجزيرة ، فأقاما^(٣) بالجزيرة على أعمالهما .

قالوا : ولما قدم الكتاب من الوليد على عمر كتب عمر إلى ملك الروم :
 إنه بلغني أن حياً من أحياء العرب ترك دارنا وأتى دارك ؛ فوالله لتُخرجنه أو
 لتُنِذِنَ إلى النصارى ؛ ثم لتُخرجنهم إليك . فأخرجهم ملك الروم ، فخرجوا
 فمّ منهم على الخروج أربعة آلاف مع أبي عدى بن زياد ، وحنَسَ بقيتهم ،
 فتفرقوا فيما يلي الشام والجزيرة من بلاد الروم ؛ فكلّ إيادى في أرض العرب ٢٥٠٩/١
 من أولئك الأربعة الآلاف ؛ وأبى الوليد بن عقبة أن يقبل من بنى تغلب إلا
 الإسلام ؛ فقالوا له : أمّا من نُقِبَ على قومه في صلح سعد ومن كان
 قبيله فأنتم وذاك ، وأمّا من لم ينقُب عليه أحد ولم يُجَرَّ ذلك لمن نقب
 فما سبيلك عليه ! فكتب فيهم إلى عمر ، فأجابه عمر : إنما ذلك لجزيرة^(٤) العرب
 لا يقبل منهم فيها إلا الإسلام ، فدعهم على ألا ينصروا وليداً ، واقبل منهم إذا
 أسلموا . فقبل منهم على ألا ينصروا وليداً ، ولا يمنعوا أحداً منهم من
 الإسلام ، فأعطى بعضهم ذلك فأخذوا به ، وأبى بعضهم إلا الجزاء ، فرضى
 منهم بما رضى من العباد وتسوخ .

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عطية ، عن
 أبي سيف التغلبي ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عاهد وفدهم

(١) ياقوت : « فراح » . (٢) س وابن حبيش : « مدداً » .

(٣) ابن حبيش : « فأقاموا » . (٤) ابن الأثير : « بجزيرة » .

على ألاّ يَنْصَرُوا وليداً ، فكان ذلك الشرط على الوفد وعلى من وقدهم ، ولم يكن على غيرهم ، فلما كان زمان عمر^(١) قال مسلموهم : لا تنفروهم بالخراج فيذهبوا ، ولكن أضعفوا عليهم الصدقة التي تأخذونها من أموالهم فيكون جزاء ؛ فلأنهم يغضبون من ذكر الجزاء على ألاّ يَنْصَرُوا مولوداً^(٢) إذا أسلم آباؤهم . ٢٥١٠/١
فخرج وفدُهم في ذلك إلى عمر ؛ فلما بعث الوليد إليه برعوس النصارى وبديانيهم ، قال لهم عمر : أدُّوا الجزية ، فقالوا لعمر : أبلغنا مأمنا ، والله^(٣) لن نضعف علينا الجزاء لندخلن أرض الروم ، والله لنفرضننا من بين العرب ، فقال لهم : أنتم فضحتم أنفسكم ، وخالفتم أمّتكم فيمن خالف واقتضح من عرب الضاحية ، وتالله لتؤدّنه وأنتم صَغَرَة قَمَآة^(٤) ، ولئن هربتم إلى الروم لأكتبن فيكم ، ثمّ لأسبينكم . قالوا : فخذ منا شيئاً ولا تسمه جزاء ، فقال : أمّا نحن فنسميه جزاء ، وسَمُّوه أنتم ما شئتم . فقال له عليّ بن أبي طالب : يا أمير المؤمنين ، ألم يُضْعِف عليهم سعد بن مالك الصدقة ؟ قال : بلى ، وأصغى إليه ، فرضى به منهم جزاء ، فرجعوا على ذلك ، وكان في بني تغلب عزّ وامتناع ، ولا يزالون ينازعون الوليد ، فهم بهم الوليد ، وقال في ذلك : ٢٥١١/١
إذا ما عَصَبْتُ الرَّأْسَ مِنْ بِيْءِ شَوْذٍ فَفَيْكَ مِنْ تَغْلِبِ ابْنَةِ وَاثِلِ^(٥)
وبلغت عنه عمر ، فخاف أن يحرجه^(٦) وأن يضعف صبره فيسطو عليهم ، فعزله وأمر عليهم فُرَات بن حِيَّان وهند بن عمرو الجَمَلِيّ ، وخرج الوليد واستودع إِبِلًا له حُرَيْث بن النعمان ، أحد بني كنانة بن تميم من بني تَغْلِب ، وكانت مائة من الإبل فاختنأها بعد ما خرج الوليد .
وكان فتح الجزيرة في سنة سبع عشرة في ذى الحجة .

• • •

[خروج عمر بن الخطاب إلى الشام]

وفي هذه السنة — أعنى سنة سبع عشرة — خرج عمر من المدينة يريد

(١) س : «عُثْمَان» . (٢) ابن حبيش : «وليداً» .

(٣) ابن كثير وابن حبيش : «فوالله» . (٤) القمي : «الحقير» .

(٥) المشوذ : العمامة ؛ والبيت في اللسان وتاج العروس — شوذ ، وفيهما : «يريد

غيا لك ما أطوله منى !» . (٦) س : «يخرجه» .

الشام حتى بلغ سرّغ ، في قول ابن إسحاق ، حدثنا بذلك ابن حميد عن سلمة عنه ، وفي قول الواقدي .

• ذكر الخبر عن خروجه إليها :

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : خرج عمر إلى الشام غازياً في سنة سبع عشرة ؛ حتى إذا كان بسرّغ لقيه أمراء الأجناد ، فأخبروه أنّ الأرض سقيمة ، فرجع بالناس إلى المدينة .

وقد كان عمر — كما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد

٢٥١٢/١ ابن إسحاق ، عن ابن شهاب الزهري ، عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب ، عن عبد الله بن الحارث بن نوفل ، عن عبد الله ابن عباس — خرج غازياً ، وخرج معه المهاجرون والأنصار . وأوعب الناس معه ، حتى إذا نزل بسرّغ ، لقيه أمراء الأجناد : أبو عبيدة ابن الجراح ، ويزيد بن أبي سفيان ، وشرحبيل بن حسنة ؛ فأخبروه أنّ الأرض سقيمة^(١) ، فقال عمر : اجمع إلى المهاجرين الأولين ، قال : فجمعتهم له ، فاستشارهم ، فاختلفوا عليه ، فنهّم القائل : خرجت لوجه تريد فيه الله وما عنده ، ولا نرى أن يصدقك عنه بلاء عرض لك . ومنهم القائل : إنه لبلاء وفناء ما نرى أن تقدّم عليه ؛ فلما اختلفوا عليه قال : قوموا عني ، ثم قال : اجمع لي مهاجرة الأنصار ، فجمعتهم له ، فاستشارهم فسلكوا طريق المهاجرين ، فكأنما سمعوا ما قالوا فقالوا مثله . فلما اختلفوا عليه قال : قوموا عني ، ثم قال : اجمع لي مهاجرة الفتح من قريش ، فجمعتهم له ، فاستشارهم فلم يختلف عليه منهم اثنان ، وقالوا : ارجع بالناس ، فإنه بلاء وفناء . قال : فقال لي عمر : يا ابن عباس ، اصرّخ في الناس فقل : إنّ أمير المؤمنين يقول لكم إنّ مصيبح على ظهر ، فأصبحوا عليه قال : فأصبح عمر على ظهر ، وأصبح الناس عليه ، فلما اجتمعوا عليه قال : أيّها الناس ؛ إني راجع فارجعوا ، فقال له أبو عبيدة بن الجراح : أفراراً من قتل الله ! قال : نعم فراراً من قتل الله إلى قتل الله ؛ أرايت لو أن

(١) بعدما فس : « قال » .

رجلاً هبط وادياً له عدوّتان : إحداهما خَصْصَة والأخرى جَدَّة ، أليس يرى مَنْ رَعَى الجَدَّة بِقَدْرِ الله ، ويرعى مَنْ رَعَى الخَصْصَة بِقَدْرِ الله ! ثم قال : لو غيرك يقول ^(١) هذا يا أبا عبيدة ! ثم خلا به بناحية دون الناس ؛ فبينما الناس على ذلك إذ أتى عبدُ الرحمن بن عوف - وكان متخلفاً عن الناس لم يشهدهم بالأمس - فقال : ما شأن الناس ؟ فأخبر الخبر ، فقال : عندي من هذا علم ، فقال عمر : فأنت عندنا الأمين المصدق ، فإذا عندك ؟ قال : سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إذا سمعتم بهذا الوباء بيلد ^(٢) فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع وأنتم به فلا تخرجوا فراراً منه » ؛ ولا يخرجكم إلا ذلك ، فقال عمر : فله الحمد ! انصرفوا أيها الناس ، فانصرف بهم .

حدثنا ابن حُميد ، قال : حدثنا سلمة عن محمد بن إسحاق ، عن ابن شهاب الزهري ، عن عبد الله بن عامر بن ربيعة وسالم بن عبد الله بن عمر ؛ أنهما حدثاه أن عمر لما رجع بالناس عن حديث عبد الرحمن بن عوف ؛ فلما رجع عمر رجع عمال الأجناد إلى أعمالهم .

* * *

وأما سيف ، فإنه روى في ذلك ما كتب به إلى السري ، عن شهاب عن سيف ، عن أبي حارثة وأبي عثمان والربيع ، قالوا : وقع الطاعون ومصر والعراق ، واستقر بالشام ، ومات فيه الناس الذين هم في كل الأمصار في المحرم وصفر ، وارتفع عن الناس وكتبوا بذلك إلى عمر ما خلا الشام ، فخرج حتى إذا كان منها قريباً بلغه أنه أشد ما كان ، فقال وقال الصحابة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا كان بأرض وباء فلا تدخلوها ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها » ، فرجع حتى ارتفع عنها ؛ وكتبوا بذلك إليه وبما في أيديهم من الموارد ، فجمع الناس في جمادى الأولى سنة سبع عشرة ، فاستشارهم في البلدان ، فقال : إني قد بدا ^(٣) لي أن أطوف على المسلمين ^(٤) في بلادهم لأنظر في آثارهم ، فأشيروا عليّ - وكعب الأبحار

٢٥١٤/١

(١) ابن كثير : « يقولها » .

(٢) س : « بيلد » . ابن كثير : « بأرض قوم » .

(٣) س : « إني أريد » . (٤) س : « الناس » .

في القوم ، وفي تلك السنة من إمارة عمر أسلم - فقال كعب : بأيها تريد أن تبدأ يا أمير المؤمنين ؟ قال : بالعراق ، قال : فلا تفعل ؛ فإن الشر عشرة أجزاء والخير عشرة أجزاء ، فجزء من الخير بالشرق وتسعة بالمغرب ، وإن جزءاً من الشر بالمغرب وتسعة بالشرق ، وبها قرن الشيطان ، وكل داء عضال .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن سعيد ، عن الأصمغ ، عن علي ، قال : قام إليه علي ، فقال : يا أمير المؤمنين ، والله إن الكوفة للهجرة بعد الهجرة ، وإنها لقبة الإسلام ، وليأتين عليها يوم لا يبقى مؤمن إلا أتاها وحن إليها ؛ والله لينصرن بأهلها كما انتصر بالحجارة من قوم لوط . ٢٥١٥/١

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن المطرح ، عن القاسم ، عن أبي أمامة ، قال : وقال عثمان : يا أمير المؤمنين ؛ إن المغرب أرض الشر ، وإن الشر قسم مائة جزء ؛ فجزء في الناس وسائر الأجزاء بها .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي يحيى ^(١) التميمي ، عن أبي ماجد ، قال : قال عمر : الكوفة رمح الله ، وقبة الإسلام ، وجمجمة العرب ، يكفون ثغورهم ، ويمدون الأمصار ، فقد ضاعت موارث أهل حمّوأس ، فأبدأ بها .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي عثمان وأبي حارثة والربيع بن النعمان ، قالوا : قال عمر : ضاعت موارث الناس بالشام ؛ أبدأ بها فأقسم الموارث ، وأقيم لهم ما في نفسي ، ثم أرجع فأنتقلب في البلاد ، وأنبذ إليهم أمري . فأقى عمر الشام أربع مرات ، مرتين في سنة ست عشرة ، ومرتين في سنة سبع عشرة ، لم يدخلها في الأولى من الآخرين .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن بكر بن وائل ، عن محمد بن مسلم ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قُسم الحفظ عشرة أجزاء ، فتسعة في الترك وجزء في سائر الناس ، وقُسم البخل عشرة ٢٥١٦/١ أجزاء ، فتسعة في فارس ، وجزء في سائر الناس ؛ وقُسم السخاء عشرة أجزاء ،

(١) ط : « يحيى » ، واسمه إسماعيل بن يحيى ؛ وانظر ميزان الاعتدال .

فتسعة في السودان ، وجزء في سائر الناس ، وقسم الشبقي عشرة أجزاء ،
فتسعة في الهند ، وجزء في سائر الناس ؛ وقسم الحياء عشرة أجزاء ، فتسعة في
النساء ، وجزء في سائر الناس ، وقسم الحسد عشرة أجزاء ، فتسعة في العرب
وجزء في سائر الناس ، وقسم الكبير عشرة أجزاء ، فتسعة في الروم وجزء
في سائر الناس .

• • •

واختلف في خبر طاعون عمّواس^(١) وفي أيّ سنة كان ، فقال ابن إسحاق
ما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عنه ، قال : ثم دخلت سنة
ثمانى عشرة ؛ ففيها كان طاعون عمّواس ، فتفانى فيها الناس ، فتوفى أبو عبيدة
ابن الجراح ؛ وهو أمير الناس ، ومعاذ بن جبل ، ويزيد بن أبي سفيان ، والحارث
ابن هشام ، وسهيل بن عمرو ، وعثبة بن سهيل ، وأشراف الناس .

وحدثني أحمد بن ثابت الرازي ، قال : حدثنا عن إسحاق بن عيسى ،
عن أبي معشر ، قال : كان طاعون عمّواس والحابية في سنة ثمانى عشرة .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ،
عن شعبة بن الحجاج ، عن المخارق بن عبد الله البجلي ، عن طارق بن
شهاب البجلي ، قال : أتينا أبا موسى وهو في داره بالكوفة لتحدث عنده ،
فلما جلسنا قال : لا عليكم أن تخفوا ، فقد أصيب في الدار إنسان بهذا السقم ،
ولا عليكم أن تنزّروا عن هذه القرية ، فتخرجوا في فسيح بلادكم وتزّوها
حتى يرفع هذا الوباء ؛ سأخبركم بما يكره مما يتقى ، من ذلك أن يظن من خرج
أنه لو أقام مات ، ويظن من أقام فأصابه ذلك لو أنه لو خرج لم يصبه ، فإذا
لم يظن هذا المرء المسلم فلا عليه أن يخرج ، وأن يتزّره عنه ؛ إني كنت مع
أبي عبيدة بن الجراح بالشأم عام طاعون عمّواس ، فلما اشتعل الوباء ، وبلغ

٢٥١٧/١

(١) عمّواس ، ضبطه ياقوت بفتحات ، وقال : « رواه الزبيري بكسر أوله وسكون الثاني
ورواه غيره بفتح أوله وثانيه وآخره سين مهملة » .

ذلك عمر ، كتب إلى أبي عبيدة ليستخرجه منه : أن سلام عليك ، أما بعد ، فإنه قد عرضت لي إليك حاجة أريد أن أشافهك فيها ، فعزمت عليك إذا نظرت في كتابي هذا ألا تضعه من يدك حتى تقبل إلى . قال : فعرف أبو عبيدة أنه إنما أراد أن يستخرجه من الوباء ، قال ^(١) : يغفر الله لأمر المؤمنين ! ثم كتب إليه : يا أمير المؤمنين ، إني قد عرفت حاجتك إلى ، وإني في جند من المسلمين لا أجد بنفسى رغبة عنهم ، فلست أريد فراقهم حتى يقضى الله في وفيهم أمره وقضاه ، فحللتني ^(٢) من عزمتك يا أمير المؤمنين ، ودعني في جندى . فلما قرأ عمر الكتاب بكى ، فقال الناس : يا أمير المؤمنين ، أمات أبو عبيدة ؟ قال : لا ، وكان قد . قال : ثم كتب إليه : سلام عليك ، أما بعد ، فإنك أنزلت الناس أرضاً غميقة ^(٣) ، فارفعهم إلى أرض مرتفعة نزهة . فلما أتاه كتابه دعاني فقال : يا أبا موسى ، إن كتاب أمير المؤمنين قد جاءني بما ترى ، فاخرج فارتد للناس منزلاً حتى أتبعك بهم ، فرجعت إلى منزلي لأرتحل ، فوجدت صاحبتى قد أصيبت ، فرجعت إليه ، فقلت له : والله لقد كان في أهلى حدث ، فقال : لعل صاحبتك أصيبت ! قلت : نعم ، قال : فأمر ببيعه فرجل له ، فلما وضع رجله في غرزه طعن ، فقال : والله لقد أصيبت . ثم سار بالناس حتى نزل الجابية ، ورفع عن الناس الوباء .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن أبان بن صالح ، عن شهر بن حوشب الأشعرى ، عن رابة — رجل من قومه ، وكان قد خلف على أمه بعد أبيه ، كان شهد طاعون عمواس — قال : لما اشتعل الوجع قام أبو عبيدة في الناس خطيباً ، فقال : أيها الناس ، إن هذا الوجع رحمة بكم ودعوة نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم ، وموت الصالحين قبلكم ، وإن أبا عبيدة يسأل الله أن يقسم له منه حظ . فطعن فأت ،

(١) ابن كثير : « فقال » . (٢) ابن الأثير وابن كثير : « فخلني » .

(٣) غميقة ، من الغمق ؛ وهو فساد الريح وخومها ، وفي ط : « عميقة » ، وما أثبتته من

واستُخلف على الناس مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ . قال : فقام خطيباً بعده ، فقال :
 أيها الناس ، إنَّ هذا الوجع رحمة ربكم ، ودعوة نبيكم وموت الصالحين
 قبلكم ، وإنَّ مُعَاذًا يسأل الله أن يقسم لآل مُعَاذٍ مِنْهُمْ ، فطعن ابنه
 عبد الرحمن بن مُعَاذٍ ، فمات . ثمَّ قام فدعا به لنفسه ، فطعن في راحته ؛
 فلقد رأيتُه ينظر إليها ثمَّ يقبل ظهرَ كفه ، ثمَّ يقول : ما أحبُّ أن لي بما
 فيك شيئاً من الدنيا ، فلما مات استُخلف على الناس عمرو بن العاص ، فقام
 خطيباً في الناس ، فقال : أيها الناس ، إنَّ هذا الوجع إذا وقع فلنما يشتعل
 اشتعال النار ، فتجبلوا^(١) منه في الجبال . فقال أبو وائلة الهذلي : كذبت ؛
 والله لقد صحبتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وأنت شرُّ من حماري
 هذا ! قال : والله ما أردتُ عليك ما تقول ، وإيمُ الله لا نقيم عليه . ثمَّ خرج وخرج
 الناس ففترقوا ، ورفعوا الله عنهم . قال : فبلغ ذلك عمرُ بن الخطاب من
 رأى عمرو بن العاص ، فوالله ما كرهه . ٢٥٢٠/١

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن
 رجل ، عن أبي قلابة عبد الله بن زيد الجسري ، أنه كان يقول : بلغني هذا
 من قول أبي عبيدة وقول مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ : إنَّ هذا الوجع رحمة بكم ودعوة
 نبيكم ، وموت الصالحين قبلكم ؛ فكنتُ أقول : كيف دعا به رسولُ الله صلى
 الله عليه وسلم لأمتِه ، حتى حدثني بعضُ من لا أتتهم عن رسول الله أنَّه
 سمعه منه ، وجاءه جبريل عليه السلام فقال : « إن فناء أمتك يكون بالطعن
 أو الطاعون » ؛ فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : اللهم فناء الطاعون !
 فعرفت أنها التي كان قال أبو عبيدة ومُعَاذ .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ،
 قال : ولما انتهى إلى عمر مصابُ أبي عبيدة ويزيد بن أبي سفيان ، أمر معاوية
 ابن أبي سفيان على جُند دمشق وخراجها ، وأمر شُرَّجِيلُ بْنُ حَسَنَةَ عَلَى
 جُند الأردن وخراجها .

وأما سيف ، فإنه زعم أن طاعون عمواس كان في سنة سبع عشرة .

(١) تجبل القوم ، أى دخلوا في الجبل .

كتب إلى المرسى، عن شعيب، عن سيف، عن أبي عثمان وأبي حارثة والربيع بإسنادهم، قالوا: كان ذلك الطاعون — يعنون طاعون عَمَسَاس — موتاناً لم يَر مثله، طمع له العدو في المسلمين، وتخوفت^(١) له قلوب المسلمين، كثر موته، وطال مكثه، مكث أشهراً حتى تكلم في ذلك الناس.

٢٥٢١/١

كتب إلى المرسى، عن شعيب، عن سيف، عن عبد الله بن سعيد، عن أبي سعيد، قال: أصاب البصرة من ذلك موت ذريع، فأمر رجل من بني تميم غلاماً له أعجمياً أن يحمل ابناً له صغيراً ليس له ولد غيره على حمار، ثم يسوق به إلى سَفَوَان، حتى يلحقه. فخرج في آخر الليل ثم اتبعه، وقد أشرف على سَفَوَان، ودنا من ابنه وغلامه، فرفع الغلام عقيرته^(٢) يقول:

لَنْ يُمْجِرُوا اللَّهَ عَلَى حِمَارٍ وَلَا عَلَى ذِي غُرَّةٍ مُطَارٍ
• قَدْ يُضْبِحُ الْمَوْتُ أَمَامَ السَّارَى •

فسكت حتى انتهى إليهم، فإذا هم هم؛ قال: ويحك، ما قلت! قال: ما أدري، قال: ارجع، فرجع بابنه، وعلم أنه قد أسمع آية وأُريها. قال: وعزم رجل على الخروج إلى أرض بها الطاعون فتردد بعد ما طعن، فإذا غلام له أعجمي يحدو به:

يَا أَيُّهَا الْمُشْعَرُ هَمًّا لَا تُهَمِّمَنَّ إِنَّكَ إِنْ تُسَكِّتَ لَكَ الْحَيَّ تُحَمِّمَنَّ

• • •

وفي هذه السنة — أعني سنة سبع عشرة — كان خروج عمر إلى الشام الخرجة الأخيرة فلم يعد إليها بعد ذلك في قول سيف؛ وأما ابن إسحاق فقد مضى ذكره.

٢٥٢٢/١

• ذكر الخبر عن سيف في ذلك، والخبر عما ذكره عن عمر

في خروجه تلك أنه أحدث في مصالح المسلمين:

كتب إلى المرسى، عن شعيب، عن سيف، عن أبي عثمان وأبي حارثة والربيع، قالوا: وخرج عمر وخلف علياً على المدينة، وخرج معه بالصحابة

(١) س: «وتخوفت». (٢) عقيرته، أي صوته.

وأغذوا السير واتخذوا أيلة طريقاً ؛ حتى إذا دنا منها تنحى عن الطريق ،
 واتبعه غلامه ، فترل فبال ، ثم عاد فركب بعير غلامه ، وعلى راحله فرّوا
 مقلوب ، وأعطى غلامه مركبه ، فلما تلقاه أوائل الناس ، قالوا : أين
 أمير المؤمنين ؟ قال : أمامكم - يعني نفسه - وذهبوا هم إلى أمامهم ، فجازوه حتى
 انتهى هو إلى أيلة فترها وقيل للمتلقين : قد دخل أمير المؤمنين أيلة ونزلها .
 فرجعوا إليه .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن هشام بن عروة ،
 عن أبيه ، قال : لما قدم عمر بن الخطاب أيلة ، ومعه المهاجرون والأنصار
 دفع قميصاً له كرايس^(١) قد انجاب مؤخره^(٢) عن قعدته من طول
 السير إلى الأسقف ، وقال : اغسل هذا ورقعه ، فانطلق الأسقف بالقميص ،
 ورقعه ، وخاط له آخر مثله ، فراح به إلى عمر ، فقال : ما هذا ؟ قال
 الأسقف : أمّا هذا فقميصك قد غسلته ورقعته ، وأمّا هذا فكسوة لك مني .
 فنظر إليه عمر ومسحه ، ثم لبس قميصه ، وردّ عليه ذلك القميص ، وقال :
 هذا أنشفهما للعرق . ٢٥٢٣/١

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عطية وهلال ، عن
 رافع بن عمر ، قال : سمعتُ العباس بالجابية يقول لعمر : أربع من عمل
 بين استوجب العدل : الأمانة في المال ، والتسوية في القسّم ، والوفاء بالعِدّة ،
 والخروج من العيوب ؛ نظّف نفسك وأهلك .

كتب إلى السري ، عن شعيب عن سيف ، عن أبي عثمان والربيع
 وأبي حارثة بإسنادهم ، قالوا : قسم عمر الأرزاق ، وسمّى الشوائب والصوائف ،
 وسدّ فروج الشام ومسالحها ، وأخذ يدور بها ، وسمّى ذلك في كل كورة ،
 واستعمل عبد الله بن قيس على السواحل من كل كورة ، وعزل شرحبيل ،
 واستعمل معاوية ، وأمر أبا عبيدة وخالداً تحته ، فقال له شرحبيل : أعنّ

(١) كرايس : جمع كراباس ؛ وهو القطن ؛ وفي اللسان : « وفي حديث عمر رضي
 الله عنه : وعليه قميص من كرايس » . (٢) انجاب : انشق .

سُخْطَةُ عَزَلْتَنِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ : لَا ، إِنَّكَ لَكَمَا أَحَبَّ ، وَلَكِنِّي أُرِيدُ رَجُلًا أَقْوَى مِنْ رَجُلٍ ، قَالَ : نَعَمْ ، فَاعْذُرْنِي فِي النَّاسِ لَا تُدْرِكُنِي هُجْنَةٌ ، فَقَامَ فِي النَّاسِ ، فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنِّي وَاللَّهِ مَا عَزَلْتُ شَرْحِبِيلَ عَنْ سَخْطَةٍ ، وَلَكِنِّي أُرِدْتُ رَجُلًا أَقْوَى مِنْ رَجُلٍ . وَأَمَرَ عَمْرُو بْنُ عَبْسَةَ عَلَى الْأَهْرَاءِ ، وَسَمَّى كُلَّ شَيْءٍ ، ثُمَّ قَامَ فِي النَّاسِ بِالْوَدَّاعِ .

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ ، عَنْ شُعَيْبٍ ، عَنْ سَيْفٍ ، عَنْ أَبِي ضَمْرَةَ وَأَبِي عَمْرٍو ، عَنِ الْمُسْتَوْدِ ، عَنْ عَدِيِّ بْنِ سُهَيْلٍ ، قَالَ : لَمَّا فَرَّغَ عَمْرُو بْنُ فَرْجَةٍ وَأَمُورُهُ قِسْمَ الْمَوَارِيثِ ، فَوَرَّثَ بَعْضُ الْوَرِثَةِ مِنْ بَعْضٍ ، ثُمَّ أَخْرَجَهَا إِلَى ٢٥٢٤/١ الْأَحْيَاءِ مِنْ وَرَثَةِ كُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ .

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ ، عَنْ شُعَيْبٍ ، عَنْ سَيْفٍ ، عَنْ مَجَالِدٍ ، عَنْ الشَّعْبِيِّ : وَخَرَجَ الْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ ^(١) ، فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْهُمْ إِلَّا أَرْبَعَةً ، فَقَالَ الْمُهَاجِرُ بْنُ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ :

مَنْ يَسْكُنُ الشَّامَ يَعْرِضُ بِهِ وَالشَّامُ إِنْ لَمْ يُفْنِ كَارِبُ
أَفْتَى بَنِي رَيْطَةَ فَرَسَانَهُمْ عِشْرُونَ لَمْ يُقْصَصْ لَهُمْ شَارِبُ
وَمِنْ بَنِي أَعْمَامِهِمْ مِثْلُهُمْ لِمِثْلِ هَذَا أُعْجِبَ الْعَاجِبُ
طَعْنَا وَطَاعُونَا مِنْ أَيْهَاتِهِمْ ذَلِكَ مَا خَطَّ لَنَا الْكَاتِبُ

قَالَ : وَقَفَلَ عَمْرُو بْنُ الشَّامِ إِلَى الْمَدِينَةِ فِي ذِي الْحِجَّةِ ، وَخَطَبَ حِينَ أَرَادَ الْقُفُولَ ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، وَقَالَ : أَلَا إِنِّي قَدْ وَلَّيْتُ عَلَيْكُمْ وَقَضَيْتُ الَّذِي عَلَى الَّذِي وَلَا تَقِي اللَّهَ مِنْ أَمْرِكُمْ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ قَسَطْنَا بَيْنَكُمْ فِيمَكُمْ وَمَنَازَلَكُمْ وَمَغَازِيَكُمْ ، وَأَبْلَغْنَا مَا لَدَيْكُمْ ، فَجَنَدْنَا لَكُمْ الْجُنُودَ ، وَهَيَّأْنَا لَكُمْ الْفُرُوجَ ، وَبَوَّأْنَاكُمْ ^(٢) وَوَسَّعْنَا عَلَيْكُمْ مَا بَلَغَ فِيمَكُمْ وَمَا قَاتَلْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ شَأْمِكُمْ ، وَتَمَيَّنَّا لَكُمْ أَطْمَاعَكُمْ ، وَأَمَرْنَا لَكُمْ بِأَعْطِيَاتِكُمْ ^(٣) ، وَأَرَزَقْنَاكُمْ وَمَغَانِمَكُمْ ^(٤)

(١) ابْنُ كَثِيرٍ : « مِنْ أَهْلِهِ » . (٢) ابْنُ كَثِيرٍ : « وَبَوَّأْنَا لَكُمْ » .

(٣) كَذَا فِي ابْنِ كَثِيرٍ ، وَفِي ط : « بِأَعْطَانِكُمْ » .

(٤) كَذَا فِي ابْنِ كَثِيرٍ ، وَفِي ط : « وَمَغَانِمَكُمْ » .

٢٥٢٥/١ فن علم عليم شيء ينبغي العمل به فبلغنا^(١) نعمل به إن شاء الله ، ولا قوة إلا بالله . وحضرت الصلاة ، وقال الناس : لو أمرت بلالا فأذن ! فأمره فأذن ، فما بقي أحد كان أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلال يؤذن له إلا بكى حتى بل لحيته ، وعمر أشد هم بكاء ، وبكى من لم يدركه بيكائهم ، ولد كره صلى الله عليه وسلم .

...

[ذكر خبر عزل خالد بن الوليد]

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي عثمان وأبي حارثة ، قالوا : فما زال خالد على قنسرين حتى غزا غزواته التي أصاب فيها ، وقسم فيها ما أصاب لنفسه .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي المجالد مثله . قالوا : وبلغ عمر أن خالداً دخل الحمام ، فتدلك بعد النورة بشخين عصفور معجون بخمر ، فكتب إليه : بلغني أنك تدلك بخمر ، وإن الله قد حرم ظاهر الخمر وباطنه ، كما حرم ظاهر الإثم وباطنه ، وقد حرم مس الخمر إلا أن تغسل كما حرم شربها ، فلا تمسها أجسادكم فإنها نجس ، وإن فعلتم فلا تعودوا .

فكتب إليه خالد : إننا قتلناها فعادت غسولاً غير خمر . فكتب إليه عمر : إنني أظن آل المغيرة قد ابتلوا بالخفاء ، فلا أمانكم الله عليه ! فأنهى إليه ذلك .

...

وفي هذه السنة - أعني سنة سبع عشرة - أدرب^(٢) خالد بن الوليد وعياض ابن غنم في رواية سيف عن شيوخه .

(١) ابن كثير : « فليعلمنا » .

(٢) الأدرب في الأصل : المضيق في الجبال ؛ وأطلق على كل مدخل إلى بلاد الروم .

• ذكر من قال ذلك :

٢٥٢٦/١ كُتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي عثمان وأبي حارثة والمهلب ، قالوا : وأدرب سنة سبع عشرة خالد وعياض ، فساروا فأصابوا أموالاً عظيمة ، وكانوا توجّتها من الجابية ، مرجع عمر إلى المدينة ، وعلى حمص أبو عبيدة وخالد تحت يديه على قنّسرين ، وعلى دمشق يزيد بن أبي سفيان ، وعلى الأردن معاوية ، وعلى فلسطين علقمة بن مجرز ، وعلى الأحرار عمرو ابن عبّسة ، وعلى السواحل عبد الله بن قيس ، وعلى كلّ عمل عامل . فقامت مسالح الشام ومصر والعراق على ذلك إلى اليوم لم تتجزّ أمة إلى أخرى عملها بعد ؛ إلا أن يقتحموا عليهم بعد كفر منهم ، فيقتدوا مسالحهم بعد ذلك ، فاعتدل ذلك سنة سبع عشرة .

كُتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي المجالد وأبي عثمان والربيع وأبي حارثة ، قالوا : ولما قتل خالد وبلغ الناس ما أصابت تلك الصائفة انتجعهم رجال ، فانتجع خالداً رجالاً من أهل الآفاق ، فكان الأشعث بن قيس ممن انتجع خالداً بقنّسرين ، فأجازه بعشرة آلاف . وكان عمر لا يخفّى عليه شيء في عمله ، كُتب إليه من العراق بخروج من خرج ، ومن الشام بجائزة من أجزيت فيها - فدعا البريد ، وكتب معه إلى أبي عبيدة أن يقيم خالداً ويعقله بعمامته ، ويتزّ عنه قلنسوته حتى يعلمهم من أين إجازة الأشعث ، أمن ماله أم من إصابة أصابها ؟ فإن زعم أنها من إصابة أصابها فقد أقرّ بخيانة ، وإن زعم أنها من ماله فقد أسرف .

٢٥٢٧/١ واعزله على كلّ حال ، واضم إليه عمله . فكتب أبو عبيدة إلى خالد ، فقدم عليه ، ثم جمع الناس وجلس لهم على المنبر ، فقام البريد فقال : يا خالد ، أمن مالك أجزت بعشرة آلاف أم من إصابة ؟ فلم يجبه حتى أكثر عليه ، وأبو عبيدة ساكت لا يقول شيئاً ، فقام بلال إليه ، فقال : إن أمير المؤمنين أمر فيك بكذا وكذا ، ثم تناول قلنسوته فعقله بعمامته وقال : ماتقول ! أمن مالك أم من إصابة ؟ قال : لا بل من مالى ، فأطلقه وأعاد قلنسوته ثم عمّمه بيده ، ثم قال : نسع ونطيع لولاتنا ، ونفخّم ونخدم موالينا . قالوا : وأقام خالد متحيراً ألا يدري أمعزول

أم غير معزول ؟ وجعل أبو عبيدة لا يخبره حتى إذا طال على عمر أن يقدم ظنّ الذي قد كان ، فكتب إليه بالإقبال ، فأتى خالد أبا عبيدة ، فقال : رحمك الله ، ما أردت إلى ما صنعت ! كتمتني أمراً كنت أحب أن أعلمه قبل اليوم ! فقال أبو عبيدة : إني والله ما كنت لأرورك ما وجدت لذلك بدءاً ، وقد علمت أن ذلك يرورك . قال : فرجع خالد إلى قنسرين ، فخطب أهل عمله وودّعهم وتحمل ، ثم أقبل إلى حمص فخطبهم وودّعهم ، ثم خرج نحو المدينة حتى قدم على عمر ، فشكاه وقال : لقد شكوتك إلى المسلمين ، وبالله إنك في أمرى غير مجمل يا عمر ، فقال عمر : من أين هذا الشراء ؟ قال : من الأنفال والسُّهْمَانِ ، ما زاد على الستين ألفاً فلك . فقوم عمر عروضة فخرجت إليه عشرون ألفاً ، فأدخلها بيت المال . ثم قال : يا خالد ، والله إنك على لكريم ، وإنك إلى لحبيب ، ولن تعانيني بعد اليوم على شيء .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عبد الله بن المستورد ، عن أبيه ، عن عدى بن سهيل ، قال : كتب عمر إلى الأمصار : إني لم أعزل خالدًا عن سُخْطَةٍ ولا خِيَانَةٍ ، ولكنّ الناس فتِنُوا به ، فخفت أن يُوكَلُوا إليه ويبتكروا به ، فأحببت أن يعلموا أن الله هو الصانع ، وألا يكونوا بعرض فتنة .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن مبشر ، عن سالم ، قال : لما قدم خالد على عمر قال عمر متمثلاً :

صَنَعْتَ فَلَمْ يَصْنَعْ كَصْنَعِكَ صَانِعٌ وَمَا يَصْنَعُ الْأَقْوَامُ فَاللَّهُ يَصْنَعُ فَأَغْرَمَهُ شَيْئًا ، ثُمَّ عَوَّضَهُ ، وَكَتَبَ فِيهِ إِلَى النَّاسِ بِهَذَا الْكِتَابِ لِيَعْلَمُوا أَنَّهُمْ وَلِيَبْصُرَهُمْ .

• • •

[ذكر تجديد المسجد الحرام والتوسعة فيه]

وفي هذه السنة - أثنى سنة سبع عشرة - اعتمر عمر ، وبني المسجد الحرام - فيما زعم الواقدي - ووسع فيه ، وأقام بمكة عشرين ليلة ، وهدم على أقوام أبوا أن يبيعوا ، ووضع أثمان دورهم في بيت المال حتى أخذوها .

قال : وكان ذلك الشهر الذي اعتمر فيه رجب ، وخلف على المدينة زيد بن ثابت .

قال الواقدي : وفي عمرته هذه أمر بتجديد أنصاب الحرم ، فأمر بذلك مخزومة بن نوفل والأزهر بن عبد عوف وحويط بن عبد العزى وسعيد بن يربوع .

قال : وحدثنني كثير بن عبد الله المزني ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال : ٢٥٢٩/١
قدمنا مع عمر مكة في عمرته سنة سبع عشرة ، فرّ بالطريق فكلّمه أهل المياه أن يبتنوا منازل بين مكة والمدينة — ولم يكن قبل ذلك بناء — فأذن لهم ، وشرط عليهم أن ابن السبيل أحقّ بالظلّ والماء .

• • •

قال : وفيها تزوّج عمر بن الخطاب أمّ كلثوم ابنة عليّ بن أبي طالب ، وهي ابنة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودخل بها في ذى القعدة .

[ذكر خبر عزل المغيرة عن البصرة وولاية أبي موسى]

قال : وفي هذه السنة ولّى عمر أبا موسى البصرة ، وأمره أن يُشخّص إليه المغيرة في ربيع الأول — فشهد عليه — فيما حدّثنني معمر ، عن الزهري ، عن ابن المسيّب — أبو بكرّة ، وشبيل بن معبد البجليّ ، ونافع بن كلّدة ، وزباد .

قال : وحدّثنني محمد بن يعقوب بن عُتبة ، عن أبيه ، قال : كان يختلف إلى أمّ جميل ، امرأة من بني هلال ، وكان لها زوّج هلك قبل ذلك من ثقيف ، يقال له الحجاج بن عبّيد ، فكان يدخل عليها ، فبلغ ذلك أهل البصرة ، فأعظموه ، فخرج المغيرة يوماً من الأيام حتى دخل عليها ، وقد وضعوا عليها الرصد ، فانطلق القوم الذين شهدوا جميعاً ، فكشفوا السرّ ،

وقد واقعها . فوفد^(١) أبو بكرّة إلى عمر ، فسمع صوته وبينه وبينه حجاب ، ٢٥٣٠/١
فقال : أبو بكرّة ؟ قال : نعم ، قال : لقد جئت لشرّ ، قال : إنما جاء بي المغيرة ، ثم قصّ عليه انقصة ، فبعث عمر أبا موسى الأشعريّ عاملاً ، وأمره

(١) ط : « فكتب » وانظر اليعقوبي ٢ : ١٢٤

أن يبعث إليه المغيرة ، فأهدى المغيرة لأبي موسى حقيبةً ، وقال : إني رضىبتها لك ، فبعث أبو موسى بالمغيرة إلى عمر .

قال الواقدي : وحدثنى عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن محمد ابن عمرو بن حزم ، عن أبيه ، عن مالك بن أوس بن الحَدَثَان ، قال : حضرتُ عمر حين قُدِّمَ بالمغيرة ، وقد تزوج امرأة من بنى مرة ، فقال له : إنك لفارغ القلب ، طويل الشَّبَق ، فسمعتُ عمر يسأل عن المرأة . فقال : يقال لها الرقطاء ، وزوجها من ثقيف ، وهو من بنى هلال .

• • •

قال أبو جعفر : وكان سبب ما كان بين أبي بكرٍ والشهادة عليه — فيما كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد والمهلب وطلحة وعمر وياسنادهم ، قالوا : كان الذي حدث بين أبي بكرٍ والمغيرة بن شعبة أن المغيرة كان يناغيه ، وكان أبو بكرٍ ينافره عند كل ما يكون منه ، وكانا بالبصرة ، وكانا متجاورين بينهما طريق ، وكانا في مشربتين متقابلتين لهما في داريهما في كل واحدة منهما كوة مقابلة الأخرى ، فاجتمع إلى أبي بكرٍ نفرٌ يتحدثون في مشربته ، فهبت ريح^(١) ، ففتحت باب الكوة ، فقام أبو بكرٍ ليصفقه ، فبصر بالمغيرة ، وقد فتحت الريح باب كوة مشربته ، وهو بين رجلتي امرأة ، فقال للنفر : قوموا فانظروا ، فقاموا فنظروا ، ثم قال : اشهدوا ، قالوا : من هذه ؟ قال : أم جميل ابنة الأفقم — وكانت أم جميل إحدى بنى عامر بن صعصعة ، وكانت غاشيةً للمغيرة ، وتغشى الأمراء والأشراف — وكان بعض النساء يفعلن ذلك في زمانها — فقالوا : إنما رأينا أعجازاً ، ولا ندري ما الوجه ؟ ثم لأنهم صمتموا حين قامت ، فلما خرج المغيرة إلى الصلاة حال أبو بكرٍ بينه وبين الصلاة وقال : لا تصل بنا . فكتبوا إلى عمر بذلك ، وتكاتبوا ، فبعث عمر إلى أبي موسى ، فقال : يا أبا موسى ، إني مستعمالك ؛ إني أبعثك إلى أرض قد باض بها الشيطان وفرخ ، فالزم ما تعرف ، ولا تستبدل فيستبدل الله بك . فقال : يا أمير المؤمنين ،

(١) ابن الأثير والنويري : «الريح» .

أعنتى بعدة من أصحاب رسول الله من المهاجرين والأنصار ، فإنتى وجدتهم في هذه الأمة وهذه الأعمال كالمالح لا يصلح الطعام إلاّ به . فاستعين بمن أحببت . فاستعان بتسعة وعشرين رجلاً ؛ منهم أنس بن مالك وعمران بن حصّين وهشام بن عامر . ثمّ خرج أبو موسى فيهم حتى أناخ بالمربد ، وبلغ المغيرة أنّ أبا موسى قد أناخ بالمربد فقال : والله ما جاء أبو موسى زائراً ، ولا تاجراً ، وإنّك جاء أميراً . فإنتهم لى ذلك ، إذ جاء أبو موسى حتى دخل عليهم ، فدفع إليه أبو موسى كتاباً من عمر ، وإنه لأوجز كتاب كتّبه به أحد من الناس ؛ أربع كلم عزل فيها ، وعاتب ، واستحث ، وأمر : أما بعد ، فإنه بلغنى نبأ عظيم ، فبعثت أبا موسى أميراً ، فسلم [إليه] ^(١) ما في يدك ^(٢) ، والعجل . وكتب إلى أهل البصرة : أمّا بعد ، فإنى قد بعثت أبا موسى أميراً عليكم ، ليأخذ لضعيفكم من قوئكم ، وليقاتل بكم عدوكم ، وليدفع عن ذمتكم ^(٣) ، وليحصى لكم فيثكم ثمّ ليقسمه بينكم ، ولينفى لكم طرقكم ^(٤) .

وأهدى له المغيرة وليدة من مولدات الطائف تدعى عقيلة ، وقال : إنى قد رضيتها لك - وكانت فارهة - وارتحل المغيرة وأبو بكره ونافع بن كلدة وزباد وشيبل بن معبد البجليّ حتى قدّما على عمر ، فجمع بينهم وبين المغيرة ، فقال المغيرة : سل هؤلاء الأعبد كيف رأوتى ؛ مستقبلهم أو مستدبرهم ؟ وكيف رأوا المرأة أو عرفوها ؟ فإن كانوا مستقبلين فكيف لم أستتر ^(٥) ، أو مستدبرين فبأى شيء استحلوا النظر إلىّ فى منزلى على امرأتى ! والله ما أتيت إلاّ امرأتى - وكانت شبهها ^(٦) - فبدأ بأبى بكره ، فشهد عليه أنه رآه بين رجلى أمّ جميل وهو يدخله ويخرجه كالميل فى المكحلة ، قال : ٢٥٣٢/١ كيف رأيتهما؟ قال مستدبرهما ، قال : فكيف استبنت ^(٧) رأسها؟ قال : تحاملت . ثمّ دعا بشيبل بن معبد ، فشهد بمثل ذلك ، فقال : استدبرتهما أو استقبلتهما؟

(١) من ابن الأثير والنويرى . (٢) من ، ابن الأثير : « يدك » .

(٣) ابن الأثير : « دينكم » . (٤) ابن الأثير : « طريقكم » .

(٥) ابن كثير : « لم يستروا » .

(٦) ابن الأثير وابن كثير والنويرى : « تشبها » . (٧) من : « استبنت » .

قال : استقبلتُهما . وشهد ناخِع بمثل شهادة أبي بكرة ، ولم يشهد زياد بمثل
شهادتهم ؛ قال : رأيته جالساً بين رجلَي امرأة ، فرأيت قدمين مخضوبتين
تخفِقان ، واستين مكشوفتين ، وسمعت حَفَزَانًا شديداً . قال : هل رأيت
كالميل في المكحلة ؟ قال : لا ، قال : فهل تعرف المرأة ؟ قال : لا ،
ولكن أشبهها ، قال : ففتح ، وأمر بالثلاثة فجلدوا الحد ، وقرأ : ﴿ فَإِذَا لَمْ
يَأْتُوا بِالشَّهْدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾ ^(١) ، فقال المغيرة :
اشفني من الأعبء ، فقال : اسكت أسكت الله نأمتك ! أما والله لو تمت
الشهادة لرجعتك بأحجارك .

• • •

[فتح سوق الأهواز ومناذر ونهر تيرى]

وفي هذه السنة — أعني سنة سبع عشرة — فتحت سوق الأهواز ومناذر ونهر
تيرى في قول بعضهم ، وفي قول آخرين : كان ذلك في سنة ست عشرة من الهجرة . ٢٥٣٤/١
• ذكر الخبر عن سبب فتح ذلك وعلى يدي من جرى :

كتب إلى المرى ، يذكر أن شعبياً حدثه عن سيف بن عمر ،
عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو ، قالوا : كان المُرْزَان أحد البيوتات السبعة
في أهل فارس ، وكانت أمته مهْرَجَان قَدْ قَوَّ وَكُور الأهواز ، فهؤلاء
بيوتات دون سائر أهل فارس ، فلما انهزم يوم القادسية كان وجهه إلى أمته ،
فلحهم وقاتل بهم من أرادهم ، فكان المُرْزَان يُغِير على أهل مَيْسَانَ
وَدَسْتَمَيْسَانَ من وجهين ، من مَنَازِر ونهر تيرى ، فاستمدَّ عتبة بن غزوان
سعداً ، فأمدّه سعد بنعيم بن مُقَرَّن ونعيم بن مسعود ، وأمرها أن يأتيا أعلى
مَيْسَانَ وَدَسْتَمَيْسَانَ حتى يكونا بينهما وبين نهر تيرى . وجه عتبة
ابن غزوان سُلَمَى بن القيس وحرملة بن مُرَيْطَة — وكانا من المهاجرين
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهما من بني العدوية من بني حنظلة —
فترلا على حدود أرض مَيْسَانَ وَدَسْتَمَيْسَانَ ، بينهم وبين مَنَازِر ، ودعوا

بنو العَمِ ، فخرج إليهم غالب الوائليّ وكليب بن وائل الكلبيّ ، فتركا
نُعَيْمًا ونُعَيْمًا^(١) ونكبا عنهما ، وأتيا سُلَيمَى وحَرَمَلَةَ ، وقالا : أنثامن العشيرة ،
وليس لكما مَشْرَكٌ ؛ فإذا كان يوم كذا وكذا فانهدا للهزمزان ، فإنّ أحدنا يثور
بمناذر والآخر بنهر تيرى ؛ فنقتل المقاتلة ، ثم يكون وجهنا إليكم ، فليس
دون الهزمزان شيء إن شاء الله . ورجعّا وقد استجابا واستجاب قومهما
بنو العَمِ بن مالك .

قال : وكان من حديث العَمِسيّ ؛ والعَمِسيّ مرّة بن مالك بن حنظلة بن
مالك بن زيد مناة بن تميم — أنه تَنَخَّضَتْ^(٢) عليه وعلى العُصَيَّة بن امرئ
القيس أفناء معدّة فعمّاه عن الرشد من لم ير نصره فارس على آل أردوان ،
فقال في ذلك كعب بن مالك أخوه — ويقال : صُدِيَ بن مالك :

لَقَدْ عَمَّ عَنْهَا مَرَّةٌ الْخَيْرِ فَانصَمَى وَصَمَّ فَلَمْ يَسْمَعْ دُعَاءَ الْعَشَائِرِ
لِيَتَنَخَّ عَنْ رَغْبَةٍ عَنْ بِلَادِهِ وَيَطْلُبَ مُلْكًا عَالِيًّا فِي الْأَسَاوِرِ
فهذا البيت سمي العَمِ ؛ فقليل بنو العَمِ ؛ وعمّوه عن الصواب بنصره أهل
فارس كقول الله تبارك وتعالى : ﴿ عَمُوا وَصَمُوا ﴾^(٣) ؛ وقال يربوع بن مالك :

لَقَدْ عَلِمْتُ عَلِيًّا مَعَدًّا بِأَنْتَا غَدَاةَ التَّبَاهِي غُرُّ ذَاكَ التَّبَادُرِ
تَنَخَّنَا عَلَى رَغَمِ الْعُدَاةِ وَلَمْ نُنَخَّ بِحَى تَمِيمٍ وَالْعَدِيدِ الْجُمَاهِرِ^(٤)
نَفِينَا عَنِ الْقُرْسِ النَّبِيطِ فَلَمْ يَزَلْ لَنَا فِيهِمْ إِحْدَى الْهَنَاتِ الْبَهَاتِرِ
إِذَا الْعَرَبُ الْعَلِيَاءُ جَاشَتْ بِحُورُهَا فَخَرْنَا عَلَى كُلِّ الْبُحُورِ الزُّوَاحِرِ

وقال أيّوب بن العُصَيَّة بن امرئ القيس :

لَنَحْنُ سَبَقْنَا بِالتَّنُوءِ الْقَبَائِلَا وَعَمْدًا تَنَخَّنَا حَيْثُ جَاءُوا قَنَابِلَا^(٥)
وَكُنَّا مُلُوكًا قَدْ عَزَزْنَا الْأَوَانِلَا وَفِي كُلِّ قَرْنٍ قَدْ مَلَكْنَا الْحَلَالِلَا

(١) يريد نعيم بن مقرن ونعيم بن مسعود . (٢) تنخت : اجتمعت .

(٣) سورة المائدة ٧١ . (٤) نخب : نجتمع .

(٥) قنابل ، أى جماعات .

٢٥٣٧/١

فلما كانت تلك الليلة ليلة الموعد من (١) سُلَمَى وحرملة وغالب وكُليب ،
والهُرمزان يومئذ بين نهر تيرى بين دُلُث ، خرج سُلَمَى وحرملة صبيحتهما
في تعبئة ، وأنهما نُعِمَا ونُعِمَا فالتقوا هم والهُرمزان بين دُلُث ونهر تيرى ، وسُلَمَى
ابن القيسين على أهل البصرة ، ونُعِم بن مقرن على أهل الكوفة . فاقتتلوا فينأهم
في ذلك أقبل المدد من قبيل غالب وكُليب ، وأتى الهمزان الخبر بأن مَسَاذِر
ونهر تيرى قد أخذتا ، فكسر الله في ذرعه وذرع جنده ، وهزمه وإيأهم ،
فقتلوا منهم ما شاءوا ، وأصابوا منهم ما شاءوا ، وأتبعوهم حتى وقفوا على شاطئ
دُجَيْل ، وأخذوا ما دونه ، وعسكروا بحيال سوق الأهواز ، وقد عبر الهمزان
جسر سوق الأهواز ، وأقام بها ، وصار دُجَيْل بين الهمزان وحرملة وسُلَمَى
ونُعِم ونُعِم وغالب وكُليب .

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عبد الله بن المغيرة .
العبدى ، عن رجل من عبد القيس يدعى ضحاراً ، قال : قدمت على هَرَم
ابن حيان — فيما بين الدلوث ودجيل — بجلال (٢) من تمر ، وكان لا يصبر
عنه ، وكان جلّ زاده إذا تزود التمر ، فإذا فنى انتخب له مزود من جلال
وهم ينفرون فيحملها فيأكلها ويطعمها حيثما كان من سهل أو جبل .
قالوا : ولما دهم القوم الهمزان ونزلوا بحiale من الأهواز رأى ما لا طاقة له به ،
فطلب الصلح ، فكتبوا إلى عتبة بذلك يستأمرونه فيه ، وكتبه الهمزان ، فأجاب
عتبة إلى ذلك على الأهواز كلها ومِهْرَجَان قنذق ، ما خلا نهر تيرى
ومَسَاذِر ، وما غلبوا عليه من سوق الأهواز ، فإنه لا يردّ عليهم ما تنقذنا .
وجعل سُلَمَى بن القيسين على مَسَاذِر مسلحة وأمرها إلى غالب ، وحرملة
على نهر تيرى وأمرها إلى كليب ، فكانا على مسالحي البصرة وقد هاجرت
طوائف بنى العَم ، فنزلوا منازلهم من البصرة ، وجعلوا يتتبعون على ذلك ،
وقد كتب بذلك عتبة إلى عمر ، ووقد وفد منهم سُلَمَى ، وأمره أن يستخلف
على عمله ، وحرملة — وكانا من الصحابة — وغالب وكُليب ، ووقد وفود من البصرة

٢٥٣٨/١

(٢) الجلال : جمع جلة ؛ وهى القفة الكبيرة يوضع

(١) ابن الأثير : « بين » .

فيها التمر .

يومئذ ، فأمرهم أن يرفعوا حوائجهم ، فكلّهم قال : أما العامة فأنت صاحبها ، ولم يبق إلا خواصّ أنفسنا ، فطلبوا لأنفسهم ، إلا ما كان من الإحنف ابن قيس ، فإنه قال : يا أمير المؤمنين ؛ إنك ^(١) لكما ذكروا ، ولقد يعزب ^(٢) عنك ما يحقّ علينا لإنهاؤه إليك مما فيه ^(٣) صلاح العامة ، وإنما ينظر الوالى ^{٢٥٣٩/١} فيما غاب عنه بأعين أهل الخبر ، ويسمع بأذانهم ، وإنّا لم نزل نزل منزلاً بعد منزل حتى أرزنا إلى البرّ ، وإنّ لإخواننا من أهل الكوفة نزلوا فى مثل حدقة ^(٤) البعير الغاسقة ؛ من العيون العذاب ، وإلحان الخصاب ، فتأتيهم ثمارهم ولم تُخضد ، وإنّا معشر أهل البصرة نزلنا سبّخة ^(٥) هَشاشة ^(٦) ، زعقة ^(٧) نَشاشة ^(٨) ، طَرَف لها فى الفلاة وطَرَف لها فى البحر الأجاج ، يجرى إليها ما جرى فى مثل مَرىء النعامة . دارنا فعمّة ، ووظيفتنا ضبيقة ، وعددنا كثير ، وأشرافنا قليل ، وأهل البلاء فىنا كثير ، ودرهمنا كبير ، وقفيزنا صغير ، وقد وسّع الله علينا ، وزادنا فى أرضنا ، فوسّع علينا يا أمير المؤمنين ، وزدنا وظيفة توظّف علينا ، ونعيش بها . فنظر إلى منازلهم التى كانوا بها إلى أن صاروا ^(٩) إلى الحجر فنقلهموه وأقطعهموه ، وكان مما كان ^(١٠) لآل كسرى ، فصار فينا فيما بين دجلة والحجر ، فاقسموه ، وكان سائر ما كان لآل كسرى فى أرض ^{٢٥٤٠/١} البصرة على حال ما كان فى أرض الكوفة يُستزلونه من أحبوا ، ويقتسمونه بينهم ؛ لا يستأثرون به على بدء ولا نثنى ، بعدما يرفعون خمسهم إلى الوالى . فكانت قطائع أهل البصرة نصفين : نصفها مقسوم ، ونصفها متروك للعسكر وللأجتماع ؛ وكان أصحاب الألفين ممن شهد القادسية . ثم أتى البصرة مع عتبة خمسة آلاف ، وكانوا بالكوفة ثلاثين ألفاً ، فألحق عمر أعدادهم من أهل البصرة من أهل البلاء فى الألفين حتى ساوهم بهم ، ألحق جميع من شهد الأهواز . ثم قال : هذا الغلام سيد أهل البصرة ، وكتب إلى عتبة فيه بأن يسمع منه

(١) ابن حبّيش : « إنه » . (٢) ابن الأثير : « تغرب » .

(٣) س : « ما فيه » . (٤) يقال : نزلوا فى مثل حدقة البعير ، أى نزلوا فى خصب ودعة .

(٥) السبخة : أرض ذات ملح . (٦) هشاشة : لينّة .

(٧) زعقة ، أى ماؤها مر .

(٨) يقال : سبخة نَشاشة ونَشناشة ؛ ولا يحف ثراها ولا ينبت مرعاها .

(٩) ابن الأثير : « صاروا منه » . (١٠) س : « ما كان » .

ويشرب برأيه ، وردّ سُلَمَى وحرَملة وغالبًا وكليبا إلى مَنَازِر ونهر تيرى ، فكانوا عُدّة فيه لكون إن كان ، ولتميَزوا خراجها .

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو ، قالوا : بينا الناس من أهل البصرة وذمتهم على ذلك وقع بين الهرمزان وبين غالب وكليب في حدود الأرضين اختلاف وادّعاء ، فحضر ذلك سُلَمَى وحرَملة لينظرا فيما بينهم ، فوجدا غالبًا وكليبيًا محقّقين والهرمزان مبطلا ، فحالا بينه وبينهما ، فكفر الهرمزان أيضًا ومنع ما قبله ، واستعان بالأكراد ، فكشّف جنده ^(١) . وكتب سُلَمَى وحرَملة وغالب وكليب ببغى الهرمزان وظلمه وكفّره إلى عتبة بن غزّوان ، فكتب بذلك إلى عمر ، فكتب إليه عمر يأمره بأمره ^(٢) ، وأمدّهم عمر بحرقوص بن زهير السعدى ، وكانت له صحبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمّره على القتال وعلى ما غلب عليه . فنهّد الهرمزان بمَن معه وسُلَمَى وحرَملة وغالب وكليب ، حتى إذا انتهوا إلى جسر سوق الأهواز أرسلوا إلى الهرمزان : إمّا أن تعبروا إلينا وإمّا أن نعبر إليكم ، فقال : اعبروا إلينا ، فعبروا من فوق الجسر ، فاقتتلوا فوق الجسر ممّا يلي سوق الأهواز ، حتى هزم الهرمزان وجهه نحو رامهرمز ، فأخذ على قنطرة أربك بقرية الشفّر حتى حلّ برامهرمز ، وافتتح حرقوص سوق الأهواز ، فأقام بها ونزل الجبل ، واتّسقت له بلاد سوق الأهواز إلى تُسْتَر ، ووضع الجزية ، وكتب بالفتح والأخماس إلى عمر ، ووفّد وفداً بذلك ، فحمد الله ، ودعا له بالثبات والزيادة . وقال الأسود بن سريّع في ذلك - وكانت له صحبة :

لَعَمْرُكَ مَا أَضَاعَ بَنُو آيِنَا وَلَكِنْ حَافَظُوا فِيمَنْ يُطِيعُ
أَطَاعُوا رَبَّهُمْ وَعَصَاهُ قَوْمُ أَضَاعُوا أَمْرَهُ فِيمَنْ يُضِيعُ
مَجُوسٌ لَا يُنَبِّهُهُمَا كِتَابُ فَلَا قُوا كِبَةً فِيهَا قُبُوعُ
وَوَلَّى الْهَرْمَزَانَ عَلَى جَوَادٍ سَرِيعٍ الشَّدَّ يَنْفِثُهُ الْجَمِيعُ

(٢) ابن حبّيش وابن الأثير والنويرى : « بقصده » .

(١) س : « جمعه » .

وَنَلَى سُرَّةَ الْأَهْوَازِ كَرْهًا غَدَاةَ الْجَيْسِرِ إِذْ نَجَّمَ الرَّيَّعُ
وَقَالَ حَرْقُوصُ :

غَلَبْنَا الْهَرَمَزَانَ عَلَى بِلَادِهِ لَهَا فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ ذَخَائِرُ
سِوَا بَرِّهِمْ وَالْبَحْرِ فِيهَا إِذَا صَارَتْ نَوَاجِبُهَا بَوَاكِرُ
لَهَا بِحَرِّ يَبْعُجُ بِجَانِبَيْهِ جَعْفَرُ لَا يَزَالُ لَهَا زَوَاخِرُ

• • •

[فَتَحَ تُسْتَرَ]

وفيهما فتحت تُسْتَرٌ في قول سيف وروايته - أعني سنة سبع عشرة -
وقال بعضهم : فتحت سنة ست عشرة ، وبعضهم يقول : في سنة تسع
عشرة .

• ذكر الخبر عن فتحها :

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة والمهلب
وعمر ، قالوا : لما انهزم الهرمزان يوم سوق الأهواز ، وافتتح حرقوص بن
زهير سوق الأهواز ، أقام بها ، وبعث جزءً بن معاوية في أثره بأمر عمر إلى
سُرِّق ، وقد كان عهد إليه فيه : إن فتح الله عليهم أن يتبعه جزءاً ، ويكون
وجهه إلى سُرِّق . فخرج جزء في أثر الهرمزان ، والهرمزان متوجه إلى رامهرمز
هارباً ، فما زال يقتلهم حتى انتهى إلى قرية الشَّغَر ، وأعجزه بها الهرمزان ؛
فال جزء إلى دورق من قرية الشَّغَر ، وهي شاذرة برجلها - ودورق مدينة
سُرِّق فيها قوم لا يطيقون منعها - فأخذها صافية ، وكتب إلى عمر بذلك
وإلى عتبة ، وبدعائه من هرب إلى الجزاء والمنعة ، وإجابتهم إلى ذلك .
فكتب عمر إلى جزء بن معاوية وإلى حرقوص بن زهير بلزوم ما غلبا عليه ،
وبالمقام حتى يأتيهما أمره ، وكتب إليه مع عتبة بذلك ، ففعلوا واستأذن
جزء في عمران بلاده عمر ، فأذن له ، فشق الأنهار ، وعمر الموات . ولما

(١) س والنويري : « فأعجزه » ، ابن حيش : « وأعجزهم » .

نزل الهرمزان رامهرمز وضاعت عليه الأهواز والمسلمون حلالاً فيها فيما بين يديه ، طلب الصلح ، وراسل حرقوصاً وجزءاً في ذلك ، فكتب فيه حرقوص إلى عمر ، فكتب إليه عمر وإلى عتبة ، يأمره أن يقبل منه على ما لم يفتحوا منها على رامهرمز وتستر السوس وجندى سابور ، والبُنيان ومِهْرَجَا نَقْدَق ، فأجابهم إلى ذلك ، فأقام أمراء الأهواز على ما أسند إليهم ، وأقام الهرمزان على صلحه يحبى إليهم ويمنعونه ، وإن غاوزه أكراد فارس أعانوه وذبوا عنه . وكتب عمر إلى عتبة أن أوفد^(١) على وفد من صلحاء جند البصرة عشرة^(٢) ، فوفد إلى عمر عشرة ، فيهم الأحنف . فلما قدم على عمر قال : إنك عندى مصدق ، وقد رأيتك رجلاً ، فأخبرنى أن ظلمت الذمة ، أنظمت نفروا أم لغير ذلك ؟ فقال : لا بل لغير مظلمة ، والناس على ما تحب . قال : فنعم إذا ! انصرفوا إلى رجالكم . فانصرف الوفد إلى رجالهم ، فنظر في ثيابهم فوجد ثوباً قد خرج طرفه من عيبة فشمته ، ثم قال : لمن هذا الثوب منكم ؟ قال الأحنف : لى ، قال : فبكم أخذته ؟ فذكر ثمناً يسيراً ، ثمانية أو نحوها ، ونقص مما كان أخذه به — وكان قد أخذه باثني عشر — قال : فهلاً بدون هذا ، ووضعت فضيلته موضعاً تغنى به مسلماً ! حصوا^(٣) وضعوا الفضول مواضعها تريحوا أنفسهم وأموالكم ، ولا تسرفوا فتخسروا أنفسكم وأموالكم ، إن نظر امرؤ لنفسه وقدّم لها يُخْلَفَ له . وكتب عمر إلى عتبة أن أعزب الناس عن الظلم ، واتقوا واحذروا أن يدال عليكم لغير يكون منكم أو بغى ، فإنكم إنما أدركتم بالله ما أدركتم على عهد عاهدكم عليه ، وقد تقدّم إليكم^(٤) فيما أخذ عليكم . فأوفوا بعهد الله ، وقوموا على أمره يكن لكم عوناً وناصراً .

وبلغ عمر أن حرقوصاً نزل جبل الأهواز والناس يختلفون إليه ، والجبل كثود يشق على من رامه . فكتب إليه : بلغنى أنك نزلت منزلاً كثوداً لا تؤق فيهِ إلا على مشقة ، فأسهل ولا تشق على مسلم ولا معاهد ، وقم في أمرك على رجل تترك الآخرة وتصف لك الدنيا ، ولا تتركك فترة ولا عجلة ، فتكدر دنياك ، وتذهب آخرتك .

(٢) ابن حبيش : « عشرة نفر » .

(١) ابن حبيش : « وفد » .

(٤) ابن حبيش : « عليكم » .

(٣) حص الشيء : جعله حصصاً .

ثم إن حرقوصاً تحرّر يوم صيفين وبقى على ذلك ، وشهد النهروان مع الحرورية .

• • •

[غزو المسلمين فارس من قبل البحرين]

وفي هذه السنة — أعني سنة سبع عشرة — غزا المسلمون أرض فارس من قبل البحرين فيما زعم سيف ورواه .
• ذكر الخبر بذلك :

كتب إلى السري ، يقول : حدثنا شعيب ، قال : حدثنا سيف ، عن محمد والمهلب وعمر ، قالوا : كان المسلمون بالبصرة وأرضها — وأرضها يومئذ سوادها ، والأهواز على ما هم عليه إلى ذلك اليوم ، ما غلبوا عليه منها في أيديهم ، وما صلحوا عليه منها في أيدي أهلها ، يؤدون الخراج ولا يدخل عليهم ، ولم الذمة والمنعة — وعميد الصلح الهرمزان . وقد قال عمر : حسبنا لأهل البصرة سوادهم والأهواز ، وددت أن بيننا وبين فارس جبلا من نار لا يصلون إلينا منه ولا نصل إليهم ، كما قال لأهل الكوفة : وددت أن بينهم وبين الجبل جبلا من نار لا يصلون إلينا منه ، ولا نصل إليهم .

وكان العلاء بن الحضرمي على البحرين أزمان أبي بكر ، فعزله ٢٥٤٦/١ عمر ، وجعل قدامة بن المظعون مكانه ، ثم عزل قدامة وردّ العلاء ، وكان العلاء يباري سعداً لصدع صدعه القضاء بينهما ، فطار العلاء على سعد في الردة بالفضل ؛ فلما ظفر سعد بالقادسية ، وأزاح الأكاسرة عن الدار ، وأخذ حدود ما يلي السواد ، واستعلى ، وجاء بأعظم مما كان العلاء جاء به ، سرّ العلاء أن يصنع شيئاً في الأعاجم ، فرجا أن يُدال كما قد كان أديل ، ولم يقدر العلاء ولم ينظر فيما بين فضل الطاعة والمعصية يجده ، وكان أبو بكر قد استعمله ، وأذن له في قتال أهل الردة ، واستعمله عمر ، ونهاه عن البحر ، فلم يقدر في الطاعة والمعصية وعواقبهما ، فندب أهل البحرين إلى فارس ، فتمسّروا إلى ذلك ، وفرّقهم أجناداً ؛ على أحدهما

الجارود بن المعلّى ، وعلى الآخر السّوّار بن همام ، وعلى الآخر خُلَيْد بن المنذر بن ساوى ؛ وخُلَيْد على جماعة الناس ، فحملهم في البحر إلى فارس بغير إذن عمر ، وكان عم لا يأذن لأحد في ركوبه غازياً ؛ يكره التفرير بجنده استئناً بالنبي صلى الله عليه وسلم وبأبي بكر ، لم يغز فيه النبي صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر . فعبرت تلك الجنود من البحرين إلى فارس ، فخرجوا في إصطخر ، ويزائهم أهل فارس ، وعلى أهل فارس الهربذ ، اجتمعوا عليه ، فحالوا بين المسلمين وبين سفنهم ، فقام خُلَيْد في الناس ، فقال : أمّا بعد ؛ فإنّ الله إذا قضى أمراً جرت به المقادير حتى تصيبه ^(١) ، وإنّ هؤلاء القوم لم يزيدوا بما صنعوا على أن دعواكم إلى حربهم ؛ وإنما جئتم لحاربهم ، والسفن والأرض لمن غلب ، فاستعينوا بالصبر والصلاة ، وإنّها لكبيرة إلاّ على الخاشعين . فأجابوه إلى ذلك فصلّوا الظهر ، ثمّ ناهدوهم فاقتتلوا قتالاً شديداً في موضع من الأرض يدعى طاؤس ، وجعل السّوّار يرتجز يومئذ ويذكر قومه ، ويقول :

يَا آلَ عَبْدِ الْقَيْسِ لِلْقِرَاعِ قَدْ حَفَلَ الْأُمْدَادُ بِالْجِرَاعِ ^(٢)
وَكَلَّهْمُ فِي سَنَنِ الْمِصَاعِ ^(٣) يَحْسِنُ ضَرْبُ الْقَوْمِ بِالْقَطَاعِ

حتى قتل . وجعل الجارود يرتجز ويقول :

لَوْ كَانَ شَيْئاً أَمَّا أَكَلْتُهُ أَوْ كَانَ مَاءً سَادِمًا جَهَرْتُهُ ^(٤)
لَكِنْ بَحْرًا جَاءَنَا أَنْكَرْتُهُ .

حتى قتل . ويومئذ وليّ عبد الله بن السّوّار والمنذر بن الجارود حياتهما إلى أن ماتا . وجعل خُلَيْد يومئذ يرتجز ويقول :

يَا لَ تَمِيمٍ أَجْمِعُوا النُّزُولَ ^(٥) وَكَادَ جَيْشُ عُمَرَ يَزُولُ ^{٢٥٤٨/١}
وَكُلُّكُمْ يَعْلَمُ مَا أَقُولُ ^(٦) .

(١) س : « يصيبه » .

(٢) يقال : حفل القوم ، إذا اجتمعوا واحتشدوا . والجراح : جمع جراحة وهي الرملة الطيبة المنبت التي لا وعوة فيها . (٣) المصاع : المجادلة والمضاربة .

(٤) الماء السادم : المتغير . وجهرته : أى عرفته وكشفته .

(٥) س : « جمعوا النزول » . (٦) س : « وكلهم يعلم » .

انزلوا ، فقتلوا . فاقْتَتَلَ (١) القوم فقتل أهل فارس مقتلة لم يقتلوا مثلها قبلها . ثم خرجوا يريدون البصرة وقد غرقت (٢) سفنهم ، ثم لم يجدوا (٣) إلى الرجوع في البحر سبيلا . ثم وجدوا شَهْرَكَ (٤) قد أخذ على المسلمين بالطرق ؛ فعسكروا وامتنعوا في نَشْوَبِهِمْ . ولما بلغ عمر الذي صنع العلاء من بعثه ذلك الجيش في البحر ألقى في رُوعه نحو من الذي كان . فاشتد غضبه على العلاء ، وكتب إليه يعزله وتوعده ، وأمره بأثقل الأشياء عليه ، وأبغض الوجوه إليه ؛ بتأثير سعد عليه ، وقال : الحق بسعد بن أبي وقاص فيمن قبلك ، فخرج بمن معه نحو سعد . وكتب عمر إلى عتبة بن غزوان : إنَّ العلاء بن الحضرمي حمل جنداً من المسلمين ، فأقطعهم أهل فارس ، وعصاني ، وأظنه لم يرد الله بذلك ، فخشيت عليهم إلاَّ يُنصروا أن يغلبوا وينشَبُوا (٥) ، فاندب إليهم الناس ، واضممهم إليك من قبل أن يُجتاحوا (٦) . فندب عتبة الناس ، وأخبرهم بكتاب عمر . فانتدب عاصم بن عمرو ، وعرفجة بن هرثمة ، وحذيفة بن محصن ، ومجزأة بن ثور ، ونهار بن الحارث ، والترجمان بن فلان ، والحصين بن أبي الحر ، والأحنف بن قيس ، وسعد بن أبي العرجاء ، وعبد الرحمن بن سهل ، وصعصعة بن معاوية ؛ فخرجوا في اثني عشر ألفاً على البغال ينجبون الخيل ، وعليهم أبو سبيرة بن أبي رهم أحد بني مالك بن حِمْشَل بن عامر بن لؤي ، والمسالح على حالها بالأهواز والذمة ، وهم رِدء للغازی والمقيم . فسار أبو سبيرة بالناس ، وساحل لا يلقاه أحد ، ولا يعرض له ؛ حتى التقى أبو سبيرة وخَلِيد بحيث أخذ عليهم بالطرق غبّ وقعة القوم

بطاوس ، وإنما كان وليّ قتالهم أهلُ لاصطخَر وحدهم ، والشذاذ^(١) من غيرهم ؛ وقد كان أهل لاصطخَر حيث أخذوا على المسلمين بالطرق ، وأنشَبوهم ؛ استصرخوا عليهم أهل فارس كلّهم ؛ فضربوا إليهم من كلّ وجه وكورة ، فالتقوا هم وأبو سَبْرَة بعد طاوس ، وقد توافّت إلى المسلمين أمدادهم وإلى المشركين أمدادهم ، وعلى المشركين شهرك ؛ فاقتتلوا ، ففتح الله على المسلمين ، وقتل المشركين وأصاب المسلمون منهم ما شاءوا — وهى الغزاة التى شرفت فيها نابتة^(٢) البصرة ؛ وكانوا أفضل نوابت الأمصار ؛ فكانوا أفضل المصريين نابتة^(٣) — ثم انكفئوا بما أصابوا ، وقد عهد إليهم عتبة وكتب إليهم بالحث وقلة العُرْجة^(٤) ، فانضموا إليه بالبصرة ، فخرج أهلها إلى منازلهم منها ، وتفرّق الذين تُنقَدُوا من أهل هَجَر إلى قبائلهم ، والذين تُنقَدُوا من عبد القيس فى موضع سوق البَحْرَيْن . ولما أحرز عتبة الأهواز وأوطأ فارس^(٥) ؛ استأذن عمر فى الحجّ ، فأذن له ، فلمّا قضى حجّه استعفاه ، فأبى أن يُعفيه ، وعزم عليه ليرجعن إلى عمله ؛ فدعا الله ثم انصرف ؛ فات فى بطن نخلة ، فدفن ؛ وبلغ عمر ، فرّ به زائراً لقبره ، وقال : أنا قتلتك ، لولا أنه أجلّ معلوم وكتاب مرقوم ؛ وأئني عليه بفضلّه ، ولم يختطّ فيمن اختطّ من المهاجرين ؛ وإنما ورث ولده منزله من فاختة ابنة غزوَان ، وكانت تحت عثمان بن عفان ، وكان خبّاب^(٦) مولاه قد لزم سمته^(٧) فلم يختطّ ، ومات عتبة بن غزوَان على رأس ثلاث سنين ونصف من مفارقة سعد بالمداثن ، وقد استخلف على الناس أبا سَبْرَة بن أبى رُهْم ، وعمّاله على حالهم ، ومساحه على نهر تيرى ومناذر وسوق الأهواز وسُرّق والهَرَمَزَان برامهرمز مُصالح عليها ، وعلى السُّوس والبُنِيَان وجندى سابور وميهرجَان قَذَق ؛ وذلك بعد تنقّد الذين كان حمل العلاء فى البحر إلى فارس ، ونزولهم البصرة .

وكان يقال لهم أهل طاوس ، نُسِبوا إلى الوقعة . وأقر^(٨) عمر أبا سَبْرَة

(١) ابن حبيش : « والشذاذ » .

(٢) النابتة : النشء الصغار .

(٣) العُرْجة : المقام .

(٤) أوطأ فارس ، أى غلبها على أمرها .

(٥) ابن الأثير : « حباب » .

(٦) ابن الأثير : « شيعة » .

(٧) ابن الأثير : « وأمر » .

ابن أبي رُهم على البصرة بقيّة السنة^(١). ثم استعمل المغيرة بن شعبه في السنة ٢٥٥١/١ الثانية بعد^(٢) وفاة عتبة ، فعمل عليها بقيّة تلك السنة والسنة التي تليها ، لم ينتقض عليه أحد في عمله ؛ وكان مرزوقاً السلامة ؛ ولم يحدث شيئاً إلاّ ما كان بينه وبين أبي بكرّة .

ثم استعمل عمر أبا موسى على البصرة ، ثم صُرف إلى الكوفة ، ثم استعمل عمر بن سُراقّة ، ثم صُرف عمر بن سُراقّة إلى الكوفة من البصرة ، وصُرف أبو موسى إلى البصرة من الكوفة ؛ فعمل عليها ثانية .

* * *

[ذكر فتح رامهرمز وتستر]

وفي هذه السنة - أعنى سنة سبع عشرة - كان فتح رامهرمز والسوس وتُستّر . وفيها أسر الهُرْمَزَان في رواية سيف .
• ذكر الخبر عن فتح ذلك من روايته :

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة والمهلب وعمرّو ؛ قالوا : ولم يزل يَزْدَجِرْدُ يَثِيرُ أَهْلَ فَارِسَ أَسْفًا على ما خرج منهم ؛ فكتب يَزْدَجِرْدُ إلى أهل فارس وهو يومئذ بمرو ، يذكّرهم الأحقاد ويؤنبهم ؛ أن قد رضيتُ بأهل فارس أن قد غلبتكم العرب على السواد وما والاه ، والأهواز . ثم لم يرضوا بذلك حتى تورّدوكم في بلادكم وعُقر داركم ، فتحرّكوا^(٣) وتكاتبوا : أهل فارس وأهل الأهواز ، وتعاقدوا وتعاهدوا وتوافقوا على النصرة ، وجاءت الأخبار حرقوص بن زهير ، وجاءت جزءاً وسلّمي وحرّملة عن خبر غالب ٢٥٥٢/١ وكُليب ؛ فكتب سلّمي وحرّملة إلى عمر وإلى المسلمين بالبصرة ، فسبق كتاب سلّمي حرّملة ، فكتب عمر إلى سعد : أن ابعث إلى الأهواز بعثاً كثيفاً مع النعمان بن مقرّن ، وعجلّ وابعث سُويد بن مقرّن ، وعبد الله بن ذى السهمين ، وجريّر بن عبد الله الحميريّ ، وجريّر بن عبد الله البَجَلِيّ ؛ فليترّلوا بلزاء الهُرْمَزَان حتى يتبينوا أمره . وكتب إلى أبي موسى

(١) بعدها في ابن حبيش : « التي مات فيها عتبة » ، ثم عزله واستخلف عبد الرحمن بن سهل فعمل بقيّة السنة » .

(٢) ابن حبيش : « من بعد » . (٣) ابن حبيش : « فتحزبوا » .

أن ابعث إلى الأهواز جنداً كثيفاً وأمر عليهم سهل بن عدى - أخا سهيل ابن عدى - وابعث معه البراء بن مالك ، وعاصم بن عمرو ، ومجزأة بن ثور ، وكعب بن سور ، وعرفجة بن هرثمة ، وحذيفة بن محصن ، وعبد الرحمن ابن سهل ، والخصين بن معبد ، وعلى أهل الكوفة وأهل البصرة جميعاً أبو سبيرة ابن أبي رهم ، وكل من أتاه فدد له .

وخرج النعمان بن مقرن في أهل الكوفة ، فأخذ وسط السواد حتى قطع دجلة بحيال ميسان ، ثم أخذ البراء إلى الأهواز على البغال ينجبون^(١) الخيل ، وانتهى إلى نهر تيرى فجازها ، ثم جاز مناذر ، ثم جاز سوق الأهواز ، وخلف حرقوصاً وسلمى وحرملة ، ثم سار نحو الهرمز - والهرمزان يومئذ برامهرمز - ولما سمع الهرمزان بمسير النعمان إليه بادره الشدة ، ورجا أن يقطعها ، وقد طمع الهرمزان في نصر أهل فارس ، وقد أقبلوا نحوه ، ونزلت أوائل أمداهم بتستّر ، فالتقى النعمان والهرمزان بأربك ، فاقتتلوا قتالاً شديداً . ثم إن الله عز وجل هزم الهرمزان للنعمان ، وأخلى رامهرمز وتركها ولحق بتستّر ، وسار النعمان من أربك حتى يتزل برامهرمز ، ثم صعد لإيذج ، فصالحه عليها تيرويه ، فقبل منه وتركه ورجع إلى رامهرمز فأقام بها .

٢٥٥٣/١

قالوا : ولما كتب عمر إلى سعد وأبي موسى ، وصار النعمان وسهل ، سبق النعمان في أهل الكوفة سهلاً وأهل البصرة ، ونكسب الهرمزان ، وجاء سهل في أهل البصرة حتى نزلوا بسوق الأهواز ، وهم يريدون رامهرمز ، فأتتهم الوقعة وهم بسوق الأهواز ، وأتاهم الخبر أن الهرمزان قد لحق بتستّر ، فالوا من سوق الأهواز نحوه ، فكان وجههم منها إلى تستّر ، ومال النعمان من رامهرمز إليها ، وخرج سلمى وحرملة وحرقوص وجزء ، ففزّلوا جميعاً على تستّر والنعمان على أهل الكوفة ، وأهل البصرة متساندون ، وبها الهرمزان وجنوده من أهل فارس وأهل الجبال والأهواز في الخنادق ، وكتبوا بذلك إلى عمر ، واستمدّه أبو سبيرة فأمدّهم بأبي موسى ، فسار نحوهم ، وعلى أهل الكوفة النعمان ، وعلى أهل البصرة أبو موسى ، وعلى الفريقين جميعاً أبو سبيرة ،

(١) يقال : جنب الدابة إذا قادها إلى جنبه .

فحاصروهم أشهراً ، وأكثروا فيهم القتل . وقتل البراء بن مالك فيما بين أول ذلك الحصار إلى أن فتح الله على المسلمين مائة مبارز ، سوى من قتل في غير ذلك ، وقتل مجزأة بن ثور مثل ذلك ، وقتل كعب بن سور مثل ذلك ، وقتل أبو تيممة مثل ذلك في عدة من أهل البصرة . وفي الكوفيين مثل ذلك ؛ منهم حبیب بن قرّة ، وربيع بن عامر ، وعامر بن عبد الأسود — وكان من الرضاء — في ذلك ما ازدادوا به إلى ما كان منهم ، وزاحفهم المشركون في أيام تُستسر ثمانين زحفاً في حصارهم ؛ يكون عليهم مرة ولم أخرى ؛ حتى إذا كان في آخر زحف منها واشتد القتال قال المسلمون : يا براء ، أقم على ربك ليهزمنا ! فقال : اللهم اهزمهم لنا ، واستشهدني . قال : فهزمهم حتى أدخلوهم خنادقهم ، ثم اقتحموها عليهم ، وأرزوا إلى مدينتهم ، وأحاطوا بها ، فبيناهم على ذلك وقد ضاقت بهم المدينة ، وطالت حربهم ، خرج إلى النعمان رجل فاستأمنه على أن يدلّه على مدخل يؤتون منه ، وري في ناحية أبي موسى بسهم [فقال] : قد وثقت بكم وأمنتكم واستأمنتكم على أن دلتكم على ما تأتون منه المدينة ، ويكون منه فتحها ، فأمنوه في نشابة فرمى إليهم بآخر ، وقال : انهذوا من قبل مخرج الماء ؛ فإنكم ستفتحونها ، فاستشار^(١) في ذلك وندب إليه ، فانتدب له عامر بن عبد قيس ، وكعب بن سور ، ومجزأة بن ثور ، وحسكة الحبطي ، وبشر كثير ؛ فنهذوا لذلك المكان ليلاً ، وقد ندب النعمان أصحابه حين جاءه الرجل ، فانتدب له سويد بن المثعب ، وورقاء بن الحارث ، وبشر بن ربيعة الخثعمي ، ونافع ابن زيد الحميري ، وعبد الله بن بشر الهلالي ، فنهذوا في بشر كثير ، فالتقوا هم وأهل البصرة على ذلك المخرج ، وقد انسرب سويد وعبد الله بن بشر ، فأتبعهم هؤلاء وهؤلاء ؛ حتى إذا اجتمعوا فيها — والناس على رجل من خارج — كبروا فيها ، وكبر المسلمون من خارج ، وفتحت الأبواب ؛ فاجتلدو فيها ، فأناموا كل مقاتل ، وأرز الهرمران إلى القلعة ، وأطاف به الذين دخلوا من مخرج الماء ؛ فلما عاينوه وأقبلوا قبلكه قال لهم : ماشتم !

(١) كذا في ابن حبيش في ط : « فاستشار » :

قد ترون ضيقاً ما أنا فيه وأنتم ، ومعى فى جعبتى مائة نُسْأَبَة ؛ والله ما تصلون إلى ما دام معى منها نُسْأَبَة ؛ وما يقع لى سهم ؛ وما خير إسرائى إذا أصبت منكم مائة بين قتيل أو جريح ! قالوا : فتريد ماذا ؟ قال : أن أضع يدى فى أيديكم على حُكْمِ عُمرَ يصنع بى ما شاء ، قالوا : فلك ذلك ^(١) ، فرمى بقوسه ، وأمكنهم من نفسه ، فشدّوه وثاقاً ، واقتسموا ما أفاء الله عليهم ؛ فكان سهم الفارس [فيها] ^(٢) ثلاثة آلاف ، والراجل ألفاً ؛ ودعا صاحب الرميّة بها ، فجاء هو والراجل الذى خرج بنفسه ، فقالا : منّ لنا بالأمان الذى طلبنا ؛ علينا وعلى منّ مالّ معنا ؟ قالوا : ومنّ مالّ معكم ؟ قالا : منّ أغلق بابه عليه مدخلكم . فأجازوا ذلك لهم ، وقتل من المسلمين ليلتذ أناس كثير ، ومن قتل الهُرْمُزَانِ بنفسه مجزأة بن ثور ، والبراء بن مالك .

قالوا : وخرج أبو سبيرة فى أثر الفلّ من تُسْتَر - وقد قصدوا للسوس - إلى السوس ، وخرج بالنعمان وأبى موسى ومعهم الهُرْمُزَانِ ؛ حتى اشتملوا على السوس ، وأحاط المسلمون بها ، وكتبوا بذلك إلى عمر . فكتب عمر إلى عمر بن سُرّاقَة بأن يسير نحو المدينة ، وكتب إلى أبى موسى فردّه على البصرة ، وقد ردّ أبى موسى على البصرة ثلاث مرات بهذه ، وردّ عمر عليها مرتين ؛ وكتب إلى زِرّ بن عبد الله بن كليب الفُفَيْمِ أن يسير إلى جُنْدَى سابور ، فسار حتى نزل عليها ، وانصرف أبو موسى إلى البصرة بعد ما أقام إلى رجوع كتاب عمر ، وأمّر عمر على جند البصرة المقترِب - الأسود بن ربيعة أحد بني ربيعة بن مالك ، وكان الأسود وزيراً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين - وكان الأسود قد وفّد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : جئت لأقرب إلى الله عزّ وجلّ بصحبتك ، فسمّاه المقترِب ؛ وكان زِرّ قد وفّد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : فنى بطنى ، وكثر إخوتنا ، فادعُ الله لنا ، فقال : اللهم أوفّ لزرّ عُمرّه ، فتحول إليهم العدد - وأوفّد أبو سبيرة وفداً ؛ فيهم أنس بن مالك والأحنف بن قيس ، وأرسل الهُرْمُزَانِ معهم ، فقدّموا مع أبى موسى البصرة ، ثم خرجوا نحو المدينة ؛

(١) ابن حبّيش : « فذلك لك » . (٢) من ابن حبّيش .

حتى إذا دخلوا هيتوا الهرمزان في هيئته ، فألبسوه كُسوته من الدِّيباج الذي فيه الذهب ، ووضعوا على رأسه تاجاً يدعى الآذنين ، مكلّلاً بالياقوت ، وعليه حلّيته ، كما يراه عمر والمسلمون في هيئته ، ثم خرجوا به على الناس يريدون عمر في منزله فلم يجدوه ، فسألوا عنه ، فقيل [لهم] ^(١) : «جلس في المسجد لوفد قدموا عليه من الكوفة ، فانطلقوا يطلبونه في المسجد ، فلم يروه ، فلما انصرفوا مروا بغلمان من أهل المدينة يلعبون ، فقالوا لهم : ما تلدّكم ؟ ^(٢) ! ؟ تريدون أمير المؤمنين ؟ فلمّا نأثم في ميمنة المسجد ، متوسد ^(٣) برنسه — وكان عمر قد جلس لوفد أهل الكوفة في بُرنس ، فلما فرغ من كلامهم وارتفعوا عنه ، وأخلّوه نزع بُرنسه ثم توسّده فنام — فانطلقوا ومعهم النظارة ، حتى إذا رأوه جلسوا دونه ، وليس في المسجد نأثم ولا يقظان غيره ، والدرة في يده معلقة ^(٤) ، فقال : الهرمزان : أين عمر ؟ فقالوا : هو ذا ^(٥) ؛ وجعل الوفد يشيرون ٢٥٥٨/١ إلى الناس أن اسكتوا عنه ؛ وأصغى الهرمزان إلى الوفد ، فقال : أين حرسه وحجّابه عنه ؟ قالوا : ليس له حارس ولا حاجب ، ولا كاتب ولا ديوان ، قال : فينبغي له أن يكون نبياً ، فقالوا : بل يعمل عمل الأنبياء ^(٦) ؛ وكثر الناس ؛ فاستيقظ ^(٧) عمر بالجلسة ، فاستوى جالساً ، ثم نظر إلى الهرمزان ، فقال : الهرمزان ؟ قالوا : نعم ؛ فأمّله ، وتأمّل ما عليه ، وقال : أعوذ بالله من النار ، وأستعين الله ^(٨) ! وقال : الحمد لله الذي أذلّ بالإسلام هذا وأشباعه ؛ يا معشر المسلمين ، تمسّكوا بهذا الدين ، واهتدوا بهدًى نبيّكم ، ولا تبطرنكم الدنيا فلمّا غرّارة . فقال الوفد : هذا ملك الأهواز ، فكلّمه ، فقال : لا ، حتى لا يبقى عليه من حلّيته شيء ، فرمى عنه بكلّ شيء عليه إلا شيئاً يستره ، وألبسوه ثوباً صفيقاً ، فقال عمر : هيه يا هرمزان ! كيف رأيت وبال الغدر وعاقبة أمر الله ! فقال : يا عمر ، إنا وإياكم في الجاهلية كان الله قد خلّى بيننا وبينكم ، فغلبناكم إذ لم يكن معنا ولا معكم ، فلما كان معكم

(١) من ابن حبش . (٢) التلدد : التلفت يميناً وشمالاً .

(٣) كذا في ابن حبش : وفي ط «متوسداً» . (٤) ابن حبش : «معلقها» .

(٥) م : «هذا هو» . (٦) ابن الأثير : «يعمل الأنبياء» .

(٧) س : «واستيقظ» . (٨) ابن كثير : «وأستغفر الله» .

غلبتمونا. فقال عمر : إنما غلبتمونا في الجاهلية باجتماعكم وتفترقنا . ثم قال عمر : ما عندك وما حجبتك في انتفاضك مرة بعد مرة ؟ فقال : أخاف أن تقتلني قبل أن أخبرك ، قال : لا تخف ذلك . واستسقى ماء ، فأتى به في قدح غليظ ، فقال : لو مت عطشاً لم أستطع أن أشرب في مثل هذا ، فأتى به في إناء يرضاه ، فجعلت يده ترجف^(١) ، وقال : إني أخاف أن أقتل وأنا أشرب الماء ، فقال عمر : لا بأس عليك حتى تشربه ، فأكفأه ، فقال عمر : أعيذوا عليه ، ولا تجمعوا عليه القتل والعطش ، فقال : لا حاجة لي في الماء ، إنما أردت أن أستمين به ، فقال له عمر : إني قاتلك ، قال : قد آمنتني ! فقال : كذبت ! فقال أنس : صدق يا أمير المؤمنين ، قد آمنتته ، قال : ويحك يا أنس ! أنا أؤمن قاتل مجزأة والبراء ! والله لتأتين بمخرج أولاً عاقبتك ! قال : قلت له : لا بأس عليك حتى تخبرني ، وقلت : لا بأس عليك حتى تشربه ، وقال له من حوله مثل ذلك ، فأقبل على الهرمزان ، وقال : خدعتني ، والله لا أنخدع إلا لمسلم ؟ فأسلم . ففرض له على ألفين ، وأنزله المدينة .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي سفيان طلحة ابن عبد الرحمن ، عن ابن عيسى ، قال : كان الترجمان يوم الهرمزان المغيرة بن شعبة إلى أن جاء المترجم ، وكان المغيرة يفقه شيئاً من الفارسية ، فقال عمر للمغيرة : قل له : من أي^(٢) أرض أنت ؟ فقال المغيرة : أزكدام أرضي^(٣) ؟ فقال : مهرباني ، فقال : تكلم بحجبتك ، قال : كلام حتى أو ميت ؟ قال : بل كلام حتى ، قال : قد آمنتني ، قال : خدعتني ، إن للمخدوع في الحرب حكمه ؛ لا والله لا أؤمنتك حتى تسلم ، فأيقن أنه القتل أو الإسلام ، فأسلم ، ففرض له على ألفين وأنزله المدينة . وقال للمغيرة : ما أراك بها حاذقاً ، ما أحسنها منكم أحد إلا خسب ، وما خسب إلا دق . إياكم وإياها ، فإنها تنقض الإعراب . وأقبل زيد فكلّمه ، وأخبر عمر بقوله ، والهرمزان بقول عمر .

(١) ابن حيش وابن كثير : « ترعد » . (٢) ابن حيش : « من أية » .

(٣) أزكدام أرضي ، استفهام بالفارسية ، ومعناه : من أي أرض أنت ؟

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وعمرو ، عن الشعبيّ وسفيان ، عن الحسن ، قال : قال عمر للوفد : لعلّ المسلمين يفضّون إلى أهل الذمّة بأدّى وبأمر لها ما ينتقصون بكم ! فقالوا : ما نعلم إلاّ وفاء وحسن ملاءمة ، قال : فكيف هذا ؟ فلم يجد عند أحد منهم شيئاً يشفيه ويبصر به مما يقولون ، إلاّ ما كان من الأخنف ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أخبرك أنّك نهيتنا عن الانسياح في البلاد ، وأمرتنا بالاعتصار على ما في ٢٥٦١/١ أيدينا ^(١) ، وإن ملك فارس جىّ بين أظهرهم ^(٢) ؛ وإنهم لا يزالون يساجلوننا ^(٣) مادام ملكهم فيهم ؛ ولم يجمع ملىكان فاتفقا حتى يخرج أحدهما صاحبه ؛ وقد رأيت أنّا لم نأخذ شيئاً بعد شيء إلاّ بانبعاثهم ، وأنّ ملكهم هو الذى يبعثهم ، ولا يزال هذا دأبهم حتى تأذن لنا فلننسى ^(٤) في بلادهم حتى نزيله عن فارس ، ونخرجه من مملكته وعزّ أمته ، فهناك ينقطع رجاء أهل فارس ويضربون جأشاً ^(٥) . فقال : صدقتى والله ، وشرحت لى الأمر عن حقه . ونظر فى حوائجهم وسرّحهم .

وقدم الكتاب على عمر باجتماع أهل نيهوند وانتهاء أهل مِهْرَجَا نَقْدَق وأهل كُور الأهواز إلى رأى المُرْمَزَان ومشيته ، فذلك كان سبب إذن عمر لهم فى الإنسياح .

ذكر فتح الشّوس

اختلف أهل السّير فى أمرها ؛ فأما المدائنى فإنه — فباحدثنى عنه أبو زيد — قال : لما انتهى فلّ جكولاء إلى يزدجرد وهو بحلوان ، دعا بخاصته والموبّد ، فقال : إنّ القوم لا يلقون جمعاً إلاّ قلوّه ، فما ترون ؟ فقال الموبّد : نرى أن تخرج فتتزلّ لصطخّر ؛ فإنها بيت المملكة ، وتضمّ إليك خزائنك ، وتوجه الجنود . فأخذ برأيه ، وسار ^(٦) إلى أصبّهان دعا سياه ، ٢٥٦٢/١

(١) ابن حبيش : « ما كان فى أيدينا » . (٢) س : « أظهرنا » .

(٣) ابن حبيش : « يساجلوننا » ، ابن الأثير والنويرى : « يقاتلوننا » .

(٤) ابن حبيش : « فَنَسِيَ » . (٥) يضربون جأشاً ، أى يسكنون .

(٦) ابن حبيش : « صار » .

فوجّته في ثلاثمائة ، فيهم سبعون رجلاً من عظمائهم ، وأمره أن ينتخب من كل بلدة يمر بها من أحب ، ففضى سياه وأتبعه يزدجيرد ، حتى نزلوا لإصطخر وأبو موسى محاصر السوس ، فوجّه سياه إلى السوس ، والهرمزان إلى تستانر ، فنزل سياه الكلبيانية ، وبلغ أهل السوس أمرُ جُكُولاء ونزول يزدجيرد لإصطخر منهزمًا ، فسألوا أبا موسى الأشعري الصلح ، فصالحهم ، وسار إلى رامهرمز وسياه بالكلبيانية ، وقد عظم أمر المسلمين عنده ، فلم يزل مقيمًا حتى صار أبو موسى إلى تستانر ، فتحول سياه ، فنزل بين رامهرمز وتستانر ، حتى قدم عمار بن ياسر ، فدعا سياه الرؤساء الذين كانوا خرجوا معه من أصبهبهان ، فقال : قد علمتم أنا كنا نتحدث أن هؤلاء القوم أهلُ الشقاء والبؤس سيغلبون على هذه المملكة ، وتروث دوابهم في إيوانات إصطخر ومصانع الملوك ، ويشدون خيولهم بشجرها ، وقد غلبوا على ما رأيتم ، وليس يلقون جنداً إلاّ فلدوه ، ولا يتزلون بحصن إلاّ فتحوه ، فانظروا لأنفسكم . قالوا : رأينا رأيك ، قال : فليكني كل رجل منكم حشمة والمنقطعين إليه ، فإني أرى أن ندخل في دينهم . ٢٥٦٣/١ ووجّهوا شيرويه في عشرة من الأساورة إلى أبي موسى يأخذ شروطاً^(١) على أن يدخلوا في الإسلام . فقدم شيرويه على أبي موسى ، فقال : إننا قد رغبتنا في دينكم ، فنسلم على أن نقاتل معكم العجم ، ولا نقاتل معكم العرب ؛ وإن قاتلنا أحدًا من العرب منعتونا منه ، وننزل حيث شئنا ، ونكون فيمن شئنا منكم ، وتلحقونا بأشراف العطاء^(٢) ، ويعقد لنا الأمير الذي هو فوقك بذلك . فقال أبو موسى : بل لكم ما لنا ، وعليكم ما علينا ، قالوا : لا نرضى .

وكتب أبو موسى إلى عمر بن الخطاب ، فكتب إلى أبي موسى : أعطيهم ما سألوكم . فكتب أبو موسى لهم ، فأسلموا ، وشهدوا معه حصار تستانر ، فلم يكن أبو موسى يرى منهم جيداً ولا نيكاية ، فقال لسياه : يا أعور ، ما أنت وأصحابك كما كنا نرى ! قال : لسنا مثلكم في هذا الدين ولا بصائرنا كبصائركم ، وليس لنا فيكم حرّم نحامي عنهم ، ولم تلحقنا بأشراف العطاء

(١) س : « فأخذ لهم شروطاً » . (٢) ابن حيش : « بأشراف العطاء » .

ولنا سلاح وكُراع وأنتم حَسَر . فكتب أبو موسى إلى عمر في ذلك ، فكتب إليه عمر : أن ألحقهم على قَدَرِ البلاء في أفضل العطاء وأكثر شيء أخذته أحد من العرب . ففرض لمائة منهم في ألفين ألفين ، ولستة منهم في ألفين ، وخمسمائة لسياه وخُمُرو - ولقبه مِقْلاص - وشَهْرِيَار ، وشَهْرَوِيه ، وأفروذين . فقال الشاعر :

ولما رأى الفاروقُ حُسْنَ بِلَائِهِمْ وكان بما يأتي من الأمر أبْصَرَا^(١)
فَسَنَّ لَهُمُ الْفَيْنِ فَرَضًا وَقَدْ رَأَى ثَلَاثَيْنَ فَرَضَ عَلَيْ وَحَمِيرَا

قال : فحاصروا حصنًا بفارس ، فانسَلَّ سياه في آخر الليل في زِيَّ العجم حتى رى بنفسه إلى جَنْبِ الحِصْنِ ، ونَضَحَ ثِيَابَهُ بِالْدَّمِ ، وأصبح أهلُ الحصن ، فرأوا رجلاً في زِيَّهم صريعاً ، فظنُّوا أنه رجل منهم أصيبوا به ، ففتحوا بابَ الحِصْنِ ليدخلوه ، فثاروا قاتلهم حتى خلدوا عن باب الحصن وهربوا ، ففتح الحصن وحده ، ودخله المسلمون ، وقوم يقولون : فعلَ هذا الفعل سياه بتُسْتَر ، وحاصروا حصنًا ، فشى خُمُرو إلى الحصن ، فأشرف عليه رجل منهم يكلمه ، فرماه خُسرو بنشابة فقتله .

وأما سيف فإنه قال في روايته ما كتب به إلى السري ، عن شعيب ، عنه ، عن محمد وطلحة وعمرو وديثار أبي عمر ، عن أبي عثمان ، قالوا : لما نزل أبو سَبْرَةَ في الناس على السُّوس ، وأحاط المسلمون بها ، وعليهم شهر يار أخو الهرمزان ، ناوشهم مرَّات ؛ كلَّ ذلك يصيبُ أهلُ السُّوس في المسلمين ، فأشرف عليهم يوماً الرُّهبان والقسيسون ، فقالوا : يا معشر العرب ، إنَّ مما عهد إلينا علماؤنا وأوائلنا ؛ أنه لا يفتح السُّوس إلاَّ الدِّجَال أو قوم فيهم الدِّجَال ، فإن كان الدِّجَال فيكم فستفثحنوها ، وإن لم يكن فيكم فلا تُعْثِنُوا بِمَحْصَارِنَا . وجاء صرْفُ أبي موسى إلى البَصْرَةِ ، وعَمِلَ عَلَى أَهْلِ البَصْرَةِ الْمُقْتَرِبِ مَكَانَ أَبِي مُوسَى بِالسُّوس ، واجتمع الأعاجم بِنِهَاوَنْدَ والنعمان على أهل الكوفة محاصراً لأهل السوس مع أبي سَبْرَةَ ، وَزَرَ محاصر أهل نِهَاوَنْدَ من

(١) كذا في ابن حبش وفي ط : « لا » بغير واو .

وجهه ذلك ؛ وضرب على أهل الكوفة البعث مع حذيفة ، وأمرهم بموافاته
بينها ونُد ؛ وأقبل النُعمان على التهيؤ للسير إلى نهاوند ، ثم استقل في نفسه ،
فناوشهم قبل مضيه ، فعاد الرهبان والقسيسون ، وأشرفوا على المسلمين ، وقالوا :
يا معشر العرب ، لا تُعسّوا فإنه لا يفتحها إلاّ الدّجال أو قوم معهم الدّجال ،
وصاحوا بالمسلمين وغازطوهم ، وصاف بن صياد يومئذ مع النعمان في خيله ،
وناهدهم المسلمون جميعاً ، وقالوا : نقاتلهم قبل أن نفرق ؛ ولما يخرج أبو موسى
بعد . وأتى صاف باب السوس غضبان ، فدقه برجله ، وقال : انفتح فطار ^(١)
فتقطعت السلاسل ، وتكسرت الأغلاق ، وتفتحت الأبواب ، ودخل المسلمون ،
فألقى المشركون بأيديهم ، وتنادوا : الصلح الصلح ! وأمسكوا بأيديهم ، فأجابوهم
إلى ذلك بعد ما دخلوها عسوة ، واقتسموا ما أصابوا قبل الصلح ؛ ثم افترقوا .
فخرج النعمان في أهل الكوفة من الأهواز حتى نزل على ماه ، وسرح
أبو سبرة المقرب حتى ينزل على جندي سابور مع زير ، فأقام النعمان بعد
دخول ماه ، حتى وافاه أهل الكوفة ، ثم نهدهم إلى أهل نهاوند ، فلما كان
الفتح رجع صاف إلى المدينة ، فأقام بها ، ومات بالمدينة .

٢٥٦٦/١

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عطية ، عن أورد
فتح السوس ، قال : وقيل لأبي سبرة : هذا جسد دانيال في هذه المدينة ،
قال : ومالنا بذلك ! فأقره بأيديهم — قال عطية بإسناده : إن دانيال كان
لزم أسياف فارس بعد بختنصر ؛ فلما حضرته الوفاة ، ولم ير أحداً من
هو بين ظهريتهم على الإسلام ؛ أكرم كتاب الله عن لم يجبه ولم يقبل منه ،
فأودعه ربه ، فقال لابنه : ائت ساحل البحر ، فاقدف بهذا الكتاب فيه ،
فأخذه الغلام ، وضمن به ، وغاب مقدار ما كان ذاهباً وجائياً ؛ وقال :
قد فعلت ، قال : فما صنع البحر حين هوى فيه ؟ قال : لم أره يصنع شيئاً ،
فغضب وقال : والله ما فعلت الذي أمرتك به . فخرج من عنده ، ففعل مثل
فعلته الأولى ، ثم أتاه فقال : قد فعلت ، فقال : كيف رأيت البحر حين
هوى فيه ؟ قال : ماج واصطفتي ، فغضب أشد من غضبه الأول ، وقال :
والله ما فعلت الذي أمرتك به بعد ، فعزم ابنه على إلقاءه في البحر الثالثة ،

٢٥٦٧/١

فانطلق إلى ساحل البحر ، وألقاه فيه ، فأنكشف البحر عن الأرض حتى بدت ، وانفجرت^(١) له الأرض عن هواء من نور ، فهوى في ذلك النور ، ثم انطبقت عليه الأرض ، واختلط الماء ، فلما رجع إليه الثالثة سأله فأخبره الخبر ، فقال : الآن صدقت . ومات دانيال بالسُّوس ؛ فكان هنالك يُستَسقى بحسده ، فلما افتتحها المسلمون أتوا به فأقرؤه في أيديهم ، حتى إذا ولّى أبو سبيرة عنهم إلى جُندى سابور أقام أبو موسى بالسُّوس . وكتب إلى عُمر فيه ؛ فكتب إليه يأمره بتوريته ، فكفّته ودفنه المسلمون . وكتب أبو موسى إلى عمر بأنه كان عليه خاتم وهو عندنا ، فكتب إليه أن تحتّمه ، وفي فضّه نقش رجل بين أسدين .

• • •

[ذكر مصالحة المسلمين أهل جندى سابور]

وفيها - أعني سنة سبع عشرة - كانت مصالحة المسلمين أهل جُندى سابور .

• ذكر الخبر عن أمرهم وأمرها :

كتب إلى المرسى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وأبي عمرو وأبي سفيان والمهلب ، قالوا : لما فرغ أبو سبيرة من السُّوس خرج في جنده حتى نزل على جُندى سابور ، وزرّ بن عبد الله بن كليب محاصرهم ؛ فأقاموا عليها يغادونهم ويراجونهم القتال ؛ فما زالوا مقيمين عليها حتى رمى إليهم بالأمان من عسكر المسلمين ، وكان فتحها وفتح نهاوند في مقدار شهرين^(٢) ، فلم يفجأ المسلمين إلاّ وأبوابها^(٣) تفتح ، ثم خرج السَّرح ، وخرجت الأسواق ، وانبت أهلها ، فأرسل المسلمون : أن مالكم ؟ قالوا : رميم إلينا بالأمان قبلنا ، وأقررنا لكم بالجزاء على أن تمنعونا . فقالوا : ما فعلنا ، فقالوا : ما كذبنا ، فسأل المسلمون فيما بينهم ؛ فإذا عبد يدعى مُكْنِفًا كان أصله منها ؛ هو الذى كتب لهم . فقالوا : إنما هو عبد ، فقالوا : إنا لا نعرف حُرّكم من عبدكم ، قد جاء أمان فنحن عليه قد قبلناه ،

(١) ابن الأثير : « وتفجرت » . (٢) س : « شهر » .

(٣) س : « أبوابها » .

ولم نبدل ، فإن شتم فاعلدروا . فأمسكوا عنهم ، وكتبوا بذلك إلى عمر ، فكتب إليهم : إن الله عظم الوفاء ، فلا تكونون أوفياء حتى تفؤوا ، مادمت في شك أجيزوهم ، وفؤوا لهم . فوقوا لهم ، وانصرفوا عنهم .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة والمهلب وعمر ، قالوا : أذن عمر في الانسياح سنة سبع عشرة في بلاد فارس ، وانتهى في ذلك إلى رأى الأحنف بن قيس ، وعرف فضله وصدقه ، وفرق الأمراء والجنود ، وأمر على أهل البصرة أمراء ، وأمر على أهل الكوفة أمراء ، وأمر هؤلاء وهؤلاء بأمره ، وأذن لهم في الانسياح سنة سبع عشرة ، فساحوا في سنة ثمان عشرة ، وأمر أبا موسى أن يسير من البصرة إلى منقطع ذمة البصرة ؛ فيكون هنالك حتى يحدث إليه ؛ وبعث بالولية من ولّى مع سهيل بن عدى حليف بنى عبد الأشهل ، فقدم سهيل بالولية ، ودفع لواء خراسان إلى الأحنف ابن قيس ، ولواء أردشير خزره وسابور إلى مجاشع بن مسعود السلمى ، ولواء إصطخر إلى عثمان بن أبي العاص الثقفى ، ولواء فسّا ودرا بجرد إلى سارية بن زئيم الكنانى ، ولواء كترمان مع سهيل بن عدى ، ولواء سجستان إلى عاصم ابن عمرو — وكان عاصم من الصحابة — ولواء مكران إلى الحكم بن عمير التغلبى . فخرجوا في سنة سبع عشرة ، فمسكروا ليخرجوا إلى هذه الكور فلم يستتب مسيرهم ، حتى دخلت سنة ثمان عشرة ، وأمدّهم عمر بأهل الكوفة ، فأمدّ سهيل بن عدى بعبد الله بن عبد الله بن عتبّان ، وأمدّ الأحنف بعلقمة ابن النضر ، وبعبد الله بن أبى عقيل ، وبريعة بن عامر ، وبابن أم غزال . وأمدّ عاصم بن عمرو بعبد الله بن عمير الأشجعى ، وأمدّ الحكم بن عمير بشهاب بن المخارق المازنى . قال بعضهم : كان فتح السوس ورامهرمز وتوجيه الهرمزان إلى عمر من تسع وعشرين سنة .

• • •

وحجّ بالناس في هذه السنة — أعني سنة سبع عشرة — عمر بن الخطاب ، وكان عامله على مكة عتّاب بن أسيد ، وعلى اليمن يعلّى بن أمية ، وعلى اليمامة والبحرين عثمان بن أبى العاص وعلى ثمان حذيفة بن محصن ، وعلى

الشام مَنّ قد ذكرت أسماءهم قبل ، وعلى الكوفة وأرضها سعد بن أبي وقاص ،
وعلى قضائها أبو قُرّة ، وعلى البصرة وأرضها أبو موسى الأشعريّ - وقد ذكرت
فيما مضى الوقت الذي عزل فيه عنها ، والوقت الذي ردّ فيه إليها أميراً : وعلى
القضاء - فيما قيل - أبو مریم الحنفی . وقد ذكرت مَنّ كان على الجزيرة والموصل
قبل .

ثم دخلت سنة ثمان عشرة

ذكر الأحداث التي كانت في سنة ثمان عشرة

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة - أعني سنة ثمان عشرة - أصابت الناس مجاعة شديدة ولزبة ، وجُدوب وقحوط ؛ وذلك هو العام الذي يسمّى عام الرمادة .

[ذكر القحط و عام الرمادة]

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلّمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : دخلت سنة ثمان عشرة ، وفيها كان عام الرمادة وطاعون عموّاس ، ففانّى فيها الناس .

وحدثني أحمد بن ثابت الرازي ، قال : حدثت عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر ، قال : كانت الرمادة سنة ثمان عشرة . قال : وكان في ذلك العام طاعون عموّاس .

كتب إلى المروّي يقول : حدثنا شعيب ، عن سيف ، عن الربيع وأبي المجالد وأبي عثمان وأبي حارثة ، قالوا : وكتب أبو عبيدة إلى عمر : إن نفراً من المسلمين أصابوا الشراب ، منهم ضرار ، وأبو جندل ، فسألناهم فتأولوا ، وقالوا : خيرنا فاخترنا ، قال : ﴿ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾ ! ولم يعزم علينا . فكتب إليه عمر : فذلك بيننا وبينهم ، ﴿ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾ ؛ يعني « فانتهوا » . وجمع الناس ، فاجتمعوا على أن يضربوا فيها ثمانين جلدة ، ويضمتوا الفسق من تأول عليها بمثل هذا ، فإن أبي قتيل . فكتب عمر إلى أبي عبيدة أن ادعهم ؛ فإن زعموا أنها حلال فاقتلهم ، وإن زعموا أنها حرام فاجلدتهم ثمانين . فبعث إليهم فسألهم على رؤوس الناس ، فقالوا : حرام ، فجلدتم ثمانين ثمانين ، وحدّ القوم ، وندموا على لجاجتهم ،

وقال : ليحدثن فيكم يا أهل الشام حادث ؛ فحدثت الرمادة .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عبد الله بن شبرمة عن الشعبي بمثله .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عبيد الله بن عمر ، عن نافع ، قال : لما قدم على عمر كتاب أبي عبيدة في ضرار وأبي جندل ، كتب إلى أبي عبيدة في ذلك ، وأمره أن يدعوهم على رؤوس الناس فيسألهم : ٢٥٧٢/١ أحرام الخمر أم حلال ؟ فإن قالوا : حرام ، فاجلدكم ثمانين جلدة ، واستتبيهم ، وإن قالوا : حلال ، فاضرب أعناقهم . فدعاهم فسألهم ، فقالوا : بل حرام ، فجلدكم ، فاستحيوا فلزموا البيوت . وسوس أبو جندل ، فكتب أبو عبيدة إلى عمر : إن أبا جندل قد وسوس ، إلا أن يأتيه الله على يدك بفرج ، فكتب إليه وذكره ، فكتب إليه عمر وذكره ، فكتب إليه : من عمر إلى أبي جندل ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ ، فنب وأرفع رأسك ، وابرز ولا تقنط ، فإن الله عز وجل ، يقول : ﴿ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ . فلما قرأه عليه أبو عبيدة تطلق وأُسْفِر عنه . وكتب إلى الآخرين بمثل ذلك فبرزوا ، وكتب إلى الناس : عليكم أنفسكم ، ومن استوجب التغيير فغيروا عليه ، ولا تعيروا أحداً فيفشو فيكم البلاء .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن عبد الله ، عن عطاء نحرأ منه ، إلا أنه لم يذكر أنه كتب إلى الناس ألا يعيروه ، وقال : قالوا : جاشت الروم ، دعونا نغزوهم ، فإن قضى الله لنا الشهادة فذلك ، ٢٥٧٣/١ وإلا عمدت للذي يريد . فاستشهد ضرار بن الأزور في قوم ، وبقى الآخرون فحدوا . وقال أبو الزهراء القشيري في ذلك :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الدَّهْرَ يَغْتَرُّ بِالْفَتَى وَلَيْسَ عَلَى صَرْفِ الْمَنُونِ بِقَادِرٍ

صَبَرْتُ وَلَمْ أُجْزَعْ وَقَدْ مَاتَ إِخْوَتِي وَلَسْتُ عَنِ الصَّبَاءِ يَوْمًا بِصَابِرٍ
رَمَاهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِحَتْفِهَا فَخَلَّانَهَا يَبْكُونَ حَوْلَ الْمَعَاوِرِ

كتب إلى السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن الربيع بن النعمان
وأبي المجالد جراد بن عمرو وأبي عثمان يزيد بن أسيد الغسّانيّ ، وأبي حارثة
مُحَرَّرُ الْعَبْشَمِيِّ بِإِسْنَادِهِمْ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، عَنْ كُرَيْبٍ ، قَالُوا :
أَصَابَتِ النَّاسَ فِي إِمَارَةِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَنَةٌ بِالْمَدِينَةِ وَمَا حَوْلَهَا ، فَكَانَتْ
تَسْفَى إِذَا رِيحَتْ ^(١) تَرَابًا كَالرَّمَادِ ، فَسَمِيَ ذَلِكَ الْعَامُ عَامَ الرَّمَادَةِ ، قَالَ
عُمَرُ أَلَا يَذُوقُ سَمْنًا وَلَا لَبَنًا وَلَا لَحْمًا حَتَّى يَحْيِيَ النَّاسَ مِنْ أَوَّلِ الْحَيَا ، فَكَانَ
بِذَلِكَ حَتَّى أَحْيَا النَّاسُ مِنْ أَوَّلِ الْحَيَا ، فَقَدِمَتِ السُّوقَ عُمُكَةً مِنْ سَمْنٍ وَوُطْبٍ ٢٥٧٤/١
مِنْ لَبَنٍ ، فَاشْتَرَاهَا ^(٢) غُلَامٌ لِعُمَرَ بَارِعِينَ ، ثُمَّ أَتَى عُمَرَ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،
قَدْ أَبْرَأَ اللَّهُ يَمِينَكَ ، وَعَظُمَ أَجْرُكَ ، قَدِمَ السُّوقَ وَطْبٍ مِنْ لَبَنٍ وَعُمُكَةً مِنْ سَمْنٍ ،
فَابْتَعْتُهُمَا بَارِعِينَ ، فَقَالَ عُمَرُ : أَغْلَيْتَ بِهِمَا ، فَتَصَدَّقْ بِهِمَا ، فَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ
أَكُلَ إِسْرَافًا . وَقَالَ عُمَرُ : كَيْفَ يَعْنِي شَأْنُ الرِّعْيَةِ إِذَا لَمْ يَمَسَّ سَنِي مَا مَسَّهُمْ !

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن سهل بن يوسف
السُّلَمِيِّ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَعْبٍ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ : كَانَتْ فِي آخِرِ سَنَةِ
مِائَةِ عَشْرَةٍ وَأَوَّلِ سَنَةِ ثَمَانِ عَشْرَةٍ ، وَكَانَتْ الرَّمَادَةُ جُوعًا أَصَابَ النَّاسَ
بِالْمَدِينَةِ وَمَا حَوْلَهَا فَأَهْلَكَهُمْ حَتَّى جَعَلَتِ الْوَحْشُ تَأْوِي إِلَى الْإِنْسِ ، وَحَتَّى
جَعَلَ الرَّجُلُ يَذْبَحُ الشَّاةَ فَيُعَافُهَا مِنْ قُبْحِهَا ، وَإِنَّهُ لَمُقْفَرٌ .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن سهل بن يوسف ،
عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَعْبٍ ، قَالَ : كَانَ النَّاسُ بِذَلِكَ وَعُمَرُ كَالْمَحْصُورِ عَنْ
أَهْلِ الْأَمْصَارِ ؛ حَتَّى أَقْبَلَ بِلَالُ بْنُ الْخَارِثِ الْمَزْنِيّ ، فَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ :
أَنَا رَسُولُ رَسُولِ اللَّهِ إِلَيْكَ ؛ يَقُولُ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَقَدْ
عَهْدَتُكَ كَيْتَسًا ، وَمَا زِلْتَ عَلَى رِجْلٍ ؛ فَمَا شَأْنُكَ ! فَقَالَ : مَتَى رَأَيْتَ هَذَا ؟
قَالَ : الْبَارِحَةَ ، فَخَرَجَ فَنَادَى فِي النَّاسِ : الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ ! فَصَلَّيْتُ بِهِمْ رَكْعَتَيْنِ ؛

(٢) س وابن الأثير : « فاشترها » .

(١) ريحت : أصابها الريح .

ثم قام فقال : أيُّها الناس ، أنشدكم الله ، هل تعلمون منّي أمراً غيره خيرٌ منه ؟ قالوا : اللهم لا ، قال : فإن بلال بن الحارث يزعم ذِيَّةً وذِيَّةً^(١) ؛ فقالوا : ٢٥٧٥/١ صدق بلال ، فاستغث بالله وبالمسلمين ، فبعث إليهم - وكان عمر عن ذلك محصوراً - فقال عمر : الله أكبر ! بلغ البلاء مدته فانكشف ؛ ما أذن لقوم في الطلب إلاّ وقد رُفِعَ عنهم البلاء ؛ فكتب إلى أمراء الأمصار : أغثوا أهل المدينة ومن حولها ، فإنه قد بلغ جهنّدهم ؛ وأخرج الناس إلى الاستسقاء ، فخرج وخرج معه بالعباس ماشياً ، فخطب فأوجز ؛ ثم صلى ، ثم جثا لركبتيه ، وقال : اللهم إياك نعبد وإياك نستعين ؛ اللهم اغفر لنا وارحمنا وارض عنا . ثم انصرف ، فابلقوا المنزل راجعين حتى خاضوا الغدران .

كتب إلى المريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن مبشر بن الفضيل ، عن جبير بن صخر ، عن عاصم بن عمر بن الخطاب ، قال : قحط الناس زمانٌ عمر عامّاً ، فهزّل المال ، فقال أهل بيت من مُزينة من أهل البادية لصاحبهم : قد بلغنا ، فاذبح لنا شاة ، قال : ليس فيهنّ شيء ، فلم يزالوا به حتى ذبح لهم شاة ، فسلخ عن عظم أحمر ، فنادى : يا محمّده ! فأرّى فيما يرى النائم أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه ، فقال : أبشّر بالحيا^(٢) ! أتت عمر فأقرّته منّي السلام ، وقل له : إنّ عهدي بك وأنت وفيّ العهد ، شديد العقد ، فالكَيْسُ الكَيْسُ يا عمر ! فجاء حتى أتى باب عمر ؛ فقال لغلامه : استأذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتى عمر فأخبره ، ففرّج وقال : رأيت به مسأ ! قال : لا ، قال : فأدخله ، فدخل فأخبره الخبر ، فخرج فنادى في الناس ، وصعد المنبر ، وقال : أنشدكم بالذي هذاكم للإسلام ؛ هل رأيتم مني شيئاً تكرهونه ! قالوا : اللهم لا ، قالوا : ولم ذاك ؟ فأخبرهم ، ففطنوا ولم يفطن ؛ فقالوا : إنّما استبطأك في الاستسقاء ، فاستسق بنا ، فنادى في الناس ، فقام فخطب فأوجز ، ثم صلى ركعتين فأوجز ، ثم قال : اللهم عجزتُ عنا أنصارنا ، وعجزنا حولنا وقوتنا ، وعجزتُ عنا أنفسنا ،

(١) ذية وذية ، كقولهم : كذا وكذا . (٢) ابن كثير : « بالحياة » . والحيا : المطر .

ولا حول ولا قوة إلا بك ، اللهم فاسقنا ، وأحني العباد والبلاد !

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الربيع بن النعمان وجراد أبي المجالد وأبي عثمان وأبي حارثة ، كلهم عن رجاء - وزاد أبو عثمان وأبو حارثة : عن عبادة وخالد ، عن عبد الرحمن بن غنم - قالوا : كتب عمر إلى أمراء الأمصار يستغيثهم لأهل المدينة ومن حولها ، ويستمدّهم ، فكان أول من قدم عليه أبو عبيدة بن الجراح في أربعة آلاف راحلة من طعام ، فولاّه قسمتها فيمن حول المدينة ؛ فلما فرغ ورجع إليه أمر له بأربعة آلاف درهم ، فقال : لا حاجة لي فيها يا أمير المؤمنين ؛ إنما أردت الله وما قبله ، فلا تدخل على الدنيا ، فقال : خذها فلا بأس بذلك إذ لم تطلبه ، فأبى فقال : خذها فإنني قد وليت لرسول الله صلى الله عليه وسلم مثل هذا ، فقال لي مثل ما قلت لك ، فقلت له كما قلت لي فأعطاني . فقبل أبو عبيدة وانصرف إلى عمله ، وتتابع الناس واستغنى أهل الحجاز ، وأحيوا مع أول الحيا . ٢٥٧٧/١

وقالوا بإسنادهم : وجاء كتاب عمرو بن العاص جواب كتاب عمر في الاستغاثة : إن البحر الشامي حُفِر لمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خفيرا ، فصب في بحر العرب ، فسده الروم والقبِط ، فإن أُجِبت أن يقوم سعر الطعام بالمدينة كسعره بمصر ، حفرت له نهرا وبُنيت له قناطر . فكتب إليه عمر : أن افعل وعجل ذلك ؛ فقال له أهل مصر : خراجك زاج^(١) ، وأميرك راض ؛ وإن تمّ هذا انكسر الخراج . فكتب إلى عمر بذلك ، وذكر أن فيه انكسار خراج مصر وخرابها . فكتب إليه عمر : اعمل فيه وعجل ، أخبر الله مصر في عمران المدينة وصلاحها ، فعالجهم عمرو وهو بالقلزم ، فكان سعر المدينة كسعر مصر ، ولم يزد ذلك مصر إلا رخاء ، ولم ير أهل المدينة بعد الرمادة مثلاً ، حتى حبس عنهم البحر مع مقتل عثمان رضي الله عنه . فذلّوا وتقاصروا وخشعوا .

• • •

(١) يقال : زجا الخراج زجاء فهو زاج ، إذا تيسرت جبايته .

قال أبو جعفر : وزعم الواقدي أن الرقة والرُّها وحَرَآن فتحت في هذه السنة على يدى عياض بن غنم ، وأن عين الوردة فتحت فيها على يدى عُمر ابن سعد . وقد ذكرتُ قول مَنْ خالفه في ذلك فيما مضى ، وزعم أن عمر رضى الله عنه حوّل المقام في هذه السنة في ذى الحجة إلى موضعه اليوم ، وكان مُلصَقًا بالبيت قبل ذلك . وقال : مات في طاعون غمّواس خمسة وعشرون ألفًا .

قال أبو جعفر : وقال بعضهم : وفي هذه السنة استقضى عمر شريح ابن الحارث الكِنْدِيّ على الكوفة ، وعلى البصرة كعب بن سُور الأزدِيّ . قال : وحيّ بالناس في هذه السنة عمر بن الخطّاب رضى الله عنه .

وكانت وُلّاته في هذه السنة على الأمصار الولاية الذين كانوا عليها في سنة سبع عشرة .

ثم دخلت سنة تسع عشرة

ذكر الأحداث التي كانت في سنة تسع عشرة

قال أبو جعفر : قال أبو معشر — فيما حدثني أحمد بن ثابت الرازي ،
عن حدثه ، عن إسحاق بن عيسى عنه : إن فتح جملوءا كان في سنة
تسع عشرة على يدى سعد ، وكذلك قال الواقدي .

وقال ابن إسحاق : كان فتح الجزيرة والرّهاء وحرّان ورأس العين
وتصيبين في سنة تسع عشرة .

قال أبو جعفر : وقد ذكرنا قول من خالفهم في ذلك قبل . ٢٥٧٩/١

وقال أبو معشر : كان فتح قيسارية في هذه السنة — أعني سنة تسع
عشرة — وأميرها معاوية بن أبي سفيان ؛ حدثني بذلك أحمد بن ثابت الرازي ،
عن حدثه ، عن إسحاق بن عيسى ، عنه .

وكالذي قال أبو معشر في ذلك قال الواقدي .

وأما ابن إسحاق فإنه قال : كان فتح قيسارية من فلسطين وهرب
هرقل وفتح مصر في سنة عشرين ؛ حدثنا بذلك ابن حميد ، قال : حدثنا
سلمة ، عنه .

وأما سيف بن عمر فإنه قال : كان فتحها في سنة ست عشرة .
قال : وكذلك فتح مصر .

وقد مضى الخبر عن فتح قيسارية قبل ، وأنا ذاكر خبر مصر وفتحها
بعد في قول ؛ من قال : فتحت سنة عشرين ، وفي قول من خالف ذلك .

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة — أعني سنة تسع عشرة — سالت حرّة
ليلى ناراً — فيما زعم الواقدي — فأراد عمر الخروج إليها بالرجال ، ثم أمرهم بالصدقة
فانطفأت .

وزعم أيضاً الواقديّ أنّ المدائن وجعلوا فُتُحتا في هذه السنة ، وقد مضى ذكر من خالفه في ذلك .

* * *

وحجّ بالناس في هذه السنة عمر بن الخطّاب رضي الله عنه .
وكان عمّاله على الأمصار وقضاته فيها الولاة والقضاة الذين كانوا عليها في سنة ثمان عشرة .

ثم دخلت سنة عشرين

ذكر الخبر عما كان فيها من مغازى المسلمين وغير ذلك من أمورهم

٢٥٨٠/١ قال أبو جعفر : ففي هذه السنة فتحت مصر في قول ابن إسحاق .
حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال :
فتحت^(١) مصر سنة عشرين .
وكذلك قال أبو معشر ؛ حدثني أحمد بن ثابت عمن ذكره ، عن
إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر ، أنه قال : فتحت مصر سنة عشرين ،
وأمرها عمرو بن العاص .
وحدثني أحمد بن ثابت ، عمن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن
أبي معشر ، قال : فتحت الإسكندرية سنة خمس وعشرين .
وقال الواقدي — فيما حدثت عن ابن سعد عنه : فتحت مصر والإسكندرية
في سنة عشرين .
وأما سيف فإنه زعم — فيما كتب به إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف —
أنها فتحت والإسكندرية في سنة ست عشرة .

• • •

ذكر الخبر عن فتحها وفتح الإسكندرية

قال أبو جعفر : قد ذكرنا اختلاف أهل السير في السنة التي كان فيها
فتح مصر والإسكندرية ، ونذكر الآن سبب فتحهما ، وعلى يدى من كان ؛
على ما في ذلك من اختلاف بينهم أيضاً ؛ فأما ابنُ إسحاق فإنه قال في
ذلك ما حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة عنه ، أن عمر رضى الله
عنه حين فرغ من الشام كتبها كتب إلى عمرو بن العاص أن يسير إلى مصر
في جُنده ، فخرج حتى فتح باب الیون في سنة عشرين .

قال : وقد اختلف في فتح الإسكندرية ، فبعض الناس يزعم أنها فتحت

(١) س : « كان فتح مصر » .

في سنة خمس وعشرين ، وعلى مستين من خلافة عثمان بن عفان رضى الله ٢٥٨١/١ عنه ، وعليها عمرو بن العاص .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : وحدثني القاسم بن قزمان - رجل من أهل مصر - عن زياد بن جبر الزبيدي ، أنه حدثه أنه كان في جند عمرو بن العاص حين افتتح مصر والإسكندرية ، قال : افتتحنا الإسكندرية في خلافة عمر بن الخطاب في سنة إحدى وعشرين - أو سنة اثنتين وعشرين - قال : لما افتتحنا باب اليون تدنينا قري الريف فيما بيننا وبين الإسكندرية قرية فقريه ؛ حتى انتهينا إلى بلكهيپ - قرية من قري الريف ، يقال لها قرية الريش - وقد بلغت سبايانا المدينة ومكة واليمن .

قال : فلما انتهينا إلى بلكهيپ أرسل صاحب الإسكندرية إلى عمرو ابن العاص : إني قد كنت أخرج الجزية إلى من هو أبغض إلى منكم معشر العرب لفارس والروم ، فإن أحببت أن أعطيتك الجزية على أن ترد علي ما أصبتم من سبايا أرضي فعلت .

قال : فبعث إليه عمرو بن العاص : إن ورائي أميراً لا أستطيع أن أصنع أمراً دونه ، فإن شئت أن أمسك عنك وئمسك عني حتى أكتب إليه بالذي عرضت علي ، فإن هو قبل ذلك منك قبلت ، وإن أمرني بغير ذلك مضيت لأمره . قال : فقال : نعم . قال : فكتب عمرو بن العاص إلى عمر ابن الخطاب - قال : وكانوا لا يخفون علينا كتاباً كتبوا به - يذكر له الذي عرض عليه صاحب الإسكندرية . قال : وفي أيدينا بقايا من سببهم . ثم وقفنا ببلكهيپ ؛ وأقمنا ننتظر كتاب عمر حتى جاءنا ؛ فقرأه علينا عمرو وفيه : أما بعد ؛ فإنه جاءني كتابك تذكر أن صاحب الإسكندرية عرض أن يعطيتك الجزية على أن ترد عليه ما أصيب من سبايا أرضه ؛ ولعمري لجزية قائمة تكون لنا ولمن بعدنا من المسلمين أحب إلى من فيء يقسم ، ثم كآته لم يكن ؛ فاعرض على صاحب الإسكندرية أن يعطيتك الجزية ، على أن تخيروا من في أيديكم من سببهم بين الإسلام وبين دين قومه ؛ فن اختار

منهم الإسلام فهو من المسلمين ؛ له ما علم وعليه ما عليهم ، ومن اختار دين قومه ، وضع عليه من الجزية ما يوضع على أهل دينه ، فأما من تفرق من سبيهم بأرض العرب فبلغ مكة والمدينة واليمن فإذا لا تقدر على ردّهم ، ولا نحب أن نصالحه على أمر لا نفي له به . قال : فبعث عمرو إلى صاحب الإسكندرية يعلمه الذي كتب به أمير المؤمنين . قال : فقال : قد فعلت . ٢٥٨٣/١

قال : فجمعنا ما في أيدينا^(١) من السبائيا ، واجتمعت النصارى ، فجعلنا نأتى بالرجل ممن في أيدينا ، ثم نخيره بين الإسلام وبين النصرانية ؛ فإذا اختار الإسلام كبرنا تكبيرة هي أشد من تكبيرنا حين تفتح القرية ؛ قال : ثم نحوزه إلينا ، وإذا اختار النصرانية نخرت النصارى ، ثم حازوه إليهم ، ووضعنا عليه الجزية ، وجزعنا من ذلك جزعاً شديداً ؛ حتى كأنه رجل خرج منا إليهم . قال : فكان ذلك الدأب حتى فرغنا منهم ، وقد أتى فيمن أتينا به بأبي مريم عبد الله بن عبد الرحمن — قال القاسم : وقد أدركته وهو عريف بنى زبيد — قال : فوقفناه ، فعرضنا عليه الإسلام والنصرانية — وأبوه وأمه وإخوته في النصارى — فاختر الإسلام ، فحزناه إلينا ، ووثب عليه أبوه وأمه وإخوته يجاذبوننا ، حتى شققوا عليه ثيابه ، ثم هو اليوم عريفنا كما ترى . ثم فتحت لنا الإسكندرية فدخلناها ، وإن هذه الكُناصة التي ترى يابن أبي القاسم لسكُناصة بناحية الإسكندرية حولها أحجار كما ترى ، ما زادت ولا نقصت ، فن زعم غير ذلك أن الإسكندرية وما حولها من القرى لم يكن لها جزية ولا لأهلها عهد ؛ فقد والله كذب . قال القاسم : وإنما هاج هذا الحديث أن ملوك بنى أمية كانوا يكتبون إلى أمراء مصر أن مصر إنما دخلت عسوة ؛ وإنما هم عبيدنا نزيد عليهم كيف شئنا ، ونضع^(٢) ما شئنا . ٢٥٨٤/١

قال أبو جعفر : وأما سيف ؛ فإنه ذكر فيما كتب به إلى السرى ، يذكر أن شعبياً حدثه عنه ، عن الربيع أبي سعيد ، وعن أبي عثمان وأبي حارثة ، قالوا : أقام عمر بإيلياء بعد ما صالح أهلها ، ودخلها أياماً ، فأمضى عمرو ابن العاص إلى مصر وأمّره عليها ، إن فتح الله عليه ، وبعث في أثره الزبير

(٢) أى نخط عنهم ما شئنا .

(١) من وابن حبش : « بأيدينا » .

ابن العوام مدداً له ، وبعث أبا عبيدة إلى الرّماة ، وأمره إن فتح الله عليه أن يرجع إلى عمله .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، قال : حدثنا أبو عثمان عن خالد وعادة ، قالوا : خرج عمرو بن العاص إلى مصر بعد ما رجع عمر إلى المدينة ؛ حتى انتهى إلى باب اليون ، وأتبعه الزبير ، فاجتمعا ، فلقبهم هنالك أبو مريم جاثليق مصر^(١) ومعه الأسقف في أهل النّيات^(٢) بعثه المقوقس لمنع بلادهم . فلما نزل بهم عمرو قاتلوه ، فأرسل إليهم^(٣) : لا تعجلّونا لنُعذّر إليكم ، وتروّن رأيكم بعد . فكفّوا أصحابهم ، وأرسل إليهم عمرو : إني بارز فليبرز إلى أبو مريم وأبو مريام ، فأجابوه إلى ذلك ، وآمن بعضهم بعضاً ، فقال لهما عمرو : أنتما راهبا هذه البلدة^(٤) فاسمعا ، إن الله عزّ وجلّ بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالحقّ وأمره به ، وأمرنا به محمد صلى الله عليه وسلم ، وأدّى إلينا كلّ الذي أمر به ، ثم مضى صلوات الله عليه ورحمته وقد قضى الذي عليه ، وتركنا على الواضحة ؛ وكان مما أمرنا به الإعذار إلى الناس ، فنحن ندعوكم إلى الإسلام ، فن أجابنا إليه فقتلنا ، ومن لم يجبنا عرضنا عليه الجزية ، وبذلنا له المشعة ، وقد أعلمنا أنا مفتحوكم ، وأوصانا بكم حفظاً لرحمتنا فيكم ، وإنّ لكم إن أجبتونا بذلك ذمّة إلى ذمّة . وما عهد إلينا أميرنا : استوصوا بالقسطين خيراً ؛ فإنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصانا بالقسطين خيراً ، لأنّ لهم رحمة وذمّة ، فقالوا : قرابة بعيدة لا يصل مثلها إلاّ الأنبياء ، معروفة شريفة ، كانت ابنة ملكنا ، وكانت من أهل منسف والملك فيهم ، فأدبل عليهم أهل عين شمس ، فقتلوهم وسلبوا ملكهم واغتربوا ، فلذلك صارت إلى إبراهيم عليه السلام مرحباً به وأهلاً ، آمناً حتى نرجع إليك . فقال عمرو : إنّ مثلي لا يخدع ، ولكني أؤجلكما ثلاثاً لننظرا ولتنظرا قومكما ؛ وإلاّ ناجزتك ، قالوا : زدنا ، فزادهم يوماً ، فقالوا : زدنا ، فزادهم يوماً ، فرجعا إلى المقوقس فهم ، فأبى أرطبون أن يجيبهما ، وأمر بمناهدتهم

(١) الجاثليق : رئيس النصارى في بلاد الإسلام . (٢) ابن كثير : « الثبات » .

(٣) ابن حيش : « إليهم عمرو » . (٤) ابن حيش : « راهبا أهل هذه البلدة » .

فقالا لأهل مصر : أما نحن فسنجهد أن ندفع عنكم ، ولا نرجع إليهم ، وقد بقيت أربعة أيام ، فلا تصابون فيها بشيء إلا رجونا أن يكون له أمان . فلم يفجأ عمرًا والزبير إلا البيات من فترقتب ، وعمرو على عُدّة ، فلقوه فقتل ومن معه ، ثم ركبوا أكساءهم ، وقصد عمرو والزبير لعين شمس ، وبها جمعهم ، وبعث إلى الفرما أبرهة بن الصباح ، فتل عليها ، وبعث عوف بن مالك إلى الإسكندرية ، فتل عليها ، فقال كل واحد منهما لأهل مدينته : إن تنزلوا فلكم الأمان ، فقالوا : نعم ، فراسلوهم ، وتربص بهم أهل عين شمس ، وسبى المسلمون من بين ذلك . وقال عوف بن مالك : ما أحسن مدينتكم يا أهل الإسكندرية ! فقالوا : إن الإسكندر قال : إني أبني مدينة إلى الله فقيرة ، وعن الناس غنيّة — أولأبني مدينة إلى الله فقيرة ، وعن الناس غنيّة — فبقيت بهجتها .

وقال أبرهة لأهل الفرما : ما أخلق مدينتكم يا أهل الفرما ؟ قالوا : إن الفرما قال : إني أبني مدينة عن الله غنيّة ، وإلى الناس فقيرة ، فذهبت بهجتها . وكان الإسكندر والفرما أخوين .

قال أبو جعفر : قال الكلبي : كان الإسكندر والفرما أخوين ، ثم حدثت بمثل ذلك ، فنسبتا إليهما ، فالفرما ينهدم فيها كل يوم شيء ، وخلقت مرآتها ، وبقيت جِدّة الإسكندرية .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي حارثة وأبي عثمان ، قالوا : لما نزل عمرو على القوم بعين شمس ، وكان الملك بين القبط والنوب ، ونزل معه الزبير عليها . قال أهل مصر للمكهم : ما تريد إلى قوم فلثوا كمرى وقيصر ، وغلبهم على بلادهم ! صالح القوم واعتقد منهم ، ولا تعرّض لهم ، ولا تعرّضنا لهم — وذلك في اليوم الرابع — فأبى ، وناهدوهم فقاتلوهم ، وارتقى الزبير سورها ، فلما أحسّوه فتحوا الباب لعمرو ، وخرجوا إليه مصالحين ؛ فقبل منهم ، ونزل الزبير عليهم عتوة ؛ حتى خرج ^(١) على عمرو من الباب

معهم ، فاعتقدوا بعد ما أشرفوا على الهلكة ، فأَجْرُوا ما أَخَذَ عَنْهُ مُجْرَى ما صالح عليه ؛ فصاروا ذمة ، وكان صلحهم :

• • •

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان على أنفسهم وملتهم وأموالهم وكنائسهم وصلبهم ، وبرهم وبحرهم ؛ لا يدخل عليهم شيء من ذلك ولا ينقص ^(١) ، ولا يساكنهم التوب . وعلى أهل مصر أن يعطوا الجزية إذا اجتمعوا على هذا الصلح ، وانتهت زيادة نهرهم خمسين ألف ألف ، وعليهم ما جنى لئصوتهم ^(٢) ، فإن أبى أحد منهم أن يجيب رُفَع عنهم من الجزاء بقدرهم ، وذمتنا ^(٣) مِن أبى بريثة ، وإن نقص نهرهم من غايته إذا انتهى رُفَع عنهم بقدر ذلك ، ومن دخل في صلحهم من الروم والتوب فله مثل ما لم ، وعليه مثل ما عليهم ، ومن أبى واختار الدّهاب فهو آمن حتى يبلغ مأمنه ، أو يخرج من سلطاننا . عليهم ما عليهم أثلاثاً في كل ثلاث جباية ثلث ما عليهم ، على ما في هذا الكتاب عهد الله وذمته وذمة رسوله وذمة الخليفة أمير المؤمنين وذم المؤمنين ، وعلى النوبة ٢٥٨٩/١ الذين استجابوا أن يعينوا بكذا وكذا رأساً ، وكذا وكذا فرساً ^(٤) ، على ألا يغزوا ولا يمنعوا من تجارة صادرة ولا واردة . شهد الزبير وعبد الله ومحمد ابناه . وكتب وردان وحضر .

فدخل في ذلك أهل مصر كلهم ، وقبلوا الصلح ، واجتمعت الخيول فصّر عمرو القسطنطين ، ونزله المسلمون ، وظهر أبو مريم وأبو مريام ، فكلما عمراً في السبايا التي أصيبت بعد المعركة ، فقال : أولم عهد وعقد ؟ ألم نحالفكما ويغار علينا من يومكما ! وطردهما ، فرجعا وهما يقولان : كل شيء أصبتموه إلى أن نرجع إليكم في ذمة منكم ، فقال لهما : أنغيرون علينا وهم في ذمة ؟ قالوا : نعم ، وقم عمرو ذلك السبي على الناس ، وتوزعوه ، ووقع في بلدان العرب . وقدم البشير على عمر بعد بالأخماس ، وبعث الوفود

(١) س : « ينقص » . الصوت : جمع لصت ؛ ودوالص .

(٢) ابن كثير : « فين أبى » . (٣) بعدها في ابن حيش : « مودة » .

٢٥٩٠/١ فسألهم عمر ، فما زالوا يُخبرونه حتى مروا بحديث الجاثليق وصاحبه ، فقال :
 ألا أراهما يبصران وأنتم تُجاهلون ولا تُبصرون ! مَنْ قاتلكم فلا أمان له ،
 ومَنْ لم يقاتلكم فأصابه منكم شيء من أهل القرى فله الأمان في الأيام الخمسة
 حتى تنصرم ، وبعث في الأفاق حتى رُدَّ ذلك السَّبي الذي سُبوا ممن لم يقاتل
 في الأيام الخمسة إلا مَنْ قاتل بعدُ ، فترادُّوهم إلا ما كان من ذلك الضرب ،
 وحضرت القَيْطُ باب عمرو ، وبلغ عمرًا أنهم يقولون : ما أرتَّ العرب وأهون عليهم
 أنفسهم ! ما رأينا مثلنا دان لهم ! فخاف أن يستثيرهم ذلك من أمرهم ،
 فأمر بـجُزُر فذبيحت ، فطبخت بالماء والملح ، وأمر أمراء الأجناد أن يحضروا ،
 وأعلموا أصحابهم ، وجلس وأذن لأهل مصر ، وجيء باللحم والمرق فطافوا به
 على المسلمين ، فأكلوا أكلا عربياً ، انتشلوا وحسَّوْا وهم في العباء ولا سلاح ،
 ٢٥٩١/١ فافترق أهل مصر وقد ازدادوا طمعاً وجراً ، وبعث في أمراء الجنود في الحضور
 بأصحابهم من الغد ، وأمرهم أن يجيئوا في ثياب أهل مصر وأحذيتهم ، وأمرهم
 أن يأخذوا أصحابهم بذلك ففعلوا ، وأذن لأهل مصر ، فرأوا شيئاً غير ما رأوا
 بالأمس ، وقام عليهم القوام بألوان مصر ، فأكلوا أكل أهل مصر ، ونحووا نحوه ،
 فافترقوا وقد ارتابوا ، وقالوا : كدنا . وبعث إليهم أن تسلحوا للعرض غداً ،
 وغدا على العرض ، وأذن لهم فعرضهم عليهم . ثم قال : إني قد علمت أنكم
 رأيتم في أنفسكم أنكم في شيء حين رأيتم اقتصاد العرب وهَوْنُ ترجيتهم ،
 فخشيت أن تهلكوا ، فأحببت أن أريكم حالهم ، وكيف كانت في أرضهم ،
 ثم حالهم في أرضكم ، ثم حالهم في الحرب ، فظفروا بكم ، وذلك عيشهم ، وقد
 ٢٥٩٢/١ كلبوا على بلادكم قبل أن ينالوا منها ما رأيتم في اليوم الثاني ، فأحببت أن
 تعلموا أن من رأيتم في اليوم الثالث غير تارك عيش اليوم الثاني ، وراجع
 إلى عيش اليوم الأول . ففترقوا وهم يقولون : لقد رمتكم العرب ببرجلهم .
 وبلغ عمر ، فقال بلجسائه : والله إن حربته لئليته ما لها سَطْوَةٌ ولا سَوْرَةٌ
 كسورات الحروب من غيره ؛ إنَّ عَمراً ليعض . ثم أمره عليها وقام بها .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي سعيد الربيع

ابن النعمان ، عن عمرو بن شعيب ، قال : لما التقى عمرو والمقوقس بعين شمس ،

واقترنت خيلاهما ، جعل المسلمون يحولون بعد البعد . فدّمهم عمرو ، فقال رجل من أهل اليمن : إنّا لم نخلق من حجارة ولا حديد ! فقال : اسكت ؛ فإنما أنت ككلب ، قال : فأنت أمير الكلاب ، قال : فلما جعل ذلك يتواصل نادى عمرو : أين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فحضر من شهدها من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : تقدّموا ، فبكم ينصر الله المسلمين . فتقدّموا وفيهم يومئذ أبو بردة وأبو برة ، وناهدهم الناس يتبعون الصحابة ، ففتح الله على المسلمين ، وظفروا أحسن الظفر . وافتتحت مصر في ربيع الأول سنة ست عشرة ، وقام فيها ملك الإسلام على ٢٥٩٣/١ رجل ، وجعل يفيض على الأمم والملوك ؛ فكان أهل مصر يتدقّقون على الأجل ، وأهل مكران على راسل وداهر ، وأهل سجستان على الشاه ودويه ، وأهل خرّاسان والباب على خاقان ، وخاقان ومن دونهما من الأمم ، فكفكفهم عمر إبقاء على أهل الإسلام ، ولو خلت سيرهم لبلغوا كل منهل .

حدثني علي بن سهل ، قال : حدثنا الوليد بن مسلم ، قال : أخبرني ابن لهيعة ، عن يزيد بن أبي حبيب ، أن المسلمين لما فتحوا مصر غزوا نوبة مصر ، فقتل المسلمون بالجرّاحات ، وذهب الحدق من جودة الرمي ، فسموا رماة الحدق ، فلما وليّ عبد الله بن سعد بن أبي سرح مصر ، ولّاه إياها عثمان بن عفان رضي الله عنه ، صالحهم على هديّة عدّة رؤوس منهم ، يؤدّونها إلى المسلمين في كل سنة ، ويهدى إليهم المسلمون في كل سنة طعاماً مستى وكسوة من نحو ذلك .

قال علي : قال الوليد : قال ابن لهيعة : وأمضى ذلك الصلح عثمان ومن بعده من الولاة والأمراء ، وأقرّه عمر بن عبد العزيز نظراً منه للمسلمين ، وإبقاء عليهم .

قال سيف : ولما كان ذو القعدة من سنة ست عشرة ، وضع عمر رضي ٢٥٩٤/١

الله عنه مسالح مصر على السواحل كلها ، وكان داعية ذلك أن هيرقل أغزى

مصر والشَّام في البحر ، وتهد لأهل حِمص بنفسه ، وذلك لثلاث سنين وستة أشهر من إمارة عمر رضى الله عنه .

• • •

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة - أعني سنة عشرين - غزا أرض الروم أبو بَحْرِيَّة ^(١) الكِنْدِيَّ عبد الله بن قيس ؛ وهو أولُ مَنْ دخلها - فيما قيل . وقيل : أولُ مَنْ دخلها ميسرة بن معروق العبسي ، فسلم ^(٢) وغنم . قال : وقال الواقدي : وفي هذه السنة عزل قدامة بن مظعون عن البحرين ، وحُدِّثَ في شرب الخمر .

وفيهما استعمل عُمر أبا هريرة على البحرين واليامة .

قال : وفيها تزوج عمر فاطمة بنت الوليد أم عبد الرحمن بن الحارث ابن هشام .

قال : وفيها توفي بلال بن رباح رضى الله عنه ، ودُفِنَ في مقبرة دمشق . وفيها عزل عمرُ سعداً عن ^(٣) الكوفة لشكايتهم إياه ، وقالوا : لا يحسنُ يصلّي .

وفيها قعم عمر خيبرَ بين المسلمين ، وأجلّى اليهود منها ؛ وبعث أبا حبيبة إلى فدك فأقام لهم نصف ^(٤) . . . ، فأعطاهم ، ومضى إلى وادي القرى فقسمها . ٢٥٩٥/١

وفيها أجلّى يهود نَجْرَان إلى الكوفة - فيما زعم الواقدي .

قال الواقدي : وفي هذه السنة - أعني سنة عشرين - دَوَّنَ عمر رضى الله عنه الدواوين . قال أبو جعفر : قد ذكرنا قول من خالفه .

وفيها بعث عمر رضى الله عنه علقمة بن مجرّز المَدَلَجِيَّ إلى الحبشة في البحر ؛ وذلك أن الحبشة كانت تطرّفت - فيما ذكر - طرفاً من أطراف الإسلام ؛ فأصيبوا ، فجعل عمر على نفسه ألاَّ يحمل في البحر أحداً أبداً .

(١) ابن حيش : « بحرة » . (٢) ابن الأثير : « نسي » .

(٣) ابن الأثير وابن كثير : « عنها » . (٤) كذا في ط .

وأما أبو معشر فإنه قال - فيها حدثني أحمد بن ثابت ، عمن ذكره ،
عن إسحاق بن عيسى ، عنه : كانت غزوة الأساودة في البحر سنة إحدى
وثلاثين .

قال الواقدي : وفيها مات أسيد بن الحضير في شعبان .

وفيها ماتت زينب بنت جحش .

• • •

وحج في هذه السنة عمر رضي الله عنه .

وكانت عماله في هذه السنة على الأمصار عماله عليها في السنة التي قبلها ،
إلا من ذكرت أنه عزله واستبدل به غيره ، وكذلك قضاته فيها كانوا القضاة
الذين كانوا في السنة التي قبلها .

ثم دخلت سنة إحدى وعشرين

قال أبو جعفر : وفيها كانت وقعة نهاوند في قول ابن إسحاق ؛ حدثنا بذلك ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة . عنه .
وكذلك قال أبو معشر ؛ حدثني بذلك أحمد بن ثابت ، عمن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عنه .
وكذلك قال الواقدي .

وأما سيف بن عمر فإنه قال : كانت وقعة نهاوند في سنة ثمان عشرة في سنة ست من إمارة عمر ؛ كتب إلى بذلك السري ، عن شعيب ، عن سيف .

• • •

ذكر الخبر عن وقعة المسلمين والفرس بنهاوند

وكان ابتداء ذلك - فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال - كان من حديث نهاوند أن النعمان بن مقرن كان عاملاً على كسسكر ؛ فكتب إلى عمر رضي الله عنه يخبره أن سعد ابن أبي وقاص استعمله على جباية الخراج ، وقد أجبته الجهاد ورغب فيه . فكتب عمر إلى سعد : إن النعمان كتب إلى يذكر أنك استعملته على جباية الخراج ، وأنه قد كره ذلك ، ورغب في الجهاد ، فابعث به إلى أمهم وجوهك ؛ إلى نهاوند .

قال : وقد اجتمعت بنهاوند الأعاجم ، عليهم ذو الحاجب - رجل من الأعاجم - فكتب عمر إلى النعمان بن مقرن :

بسم الله الرحمن الرحيم . من عبدالله عمر أمير المؤمنين إلى النعمان بن

مقرن ، سلامٌ عليك ؛ فلأنّ أحمد إليك الله^(١) الذي لا إله إلا هو ؛ أمّا بعد ؛ فإنه قد بلغني أنّ جموعاً من الأعاجم كثيرة قد جمعوا لكم بمدينة ٢٥٩٧/١ نِهاوند ؛ فإذا أتاك كتابي هذا فسر بأمر الله ، وبعون الله ، وبنصر الله ، بمن معك من المسلمين ، ولا توطنهم وعرّاً فتؤذيهم ، ولا تمنعهم حقهم فتكفرهم ؛ ولا تدخلنهم غيضة ، فإنّ رجلاً من المسلمين أحبّ إلىّ من مائة ألف دينار . والسلام عليك .

فسار النعمان إليه ومعه وجوه أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم ؛ منهم حذيفة بن اليمان ، وعبد الله بن عمر بن الخطاب ، وجريز بن عبد الله البجليّ ، والمغيرة بن شعبة ، وعمرو بن معد يكرب الزبيديّ ، وطلحة بن خويلد الأسديّ ، وقيس بن مكشوح المراديّ . فلما انتهى النعمان بن مقرن في جنده إلى نِهاوند ، طرخوا له حسك الحديد ، فبعث عيوناً ، فساروا لا يعلمون الحسك ، فزجر بعضهم فرسه ؛ وقد دخلت في يده حسكة ، فلم يبرح ، فنزل ، فنظر في يده فإذا في حافره حسكة ، فأقبل بها ، وأخبر النعمان الخبر ، فقال النعمان للناس : ما ترون ؟ فقالوا : انتقل من منزلك هذا حتى يروا أنّك هارب منهم ، فيخرجوا في طلبك ؛ فانتقل النعمان من منزله ذلك ، وكنست الأعاجم الحسك ، ثم خرجوا في طلبه ، وعطف عليهم النعمان ، فضرب عسكره ، ثم عبى كتابه ، وخطب الناس فقال : إنّ أُصيبَ فعليكم حذيفة بن اليمان ، وإن أُصيبَ فعليكم جريز بن عبد الله ، وإن أُصيبَ جريز بن عبد الله فعليكم قيس بن مكشوح ؛ فوجد المغيرة بن شعبة في نفسه إذ لم يستخلفه ، فأناه ، فقال له : ما تريد أن تصنع ؟ فقال : إذا ٢٥٩٨/١ أظهرت^(٢) قاتلتهم ، لأنّي رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يستحبّ ذلك ؛ فقال المغيرة : لو كنت بمنزلك باكرتهم القتال ، قال له النعمان : ربما باكرت القتال ؛ ثم لم يسود الله وجهك . وذلك يوم الجمعة . فقال النعمان : نصلى إن شاء الله ، ثم نلقى عدونا دُبُر الصلاة ، فلما تصافوا قال النعمان للناس : إننى مكبر ثلاثاً ؛ فإذا كبرت الأولى فشدّ رجل شِيعه ، وأصلح

(١) ابن حبيش وابن كثير : « الله إليك » . (٢) أظهرت : أى صليت الظهر .

من شأنه؛ فإذا كبرت الثانية ، فشدّ رجل لإزاره ، ونهياً لوجه حملته ؛ فإذا كبرت الثالثة فاحملوا عليهم ؛ فلما حامل . وخرجت الأعاجم قد شدوا أنفسهم بالسلاسل لثلاث يفرّوا ، وحمل عليهم المسلمون فقاتلهم ، فرمى النعمان بنشابة فقتل رحمه الله ، فلفه أخوه سُويّد بن مقرن في ثوبه ، وكنم قتله حتى فتح الله عليهم ، ثم دفع الرّاية إلى حذيفة بن اليمان ، وقتل الله ذا الحجاب ، وافتُتحت نِهاوند ، فلم يكن للأعاجم بعد ذلك جماعة .

• • •

قال أبو جعفر : وقد كان - فيما ذكر لي - بعث عمر بن الخطاب رضى الله عنه السائب بن الأقرع ، مولى ثقيف - وكان رجلاً كاتباً حاسباً - فقال : الحق بهذا الجيش فكن فيهم ؛ فإنّ فتح الله عليهم فاقسم على المسلمين فيثّهم ، ونخذ خمس الله وخمس رسوله ؛ وإنّ هذا الجيش أُصيب ، فاذهب في سواد الأرض ، فبطن الأرض خيرٌ من ظهرها .

قال السائب : فلما فتح الله على المسلمين نِهاوند ، أصابوا غنائم عظاماً ، فوالله إني لأقسم بين الناس ، إذ جاعني عِلْج من أهلها فقال : أتؤمنني على نفسي وأهلي وأهل بيتي ؛ على أن أدلك على كنوز النّخيرجان - وهي كنوز آل كسرى - تكون لك ولصاحبك ، لا يشركك فيها أحد ؟ قال : قلت : نعم ، قال : فابعث معي من أدله عليها ، فبعثت معه ، فأتى بسفطين عظيمين ليس فيهما إلاّ اللؤلؤ والزّبرجد والياقوت ؛ فلما فرغت من قسّمي بين الناس احتملتها معي ؛ ثم قدّمت على عمر بن الخطاب ؛ فقال : ما وراءك يا سائب ؟ فقلت : خير يا أمير المؤمنين ؛ فتح الله عليك بأعظم الفتح ، واستشهد النعمان ابن مقرن رحمه الله . فقال عمر : إنا لله وإنا إليه راجعون ! قال : ثم بكى فنشج ، حتى إنّي لأنظر إلى فروع منكبّيه من فوق كتفه^(١) . قال : فلما رأيتُ ما لقي قلت : والله يا أمير المؤمنين ما أُصيب بعده من رجل يُعرف وجهه . فقال المستضعفون من المسلمين : لكنّ الذي أكرمهم بالشهادة يعرف وجوههم وأنسابهم ، وما يصنعون بمعرفة عمر بن أمّ عمر ! ثم قام ليدخل ، فقلت : إن

(١) الكتد : مجتمع الكتفين من الإنسان .

معى مالا عظيماً قد جثت به ، ثم أخبرته خبر السفطيين ، قال : أدخلتهما بيت المال حتى ننظر فى شأنهما ، والحق بجندك . قال : فأدخلتهما بيت المال ، وخرجت سريعاً إلى الكوفة . قال : وبات تلك الليلة التى خرجت فيها ، فلما أصبح بعث فى أثرى رسولاً ، فوالله ما أدركنى حتى دخلت الكوفة ، فأنخت بعيرى ، وأناخ بعيره على عرقوبى بعيرى ، فقال : الحق بأمر المؤمنين ، فقد بعثنى فى طلبك ، فلم أقدر عليك إلا الآن . قال : قلت : ويملك ! ماذا ولماذا ؟ قال : لا أدري والله ، قال : فركبتُ معه حتى قدمتُ عليه ، فلما رآنى قال : مالى ولا بن أم السائب ! بل ما لابن أم السائب ومالى ! قال : قلت : وماذا يا أمير المؤمنين ؟ قال : ويحك ! والله ما هو إلا أن نمت فى الليلة التى خرجت فيها ، فباتت ملائكة ربى تسحبني إلى ذينك السفطيين يشتعلان ناراً ، يقولون : لنكويَنَّك بهما ، فأقول : إني ما قسمهما بين المسلمين ؛ فخذهما عنى لا أبالك والحق بهما ، فبعهما فى أعطية المسلمين وأرزاقهم . قال : فخرجتُ بهما حتى وضعتهما فى مسجد الكوفة ، وغشيتى التجار ، فابتاعهما منى عمرو بن حريث المخزومي بألئى ألف ؛ ثم خرج بهما إلى أرض الأعاجم ، فباعهما بأربعة آلاف ألف ؛ فما زال أهل الكوفة مالا بعد .

حدثنا الربيع بن سليمان ، قال : حدثنا أسد بن موسى ، قال : حدثنا المبارك بن فضالة ، عن زياد بن حدير ^(١) ، قال : حدثني أبى ؛ أن عمر ابن الخطاب رضى الله عنه ، قال للهزمزان حين آمنه : لا بأس ، انصح لى ، قال : نعم ، قال : إن فارس اليوم رأس وجناحان ؛ قال : وأين الرأس ؟ قال : بنوهاوند مع بُسندار ^(٢) ؛ فإن معه أساورة كسرى وأهل إصبيهان ، قال : وأين الجناحان ؟ فذكر مكاناً نسبته ، قال : فاقطع الجناحين يمين الرأس . ^{٢٦٠١/١} فقال عمر : كذبت يا عدو الله ! بل أعمد إلى الرأس فأقطعه ، فإذا قطعه الله لم يعص عليه الجناحان . قال : فأراد أن يسير إليه بنفسه ، فقالوا : نذكرك الله يا أمير المؤمنين أن تسير بنفسك إلى حلبة العجم ؛ فإن أُصبت لم يكن للمسلمين نظام ؛ ولكن ابعث الجنود ؛ فبعث أهل المدينة فيهم عبد الله بن

(١) كذا فى البلاذرى ، وفى ط « جبير » تحريف . (٢) هومردان شاه ذو الجناحين ؛ وانظر التصويبات .

عمر بن الخطاب ، وفيهم المهاجرون والأنصار ؛ وكتب إلى أبي موسى الأشعري أن سرّ بأهل البصرة ، وكتب إلى حذيفة بن اليمان أن سرّ بأهل الكوفة حتى تجتمعوا جميعاً بنهاوند ؛ وكتب : إذا التقيتم فأمرُكم النعمان بن مقرن المزني ؛ فلما اجتمعوا بنهاوند ، أرسل بُشار العليج إليهم : أن أرسلوا إلينا رجلاً نكلّمه ؛ فأرسلوا إليه المغيرة بن شعبه . قال أبي : كأني أنظر إليه ؛ رجلاً طويل الشعر أعور ؛ فأرسلوه إليه ، فلمّا جاء سأله ، فقال : وجدته قد استشار أصحابه ؛ فقال : بأيّ شيء نأذن لهذا العربي ؟ بشارتنا وبهجتنا وملّكتنا ، أو نتكشف له فيما قبلنا حتى يزهد ؟ فقالوا : لا ، بل بأفضل ما يكون من الشارة والعدة ، فتهيّئوا بها ، فلما أتيناهم كادت الحراب والنيازك يلتصع منها البصر^(١) ، فإذا هم على رأسه مثل الشياطين ، وإذا هو على سرير من ذهب على رأسه التاج . قال : فضيت كما أنا ونكست ، قال : فدفعت ونهنت ، فقلت : الرسل لا يفعل بهم هذا ، فقالوا : إنما أنت كلب ، فقلت : معاذ الله ! لانا أشرف في قومي من هذا في قومه ؛ فانتهروني ، وقالوا : اجلس ؛ فأجلسوني . قال — وترجم له قوله : إنكم معشر العرب أبعدُ الناس من كل خير ، وأطول الناس جوعاً ، وأشق الناس شقاء ، وأقلر الناس قنّداً ، وأبعد داراً ؛ وما معنى أن أمر هؤلاء الأساورة حولي أن ينتظموكم بالنشاب إلا تنجساً لحيفكم ؛ فإنكم أرجاس ؛ فإن تذهبوا نخلّ عنكم ، وإن تأثروا نركم مصارعكم ؛ قال : فحمدت الله ، وأثّنت عليه ، فقلت : والله ما أخطأت من صفتنا شيئاً ، ولا من نعتنا ، إن كنا لأبعد الناس داراً ، وأشدّ الناس جوعاً ، وأشق الناس شقاء ، وأبعد الناس من كل خير ، حتى بعث الله عزّ وجلّ إلينا رسوله صلى الله عليه وسلم ؛ فوجدنا النصر في الدنيا ، والجنة في الآخرة ؛ فوالله ما زلنا نتعرف من ربنا منذ جاءنا رسوله الفتح والنصر ؛ حتى أتيناكم ؛ ولما والله لا نرجع إلى ذلك الشقاء أبداً حتى نغلبكم على ما في أيديكم ؛ أو نقتل بأرضكم . فقال : أما والله إن الأعور قد صدقكم الذي في نفسه . قال : فقمْتُ وقد والله أربعتُ العليج جهدي . قال : فأرسل

(١) النيازك : جمع نيزك ، وهو الرمح القصير . يلتصع البصر : يختلس .

إلينا العليج : إماماً أن تعبروا إلينا بنهاوند ، وإماماً أن نعبُر إليكم . فقال النعمان : اعبروا ، قال أبي (١) : فلم أرَ والله مثل ذلك اليوم ، إنهم يجيئون كأنهم جبال حديد ، قد توافقوا ألا يفرّوا من العرب ، وقد قرن بعضهم بعضاً ؛ سبعة في قِيران ، وألقوا حسك الحديد خلفهم ، وقالوا : مَنْ فترَ منّا عقّره حسك الحديد . فقال المغيرة حين رأى كثرتهم : لم أرَ كالיום فشلاً ، إن عدونا يُتركون يتأهبون لا يُعجلون ، أما والله لو أن الأمر لي لقد أعجلتهم - وكان النعمان بن مقرن رجلاً ليناً فقال له : فالله عز وجل " يُشهدك (٢) أمثالها فلا يُجْزئك ولا يعيبك موقفك ، إنه والله ما منعى من أن أناجزهم إلا شئء شهدته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ إن رسول الله كان إذا غزا فلم يقاتل أول النهار لم يعجل حتى تحضر الصلاة ، وهب الأرواح ، ويطيب القتال ؛ فما منعى إلا ذلك . اللهم إني أسألك أن تُفِرَّ عيني اليوم بفتح يكون فيه عز الإسلام ، وذلّ يذلل به الكفار ، ثم اقبضني إليك بعد ذلك على الشهادة ، أمتوا برحمتكم الله ! فأمتنا وبكينا . ثم قال : إني هازئ لوائى فتيسروا للسلح ، ثم هازئ الثانية ، فكونوا متأهبين لقتال عدوكم ، فإذا هزئت الثالثة فليحمل كل قوم على ٢٦٠٤/١ مَنْ يليهم من عدوهم على بركة الله .

قال : وجاءوا بحسك الحديد . قال : فجعل يلبث حتى إذا حضرت الصلاة وهبت الأرواح كبر وكبرنا ، ثم قال : أرجو أن يستجيب الله لي ؛ ويفتح عليّ ، ثم هزّ اللواء ، فتيسروا للقتال ، ثم هزّ الثانية فكتنا بإزاء العدو ، ثم هزّ الثالثة .

قال : فكبر وكبر المسلمون ، وقالوا : فتحمّا يعزّ الله به الإسلام وأهله ، ثم قال النعمان : إن أُصِيبَ فعلى الناس حُدَيْفَةُ بن اليان ؛ وإن أُصِيبَ حُدَيْفَةُ ففلان ؛ وإن أُصِيبَ فلان ففلان ؛ حتى عدّ سبعة آخرهم المغيرة ، ثم هزّ اللواء الثالثة ، فحمل كل إنسان على مَنْ يليه من العدو . قال : فوالله ما علمت من المسلمين أحداً يومئذ يريد أن يرجع إلى أهله ، حتى يُقتل أو يظفر ، فحملنا حملة واحدة ، وثبتوا لنا ، فاكنتنا نسمع إلا وقع الحديد على الحديد ، حتى أصيب المسلمون بمصائب عظيمة ، فلمّا رأوا صبرنا وأنا لا نبرح

(١) ابن حبيش : « قال جبير » . (٢) ابن حبيش : « كان الله أشهدك » .

العرصة انهزموا ، فجعل يقع الواحد فيقع عليه سبعة ؛ بعضهم على بعض في قياد ، فيقتلون جميعاً ، وجعل يعقرهم حسل الحديد الذي وضعوا خلفهم . فقال النعمان رضى الله عنه : قدموا اللواء ، فجعلنا نقدّم اللواء ، ونقتلهم ونهزمهم . فلما رأى أن الله قد استجاب له ورأى الفتح ، جاءته نُسابة فأصابته خاصرته ، فقتلته . قال : فجاء أخوه معقل فسجى عليه ثوباً ، وأخذ اللواء فقاتل ، ثم قال : تقدّموا نقتلهم ونهزمهم ؛ فلما اجتمع الناس قالوا : أين أميرنا ؟ قال معقل : هذا أميركم ، قد أقرّ الله عينه بالفتح ؛ وختم له بالشهادة . قال : فبايع الناس حذيفة وعمر بالمدينة يستنصر له^(١) ، ويدعو له مثل الحبلى .

٢٦٠٥/١

قال : وكتب إلى عمر بالفتح مع رجل من المسلمين ؛ فلما أتاه قال له : أبشِر يا أمير المؤمنين بفتح أعزّ الله به الإسلام وأهله ، وأذلّ^(٢) به الكفر وأهله . قال : فحمد الله عزّ وجلّ ، ثم قال : آلنعمان بعثك ؟ قال : احتسب النعمان يا أمير المؤمنين ، قال : فبكى عمر واسترجع . قال : ومن ويحك ! قال : فلان وفلان ؛ حتى عدّ له نامساً كثيراً ، ثم قال : وآخرين يا أمير المؤمنين لا تعرفهم ، فقال عمر وهو يبكى : لا يضرهم ألا يعرفهم عمر ؛ ولكن الله يعرفهم .

وأما سيف ، فإنه قال - فيما كتب إلى السرى يذكر أن شعيباً حدثه عنه ؛ وعن محمد والمهلب وطلحة وعمر وسعيد - إنّ الذى هاج أمر نِهاوند أنّ أهل البصرة لما أشجوا الهرمزان ، وأعجلوا أهل فارس عن مصاب جند العلاء ، ووطئوا أهل فارس ، كاتبوا ملكهم ؛ وهو يومئذ بمِمْرُو ، فحرّكوه ، فكتب الملك أهل الجبال من بين الباب والسند وخرّاسان وحُلوان ، فتحرّكوا وتكاتبوا ، وركب بعضهم إلى بعض ، فأجمعوا أن يوافوا نِهاوند ، ويبرموا فيها أمورهم ، فتوافى إلى نِهاوند أوائلهم .

وبلغ سعد الخبر عن قبّاذ صاحب حُلوان ، فكتب إلى عمر بذلك ، فترا بسعد أقوام ، وألبوا عليه فيما بين ترأسل القوم واجتماعهم إلى نِهاوند ، ولم يشغلهم

٢٦٠٦/١

(١) ابن حبيش : « يستنصر الله ويدعوه » . (٢) ابن حبيش : « فيه » .

ما دهم المسلمين من ذلك ؛ وكان ممن نهض الجراح بن سنان الأسدي في نفر ، فقال عمر : إنَّ الدليل على ما عندكم من الشرِّ نهوضكم في هذا الأمر ، وقد استعدَّ لكم من استعدوا ، وإيم الله لا يمنعني ذلك من النظر فيما لديكم وإن نزلوا بكم . فبعث عمر محمد بن مسلمة ، والناس في الاستعداد للأعاجم ، والأعاجم في الاجتماع — وكان محمد بن مسلمة هو صاحب العمال الذي يقتص آثار من شُكِّيَ زمان عمر — فقدم محمد على سعد ليطوف به في أهل الكوفة ، والبعوث تضرَّب على أهل الأمصار إلى نهاوند ، فطوف به على مساجد أهل الكوفة ، لا يتعرض للمسألة عنه في السرِّ ، وليست المسألة في السرِّ من شأنهم إذ ذاك ؛ وكان لا يقف على مسجد فيسألهم عن سعد إلَّا قالوا : لا نعلم إلَّا خيراً ، ولا نشتبه به بدلاً ، ولا نقول فيه ، ولا نعين عليه ؛ إلَّا من مالا الجراح بن سنان وأصحابه ؛ فإنهم كانوا يسكتون لا يقولون سوءاً^(١) ، ولا يسوغ لهم ، ويتعمدون ترك الثناء ، حتى انتهوا إلى بني عيس ، فقال محمد : أنشد بالله رجلاً يعلم حقَّ إلَّا قال ! قال أسامة بن قتادة : اللهم إن نشدتنا فإنه لا يقسم بالسوية ، ولا يعدل في الرعية^(٢) ، ولا يغزو في السرية . فقال سعد : اللهم إن كان قالها كاذباً^(٣) ورتاءً وسمعة فأعمر بصره ، وأكثر عياله ، وعرضه لمضلات الفن . فعيسى ، واجتمع عنده عشر بنات ، وكان يسمع بخبر المرأة فيأتيها حتى يجسها ؛ فإذا عثر^(٤) عليه قال : دَعْوَةُ سعد الرجل المبارك . ثم أقبل على الدعاء على النَّفَر ، فقال : اللهم إن كانوا خرجوا أشراً وبطراً وكذباً فاجهد بلاءهم ؛ فجهد بلاؤهم ، ففُطِع الجراح بالسيوف يوم ثاور الحسن بن علي ليغتاله بساباط ، وشُدَّخ قبيصة بالحجارة ، وقُتِل أربد بالوجع^(٥) وبنعال السيوف^(٦) . وقال سعد : إني لأول رجل أهرق دمًا من المشركين ؛ ولقد جمع لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أبويه ، وما جمعهما لأحد قبلي ، ولقد رأيتني خمس الإسلام ، وبنو أسد تزعم أنني لا أحسن

٢٦٠٧/١

- (١) ابن حبيش «شرا» .
 (٢) ابن الأثير وابن كثير : «كذبا» .
 (٣) ابن الأثير وابن كثير : «غير» .
 (٤) الوجع : الضرب في أى موضع كان .
 (٥) فعل السيف : ما يكون من أسفل غده .

أن أصلي، وأن الصيد يلهمني. وخرج محمد به وبهم إلى عمر حتى قدموا عليه ، فأخبره الخبر ، فقال : يا سعد ؛ ويحك ، كيف تُصلي ! فقال : أطيل الأوليين ، وأحذف الآخرين ، فقال : هكذا الظن بك ! ثم قال : لولا الاحتياط لكان سبيلهم بيتاً . ثم قال : من خليفتك يا سعد على الكوفة ؟ قال : عبد الله ابن عبد الله بن عتيبان ، فأقره واستعمله ؛ فكان سبب نهبها وبدء مشورتها وبعوثها في زمان سعد ؛ وأما الوقعة في زمان عبد الله .

قالوا : وكان من حديثهم أنهم نفروا لكتاب يزجـرد الملك ، فتوافوا إلى نهبها ، فتوافى إليها من بين خراسان إلى حلوان ؛ ومن بين الباب إلى حلوان ، ومن بين سجستان إلى حلوان ؛ فاجتمعت حلبة فارس والفهلوج أهل الجبال من بين الباب إلى حلوان ثلاثون ألف مقاتل ؛ ومن بين خراسان إلى حلوان ستون ألف مقاتل ، ومن بين سجستان إلى فارس وحلوان ستون ألف مقاتل ؛ واجتمعوا على الفيرزان ، وإليه كانوا توافوا وشاركهم موسى .

عن حمزة بن المغيرة بن شعبة ، عن أبي طعمة الثقفي - وكان قد أدرك ذلك - قال : ثم إنهم قالوا : إن محمداً الذي جاء العرب بالدين لم يغرّض غرضنا ، ثم ملكهم أبو بكر من بعده فلم يغرّض غرض فارس ؛ إلا في غارة تعرّض لهم فيها ، وإلا فيما يلي بلادهم من السواد . ثم ملك عمر من بعده ، فطال ملكه وعرض ؛ حتى تناولكم وانتقصكم السواد والأهواز ، وأوطأها ، ثم لم يرض حتى أتى أهل فارس والمملكة في عقر دارهم ، وهو آتيكم إن لم تأتوه ؛ فقد أخرب بيت مملكتكم ، واقتحم بلاد ملككم ، وليس بمنته حتى تخرجوا من في بلادكم من جنوده ، وتقلعوا هذين المصيرين ، ثم تشغلوه في بلاده وقاره . وتعاهدوا وتعاقدوا ، وكتبوا بينهم على ذلك كتاباً ، وتماثلوا عليه . وبلغ الخبر سعداً ، وقد استخلف عبد الله بن عبد الله بن عتيبان . ولما شخّص لقي عمر بالخبر مشافهة ، وقد كان كتب إلى عمر بذلك ، وقال : إن أهل الكوفة يستأذنونك في الانسياح قبل^(١) أن يبادروهم الشدة - وقد كان عمر منعهم من الانسياح في الجبل .

وكتب إليه أيضاً عبد الله وغيره بأنه قد تجمع منهم خمسون ومائة ألف مقاتل ؛ فإن جاءونا قبل أن نبادرهم الشدة ازدادوا جرأة وقوة ؛ وإن نحن عاجلناهم كان لنا ذلهم ؛ وكان الرسول بذلك قريب بن ظفّر العبدى . ثم خرج سعد بعده فوافى مشورة عمر ؛ فلما قدم الرسول بالكتاب إلى عمر بالخبر فرآه قال : ما اسمك ؟ قال : قريب ، قال : ابن من ؟ قال : ابن ظفّر ؛ فتفاءل إلى ذلك ، وقال : ظفّر قريب إن شاء الله ، ولا قوة إلا بالله ! ونودى فى الناس : الصلاة جامعة ! فاجتمع الناس ، ووافاه سعد ، فتفاءل إلى سعد بن مالك ، وقام على المنبر خطيباً ، فأخبر الناس الخبر ، واستشارهم ، وقال : هذا يوم له ما بعده من الأيام ؛ ألا وإنى قد هممتُ بأمر ٢٦١٠/١ وإنى^(١) عارضه عليكم فاسمعوه ، ثم أخبرونى وأوجزوا ، ولا تتنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ، ولا تكثروا ولا تطيلوا ، فتفشش^(٢) بكم الأمور ، ويلتوى عليكم الرأى ؛ أفين الرأى أن أسيرَ فيمن قبلى ومن قدرت عليه ، حتى أنزل منزلاً واسطاً بين هذين المصرين ، فأستنفرهم ثم أكون لهم رداءً حتى يفتح الله عليهم ، ويقضى ما أحب ؛ فإن فتش الله عليهم أن أضربهم عليهم فى بلادهم ؛ وليتنازعوا ملكهم . فقام عثمان بن عفان ، وطلحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوام ، وعبد الرحمن بن عوف ؛ فى رجال من أهل الرأى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فتكلموا كلاماً ، فقالوا : لا نرى ذلك ؛ ولكن لا يغيبن عنهم رأيتك وأثرك ، وقالوا : بإزائهم وجوه العرب وفرسانهم وأعلامهم ، ومن قد فضّ جمعهم ، وقتل ملوكهم ، وبأشر من حروبهم ما هو أعظم من هذه ؛ وإنما استأذنوك ولم يستصرخوك ، فأذن لهم ، واندب إليهم ، وادع لهم . وكان الذى يتقد له الرأى إذا عريض عليه العباس رضى الله عنه .

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن حمزة ، عن أبى طعمة ، قال : فقام على بن أبى طالب عليه السلام فقال : أصاب القوم يا أمير المؤمنين الرأى ، وفهموا ما كتبت به إليك ؛ وإن هذا

(١) ابن حبيش : « وأنا » . (٢) الفشغ والانشاغ : اتساع الشيء وانتشاره .

الأمر لم يكن^(١) نصره ولا خذلانه لكثرة ولا قلة^(٢) ؛ هو دينه الذي أظهر ؛ وجنده الذي أعزّ ، وأيدّه^(٣) بالملائكة ؛ حتى بلغ ما بلغ ؛ فنحن^(٤) على موعود من الله ، والله منجزٌ وعده ، وناصر جنده ؛ ومكانك منهم مكان النظام^(٥) من الحرز ، يجمعه ويمسكه ؛ فإن انحلت تفرق ما فيه وذهب ، ثم لم يجتمع بمخذافيه أبداً . والعرب اليوم وإن كانوا قليلاً فهي^(٦) كثير عزيز بالإسلام ؛ فأقم واكتب إلى أهل الكوفة فهم أعلام العرب ورؤسائهم ؛ ومن لم يحفل بمن هو أجمع^(٧) وأحدٌ وأجدُّ من هؤلاء فليأتهم الثلثان وليُقيم الثلث ؛ واكتب إلى أهل البصرة أن يمدُّوهم ببعض من عندهم .

فسرّ عمر بحسن رأيهم ، وأعجبه ذلك منهم . وقام سعد فقال : يا أمير المؤمنين ؛ خفّض عليك ، فإنهم إنما جئوا لنقمة .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي بكر الهذليّ ، قال : لما أخبرهم عمر الخبر واستشارهم ، وقال : أوجزوا في القول ، ولا تُطيلوا فتشغ بكم الأمور ، واعلموا أن هذا يومٌ له ما بعده من الأيام ، تكلّموا ، فقام طلحة بن عبيد الله — وكان من خطباء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم — فتشهد ، ثم قال : أما بعد يا أمير المؤمنين ، فقد أحكمتك الأمور ، وعجمتك البلايا^(٨) ، واحتكتك التجارب ، وأنت وشأنك ؛ وأنت ورأيك ، لا ننسب في يدك ، ولا نكيل عليك ، إليك هذا الأمر ، فرنا نطيع ، وادعنا نجب ، واحملنا نركب ، ووقدنا نقد ، وقدنا نتقد ؛ فإنك ولي هذا الأمر ، وقد بلوت وجربت واختبرت ؛ فلم ينكشف شيء من عواقب قضاء الله لك إلاّ عن خيار . ثم جلس . فعاد عمر فقال : إن هذا يومٌ له ما بعده من الأيام ، فتكلّموا . فقام عثمان بن عفان ، فتشهد ، وقال : أرى يا أمير المؤمنين أن تكتب إلى أهل الشام فيسيروا من شأهم ، وتكتب إلى أهل اليمن فيسيروا من يمتهم ،

٢٦١٢/١

(١) ابن حبيش : « لم ين » . (٢) ابن حبيش : « ولقلة » .

(٣) ابن حبيش وابن كثير : « وأيده » . (٤) ابن حبيش : « ونحن » .

(٥) النظام : الخيط الذي ينظم به الحرز وغيره . (٦) ابن كثير : « وهم » .

(٧) س : « اجتمع » . (٨) ابن الأثير : « البلائل » .

ثم تسير أنت بأهل هذين الحرمين إلى المصرين : الكوفة والبصرة ، فتلقى جمع المشركين بجمع المسلمين ؛ فإنك إذا سرت بمن معك وعندك قل في نفسك ما قد تكاثرت من عدد القوم ، وكنت أعزّ عزاً وأكثر ؛ يا أمير المؤمنين إنك لا تستقي من نفسك بعد العرب باقية ، ولا تسمع من الدنيا بعزير ، ولا تلوذ منها بحريز ؛ إن هذا اليوم له ما بعده من الأيام ، فاشهده برأيك وأعوانك ٢٦١٣/١ ولا تغيب عنه . ثم جلس .

فعاد^(١) عمر ، فقال : إن هذا يوم^(٢) له ما بعده من الأيام ، فتكلموا فقام على بن أبي طالب فقال : أما بعد يا أمير المؤمنين ؛ فإنك إن أشخصت أهل الشام من شأهم سارت الروم إلى ذراريهم ، وإن أشخصت أهل اليمن من بينهم سارت الحبشة إلى ذراريهم ، وإنك إن شخصت من هذه الأرض انتقضت عليك الأرض^(٣) من أطرافها وأقطارها ، حتى يكون ما تدع وراءك أهم إليك^(٤) مما بين يديك من العتورات والعيالات ؛ أقرر هؤلاء في أمصارهم ، واكتب إلى أهل البصرة فليفرقوا^(٥) فيها ثلاث فرق ، فلتقم فرقة لهم في حرّهم وذراريهم ، ولتقم فرقة في أهل عهدهم ، لثلاث ينتقضوا عليهم ، ولتسر فرقة إلى إخوانهم بالكوفة مدداً لهم ؛ إن الأعاجم إن ينظروا إليك سداً قالوا : هذا أمير العرب ، وأصل العرب ؛ فكان ذلك أشدّ لقلبهم ، وألبستهم على نفسك . وأما ما ذكرت من مسير القوم فلن الله هو أكره لمسيرهم منك ، وهو أقدر على تغيير ما يكره ؛ وأما ما ذكرت من عددهم ؛ فلنا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة ؛ ولكنّا كنا نقاتل بالنصر .

فقال عمر : أجل والله ، لن شخصت من البلدة^(٦) لتنتقضن على الأرض من أطرافها وأكتافها ، ولن نظرت إلى الأعاجم لا يفارقن^(٧) العرصة ، وليسعدتهم من لم يمدّهم ، وليقولن : هذا أصل العرب ؛ فإذا

(١) ابن حبيب : « ثم عاد » . (٢) ابن حبيب : « اليوم » .

(٣) س وابن الأثير والنويري : « العرب » . (٤) ابن حبيب : « عليك » .

(٥) ابن حبيب : « فليفرقوا » ؛ النويري : « أن يفرقوا » .

(٦) ابن حبيب : « البلد » . (٧) ابن حبيب : « لا يفارقون » .

اقتطعتموه اقتطعتم أصل العرب ، فأشيروا على رجل أوله ^(١) ذلك الثغر غداً .
قالوا : أنت أفضل رأياً ، وأحسن مقدرة ، قال : أشيروا على به ، واجعلوه
عيراً قياً . قالوا : يا أمير المؤمنين ، أنت أعلم بأهل العراق ، وجندك قد وفدوا
عليك ورأيتهم وكلمتهم ، فقال : أما والله لأولين أمرهم رجلاً ليكونن لأول
الأسنة إذا لقيها غداً ، فقليل : من يا أمير المؤمنين ؟ فقال : النعمان بن
مقرن المزني . فقالوا : هوذا — والنعمان يومئذ بالبصرة معه قواد من قواد أهل
الكوفة أمدهم بهم عمر عند انتقاض الهرمزان ؛ فافتتحوا رامهرمز وإبذج ،
وأعانهم على تسير جندتي سابور والسوس . فكتب إليه عمر مع زير بن
كليب والمقترب الأسود بن ربيعة بالخير ؛ وأنتى قد وليتك حربهم ، فسر
من وجهك ذلك حتى تأتى ماه ، فإني قد كتبت إلى أهل الكوفة أن يوافوك
بها ، فإذا اجتمع لك جنودك فسر إلى الفيرزان ومن تجمع إليه من الأعاجم
من أهل فارس وغيرهم ، واستنصروا الله ، وأكثروا من قول : لا حول ولا قوة
إلا بالله .

• • •

٢٦١٥/١

وروى عن أبي وائل في سبب توجيحه عمر النعمان بن مقرن إلى نهاوند ،
ما حدثني به محمد بن عبد الله ^(٢) بن صفوان الشافعي ، قال : حدثنا أمية بن
خالد ، قال : حدثنا أبو عوانة ، عن حصين بن عبد الرحمن ، قال :
قال أبو وائل : كان النعمان بن مقرن على كسكر ، فكتب إلى عمر :
مئلى ومئلى كسكر كمئلى رجل شاب وإلى جنبه مؤمسة تلون له وتعتطر ،
فأنشدك الله لما عزلتني عن كسكر ، وبعثتني إلى جيش من جيوش المسلمين !
قال : فكتب إليه عمر : أن ائت الناس بنهاوند ، فأنت عليهم . قال :
فالتقوا ، فكان أول قتيل ، وأخذ الراية أخوه سويد بن مقرن ، ففتح الله
على المسلمين ؛ ولم يكن لهم — يعني للفرس — جماعة بعد يومئذ ؛ فكان أهل
كل مصر يغزون عدوهم في بلادهم .

• • •

(٢) ط : « عبيد الله » ، والصواب ما أثبتته .

(١) ابن حيش : « أوليه » .

رجع الحديث إلى حديث سيف . وكتب - يعنى عمر - إلى عبد الله بن عبد الله مع رُبْعَى بن عامر، أن استنفر من أهل الكوفة مع النعمان كذا وكذا ، فلمنى قد كتبتُ إليه بالتوجه من الأهواز إلى ماء ، فليوافوه بها ، وليسر بهم إلى نِهاوند ؛ وقد أمرت عليهم حذيفة بن اليمان ، حتى ينتهى إلى النعمان بن مقرن ؛ وقد كتبت إلى النعمان : إن حدث بك حدث فعلى الناس حذيفة بن اليمان ؛ فإن حدث بحذيفة حدث فعلى الناس نعيم بن مقرن ، ورد قَرِيب ابن ظَفَر ورد مع السائب بن الأقرع أميناً . وقال : إن فتح الله عليكم فاقسم ما أفاء الله عليهم بينهم ، ولا تخذعنى ولا ترفع إلى باطلا ، وإن تُكَيِّب القوم فلا ترانى ولا أراك . فقلما إلى الكوفة بكتاب عمر بالاستحاث ؛ وكان أسرع أهل الكوفة إلى ذلك الروادف ، ليلبوا في الدين ، وليدركوا حظاً ، وخرج حذيفة بن اليمان بالناس ومعه نعيم حتى قدموا على النعمان بالطَّزَر ، وجعلوا بمرج القلعة خيلاً عليها النسيير . وقد كتب عمر إلى سُلمى بن القيس وحرملة بن مُرَيْطَة وزر بن كليب والمقرب الأسود بن ربيعة ، وقواد فارس الذين كانوا بين فارس والأهواز ، أن اشغلوا فارس عن إخوانكم ، وحوطوا بذلك أمتكم وأرضكم ، وأقيموا على حدود ما بين فارس والأهواز حتى يأتىكم أمرى . وبعث مجاشع بن مسعود السُّلَمِى إلى الأهواز ، وقال له : انصل^(١) منها على ماء ؛ فخرج حتى إذا كان بغُضَى شجر ، أمره النعمان أن يقيم مكانه ، فأقام بين غُضَى شجر ٢٦١٧/١ ومرتج القلعة ، ونصل سُلمى وحرملة وزر والمقرب ، فكانوا في تخوم إصْبَهان وفارس ، فقطعوا بذلك عن أهل نِهاوند أمداد فارس .

ولما قدم أهل الكوفة على النعمان بالطَّزَر جاءه كتاب عمر مع قَرِيب : إن معك حدّ العرب ورجالهم في الجاهلية ، فأدخلهم دون مَنْ هو دونهم في العلم بالحرب ، واستعن بهم ، واشرب برأيهم ، وسل طليحة وعمراً وعمراً ولا تُؤمّ شيئاً . فبعث من الطَّزَر طليحة وعمراً وطليحة ليأتوه بالخبر ، وتقدم

(١) انصل ، أى أخرج .

إليهم ألا يتَغَلُّوا . فخرج طليحة بن خويلد وعمرو بن أبي سلمى العنزي ، وعمرو بن معد يكرب الزبيدي ، فلما ساروا يوماً إلى الليل رجع عمرو بن أبي سلمى ، فقالوا : ما رجعت ؟ قال : كنت في أرض العجم ، وقتلت أرض جاهلها ، وقتل أرضاً عالمها . ومضى طليحة وعمرو حتى إذا كان من آخر الليل رجع عمرو ، فقالوا : ما رجعت ؟ قال : سرنا يوماً وليلة ، ولم نر شيئاً ، وخفت أن يؤخذ علينا الطريق . ونفذ طليحة ولم يحفل بهما . فقال الناس : ارتد الثانية ، ومضى طليحة حتى انتهى إلى نهاوند ، وبين الطَّزَر ونِهاوند بضعة وعشرون فرسخاً . فعلم علم القوم ، واطلع على الأخبار ، ثم رجع حتى إذا انتهى إلى الجمهور كبر الناس ، فقال : ما شأن الناس ؟ فأخبروه بالذي خافوا عليه ، فقال : والله لو لم يكن دين إلا العربية ما كنت لأُجِر (١) العُجَم الطماطم (٢) هذه العرب العاربة . فأتى النعمان فدخل عليه ، فأخبروه الخبر (٣) ، وأعلمه أنه ليس بينه وبين نهاوند شيء يكرهه ، ولا أحد . فنأدى عند ذلك النعمان بالرحيل ، فأمرهم بالتعبية . وبعث إلى مجاشع بن مسعود أن يسوق الناس ، وسار النعمان على تعبيته ، وعلى مقدّمته نعيم بن مقرن ، وعلى مجنبتيه حذيفة بن اليمان وسويد بن مقرن ، وعلى المجرّدة القعقاع ابن عمرو ، وعلى الساقة مجاشع ، وقد توافى إليه أمداد المدينة ، فيهم المغيرة وعبد الله ، فانتهوا إلى الإسبيذ هان والقوم وقوف دون وای خُرْد على تعبيتهم وأميرهم الفيرزان ، وعلى مجنبتيه الزردق وبهمن جاذوينة الذي جعل مكان ذي الحاجب ، وقد توافى إليهم بنهاوند كل من غاب عن القادسية والأيام من أهل الثغور وأمرائها وأعلام من أعلامهم ليسوا بدون من شهد الأيام والقوادس ، وعلى خيولهم أنوشق . فلما رآهم النعمان كبر وكبر الناس معه

٢٦١٨/١

٢٦١٩/١

(١) يقال : أجزر فلانا شاة ؛ أي أعطاه إياها ليذبحها . ؛ يريد : ما كنت أتمكن العجم من العرب .
وفى ابن الأثير : « لأحرز » .
(٢) الطماطم : العجم ؛ قال الأفوه :

كألسود الحبشي . الحس يتبعه سود طماطم في آذانها النطف

(٣) ابن حيش : « بالخير » .

فترزلت^(١) الأعاجم ، فأمر النعمان وهو واقف بحطّ الأثقال ، وبضرب
 الفُسطاط ، فضرب وهو واقف ، فابتدره أشرافُ أهل الكوفة [وأعيانهم ، فسبق
 إليه يومئذ عدّة من أشراف أهل الكوفة]^(٢) تسابقوا فبنوا له فسطاطاً سابقوا
 أكفأهم فسبقوهم ؛ وهم أربعة عشر ، منهم حذيفة بن اليمان ، وعُقبّة بن
 عمرو^(٣) ، والمغيرة بن شعبة ، وبشير بن الحصاصيّة ، وحنظلة الكاتب بن
 الربيع^(٤) ، وابن الهوثر ، وربيع بن عامر ، وعامر بن مَطَر ، وجريز بن
 عبد الله الحميري ، والأقرع بن عبد الله الحميري ، وجريز بن عبد الله البَجَلِيّ ،
 والأشعث بن قيس الكِنْدِيّ ، وسعيد بن قيس الهمدانيّ ، وائل بن حجر ،
 فلم يَرُ بِنَاءُ فسطاط بالعراق كهؤلاء . وأنشب النعمان بعد ما حطّ الأثقال
 القتال ؛ فاقتلوا يوم الأربعاء ويوم الخميس ، والحرب بينهم في ذلك سجال
 في سبع سنين من إمارة عُمر ، في سنة تسع عشرة ، ولأنهم انجحروا في خنادقهم
 يوم الجمعة ، وحصرهم المسلمون ، فأقاموا عليهم ما شاء الله والأعاجم بالخيار ؛
 لا يخرجون إلّا إذا أرادوا الخروج ، فاشتدّ ذلك على المسلمين ، وخافوا أن
 يطول أمرهم [وسرّهم أن يناجزهم عدوهم]^(٥) ؛ حتى إذا كان ذات يوم في
 جمعة من الجمع تجمع^(٦) أهل الرأي من المسلمين ، فتكلموا ، وقالوا : نراهم
 علينا بالخيار . وأتوا النعمان في ذلك فأخبروه ، فوافقوه^(٧) وهو يروى في
 الذي رَوَوْا فيه . فقال : على رِسلكم ، لا تبرحوا ! وبعث^(٨) إلى مَنْ بقى
 من أهل النجدات والرأي في الحروب ، فتوافوا إليه ، فتكلّم النعمان ، فقال :
 قد ترون المشركين واعتصامهم بالحصون من الخنادق والمدائن ؛ وأنهم
 لا يخرجون إلّا إذا شاءوا ، ولا يقدر المسلمون على إنفاضهم^(٩) وانبعاشهم
 قبل مشيتهم ؛ وقد ترون الذي فيه المسلمون من التضايق بالذي هم فيه وعليه
 من الخيار عليهم في الخروج ؛ فما الرأي الذي به نُحمشهم ونستخرجهم إلى

(١) ابن حبّيش وابن كثير : « فترزلت » . (٢) من ابن حبّيش .

(٣) ابن الأثير : « عامر » . (٤) ابن حبّيش : « حنظلة بن الربيع الكاتب » .

(٥) من ابن حبّيش . (٦) س : « جمع » .

(٧) ابن الأثير : « فوافقوه » . (٨) ابن حبّيش : « ثم بعث » .

(٩) ط : « انفاضهم » ، ابن الأثير والنويري : « إخراجهم » ، وإنفاضهم ، أى تحريكهم .

المنابذة ، وترك التطويل ؟

فتكلم عمرو بن ثبتي - وكان أكبر الناس يومئذ سنًا ، وكانوا إنما يتكلمون على الأسنان - فقال : التحصن عليهم أشد من المطاولة عليكم ، فدعهم ولا تخرجهم^(١) وطاولهم ، وقاتل من أتاك منهم ؛ فردوا عليه جميعاً^(٢) رآيه . وقالوا : إنا على^(٣) يقين من إنجاز ربنا موعده لنا .

وتكلم عمرو بن معديكرب ، فقال : ناهدكم وكاثركم^(٤) ولا تخفهم . فردوا عليه جميعاً رآيه ، وقالوا : إنما تناطح بنا الجدران ، والجدران لهم أعوان علينا .

وتكلم طليحة فقال : قد قالوا ولم يصيبا ما أرادا ؛ وأما أنا فأرى أن تبعث خيلاً مؤدية ، فيحذقوا بهم ، ثم يرموا لينشأوا القتال ، ويحمشوه ؛ فإذا استحمشوا واختلطوا بهم وأرادوا الخروج أرزوا إلينا استطراداً ؛ فلأننا لم نستطرد لهم في طول ما قاتلناهم ، وإننا إذا فعلنا ذلك ورأوا ذلك منّا طمعوا في هزيمتنا ولم يشكوا فيها ، فخرجوا فجادونا وجاددناهم ؛ حتى يقضى الله فيهم وفيما ما أحب .

فأمر النعمان القعقاع بن عمرو - وكان على المجرّة - ففعل ؛ وأنشب القتال بعد احتجاز من العجم ، فأغضهم فلما خرجوا نكص ، ثم نكص ، ثم نكص ، واغتنمها الأعاجم ، ففعلوا كما ظن طليحة وقالوا : هي هي ؛ فخرجوا فلم يبق أحد إلا من يقوم لهم على الأبواب ؛ وجعلوا يركبونهم حتى أرز القعقاع إلى الناس ، وانقطع القوم عن حصنهم بعض الانقطاع ؛ والنعمان ابن مقرن والمسلمون على تعبيتهم في يوم جمعة في صدر النهار ، وقد عهد النعمان إلى الناس عهده ، وأمرهم أن يلزموا الأرض ولا يقاتلوه حتى يأذن لهم ؛ ففعلوا واسترتوا بالحجف من الرمي ، وأقبل المشركون عليهم يرمونهم حتى أفسوا فيهم الجراحات ، وشكا بعض الناس ذلك إلى بعض ، ثم قالوا للنعمان : ألا ترى ما نحن فيه ! ألا ترى إلى ما لقي الناس ، فما تنتظر بهم !

(٢) ابن حبيش : « جميعاً عليه » .

(١) س : « لا تخرجهم » .

(٣) ابن حبيش وابن كثير : « لعل » .

(٤) س : « ناهدكم وتكاثرهم » .

اِئْذَنَ لِلنَّاسِ فِي قِتَالِهِمْ ، فَقَالَ لَهُمُ النِّعْمَانُ : رُوَيْدَا رُوَيْدَا ! قَالُوا لَهُ ذَلِكَ مَرَارًا ، فَأَجَابَهُمْ بِمِثْلِ ذَلِكَ مَرَارًا : رُوَيْدَا-رُوَيْدَا ، فَقَالَ الْمَغِيرَةُ : لَوْ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ إِلَى عَلِمْتُ مَا أَصْنَعُ ! فَقَالَ : رُوَيْدَا تَرَى أَمْرَكَ ؛ وَقَدْ كُنْتُ تَلِي الْأَمْرَ فَتُحْسِنُ ، فَلَا يَخْذُلُنَا اللَّهُ وَلَا إِيَّاكَ ؛ وَنَحْنُ نَرْجُو فِي الْمَكْثِ مِثْلَ الَّذِي تَرْجُو فِي الْحَثِّ .

وَجَعَلَ النِّعْمَانُ يَنْتَظِرُ بِالْقِتَالِ لِكَامَلِ سَاعَاتِ كَانَتْ أَحَبَّ^(١) إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْقِتَالِ أَنْ يَلْقَى فِيهَا الْعَدُوَّ ؛ وَذَلِكَ عِنْدَ الزَّوَالِ وَتَفِيئِ الْأَفْيَاءِ وَمُهَبِّ الرِّيَّاحِ^(٢) . فَلَمَّا كَانَ قَرِيبًا مِنْ تِلْكَ السَّاعَةِ تَحَشَّشَ^(٣) النِّعْمَانُ ، وَسَارَ فِي النَّاسِ عَلَى بَرِّذُونَ أَحْوَى قَرِيبٍ مِنَ الْأَرْضِ ، فَجَعَلَ يَقِفُ عَلَى كُلِّ رَايَةٍ ، وَيُحَمِّدُ اللَّهَ وَيُسَبِّحُ عَلَيْهِ ، وَيَقُولُ : قَدْ عَلِمْتُمْ مَا أَعَزَّكُمْ اللَّهُ بِهِ مِنْ هَذَا الدِّينِ ، وَمَا وَعَدَكُمْ مِنَ الظُّهُورِ ، وَقَدْ أَنْجَزَ لَكُمْ هَوَادِيَّ مَا وَعَدَكُمْ وَصُدُورَهُ ؛ وَإِنَّمَا بَقِيَتْ أَعْجَازُهُ وَأَكَارِعُهُ ؛ وَاللَّهُ مُنْجِزٌ وَعْدَهُ ، وَمَتَّبِعٌ آخِرَ ذَلِكَ أَوَّلِهِ ، وَاذْكُرُوا مَا مَضَى إِذْ كُنْتُمْ أَذْلَةً ، وَمَا اسْتَقْبَلْتُمْ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ وَأَنْتُمْ أَعَزَّةٌ ، فَأَنْتُمْ الْيَوْمَ عِبَادُ اللَّهِ حَقًّا وَأَوْلِيَاؤُهُ ، وَقَدْ عَلِمْتُمْ انْقِطَاعَكُمْ مِنْ إِخْوَانِكُمْ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ ، وَالَّذِي لَهُمْ فِي ظَنِّكُمْ وَعِزَّتِكُمْ ؛ وَالَّذِي عَلَيْهِمْ فِي هَزِيمَتِكُمْ وَذَلَّتِكُمْ ، وَقَدْ تَرَوْنَ مَنْ أَنْتُمْ بِإِزَائِهِ مِنْ عَدُوِّكُمْ ، وَمَا أَخْطَرْتُمْ وَمَا أَخْطَرُوا^(٤) لَكُمْ ؛ فَأَمَّا مَا أَخْطَرُوا لَكُمْ فَهَذِهِ الرَّثَّةُ^(٥) وَمَا تَرَوْنَ مِنْ هَذَا السَّوَادِ ، وَأَمَّا مَا أَخْطَرْتُمْ لَهُمْ فَدِينُكُمْ وَبَيْتُكُمْ ، وَلَا سَوَاءٌ مَا أَخْطَرْتُمْ وَمَا أَخْطَرُوا ؛ فَلَا يَكُونُنَّ عَلَى دِينِهِمْ أَحْمَى مِنْكُمْ عَلَى دِينِكُمْ ؛ وَاتَّقَى اللَّهَ عَبْدٌ صَدَقَ اللَّهُ ، وَأَبْلَى نَفْسَهُ فَأَحْسَنَ الْبَلَاءِ ؛ فَإِنَّكُمْ بَيْنَ خَيْرَيْنِ مُنْتَظَرَيْنِ ؛ لِإِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ ؛ مِنْ بَيْنِ شَهِيدٍ حَتَّى مَرْزُوقٍ ، أَوْ فَتَحٍ قَرِيبٍ وَظَفَرٍ يَسِيرُ . فَكُنْ فِي كُلِّ رَجُلٍ مَا يَلِيهِ ، وَلَمْ يَكِلْ قِرْنَتَهُ إِلَى أَخِيهِ ؛ فَيَجْتَمِعُ عَلَيْهِ قِرْنُهُ وَقِرْنُ نَفْسِهِ ، وَذَلِكَ مِنَ الْمَلَأْمَةِ ، وَقَدْ يِقَاتِلُ الْكَلْبُ عَنْ صَاحِبِهِ ؛ فَكُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ مُسَلِّطٌ عَلَى مَا يَلِيهِ ؛ فَإِذَا قَضَيْتُ أَمْرِي فَاسْتَعْدُوا فَإِنِّي مُكَبِّرٌ ثَلَاثًا ، فَإِذَا كَبُرَتِ التَّكْبِيرَةُ الْأُولَى فَلْيَتَهَيَّأْ مَنْ لَمْ يَكُنْ تَهَيَّأَ ؛ فَإِذَا كَبُرَتِ الثَّانِيَةُ فَلْيَشْدَدْ عَلَيْهِ سِلَاحَهُ ،

(١) التَّوْبَى : « أَحَبُّ السَّاعَاتِ » . (٢) ابْنُ حَبِيبٍ : « الْأُرُوحُ » .

(٣) تَحَشَّشَ : « تَحَرَّكَ » . (٤) أَخْطَرْتُمْ وَأَخْطَرُوا : تَرَاهُمْ وَتَرَاهُنَا وَتَسَابَقُوا .

(٥) الرَّثَّةُ : الْمَتَاعُ .

وليتأهب للنهوض ؛ فإذا كبرت الثالثة ؛ فإني حامل إن شاء الله فاحملوا معاً . اللهم أعز دينك ، وانصر عبادك ، واجعل النعمان أول شهيد اليوم على إعزاز دينك ونصر عبادك !

فلما فرغ النعمان من التقدم إلى أهل المواقف ، وقضى إليهم أمره ، رجع إلى موقفه ، فكبر الأولى والثانية والثالثة ؛ والناس سامعون مطيعون مستعدون للمناهضة ، يُسَحِّي بعضهم بعضاً عن ستمَنهم ، وحمل النعمان وحمل الناس ، وراية النعمان تنقض نحوهم انقضاض العقاب ، والنعمان معلّم بياض القباء والقلنسوة^(١) ، فاقتتلوا بالسيوف^(٢) قتالا شديداً لم يسمع السامعون بوقعة يوم قط كانت أشد [قتالا] منها ، فقتلوا فيها من أهل فارس فيما بين الزوال والإعتام ما طبّق أرض المعركة دمًا يزلقُ الناس والدواب فيه ، وأصيب فرسان من فرسان المسلمين في الزلق في الدماء ، فزلق فرس النعمان في الدماء فصرعه ، وأصيب النعمان حين زلق به فرسه ؛ وصُرِع . وتناول الراية نُعَيْم بن مقرن قبل أن تقع ، وسجى النعمان بثوب ، وأتى حذيفة بالراية فدفعها إليه ، وكان اللواء مع حذيفة ، فجعل حذيفة نُعَيْم بن مقرن مكانه ، وأتى المكان الذي كان فيه النعمان فأقام اللواء ، وقال له المغيرة : اكنموا مصاب أميركم حتى ننظر ما يصنع الله فينا وفيهم ؛ لكيلا يهين الناس ؛ واقتتلوا حتى إذا أظلم الليل انكشف المشركون وذهبوا ، والمسلمون ملظّون بهم متلبّسون ، فعُمِيَ عليهم قصدُهم ، فتركوه وأخذوا نحو اللهب الذي كانوا نزلوا دونه بإسبيذهان ، فوقعوا فيه ، وجعلوا لا يهوى منهم أحد إلا قال : «وايه خُرد» ، فسُمي بذلك «وايه خُرد» إلى اليوم ، فثات فيه منهم مائة ألف أو يزيدون ، سوى من قتل في المعركة منهم أعدادهم . لم يفلت إلا الشريد ، ونجا الفيرزان بين الصرعى في المعركة ، فهرب نحو هَمَدَان في ذلك الشريد ، فأتبعه نُعَيْم بن مقرن ، وقدّم القعقاع قدامه فأدركه حين^(٣) انتهى إلى ثنية هَمَدَان ، والثنية مشحونة من بغال وحمير موقرة عسلا ، فحبسه^(٣) الدواب

٢٦٢٥/١

٢٦٢٦/١

(١ - ١) ابن حبيش : « فالتقوا بالسيوف فاقتتلوا » .

(٢) ابن حبيش : « حتى » .

(٣) ابن حبيش : « فحبسته » .

على أجليه ، فقتله على الثنية بعد ما امتنع ، وقال المسلمون : إن الله جنوداً من عسل ، واستاقوا العسل وما خالطه من سائر الأحمال ، فأقبل بها ، وسميت الثنية بذلك ثنية العسل ؛ وإن الفيرزان لما غشيه القعقاع نزل فتوقل في الجبل إذ لم يجد مساعاً ، وتوقل القعقاع في أثره حتى أخذه ، ومضى الضلال حتى انتهوا إلى مدينة همدان والخليل في آثارهم ، فدخلوها ، فقتل المسلمون عليهم ، وحووا ما حولها ، فلما رأى ذلك خسرو وشنوم استأمنهم ، وقيل منهم على أن يضمن لهم همدان ودستجي ، وألا يؤتى المسلمون منهم ؛ فأجابوهم إلى ذلك وآمنوهم ؛ وأمن الناس ، وأقبل كل من كان هرب ، ودخل المسلمون بعد هزيمة المشركين يوم نيهانوند مدينة نيهانوند واحتووا ما فيها وما حولها ، ٢٦٢٧/١ وجمعوا الأسلاب والريثاث إلى صاحب الأقباض السائب بن الأقرع .

فبيناهم كذلك^(١) على حالهم وفي عسكرهم يتوقعون ما يأتيهم من إخوانهم بهمدان ، أقبل الهربند صاحب بيت النار على أمان ؛ فأبلغ حذيفة ، فقال : أتؤمنني على أن أخبرك بما أعلم ؟ قال : نعم ، قال : إن النخسرجان وضع عندي ذخيرة لكسرى ، فأنا أخرجها لك على أمانى وأمان من شئت ، فأعطاه ذلك ، فأخرج له ذخيرة كسرى ؛ جوهرأ كان أعدته لنواب الزمان ، فنظروا في ذلك ، فأجمع رأى المسلمين على رفعه إلى عمر ، ففعلوه له ؛ فأخبروه حتى فرغوا فبعثوا به مع ما يرفع من الأخماس ، وقسم حذيفة بن اليمان بين الناس غنائمهم ، فكان سهم الفارس يوم نيهانوند ستة آلاف ، وسهم الراجل ألفين ، وقد نفل حذيفة من الأخماس من شاء من أهل البلاء يوم نيهانوند ، ورفع ما بقى من الأخماس إلى السائب بن الأقرع ، فقبض السائب الأخماس ، فخرج بها إلى عمر وبذخيرة كسرى . وأقام حذيفة بعد الكتاب بفتح نيهانوند بنهانوند ينتظر جواب عمر وأمره ؛ وكان رسوله بالفتح طريف بن سهم ، أخو بني ربيعة ابن مالك .

فلما بلغ الخبر أهل الماهين بأن همدان قد أخذت ، ونزلها نعيم ابن مقرن والقعقاع بن عمرو اقتدوا بخسرو وشنوم ، فراسلوا حذيفة ، ٢٦٢٨/١

(١) ابن حيش : « في ذلك » .

فأجابهم إلى ما طلبوا ، فأجمعوا على القبول ، وعزموا على إتيان حُدُفة ، فخذعهم دينار - وهو دون أولئك الملوك ، وكان ملكاً ، إلا أن غيره منهم كان أرفع منه ؛ وكان أشرفهم قارن - وقال : لا تلقوهم في جَمالكم ولكن تنقّهلوا^(١) لهم ؛ ففعلوا ، وخالفهم فأتاهم في الديباج والحلى ، وأعطاهم حاجتهم واحتمل للمسلمين ما أرادوا ، فعاقده عليهم ؛ ولم يجد الآخرون بداً من متابعتهم والدخول في أمره ، فقبل «ماه دينار» لذلك . فذهب حُدُيفة بماء دينار ؛ وقد كان النعمان عاقد بهراذان على مثل ذلك ، فنُسبت إلى بهراذان ، ووكل النسيير بن ثور بقلعة قد كان لجأ إليها قوم فجاهدتهم ؛ فافتتحها فنُسبت إلى النسيير ، وقسم حُدُيفة لمن خلّفوا بمرج القلعة ولمن أقام بغضى شجر ولأهل المسالح جميعاً في فيء نهاوند مثل الذى قسم لأهل المعركة ، لأنهم كانوا رداءً للمسلمين لثلاثيئوتوا من وجه من الوجوه . وتكمل عمر تلك الليلة التي كان قدّر للقائهم^(٢) ، وجعل يخرج ويلتمس الخبر ؛ فبينما^(٣) رجل من المسلمين قد خرج في بعض حوائجه ، فرجع إلى المدينة ليلاً ، فرآه ركب في الليلة الثالثة من يوم نهاوند يريد المدينة . فقال : يا عبد الله ، من أين أقبلت ؟ قال : من نهاوند ، قال : ما الخبر ؟ قال : الخبر خير ؛ فتح الله على النعمان ؛ واستشهد ، واقتسم المسلمون فيء نهاوند ، فأصاب الفارس ستة آلاف . وطواه الرّاكب حتى انغمس في المدينة ، فدخل الرجل ، فبات فأصبح فتحدث بحديثه ، ونمى الخبر حتى بلغ عمر ؛ وهو فيما هو فيه ، فأرسل إليه ، فسأله فأخبره ، فقال : صدق وصدق ؛ هذا عثم يريد الجن ، وقد رأى يريد الإنس ، فقدم عليه طريف بالفتح بعد ذلك ، فقال : الخبر ! فقال : ما عندي أكثر من الفتح ، خرجتُ والمسلمون في الطلب وهم على رجل ، وكنتم إلا ما سره .

ثم خرج وخرج معه أصحابه ، فأمن ؛ فرفع له ركب ، فقال : قولوا ، فقال عثمان بن عفان : السائب ، فقال : السائب ، فلما دنا منه قال : ما وراءك ؟

(١) يقال : قهل فلان وتقهّل ؛ أى لم يتعهد جسمه بالماء ولم ينظفه .

(٢) ابن حبش : «للقائهم» . (٣) من وابن الأثير : «فبينما» .

قال : البُشْرَى والفتح ، قال : ما فعل النعمان ؟ قال : زلّى فرسه فى دماء القوم ، فصريح فاستشهد ، فانطلق راجعاً والسائب يسايره ، وسأل عن عدد من قتل من المسلمين ؛ فأخبره بعدد قليل ؛ وأنّ النعمان أول من استشهد يوم فتح الفتوح — وكذلك كان يسمّيه أهل الكوفة والمسلمون — فلما دخل المسجد حطّت الأحمال فوضعت فى المسجد ، وأمر نقرأ من أصحابه — منهم ٢٦٣٠/١ عبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن أرقم — بالمبيت فيه ، ودخل منزله ، وأتبعه السائب بن الأقرع بذئلك السَّقَطِيّين ، وأخبره خبرهما وخبر الناس ؛ فقال : يا بنَ مُلَيْكَة ؛ والله ما درّوا هذا ، ولا أنت معهم ! فالنّجاء النّجاء ، عودك على بدئلك حتى تأتى حُدَيْفَة فيقسمهما على منّ أفاءهما الله عليه ؛ فأقبل راجعاً بقبلك حتى انتهى إلى حُدَيْفَة بماه ؛ فأقامهما فباعهما ، فأصاب أربعة آلاف ألف .

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن قيس الأسدى ؛ أنّ رجلاً يقال له جعفر بن راشد ، قال لطليحة وهم مقيمون على نِهاوند : لقد أخذتُنا خَلَّة ؛ فهل بَقِيَ من أعاجيبك شيء تنفعنا به ؟ فقال : كما أنتم حتى أنظر ، فأخذ كساء فتقنّع به غير كثير ، ثم قال : البيان البيان ، غنم الدّهقان ، فى بستان ، مكان أروندان . فدخلوا البستان فوجدوا الغنم مسمّنة . ٢٦٣١/١

كتب إلى السرى عن شعيب ، عن سيف ، عن أبى معبد العيسى وعروة ابن الوليد ، عمّن حدّثهم من قومهم ، قال : بينما نحن محاصرو أهل نِهاوند خرجوا علينا ذات يوم ، فقاتلونا فلم نُلْسِثْهم أن هزمهم الله ، فتبع سماك بن عُبَيْد العيسى — رجلاً منهم — معه نفر ثمانية على أفراس لهم فبارزهم ؛ فلم يبرز له أحد إلّا قتله ، حتى أتى عليهم . ثم حمل على الذى كانوا معه ، فأسره وأخذ سلاحه ، ودعا له رجلاً اسمه عبد ، فوكّله به ، فقال : اذهبوا بى إلى أميركم حتى أصالحه على هذه الأرض ؛ وأودّىّ إليه الجزية ، وسلّنى أنت عن إيسارك ما شئت ، وقد مننت علىّ إذ لم تقتلنى ؛ وإنما أنا عبدك الآن ؛ وإن أدخلتنى على الملك ، وأصلحت ما بينى وبينه وجدت لى شكراً ، وكنت

لى أنحاً . فحلتى سبيله وآمنه ؛ وقال : من أنت ؟ قال : أنا دينار - والبيت منهم يومئذ فى آل قارن - فأتى به حذيفة ، فحدثه دينار عن نجدة سماك وما قتل ونظيره للمسلمين ، فصالحه على الخراج ، فنسبت إليه ماه^(١) ، وكان يواصل سماكاً ويهدى له ، ويوافى الكوفة كلما كان عمله إلى عامل الكوفة ، فقدم الكوفة فى إمارة معاوية ، فقام فى الناس بالكوفة ، فقال : يا معشر أهل الكوفة ؛ أنتم أول ما مررتم بنا كنتم^(٢) خيار الناس ، فعمرتم بذلك زمان عمر وعثمان ، ثم تغيرتم وفشت فيكم خصال أربع : بخل ، وخيب ، وغدر ، وضيق ؛ ولم يكن فيكم واحدة منهن ، فرمقنكم ، فإذا ذلك فى مولديكم^(٣) ، فعلمت من أين أنتم ، فإذا الخب من قبل النبط ، والبخل من قبل فارس ، والغدر من قبل خراسان ، والضيق من قبل الأهواز .

٢٦٣٢/١

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو بن محمد ، عن الشعبي ، قال : لما قدم بسبى نيهوند إلى المدينة ؛ جعل أبولؤلؤة فيروز غلام المغيرة بن شعبة لا يلقى منهم صغيراً إلا مسح رأسه وبكى وقال : أكل عمر كبدي - وكان نيهوندياً ، فأسرته الروم أيام فارس ، وأسرهم المسلمون بعد ، فنسب إلى حيث سبى .

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو بن محمد ، عن الشعبي ، قال : قُتل فى اللهب من هوى فيه ثمانون ألفاً ، وفى المعركة ثلاثون ألفاً مقرين^(٤) ، سوى من قُتل فى الطلب ؛ وكان المسلمون ثلاثين ألفاً ، واقتتحت مدينة نيهوند فى أول سنة تسع عشرة ، لسبع سنين من إمارة عمر ، لتام سنة ثمان عشرة .

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد والمهلب وطلحة فى كتاب النعمان بن مقرن وحذيفة لأهل الماهيتين :
بسم الله الرحمن الرحيم ؛ هذا ما أعطى النعمان بن مقرن أهل ماه بهراذان ؛

٢٦٣٣/١

(٢) من وابن حبش وابن كثير : « إنكم » .

(١) من : « ماه دينار » .

(٣) ابن الأثير : « مولدكم » .

أعطاهم الأمان على أنفسهم وأموالهم وأراضيهم^(١) ؛ لا يُغيّرون على ملّة ، ولا يحال بينهم وبين شرائعهم ، ولمّ المشعّة ما أدّوا الجزية في كلّ سنة إلى منّ وليّهم ؛ على كلّ حالم في ماله ونفسه على قدر طاقته ؛ وما أرشدوا ابن السبيل ، وأصلحوا الطرق ، وقرّوا جنود المسلمين ممّن مرّ بهم فأوى إليهم يوماً وليلة ، ووفّوا ونصحوا ، فإن غشّوا وبدّلو ؛ فذمتنا منهم بريئة . شهد عبدالله ابن ذى السهمين ، والققعاق بن عمرو ، وجريز بن عبد الله .

وكتب في المحرم سنة تسع عشرة :

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أعطى حذيفة بن اليمان أهل مائة دينار ؛ أعطاهم الأمان على أنفسهم وأموالهم وأراضيهم ، لا يُغيّرون عن ملّة ، ولا يحال بينهم وبين شرائعهم ؛ ولمّ المشعّة ما أدّوا الجزية في كلّ سنة إلى من وليهم من المسلمين ؛ على كلّ حالم في ماله ونفسه على قدر طاقته ، وما أرشدوا ابن السبيل ، وأصلحوا الطرق ، وقرّوا جنود المسلمين ، ممّن مرّ بهم ؛ فأوى إليهم يوماً وليلة ، ونصحوا ، فإن غشّوا وبدّلو فذمتنا منهم بريئة . شهد الققعاق بن عمرو ، ونعيم بن مقرن ، وسويد بن مقرن . وكتب في المحرم . قالوا : وألحق عمر ممّن شهد نهاوند فأبلى من الروادف بلاءً فاضلاً في ألفين ألفين ، ألحقهم بأهل القادسية .

* * *

وفي هذه السنة أمر عمر جيوش العراق بطلب جيوش فارس حيث ٢٦٣٤/١ كانت ؛ وأمر بعض ممّن كان بالبصرة من جنود المسلمين وحواليها بالسير إلى أرض فارس وكرمان وإصبهان ، وبعض ممّن كان منهم بناحية الكوفة وماهاها إلى أصبهان وأذربيجان والريّ ، وكان بعضهم يقول : إنما كان ذلك من فعل عمر في سنة ثمان عشرة . وهو قول سيف بن عمر .

* * *

ذكر الخبر عمّا كان في هذه السنة - أعني سنة إحدى وعشرين - من أمر الجنديين اللّذين ذكرت أن عمر أمرهما بما ذكر أنه أمرهما به :

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة والمهلب

وعمر وسعيد ، قالوا : لما رأى عمر أن يزيد جرد بيعت عليه في كل عام حُرَبًا ، وقيل له : لا يزال هذا الدأب حتى يخرج من مملكته ؛ أذن للناس في الانسياح في أرض العجم ؛ حتى يغلبوا يزيد جرد على ما كان في يد كسرى ، فوجه الأمراء من أهل البصرة بعد ففتح نهاوند ، ووجه الأمراء من أهل الكوفة بعد فتح نهاوند ؛ وكان بين عمل سعد بن أبي وقاص وبين عمل عمار بن ياسر أميران : أحدهما عبد الله بن عبد الله بن عتبة - وفي زمانه كانت وقعة نهاوند - وزيد بن حنظلة حليف بني عبد بن قصي - وفي زمانه أمير بالانسياح - وعزل عبد الله بن عبد الله ، وبُعث في وجه آخر من الوجوه ، وولّي زيد بن حنظلة - وكان من المهاجرين - فعمل قليلاً ، وألح في الاستعفاء ، فأعفى ، وولّي عمار بن ياسر بعد زيد ؛ فكان مكانه ، وأمد أهل البصرة بعبد الله بن عبد الله ، وأمد أهل الكوفة بأبي موسى ، وجعل عمر بن سراقه مكانه ، وقد مات الألوية من عند عمر إلى نفر بالكوفة زمان زيد بن حنظلة ، فقدم لواء منها على نعيم بن مقرن ، وقد كان أهل همدان كفروا بعد الصلح ، فأمره بالسّير نحوهم ، وقال : فإن فتح الله على يدك فألى ما وراء ذلك ، في وجهك ذلك إلى خراسان . وبعث عتبة ابن فرقد وبكير بن عبد الله وعقد لهما على أذربيجان ، وفرقها بينهما ، وأمر أحدهما أن يأخذ إليها من حُلوان إلى ميمتها ، وأمر الآخر أن يأخذ إليها من الموصل إلى ميسرتها ، فتيا من هذا عن صاحبه ، وتياسر هذا عن صاحبه . وبعث إلى عبد الله بن عبد الله بلواء ؛ وأمره أن يسير إلى إصصهان ، وكان شجاعاً بطلاً من أشراف الصحابة ومن وجوه الأنصار ؛ حليفاً لبني الحبل من بني أسد ؛ وأمدّه بأبي موسى من البصرة ، وأمر عمر بن سراقه على البصرة .

وكان من حديث عبد الله بن عبد الله أن عمر حين أتاه فتح نهاوند بدلاً له أن يأذن في الانسياح فكتب إليه : أن سير من الكوفة حتى تنزل المدائن ؛ فاندبهم ولا تنتخبهم ، واكتب إلى بذلك ؛ وعمر يريد توجيهه إلى إصصهان . فانتدب له فيمن انتدب عبد الله بن ورقاء الرياحي ، وعبد الله بن الحارث

ابن ورقاء الأمدى . والذين لا يعلمون يرون أن أحدهما عبد الله بن بُدَيْل ابن ورقاء الخزاعي ، لذكر ورقاء ، وظنوا أنه نُسِبَ إلى جدّه ، وكان عبد الله ابن بُدَيْل بن ورقاء يوم قُتِلَ بصفين ابن أربع وعشرين سنة ، وهو أيامَ عمر صبيّ .

ولما أتى عمرَ انبعاثُ عبد الله ، بعثَ زياد بن حنظلة ، فلما أتاها انبعاث الجنود وانسياحهم أمرَ عماراً بعدُ ، وقرأ قول الله عزّ وجلّ : ﴿ وَنريدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ ^(١) . وقد كان زياد صُرِفَ في وَسْطٍ من إمارة سعد إلى قضاء الكوفة بعد إعفاء سلمان ٢٦٣٧/١ وعبد الرحمن ابني ربيعة ، ليقضى إلى أن يقدم عبد الله بن مسعود من حِمَص ، وقد كان عمِلَ لعمر على ما سقَى الفُرات ودجلة النعمانُ وسويد ابنا مقرن ، فاستعفيا ، وقالا : أعفينا من عمل يتغول ^(٢) ويتزيّن لنا بزينة المومسة . فأعفاهما ، وجعل مكانهما حذيفة بن أسيد الغفاريّ وجابر بن عمرو المزنيّ ، ثم استعفيا فأعفاهما ، وجعل مكانهما حذيفة بن اليمان وعثمان بن حنيف ، حذيفة على ما سقت دجلة وما وراءها ، وعثمان على ما سقى الفرات من السوادين جميعاً ، وكتب إلى أهل الكوفة : إني بعثتُ إليكم عمار بن ياسر أميراً ، وجعلت عبد الله بن مسعود معلماً ووزيراً ، وولّيت حذيفة بن اليمان ما سقّت دجلة وما وراءها ، وولّيت عثمان بن حنيف الفرات وما سقّى .

• • •

ذكر الخبر عن إصبهان

قالوا : ولما قدم عمار إلى الكوفة أميراً ، وقدم كتاب عمر إلى عبد الله : ٢٦٣٨/١ أن سرّ إلى إصبهان وزياد على الكوفة ، وعلى مقدّمك عبد الله بن ورقاء الرياحي ، وعلى مجنبتك عبد الله بن ورقاء الأمدى وعصمة بن عبد الله — وهو عصمة بن عبد الله بن عبيدة بن سيف بن عبد الحارث — فسار عبد الله في الناس حتى قدِمَ على حذيفة ، ورجع حذيفة إلى عمله ، وخرج عبد الله فيمن كان معه ومن انصرف معه من جيش النعمان من نهاوند نحو جند

قد اجتمع له من أهل إصْبَهان عليهم الأُسْتَنْدَار؛ وكان على مقدّمته شهْرَ بَرّاز جاذوْيه ، شيخ كبير في جمع عظيم ؛ فالتقى المسلمون ومقدّمة المشركين برُستاق من رساتيق إصْبَهان ؛ فاقتتلوا قتالاً شديداً ، ودعا الشيخ إلى البراز ، فبرز له عبد الله بن ورّقاء ؛ فقتله وانهزم أهل إصْبَهان ، وسمى المسلمون ذلك الرستاق رُستاقَ الشيخ ، فهو اسمه إلى اليوم . ودعا عبد الله ابن عبد الله منّ يليه ، فسأل^(١) الأُسْتَنْدَار الصّليحَ ، فصالحهم ؛ فهذا أول رُستاق أخذ من إصْبَهان . ثم سار عبد الله من رستاق الشيخ نحو جَنّى حتى انتهى إلى جَنّى والملك بإصْبَهان يومئذ الفاذوسفان ، ونزل بالناس على جَنّى ؛ فحاصرهم ، فخرجوا إليه بعد ما شاء الله من زحف ؛ فلما التقوا قال الفاذوسفان لعبد الله : لا تقتل أصحابي ؛ ولا أقتل أصحابك ؛ ولكن ابرز لي ؛ فإن قتلتك رجعت أصحابك وإن قتلتني سالمتك أصحابي ؛ وإن كان أصحابي لا يقع لهم نَشَابَة . فبرز له عبد الله وقال : إمّا أن تحمّل عليّ ، وإمّا أن أحمل عليك ؛ فقال : أحمل عليك ، فوقف له عبد الله ، وحمل عليه الفاذوسفان ، فطعنه ، فأصاب قَرَبُوسَ سَرَجِهِ فكسره ، وقطع اللَّبَبَ والحِزامَ ، وزال اللَّبَدُ والسَّرَجُ ، وعبد الله على الفرس ؛ فوقع عبد الله قائماً ، ثم استوى على الفرس عُرْياً ؛ وقال له : اثبت ، فحاجزه ، وقال : ما أحب أن أقاتلك ؛ فإني قد رأيتك رجلاً كاملاً ؛ ولكن أرجعْ معك إلى عسكرك فأصالحك^(٢) ؛ وأدفع المدينة إليك ؛ على أن من شاء أقام ودفع الجزية وأقام على ماله ؛ وعلى أن تُجرى من أخذتم أرضه عنوةً مجراهم ، ويتراجعون ، ومن أبى أن يدخل فيما دخلنا فيه ذهب حيث شاء ؛ ولكم أرضه . قال : لكم ذلك .

٢٦٣٩/١

٢٦٤٠/١

وقدم عليه أبو موسى الأشعري من ناحية الأهواز ، وقد صالح الفاذوسفان عبد الله فخرج القوم من جَنّى ، ودخلوا في الذّمة إلا ثلاثين رجلاً من أهل إصْبَهان خالفوا قومهم وتجمّعوا فلحقوا بكرّمان في حاشيتهم ؛ لجمع كان بها ؛ ودخل عبد الله وأبو موسى جَنّى - وجَنّى مدينة إصْبَهان - وكتب بذلك

(١) ابن حبّيش : « فسارع » .

(٢) س : « وأصالحك » .

إلى عمر ، واغبط مَن أقام ، وندم من شخص . فقدم كتاب عمر على عبد الله :
 أن سرحني تقدم على سهيل بن عدي فتجاعمه على قتال مَن بكرمان ،
 وختلف في جني من بقي عن جني ، واستخلف على إصبهان السائب بن الأقرع .
 كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن نفر من أصحاب
 الحسن ؛ منهم المبارك بن فضالة ، عن الحسن ، عن أسيد بن المشمس بن
 أخي الأحنف ، قال : شهدت مع أبي موسى فتح إصبهان ، وإنما شهدها
 مدداً .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة والمهلب ٢٦٤١/١
 وعمرو وسعيد ، قالوا : كتاب صلح إصبهان :

بسم الله الرحمن الرحيم . كتاب من عبد الله للفاذوسفان وأهل إصبهان
 وحواليها ؛ إنكم آمنون ما أديتم الجزية ، وعليكم من الجزية بقدر طاقتكم في
 كل سنة تؤدونها إلى الذي يلي بلادكم عن كل حالم ؛ ودلالة المسلم وإصلاح
 طريقه وقراه يوماً وليلة ، وحملان الرأجل إلى مرحلة ، لا تسلطوا على مسلم ،
 وللمسلمين نصحتكم وأداء ما عليكم ، ولكم الأمان ما فعلتم ؛ فإذا غيرتم شيئاً
 أو غيرتم غير منكم ولم تسلموه فلا أمان لكم ؛ ومن سب مسلماً ببلغ منه ؛
 فإن ضربه قتلناه . وكتب وشهد عبد الله بن قيس ، وعبد الله بن ورقاء ،
 وعصمة بن عبد الله .

فلما قدم الكتاب من عمر على عبد الله ، وأمر فيه بالتحاق بسهيل بن
 عدي بكرمان خرج في جريدة خيل ، واستخلف السائب ، ولحق بسهيل
 قبل أن يصل إلى بكرمان .

• • •

وقد روى عن معقل بن يسار أن الذي كان أميراً على جيش المسلمين
 حين غزوا إصبهان النعمان بن مقرن .

• ذكر الرواية بذلك :

حدثنا يعقوب بن إبراهيم وعمرو بن علي ، قالوا : حدثنا عبد الرحمن بن
 مهدي ، قال : حدثنا حماد بن سلمة ، عن أبي عمران الجوني ، عن علقمة

ابن عبد الله المزني ، عن معقل بن يسار ؛ أن ثُمَر بن الخطاب شاور الهُرْمُزَان ، فقال : ما ترى ؟ أبدأ بفارس ، أم بأذَرَبِيْجَان ، أم بإصْبَهَان ؟ فقال : إن فارس وأذَرَبِيْجَان الجناحان ، وإصْبَهَان الرَّأْس . فإن قطعت أحدَ الجناحين قام الجناح الآخر ؛ فإن قطعت الرَّأْسَ وقَعَ الجناحان ؛ فابدأ بالرأس . فدخل عمر المسجد والنعمان بن مقرن يصلي ؛ فقعده إلى جنبه ، فلما قضى صلاته ، قال : إني أريد أن أستعملك ؛ قال : [أما] جايئاً فلا ؛ ولكن غازياً ؛ قال : فأنت غاز . فوجهه إلى إصْبَهَان ، وكتب إلى أهل الكوفة أن يُمدّوه ، فاتاها وبينه وبينهم النهر ، فأرسل إليهم المغيرة بن شعبة ، فاتاهم ؛ فقبل لِمَلِكِهِمْ — وكان يقال له ذوالحاجبين : إن رسولَ العرب على الباب ، فشاور أصحابه ، فقال : ما ترون ؟ أقعد له في بهجة الملك ؟ فقالوا : نعم ، فقعده على سريره ، ووضع التاج على رأسه ؛ وقعد أبناء الملوك نحو السّاطين عليهم القيرطة وأسورة الذهب وثياب الدّيباج . ثم أذن له فدخل ومعه رحه وتُرسه ، فجعل يطعن برمحهُ بُسْطَهم ليتطيروا ، وقد أخذ بضبعيه رجلاً ، فقام بين يديه ، فكلّمه ملكُهم ، فقال : إنكم يا معشرَ العرب أصابكم جوع شديد فخرجتم ؛ فإن شئتم أميرناكم ورجعتم إلى بلادكم . فتكلّم المغيرة ؛ فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال : إنا معاشر العرب ؛ كنا نأكل الجيفَ والمَيْتَةَ ، ويطؤونا الناس ولا نطوهم ؛ وإن الله عز وجل ابتعث منا نبياً ، أو سطنا حسباً ، وأصدقنا حديثاً — فذكر النبي صلى الله عليه وسلم بما هو أهله — وإنه وعدنا أشياء فوجدناها كما قال ؛ وإنه وعدنا أنا سنظهر عليكم ، ونغلب على ما ها هنا . وإنني أرى عليكم بزةً وهيئة ما أرى من خلقي يذهبون حتى يصيبوها .

قال : ثم قلت في نفسي : لو جمعت جراميزي^(١) ، فوثبت وثبة ، فقعدت مع العليج^(٢) على سريره لعلّه يتطيّر ! قال : فوجدت غفلة ؛ فوثبت ؛ فإذا أنا معه على سريره . قال : فأخذوه يتوجّثونه ويطؤونه بأرجلهم . قال : قلت :

(١) يقال : ضم فلان جراميزه ؛ إذا رفع ما انتشر من ثيابه .

(٢) العليج : الرجل القوي الضخم من كفار المعجم .

هكذا تفعلون بالرسول ! فإننا لا نفعل هكذا ، ولا نفعل برسلكم هذا . فقال الملك : إن شئتم قطعتم إلينا ، وإن شئتم قطعنا إليكم . قال : فقلت : بل نقطع إليكم . قال : فقطعنا إليهم فتسلسلوا كل عشرة في سلسلة ، وكل خمسة ٢٦٤٤/١ وكل ثلاثة . قال : فصافقناهم ، فرشقونا حتى أسرعوا فينا ؛ فقال المغيرة للنعمان : يرحمك الله ! إنه قد أسرع في الناس فاحمل ، فقال : والله إنك لذو مناقب ؛ لقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم القتال ؛ فكان إذا لم يقاتل أول النهار أخر القتال حتى تزول الشمس ، وتهب الرياح ، وينزل النصر .

قال : ثم قال : إني هازل لوائى ثلاث مرات ؛ فأما الهزّة الأولى فقضى رجل حاجته وتوضأ ، وأما الثانية فنظر رجل في سلاحه وفي شيسعه فأصلحه ، وأما الثالثة فاحملوا ، ولا يلوين أحد على أحد ؛ وإن قتل النعمان فلا يئسوا عليه أحد ؛ فإنى أدعو الله عز وجل بدعوة ؛ فعزمت على كل امرئ منكم لما آمن عليها ! اللهم أعط اليوم النعمان الشهادة في نصر المسلمين ، وافتح عليهم ؛ وهز لواءه أول مرة ، ثم هز الثانية ، ثم هز الثالثة ، ثم شل^(١) درعه ، ثم حمل فكان أول صريع ، فقال معقل : فأثبت عليه ؛ فذكرت عزيمته ، فجعلت عليه علكماً ، ثم ذهبت - وكنا إذا قتلنا رجلاً شغل عنا أصحابه - ووقع ذوالحاجبين عن بغلته فانشق بطنه ، فهزمهم الله ؛ ثم جثت إلى النعمان ومعى إداوة فيها ماء ، فغسلت عن وجهه التراب ، فقال : من أنت ؟ قلت : معقل بن يسار ، قال : ما فعل الناس ؟ فقلت : فتح الله عليهم ، قال : الحمد لله ؛ اكتبوا بذلك إلى عمر ؛ وفاضت نفسه .

واجتمع الناس إلى الأشعث بن قيس ، وفيهم ابن عمر وابن الزبير ، ٢٦٤٥/١ وعمرو بن معديكرب وحذيفة ، فبعثوا إلى أم ولده ، فقالوا : أما عهد إليك عهداً ؟ فقالت : ها هنا سقط^(٢) فيه كتاب ، فأخذه ، فكان فيه : إن قُتل النعمان ففلان ، وإن قتل فلان ففلان .

• • •

(١) شل درعه : انتزعها وأخرجها . (٢) السقط : وعاء كالجوالق .

وقال الراقدى : فى هذه السنة — يعنى سنة إحدى وعشرين — مات خالد ابن الوليد بمحمص ، وأوصى إلى عمر بن الخطاب .

قال : وفيها غزا عبد الله وعبد الرحمن ابنا عمرو وأبو سرّوعة ، فقدّموا مصر ، فشرّب عبد الرحمن وأبو سرّوعة الخمر ، وكان من أمرهما ما كان .

قال : وفيها : سار عمرو بن العاص إلى أنطاكلس — وهى برقة — فافتتحها ، وصالح أهل برقه على ثلاثة عشر ألف دينار ، وأن يبيعوا من أبنائهم ما أحبوا فى جزيتهم .

قال : وفيها ولّى عمر بن الخطاب عمار بن ياسر على الكوفة ، وابن مسعود على بيت المال ، وعثمان بن حنيف على مساحة الأرض ؛ فشكا أهل الكوفة عماراً ، فاستغنى عمار عمر بن الخطاب ، فأصاب جبير بن مطعم خالياً فولاه الكوفة ، فقال : لا تذكره لأحد ؛ فبلغ المغيرة بن شعبة أن عمر خلا بجبير بن مطعم ، فرجع إلى امرأته ، فقال : اذهبي إلى امرأة جبير بن مطعم ، فاعرضي عليها طعام السّفر ؛ فأتتها فعرضت عليها ، فاستعجمت عليها ، ثم قالت : نعم ، فجيشني به ؛ فلما استيقن المغيرة بذلك جاء إلى عمر ، فقال : بارك الله لك فىمن ولّيت ! قال : فن ولّيت ؟ فأخبره أنه ولّى جبير ابن مطعم ، فقال عمر : لا أدري ما أصنع ! وولى المغيرة بن شعبة الكوفة ؛ فلم يزل عليها حتى مات عمر .

قال : وفيها بعث عمرو بن العاص عتبة بن نافع الفهرى ، فافتتح زويلة بصلح^(١) وما بين برقة وزويلة سلّم للمسلمين .

وحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلسة ، عن ابن إسحاق ، قال : كان بالشام فى سنة إحدى وعشرين غزوة الأمير معاوية بن أبى سفيان ، وعمر بن سعد الأنصارى على دمشق والبشينة وحرّان وحمص وقنسرين والجزيرة ، ومعاوية على البلقاء والأردن وفلسطين والسواحل وأنطاكية ومعرة

(١) س : « لصلح » ، ابن الأثير : « صلحا » .

مَصْرِيْن وِقْلِقِيَّة . وعند ذلك صالح أبو هاشم بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس على قِلَقِيَّة وأنطاكيَّة ومَعْرَةَ مَصْرِيْن .

وقيل : وفيها وليد الحسن البصري وعامر الشعبي .

قال الواقدي : وحجَّ بالناس في هذه السنة عمر بن الخطاب ، وخلف على المدينة زيد بن ثابت ؛ وكان عاملَه على مكة والطائف واليمن واليمامة والبحرين والشَّام ومصر والبصرة مَن كان عليها في سنة عشرين ، وأما الكوفة ^(١) فإنَّ عامله عليها كان عمار بن ياسر ، وكان إليه الأحداث ، وإلى عبد الله ابن مسعود بيت المال ، وإلى عثمان بن حُنيِّف الخراج ، وإلى شُريح - فيما قيل - القضاء .

(١) س : « وأما أهل الكوفة » .

ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين

[ذكر فتح همدان]

قال أبو جعفر : ففيها فتحت أذربيجان ، فيما حدثني أحمد بن ثابت الرازي ، عن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر ، قال : كانت أذربيجان سنة اثنتين وعشرين ، وأميرها المغيرة بن شعبة . وكذلك قال الواقدي .

وأما سيف بن عمر ، فإنه قال فيما كتب إلى به السري عن شعيب عنه ، قال : كان فتح أذربيجان سنة ثمان عشرة من الهجرة بعد فتح همدان والرتي وجرجان وبعد صلح إصبهستان طبرستان المسلمين . قال : وكل ذلك كان في سنة ثمان عشرة .

قال : فكان سبب فتح همدان - فيما زعم - أن محمداً والمهلب وطلحة وعمراً وسعيداً أخبروه أن الثعمان لما صُرف إلى الماهيتين لاجتماع الأعاجم إلى نهاوند ، وصُرف إليه أهل الكوفة وافوه مع حذيفة ؛ ولما فصل أهل الكوفة من حلوان وأفضوا إلى ماه هجموا على قلعة في مَرَج فيها مسلحة ، فاستزلوهم ، وكان أول الفتح ، وأنزلوا مكانهم خيلاً يمسكون بالقلعة ، فسمّوا معسكرهم بالمرج^(١) ؛ مرج القلعة ؛ ثم ساروا من مَرَج القلعة نحو نهاوند ؛ حتى إذا انتهوا إلى قلعة فيها قوم خلّفوا عليها النسيير بن ثور في عجل وحنيفة ؛ فنُسبت إليه ؛ وافتتحها بعد فتح نهاوند ولم يشهد نهاوند عجل ولا حني - أقاموا مع النسيير على القلعة ، فلما جمعوا في نهاوند والقلاع أشركوا فيها جميعاً ؛ لأن بعضهم قوى بعضاً . ثم وصفوا ما استقروا فيما بين مَرَج القلعة وبين نهاوند مما مرّوا به قبل ذلك فيما استقروا من المرج

(٢) م : « بالقلعة » .

إليها بصفاتها ، وازدحمَت الرِّكَّابُ في ثَنِيَّةٍ من ثَنَايا مَآه ، فسمَّيت بالركاب ،
 فقيل : ثَنِيَّةُ الرِّكَّابِ . وأتوا على أخرى تدور طريقها بصخرة ، فسمَّوها
 مَدْوِيَّة ، فدرست أسماءها الأولى ، وسمَّيت بصفاتها ، ومرُّوا بالجبل الطويل
 المشرف على الجبال ، فقال قائل منهم : كأنه سِنَّ سُمَيْرَةٍ - وسُمَيْرَةُ امرأة
 من المهاجرات من بنى معاوية ، ضَبَّيَّة لها سِنَّ مشرفة على أسنانها ، فسمَّيَ
 ذلك الجبل بسنَّها - وقد كان حذيفة أتبعَ الفالَّةَ - فالَّةٌ نِهاوند - نُعيمَ بن مقرن
 والقعقاعَ بن عمرو ؛ فبلغا هَمَدَانَ ، فصالحهم خُسْرُو شُشُومَ ، فرجعا عنهم ،
 ثم كفر بعدُ . فلما قدم عهدُه في العهد من عند عمر ودَّعَ حذيفة ودَّعاه ٢٦٤٩/١
 حذيفة ؛ هذا يريد هَمَدَانَ ، وهذا يريد الكوفة راجعا . واستخلف على
 الماهينَ عمرو بن بلال بن الحارث .

وكان كتابُ عُمر إلى نُعيم بن مقرن : أن سِرَّ حتى تأتى هَمَدَانَ ،
 وابعث على مقدّمك سُويْد بن مقرن ، وعلى مجتنبك رِبعي بن عامر ومهلهل
 ابن زيد ؛ هذا طائى ، وذلك تيمى . فخرج نُعيم بن مقرن في تعبته حتى
 نزل ثَنِيَّةَ العَسَلِ - وإنما سُمِّيت ثَنِيَّةُ العسل بالعسل الذى أصابوا فيها غبَ
 وقعة نِهاوند حيث أتبعوا الفالَّةَ - فأنتهى الفيرُزان إليها ، وهى غاصَّةٌ بمواملٍ
 تحمل العَسَلَ وغير ذلك ؛ فحبست الفيرُزان حتى نزل ؛ فتوقَّل في الجبل
 وغارَ فرسُه فأدرك فأصيب . ولما نزلوا كِنَكِوَر سُرقت دوابُّ من دوابِّ
 المسلمين ، فسمَّى قصر اللصوص .

ثم انحدر نُعيم من الثَنِيَّة حتى نزل على مدينة هَمَدَانَ ، وقد تحصَّنوا
 منهم ، فحصرهم فيها ، وأخذ ما بين ذلك وبين جَرَمِيذَانَ ، واستولوا على
 بلاد هَمَدَانَ كلها . فلما رأى ذلك أهلُ المدينة سألوا الصلح ، على أن
 يُجربهم ومن استجاب مُجرى واحدًا ، ففعل ، وقبل منهم الجزاء على المنعة ،
 وفرَّق دَسَمَتَيْ بين نفر (١) من أهل الكوفة ، بين عصمة بن عبد الله الضبِّي
 ومهلهل (٢) بن زيد الطائى وسِمَاك بن عُبَيْد العبسى وسِمَاك بن مخزومة الأسدى ،

(١) ابن حبش : « نفر » .

(٢) ابن حبش : « وبين مهلهل » .

وسمّاك بن خرشة الأنصارى ؛ فكان هؤلاء أوّل من وليّ مسالح دسّتي
وقاتل الدّيلم .

* * *

وأما الواقديّ فإنه قال : كان فتح همّذان والرّى في سنة ثلاث وعشرين .
قال : ويقال افتتح الرّى قرّظة بن كعب .

وحدّثني ربيعة بن عثمان أنّ فتح همّذان كان في جمادى الأولى ،
على رأس ستة أشهر من مقتل عمر بن الخطاب ؛ وكان أميرها المغيرة بن
شعبة .

قال : ويقال : كان فتح الرّى قبل وفاة عمر بستين ، ويقال : قتل عُمر
وجيوشه عليها .

* * *

رجع الحديث إلى حديث سيف . قال : فبينما نعيم في مدينة همّذان
في توطئتها في اثني عشر ألفاً من الجند تكاتب الدّيلم وأهل الرّى وأهل
أذربيجان ، ثم خرج موتا في الدّيلم حتى ينزل بواج رُوذ ؛ وأقبل الزينبيّ
أبو الفَرَّخَان في أهل الرّى حتى انضمّ إليه ، وأقبل إسفَندِيَاذ أخو رُستم
في أهل أذربيجان ؛ حتى انضمّ إليه ، وتحصّن أمراء مسالح دسّتي ،
وبعثوا إلى نعيم بالخبر ، فاستخلف يزيد بن قيس ، وخرج إليهم في الناس حتى
نزل عليهم بواج الرّوذ ، فاقتتلوا بها قتالاً شديداً ؛ وكانت وقعة عظيمة تعدل
نيهاوند ؛ ولم تكن دونها ، وقتل من القوم مقتلة عظيمة لا يحصّون ولا تقصر
ملحمتهم من الملاحم الكبار ؛ وقد كانوا كتبوا إلى عمر باجماعهم ، ففرغ
منها عمر ، واهتمّ بمجرها ، وتوقع ما يأتيه عنهم ، فلم يفجأه إلاّ البريد بالبيشارة ، فقال :
أبشير ! فقال : بل عروة ؛ فلما ثنى عليه : أبشير ؟ فطِن ، فقال : بشير ؛
فقال عمر : رسول نعيم ؟ قال : رسول نعيم ، قال : الخبر ؟ قال : البشري
بالفتح والنصر ؛ وأخبره الخبر ؛ فحمّد الله ، وأمر بالكتاب فقرئ على الناس ؛
فحمّدوا الله . ثم قدم سَمّاك بن مخرمة وسَمّاك بن عبيد وسَمّاك بن خرشة في
وفود من وفود أهل الكوفة بالأخماس على عمر ، فنسبهم ، فانتسب له سَمّاك

وسمّاك وسمّاك ، فقال : بارك الله فيكم ؛ اللهم اسْمُكْ بهم الإسلام^(١) وأيدهم بالإسلام . فكانت دَسْتَبِي من هَمْدَان ومسالحتها إلى هَمْدَان ، حتى رجع الرسول إلى نعيم بن مقرن بجواب عمر بن الخطاب : أما بعدُ ، فاستخلف على هَمْدَان ، وأمدَّ بُكَيْر بن عبد الله بسمّاك بن خَرْشَة ، وسرّ حتى تقدّم الرّى ، فتلّق جمعهم ، ثم أقيم بها ، فلما أوسط تلك البلاد وأجمعها لما تريد . فأقرّ نعيم يزيد بن قيس الهَمْدَانِي على هَمْدَان ، وسار من واج الرّوذ بالناس إلى الرّى .

٢٦٥٢/١

وقال نعيم في واج الرّوذ :

لَمَّا أَتَانِي أَنْ مَوْتَا وَرَهْطُهُ بَنِي بَاسِلٍ جَرُّوا جُنُودَ الْأَعَاجِمِ^(٢)
 نَهَضْتُ إِلَيْهِمْ بِالْجُنُودِ مُسَامِيًا لَأَمْنَعَ مِنْهُمْ ذِمَّتِي بِالْقَوَاصِمِ
 فَجِئْنَا إِلَيْهِمْ بِالْحَدِيدِ كَأَنَّا^(٣) جِبَالٌ تَرَاهِي مِنْ فُرُوعِ الْقَلَاسِمِ
 فَلَمَّا لَقِينَاهُمْ بِهَا مُتَفِيزَةً وَقَدْ جَعَلُوا يَسْمُونَ فِعْلَ الْمُسَاهِمِ
 صَدَمْنَاهُمْ فِي وَاجِ رُودَ يَجْمَعُنَا غَدَاةَ رَمَيْنَاهُمْ بِإِحْدَى الْعِظَامِ
 فَمَا صَبَرُوا فِي حَوْمَةِ الْمَوْتِ سَاعَةً لَحْدُ الرَّمَايحِ وَالسِّيُوفِ الصَّوَارِمِ
 كَأَنَّهُمْ عِنْدَ انْبِثَاطِ جُوعٍ عَيْنِهِمْ جِدَارٌ تَشْطِي لَبْنُهُ لِلْمَوَادِمِ
 أَصَبْنَا بِهَا مَوْتًا وَمَنْ لَفَّ جَمْعَهُ وَفِيهَا نَهَابٌ قَسْمُهُ غَيْرُ عَاتِمِ
 تَبَعْنَاهُمْ حَتَّى أَوَوْا فِي شِعَابِهِمْ نُقْتَلُهُمْ قَتْلَ الْكِلَابِ الْجَوَاحِمِ
 كَأَنَّهُمْ فِي وَاجِ رُودَ وَجَوْهٍ ضُئِنُّ أَصَابَتَهَا فُرُوجُ الْمَخَارِمِ

٢٦٥٣/١

وسمّاك بن مَخْرَمَة هو صاحب مسجد سِمَاك .

(١) س : « أيدهم الإسلام » . ابن كثير : « أمد بهم الإسلام » .

(٢) ياقوت ٨ : ٣٧٠ ، وروايته :

فَلَمَّا أَتَانِي أَنْ مَوْتَا وَرَهْطُهُ بَنِي بَاسِلٍ جَرُّوا خِيُولَ الْأَعَاجِمِ

(٣) ابن حبيش : « كأنها » .

وأعاد فيهم نعيم كتاب صلح همدان ، وخلّف عليها يزيد بن قيس
الهمداني ، وسار بالحنود حتى لحق بالرّي ، وكان أول نسل الديلم من العرب ،
وقالهم فيه نعيم .

• • •

فتح الرّي

قالوا : وخرج نعيم بن مقرن من واج رُوذ في الناس — وقد أخرجها — إلى
دَمَشَقِي ، ففصل منها إلى الرّي ، وقد جمعوا له ، وخرج الزينبي
أبو الفَرُّخَان ، فلقبه الزينبي بمكان يقال له قَهْماً مسالماً ومخالفاً للملك الرّي ،
وقد رأى من المسلمين ما رأى مع حسد سَيَاوِخْش وأهل بيته ، فأقبل مع نعيم
والمملك يومئذ بالرّي سَيَاوِخْش بن مهران بن بهرام شوبين ، فاستمد أهل
دُنْبَاوَنَد وطبرستان وقوميس وجُرْجَان . وقال : قد علمتم أن هؤلاء قد
حلّوا بالرّي ، إنه لا مقام لكم ، فاحتشدوا له ، فناهده سَيَاوِخْش ، فالتقوا
في سَفَنَح جبل الرّي إلى جنب مدينتها ، فاقتتلوا به ، وقد كان الزينبي قال
لنعيم : إن القوم كثير ، وأنت في قلّة ، فابعث معي خيلاً أدخل بهم مدينتهم
من مدخل لا يشعرون به ، وناهدهم أنت ، فإنهم إذا خرجوا عليهم لم يثبتوا
لك . فبعث معه نعيم خيلاً من الليل ، عليهم ابن أخيه المنذر بن عمرو ،
فأدخلهم الزينبي المدينة ، ولا يشعر القوم ، وبيّتهم نعيم بياتاً فشغلهم عن
مدينتهم ، فاقتتلوا وصبروا له حتى سمعوا التكبير من ورائهم . ثمّ إنهم انهزموا
فقتلوا مقتلةً عُدوا بالقصص فيها ، وأفاء الله على المسلمين بالرّي نحواً من
فيء المدائن ، وصالحه الزينبي على أهل الرّي ومرزبه^(١) عليهم نعيم ، فلم
يزل شرف الرّي في أهل الزينبي الأكبر ، ومنهم شهرام وفرخان ، وسقط
آل بهرام ، وأخرب نعيم مدينتهم ، وهي التي يقال لها العتيقة — يعني مدينة
الرّي — وأمر الزينبي فبنى مدينة الرّي الحُدَنِي . وكتب نعيم إلى عمر بالذي
فتح الله عليه مع المضارب العجلي ، ووقد بالأخماس مع عتيبة بن النّهاس
وأبي مفزّر في وجوه من وجوه أهل الكوفة ، وأمدّ بكير بن عبد الله بممّاك بن

(١) مرزبه عليهم ، أي ولاء مرزباناً عليهم . والمرزبان : رئيس الفرس .

خَرَشَةُ الْأَنْصَارِيِّ بَعْدَ مَا فَتَحَ الرَّيَّ ، فَسَارَ سِمَاكِ إِلَى أَذْرَبَيْجَانَ مَدَدًا
لَبْكِيرَ ، وَكُتِبَ نُعَيْمٌ لِأَهْلِ الرَّيِّ كِتَابًا :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، هَذَا مَا أَعْطَى نُعَيْمُ بْنُ مَقْرَنَ الزُّبَيْنِيُّ بْنُ قُؤْلَةَ ،
أَعْطَاهُ الْأَمَانَ عَلَى أَهْلِ الرَّيِّ وَمَنْ كَانَ مَعَهُمْ مِنْ غَيْرِهِمْ عَلَى الْحِزَاءِ ، طَاقَةَ
كُلِّ حَالٍ فِي كُلِّ سَنَةٍ ، وَعَلَى أَنْ يَنْصَحُوا وَيَدُلُّوا وَلَا يُغْلُوا وَلَا يُسَلُّوا ،
وَعَلَى أَنْ يَتَّقُوا الْمُسْلِمِينَ يَوْمًا وَلَيْلَةً ، وَعَلَى أَنْ يَفْخَمُوا الْمُسْلِمَ ، فَمَنْ سَبَّ مُسْلِمًا
أَوْ اسْتَخَفَّ بِهِ نُهْكَ عَقُوبَةً ، وَمَنْ ضَرَبَهُ قُتِلَ ، وَمَنْ بَدَّلَ مِنْهُمْ فَلَمْ
يَسْتَلَمْ بِرُمْتِهِ فَقَدْ غَيَّرَ جَمَاعَتَكُمْ . وَكُتِبَ وَشَهِدَ .

وَرَأْسُهُ الْمَصْمُوعَانِ فِي الصَّلَاحِ عَلَى شَيْءٍ يَفْتَدِي بِهِ مِنْهُمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ ٢٦٥٦/١
يَسْأَلَهُ النَّصْرَ وَالْمُنْتَعَةَ ، فَقَبِلَ مِنْهُ ، وَكُتِبَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ كِتَابًا عَلَى غَيْرِ نَصْرٍ وَلَا
مَعُونَةٍ عَلَى أَحَدٍ ، فَجَرَى ذَلِكَ لَهُمْ :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . هَذَا كِتَابٌ مِنْ نُعَيْمِ بْنِ مَقْرَنَ لِمَرْدَ أَنْشَاهُ
مَصْمُوعَانِ دُنْبَاوَنْدَ وَأَهْلِ دُنْبَاوَنْدَ وَالْخَوَارِ وَاللَارِزِ وَالشَّرَزِ . إِنَّكَ آمِنٌ وَمَنْ
دَخَلَ مَعَكَ عَلَى الْكَفِّ ، أَنْ تَكْفَ أَهْلَ أَرْضِكَ ، وَتَتَّقِي مَنْ وَلِيَ الْفُرْجَ بِمَائَتِي
أَلْفِ دِرْهَمٍ وَزَنْ سَبْعَةٍ فِي كُلِّ سَنَةٍ ، لَا يَغَارُ عَلَيْكَ ، وَلَا يَدْخُلُ عَلَيْكَ إِلَّا بِإِذْنٍ ؛
مَا أَقَمْتُ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى تَغْيِّرَ ، وَمَنْ غَيَّرَ فَلَا عَهْدَ لَهُ وَلَا لِمَنْ يَسْلَمُهُ . وَكُتِبَ
وَشَهِدَ .

• • •

فَتْحُ قَوْمِيسَ

قَالُوا : وَلَمَّا كُتِبَ نُعَيْمٌ بِفَتْحِ الرَّيِّ مَعَ الْمُضَارِبِ الْعَجَلِيِّ ، وَوَفِدَ بِالْأَخْمَاسِ
كُتِبَ إِلَيْهِ عُمرُ : أَنْ قَدَّمَ سُؤْيِدُ بْنُ مَقْرَنَ إِلَى قَوْمِيسَ ، وَابْعَثْ عَلَى مَقْدَمَتِهِ
سَمَاكِ بْنَ سَخْرَمَةَ وَعَلَى مَجْنَبَتَيْهِ عُسَيْبَةَ بْنَ النَّهَّاسِ وَهَنْدَ بْنَ عَمْرِو الْجَمَلِيَّ ،
فَفَصَّلَ سُؤْيِدُ بْنُ مَقْرَنَ فِي تَعْيِينِهِ مِنَ الرَّيِّ نَحْوَ قَوْمِيسَ ؛ فَلَمْ يَقُمْ لَهُ أَحَدٌ ؛
فَأَخَذَهَا سَلَامًا ، وَعَسَكَرَ بِهَا ، فَلَمَّا شَرَبُوا مِنْ نَهْرِهِمْ يَقَالُ لَهُ مَلَاذُ ، فَشَا فِيهِمْ
الْقَمَصَرُ ^(١) ؛ فَقَالَ لَهُمْ سُؤْيِدُ : غَيِّرُوا مَاءَكُمْ حَتَّى تَعُودُوا كَأَهْلِهِ ؛ فَفَعَلُوا ،

(١) كَذَا فِي ط ، وَالْقَصْرُ بِالتَّحْرِيكِ : يَبْسُ فِي الْعَنْقِ .

واستمرءوه ، وكاتبه الذين لحثوا إلى طَبْرِ سِستان منهم ، والذين أخذوا المفاوز ، فدعاهم إلى الصلح والجزاء ، وكتب لهم :

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أعطى سُويد بن مقرن أهلَ قَوْمِيسَ ومن حَشَّشُوا من الأمان على أنفسهم ومللهم وأموالهم ، على أن يؤدُّوا الجزية عن يد ؛ عن كلِّ حالم بقدر طاقتهم ؛ وعلى أن ينصحوا ولا يغشوا ، وعلى أن يدلُّوا ، وعليهم نَزْلُ مَنْ نَزَلَ بهم من المسلمين يوماً وليلة من أوسط طعامهم ، وإن بدَّلوا واستخفُّوا بعهدهم فالذمَّةُ منهم بريئة . وكتب وشهد .

• • •

فتح جُرْجان

قالوا : وعسكر سُويد بن مقرن ببِسطام ، وكاتب ملك جرجان رُزبان صول ثم سار^(١) إليها ، وكاتبه رُزبان صول ، وبادره بالصلح على أن يؤدِّيَ الجزاء ، ويكفيه حرب جُرْجان ، فإن غلب أعانه . فقبل ذلك منه ، وتلقاه رُزبان صول قبل دخول سُويد جُرْجان ؛ فدخل معه ، وعسكر بها حتى جَبَى إليه الخراج ، وسمى فروجها ، فسدَّها بَشْرُك دِهِسْتان ، ورفع الجزاء عمن أقام بمنعها ، وأخذ الخراج من سائر أهلها ؛ وكتب بينهم وبينه كتاباً : بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من سُويد بن مقرن لِرُزبان صول ابن رُزبان وأهل دِهِسْتان وسائر أهل جُرْجان ؛ إنَّ لكم الذمَّةَ ، وعلينا المنعة ؛ على أنْ عليكم من الجزاء في كلِّ سنة على قدر طاقتكم ؛ على كلِّ حالم ؛ ومن استعنتَ به منكم فله جزاؤه في معونته عِوضاً من جزائه ؛ ولم الأمان على أنفسهم وأموالهم ومللهم وشرائعهم ، ولا يغيَّر شيء من ذلك هو إليهم ما أدَّوا وأرشدوا ابنَ السبيل ونصحوا وقروا المسلمين ، ولم يبد منهم سَلٌّ ولا غَلٌّ ، ومن أقام فيهم فله مثل ما لهم ، ومن خرج فهو آمن حتى يبلغ مأمنه ؛ وعلى أنْ من سبَّ مسلماً بُلِّغَ جهده ، ومن ضربه حلَّ دمه . شهد سواد بن قطبة ، وهند بن عمرو ، وسِمَاك بن مَخْرَمَة ، وعُتَيْبَة بن النُّهاس . وكتب في سنة ثمان عشرة .

وأما المدائني ، فإنه قال — فيما حدثنا أبو زيد ، عنه ^(١) : فَنُفِثَ جُرْجَانٌ فِي زَمَنِ عُمَانَ سَنَةَ ثَلَاثِينَ .

• • •

فَتْح طَبْرِ سِتَان

قالوا : وأرسل الإصْبَهَيْدَ سُوَيْدًا فِي الصَّلْحِ ، عَلَى أَنْ يَتَوَادَعَا ؛ وَيَجْعَلَ لَهُ شَيْئًا عَلَى غَيْرِ نَصْرِ وَلَا مَعُونَةٍ عَلَى أَحَدٍ ؛ فَعَبِلَ ذَلِكَ مِنْهُ ، وَجَرَى ^(٢) ذَلِكَ لَهُمْ ، وَكُتِبَ لَهُ كِتَابًا :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . هَذَا كِتَابٌ مِنْ سُوَيْدِ بْنِ مَقْرَنٍ لِلْفَرُّخَانِ إِصْبَهَيْدِ خُرَّاسَانَ عَلَى طَبْرِ سِتَانٍ وَجَبِلَ جَبِيلَانِ مِنْ أَهْلِ الْعَدُوِّ ؛ إِنَّكَ آمِنٌ بِأَمَانِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى أَنْ تَكْفَ لُصُوتَكَ ^(٣) وَأَهْلَ حَوَاشِي أَرْضِكَ ، وَلَا تُؤْوِي لَنَا بَغْيَةً ، وَتَنْتَقِي مَنْ وَلِيَ فَرَجَ أَرْضِكَ بِخَمْسِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ مِنْ دِرَاهِمِ أَرْضِكَ ، فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ فَلَيْسَ لِأَحَدٍ مِنَّا أَنْ يُغَيِّرَ عَلَيْكَ ، وَلَا يَتَطَرَّقَ أَرْضَكَ ، وَلَا يَدْخُلَ عَلَيْكَ إِلَّا بِإِذْنِكَ ؛ سَبِيلُنَا عَلَيْكَ بِالْإِذْنِ آمِنَةٌ ؛ وَكَذَلِكَ سَبِيلُكُمْ ، وَلَا تُؤْوُونَ لَنَا بَغْيَةً ، وَلَا تَسْلَوْنَ لَنَا إِلَى عَدُوِّ ، وَلَا تَغْلَوْنَ ، فَإِنْ فَعَلْتُمْ فَلَا عَهْدَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ .

شهد سواد بن قطبة التميمي ، وهند بن عمرو المُرَادِي ، وسماك بن مَخْرَمَةَ ٢٦٦٠/١
الأسدي ، وسماك بن عُبَيْدِ الْعَبْسِيِّ ، وعُتَيْبَةُ بْنُ النَّهَّاسِ الْبَكْرِي . وَكُتِبَ سَنَةَ ثَمَانِ عَشْرَةَ .

• • •

فَتْح أَذْرَبِيجَانَ

قال : ولما افتتح نُعَيْمُ هَمَّسَدَانِ ثَانِيَةً ، وَسَارَ إِلَى الرَّيِّ مِنْ وَاجِ رُودُ ، كُتِبَ إِلَيْهِ عَمْرٌ : أَنْ يَبْعَثَ سَمَاكَ بْنَ خَرَّشَةَ الْأَنْصَارِيَّ مُسَدِّدًا لِبُكَيْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بِأَذْرَبِيجَانَ ؛ فَأَخَّرَ ذَلِكَ حَتَّى افْتَتَحَ الرَّيَّ ، ثُمَّ سَرَّحَهُ مِنَ الرَّيِّ ، فَسَارَ سَمَاكَ نَحْوَ بُكَيْرِ بِأَذْرَبِيجَانَ ؛ وَكَانَ سَمَاكَ بْنُ خَرَّشَةَ وَعُتْبَةُ بْنُ فَرْقَدَ

(١) زاد في س : « قال » . (٢) س : « وأجرى » .

(٣) ابن حبيش : « نعتك » و« لصوصك » ، يريد : لصوصك .

من أغنياء العرب ؛ وقدما الكوفة بالغنى ؛ وقد كان بكير سار حين بُعِثَ إليها ؛ حتى إذا طلع بحيال جَرْمِيذَان - طلع عليهم إسفندياذ بن الفرخزاذ مهزوماً من واج روذ، فكان أول قتال لقيه بأذربيجان ، فاقتتلوا ، فهزم الله جندة ؛ وأخذ بُكَيْرَ إسفندياذ أسيراً ، فقال له إسفندياذ : الصلح أحب إليك أم الحرب ؟ قال : بل الصلح ، قال : فأمسكني عندك ؛ فإن أهل أذربيجان إن لم أصالح عليهم أو أجئ لم يقيموا لك ، وجلسوا إلى الجبال التي حوتها من القسج والروم ومن كان على التحصن تحصن إلى يوم ما ، فأمسكه عنده ، فأقام وهو في يده ، وصارت البلاد إليه إلا ما كان من حصن . وقدم عليه سمالك بن خرّشة مُمَدًّا ^(١) وإسفندياذ في إسماره ، وقد افتتح ما يليه ، وافتتح عتبة بن فرقد ما يليه . وقال بُكَيْرَ لسمالك مقدّمه عليه ، ومازحه : ما الذي أصنع بك وبعثت بأعنيّين ؟ لأن أطعت ما في نفسي لأمضين قُدماً ولا خلّفنكماً ، فإن شئت أقمت معي ، وإن شئت أتيت عتبة فقد أذنت لك ، فإني لا أراي إلا تارككماً وطالباً وجهاً هو أكره من هذا . فاستعفى عمر ؛ فكتب إليه بالإذن على أن يتقدّم نحو الباب ؛ وأمره أن يستخلف على عمله ، فاستخلف عتبة على الذي افتتح منها ، ومضى قُدماً ، ودفع إسفندياذ إلى عتبة ، ففضمه عتبة إليه ، وأمر عتبة سمالك بن خرّشة - وليس بأبي دُجّانة - على عمل بُكَيْرَ الذي كان افتتح ، وجمع عمر أذربيجان كلّها لعبته بن فرقد .

قالوا : وقد كان بهرام بن الفرخزاذ أخذ بطريق عتبة بن فرقد ، وأقام له في عسكره حتى قدم عليه عتبة ، فاقتتلوا ، فهزمه عتبة ، وهرب بهرام . فلما بلغ الخبر بهزيمة بهرام ومهر به إسفندياذ وهو في الإسمار عند بُكَيْرَ ، قال : الآن تمّ الصلح ، وطفئت الحرب ، فصالحه ، وأجاب إلى ذلك كله ، وعادت أذربيجان سليماً ، وكتب بذلك بُكَيْرَ وعتبة إلى عمر ، وبعثوا بما خمتسوا مما أفاء الله عليهم ، ووفدوا الوفود بذلك ؛ وكان بُكَيْرَ قد سبق عتبة بفتح ما ولي ، وتمّ الصلح بعد ما هزم عتبة بهرام . وكتب عتبة بينه

وبين أهل أذربيجان كتاباً حيث جُمع له عمل بكير إلى عمله :
 بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أعطى عُتْبَةُ بن فرقد ، عامل عمر بن الخطاب
 أمير المؤمنين أهل أذربيجان - سهلها وجبلها وحواشيها وشفارها وأهل
 مِلَّتِها - كلَّهم الأمان على أنفسهم وأموالهم ومللهم وشرائعهم ؛ على أن يؤدوا
 الجزية على قدر طاقتهم ، ليس على صبي ولا امرأة ولا زِمِين^(١) ليس في
 يديه شيء من الدنيا ، ولا متعبد متخل^٢ ليس في يديه من الدنيا شيء ، لهم ذلك
 ولمن سكن معهم ؛ وعليهم قِرى المسلم^(٢) من جنود المسلمين يوماً وليلة ودلالته ،
 ومن حُشِر منهم في سنة وضع عنه جزاء تلك السنة ، ومن أقام فله مثل ما لمن
 أقام من ذلك ، ومن خرج فله الأمان حتى يلجأ إلى حِرْزه . وكتب جندب ،
 وشهد بكير بن عبد الله الليثي وسماك بن خرشة الأنصاري . وكتب في سنة
 ثمان عشرة .

• • •

قالوا : وفيها ، قدم عتبة على عمر بالخبيص الذي كان أهدها له ، وذلك
 أن عمر كان يأخذ عماله بموافاة الموسم في كل سنة يحجر عليهم بذلك الظلم ،
 ويحجزهم به عنه^(٣) .

• • •

فتح الباب

وفي هذه السنة كان فتح الباب في قول سيف وروايته ، قال : وقالوا ٢٦٦٣/١
 - يعني الذين ذكرت أسماءهم قبل : ردَّ عمرُ أبا موسى إلى البصرة ، وردَّ
 سُرَّاقَ بن عمرو - وكان يدعى ذا النور - إلى الباب ، وجعل على مقدَّمته
 عبد الرحمن بن ربيعة - وكان أيضاً يدعى ذا النور^(٤) - وجعل على إحدَى
 الحِجْبَتَيْنِ حُلَّةَ يَفَّةَ بن أسيد الغفاري ، وسمَّى للأخرى بكير بن عبد الله الليثي -
 وكان يلزأ الباب قبل قدوم سُرَّاقَ بن عمرو عليه ، وكتب إليه أن يلحق به -

(١) الزمِين : الضميف . وفي س : « ولا من ليس في يديه » .

(٢) س وابن حبش : « المسلمين » . (٣) س : « يحجز بذلك عليهم » .

(٤) ابن كثير : « النور » .

وجعل على المقاسيم سلمان بن ربيعة . فقدّم سُرّاقة عبد الرحمن بن ربيعة ، وخرج في الأثر ، حتى إذا خرج من أذربيجان نحو الباب ، قدم على بُكير في أداني الباب ، فاستدْفَ بِبُكير ، ودخل بلاد الباب على ما عبّاه عمر . وأمدّه عمر بجبيب بن مسلمة ، صرفه إليه من الجزيرة ، وبعث زياد بن حنظلة مكانه على الجزيرة . ولما أطلّ عبد الرحمن بن ربيعة على الملك بالباب - والملك بها يومئذ شهربراز ، رجل من أهل فارس ؛ وكان على ذلك الفرّج ، وكان أصله من أهل شهربراز الملك الذي أفسد بني إسرائيل ، وأعرى الشام منهم - فكاتبه شهربراز ، واستأمنه على أن يأتيه ، ففعل فأتاه ، فقال : ٢٦٦٤/١
لنّ يَازاء عدوّ كَتِيب وأُم مختلفة ، لا يُنْسَبُونَ إلى أحساب ، وليس ينبغي لذي الحسب والعقل أن يُعَيّن أمثال هؤلاء ، ولا يستعين بهم على ذوى الأحساب والأصول ، وذو الحسب قريب ذى الحسب حيث كان ، ولست من القبشج في شيء ؛ ولا من الأرمن ؛ وإنكم قد غلبتم على بلادى وأمتى ، فأنا اليوم منكم ويدي مع أيديكم ، وصغّوى^(١) معكم ، وبارك الله لنا ولكم ، وجيزتنا إليكم النصر لكم ، والقيام بما تحبّون ، فلا تذلتونا بالجزية فتوهنونا لعدوّكم . فقال عبد الرحمن : فوق رجل قد أظلك فسرّ إليه ، فجوزه ، فسار إلى سُرّاقة فلقية بمثل ذلك ، فقال سُرّاقة : قد قبلت ذلك فيمن كان معك على هذا ما دام عليه ، ولا بدّ من الجزاء ممّن يقيم ولا ينهض . فقبل ذلك ، وصار سنة فيمن كان يحارب العدوّ من المشركين ، وفيمن لم يكن عنده الجزاء ، إلّا أن يستنفروا فتوضع عنهم جزاء تلك السنة . وكتب سُرّاقة إلى عمر بن الخطاب بذلك ، فأجازه وحسنه ، وليس لتلك البلاد التي في ساحة تلك الجبال نَبَسك^(٢) لم يقيم الأرمن بها إلّا على أوفاز ؛ وإنما هم سكان ممّن حولها ومن الطرّاء استأصلت الغارات نَبَكها من أهل القرار ، وأرّز أهل الجبال منهم إلى جبالهم ، وجلسوا عن قرار أرضهم ، فكان لا يقيم بها إلّا الجنود ومن أعانهم أو تجر إليهم ؛ واكتبوا من سُرّاقة بن عمرو كتاباً :

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أعطى سُرّاقة بن عمرو عامل أمير المؤمنين

(١) الصغو : الميل . (٢) النبك : المكان المرتفع .

عمر بن الخطاب شهربراز وسكان أرمينية والأرمن من الأمان ، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم وملتهم ألا يضاروا ولا ينتقموا ، وعلى أهل أرمينية والأبواب ، الطراء منهم والتشاء^(١) ومن حولهم فدخل معهم أن ينفروا لكل غارة ، وينفذوا لكل أمر نأب أولم ينسب رآه الولي صلاحاً ؛ على أن توضع الجزاء عمن أجاب إلى ذلك إلا الخشر ، والخشر عوَض من جزائهم ومن استغنى عنه منهم وقعد فعليه مثل ما على أهل أذربيجان من الجزاء والدلالة والنزل يوماً كاملاً ، فإن حُشروا وضع ذلك عنهم ، وإن تركوا أخذوا به . شهد عبد الرحمن بن ربيعة ، وسلمان بن ربيعة ، وبكير بن عبد الله . وكتب ٢٦٦٦/١ مرضي بن مرقن وشهد .

ووجه سُرَاقَة بعد ذلك بكير بن عبد الله وحبيب بن مسلمة وحذيفة بن أسيد وسلمان بن ربيعة إلى أهل تلك الجبال المحيطة بأرمينية ، فوجه بكيراً إلى موقان ، ووجه حبيباً إلى تفلّيس ، وحذيفة بن أسيد إلى من بجبال اللان ، وسلمان بن ربيعة إلى الوجه الآخر ، وكتب سُرَاقَة بالفتح وبالذي وجه فيه هؤلاء نفر إلى عمر بن الخطاب ، فأقى عمر أمر لم يكن يرى أنه يستم له على ما خرج عليه في سريح بغير مؤونة . وكان فرجاً عظيماً به جند عظيم ، إنما ينتظر أهل فارس صبيحهم ، ثم يضعون الحرب أوبيعئونها .

فلما استوسقوا واستحلوا عدل الإسلام مات سُرَاقَة ، واستخلف عبد الرحمن ابن ربيعة ، وقد مضى أولئك القواد الذين بعثهم سُرَاقَة ، فلم يفتح أحد منهم ما وجه له إلا بكير فإنه فض موقان ، ثم تراجعوا على الجزية ، فكتب لهم : بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أعطى بكير بن عبد الله أهل موقان من جبال القَبْجِج الأمان على أموالهم وأنفسهم وملتهم وشرائعهم على الجزاء ، دينار على كل حالم أو قيمته ، والنصح ، ودلالة المسلم ونزله يومه وليته ، فلهم الأمان ما أقرؤا ونصحوا ، وعلينا الوفاء ؛ والله المستعان . فإن تركوا ذلك واستبان منهم غش فلا أمان لهم إلا أن يسلموا الغششة برؤمتهم ؛ وإلا فهم ممتلون . شهد الشماخ بن ضرار والرُّسارس بن جنادب ، وحملة بن جوية . وكتب سنة إحدى وعشرين .

(١) تنأ بالبلد : أقام .

قالوا: ولما بلغ عمرَ موتٍ سُرَّاقُهُ واستخلافُهُ عبد الرحمن بن ربيعة أقرَّ عبد الرحمن على فترج الباب، وأمره بغزو الترك، فخرج عبد الرحمن بالناس حتى قطع الباب، فقال له شهربراز: ما تريد أن تصنع؟ قال: أريد بلسنجر؛ قال: إننا لنرضى منهم أن يدعونا من دون الباب. قال: لكننا لا نرضى منهم بذلك حتى نأتيهم في ديارهم؛ وقاله إن معنا لأقواماً لو يأذن لنا أميرنا في الإيعان لبلغت بهم الردم. قال: وما هم؟ قال: أقوام صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخلوا في هذا الأمر بنيتة، كانوا أصحاب حباء وتكرّم في الجاهلية، فازداد حياؤهم وتكرّمهم، فلا يزال هذا الأمر دائماً لهم، ولا يزال النصر معهم حتى يغيّتهم من يغلبهم، وحتى يُلَفَسُوا عن حالهم بمن غيرهم. فغزا بلسنجر غزاة في زمن عمر لم تسم فيها امرأة، ولم يبتهم فيها صبي، وبلغ خيله في غزاتها^(١) البَيْضَاء على رأس مائتي فرسخ من بلسنجر، ثم غزا فسلم؛ ثم غزا غزوات في زمان عثمان، وأصيب عبد الرحمن حين تبدّل أهل الكوفة في إمارة عثمان لاستعماله من كان ارتدّ استصلاحاً لهم، فلم يصلحهم ذلك، وزادهم فساداً أن سادهم من طلب الدنيا، وعَضَلُوا بعمان حتى جعل يتمثل:

وَكُنْتُ وَعُمراً كَالْمُسَمَّنِ كَلْبُهُ فَخَذَّشَهُ أَنْيَابُهُ وَأَظْفَرُهُ

كتب إلى السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن الغصن بن القاسم، عن رجل، عن سلمان بن ربيعة، قال: لما دخل عليهم عبد الرحمن بن ربيعة حال الله بين الترك والخروج عليه، وقالوا: ما اجترأ علينا هذا الرجل إلاّ ومعه الملائكة تمنعه من الموت؛ فتحصنوا منه وهربوا، فرجع بالغنم والظفر، وذلك في إمارة عمر؛ ثم إنه غزاهم غزوات في زمن عثمان، ظفركما كان يظفر، حتى إذا تبدّل أهل الكوفة لاستعمال عثمان من كان ارتدّ فغزاهم بعد ذلك، تذامرت الترك وقال بعضهم لبعض: إنهم لا يموتون، قال: انظروا، وفعلوا فاخطفوا لهم في الغياض؛ فرمى رجل منهم رجلاً من

(١) س: « غارتها ».

المسلمين على غيرة فقتله ، وهرب عنه أصحابه ، فخرجوا عليه عند ذلك ، فاقتلوا فاشتد قتالهم ، ونادى مناد من الجوّ : صبراً آل عبد الرحمن وموعدكم الجنة ! فقاتل عبدُ الرحمن حتى قتل ، وانكشف الناس ، وأخذ الراية سلمان بن ربيعة ، فقاتل بها ، ونادى المنادى من الجوّ : صبراً آل سلمان ابن ربيعة ! فقال سلمان : أو ترى جزعاً ! ثم خرج بالناس ، وخرج سلمان وأبو هريرة الدؤسي على جيلان ، فقطعوها إلى جرجان ، واجترأ الترك بعدها ولم يمنعهم ذلك من اتخاذ جسد عبد الرحمن ، فهم يستسقون به حتى الآن .

وحدث عمرو بن معد يكرب عن مطر بن ثلج التميمي ، قال : دخلت على عبد الرحمن بن ربيعة بالباب وشهربراز عنده ، فأقبل رجل عليه شحوبة ؛ حتى دخل على عبد الرحمن ، فجلس إلى شهربراز ، وعلى مطر قباء بُرود يمينية ، أرضه حمراء ، ووشيه أسود - أو وشيه أحمر - وأرضه سوداء ، فتساءلا .

ثم إن شهربراز ، قال : أيها الأمير ، أتدري من أين جاء هذا الرجل ؟ هذا الرجل بعثته منذ سنين نحو السدّ لينظر ماحاله ومن دونه ، وزودته مالا عظيماً ، وكتبت له إلى من يليني ، وأهديت له ، وسألته أن يكتب له إلى من وراءه ، وزودته لكل ملك هدية ؛ ففعل ذلك بكل ملك بينه وبينه ، حتى انتهى إليه ، فأنتهى إلى الملك الذي السدّ في ظهر أرضه ، فكتب له إلى عامله على ذلك البلد ، فأتاه فبعث معه بزيارته ومعه عقابه ، فأعطاه حرية ، قال : فشكر لي البازيار ، فلما انتهينا فإذا جبلان بينهما سدّ مسدود ، حتى ارتفع على الجبلين بعد ما استوى بهما ، وإذا دون السدّ خندق أشدّ سواداً من الليل لبعده ، فنظرت إلى ذلك كله ، وتفرست فيه ، ثم ذهبت لأنصرف ، فقال لي البازيار : على رسلك أكافك ! إنه لا يلي ملك بعد ملك إلاّ تقرب إلى الله بأفضل ما عنده من الدنيا ، فيرى به في هذا اللهب ، فشرح بضعه لحم معه ، فألقاها في ذلك الهواء ، وانقضت عليها العقاب ، وقال : إن أدركتها قبل أن تقع فلا شيء ؛ وإن لم تُدركها حتى تقع فذلك شيء ؛ فخرجت علينا العقاب باللحم في مخالها ؛ وإذا فيه ياقوته ، فأعطانيها ؛

وها هي هذه . فتناووا شهر براز حمراء ، فناووا عبد الرحمن ، فنظر إليها ، ثم ردها إلى شهر براز ، وقال شهر براز : لَهذه خير من هذا البلد - يعنى الباب - وإيم الله لأنتم أحب إلى ملكة من آل كسرى ؛ ولو كنت فى سلطانهم ثم بلغهم خبرها لانتزعوها منى ؛ وإيم الله لا يقوم لكم شىء ما وفيتهم ووفى ملككم الأكبر .

فأقبل عبد الرحمن على الرسول ، وقال : ما حال هذا الرَّدَم وما شبهه ؟ فقال : هذا الثوب الذى على هذا الرجل ، قال : فنظر إلى ثوبى ، فقال مطر بن ثلج لعبد الرحمن بن ربيعة : صدق والله الرجل ؛ لقد نفذ ورأى ، فقال : أجل ، وصف صفة الحديد والصُّفْر ، وقال : ﴿ آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ . . . ﴾ إلى آخر الآية .

وقال عبد الرحمن لشهر براز : كم كانت هديتُك ؟ قال : قيمة مائة ألف فى بلادى هذه ، وثلاثة آلاف ألف أو أكثر فى تلك البلدان .

وزعم الواقدى أن معاوية غزا الصائفة فى هذه السنة ، ودخل بلاد الروم فى عشرة آلاف من المسلمين .

وقال بعضهم : فى هذه السنة كانت وفاة خالد بن الوليد .

وفيهما وليد يزيد بن معاوية وعبد الملك بن مروان .

وحج بالناس فى هذه السنة عمر بن الخطاب ، وكان عامله على مكة عتّاب بن أسيد ، وعلى اليمن يعلى بن أمية ، وعلى سائر أمصار المسلمين الذين كانوا عمّاله فى السنة التى قبلها . وقد ذكرناهم قبل .

[ذكر تعديل الفتوح بين أهل الكوفة والبصرة]

وفى هذه السنة عدل عمر فتوح أهل الكوفة والبصرة بينهم .

ء ذكر الخبر بذلك :

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو ، وسعيد ، قالوا : أقام عمار بن ياسر عاملاً على الكوفة سنة فى إمارة

عمر وبعض أخرى . وكتب عمر بن سراقه وهو يومئذ على البصرة إلى عمر ابن الخطاب يذكر له كثرة أهل البصرة ، وعجز خراجهم عنهم ؛ ويسأله أن يزيدهم أحد الماهئين أو ما سببذان . وبلغ ذلك أهل الكوفة ، فقالوا لعمار : اكتب لنا إلى عمر أن راسهمزم وإيدج لنا دونهم ، لم يعينونا عليهما بشيء ؛ ولم يلحقوا بنا حتى افتتحناهما ، فقال عمار : مالى ولا هاهنا ! فقال له عطار : فعلام تدع فيثنا أيها العبد الأجدع ! فقال : لقد مبيت أحب أذنى إلى . ولم يكتب فى ذلك فأبغضوه ؛ ولما أبى أهل الكوفة إلا الخصومة فيهما لأهل البصرة شهد لهم أقوام على أبى موسى ؛ أنه قد كان آمن أهل راسهمزم وإيدج ؛ وأن أهل الكوفة والنعمان راسلهم وهم فى ٢٦٧٣/١ أمان . فأجاز لهم عمر ذلك ، وأجراها لأهل البصرة بشهادة الشهود . وادعى أهل البصرة فى لصبتهان قريبات افتتحها أبو موسى دون جى ، أيام أمدتهم بهم عمر إلى عبد الله بن عبد الله بن عتيان ، فقال أهل الكوفة : أتيتمونا مددا وقد افتتحنا البلاد ، فأسيناكم فى المغام ، والذمة ذمتنا ، والأرض أرضنا ؛ فقال عمر : صدقوا . ثم إن أهل الأيام وأهل القادسية من أهل البصرة أخذوا فى أمر آخر حتى قالوا : فليعطونا نصيبنا مما نحن شركاؤهم فيه من سوادهم وحواشيه . فقال لهم عمر : أترضون بماه ؟ وقال لأهل الكوفة : أترضون أن نعطيهم من ذلك أحد الماهيين ؟ فقالوا : ما رأيت أنه ينبغي فاعمل به ، فأعطاهم ماه دينار بنصيبهم لمن كان شهد الأيام والقادسية منهم إلى سواد البصرة ومهرجانتقدق ، وكان ذلك لمن شهد الأيام والقادسية من أهل البصرة . ولما ولي معاوية بن أبى سفيان - وكان معاوية هو الذى جند قنسرين من رافضة العراقيين أيام على ، وإنما كانت قنسرين رستاقا من رستاق حيمص حتى مصرها معاوية وجندها بمن ترك الكوفة والبصرة فى ذلك الزمان ، وأخذ لهم معاوية بنصيبهم من فتوح العراق أذربيجان والموصل والباب ، فضمها فيما ضم ، وكان أهل الجزيرة والموصل يومئذ ناقله ^(١) رُميتا بكل من كان ترك هجرته من أهل البلدين ؛ وكانت الباب وأذربيجان والجزيرة ٢٦٧٤/١

(١) من وابن الأثير : « ناقله » . والناقله من الناس : خلاف القطن .

والموصل من فتوح أهل الكوفة - نقل ذلك إلى من انتقل منهم إلى الشام
أزمان على ؛ وإلى من رُميت به الجزيرة والموصل ممن كان ترك هجرته أيام
على ، وكفر أهل أروينية زمان معاوية ؛ وقد أمر حبيب بن مسلمة على
الباب - وحبيب يومئذ بجُرْزَان - وكتب أهل تَفْلَيْس وتلك الجبال ؛ ثم
ناجزهم ؛ حتى استجابوا واعتقدوا من حبيب . وكتب ^(١) بينه وبينهم كتاباً
بعد ما كاتبهم : بسم الله الرحمن الرحيم . من حبيب بن مسلمة إلى
أهل ^(٢) تَفْلَيْس من جُرْزَان أرض المُرُز . سَلِّمْ ^(٣) أنتم ؛ فلم يأتِ أحمد الله
إليكم الذي لا إله إلا هو ؛ فإنه قد قدم علينا رسولكم تفلّى ، فبلغ عنكم ،
وأدى الذي بعثتم . وذكر تفلّى عنكم أنا لم نكن أمة فيما تحسبون ؛ وكذلك
كنا حتى هدانا الله عز وجل بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وأعزنا بالإسلام
بعد قلة وذلة وجاهلية . وذكر تفلّى أنكم أحبيتم ^(٤) سلمنا . فما كرهت والذين
آمنوا معي ، وقد بعثت إليكم عبد الرحمن بن جَزْء السُّلَمي ؛ وهو من
أعلمنا ^(٥) من أهل العلم بالله وأهل القرآن ؛ وبعثت معه بكتابي بأمانكم ، فإن
رضيت دفعه ^(٦) إليكم ؛ وإن كرهتم آذنتكم ^(٧) بحرب على سواء إن الله
لا يحب الخائنين :

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من حبيب بن مسلمة لأهل تَفْلَيْس
من جُرْزَان أرض المُرُز ؛ بالأمان على أنفسكم وأموالكم وصوامعكم ^(٨) وبيعتكم
وصلواتكم ؛ على الإقرار بصغار الجزيرة ؛ على كل أهل بيت ^(٩) دينار وافر ،
ولنا نصحتكم ونصركم على عدو الله وعدونا ، وقيرى المجتاز ليلة من حلال طعام
أهل الكتاب وحلال شراهم ، وهداية الطريق في غير ما يُضَرّ فيه بأحد منكم .
فإن أسلمتم وأقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة ، فإخواننا في الدين وموالينا ؛ ومن
تولى عن الله ورسله وكتبه وحيزه فقد آذنتكم بحرب على سواء ؛ إن الله لا يحب

(١) س : « وكتبوا » .	(٢) ف : « لأهل » .
(٣) س : « سلام » .	(٤) س : « أجبت » .
(٥) س وابن حبيش : « ما علمنا » .	(٦) ابن حبيش : « دفعته » .
(٧) س : « آذنتكم » .	(٨) ف : « ومواضعكم » .
(٩) ف : « كل بيت » .	

الحائنين . شهد عبد الرحمن بن خالد ؛ والحجاج ، وعياض . وكتب رباح ،
وأشهد الله وملائكته والذين آمنوا ، وكفى بالله شهيداً .

• • •

[ذكر عزل عمار عن الكوفة]

وفي هذه السنة عزل عمر بن الخطاب عماراً عن الكوفة ؛ واستعمل
أبا موسى في قول بعضهم ؛ وقد ذكرت ما قال الواقدي في ذلك قبل .
• ذكر السبب في ذلك :

قد تقدم ذكرى بعض سبب عزله ، ونذكر بقيته . ذكر السريّ - فيما
كتب به إلى - عن شعيب ، عن سيف ، عن تقدم ذكرى من شيوخه ،
قال : قالوا : وكتب أهل الكوفة ؛ عطاراً ذلك وأناس معه إلى عمر في عمار ،
وقالوا : إنه ليس بأمر ، ولا يحتمل ما هو فيه ، ونزاً به أهل الكوفة . فكتب
عمر إلى عمار : أن أقبل ؛ فخرج بوفد من أهل الكوفة ، ووفد رجالاً ممن
يرى أنهم معه ، فكانوا أشدّ عليه ممن تخلّف ، فجزع فقبل له :
يا أبا اليقظان ، ما هذا الجزع ! فقال : والله ما أحميد نفسي عليه ؛
ولقد ابتليت به - وكان سعد بن مسعود الثقفي عم المختار ، وجريير بن عبد الله
معه - فسعيأ به ، وأخبرأ عمر بأشياء يكرهها ، فعزله عمر ولم يولّه .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الوليد بن جميع ،
عن أبي الطفيل ، قال : قيل لعمار : أساءك العزل ؟ فقال : والله ما سرتني
حين استعملت ، ولقد ساءني حين عزلت .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن إسماعيل بن
أبي خالد ومجاهد ، عن الشعبي ، قال : قال عمر لأهل الكوفة : أيّ مترليكم أعجب
إليكم ؟ - يعني الكوفة أو المدائن - وقال : إني لأسألكم وإني لأعرف
فضل أحدهما على الآخر في وجوهكم ، فقال جريير : أما مترلنا هذا الأدنى
فإنه أدنى محلة من السواد من البر ، وأما الآخر فوعك^(١) البحر وغمّه وبعوضه .

(١) الوعك : سكون الريح وشدة الحر .

فقال عمار: كَذَّبْتَ ؛ فقال عمر لعمار : بل أنت أكذب منه ، وقال :
ما تعرفون من أميركم عمار ؟ فقال جرير : هو والله غير كافٍ ولا مجزٍ ولا عالم
بالسياسة .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن زكرياء بن مياها ،
عن هشام بن عبد الرحمن الثقفيّ ، أن سعد بن مسعود ، قال : والله ما يدري
علام استعملته ^(١) ! فقال عمر : علام استعملتك يا عمار ؟ قال : على
الحيرة وأرضها . فقال : قد سمعتُ بالحيرة تجاراً تختلف إليها ، قال : وعلى
أى شيء ؟ قال : على بابل وأرضها ، قال : قد سمعتُ بذكرها في القرآن .
قال : وعلى أى شيء ؟ قال : على المدائن وما حولها ، قال : أمدائن كسرى ؟
قال : نعم . قال : وعلى أى شيء ؟ قال : على مهرجاء نقدق وأرضها .
قالوا : قد أخبرناك أنه لا يدري علام بعثته ! فعزله ^(٢) عنهم ، ثم دعاه بعد
ذلك ، فقال : أساءك حين عزلتك ؟ فقال : والله ما فرحتُ به حين بعثتني ،
ولقد ساءني حين عزلتني . فقال : لقد علمتُ ما أنت بصاحب عمل ، ولكني
تأولت : ﴿ وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً
وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ ^(٣) .

٢٦٧٨/١

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن خليد بن ذفرة
النمريّ ، عن أبيه بمثله وزيادة ، فقال : أوتُحْمِدُ ^(٤) نفسك بمعرفة من
تُعالجه منذ ^(٥) قلمت ! وقال : والله يا عمار لا ينتهي بك حدك ^(٦) حتى
يلقيك في هنة ، وقاله ^(٧) لئن أدركك عمر لترقنّ ، ولئن رقت لتبتلين ^(٨) ،
فسل الله الموت . ثم أقبل على أهل الكوفة فقال : من تريدون يا أهل الكوفة ؟
فقالوا : أبا موسى . فأمره عليهم بعد عمار ، فأقام عليهم ^(٩) سنة ، فباع غلامه

(١) كذا في ابن الأثير ، وفي ط : « استعملت » .

(٢) بعدما في ف : « عمر رضي الله عنه » . (٣) سورة القصص ٥ .

(٤) ف : « أتحمد » . (٥) ف : « مذ » .

(٦) س : « حدك » ؛ ف : « جدك » . (٧) س : « وبالله » .

(٨) ف : « لتبتلين » . (٩) س : « عليها » .

العلف . وسمعه الوليد بن عبد شمس ، يقول : ما صحبتُ قوماً قط إلا آثرتهم ؛ والله^(١) ما منعني أن أكذب شهودَ البصرة إلا صحبتهم ، ولئن صحبتكم لأمنحتكم خيراً . فقال الوليد : ما ذهب بأرضنا غيرك ؛ ولا جرم لا تعمل علينا . فخرج وخرج معه نفر ، فقالوا : لا حاجة لنا في أبي موسى ، قال : ولم ؟ قالوا : غلام له يتججر في حششنا^(٢) . فغزله عنهم وصرفه إلى البصرة ، وصرف عمر بن سراقه إلى الجزيرة . وقال لأصحاب أبي موسى الذين ٢٦٧٩/١ شخصوا^(٣) في عزله من أهل الكوفة : أقوى مشدّد أحب إليكم أم ضعيف مؤمن ؟ فلم يجد عندهم شيئاً ، فتنحى ، فخلف في ناحية المسجد ، فنام فأتاه المغيرة بن شعبه فكلأه حتى استيقظ ، فقال : ما فعلت هذا يا أمير المؤمنين إلا من عظيم ؛ فهل نأبك من نائب ؟ قال : وأيّ نائب أعظم من مائة ألف لا يرضون عن أمير ، ولا يرضى عنهم أمير ! وقال في ذلك ما شاء الله . واختطت الكوفة حين اختطت على مائة ألف مقاتل ؛ وأتاه أصحابه ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ، ما شأنك ؟ قال : شأني أهل الكوفة قد عضلوا^(٤) بي . أعاد عليهم عمر المشورة التي استشار فيها ، فأجابه المغيرة فقال : أمّا الضعيف المسلم فضعفه عليك وعلى المسلمين وفضله له ، وأمّا القوى المشدّد فقوته لك وللمسلمين ، وشداده عليه وله . فبعثه عليهم .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن محمد بن عبد الله ، عن سعيد بن عمرو ؛ أن عمر قال قبل أن استعمل المغيرة : ما تقولون في تولية رجل ضعيف مسلم أو رجل قوى مشدّد ؟ فقال المغيرة : أما الضعيف المسلم فإن إسلامه لنفسه وضعفه عليك ، وأما القوى المشدّد فإن شداده لنفسه وقوته للمسلمين . قال : فإننا باعثوك يا مغيرة . فكان المغيرة عليها حتى مات عمر رضي الله تعالى عنه وذلك نحو من سنتين وزيادة . فلما ودّعه المغيرة للذهاب إلى الكوفة ، قال له : يا مغيرة . ليأمنك الأبرار ، وليخفك الفجار . ثم أراد عمر أن يبعث سعداً على عمل المغيرة فقتل قبل أن يبعثه ، فأوصى به ؛ وكان من سنة عمر وسيرته أن يأخذ عماله بموافاة الحج في كل سنة

(١) ف : (والله) . (٢) الحشرة بالفتح ؛ كل ما أكل من بقل الأرض وجمعه حشر .

(٣) من : « شخصوا معه » . (٤) عضلوا بي ، أى ضاق بي أمرهم .

للسياسة ، وليحجزهم بذلك عن الرعيّة ، وليكون لشكاة الرعيّة وقتاً وغاية ينهونها فيه إليه .

وفي هذه السنة غزا الأحنف بن قيس - في قول بعضهم خراسان - وحارب يَزْدَجَرْد ؛ وأما في رواية سيف فإنّ خروج الأحنف إلى خراسان كان في سنة ثمان عشرة من الهجرة .

• • •

ذكر مصير يَزْدَجَرْد

إلى خراسان وما كان السبب في ذلك

اختلف أهل السير في سبب ذلك وكيف كان الأمر فيه ؛ فأما ما ذكره سيف عن أصحابه في ذلك ، فإنه فيما كتب به إلى المرسى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو ، قالوا : كان يَزْدَجَرْد بن شهریار بن كمري - وهو يومئذ ملك فارس ^(١) - لما انهزم أهل جَلَوْلَاء خرج يريد الرّی ، وقد جعل له محمل واحد يطبق ظهر بعيره ، فكان إذا سار نام فيه ولم يعرّس بالقوم . فأنتهوا به إلى مخاضة وهونائم في محمله ، فأنبهوه ليُعلم ، ولثلاث يفرز إذا خاض البعير إن هو استيقظ ، فعنقههم وقال : بشما صنعتم ! والله لو تركتموني لعلمت ما مدّة هذه الأمة ، إني رأيتُ أني ومحمداً تناجينا عند الله ، فقال له : أمّلكهم مائة سنة ، فقال : زدني ، فقال : عشرًا ومائة سنة ، فقال : زدني ، فقال : عشرين ومائة سنة ، فقال : زدني ، فقال : لك . وأنبهتموني ، فلو تركتموني لعلمت ما مدّة هذه الأمة .

٢٦٨١/١

فلما انتهى إلى الرّی ، وعليها آبان جاذويه ، وثب عليه فأخذه ، فقال : يا آبان جاذويه ، تغدر بي ! قال : لا ، ولكن قد تركت مُلْكك ، وصار في يد غيرك ، فأجبت أن أكتب على ما كان لي من شيء ، وما أردتُ غير ذلك ^(٢) . وأخذ خاتم يَزْدَجَرْد ووصل الأدم ، واكتب الصّكّاك وسجّل السجلات بكلّ ما أعجبه ، ثم ختم عليها وردّ الخاتم . ثم أتى بعد ^(٣) سعداً فردّ عليه كلّ شيء في كتابه . ولما صنع آبان جاذويه بيزدَجَرْد ما صنع

(١) ابن حبّيش : « ملك أهل فارس » . (٢) كذا في ف ، وفي ط : « من غير ذلك »

(٣) س : « به » .

خرج يَزْدَجِرْد من الرّوى إلى إصبهان ، وكره^(١) آبان جاذويه ، فأراً منه
ولم يأمنه . ثم عزم على كَرَمَان ، فأثاها والنار معه ، فأراد أن يضعها في كَرَمَان ،
ثم عزم على خراسان ، فأتى مَرَو ، فترلها وقد نقل النار ، فبنى لها بيتاً واتخذ
بستاناً ، وبنى أَرْجاً^(٢) فرسخين من مَرَو إلى البستان ؛ فكان على رأس
فرسخين من مَرَو ، واطمأن في نفسه وأمين أن يُؤتَى ؛ وكاتب من مَرَو
مَنْ بَقِيَ من الأعاجم فيما لم يفتحه المسلمون ، فدأنوا له ، حتى أثار أهل
فارس والمُهرْزَان فنكثوا ، وثار أهل الجبال والفيروزان فنكثوا ، وصار ذلك
داعية إلى إذن عمر للمسلمين في الانسياح ، فانساح أهل البصرة وأهل الكوفة
حتى أُنْخِروا في الأرض ؛ فخرج الأحنف إلى خراسان ، فأخذ على مِهْرَجَان نَقْدَق ،
ثم خرج إلى إصبهان - وأهل الكوفة محاصرو جى - فدخل خراسان
من الطَّبَسِيْن ، فافتتح هَرَاةَ عَشَوَة ، واستخلف عليها صُحَار بن فلان
العبدى . ثم سار نحو مَرَو الشاهجان ، وأرسل إلى نيسابور - وليس دونها
قتال - مطرف بن عبد الله بن الشخير والحارث بن حسان إلى سَرْخَس ؛
فلما دنا الأحنف من مَرَو الشاهجان خرج منها يَزْدَجِرْد نحو مَرَو الرّوذ
حتى نزلها ، ونزل الأحنف مَرَو الشاهجان ؛ وكتب يَزْدَجِرْد وهو بمَرَو الرّوذ
إلى خاقان يستمده ؛ وكتب إلى ملك الصُّغْد يستمده ؛ فخرج رسوله
نحو خاقان وملك الصُّغْد ، وكتب إلى ملك الصين^(٣) يستعينه ، وخرج
الأحنف من مَرَو الشاهجان ؛ واستخلف عليها حاتم بن النعمان الباهلي
بعد ما لحقت به أمداد أهل الكوفة ، على أربعة أمراء : علقمة بن النضر النضري ،
وربِعي بن عامر التميمي ، وعبد الله بن أبي عَقِيل الثقفي ، وابن أمّ غزال
الهمداني ؛ وخرج سائراً نحو مَرَو الرّوذ ؛ حتى إذا بلغ ذلك يَزْدَجِرْد
خرج إلى بَلْخ ، ونزل الأحنف مَرَو الرّوذ ؛ وقدم أهل الكوفة ؛ فساروا إلى
بَلْخ ، وأتبعهم الأحنف ، فالتقى أهل الكوفة ويَزْدَجِرْد ببَلْخ ؛ فهزم الله
يَزْدَجِرْد ، وتوجه^(٤) في أهل فارس إلى النهر فعب ، ولحق الأحنف بأهل

(١) ف : « وكر » ، وأضاف ابن حبّيش : « جوار » .

(٢) الأزج ، محرّكة : بيت بيني طولاً . (٣) ابن حبّيش : « صاحب الصين » .

(٤) س : « ثم توجه » .

الكوفة ؛ وقد فتح الله عليهم ؛ فبلّخ من فتوح أهل الكوفة . وتتابع أهل خراسان من شدّة أو تحصّن على الصلح فيما بين نيسابور إلى طخارستان ممّن كان في مملكة كمرى ؛ وعاد الأحنف إلى مرو الروذ ، فترها واستخلف على طخارستان ربّعي بن عامر ؛ وهو الذي يقول فيه ^(١) النجاشي — ونسبه إلى أمّه ؛ وكانت من أشرف العرب :

٢٦٨٤/١

الْأَرْبُ مَنْ يُدْعَى قَتْلَى لَيْسَ بِالْقَتَى ^(٢) أَلَا إِنْ رَبِّعِي ابْنُ كَأْسٍ هُوَ الْقَتَى
طَوِيلٌ قُعُودُ الْقَوْمِ فِي قَعْرِ بَيْتِهِ إِذَا شَبِعُوا مِنْ ثَقُلِ جَفَّتْهُ سَقَى

كتب الأحنف إلى عمر بفتح خراسان ، فقال : لوددت أني لم أكن بعثت إليها جنداً ، ولوددت أنه كان بيننا وبينها بحر من نار ؛ فقال عليّ : ولم يا أمير المؤمنين ؟ قال : لأنّ أهلها سينفضّون منها ثلاث مرّات ، فيستباحون في الثالثة ، فكان أن يكون ذلك بأهلها أحبّ إلى من أن يكون بالمسلمين .

كتب إلى العمريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي عبد الرحمن الفزاريّ ، عن أبي الحسن البشكريّ ، عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، قال : لما قدّم عمر على فتح خراسان ، قال : لوددت أنّ بيننا وبينها بحراً من نار ، فقال عليّ : وما يشتدّ عليك من فتحها ! فإنّ ذلك لموضع سرور ، قال : أجل ولكنّ ^(٣) . . . حتى أني على آخر الحديث .

٢٦٨٥/١

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عيسى بن المغيرة ، وعن رجل من بكر بن وائل يدعى الوازع بن زيد بن خلّيدة ، قال : لما بلغ عمر غلبة الأحنف على المرويين وبلخ ، قال : وهو الأحنف ، وهو سيّد أهل المشرق المسمّى بغير اسمه . وكتب عمر إلى الأحنف : أما بعد ، فلا تجوزنّ النهر واقتصر على ما دونه ، وقد عرفتم بأى شيء دخلتم على خراسان ، فداوموا على الذي دخلتم به خراسان يدمّ لكم النصر ؛ وإياكم أن تعبروا فتفضّوا . ولما بلغ رسولا يزيد جرد خاقان وغوزك ، لم يستتبّ لهما لإنجاده حتى عبر

(١) من وابن حبّيش : « له » .

(٢) من : « ألا ربّما » ، وابن حبّيش : « يدعى القتي » . (٣) ف : « ولكن » .

إليهما النهر مهزوماً ، وقد استتَبَّ فأنجده خاقان — والمملوك ترى على أنفسها
 لإنجاد المملوك — فأقبل في الترك ، وحشر أهل فرغانة والصغد ، ثم خرج بهم ،
 وخرج يزْدَجِرِد راجعاً إلى خراسان ، حتى عبر إلى بلخ ، وعبر معه خاقان ،
 فأرَزَ أهل الكوفة إلى مَرَوَ الرُّوذ إلى الأحنف ، وخرج المشركون من بلخ
 حتى نزلوا على الأحنف بِمَرَوَ الرُّوذ . وكان الأحنف حين بلغه عبور خاقان
 والصغد نهر بلخ غازياً له ، خرج في عسكره ليلاً يسمع : هل يسمع برأى
 ٢٦٨٦/١ يتفجع به ؟ فَرَّ برجلين ينقيان علفاً ، إما تبناً وإما شعيراً ، وأحدهما يقول لصاحبه :
 لو أن الأمير أسندنا إلى هذا الجبل ، فكان النهر بيننا وبين عدونا خندقاً ،
 وكان الجبل في ظهورنا من أن نُؤْفَى من خلفنا ، وكان قتالنا من وجه واحد
 رجوت أن ينصرنا الله . فرجع واجترأ بها ، وكان في ليلة مظلمة ، فلما أصبح
 جمع الناس ، ثم قال : إنكم قليل ، وإن عدوكم كثير ، فلا يهولنكم ؛ فكم
 من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين ؛ ارتحلوا من
 مكانكم هذا ، فاسندوا إلى هذا الجبل ، فاجعلوه في ظهوركم ، واجعلوا النهر
 بينكم وبين عدوكم ، وقاتلوه من وجه واحد . ففعلوا ، وقد أعدوا ما يصلحهم ،
 وهو في عشرة آلاف من أهل البصرة وأهل الكوفة نحو منهم . وأقبلت الترك
 ومن أجلبت حتى نزلوا بهم ، فكانوا يغادونهم ويراوحونهم ويتنحون عنهم
 بالليل ما شاء الله . وطلب الأحنف عليهم مكانهم بالليل ، فخرج ليلة بعد
 ما علم علمهم ؛ طلعة لأصحابه حتى كان قريباً من عسكر خاقان فوقف ،
 ٢٦٨٧/١ فلمّا كان في وجه الصبح خرج فارس من الترك بطوقه ، وضرب بطله ، ثم
 وقف من العسكر موقفاً يقفه مثله ، فحمل عليه الأحنف ، فاختلفا طعنتين ،
 فطعنه الأحنف فقتله ، وهو يرتجز ويقول :

إِنَّ عَلَى كُلِّ رَئِيسٍ حَقًّا أَنْ يَخْضِبَ الصَّعْدَةَ أَوْ تَنْدَقًا
 إِنَّ لَنَا شَيْخًا بِهَا مُلَقًى سَيْفَ أَبِي حَفْصٍ الَّذِي تَبَقَّى

ثم وقف موقف التركي وأخذ طوقه ، وخرج (٢) آخر من الترك ، ففعل

(١) س : « عاديا » .

(٢) ابن حبش : « ثم خرج » .

فعل صاحبه الأول ، ثم وقف دونه فحمل عليه الأحنف ، فاختلفا طعنتين ، فطعنه الأحنف فقتله وهو يرتجز :

إِنَّ الرَّئِيسَ يَرْتَجِي وَيَطْلُعُ وَيَمْنَعُ الْخُلَاءَ إِمَّا أَرْبَعُوا^(١)

ثم وقف موقف التركي الثاني ، وأخذ طوقه ، ثم خرج ثالث^(٢) من الترك ، ففعل فعل الرجلين ، ووقف دون الثاني منهما ، فحمل عليه الأحنف ، فاختلفا طعنتين ، فطعنه الأحنف ، فقتله وهو يرتجز :

جَرَى الشَّمْسُ نَاجِزًا بِنَاجِزٍ مُحْتَفِلًا فِي جَرِيهِ مُشَارِزٍ

ثم انصرف الأحنف إلى عسكره ؛ ولم^(٣) يعلم بذلك أحد منهم حتى دخله واستعد . وكان من شيمة الترك أنهم لا يخرجون حتى يخرج ثلاثة من فرسانهم كهؤلاء^(٤) ؛ كلهم يضرب بطبله ، ثم يخرجون بعد خروج الثالث ، فخرجت الترك ليلتشد بعد الثالث ، فأتوا على فرسانهم مقتلين ، فتشام خاقان وتطير ، فقال : قد طال مقامنا ، وقد أصيب هؤلاء القوم بمكان لم يُصَب بمثله قط ؛ ما لنا في قتال هؤلاء القوم من خير ، فانصرفوا بنا ؛ فكان وجوههم راجعين ، وارتفع النهار للمسلمين ولا يرون شيئاً ، وأتاهم الخبير بانصراف خاقان إلى بلسخ . وقد كان يزدد جرد بن شهریار بن كسرى ترك خاقان بمرو الروذ ، وخرج إلى مرو الشاهجان ؛ فتحصن منه حاتم^(٥) بن النعمان ومن معه ، فحصرهم واستخرج خزائنه من موضعها ؛ وخاقان ببلسخ مقيم له ، فقال المسلمون للأحنف : ما ترى في اتباعهم ؟ فقال : أقيموا بمكانكم ودعوهم . ولما جمع يزدد جرد ما كان في يديه مما وضع بمرو ، فأعجل عنه ؛ وأراد أن يستقل به منها ، إذ هو أمر عظيم من خزائن أهل فارس ، وأراد اللحاق بخاقان فقال له أهل فارس : أي شيء تريد أن تصنع ؟ فقال : أريد اللحاق بخاقان ، فأكون معه أو بالصين ، فقالوا له : مهلاً ؛ فإن هذا رأى سوء ، إنك إنما تأتي قومًا في مملكتهم وتندع أرضك وقومك ؛ ولكن ارجع

٣٦٨٨/١

٢٦٨٩/١

(١) ف وابن حبيش : « الجلاء » . (٢) ف وابن حبيش وابن الأثير : « الثالث » .

(٣) س وابن كثير : « ولا » . (٤) س : « كهولا » .

(٥) ط : « حارثة » ؛ وانظر التصويبات .

بنا إلى هؤلاء القوم فنصلحهم ؛ فلأنهم أوفياء وأهل دين ؛ وهم يلبون بلادنا ، وإنّ عدوّاً يلينا في بلادنا أحبّ إلينا مملكة من عدوّ يلينا في بلاده ولا دين لهم ؛ ولا ندرى ما وفاقهم ؛ فأبى عليهم وأبوا عليه ؛ فقالوا : قدع خزائننا فردّها إلى بلادنا ومنّ يليها ، ولا تُخرجها من بلادنا إلى غيرها ، فأبى ؛ فقالوا : فإنّا لا ندعك ؛ فاعتزلوا وتركوه في حاشيته ، فاقتتلوا ، فهزموه وأخذوا الخزائن ، واستولوا عليها ونكبوها ، وكتبوا إلى الأحنف بالخبر ، فاعترضهم المسلمون والمشركون بمسرو يثفنون^(١) ، فقاتلوه وأصابوه في آخر القوم ، وأعجلوه عن الانتقال ؛ ومضى مؤانلاً^(٢) حتى قطع النهر إلى فرغانة والترك ؛ فلم يزل مقيماً زمان عمر رضى الله عنه كله يكتبهم ويكاتبونه ، أو من شاء الله منهم . فكفر أهل خراسان زمان عثمان . وأقبل أهل فارس على الأحنف فصالحوه وعاقبوه ، ودفعوا إليه تلك الخزائن والأموال ، وتراجعوا إلى بلدانهم وأموالهم على أفضل ما كانوا في زمان الأكاسرة ؛ فكانوا كأنما^(٣) هم في ملكهم ؛ إلا أن المسلمين أوفى لهم وأعدل عليهم ، فاغتبطوا وغبّطوا ؛ وأصاب الفارس يوم يزدد جرد كسهم الفارس يوم القادسية .

٢٦٩٠/١

ولما خلع أهل خراسان زمان عثمان أقبل يزدد جرد حتى نزل بمسرو ، فلما اختلف هو ومن معه وأهل خراسان . أوى إلى طاحونة ، فأتوا عليه يأكل من كرد حول الرّحا ؛ فقتلوه ثم رموا به في النهر .

ولما أصيب يزدد جرد بمسرو - وهو يومئذ مختبئ في طاحونة يريد أن يطلب اللّحاق بكرمان - فاحتوى فيته المسلمون والمشركون ، وبلغ ذلك الأحنف ، فسار من قوّره ذلك في الناس إلى بلخ يريد خاقان ، ويتبع حاشية يزدد جرد وأهله في المسلمين والمشرّكين من أهل فارس ، وخاقان والترك ببلخ . فلما سمع بما ألقى يزدد جرد وبخروج المسلمين مع الأحنف من مسرو الرّوذ نحوه ، ترك بلخ وعبر النهر ؛ وأقبل الأحنف حتى نزل بلخ ؛ ونزل أهل الكوفة في كورها الأربع ، ثم رجع إلى مسرو الرّوذ فقتل بها ؛ وكتب

(١) يثفنون ، أى يدفعونه .

(٢) في اللسان : « المؤنل » : الملجأ ، والعرب تقول : إنه ليؤائل إلى موضعه ، يريدون

(٣) ابن حبيش : « كأنهم » ، س : « كأنهم إنما هم » . : يذهب إلى موضعه وحرزه .

بفتح خاقان ويَزْدَجِرْد إلى عمر ، وبعث إليه بالأخماس ، ووفد إليه الوفود . قالوا : ولما عَبَّرَ خاقان النهر ، وعبرت معه حاشية آل كسرى ، أو من أخذ نحو بَلَخْ منهم مع يَزْدَجِرْد ، لقوا رسولَ يزدجرد الذي ^(١) كان بعث إلى ملك الصين ، وأهدى إليه معه [هدايا] ^(٢) ، ومعه جواب كتابه من ملك الصين . فسأله عما وراءه ، فقال : لما قدمت عليه بالكتاب والهدايا كافأنا بما تروثن—وأراهم هديته . وأجاب يَزْدَجِرْد ، فكتب إليه بهذا الكتاب بعد ما كان قال لي : قد عرفت أن حقاً على الملوك لإنجاد الملوك على من غلبهم ، فصيف لي صفة هؤلاء القوم الذين أخرجوكم من بلادكم ، فإنني أراك تذكر قلةً منهم وكثرةً منكم ؛ ولا يبلغ أمثال هؤلاء القليل الذين تصف منكم فيما أسمع من كثرتكم إلا بخير ^(٣) عندهم وشرّ فيكم ؛ فقلت : سئلي عما أحبيت ، فقال : أيوفون بالعهد ؟ قلت : نعم ، قال : وما يقولون لكم قبل أن يقاتلوكم ؟ قلت : يدعوننا إلى واحدة من ثلاث : إما دينهم فإن أجبناهم أجرونا مجراهم ، أو الجزية والمنفعة ^(٤) ، أو المنازعة . قال : فكيف طاعتهم أمراءهم ؟ قلت : أطوع قوم لمرشديهم ، قال : فما يحلون وما يُحرمون ؟ فأخبرته ، فقال : أيحرمون ما حلل ^(٥) لهم ، أو يحلون ما حرم عليهم ؟ قلت : لا ، قال : فإن هؤلاء القوم لا يهلكون أبداً حتى يُحلبوا حرامهم ويمحرموا حلالهم . ثم قال : أخبرني عن لباسهم ؛ فأخبرته ، وعن مطاياهم ، فقلت : الخيل العراب ^(٦) — ووصفتها — فقال : نعمت الحصون هذه ! ووصفت له الإبل وبروكها وانبعاثها بحملها ، فقال : هذه صفة دواب طوال الأعناق .

٢٦٩١/١

وكتب معه إلى يزدجرد [كتاباً] ^(٧) : إنه لم يمنعني أن أبعث ^(٨) إليك بجيش أوله بمرو وآخره بالصين الجهالة بما يحق علي ^(٩) ، ولكن هؤلاء القوم الذين وصف لي رسولك صفتهم لويحاولون الجبال لهدوها ، ولو تخلى سرّهم

٢٦٩٢/١

- (١) من وابن حبيش : « بالذي » . (٢) من س .
 (٣) من وابن حبيش : « خير » . (٤) ساقطة من س والنويزي .
 (٥) س : « حلل الله » . (٦) الخيل العراب : الكرائم السائلة من الهجنة .
 (٧) من س . (٨) من : « من أن أبعث » .
 (٩) ابن حبيش : « بما يحق لك على » .

أزالوني ما داموا على ما وصف^(١)؛ فسألهم وارضَ منهم بالمساكنة؛ ولأنهم لم يُهَيِّجُواكَ . وأقام يَزْدَجِيرُ^(٢) وآل كسرى بفسر غانة ، معهم عهد من خاقان . ولما وقع الرسول بالفتح والوفد بالخبر ومعهم الغنائم بعمر بن الخطاب من قبيل الأحنف ، جمع الناس وخطبهم ، وأمر بكتاب الفتح فقرأ عليهم ، فقال في خطبته : إن الله تبارك وتعالى ذكر رسولَه صلى الله عليه وسلم وما بعثه به من الهدى ، ووعد على اتباعه من عاجل الثواب وآجله خير الدنيا والآخرة . فقال : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَه بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾^(٣) ؛ فالحمد الذي أنجز وعده ، ونصر جنده . ألا إن الله قد أهلك ملك الجوسية ، وفرق شملهم ، فليسوا يملكون من بلادهم شبرا يضر بمسلم . ألا وإن الله قد أورتكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأبناءهم ؛ لينظر كيف تعملون ! ألا وإن المصريين من مسالحها اليوم كأنهم والمصريين فيما مضى من البعد ، وقد غلوا في البلاد ، والله بالغ أمره ، ومنجز وعده ، ومتبع آخر ذلك أوله ، فقوموا في أمره على رجل يوف لكم بعده ، ويؤتيكم وعده ؛ ولا تبدلوا ولا تغيروا ، فيستبدل الله بكم غيركم ؛ فإني لا أخاف على هذه الأمة أن تؤذي إلا من قبلكم .

• • •

قال أبو جعفر : ثم إن أداني أهل خراسان وأقاصيه اعترضوا زمان عثمان ابن عفان لستين خلنا من إمارته؛ وسندكر بقية خبر انتقاضهم في موضعه إن شاء الله مع مقتل يَزْدَجِيرُ .

• • •

وحج بالناس في هذه السنة عمر بن الخطاب ، وكانت عماله على الأمصار فيها عماله الذين كانوا عليها في سنة إحدى وعشرين غير الكوفة والبصرة ؛ فإن عامله على الكوفة وعلى الأحداث كان المغيرة بن شعبة ، وعلى البصرة أبا موسى الأشعري .

(٢) ابن حيش : « عيال يزدجرد » .

(١) س ، ف : « وصفهم » .

(٣) سورة التوبة ٣٢ .

ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين

فكان فيها فتح إصطخّر في قول أبي معشر؛ حدثني بذلك أحمد بن ثابت الرازي، قال: حدثنا محدث، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر، قال: كانت إصطخّر الأولى وهمدان سنة ثلاث وعشرين. وقال الواقدي مثل ذلك. وقال سيف: كان فتح إصطخّر بعد توج الآخرة.

* * *

ذكر الخبر عن فتح توج

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو، قالوا: خرج أهل البصرة الذين وجهوا إلى فارس أمراء على فارس؛ ومعهم سارية بن زئيم ومن بعث معهم إلى ما وراء ذلك، وأهل فارس مجتمعون بتوج؛ فلم يصمدوا لجمعهم بجمعهم؛ ولكن قصد كل أمير كورة منهم قصد إمارته وكورته التي أمر بها؛ وبلغ ذلك أهل فارس؛ فافترقوا إلى بلدانهم^(١)؛ كما افترق المسلمون ليمنعوها؛ وكانت تلك هزيمتهم وتشتت^(٢) أمورهم وتفرق جموعهم^(٣)؛ ففتير المشركون من ذلك؛ وكأنما كانوا ينظرون إلى ما صاروا إليه، فقصد مجاشع بن مسعود لسابور وأردشير خيرة فيمن معه من المسلمين، فالتقوا بتوج^(٤) وأهل فارس، فاقتتلوا ما شاء الله. ثم إن الله عز وجل هزم أهل توج للمسلمين، وسلط عليهم المسلمين، فقتلهم كل قتلة، وبلغوا منهم ما شاءوا، وغنمهم ما في عسكرهم فحووه؛ وهذه توج الآخرة؛ ولم يكن لها بعدها شوكة، والأولى التي تسقط فيها جنود العلاء أيام طاوس، الواقعة التي اقتتلوا فيها؛ والوقعتان الأولى والآخرة كلتاها متساجلتان. ثم دُعوا إلى الجزية والذمة؛ فراجعوا وأقروا، وختمت مجاشع الغنائم، وبعث

(١) ابن حبيش: «فاfterقوا عن تجمعهم».

(٢) ابن حبيش: «وتشتت أمورهم».

(٣) ف: «وتفرق».

(٤) ابن حبيش: «هو وأهل فارس».

بها ، ووفد وفداً ؛ وقد كانت البُشراء والوفود يجازون وتقضى لهم حوائجهم ، لسنة جرت بذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

كتب إلى السري عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن سوقة ، عن عاصم بن كليب ، عن أبيه ، قال : خرجنا مع مجاشع بن مسعود غازين توج ، فحاصرناها ، وقتلناهم ما شاء الله ، فلما افتتحناها وحوينا نهبتها نهباً كثيراً ، وقتلنا قتلتي عظيمة ؛ وكان على قميص قد تخرق ؛ فأخذت إبرة وسلكنا وجعلت أخيط قميصي بها . ثم إنني نظرت إلى رجل في القلبي عليه قميص فترعته ، فأثبت به الماء ، فجعلت أضربه بين حجرين حتى ذهب ما فيه ، فلبسته ؛ فلما جمعت الرثة ، قام مجاشع خطيباً ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، فقال : أيها الناس لا تغلّوا ، فإنه من غلّ جاء بما غلّ يوم القيامة . ردّوا ولو الخيط . فلما سمعت ذلك نزع القميص فألقيته في الأخماس .

• • •

فتح إصطخر

قال : وقصد عثمان بن أبي العاص لإصطخر ؛ فالتقى هو وأهل إصطخر بجُور فاقتلوا ما شاء الله . ثم إن الله عز وجل فتح لهم جُور ؛ وفتح المسلمون إصطخر ، فقتلوا ما شاء الله ، وأصابوا ما شاءوا ، وفر من فر . ثم إن عثمان دعا الناس إلى الجزاء والذمة ، فراسلوه وراسلهم ، فأجابه الهريذ وكل من هرب أو تنحى ؛ فتراجعوا وباحوا بالجزاء ، وقد كان عثمان لما هزم القوم جمع إليه ما أفاء الله عليهم ، فخمسه ، وبعث بالخمس إلى عمر ، وقسم أربعة أخماس المغنم في الناس ، وعفّت الجند عن النهاب ، وأدوا الأمانة ، واستدقوا الدنيا . فجمعهم عثمان ؛ ثم قام فيهم ، وقال : إن هذا الأمر لا يزال مقيلاً ؛ ولا يزال أهله معافين مما يكرهون ، ما لم يغلّوا ، فإذا غلّوا رأوا ما ينكرون ^(١) ولم يسدّ الكثير مسدّ القليل اليوم .

(١) س : « يكرهون » .

كتبَ إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي سفيان ، عن الحسن ، قال : قال عثمان بن أبي العاص يوم إصطخر : إن الله إذا أراد بقوم خيراً كشفهم ، ووفر أمانتهم ^(١) ، فاحفظوها ؛ فإنّ أول ما تفقدون من دينكم الأمانة ؛ فإذا فقدتموها جدد لكم في كلّ يوم فقدان شيء من أموركم . ثم إنّ شهرک خلع في آخر إمارة عمر وأول إمارة عثمان ، ونشط ^(٢) أهل فارس ، ودعاهم إلى النقض ، فوجه إليه عثمان بن أبي العاص ثانية ، وبعث معه جنوداً أميد بهم ، عليهم عبيد الله بن معشر ، وشيبل بن معبد البجليّ ، فالتقوا بفارس ، فقال شهرک لابنه وهو في المعركة ؛ وبينهم وبين قرية تدعى ريشهر ^(٣) ثلاثة فراسخ ، وكان بينهم وبين قراهم اثنا عشر فرسخاً : يا بنيّ ، أين يكون غداؤنا ؟ ها هنا أوريشهر ؟ فقال : يا أبت إن تركونا فلا يكون غداؤنا ها هنا ولا ريشهر ، ولا يكوننّ إلّا في المنزل ، ولكن والله ما أراهم يتركوننا . فما فرغوا من كلامهما حتى أنشب المسلمون القتال ، فاقتلوا قتلاً شديداً ، قتل فيه ^(٤) شهرک وابنه ، وقتل الله جلّ وعزّ منهم مقتلة عظيمة وولى قتل شهرک الحكم بن أبي العاص بن بشر بن دهمان ، أخو عثمان . وأما أبو معشر فإنه قال : كانت فارس الأولى وإصطخر الآخرة في سنة ثمان وعشرين . قال : وكانت فارس الآخرة وجور سنة تسع وعشرين ؛ حدثني بذلك أحمد بن ثابت الرازيّ ، قال : حدثني من سمع إسحاق بن عيسى ، يذكر ذلك عن أبي معشر . وحدثني عبد الله بن أحمد بن شبويه المروزيّ ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثنا سليمان بن صالح ، قال : حدثني عبيد الله ، قال : أخبرنا عبيد الله بن سليمان ، قال : كان عثمان بن أبي العاص أرسل إلى البحرين ، فأرسل أخاه الحكم بن أبي العاص في ألفين إلى توجّ ؛ وكان كسرى قد فرّ عن المدائن ، ولحق بجور من فارس .

٢٦٩٨/١

قال : فحدثني زياد مولى الحكم بن أبي العاص ، عن الحكم بن أبي العاص ، قال : قصد إلى شهرک — قال عبيد — وكان كسرى أرسله — قال الحكم : فصعد إلى في الجنود فهبطوا من عقبة ، عليهم الحديد ، فخشيت

(١) س : « أماناتهم » . (٢) ف : « فبط » ، س : « فسلط » .

(٣) ط : « شهرک » ، وانظر التصويبات . (٤) ابن حبيش : « وقتل فيه » .

أن تعشوا أبصارُ الناس ، فأمرت منادياً ، فنادى أن من كان عليه عمامة ٢٦٩٩/١
 فليلقها على عينيه ، ومن لم يكن عليه (١) عمامة فليغمض بصره ؛ وناديت أن
 حطوا عن دوابكم . فلما رأى شهرک ذلك حط أيضاً . ثم ناديت : أن اركبوا ،
 فصفنا لهم وركبوا ، فجعلت الجارود العبدى على الميمنة وأبا صفرة على
 الميسرة - يعنى أبا المهلب - فحملوا على المسلمين فهزموهم ؛ حتى ما أسمع لهم
 صوتاً ، فقال لى الجارود : أيها الأمير ؛ ذهب الجند ، فقلت : إنك سترى
 أمرك ، فما لبثنا أن رجعت خيلهم ، ليس عليها فرسانها (٢) ، والمسلمون يتبعونهم
 يقتلونهم ، فنثرت الرؤوس بين يدى ، ومعى بعض ملوكهم - يقال له المكعبير ،
 فارق كسرى ولحق بى - فأتيت برأس ضخم ، فقال المكعبير : هذا رأس
 الازدهاق - يعنى شهرک - فحوصروا فى مدينة سابور ، فصالحهم - وملكهم
 آذريبان - فاستعان الحكيم بأذريبان على قتال أهل إصطخر ، ومات
 عمر رضى الله عنه ؛ فبعث عثمان عبيد الله بن معمر مكانه ، فبلغ عبيد الله
 أن آذريبان يريد أن يغدر بهم ، فقال له : إني أحب أن تتخذ لأصحابى
 طعاماً ، وتذبح لهم بقرة ، وتجعل عظامها فى الجفنة التى تلىنى ، فإني أحب
 أن أتمشش (٣) العظام . ففعل ، فجعل يأخذ العظم الذى لا يكسر إلا بالفتوس ،
 فكسره بيده ، فيتمخذه (٤) - وكان من أشد الناس - فقام الملك ، فأخذ
 برجله ، وقال : هذا مقام العائد . فأعطاه عهداً ، فأصابت عبيد الله منجيفة ،
 فأوصاهم ، فقال : إنكم ستفتحون هذه المدينة إن شاء الله فاقتلوهم بى فيها
 ساعة . ففعلوا فقتلوا منهم بشراً كثيراً .

وكان عثمان بن أبى العاص لحق الحكيم ، وقد هزم شهرک ، فكتب إلى عمر :
 إن بينى وبين الكوفة فرجة أخاف أن يأتينى العدو منها . وكتب صاحب
 الكوفة بمثل ذلك : إن بينى وبين كذا فرجة . فاتفق عنده الكتابان ، فبعث
 أبا موسى فى سبعمائة ، فأنزلهم البصرة .

• • •

(١) ابن حبيش : « له » . (٢) من وابن حبيش : « فرسانهم » .

(٣) تمشش العظم : أكل مشاشه ، والمشاش : رأس العظم اللين .

(٤) تمخخ العظم : أخرج عنه .

ذكر فتح فساودارا بمجرد

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو ، قالوا : وقصد سارية بن زُئيم ، فسا^(١) ودارابجرد ، حتى انتهى إلى عسكرهم ، فنزل عليهم وحاصرهم ما شاء الله . ثم إنهم استمدوا ، فاجتمعوا وتجمعت إليهم أكراد فارس ، فداهم المسلمون أمر عظيم ، وجمع كثير^(٢) ، فرأى عمر في تلك الليلة فيما يرى النائم معركتهم وعددهم^(٣) في ساعة من النهار ، فنادى من الغد : الصلاة جامعة ! حتى إذا كان في الساعة التي رأى فيها ما رأى خرج إليهم ؛ وكان أريتهم والمسلمون بصحراء ؛ إن أقاموا فيها أحيط بهم ، وإن أَرزُوا إلى جبل من خلفهم لم يؤتوا إلا من وجه واحد . ثم قام فقال : يا أيها الناس ؛ إني رأيت هذين الجمعين - وأخبر بجاهلها - ثم قال : يا سارية ، الجبل ، الجبل ! ثم أقبل عليهم ، وقال : إن الله جنوداً ، ولعل بعضها أن يبلغهم ؛ ولما كانت تلك الساعة من ذلك اليوم أجمع سارية والمسلمون على الإسناد إلى الجبل ، ففعلوا وقاتلوا القوم من وجه واحد ؛ فهزمهم الله لهم ؛ وكتبوا بذلك إلى عمر واستيلائهم^(٤) على البلد ودعاء أهله وتسكينهم .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي عمر دثار بن أبي شبيب ، عن أبي عثمان وأبي عمرو بن العلاء ، عن رجل من بني مازن ، قال : كان عمر قد بعث سارية بن زُئيم الدؤلي إلى فسا ودارابجرد ؛ فحاصرهم . ثم إنهم تداعوا فأصحرُوا له ، وكثروهُ فأتوه من كل جانب ، فقال عمر وهو يخطب في يوم جمعة : يا سارية بن زُئيم ، الجبل ، الجبل ! ولما كان ذلك اليوم وإلى جنب^(٥) المسلمين جبل ، إن لجئوا إليه لم يؤتوا إلا من وجه واحد ، فلجئوا^(٦) إلى الجبل ، ثم قاتلوهم فهزمهم ، فأصاب مغانمهم ، وأصاب في المغانم سَقَطاً فيه جوهر ، فاستوَّبه المسلمون لعمر ، فوهبه له ،

(٢) س وابن كثير : « كثير » .

(١) ابن حيش : « فسا » .

(٤) س : « وباستيلائهم » .

(٣) ف التويرى : « وعددهم » .

(٦) ابن حيش : « فلجئوا » .

(٥) ف : « جانب » .

فبعث به مع رجل^(١) ، وبالفتح . وكان الرّسل والوفد يُجَازون وتفضّى لهم حوائجهم ، فقال له سارية : استقرض ما تُبَلِّغ به وما تُخَلِّفه لأهلك^(٢) على جاثرتك . فقدم الرجل البصرة ، ففعل ، ثمّ خرج فقدم^(٣) على عمر ، فوجده يُطعم الناس ، ومعه عصاه التي يزجر بها بعيّره ، فقصد له ، فأقبل عليه بها ، فقال : اجلس ، فجلس حتى إذا أكل [القوم]^(٤) انصرف عمر ، وقام فأتبعه ، فظنّ عمر أنّه رجل لم يشبع ، فقال حين انتهى إلى باب داره : ادخل - وقد أمر الخبّاز أن يذهب بالخبّوان إلى مطبخ المسلمين - فلما جلس في البيت أتى بغدائه خبز وزيت وملح جريش ، فوضع وقال : ألا تخرجين يا هذه فتأكلين ؟ قالت : إني لأسمع حصّ رجل ، فقال : أجل ، فقالت : لو أردت أن أبرز للرجال اشتريت لي غير هذه الكسوة ؛ فقال : أوّما ترضين أن يقال : أمّ كلثوم بنت عليّ وامرأة عمر ! فقالت : ما أقلّ غناء ذلك عني ! ثمّ قال للرجل : ادنُ فكل ؛ فلو كانت راضية لكان أطيب مما ترى ، فأكلا حتى إذا فرغ قال : رسولُ سارية بن زُئيم يا أمير المؤمنين . فقال : مرحباً وأهلاً ، ثمّ أدناه حتى مسّت ركبته ركبته ، ثمّ سأله عن المسلمين ، ثمّ سأله عن سارية بن زُئيم ، فأخبره ، ثمّ أخبره بقصة الدّرج^(٥) ، فنظر إليه ثمّ صاح به ، ثمّ قال : لا ولا كرامة حتى تقدم على ذلك الجند فتقسمه بينهم . فطرده ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إني قد أنضيتُ إيلي واستقرضت في جاثرتي ، فأعطني ما أتبلّغ به ؛ فما زال عنه حتى أبدله بغيراً ببيّره من إبل الصدقة ، وأخذ بعيّره فأدخله في إبل الصدقة ، ورجع الرسول مغضوباً عليه محروماً حتى قدم البصرة ، فنفذ لأمر عمر ، وقد كان سأله أهل المدينة عن سارية ، وعن الفتحة وهل سمعوا شيئاً يوم الواقعة ؟ فقال : نعم ، سمعنا : «ياسارية ، الجبل» ، وقد كدنا نهلك ، فلجأنا إليه ، ففتح الله علينا . كتب إلى السريّ ، عن شعيب عن سيف ، عن الخبالد ، عن الشعبيّ ، مثل حديث عمرو .

* * *

(٢) ابن حبيش : « إلى أهلك » .

(٤) من ف .

(١) ابن حبيش : « رجلاً » .

(٣) ف : « حتى قدم » .

(٥) الدرج : سفينة صغيرة .

ذكر فتح كرمّان

كتب إلى المروى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة والمهلب وعمر بن عمرو : قالوا : وقصد سهيل بن عدى إلى كرمّان ، ولحقه عبد الله بن عبد الله بن عتبّان ، وعلى مقدّمة سهيل بن عدى النّسیر بن عمرو العبّجلى ، وقد حشد له أهل كرمّان ، واستعانوا بالقنفس ؛ فاقتتلوا في أدنى أرضهم ، ففضّتهم الله ، فأخذوا عليهم بالطريق ، وقتل النّسیر مرزبانها ، فدخل سهيل من قبيل طريق القرى اليوم إلى جيّرفست ، وعبد الله بن عبد الله من مفازة شیر ، فأصابوا ما شاءوا من بعير أو شاء ، فقوموا الإبل والغنم فتحاصوها بالأثمان لعظم البُخت على العراب ، وكرهوا أن يزيدوا ، وكتبوا إلى عمر ؛ فكتب إليهم : إن البعير العربى إنما قوم بتعبير^(١) اللحم ؛ وذلك مثله ؛ فإذا رأيتم أن فى البُخت فضلا فزيدوا فإنما هى من قِيَمِهِ .

وأما المدائنى ، فإنه ذكر أن على بن مجاهد أخبره عن حنبل بن أبى حريدة - وكان قاضى قهستان - عن مرزبان قهستان ، قال : فتح كرمّان عبد الله بن بدّيل بن ورقاء الخزاعى فى خلافة عمر بن الخطاب ، ثم أتى الطّبيبسين من كرمّان ، ثم قدم على عمر ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إني افتتحت الطّبيبسين فأقطعيّنيهما ، فأراد أن يفعل ، فقبل لعمر ؛ لإنهما رُستاقان عظيمان ، فلم يقطعه إياهما ؛ وهما بابا خراسان .

• • •

ذكر فتح سجستان

قالوا : وقصد عاصم بن عمرو لسجستان ، ولحقه عبد الله بن عمير ، فاستقبلوهم فالتقوا هم وأهل سجستان فى أدنى أرضهم ، فهزموهم ثم أتبعوهم ، حتى حصروهم بزرنج ، وغرّوا أرض سجستان ما شاءوا . ثم لأنهم طلبوا الصّلى على زرنج وما احتازوا من الأرضين ؛ فأعطوه ، وكانوا قد اشتروا فى صلحهم أن فدا فدا حِمى ؛ فكان المسلمون إذا خرجوا تذاذروا خشية

(١) ط : « بتعبير » ؛ وأثبت ما فى ابن الأثير ؛ وأصله من تمييز الوزن والكيل ؛ أى تقديرهما .

أن يصيبوا منها شيئاً ، فيُخَفِّروا . فَمَ أهلُ سِجِسْتَانِ على الخراج والمسلمون على الإعطاء ؛ فكانت سِجِسْتَانُ أعظمَ من خُرَّاسَانَ ، وأبعدُ فُروجاً ، يقاتلون القُنْدُ هَارَ والتركَ وأممًا كثيرة ، وكانت فيما بين السند إلى نهر بَلَخَ بجياله ، فلم تَزَلْ أعظمَ البلدين ، وأصعبَ الفُرسَ جينَ ، وأكثرهما عدداً وجُنْداً ؛ حتى زمان معاوية ، فهرب الشاه من أخيه - واسم أخى الشاه يومئذ رُتْبِيل - ٢٧٠٦/١ إلى بلد فيها يدعى آمُلُ ، ودانوا لِسِكْمَ بن زياد ، وهو يومئذ على سِجِسْتَانِ ، ففرح بذلك وعقد لهم ، وأنزلم بتلك البلاد ، وكتب إلى معاوية بذلك يُرِي أنه قد فُتِحَ عليه . فقال معاوية : إن ابن أخى ليفرح بأمر إنه لِيَحْزُنُنِي وينبغى له أن يحزنه ، قالوا : ولمَ يا أمير المؤمنين ؟ قال : لأنَّ آمُلَ بلدة بينها وبين زَرَنْجِ صُعبَةٌ وتضايقُ ، وهؤلاء قوم نُكْرُ غُدُرُ ، فيضطرب الحبل غداً ، فأهون ما يجيء منهم أن يغلبوا على بلاد آمُلَ بأسرها . وتم لهم على عهد ابن زياد ؛ فلما وقعت الفتنة بعد معاوية كفر الشاه ، وغلبَ على آمُلَ ، وخاف رُتْبِيلُ الشاه فاعتصم منه بمكانه الذى هو به اليوم ، ولم يُرْضِهِ ذلك حين تشاغل الناس عنه حتى طمع فى زَرَنْجِ ، فغزاها فحصرهم حتى أُنْتَهَمَ الأمداد من البصرة ، فصار رُتْبِيلُ والذين جاءوا معه ؛ فترلوا تلك البلاد شَجَاً ^(١) لم يُنْتَرَعْ إلى اليوم ؛ وقد كانت تلك البلاد مذلة إلى أن مات معاوية .

• • •

فتح مُكْران

قالوا ^(٢) : وقصد الحكَمَ بن عمرو التغلَبِيَّ لِمُكْرَانَ ؛ حتى انتهى إليها ؛ ولحق به شهاب بن المخارق بن شهاب ، فانضمَّ إليه ، وأمدّه سهيل بن ٢٧٠٧/١ عدى ، وعبدالله بن عبدالله بن عتيبان بأنفسهما ، فانتھوا إلى دُوَيْنِ النهر ، وقد انفضَّ أهل مُكْرَانَ إليه حتى نزلوا على شاطئه ، فعسكروا ، وعبرَ إليهم راسل ^(٣) ملكُهم ملكَ السند ، فازدلف ^(٤) بهم مستقبلَ المسلمين . فالتقوا فاقْتَتَلُوا بمكان من مُكْرَانَ من النهر على أيام ، بعد ما كان ^(٥)

(١) الشجا : ما اعترض فى الخلق من عظم ونحوه .

(٢) س ، ف : « قال » . (٣) س : « رسل » .

(٤) ازدلف : اقترَب . (٥) ابن حبش : « كانوا » .

قد انتهى إليه أوائلهم ، وعسكروا به^(١) ليلحق أخراهم^(٢) ، ففهمهم الله راسل وسلبه^(٣) ، وأباح المسلمين^(٤) عسكره ، وقتلوا في المعركة مقتلة عظيمة ، وأتبعوهم يقتلونهم أياماً ، حتى انتهوا إلى النهر . ثم رجعوا^(٥) فأقاموا بمُكرَّان . وكتب الحكم بن عمرو بالفتح ، وبعث بالأخماس مع صُحَّار العبدى ، واستأمره في الفيلة ، فقدم صُحَّار على عمر بالخبر^(٦) والمغانم ، فسأله عمر عن مُكرَّان - وكان لا يأتيه أحد إلا سأله عن الوجه الذى يجيء منه - فقال : يا أمير المؤمنين ، أرض سهلها جبَل ، وماؤها وشَل^(٧) ، وثمرها دَقَل^(٨) ، وعدوها بطل ، وخيرها قليل ، وشرها طويل ، والكثير بها قليل ، والقليل بها ضائع ، وما وراءها شر منها . فقال^(٩) : أسجَّاع أنت أم مخبر ؟ قال : لا بل مخبر ، قال : لا ، والله لا يغزوها جيش لى ما أُطِعت ؛ وكتب إلى الحكم بن عمرو وإلى سهيل ألا يجوزن مُكرَّان أحد من جنودكما ، واقتصرنا على ما دون النهر ؛ وأمره ببيع الفيلة بأرض الإسلام ، وقسم أثمانها على من أفاءها الله عليه .

وقال الحكم بن عمرو^(١٠) فى ذلك :

لقد شيعَ الأَرَامِلُ غَيْرَ فَخْرٍ بنى جاءهم من مُكرَّان^(١١)
أناهم بعد مَسَقَبَةٍ وَجْهٍ وقد صَفَرَ الشَّتَاءُ من الدُّخَانِ
فإني لا يَدُمُ الجَيْشُ فِلى ولا سَبْقِي يُدْمُ ولا سِنَانِي^(١٢)

(١-١) س : « ليلحق بهم أخراهم » ، ف : « ليلحق أولهم أخراهم » .

(٢-٢) س : « فهمهم الله وانهمز راسل وسلب » .

(٣) ابن حبش : « للمسلمين » . (٤) ف : « زحفوا » .

(٥) س : « بالفتح » . (٦) الوشل ، بالتحريك : الماء القليل .

(٧) الدقل : أردأ التمر ، وقى ط : « وثمرها » .

(٨) ف وابن كثير والثوري : « فقال عمر » . س : « قال له عمر » .

(٩) زاد ياقوت : « التنقيب » .

(١٠) ياقوت ٨ : ١٣٠ ، وفيه : « مكران بالضم ثم السكون وراء وآخره نون ، أعجمية ، وأكثر

ماجيء في شعر العرب مشددة الكاف » .

(١١) ابن كثير : « وللسان » .

غَدَاةً أَدْفَعُ الْأَوْبَاشَ دَفْعًا^(١) إِلَى السَّنَدِ الْعَرِيضَةِ وَالْمَدَانِي
وَمِهْرَانٌ لَنَا فِيمَا أَرَدْنَا مُطِيعٌ غَيْرَ مُسْتَرْخِي الْعِنَانِ
فَلَوْلَا مَا نَهَى عَنْهُ أَمِيرِي قَطَعْنَاهُ إِلَى الْبُدَدِ الزَّوَانِي

• • •

خبر يَبْرُود من الأهواز

قالوا : ولما فَصَلَت الخيول^(٢) إِلَى الْكُورِ اجتمع بِبَيْتِروذ جمعٌ عظيم من الأكراد وغيرهم ، وكان عمر قد عهد إلى أبي موسى حين سارت الجنود إلى الْكُورِ أَنْ يسير حتى ينتهي إلى ذِمَّةِ البصرة ، كى لا^(٣) يُوْتَى ٢٧٠٩/١ المسلمون من خلفهم ، وخشي أن يُسْتَلَحَمَ بعضُ جنوده أو ينقطع منهم طرف ، أو يخلَقُوا في أعقابهم ؛ فكان الذي حذر من اجتماع أهل بيروذ ؛ وقد أبطأ أبو موسى حتى تجمعوا ، فخرج أبو موسى حتى يتزل ببَيْتِروذ على الجمع الذي تجمعوا بها في رمضان ؛ فالتقوا بين نهر نيرى ومناذر ؛ وقد توافى إليها أهل النَجْدَات من أهل فارس والأكراد ، ليكيدوا المسلمين ، وليُصيبوا منهم عَوْرَةً ؛ ولم يشكوا في واحدة من اثنتين . فقام المهاجرين زياد وقد تحنط واستقل ، فقال لأبي موسى : أقم على كل صائم لَمَّا رجع فأفطر . فرجع أخوه فيمن رجع لإبرار القَسَم ، وإنما أراد بذلك توجيه أخيه عنه لئلا يمنعه من الاستقتال ؛ وتقدم فقاتل حتى قتل ، وهنَّ الله المشركين حتى تحصنوا في قِلَّةٍ وذِلَّةٍ ؛ وأقبل أخوه الربيع ، فقال : هَيْيَ يا والي^(٤) الدنيا ؛ واشتدَّ جزعُه عليه ؛ فرقَّ أبو موسى للربيع الذي رآه دخله من مصاب أخيه ، فخلَّفه عليهم في جُنْدٍ ؛ وخرج أبو موسى حتى بلغ إصبهان ، فلقى بها جنود أهل الكوفة محاصري جَبِّي ، ثم انصرف إلى البصرة ؛ بعد ٢٧١٠/١

(١) ف وابن حبيش وابن كثير وياقوت : « أرفع الأوباش رفقاً » . والأوباش من الناس : المتفرون ، مثل الأوشاب .

(٢) س : « الجنود » .

(٣) س : « لكيلا » ، ف وابن الأثير : « حتى لا » .

(٤) ابن حبيش : « والغ » .

ظفر الجنود ، وقد فتح الله على الربيع بن زياد أهل يبرود من نهر تيرى ؛ وأخذ ما كان معهم من السبى ، فتنقى أبو موسى رجلا منهم ممن كان لهم^(١) فداء - وقد كان الفداء أرد على المسلمين من أعيانهم وقيمتهم فيما بينهم - ووقد الوفود والأخباس ؛ فقام رجل من عسنة فاستوفده ؛ فأبى ؛ فخرج فسعى به فاستجلبه عمر ، وجمع بينهما فوجد أبا موسى أعذر إلا فى أمر خادمه ، فضمته فردّه إلى عمله ، وفجر الآخر ؛ وتقدّم إليه فى ألاّ يعود لمثلها .

كتب إلى المرىء ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو ، قالوا : لما رجع أبو موسى عن إصبيان بعد دخول الجنود الكور ، وقد هزم الربيع أهل يبرود ، وجمع السبى والأموال ؛ فغدا على ستين غلاماً من أبناء الدّهاقين تنقاهم^(٢) وعزّهم ؛ وبعث بالفتح إلى عمر ، ووقد وفداً^(٣) فجاءه رجل من عسنة ، فقال : اكتبنى فى الوفد ، فقال : قد كتبنا من هو أحقّ منك ؛ فانطلق مغاضباً مراغماً ، وكتب أبو موسى إلى عمر : إن رجلاً من عسنة يقال له ضبّة بن محصن ، كان من أمره ... وقصّ قصته . فلما قدم الكتاب والوفد والفتح^(٤) على عمر قدم العسزى فأقّى عمر فسلم عليه ، فقال : من أنت ؟ فأخبره ، فقال : لا مرحباً ولا أهلاً ! فقال^(٥) : أما المرحّب فمن الله ، وأما الأهل فلا أهل ؛ فاختلف إليه ثلاثاً ، يقول له^(٦) هذا ويردّ عليه^(٦) هذا ؛ حتى إذا كان فى اليوم الرابع ، دخل عليه ، فقال^(٧) : ماذا نقصمت على أميرك ؟ قال : تنقّى^(٨) ستين غلاماً من أبناء الدّهاقين لنفسه ؛ وله جارية تدعى عقيلة ، تُغدّى جفنة وتُعشى جفنة ، وليس منا رجل يقدر على ذلك ؛ وله قفيزان ، وله خاتمان ، وفوّض إلى زياد ابن أبى سفيان - وكان زياد يلبى أمور البصرة - وأجاز الحطيئة بألف . فكتب عمر كلّ ما قال .

(١) ف : « له » . (٢) ابن حبش : « انتقام » .

(٣) س : « وبعث يوفد » . (٤) ابن حبش : « بالفتح والوفد » .

(٥) س : « فقال العسزى » .

(٦-٦) س : « عمر مثل ذلك فيرد عليه مثل مقالته » .

(٧) س : « فقال عمر » . (٨) ف : « انتقى » .

فبعث إلى أبي موسى ؛ فلما قدم حَجَّبه أياماً ، ثم دعا به ، ودعا
 ضَبَّةَ بن مَحْصَن ؛ ودفع إليه الكتاب ، فقال : اقرأ ما كتبت ، فقرأ : أخذ
 ستين غلاماً لنفسه . فقال أبو موسى : دُلِّيتُ عليهم وكان لهم فداء
 ففديتهم ، فأخذته فقسَّمته بين المسلمين ؛ فقال ضَبَّةُ : والله ما كذب
 ولا كذبتُ ، وقال : له قفيزان ؛ فقال أبو موسى : قفيز لأهلي أقوتهم ،
 وقفيز للمسلمين في أيديهم ؛ يأخذون به أرزاقهم ؛ فقال ضَبَّةُ : والله
 ما كذب ولا كذبتُ ؛ فلما ذكر عَقِيلَةَ سكت أبو موسى ولم يعتذر ؛
 وعلم أن ضَبَّةَ قد صدقه . قال : وزيد يلى أمور الناس ولا يعرف
 هذا ما يلى ؛ قال : وجدت له نُبْلاً ورأيًا ، فأُسندت إليه عملي .
 قال : وأجاز الخطيئة بألف ، قال : سددت فَمَهَ بمالى أن يشتمنى ،
 فقال : قد فعلت ما فعلت^(١) . فردّه عمر وقال : إذا قدمت فأرسل إلى^{٢٧١٢/١}
 زياداً وعَقِيلَةَ ، ففعل ، فقدمت عقيلة قبل زياد ؛ وقدم زياد فقام
 بالباب ، فخرج عمر وزياد بالباب قائم ، وعليه ثياب بياض كَتَّان ،
 فقال [له]^(٢) : ماهذه الثياب ؟ فأخبره ، فقال : كم أثمانها ؟ فأخبره بشيء
 يسير ، وصدقه ، فقال له : كم عطاؤك ؟ قال ألفان ، قال : ما صنعت^(٣)
 في أوّل عطاء خرج لك ؟ قال : اشترت^(٤) والدى فأعتقتها^(٤) ، واشترت في
 الثانى رَيْبِي عُبَيْدًا فأعتقته ، فقال : وفقت ، وسأله عن الفرائض والسنن
 والقرآن ، فوجده فقيهاً . فردّه ، وأمر أمراء البصرة أن يشرّوا برأيه ، وحبس
 عَقِيلَةَ^(٥) بالمدينة . وقال عمر : ألا إن ضَبَّةَ العَسَنَزِيّ غضب على أبى موسى
 فى الحق أن أصابه ، وفارقه مراغمًا أن فاته أمر من أمور الدنيا ، فصدق عليه
 وكذب ، فأفسد كذبه صدقته ؛ فليأكم والكذب ؛ فإن الكذب يهدى إلى
 النار . وكان الخطيئة قد لقيته فأجازه فى غَزَاة يبروذ ، وكان أبو موسى
 قد ابتدأ حصارهم وغزاتهم^(٦) حتى فلتهم ، ثم جازهم ووكّل بهم الربيع ؛ ثم^{٢٧١٣/١}

(١) بعدها فى س : « فارجع إلى عملك » . (٢) من س .

(٣) ف : « فاصدقت » . (٤-٤) ابن حبيش : « والدى فأعتقتها » .

(٥) س : « وأمر بحبس عقيلة » . (٦) ابن حبيش : « غزاتهم فحاصرهم » .

رجع إليهم بعد الفتح فولّى القسّم .

كتب إلى السرى، عن شعيب، عن سيف، عن أبي عمرو^(١)، عن الحسن، عن أسيد بن المشتمس بن أنخى الأحنف بن قيس ، قال : شهدت مع أبي موسى يوم إصبيهان فتح القرى ، وعليها عبد الله بن ورقاء الرياحي وعبد الله بن ورقاء الأسدي . ثم إنّ أبا موسى صُرف إلى الكوفة ، واستعمل على البصرة عمر بن سراقه المخزومي ، بدوى .

ثم إنّ أبا موسى رُدّ على البصرة ، فأت عمر وأبو موسى على البصرة على^(٢) صلاتها، وكان عملها مفترقاً غير مجموع ؛ وكان عمر ربما بعث إليه فأمدّ به بعض الجنود ، فيكون مددّاً لبعض الجيوش .

• • •

ذكر خبر سلمة بن قيس الأشجعي والأكراد

حدثني عبد الله بن كثير العبدي ، قال : حدثنا جعفر بن عون ، قال : أخبرنا أبو جتناب ، قال : حدثنا أبو المحجّل الرديني ، عن مخلّد البكري وعلقمة بن مرثد ، عن سليمان بن بُريدة ، أنّ أمير المؤمنين^(٣) كان إذا اجتمع إليه^(٤) جيش من أهل الإيمان أمر عليهم رجلاً من أهل العلم والفقّه ؛ فاجتمع إليه جيش ، فبعث عليهم^(٥) سلمة بن قيس الأشجعي فقال : **سِرْ باسم الله ، قاتِلْ في سبيل الله من كفر بالله ؛ فإذا لقيتم عدوّكم من المشركين فادعوه إلى ثلاث خصال : ادعوه إلى الإسلام فإن أسلموا فاختاروا دارهم فعليهم في أموالهم الزكاة ؛ وليس لهم في فيء المسلمين نصيب ، وإن اختاروا أن يكونوا معكم فلهم مثل الذي لكم ، وعليهم مثل الذي عليكم ؛ فإن أبوا فادعوه^(٦) إلى الخراج ؛ فإن أقرّوا بالخراج^(٧) فقاتلوا عدوّهم من ورأهم ؛ وفرغهم لخراجهم ؛ ولا تكلفوهم فوق طاقتهم ؛ فإن**

(١) ط : « عمر » ؛ وهو أبو عمرو مول إبراهيم بن طلحة ، وانظر التصويبات .

(٢) ف : « وعلى » . (٣) ابن حبيش : « أن عمر رحمه الله » .

(٤) ابن حبيش : « له » . (٥) ف : « عليه » .

(٦) ابن حبيش : « فلوهم » . (٧) ابن حبيش : « فإن أعطوكم » .

أبوا فقاتلوهم ؛ فإن الله ناصركم عليهم ؛ فإن تحصنوا منكم في حصن فسألوكم أن يتركوا على حكم الله وحكم رسوله ؛ فلا تنزلوهم على حكم الله ؛ فإنكم لا تدرون ما حكم الله ورسوله فيهم ! وإن سألوكم أن يتركوا على ذمة الله وذمة رسوله فلا تعطوهم ذمة الله وذمة رسوله ؛ وأعطوهم ذمة أنفسكم ، فإن قاتلوكم فلا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا وليدًا . قال سلمة : فسرنا حتى لقيننا عدونا من المشركين ^(١) ، فدعوناهم إلى ما أمر به ^(٢) أمير المؤمنين ، ٢٧١٥/١ فأبوا أن يسلموا ، فدعوناهم إلى الخراج فأبوا أن يُقروا ، فقاتلناهم فنصرنا الله عليهم ، فقتلنا المقاتلة ، وسببنا الذرية ، وجمعنا الرثة ^(٣) ؛ فرأى سلمة بن قيس شيئاً من حلية ، فقال : إن هذا لا يبلغ فيكم شيئاً ، فتطيب أنفسكم أن نبعث به إلى أمير المؤمنين ، فإن له برُداً ومَوْنَةً ؟ قالوا : نعم ، قد طابت أنفسنا . قال : فجعل تلك الحلية في سَفَقَط ، ثم بعث برجل من قومه ، فقال : اركب بها ؛ فإذا أتيت البصرة فاشتر على جوائز أمير المؤمنين راحلتين ؛ فأوقرهما زاداً لك ولغلامك ، ثم سِرْ إلى أمير المؤمنين .

قال : ففعلت ، فأُتيت أمير المؤمنين وهو يغدو الناس متكئاً على عصا كما يصنع الراعي وهو يدور على القِصَاص ، يقول : يا يرفأ ؛ زدْ هؤلاء لحمًا ، زدْ هؤلاء خبزاً ، زدْ هؤلاء مَرَقَةً ، فلما دُفعتُ إليه ، قال : اجلس ؛ فجلست في أدنى الناس ؛ فإذا طعام فيه خشونة طعامي ، الذي معي أطيبُ منه . فلما فرغ الناس من [قصاعهم] ^(٤) قال : يا يرفأ ، ارفع قِصاعك ثم أدبِر ؛ فاتبعته فدخل داراً ، ثم دخل حجرة ، فاستأذنت وسلمت ، فأذن لي ، فدخلت عليه فإذا هو جالس على مِسْج ^(٥) متكئ على وسادتين من أدْمٍ محشوتين ليفاً ؛ فنبذ إليّ بإحداهما ، فجلست عليها ، وإذا بهتوف في صُفَّةٍ فيها بيت عليه سَتِير ، فقال : يا أم كلثوم ، غداءنا ! فأخرجت إليه خُبْزَةً بزيت في عُرْضها ملح لم يَدَقْ ، فقال : يا أم كلثوم ، ألا تخرجين إلينا تأكلين معنا من هذا ؟ قالت : إني أسمع عندك حِمْسَ رجل ، ٢٧١٧/١

(١) بعدها في ابن حبيش : « من الأكراد » . (٢) س : « أمرنا به » .

(٣) الرثة : المتاع . (٤) من ابن حبيش .

(٥) المسح : نسيج من الشعر يتخذ بساطاً يجلس عليه .

قال : نعم ^(١) ولا أراه من أهل البلد - قال : فذلك حين عرفت أنه لم يعرفني -
 قالت : لو أردت أن أخرج إلى الرجال لكسوتيني كما كسا ابن جعفر امرأته ،
 وكما كسا الزبير امرأته ، وكما كسسا طلحة امرأته ! قال : أو ما يتكفيك أن
 يقال : أمّ كلثوم بنت عليّ بن أبي طالب وامرأة أمير المؤمنين عمر ! فقال :
 كل ؛ فلو كانت راضية لأطعمتك أطيب من هذا . قال : فأكلت قليلا -
 وطعما الذي معي أطيب منه - وأكل ، فها رأيت أحدا أحسن أكلا منه
 ما يتلبس طعامه بيده ولا فيه ، ثم قال : استقونا ، فجاءوا بعُص من سُلّت ^(٢)
 فقال : أعط الرجل ، قال : فشربت قليلا ، سويقي الذي معي أطيب منه ،
 ثم أخذته فشربه حتى قترع القدح بجهته ، وقال : الحمد لله الذي أطعمنا
 فأشبعنا ، وسقانا فأروانا . قال : قلت : قد أكل أمير المؤمنين فشيء ، وشرب
 فروي ؟ حاجتي يا أمير المؤمنين ! قال : وما حاجتك ؟ قال : قلت : أنا رسول
 سلمة بن قيس ، قال : مرحباً بسلمة بن قيس ورسوله ^(٣) ، حدثني
 عن المهاجرين كيف هم ؟ قال : قلت : هم يا أمير المؤمنين كما تحب من
 السلامة والظفر على عدوهم ^(٤) . قال : كيف أسعارهم ؟ قال : قلت :
 أرخص أسعار . قال : كيف اللحم فيهم فلأنما شجرة العرب ولا تصلح العرب
 إلا بشجرتها ؟ قال : قلت : البقرة فيهم بكذا ، والشاة فيهم بكذا يا أمير المؤمنين ،
 سرنا حتى لقينا عدونا من المشركين فدعوناهم إلى ما أمرتنا به من
 الإسلام فأبوا ، فدعوناهم إلى الحراج فأبوا ، فقاتلناهم فنصرنا الله عليهم ،
 فقتلنا المقاتلة ، وسبيتنا الذرية ، وجمعنا الرثة ، فرأى سلمة في الرثة حلية ،
 فقال للناس : إن هذا لا يبلغ فيكم شيئا ، فتطيب أنفسكم أن أبعث به إلى
 أمير المؤمنين ؟ فقالوا : نعم . فاستخرجت سقّطي ، فلما نظر إلى تلك
 الفصوص من بين أحمر وأصفر وأخضر ، وثب ثم جعل يده في خاصرته ،
 ثم قال : لا أشبع الله إذا بطن عمر ! قال : فظن النساء أني أريد أن أغتاله ،
 فجئن إلى السر ، فقال : كف ما جثت به ، يا يرفأ ، جأ عنقه . قال : فأنا

(١) ابن حبيش : « أجل » . (٢) السلت : شراب من سويق الشعير .

(٣) ابن حبيش : « ورسوله ، وكأنما خرجت من صلبه » .

(٤) ابن حبيش : « العدو » .

أصلح سَفَطِي وهو يَجْأ عَنِّي ! قلت : يا أمير المؤمنين أَبْدِعْ^(١) بي فاحملني ، قال : يا يرفأ أعطه راحلتين من الصدقة ، فإذا لقيت أفقر إليهما منك فادفعهما إليه . قلت : أفعلُ يا أمير المؤمنين ، فقال : أمّا والله لئن تفرق المسلمون في مشائبيهم قبل أن يقسمَ هذا فيهم لأفعلنَ بك وبصاحبك الفاقرة^(٢) .

قال : فارتحلتُ حتى أتيت سلمة ، فقلت : ما بارك الله لي فيما اختصصتني ٢٧٢٠/١ به ، اقم هذا في الناس قبل أن تصيبني وإيّاك فاقرة ، فقسمه فيهم ، والفص يباع بخمسة دراهم وستة دراهم ؛ وهو خير من عشرين ألفاً .

وأما الصّرّي فإنه ذكر - فيما كتب به إلى يذكر عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي جناب ، عن سليمان بن بُريدة - قال : لقيت رسول سلمة ابن قيس الأشمجي ، قال : كان عمر بن الخطاب إذا اجتمع إليه جيشٌ من العرب ... ثم ذكر نحو حديث عبد الله بن كثير عن جعفر بن عون ؛ غير أنه قال في حديثه عن شعيب عن سيف : وأعطوهم ذِمّ أنفسكم . قال : فلقبنا عدوتنا من الأكراد ، فدعوناهم .

وقال أيضاً : وجمعنا الرثّة ، فوجد فيها سلمة حقتين جوهراً ، فجعلها في سَفَط .

وقال أيضاً : أو ما كفناك أن يقال : أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب امرأة عمر بن الخطاب ! قالت : إن ذلك عني لقليل الغناء ، قال : كل .

وقال أيضاً : فجاءوا بعُصٍّ من سُلْت ، كلما حرّكوه فارّ فوقه مما فيه ؛ وإذا تركوه سكن . ثم قال : اشرب ، فشربت قليلاً ؛ شرابي الذي معي أطيب منه ، فأخذ القدح فضرب به جبهته . ثم قال : إنك لضعيفُ الأكل ، ضعيفُ الشرب .

وقال أيضاً : قلت : رسول سلمة ، قال : مرحباً بسلمة وبرسوله ؛ وكأنما خرجت من صلبه ؛ حدثني عن المهاجرين .

(١) في اللسان : « يقال : أبدعت به راحلته إذا ظلمت ، وأبدع به : كلت راحلته أو أعطيت به وبقي منقطعاً به » . (٢) الفاقرة : أي الداهية .

وقال أيضاً : ثم قال : لا أشيع الله إذا بطن عمر ! قال : وظنّ النساء أنى قد اغتسلته ، فكشفن السر ؛ وقال : يا يرفأ ، جأ عنقه ؛ فوجأ عنقى وأنا أصبح ، وقال : النجاء ؛ وأظنك ستبطل . وقال : أما والله الذى لا إله غيره لئن تفرّق الناس إلى مشاتيهم ... وسائر الحديث نحو حديث عبد الله بن كثير .

وحدثنا الربيع بن سليمان ، قال : حدثنا أسد بن موسى ، قال : حدثنا شهاب بن خرياش الحوشبي ، قال : حدثنا الحجاج بن دينار ، عن منصور ابن المعتمر ، عن شقيق بن سلمة الأسدي ، قال : حدثنا الذى جرى بين عمر بن الخطاب وسلمة بن قيس ، قال : ندب عمر بن الخطاب الناس إلى سلمة بن قيس الأشجعيّ بالحيرة ، فقال : انطلقوا باسم الله ... ثم ذكر نحو حديث عبد الله بن كثير ، عن جعفر .

قال أبو جعفر : وحجّ عمر بأزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذه السنة ؛ وهى آخر حجة حجتها بالناس ؛ حدثنى بذلك الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، عن الواقدي .

• • •

[ذكر الخبر عن وفاة عمر]

وفى هذه السنة كانت وفاته .

• ذكر الخبر عن مقتله : ٢٧٢٢/١

حدثنى سلم^(١) بن جنادة ، قال : حدثنا سليمان بن عبد العزيز بن أبى ثابت بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف ، قال : حدثنا أبى ، عن عبد الله بن جعفر ، عن أبيه ، عن المسور بن مخرمة . — وكانت أمّه عاتكة بنت عوف — قال : خرج عمر بن الخطاب يوماً يطوف فى السوق ، فلقيه أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة ؛ وكان نصرانياً ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أعدنى^(٢) على المغيرة بن شعبة ؛ فإنّ علىّ خراجاً كثيراً ،

(١) ط : « سلمة » ، وانظر ميزان الاعتدال .

(٢) أعدنى ، أى أعنى وانصرنى .

قال : وكم خراجك ؟ قال : درهمان في كل يوم ، قال : وأيش صناعتك ؟ قال : نجّار ، نقّاش ، حدّاد ، قال : فما أرى خراجك بكثير على ما تصنع من الأعمال ؛ قد بلغني أنك تقول : لو أردت أن أعمل رحاً تطحن بالريح فعلت ، قال : نعم ؛ قال : فاعمل لي رحاً ، قال : لئن سلمت لأعملن لك رحاً يتحدث بها منّ بالشرق والمغرب ، ثم انصرف عنه ؛ فقال عمر رضي الله تعالى عنه : لقد توعدني^(١) العبد آتفاً ! قال : ثم انصرف عمر إلى منزله ؛ فلما كان من الغد جاءه كعب الأحبار فقال له : يا أمير المؤمنين ، اعهد ، فإنك ميت في ثلاثة أيام ؛ قال : وما يدريك ؟ قال : أجده في كتاب الله عز وجل التوراة ، قال عمر : آله إنك لتجد عمر ٢٧٢٣/١ ابن الخطاب في التوراة ؟ قال : اللهم لا ؛ ولكني أجده صفتك وحليتك ، وأنه قد فني أجلك — قال : وعمر لا يحسّ وجعاً ولا ألماً — فلما كان من الغد جاءه كعب ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ذهب يوم وبقى يومان ؛ قال : ثم جاءه^(٢) من غيد الغد ؛ فقال : ذهب يومان وبقى يوم ليلة ؛ وهي لك إلى صبيحتها . قال : فلما كان الصبح خرج عمر إلى الصلاة ؛ وكان يوكل بالصفوف رجالاً ؛ فإذا استوت جاء هو فكبر . قال : ودخل أبو لؤلؤة في الناس ، في يده خنجر له رأسان نصابه في وسطه ، فضرب عمر ست ضربات ، إحداهن تحت سرّيته ؛ وهي التي قتله ؛ وقتل معه كليب ابن أبي البكير الليثي — وكان خلفه — فلما وجد عمر حرّ السلاح سقط ، وقال : أفي الناس عبد الرحمن بن عوف ؟ قالوا : نعم يا أمير المؤمنين ، هو ذا ؛ قال : تقدّم فصل بالناس ، قال : فصلي عبد الرحمن بن عوف ، وعمر طريح ، ثم احتل فأدخل داره ، فدعا عبد الرحمن بن عوف ، فقال : إني أريد أن أعهد إليك ؛ فقال : يا أمير المؤمنين نعم ؛ إن أشرت عليّ قبلت منك ؛ قال : وما تريد ؟ قال : أنشدك الله ؛ أنشير عليّ بذلك ؟ قال : اللهم لا ، قال : والله لا أدخل^(٣) فيه أبداً ، قال : فهب^(٤) لي صمتاً ٢٧٢٤/١

(١) س وابن الأثير والنويري : « أوعدني » . (٢) ف : « ثم جاء » .

(٣) س : « ما أدخل » . (٤) س وابن الأثير والنويري : « فهني » .

حتى أعهد إلى النفر الذين توفّي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راضٍ .
ادعُ لي عليّاً وعمّان والزبير وسعداً . قال : وانتظروا أخاكم طلحة ثلاثاً فإن
جاء وإلا فاقضوا^(١) أمركم ؛ أنشدك الله يا عليّ إن وكيّت من أمور الناس
شيئاً أن تحمل بنى هاشم على رقاب الناس ؛ أنشدك الله يا عثمان إن وكيّت
من أمور الناس شيئاً أن تحمل بنى أبي مُعيط على رقاب الناس ؛ أنشدك
الله يا سعد إن وكيّت من أمور الناس شيئاً أن تحمل أقاربك على رقاب
الناس ؛ قوموا فتشاوروا ثم اقضوا أمركم ؛ وليصلّ بالناس صُهيّب .

ثم دعا أبا طلحة الأنصاريّ ، فقال : قم على بابهم ؛ فلا تدع أحداً
يدخل إليهم ؛ وأوصي الخليفة من بعدى بالأنصار الذين تبوءوا الدار
والإيمان ، أن يُحسِن إلى محسنهم ، وأن يعفو عن مسيئهم ؛ وأوصي الخليفة
من بعدى بالعرب ؛ فإنها^(٢) مادة الإسلام ، أن يؤخذ من صدقاتهم حقها
فيوضع في فقرائهم ، وأوصي الخليفة من بعدى بدمّة رسول الله صلى الله عليه
وسلم أن يوفّى لهم بعهدهم ، اللهم هل بلغت ! تركتُ الخليفة من بعدى على
أنقى من الراحة ؛ يا عبد الله بن عمر اخرج فانظر مَنْ قتلني ؟ فقال :
٢٧٢٥/١ يا أمير المؤمنين ، قتلك أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة ، قال : الحمد لله الذي
لم يجعل منيّ بيد رجل سجد لله سجدة واحدة ؛ يا عبد الله بن عمر ، اذهب
إلى عائشة فسلها أن تأذن لي أن أدفن مع النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر^(٣) ،
يا عبد الله بن عمر ، إن اختلف القوم فكن مع الأكثر ؛ وإن كانوا ثلاثة
وثلاثة فاتبع الحزب الذي فيه عبد الرحمن ؛ يا عبد الله ائذن للناس ، قال :
فجعل يدخل عليه المهاجرون والأنصار فيسلمون عليه ، ويقول لهم : أعن ملأ
منكم كان هذا ؟ فيقولون : معاذ الله ! قال : ودخل في الناس كعب ،
فلما نظر إليه عمر أنشأ يقول :

فأوعدني كعبٌ ثلاثاً أعدها ولا شك أن القول ماقال لي كعبُ

(١) س : « فاقضوا » .

(٢) س وابن الأثير والنويري : « فإنهم » .

(٣) بعدها في ف : « الصديق رضي الله عنه » .

وما بى حذار الموتِ إِنِّي تَمَيَّتُ ولكن حذارُ الذَّنْبِ يَتَّبِعُهُ الذَّنْبُ

قال : فقيل له : يا أمير المؤمنين لو دعوت الطبيب ! قال : فدعى طبيب من بنى الحارث بن كعب ، فسقاه نبيداً فخرج النبند مشكلاً ، قال : فاسقوه لبنساً ، قال : فخرج اللبن محضاً ، فقيل له : يا أمير المؤمنين ، اعهد ، قال : قد فرغت .

قال : ثم توفي ليلة الأربعاء لثلاث ليال بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين . قال : فخرجوا به بكرة يوم الأربعاء ، فدفن في بيت عائشة مع النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر . قال : وتقدم صهيب فصلتى عليه ، وتقدم قبل ذلك رجلاً من أصحاب رسول الله (١) صلى الله عليه وسلم : علي وعثمان ، قال : فتقدم واحد من عند رأسه ، والآخر من عند رجله ؛ فقال عبد الرحمن : لا إله إلا الله ؛ ما أحرصكما على الإمرة ! أما علمتما أن أمير المؤمنين قال : لِيُصَلَّ بالناس صهيب ! فتقدم صهيب فصلتى عليه . قال : ونزل في قبره الخمسة .

• • •

قال أبو جعفر : وقد قيل إن وفاته كانت في غرة المحرم سنة أربع وعشرين .

• ذكر من قال ذلك :

حدثني الحارث ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا محمد ابن عمر ، قال : حدثني أبو بكر بن إسماعيل بن محمد بن سعد ، عن أبيه قال : طعن عمر رضى الله تعالى عنه يوم الأربعاء لأربع ليال بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين ، ودفن يوم الأحد صباح هلال المحرم سنة أربع وعشرين ؛ فكانت ولايته عشر سنين وخمسة أشهر وإحدى وعشرين ليلة ، من متوفى أبي بكر ، على رأس اثنتين وعشرين سنة وتسعة أشهر وثلاثة عشر يوماً من الهجرة . وبويع لعثمان بن عفان يوم الاثنين لثلاث مضي من المحرم .

قال : فذكرت ذلك لعثمان الأحنسى ، فقال : ما أراك إلا وهلت (٢) ؛ توفي

(١) س : « النبي » . (٢) وهلت وهمت ، كلاهما بمعنى .

عمر رضى الله تعالى عنه لأربع ليال بقين من ذى الحجة ، وبويع لعثمان بن عفان ليلة بقيت من ذى الحجة ، فاستقبل بخلافته المحرم سنة أربع وعشرين .

وحدثني أحمد بن ثابت الرازي ، قال : حدثنا محدث ، عن إسحاق ابن عيسى ، عن أبي معشر ، قال : قتل عمر يوم الأربعاء لأربع ليال بقين من ذى الحجة تمام سنة ثلاث وعشرين ، وكانت خلافته عشر سنين وستة أشهر وأربعة أيام ؛ ثم بويع عثمان بن عفان .

قال أبو جعفر : وأما المدائني ، فإنه قال فيما حدثني عمر عنه ، عن شريك ، عن الأعمش - أو عن جابر الجعفي - عن عوف بن مالك الأشجعي وعامر بن أبي محمد ، عن أشياخ من قومه ؛ وعثمان بن عبد الرحمن ، عن ابن شهاب الزهري ، قالوا : طعن عمر يوم الأربعاء لسبع بقين من ذى الحجة . قال : وقال غيرهم : لست بقين من ذى الحجة .

وأما سيف ، فإنه قال فيما كتب إلى به المروى يذكر أن شعيباً حدثه عنه ، عن خليد بن ذفرة ومجالد ، قال : استخلف عثمان لثلاث مضي من المحرم سنة أربع وعشرين ، فخرج فصلتي بالناس العصر ؛ وزاد : ووقد فاستن به .

كتب إلى المروى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو ، عن الشعبي ، قال : اجتمع أهل الشورى على عثمان ؛ لثلاث مضي من المحرم ؛ وقد دخل وقت العصر ، وقد أذن مؤذن صهيب ، واجتمعوا بين الأذان والإقامة ، فخرج فصلتي بالناس ، وزاد الناس مائة ؛ ووقد أهل الأمصار ، وصنع فيهم . وهو أول من صنع ذلك .

وحدثت عن هشام بن محمد ، قال : قتل عمر لثلاث ليال بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين ، وكانت خلافته عشر سنين وستة أشهر وأربعة أيام .

ذكر نسب عمر رضی الله عنه

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق .
وحدثني الحارث ، قال : حدثنا ابنُ سعد ، عن محمد بن عمر وهشام
ابن محمد . وحدثني عمر ، قال : حدثنا علي بن محمد ، قالوا جميعاً
في نسب عمر : هو عمرُ بن الخطاب بن نُفَيل بن عبد العُزَّى بن رياح بن
عبد الله بن قُرْط بن رَزَاح بن عدى بن كعب بن لؤي . وكنيته أبو حفص ،
وأُمّه حنْتمَة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم .

• • •

[تسميته بالفاروق]

قال أبو جعفر : وكان يقال له الفاروق .
وقد اختلف السلف فيمن سَمَّاه بذلك ، فقال بعضهم : سماه بذلك رسول
الله صلى الله عليه وسلم .
• ذكر من قال ذلك :

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بن
عمر ، قال : حدثنا أبو حَزْرَةَ يعقوب بن مجاهد ، عن محمد بن إبراهيم ،
عن أبي عمرو ذَكْوَان ، قال : قلتُ لعائشة : من سَمَّى عمر الفاروق ؟ قالت :
النبي صلى الله عليه وسلم .

• • •

وقال بعضهم : أولَ مَنْ سَمَّاه بهذا الاسم أهل الكتاب .
• ذكر من قال ذلك :

حدثنا الحارث ، قال : حدثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا يعقوب بن
إبراهيم بن سعد ، عن أبيه ، عن صالح بن كيسان ، قال : قال ابن شهاب :
بلغنا أن أهل الكتاب كانوا أولَ مَنْ قال لعمر : الفاروق ؛ وكان المسلمون

يأثرون ذلك من قولهم ؛ ولم يبلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من ذلك شيئاً .

• • •

ذكر صفته

حدثنا هناد بن السري ، قال : حدثنا وكيع ، عن مفيان ، عن عاصم بن أبي النجود ، عن زير بن حبيش ، قال : خرج عمر في يوم عيد - أو في جنازة زينب - آدم طوالاً أصلع أعمر يسراً ، يمشي كأنه راكب .

حدثنا هناد ؛ قال : حدثنا شريك ، عن عاصم ، عن زير ، قال : رأيت عمر يأقي العيد ماشياً حافياً أعمر أيسر متلبباً برُداً قَطَرِيّاً ، مشرفاً على الناس كأنه على دابة ؛ وهو يقول : أيها الناس ؛ هاجروا ولا تهجروا .

وحدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ؛ قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثنا عمر بن عمران بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر ، عن عاصم بن عبيد الله ، عن عبد الله بن عامر بن ربيعة ، قال : رأيت عمر رجلاً أبيض أمهق ، تعلقه حُمرة ، طوالاً أصلع .

وحدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثنا شعيب بن طلحة ، عن أبيه ، عن القاسم بن محمد ، قال : سمعتُ ابنَ عمر يصفُ عمر يقول : رجل أبيض ، تعلقه حُمرة ، طوال ، أشيب ، أصلع .

وحدثني الحارث ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا محمد ابن عمر ، قال : أخبرنا خالد بن أبي بكر ، قال : كان عمر يصفر لحيتَه ، ويرجل رأسه بالحِنَّاء .

• • •

ذكر مولده ومبلغ عمره

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثني أسامة بن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن جده ، قال : سمعتُ عمر بن الخطاب ، يقول : ولدت قبل الفِجَار الأعظم الآخر بأربع سنين .

• • •

قال أبو جعفر : واختلف السلف في مبلغ سني عمر ، فقال بعضهم : كان يوم قتل ابن خمس وخمسين سنة .
• ذكر بعض من قال ذلك :

حدثني زيد بن أنحزم الطائي ، قال : حدثنا أبو قتيبة ، عن جرير ابن حازم ، عن أيوب ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : قتل عمر بن الخطاب ٣٧٣١/١ وهو ابن خمس وخمسين سنة .

وحدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : حدثنا نعيم ابن حماد ، قال : حدثنا الدراوردي ، عن عبيد الله بن عمر ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : توفي عمر وهو ابن خمس وخمسين سنة .

وحدثت عن عبد الرزاق ، عن ابن جريج ، عن ابن شهاب أن عمر توفي على رأس خمس وخمسين سنة .

• • •

وقال آخرون : كان يوم توفى ابن ثلاث وخمسين سنة وأشهر .
• ذكر من قال ذلك :

حدثت بذلك عن هشام بن محمد بن الكلبي .

• • •

وقال آخرون توفى وهو ابن ثلاث وستين سنة .

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابنُ المثنى ، قال : حدثنا ابنُ أبي عديّ ، عن داود ، عن عامر ، قال : مات عُمرُ وهو ابن ثلاث وستين سنة .

• • •

وقال آخرون : توفى وهو ابن إحدى وستين سنة .

• ذكر من قال ذلك :

حدثت بذلك ، عن أبي سلمة التَّبَوذَكِيّ ، عن أبي هلال ، عن قتادة .

• • •

وقال آخرون : توفى وهو ابن ستين سنة .

٢٧٢٢/١

• ذكر من قال ذلك :

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثنا هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، قال : توفى عمر وهو ابن ستين سنة .

قال محمد بن عمر : وهذا أثبت الأقاويل عندنا ؛ وذكر عن المدائني أنه قال : توفى عمر وهو ابن سبع وخمسين سنة .

• • •

ذكر أسماء ولده ونسائه

حدثني أبو زيد عمر بن شبّة ، عن عليّ بن محمد والحارث ، عن محمد بن سعد ؛ عن محمد بن عمر . وحدثت عن هشام بن محمد - اجتمعت معاني أقوالهم ، واختلفت الألفاظ بها - قالوا : تزوج عُمرُ في الجاهلية زينب ابنة مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جُمَح ، فولدت له عبد الله وعبد الرحمن الأكبر وحفصة .

وقال عليّ بن محمد : وتزوج مليكة ابنة جرّول الخزاعي في الجاهلية ، فولدت له عبيد الله بن عمر ، ففارقها في الهدنة ، فخلف عليها بعد عمر أبو الجهم بن حذيفة .

وأما محمد بن عمر ، فإنه قال : زيد الأصغر وعبيد الله الذى قتل يوم صفين مع معاوية ، أمهما^(١) أم كلثوم بنت جبرول بن مالك بن المسيب بن ربيعة بن أصرم بن ضبيس بن حرام بن حبشية بن سكلول بن كعب ابن عمرو بن خزيمة ؛ وكان الإسلام فرّق بينها وبين عمر .

قال علي بن محمد : وتزوج قريية ابنة أبي أمية المخزومي في الجاهلية ، ففارقها أيضاً في الهدنة ، فتزوجها بعده عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق . قالوا : وتزوج أم حكيم بنت الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد الله ابن عمر بن مخزوم في الإسلام ؛ فولدت له فاطمة فطلقها . قال المدائني : وقد قيل : لم يطلقها .

وتزوج جميلة أخت عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح - واسمه قيس بن عصمة بن مالك بن ضبيعة بن زيد بن الأوس من الأنصار في الإسلام - فولدت له عاصماً ، فطلقها وتزوج أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب ؛ وأمها فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأصدقها - فيما قيل - أربعين ألفاً ، فولدت له زيدا ورقية .

وتزوج لُهيّة ، امرأة من اليمن ، فولدت له عبد الرحمن . قال المدائني : ولدت له عبد الرحمن الأصغر . قال : ويقال كانت أم ولد . قال الواقدي : لُهيّة هذه أم ولد . وقال أيضاً : ولدت له لُهيّة عبد الرحمن الأوسط . وقال : عبد الرحمن الأصغر أمه أم ولد .

وكانت عنده فُكَيْهَة ، وهى أم ولد فى أقوالهم فولدت له زينب . وقال الواقدي : هى أصغر ولد عمر .

وتزوج عاتكة ابنة زيد بن عمرو بن نفيل ؛ وكانت قبله عند عبد الله ابن أبي بكر ؛ فلما مات عمر تزوجها الزبير بن العوام .

قال المدائني : وخطب أم كلثوم بنت أبي بكر وهى صغيرة ، وأرسل فيها إلى عائشة ، فقالت : الأمر إليك ، فقالت أم كلثوم : لا حاجة لى

فيه ؛ فقالت لها عائشة : ترغبن عن أمير المؤمنين ! قالت : نعم ؛ إنه خشين العيش ، شديد على النساء ؛ فأرسلت عائشة إلى عمرو بن العاص فأخبرته ، فقال : أكفيك ؛ فأقى عمرَ فقال : يا أمير المؤمنين ؛ بلغني خبر أعيدك بالله منه ، قال : وما هو ؟ قال : خطبتُ أمّ كلثوم بنت أبي بكر ! قال : نعم ؛ أفرغتَ بي عنها ، أم رغبتَ بها عني ؟ قال : لا واحدة ؛ ولكنها حَدَّثَتْني نشأت تحت كَسَفِ أمّ المؤمنين في لين ورفق ؛ وفيك غلظة ، ونحن نهابك ، وما تقدر أن نردك عن خلُق من أخلاقك ؛ فكيف بها إن خالفتك في شيء ، فسطوتَ بها ! كنتَ قد خلقتَ أبا بكر في ولده بغير ما يحقّ عليك . قال : فكيف بعائشة وقد كلمتها ؟ قال : أنا لك بها ؛ وأدلك على خير منها ، أمّ كلثوم بنت عليّ بن أبي طالب ، تَعَلَّقَ منها بسببٍ من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال المدائني : وخطب أمّ أبان بنت عُتبة بن ربيعة ، فكرهته ، وقالت : يُغْلِقُ بابَه ، ويمنع خيرَه ، ويدخل عابساً ، ويخرج عابساً .

• • •

ذكر وقت إسلامه

٢٧٣٥/١ قال أبو جعفر : ذُكِرَ أنه أسلم بعد خمسة وأربعين رجلاً وإحدى وعشرين امرأة .

• ذكر من قال ذلك :

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثني محمد بن عبد الله ، عن أبيه ، قال : ذكرت له حديث عمر ، فقال : أخبرني عبد الله بن ثعلبة بن صُعَيْر ، قال : أسلم عمر بعد خمسة وأربعين رجلاً وإحدى وعشرين امرأة .

• • •

ذكر بعض سيره

حدثني أبو السائب ، قال : حدثنا ابنُ فضَّيل ، عن ضرار ، عن

حصين المرتي ، قال : قال عمر : إنما مثلُ العرب مثل جمل أنيفٍ اتبع قائده ، فليُنظر قائده حيث يقوده ؛ فأمّا أنا فربّ الكعبة لأحملنّهم على الطريق .

وحدثني يعقوبُ بن إبراهيم ، قال : حدثنا إسماعيلُ بن إبراهيم ، ٢٧٢٦/١ عن يونس ، عن الحسن ، قال : قال عمر : إذا كنت في منزلة تسعني وتعجز عن الناس فوالله ما تلك لي بمنزلة حتى أكون أسوةً للناس .

حدثنا خلاد بن أسلم ، قال : حدثنا النضر بن شميل ، قال : أخبرنا قطن ، قال : حدثنا أبو يزيد المدني ، قال : حدثنا مولّي لعثمان ابن عفان ، قال : كنت رديفًا لعثمان بن عفان ؛ حتى أتى على حظيرة الصدقة في يوم شديد الحرّ شديد السموم ؛ فإذا رجل عليه إزار ورداء ، قد لفّ رأسه برداء بطرد الإبل يُدخلها الحظيرة ؛ حظيرة لإبل الصدقة ؛ فقال عثمان : من ترى هذا ؟ قال : فانتبهنا إليه ؛ فإذا هو عمر بن الخطاب ، فقال : هذا والله القوى الأمين .

حدثني جعفر بن محمد الكوفي وعباس بن أبي طالب ؛ قالوا : حدثنا أبو زكرياء يحيى بن مصعب الكلبي ، قال : حدثنا عمر بن نافع ، عن أبي بكر العبسي ، قال : دخلت حَيَّر^(١) الصدقة مع عمر بن الخطاب وعلى بن أبي طالب ، قال : فجلس عثمان في الظلّ يكتب ، وقام على رأسه بملّ عليه ما يقول عمر ، وعمر في الشمس قائم في يوم حارّ شديد الحرّ ، عليه بُردان أسودان ؛ متزراً بواحد ، وقد لفّ على رأسه آخر ، يعدّ لإبل الصدقة ، يكتب ألوانها وأسنانها ، فقال على لعثمان - وسمعتة يقول : نعت بنت ٢٧٢٧/١ شعيب في كتاب الله : ﴿ يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾^(٢) ، ثم أشار على بيده إلى عمر ، فقال : هذا القوى الأمين !

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا إسماعيل ، عن يونس ، عن الحسن ، قال : قال عمر : لئن عشت إن شاء الله لأسيرن في الرعية حوّلًا ، ٢٧٢٨/١ فإني أعلم أن للناس حوائج تقطع دوني ؛ أما عمّالهم فلا يرفعونها إليّ ؛ وأمّا هم فلا

(١) الحير : الحمى ؛ ويراد به هنا الحظيرة . (٢) سورة القصص ٢٦ .

يصلون إلى ، فأسير إلى الشام ، فأقيم بها شهرين ، ثم أسير إلى الجزيرة فأقيم بها شهرين ،
ثم أسير إلى مصر فأقيم بها شهرين ، ثم أسير إلى البحرين فأقيم بها شهرين ،
ثم أسير إلى الكوفة فأقيم بها شهرين ، ثم أسير إلى البصرة فأقيم بها شهرين ،
والله لنعم الحول هذا !

حدثني محمد بن عوف ؛ قال : حدثنا أبو المغيرة عبد القدوس بن
الحجاج ، قال : حدثنا صفوان بن عمرو ، قال : حدثني أبو المخارق زهير
ابن سالم ، أن كعب الأحبار ، قال : نزلت على رجل يقال له مالك - وكان
جاراً لعمر بن الخطاب - فقلت له : كيف بالدخول على أمير المؤمنين ؟
فقال : ليس عليه باب ولا حجاب ، يصلي الصلاة ثم يتقعد فيكلمه من
شاء .

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : حدثنا سفيان ، عن يحيى ،
قال : أخبرني سالم ، عن أسلم ، قال : بعثني عمر بإبل من إبل الصدقة إلى
الحمي ، فوضعت جهازي على ناقة منها ؛ فلما أردت أن أصدرها ، قال :
اعرضها علي ، فعرضتها عليه ، فرأى متاعى على ناقة منها حسناء ، فقال :
لا أم لك ! غمدت إلى ناقة تغني أهل بيت المسلمين ! فهلاً ابن لبون
بوالا ، أو ناقة شصوصاً^(١) !

حدثني عمر بن إسماعيل بن مجالد الهمداني ، قال : حدثنا أبو معاوية
عن أبي حيان ، عن أبي الزنبايع ، عن أبي الدهقانة ، قال : قيل لعمر بن
الخطاب : إن ها هنا رجلاً من أهل الأنبار له بصير بالديوان ؛ لو اتخذته
كاتباً ! فقال عمر : لقد اتخذت إذاً بيطانة من دون المؤمنين !

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : حدثنا
عبد الرحمن بن زيد ، عن أبيه ، عن جده ، أن عمر بن الخطاب رضي الله
عنه خطب الناس ، فقال : والذي بعث محمداً بالحق ؛ لو أن جملاً هلك

(١) ابن اللبون : ولد الناقة إذا كان في العام الثاني واستكملته . والشصوص : الناقة النليظة اللبن .

ضياءاً بشطّ الفُرات خشيت أن يسأل الله عنه آل الخطاب . قال أبو زيد :
آل الخطاب يعنى نفسه ، ما يعنى غيرها .

حدثنا ابنُ المثنى ، قال : حدثنا ابنُ أبى عدى ، عن شعبة ، عن
أبى عمران الجوفى ، قال : كتب عمر إلى أبى موسى : إنه لم يزل للناس وجوه
يرفعون حوائجهم ؛ فأكرم من قبلك من وجوه الناس ، وبحسب المسلم
الضعيف من العدل ؛ أن ينصف فى الحكم وفى القسَم .

وحدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا ابنُ إدريس ، قال : سمعت مطرفاً ،
عن الشعبي ، قال : أتى أعرابى عمر ، فقال : إن ببيعيرى نُقِيباً ودَبَرًا فاحملنى ؛
فقال له عمر ؛ ما ببيعيرك نُقِيب ولا دَبَر ، قال : فولتى وهو يقول :

أقسَمَ بالله أبو حفص عمرُ ما مسّها من نُقْبٍ ولا دَبَرٍ
* فاغفرْ له اللهم إن كان فجر *

فقال : اللهم اغفر لى ! ثم دعا الأعرابى فحمّله .

وحدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا إسماعيل ، قال : أخبرنا ٢٧٤٠/١
أيوب ، عن محمد ، قال : نُبِيتُ أن رجلاً كان بينه وبين عمر قرابة ،
فسأله فزبره ، وأخرجه فكأتم فيه ؛ ف قيل : يا أمير المؤمنين ؛ فلان سألك
فزبرته وأخرجته ، فقال : إنه سألتنى من مال الله ؛ فما معذرتى إن لقيته
ملكاً خائناً ! فاولا سألتنى من مالى ! قال : فأرسل إليه بعشرة آلاف .
وكان عمر رحمه الله إذا بعث عاملاً له على عمل يقول — ما حدثنا به
محمد بن المثنى ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، قال : حدثنا
شعبة ، عن يحيى بن حصين ، سمع طارق بن شهاب يقول : قال عمر فى
عماله : اللهم إنى لم أبعثهم ليأخذوا أموالهم ؛ ولا ليضربوا أبشارهم ؛ من
ظلمه أميره فلا إمرة عليه دوى .

وحدثنا ابنُ بشار ، قال : حدثنا ابنُ أبى عدى ، عن شعبة ، عن

قتادة ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن معدان بن أبي طلحة ؛ أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه خطب الناس يوم الجمعة ، فقال : اللهم إني أشهدك على أمراء الأمصار أني إنما بعثتهم ليعلموا الناس دينهم وسنة نبيهم ؛ وأن يقسموا فيهم فيثهم ، وأن يعدلوا ؛ فإن أشكل عليهم شئ رفعوه إلى .

وحدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا أبو بكر بن عيَّاش ، قال : سمعت أبا حصين ، قال : كان عمر إذا استعمل العمال خرج معهم يشيعهم ، فيقول : إني لم أستعملكم على أمة محمد صلى الله عليه وسلم على أشعارهم ، ولا على أبشارهم ؛ إنما استعملتكم عليهم لتقيموا بهم الصلاة ، وتقضوا بينهم بالحق ، وتقسموا بينهم بالعدل ؛ وإني لم أسلطكم على أبشارهم ولا على أشعارهم ، ولا تجلدوا العرب فتذلّوها ، ولا تجمروها ^(١) فتفتنوها ، ولا تغفلوا عنها فتحمروها ؛ جردوا القرآن ، وأقلدوا الرواية عن محمد صلى الله عليه وسلم ؛ وأنا شريككم . وكان يقتص من عماله ، وإذا شكى إليه عامل له جمع بينه وبين من شكاه ؛ فإن صح عليه أمرٌ يجب أخذه به أخذه به .

وحدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ، قال : أخبرنا سعيد الجريري ، عن أبي نضرة ، عن أبي فراس ، قال : خطب عمر ابن الخطاب ، فقال : يا أيها الناس ؛ إني والله ما أرسل إليكم عمالا ليضربوا أبشاركم ، ولا ليأخذوا أموالكم ؛ ولكني أرسلهم إليكم ليعلموكم دينكم وسنتكم ؛ فمن فعل به شئ سوى ذلك فليرفعه إلى ؛ فوالذي نفس عمر بيده لأقصته منه . فوثب عمرو بن العاص ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ أرايتك إن كان رجل من أمراء المسلمين على رعية ، فأدب بعض رعيته ، إنك لتقصه منه ؛ قال : إني والذي نفس عمر بيده إذا لأقصته منه ، وكيف لا أقصه منه وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقتص من نفسه ؛ ألا لا تضربوا المسلمين فتذلّوهم ، ولا تجمروهم فتفتنوهم ، ولا تمنعوم حقوقهم فتكفروهم ، ولا تترلوهم الغياض فتضيّعوهم .

(١) جمر الجند : حبسهم في أرض العدو ولم يقللهم .

وكان عمر رضى الله عنه - فيما ذكر عنه - يعُسّ بنفسه ، ويرتاد منازل المسلمين ، ويتفقّد أحوالهم بيديه .

• ذكر الخبر الوارد عنه بذلك :

حدثنا ابنُ بشار ، قال : حدثنا أبو عامر ، قال : حدثنا قُرّة بن خالد ، عن بكر بن عبد الله المزنيّ ، قال : جاء عمر بن الخطاب إلى باب عبد الرحمن بن عوف فضربه ، فجاءت المرأة ففتحتة ؛ ثم قالت له : لا تدخل حتى أدخل البيت وأجلس مجلسي ، فلم يدخل حتى جلست ، ثم قالت : ادخل ، فدخل ، ثم قال : هل من شيء ؟ فأنته بطعام فأكل ، وعبد الرحمن قائم يصلي ، فقال له : تَجَوّز أيتها الرجل ؛ فسلم عبد الرحمن حيثنّ ، ثم أقبل عليه ، فقال : ما جاء بك في هذه الساعة يا أمير المؤمنين ؟ قال : رفقة نزلت في ناحية السوق خشيّت عليهم سرّاق المدينة ، فانطلق فلنحرسهم ؛ فانطلقا فأتيا السوق ، فقعدا على نَشْرٍ من الأرض يتحدثان ، فرفع لهما مصباح ، فقال عمر : ألم أنه عن المصاييح بعد النوم ! فانطلقا ، فإذا هم قوم على شراب لهم ، فقال : انطلق فقد عرفته ؛ فلما أصبح أرسل إليه فقال : يا فلان ، كنت وأصحابك البارحة على شراب ؟ قال : وما علمك يا أمير المؤمنين ؟ قال : شيء شهِدته ؛ فقال : أو لم ينهك الله عن التجمّس ! قال : فتجاوز عنه .

قال بكر بن عبد الله المزنيّ : وإنّما نهى عمر عن المصاييح ، لأن الفأرة تأخذ الفتيلة فترمي بها في سقف البيت فيحترق ، وكان إذ ذاك سقف البيت من الجريد .

وحدثني أحمد بن حرب ، قال : حدثنا مصعب بن عبد الله الزبيريّ ، قال : حدثني أبي ، عن ربيعة بن عثمان ، عن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، قال : خرجتُ مع عمر بن الخطاب رحمه الله إلى حرّة واقم ، حتى إذا كنا بصيرار ؛ إذا نار تورّث ؛ فقال : يا أسلم ؛ إني أرى هؤلاء ركبا قصر بهم ٢٧٤٤/١ الليل والبرد ؛ انطلق بنا ؛ فخرجنا نهول حتى دنونا منهم ، فإذا امرأة معها

صبيان لها ، وقيدّر منصوبة على النار ، وصبيانها يتضاغون^(١)؛ فقال عمر :
السلام عليكم يا أصحاب الضوء - وكره أن يقول : يا أصحاب النار -
قالت : وعليك السلام ؛ قال : أأذنو ؟ قالت : أذن بخير أو دَعْ ؛ فدنا
فقال : ما بالكم ؟ قالت : قصّر بنا الليل والبرد ، قال : فما بال هؤلاء الصبية
يتضاغون ؟ قالت : الجوع ، قال : وأى شيء في هذه القيدّر ؟ قالت :
ماء أسكتهم به حتى يناموا ، الله بيننا وبين عمر ! قال : أى رَجِمَكَ الله ،
ما يلدري عمر بكم ! قالت : يتولّى أمرنا ويغفل عنا ! فأقبل على ، فقال :
انطلق بنا ؛ فخرجنا نهروا ؛ حتى أتينا دارَ الدقيق ؛ فأخرج عبدلاً فيه
كُبة شحم ؛ فقال : احمله على ، فقلت : أنا أحمله عنك ، قال : احمله
على ؛ مرتين أو ثلاثاً ، كلّ ذلك أقول : أنا أحمله عنك ؛ فقال لى فى آخر
ذلك : أنت تحمل عني وزرى يوم القيامة ، لا أمّ لك ! فحملته عليه ؛
فانطلق وانطلقت معه نهروا ، حتى انتهينا إليها ، فألقى ذلك عندها ، وأخرج
من الدقيق شيئاً ، فجعل يقول لها : ذرى على ، وأنا أحرك لك ؛ وجعل
ينفخ تحت القيدّر - وكان ذا لحية عظيمة - فجعلت أنظر إلى الدخان من
خسل لحيته حتى أنضج وأدُم القيدّر ثم أنزلها ، وقال : ابغنى شيئاً ، فأنته
بصحفة فأفرغها فيها ، ثم جعل يقول : أطعمهم ، وأنا أسطح لك ؛
فلم يزل حتى شبعوا ، ثم خلى عندها فضل ذلك ، وقام وقمت معه ، فجعلت
تقول : جزاك الله خيراً ! أنت أولى بهذا الأمر من أمير المؤمنين ! فيقول :
قولى خيراً ، إنك إذا جئت أمير المؤمنين وجدتنى هناك إن شاء الله . ثم
تنحى ناحية عنها ؛ ثم استقبلها وربّض وربّض السبع ، فجعلت أقول له :
إنّ لك شأنًا غير هذا ، وهو لا يكلمنى حتى رأيت الصبية يصطرعون ويضحكون
ثم ناموا وهدّوا ، فقام وهو بحمد الله ، ثم أقبل على فقال : يا أسلم ؛ إنّ
الجوع أسهرهم وأبكاهم ، فأحببت ألاّ أنصرف حتى أرى ما رأيت منهم .
وكان عمر إذا أراد أن يأمر المسلمين بشيء أو ينهاهم عن شيء مما فيه
صلاحهم بدأ بأهله ، وتقدّم إليهم بالوعظ لهم ، والوعيد على خلافهم أمره

(١) تضاعى : أى تصور من الجوع .

كالذى حدثنا أبو كُرَيْب محمد بن العلاء ، قال : حدثنا أبو بكر بن عيمّاش ، قال : حدثنا عبيد الله بن عمر بالمدينة ، عن سالم ، قال : كان عمر إذا صعد المنبر فنهى الناس عن شيء جمع أهله ، فقال : إني نهيت الناس عن كذا وكذا، وإنّ الناس ينظرون إليكم نظراً الطير - يعنى إلى اللحم - وأقسم بالله لا أجدُ أحداً منكم فعله^(١) إلا أضعفت عليه العقوبة . ٢٧٤٦/١

قال أبو جعفر : وكان رضى الله عنه شديداً على أهل الرِّيب ، وفى حقّ الله صلياً حتى يستخرجه ، وليتأ سهلاً فيما يلزمه حتى يؤدّيه ، وبالنضعيف رحيماً رؤوفاً . حدثني عبيد الله بن سعيد الزُّهرى ، قال : حدثنا عمى ، قال : حدثنا أبى ، عن الوليد بن كثير ، عن محمد بن عجلان ، أنّ زيد بن أسلم حدثه عن أبيه ، أنّ نفرّاً من المسلمين كلّموا عبد الرحمن بن عوف ، فقالوا : كلّم عمر بن الخطاب ؛ فإنه قد أخشانا^(٢) حتى والله ما نستطيع أن نديم إليه أبصارنا . قال : فذكر ذلك عبد الرحمن بن عوف لعمر ، فقال : أوّقد قالوا ذلك ! فوالله لقد لَنت لهم حتى تخوّفت الله فى ذلك ؛ ولقد اشتدّت عليهم حتى خشيت الله فى ذلك ، وإيم الله لأنّا أشدّ منهم فرّقاً منهم منى !

وحدثنا أبو كُرَيْب ، قال : حدثنا أبو بكر ، عن عاصم ، قال : استعمل عُمر رجلاً على مصر ، فبينما عمر يوماً ماراً فى طريق من طرق المدينة ٢٧٤٧/١ إذ سمع رجلاً وهو يقول : الله يا عمر ! تستعمل من يخون وتقول : ليس على شيء ، وعاملك يفعل كذا ! قال : فأرسل إليه ، فلما جاءه أعطاه عصاً وجبّة صوف وغنماً ، فقال : ارعها - واسمه عياض بن غنم - فإنّ أباك كان راعياً ، قال : ثمّ دعاه ، فذكر كلاماً ، فقال : إن أنا رددتك ! فردّه إلى عمله ، وقال : لى عليك ألاّ تلبس رقيقاً ، ولا تركب برذوناً !

حدثنا أبو كُرَيْب ، قال : حدثنا أبو أسامة ، عن عبد الله بن الوليد ، عن عاصم ، عن ابن خزيمة بن ثابت الأنصارى ، قال : كان عمر إذا استعمل عاملاً كتب له عهداً ، وأشهد عليه رهطاً من المهاجرين والأنصار ،

(١) س : « فعل ذلك » . (٢) أخشانا : أخافنا من هيئته .

واشترط عليه ألا يركب برذوناً ، ولا يأكل نقيّاً ، ولا يلبس رقيقاً ، ولا يتخذ باباً دون حاجات الناس .

وحدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : حدثنا مسلم بن إبراهيم ، عن سلام بن مسكين ، قال : حدثنا عمران ، أن عمر بن الخطاب كان إذا احتاج أتى صاحب بيت المال ، فاستقرضه ؛ قال : فربما أعسر فيأتيه صاحب بيت المال يتقاضاه فيلزمه ، فيحتال له عمر ، وربما خرج عطاؤه فقضاه .

٢٧٤٨/١ وعن أبي عامر العقدي ، قال : حدثنا عيسى بن حفص ، قال : حدثني رجل من بني سليمة ، عن ابن البراء بن معمر أن عمر رضي الله عنه خرج يوماً حتى أتى المنبر ، وقد كان اشتكى شكوى له ، فنعيت له العسل ، وفي بيت المال عكّة ، فقال : إن أذنتم لي فيها أخذتها ، وإلا فهي على حرام .

• • •

تسمية عمر رضي الله عنه أمير المؤمنين

قال أبو جعفر : أول من دُعِيَ أمير المؤمنين عمرُ بن الخطاب ؛ ثم جرت بذلك السنة ، واستعمله الخلفاء إلى اليوم .
• ذكر الخبر بذلك :

حدثني أحمد بن عبد الصمد الأنصاري ، قال : حدثتني أم عمرو بنت حسان الكوفيّة ، عن أبيها ، قال : لما ولي عمر قيل : يا خليفة خليفة رسول الله ، فقال عمر رضي الله عنه : هذا أمر يطول ، كلّمّا جاء خليفة قالوا : يا خليفة خليفة خليفة رسول الله ! بل أنتم المؤمنون وأنا أميركم ؛ فسمّي أمير المؤمنين . قال أحمد بن عبد الصمد : سألتها كم أتى عليك من السنين ؟ قالت : مائة وثلاث وثلاثون سنة .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا يحيى بن واضح ، قال : حدثنا

أبو حمزة ، عن جابر ، قال : قال رجل لعمر بن الخطاب : يا خليفة الله ، ٢٧٤٩/١
قال : خالف الله بك ! فقال : جعلني الله فداءك ! قال : إذا يهينك الله !

• • •

وضعه التاريخ

قال أبو جعفر : وكان أول من وضع التاريخ وكتبه — فيما حدثني
الحارث ، قال : حدثنا ابنُ سعد ، عن محمد بن عمر — في سنة ست عشرة في
شهر ربيع الأول منها ، وقد مضى ذكرى سبب كتابه ذلك ؛ وكيف كان
الأمر فيه .

وعمر رضى الله عنه أول من أرخ الكتب ، وختم بالطين .
وهو أول من جمع الناس على إمام يصلّي بهم التراويح في شهر رمضان ،
وكتب بذلك إلى البلدان ، وأمرهم به ، وذلك — فيما حدثني به الحارث ، قال :
حدثنا ابنُ سعد ، عن محمد بن عمر — في سنة أربع عشرة ، وجعل للناس
قارئين : قارئاً يصلّي بالرجال وقارئاً يصلّي بالنساء .

• • •

حملة الدرّة وتدوينه الدواوين

وهو أول من حمل الدرّة ، وضرب بها ؛ وهو أول من دَوّن للناس
في الإسلام الدواوين ، وكتب الناس على قبائلهم ، وفرض لهم العطاء . ٢٧٥٠/١

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابنُ سعد ، قال : حدثنا محمد بن
عمر ، قال : حدثني عائذ بن يحيى ، عن أبي الحويرث ، عن جُبَيْر بن
الحويرث بن نُقَيْد ، أنَّ عمر بن الخطاب رضى الله عنه استشار المسلمين
في تدوين الدواوين ، فقال له عليّ بن أبي طالب : تقسم كل سنة ما اجتمع
إليك من مال ، فلا تمسك منه شيئاً . وقال عثمان بن عفان : أرى مالا كثيراً
يسعُ الناس ، وإن لم يحصّوا حتى تعرف من أخذ ممن لم يأخذ ، خشيتُ أن
يتنشر الأمر . فقال له الوليد بن هشام بن المغيرة : يا أمير المؤمنين قد جنت
الشام ، فرأيت ملوكها قد دوتوا ديواناً ، وجندوا جنداً ، فدوّن ديواناً ،
وجند جنداً . فأخذ بقوله ، فدعا عَقِيل بن أبي طالب ومَخْرمة بن نوفل

وجُبَيْر بن مطعم ، وكانوا من نَسَاب قريش — فقال : اكتبوا الناس على منازلهم ؛ فكتبوا فبدعوا بني هاشم ؛ ثم أتبعوهم أبا بكر وقومه ، ثم عمر وقومه على الخلافة ؛ فلما نظر فيه عمر قال : لوددت والله أنه هكذا ؛ ولكن ابدعوا بقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ الأقرب فالأقرب ، حتى تضعوا عمر حيث وضعه الله .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثني أسامة بن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال : رأيتُ عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين عُرِضَ عليه الكتاب ، وبنو تَيْمٍ على أثر بني هاشم وبنو عدى على أثر بني تَيْمٍ ، فأسمعُهُ يقول : ضعوا عمر موضعه ، وابدعوا بالأقرب فالأقرب من رسول الله ، فجاءت بنو عدى إلى عمر ، فقالوا : أنت خليفة رسول الله ، قال : أو خليفة أبى بكر ، وأبو بكر خليفة رسول الله ، قالوا : وذلك ، فلو جعلت نفسك حيث جعلك هؤلاء القوم ! قال : بخٍ بخٍ بنى عدى ! أردتم الأكل على ظهري ؛ وأن أذهب حسناى لكم ! لا والله حتى تأتيتكم الدعوة ، وإن أطبق عليكم الدفتر ولو أن تُكْتَبُوا فى آخر الناس ؛ إن لى صاحبين سَلَكَ طريقاً ، فإن خالفتهما خولف بى ؛ والله ما أدركنا الفضل فى الدنيا ، ولا نرجو ما نرجو من الآخرة من ثواب الله على ما عملنا إلاّ بمحمد صلى الله عليه وسلم ؛ فهو شرفنا ، وقومه أشرف العرب ، ثم الأقرب فالأقرب ؛ إن العرب شَرُفَتْ برسول الله ، ولعلّ بعضها يلقاه إلى آباء كثيرة ، وما بيننا وبين أن نلقاه إلى نسبه ثم لانفارقة إلى آدم إلا آباء يسيرة ؛ مع ذلك والله لئن جاءت الأعاجم بالأعمال ، وجئنا بغير عمل ، فهم أولى بمحمد منّا يوم القيامة ، فلا ينظر رجل إلى قرابة ، وليعمل لما عند الله ، فإنّ مَنْ قَصَرَ به عمله لم يُسْرِع به نسبه .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثني حزام بن هشام الكعبيّ ، عن أبيه ، قال : رأيتُ عمر ابن الخطاب رضى الله تعالى عنه يحمل ديوان خُرَاعة حتى يتزل قَدِيداً ،

فَنَاتِيهِ بِقُدَيْدٍ ، فَلَا يَغِيبُ عَنْهُ امْرَأَةٌ بِكَرْ وَلَا تَيْبٌ ، فَيُعْطِيهِنَّ فِي أَيِّدِيهِنَّ ، ثُمَّ يَرْوِحُ فَيَنْزِلُ عُسْفَانَ ، فَيَفْعَلُ مِثْلَ ذَلِكَ أَيْضًا حَتَّى تَوُفِّيَ .

حَدَّثَنِي الْحَارِثُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ سَعْدٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو ، قَالَ : حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ الزَّهْرِيُّ وَعَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ سُلَيْمَانَ ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ سَعْدٍ ، عَنْ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ عَمْرَ ابْنَ الْخَطَّابِ ، يَقُولُ : وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ؛ ثَلَاثًا ؛ مَا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا لَهُ فِي هَذَا الْمَالِ حَقٌّ أُعْطِيَهِ أَوْ مَنَعَهُ ؛ وَمَا أَحَدٌ أَحَقُّ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا عَبْدُ مَمْلُوكٍ ؛ وَمَا أَنَا فِيهِ إِلَّا كَأَحَدِهِمْ ؛ وَلَكِنَّا عَلَى مَنَازِلِنَا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ، وَقَسَمْنَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَالرَّجُلُ وَبَلَاؤُهُ فِي الْإِسْلَامِ ، وَالرَّجُلُ وَقَدَمُهُ فِي الْإِسْلَامِ ، وَالرَّجُلُ وَغَنَاؤُهُ فِي الْإِسْلَامِ ، وَالرَّجُلُ وَحَاجَتُهُ ؛ وَاللَّهُ لَئِنْ بَقِيَتْ لِي أَتَيْنَ الرَّاعِيَّ بِجَبَلٍ صَنَعَاءَ حَظُّهُ مِنْ هَذَا الْمَالِ وَهُوَ مَكَانُهُ .

قَالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُحَمَّدٍ : فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِأَبِي ، فَعَرَفَ الْحَدِيثَ .

حَدَّثَنِي الْحَارِثُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ سَعْدٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو ، قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ الزَّهْرِيِّ ، عَنْ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدٍ ، قَالَ : رَأَيْتُ خِيَلًا عِنْدَ عَمْرِو بْنِ الْخَطَّابِ مُوسَمَةٌ فِي أَفْخَاذِهَا : «حَبِيبٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» . ٢٧٥٣/١

حَدَّثَنِي الْحَارِثُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ سَعْدٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو ، قَالَ : حَدَّثَنِي قَيْسُ بْنُ الرَّبِيعِ ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ ؛ عَنْ زَادَانَ ، عَنْ سُلَيْمَانَ ؛ أَنَّ عَمْرًا قَالَ لَهُ : أَمْلِكُ أَنَا أَمْ خَلِيفَةُ ؟ فَقَالَ لَهُ سُلَيْمَانُ : إِنْ أَنْتَ جَبِيتَ مِنْ أَرْضِ الْمُسْلِمِينَ دِرْهَمًا أَوْ أَقْلَ أَوْ أَكْثَرَ ؛ ثُمَّ وَضَعْتَهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ ؛ فَأَنْتَ مَلِكٌ غَيْرُ خَلِيفَةٍ ؛ فَاسْتَعْبَرَ عَمْرًا .

حَدَّثَنِي الْحَارِثُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ سَعْدٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي نَافِعُ مَوْلَى آلِ الزُّبَيْرِ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ : يَرْحَمُ اللَّهُ ابْنَ حَسَنَتْمَةَ ! لَقَدْ رَأَيْتُهُ عَامَ الرَّمَادَةِ ؛ وَإِنَّهُ لَيَحْمِلُ عَلَى ظَهْرِهِ جَرَايِينَ وَعُكَّةَ زَيْتٍ فِي يَدِهِ ؛ وَإِنَّهُ لَيَعْتَقِبُ هُوَ وَأَسْلَمُ ؛

فلَمَّا رَأَى قَالَ : من أين يا أبا هريرة ؟ قلت : قريباً ؛ فأخذت أعقبه ؛ فحملناه حتى انتهينا إلى صرار ؛ فلإذا صِرْمٌ^(١) نحو من عشرين بيتاً من محارب ، فقال عمر : ما أقدمكم ؟ قالوا : الجهد ؛ وأخرجوا لنا جلد الميتة مشويّاً كانوا يأكلونه ، ورمّة العظام مسحوقة كانوا يستفونها ؛ فرأيت عمر طرح رداءه ، ثم اتزر ، فما زال يطبخ لهم حتى شبعوا ، فأرسل أسلم إلى المدينة فجاء بأبيرة فحملهم عليها حتى أنزلهم الجبانة ، ثم كساهم . وكان يختلف إليهم وإلى غيرهم حتى رفع الله ذلك .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : أخبرني موسى بن يعقوب ، عن عمه ، عن هشام بن خالد ، قال : سمعتُ عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يقول : لا تَدْرَنَ إحداكنَ الدقيق حتى يسخن الماء ثم تُلْزِمَهُ قليلاً قليلاً ، وتسوطه^(٢) بمسوطها ، فإنه أريح له ؛ وأحرى ألا يتقرّد^(٣) .

٢٧٥٤/١

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بن مصعب القرقيساني ، قال : حدثنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي مریم ، عن راشد بن سعد ؛ أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أتى ببال ؛ فجعل يقسمه بين الناس ، فازدحموا عليه ، فأقبل سعد بن أبي وقاص يزاحم الناس ؛ حتى خلص إليه ، فعلاه عمر بالدرة ، وقال : إنك أقبلت لاتهاب سلطان الله في الأرض ؛ فأجبت أن أعلمك أن سلطان الله لن يهابك .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثنا عمر بن سليمان بن أبي حشمة ، عن أبيه ، قال : قالت الشفا ابنة عبد الله - ورأيت فتیاناً يقصِدون في المشي ، ويتكلمون رويداً ، فقالت : ما هذا ؟ قالوا : نُسّاك ، فقالت : كان والله عمر إذا تكلم أسمع ، وإذا مشى أسرع ، وإذا ضرب أوجع ، هو والله الناسك حقاً .

حدثني عمر ، قال : حدثنا علي بن محمد ، قال : حدثنا عبد الله

٢٧٥٥/١

(١) الصرم : الأبيات المجتمعة المنقطعة من الناس .

(٢) السوط : خلط الشيء بعضه ببعض ؛ والمسوط آله .

(٣) يتقرّد ، أي يركب بعضه بعضاً ؛ كذا قرره صاحب اللسان .

ابن عامر ، قال : أعان عمر رجلاً على حَمْل شيء ، فدعا له الرجل ، وقال : نفعلك بنوك يا أَمِيرَ المؤمنين ! فقال : بل أغنائى الله عنهم .

حدثني عمر ، قال : حدثنا عليّ بن محمد ، عن عمر بن مجاشع . قال : قال عمر بن الخطاب ، : القوة في العمل ألاّ تؤخّر عمل اليوم للغد ، والأمانة ألاّ تخالف سريرة عائِلية ؛ واتّقوا الله عزّ وجلّ ، فإنما التقوى بالتقوى ، ومن يتق الله يقيّه .

حدثني عمر ، قال : حدثنا عليّ ، عن عوّانة ، عن الشعبي - وغير عوّانة زاد أحدهما على الآخر - أن عمر رضى الله تعالى عنه كان يطوف في الأسواق ، ويقرأ القرآن ، ويقضي بين الناس حيث أركه الخصوم .

حدثني عمر ، قال : حدثنا عليّ ، عن محمد بن صالح ، أنه سمع موسى بن عُقْبَةَ يحدث أن رهطاً أتوا عمر ، فقالوا : كثر العيال ، واشتدّت المؤونة ، فزدنا في أعطياتنا ، قال : فعلتموها ، جمعت بين الضرائر ، واتخذتم الخدم في مال الله عزّ وجلّ ! أما والله لوددت أني وإياكم في سفينة في بلحة البحر ، تذهب بنا شرقاً وغرباً ، فلن يعجز الناس أن يولوا رجلاً منهم ؛ فإن استقام اتبعوه ، وإن جَسَفَ قتلوه ، فقال طلحة : وما عليك لو قلت : إن تعوّج عزلوه ! فقال : لا ، القتل أنكَلُ لمن بعده ؛ احذروا فتى قريش وابن كريمة الذي لا ينام إلاّ على الرضا ، ويضحك عند الغضب ؛ وهو يتناول من فوقه ومن تحته .

حدثني عمر ، قال : حدثنا عليّ ، عن عبد الله بن داود الواسطي ، عن زيد بن أسلم ، قال : قال عمر : كنا نعدّ المقرض بخيلاً ، إنما كانت المواساة .

حدثني عمر ، قال : حدثنا عليّ ، عن ابن دأب ، عن أبي معبد الأسلمي ، عن ابن عباس ، أن عمر قال لناس من قريش : بلغني أنكم تتخلون مجالس ؛ لا يجلس اثنان معاً حتى يقال : من صحابة فلان ؟ من

جلساء فلان ؟ حتى تُحوميت المجالس ؛ وإيم الله إن هذا السريع في دينكم ، سريع في شرفكم ، سريع في ذات بينكم ؛ ولكأنى بمن يأتي بعدكم يقول : هذا رأى فلان ، قد قسموا الإسلام أقساماً ؛ أفيضوا مجالسكم بينكم ، وتجالسوا معاً ؛ فإنه أدوم لألفتكم ، وأهيب لكم في الناس . اللهم مدوني وملتهم ، وأحسست من نفسى وأحسوا منى ؛ ولا أدري بأينا يكون الكون ، وقد أعلم أن لهم قبلاً منهم ؛ فاقبضنى إليك .

حدثني عمر ، قال : حدثنا عليّ ، قال : حدثنا إبراهيم بن محمد ، عن أبيه ، قال : اتخذ عبد الله بن أبي ربيعة أفراساً بالمدينة ، فنبهه عمر بن الخطاب ، فكلّمه في أن يأذن له ، قال : لا آذن له ، إلا أن يجيء بعلفها من غير المدينة . فارتبط أفراساً ، وكان يحمل إليها علفاً من أرض له باليمن . ٢٧٥٧/١

حدثني عمر ، قال : حدثنا عليّ ، قال : حدثنا أبو إسماعيل الهمداني ، عن مجالد ، قال : بلغني أنّ قومًا ذكروا لعمر بن الخطاب رجلاً ؛ فقالوا : يا أمير المؤمنين ؛ فاضل لا يعرف من الشر شيئاً ، قال : ذاك أوقع له فيه !

ذكر بعض خطبه رضى الله تعالى عنه

حدثني عمر ، قال : حدثني عليّ ، عن أبي معشر ، عن ابن المنكدر وغيره ، وأبي معاذ الأنصاري عن الزهري ، ويزيد بن عياض عن عبد الله ابن أبي بكر ، وعليّ بن مجاهد عن ابن إسحاق ، عن يزيد بن عياض ، عن عبد الله بن أبي إسحاق ، عن يزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير ، أنّ عمر رضى الله تعالى عنه خطب فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم ذكر الناس بالله عز وجل واليوم الآخر ، ثم قال : يأيها الناس ؛ إني قد وليت عليكم ، ولولا رجاء أن أكون خيركم لكم ، وأقواكم عليكم ، وأشدكم استضلاعاً بما ينوب من مهمّ أموركم ، ما توليت ذلك منكم ؛ ولكني عمر

مُهِمًا مَحْزَنًا انْتَظَارَ مُوَافَقَةِ الْحَسَابِ بِأَخْذِ حَقِّكُمْ كَيْفَ أَخَذَهَا ، وَوَضَعَهَا
أَيْنَ أَضَعَهَا ؛ وَبِالسَّيْرِ فِيكُمْ كَيْفَ أُسِيرَ ! فَرَبِّي الْمُسْتَعَانُ ؛ فَإِنْ عَمِرَ أَصْبَحَ ٢٧٥٨/١
لَا يَثِقُ بِقُوَّةٍ وَلَا حِيلَةٍ إِنْ لَمْ يَتَدَارَكْهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِرَحْمَتِهِ وَعَوْنِهِ وَتَأْيِيدِهِ .

ثم خطب فقال :

إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ وَلَاتَنِي أَمْرَكُمْ ، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنْفَعُ مَا بِمَحْضَرَتِكُمْ لَكُمْ ؛
وإِنِّي أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَعِينَنِي عَلَيْهِ ، وَأَنْ يَحْرُسَنِي عِنْدَهُ ، كَمَا حَرَسَنِي عِنْدَ غَيْرِهِ ،
وَأَنْ يُلْهِمَنِي الْعَدْلَ فِي قَسْمِكُمْ كَالَّذِي أَمَرَ بِهِ ؛ وَإِنِّي أَمْرُؤُ مُسْلِمٌ وَعَبْدٌ
ضَعِيفٌ ، إِلَّا مَا أَعَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، وَلَنْ يَغَيِّرَ الَّذِي وَلَّيْتُ مِنْ خِلَافَتِكُمْ
مَنْ خُلِّقَ شَيْئًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ ؛ إِنَّمَا الْعِظْمَةُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَلَيْسَ لِلْعِبَادِ مِنْهَا شَيْءٌ ،
فَلَا يَقُولَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ : إِنْ عَمِرَ تَغَيَّرَ مِنْذُ وَلِي . أَعْقِلُ الْحَقَّ مِنْ نَفْسِي
وَأَتَقَدَّمُ ؛ وَأَبَيِّنُ لَكُمْ أَمْرِي ؛ فَأَيُّمَا رَجُلٍ كَانَتْ لَهُ حَاجَةٌ أَوْ ظَلَمَ مَظْلَمَةً ، أَوْ
عَتَبَ عَلَيْنَا فِي خَلْقٍ ؛ فَلْيُؤْذَنِي ، فَإِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ مِنْكُمْ ؛ فَعَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ فِي
سِرِّكُمْ وَعَلَانِيَتِكُمْ ، وَحُرْمَاتِكُمْ وَأَعْرَاضِكُمْ ؛ وَأَعْطُوا الْحَقَّ مَنْ أَنْفَسَكُمْ ؛ وَلَا يَحْمِلْ
بَعْضُكُمْ بَعْضًا عَلَى أَنْ تَحَاكُمُوا إِلَيَّ ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ
هَوَادَةٌ ؛ وَأَنَا حَبِيبٌ إِلَى صَلَاحِكُمْ ، عَزِيزٌ عَلَى عَتَبِكُمْ . وَأَنْتُمْ أَنَاسٌ عَامَتُكُمْ
حَضَرٌ فِي بِلَادِ اللَّهِ ؛ وَأَهْلُ بَلَدٍ لَا زَرْعَ فِيهِ وَلَا ضَرْعَ إِلَّا مَا جَاءَ اللَّهُ بِهِ إِلَيْهِ .
وإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ وَعَدَكُمْ كَرَامَةً كَثِيرَةً ، وَأَنَا مُسْتَوِلٌ عَنْ أَمَانَتِي وَمَا أَنَا
فِيهِ ؛ وَمُطَّلِعٌ عَلَى مَا بِمَحْضَرَتِي بِنَفْسِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ ؛ لَا أَكِلُهُ إِلَى أَحَدٍ ، وَلَا أُسْتَطِيعُ ٢٧٥٩/١
مَا بَعْدَ مِنْهُ إِلَّا بِالْأَمْنَاءِ وَأَهْلِ النَّصِيحِ مِنْكُمْ لِلْعَامَّةِ ، وَلَسْتُ أَجْعَلُ أَمَانَتِي إِلَى
أَحَدٍ سِوَاهُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

وخطب أيضًا . فقال بعد ما حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى
الله عليه وسلم :

أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنْ بَعْضُ الطَّمَعِ فَقْرٌ ، وَإِنْ بَعْضُ الْيَأْسِ غِنًى ، وَإِنْكُمْ تَجْمَعُونَ
مَا لَا تَأْكُلُونَ ، وَتَأْكُلُونَ مَا لَا تَدْرِكُونَ ، وَأَنْتُمْ مُؤْتَلُونَ فِي دَارِ غُرُورٍ . كُنْتُمْ عَلَى

عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تؤخذون بالوحي ، فمن أمر شيئاً أخذ بسريرته ، ومن أعلن شيئاً أخذ بعلايته ؛ فأظهروا لنا أحسن أخلاقكم ؛ والله أعلم بالمرائر ؛ فإنه من أظهر شيئاً وزعم أن سريره حسنة لم نصدقه ، ومن أظهر ما علانية حسنة ظننا به حسناً . واعلموا أن بعض الشخّ شعبة من النفات ، فأنفقوا خيراً لأنفسكم ، ومن يوق شخّ نفسه فأولئك هم المفلحون . أيها الناس ، أطيبوا مثواكم ، وأصلحوا أموركم ؛ واتقوا الله ربكم ، ولا تلبسوا نساءكم القبايطي^(١) ؛ فإنه إن لم يشف^(٢) فإنه يصف .

أيها الناس ؛ إني لوددت أن أنجو كفافاً لآلى ولا على ، وإني لأرجو أن عمّرت فيكم يسيراً أو كثيراً أن أعمل بالحق فيكم إن شاء الله ، وألا يبقى أحد من المسلمين وإن كان في بيته إلاّ أناه حقّه ونصيبه من مال الله ، ولا يُعَمِّل إليه نفسه ؛ ولم ينصب إليه يوماً . وأصلحوا أموالكم التي رزقكم الله ؛ ولتقليل في رفق خير من كثير في عنف ، والقتل حتف من الخوف ، يصيب البرّ والفاجر ، والشهيد من احتسب نفسه . وإذا أراد أحدكم بغيراً فليعمد إلى الطويل العظيم فليضربه بعصاه ؛ فإن وجده حديد الفؤاد فليشره .

• • •

قالوا : وخطب أيضاً فقال :

إن الله سبحانه وبحمده قد استوجب عليكم الشكر ، واتخذ عليكم الحجّ فيما آتاكم من كرامة الآخرة والدنيا ؛ عن غير مسألة منكم له ، ولا رغبة منكم فيه إليه ، فخلقكم تبارك وتعالى ولم تكونوا شيئاً لنفسه وعبادته ، وكان قادراً أن يجعلكم لأهون خلقه عليه ، فجعل لكم عامّة خلقه ، ولم يجعلكم لشيء غيره ، وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض ، وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ، وتحكمكم في البرّ والبحر ، ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون .

(١) القبايطي : ثياب كتان كانت تعمل في مصر ، جمع قبطة .

(٢) شف الثوب : رق وحكى ماتحته .

ثم جعل لكم سمعاً وبصراً . ومن نعم الله عليكم نعم عمّ بها بنى آدم ؛ ومنها نعم اختصّ بها أهل دينكم ؛ ثم صارت تلك النعم خواصّها وعوامّها في دولتكم وزمانكم وطبقتكم ؛ وليس من تلك النعم نعمة وصلت إلى امرئ خاصة إلاّ لو قسم ما وصل إليه منها بين الناس كلهم أتعبهم شكرها ، وفدحهم حقها ، إلاّ بعون الله مع الإيمان بالله ورسوله ؛ فأنتم مستخلفون في الأرض ، قاهرون لأهلها ، قد نصر الله دينكم ، فلم تصبح أمة مخالفة لدينكم إلاّ أمتان ؛ أمة مستعبدة للإسلام وأهله ، يجوزون لكم ، يُستصفون^(١) معاشهم وكدائحهم ورشح جباههم ؛ عليهم المؤونة ولكم المنفعة ، وأمة تنتظر وقائع الله وسطواته في كل يوم وليلة ، قد ملأ الله قلوبهم رعباً ؛ فليس لهم معقل يلجئون إليه ، ولا مهرب يتّقون به ، قد دهمتهم جنود الله عزّ وجلّ ونزلت بساحتهم ، مع رفاغة^(٢) العيش ، واستفاضة المال ، وتتابع البعوث ، وسدّ الثغور بإذن الله ، مع العافية الجليّة العامة التي لم تكن هذه الأمة على أحسن منها مذ كان الإسلام ؛ والله المحمود ، مع الفتوح العظام في كل بلد . فإعمى أن يبلغ مع هذا شكر الشاكرين وذكر الذاكرين واجتهاد المجتهدين ؛ مع هذه النعم التي لا يحصى عددها ، ولا يقدر قدرها ، ولا يستطيع أداء حقها إلاّ بعون الله ورحمته ولطفه ! فنسأل الله الذي لا إله إلا هو الذي أبلانا هذا ، أن يرزقنا العمل بطاعته ؛ والمسارة إلى مرضاته .

واذكروا عباد الله بلاء الله عندكم ، واستقيموا نعمة الله عليكم وفي مجالسكم مثنى وفرادى ، فإنّ الله عزّ وجلّ قال لموسى : ﴿ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكَرَهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾^(٣) . وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾^(٤) فلو كنتم إذ كنتم مستضعفين محرومين خيرة الدنيا على شعبة من الحق ، تؤمنون بها ، وتستريحون إليها ؛ مع المعرفة بالله ودينه ، وترجون بها الخير فيما بعد الموت ؛ لكان ذلك ؛ ولكنكم كنتم أشدّ الناس معيشة ، وأثبتهم بالله جهالة . فلو كان هذا الذي استشلكم

(١) استصفي الشيء : أخذ صفوه . (٢) رفع عيشه : اتسع ، الرفاغة والرفاغة : سعة العيش .

(٣) سورة إبراهيم ٥ . (٤) سورة الأنفال ٢٦ .

به لم يكن معه حظّ في دنياكم ؛ غير أنه ثقة لكم في آخرتكم التي إليها المعاد والمنقلب ؛ وأنتم من جهد المعيشة على ما كنتم عليه أحرىء أن تشحّوا على نصيبكم منه ، وأن تظهروه على غيره ؛ فبلّغته ما إنه قد جمع لكم فضيلة الدنيا وكرامة الآخرة ، ومن شاء أن يجمع له ذلك منكم ؛ فأذكركم الله الحائل بين قلوبكم إلا ما عرفتم حقّ الله فعملتم له ، وقسّرتم أنفسكم على طاعته ، وجمعت مع السرور بالنعم خوفاً لها ولانتقالها ، ووجلاً منها ومن تحويلها ، فإنه لا شيء أسلب للنعمة من كفّرائها ، وإنّ الشكر أمنٌ للغير ، ونماء للنعمة ؛ واستيجاب للزيادة ؛ هذا الله علىّ من أمركم ونهيكم واجب .

مَنْ نَدِبَ عَمْرَ وَرَثَاهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

ذَكَرَ بَعْضُ مَا رَأَيْتُ بِهِ

حدثني عمر ، قال : حدثنا عليّ ، قال : حدثنا أبو عبد الله البرجميّ ، عن هشام بن عروة ، أنّ باكية بكت على عمر ، فقالت : واحترى على عمر ! حرّ انتشر ، فلاّ البشر . وقالت أخرى : واحترى على عمر ! حرّ انتشر ، حتى شاع في البشر . ٢٧٦٣/١

حدثني عمر ، قال حدثنا عليّ ، قال : حدثنا ابن دأب وسعيد بن خالد ، عن صالح بن كيسان ، عن المغيرة بن شعبة ، قال : لما مات عمر رضي الله عنه بكته ابنة أبي حشمة ، فقالت : واعمرّاه ! أقام الأود ، وأبرأ العمّد ، أمات الفتن ، وأحيا السنن ؛ خرج نقيّ الثوب ، بريئاً من العيب . قال : وقال المغيرة بن شعبة : لما دفن عمر أتيت عليّاً وأنا أحبّ أن أسمع منه في عمر شيئاً ، فخرج ينفض رأسه ولحيته وقد اغتسل ، وهو ملتصّف بثوب ، لا يشكّ أنّ الأمر يصير إليه ، فقال : يرحم الله ابن الخطاب ! لقد صدقت ابنة أبي حشمة ؛ لقد ذهب بخيرها ، ونجا من شرّها ، أما والله ما قالت ، ولكن قولت .

وقالت عاتكة ابنة زيد بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

فَجَعَنِي فَـيُـرُوزُ لَا دَرَّ دَرُّهُ
رَهَوفٍ عَلَى الْأَذْنَى غَلِيظٍ عَلَى الْعِدَا
مَتَى مَا يُقَالُ لَا يُكَذِّبُ الْقَوْلَ فِعْلُهُ
وَقَالَتْ أَيْضًا :

عَيْنُ جُودِي بَعِزَّةٌ وَنَحِيبٌ
فَجَعَلْتَنِي الْمَنُونُ بِالْفَارِسِ الْمُهْ
عَصَمَةِ النَّاسِ وَالْمُعِينِ عَلَى الدَّهْ
قُلْ لِأَهْلِ السَّرَاوِ الْبُؤْسِ مَوْتُوا
وَقَالَتْ امْرَأَةٌ تَبْكِيهِ :

سَيِّئِكَ نَسَاهُ الْحَيُّ يَبْكِي شَجِيَّاتٍ
وَيَحْمِشْنَ وَجُوهًا كَالدُّ
وَيَلْبَسْنَ ثِيَابَ الْحَزَنِ بَعْدَ الْقَصَبِيَّاتِ

شيء من سيره مما لم يَمِضْ ذكره

حدثنا عمر بن شبة ، قال : حدثنا علي بن محمد ، عن ابن جُمُعْدَبَةَ ،
عن إسماعيل بن أبي حكيم ، عن سعيد بن المسيب ، قال : حجَّ عمر ، فلما كان
بضَجْنَانَ قال : لا إله إلا الله العظيم العلي ، المعطى ما شاء من شاء !
كنت أرعى إبل الخطاب بهذا الوادي في مِدْرَعَةٍ صُوفٍ ، وكان فظًّا
يُتَعَبَّنِي إِذَا عَمَلْتُ ، ويضربني إِذَا قَصَّرْتُ ، وقد أُمِسْتُ وليس بيني وبين
الله أحد ؛ ثم تمثل (٣) :

لَا شَيْءَ فِيمَا تَرَى تَبْقَى بَشَاشَتُهُ
يَبْقَى إِلَهُهُ وَيُودِي الْمَالُ وَالْوَلَدُ
لَمْ تُفْنِ عَنْ هَرْمِزٍ يَوْمًا خَزَانَتُهُ
وَالْخُلْدُ قَدْ حَاوَلَتْ عَادُ فَمَا خَلَدُوا

(٢) ابن كثير : « فجعنا » .

(١) ابن الأثير : « منيب » .

(٣) ف : « وتمثل » .

وَلَا سُلَيْمَانُ إِذْ تَجْرَى الرِّيحُ لَهُ وَالْإِنْسُ وَالْجِنُّ فِيمَا بَيْنَهَا تَرِدُ
 أَيْنَ الْمُلُوكُ الَّتِي كَانَتْ نَوَافِلُهَا مِنْ كُلِّ أَوْبٍ إِلَيْهَا رَاكِبٌ يَقْدُ
 حَوْضًا هُنَالِكَ مَوْزُودًا بِلَا كَذِبٍ لَا بُدَّ مِنْ وِرْدِهِ يَوْمًا كَمَا وَرَدُوا

حدثني عمر بن شبة ، قال : حدثنا علي ، قال : حدثنا أبو الوليد
 المكنى ، قال : بينما عمر جالس إذ أقبل رجل أعرج يقود ناقة تظلع ، حتى
 وقف عليه ، فقال :

إِنَّكَ مُسْتَرْعَى وَإِنَّا رَعِيَّةٌ وَإِنَّكَ مَدْعُوٌّ بِسِيَاكِ يَا عُمَرُ
 إِذَا يَوْمٌ شَرٌّ شَرُّهُ لِيَشْرَاهُ فَقَدْ حَمَلَتْكَ الْيَوْمَ أَحْسَابُهَا مُضَرُّ

فقال : لاحول ولا قوة إلا بالله . وشكا الرجل ظلع ناقته ، فقبض عمر
 الناقة وحمله على جمل أحمر وزوده ، وانصرف . ثم خرج عمر في عقب
 ذلك حاججا ، فبينما هو يسير إذ لحق راكبا يقول :

مَا سَأَسْتَا مِثْلَكَ يَا بَنَ الْأَخْطَابِ أَبْرُ بِالْأَقْصَى وَلَا بِالْأَصْحَابِ

• بَعْدَ النَّبِيِّ صَاحِبُ الْكِتَابِ •

فنخسه عمر بمخصرة معه ، وقال : فأين أبو بكر !

حدثني عمر ، قال : حدثنا علي بن محمد ، عن محمد بن صالح ،
 عن عبد الملك بن نوفل بن مساحق ، قال : استعمل عمر عتبة بن أبي سفيان
 على كنانة ، فقدم معه بمال ، فقال : ما هذا يا عتبة ؟ قال : مال خرجت
 به معي وتجرت فيه ، قال : ومالك تخرج المال معك في هذا الوجه !
 فصيره في بيت المال . فلما قام عثمان قال لأبي سفيان : إن طلبت ما أخذ
 عمر من عتبة رددته عليه ، فقال أبو سفيان : إنك إن خالفت صاحبك
 قبلك سوء رأى الناس فيك ، إياك أن ترد على من كان قبلك ، فردد عليك
 من بعلك .

كتب إلى المروى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الربيع بن النعمان

وأبى المجالد جراد بن عمرو وأبى عثمان وأبى حارثة وأبى عمرو مولى إبراهيم بن طلحة ، عن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، قالوا : إنَّ هند ابنة عُتبة قامت إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فاستقرضته من بيت المال أربعة آلاف تنعجر فيها وتضمَّنهما ، فأقرضها ، فخرجت فيها إلى بلاد كُتَّاب ، فاشتريت وباعت ، فبلغها أنَّ أبا سفيان وعمرو بن أبى سفيان قد أتيا معاوية ، فعدلت ٢٧٦٧/١ إليه من بلاد كُتَّاب ، فأنت معاوية ، وكان أبو سفيان قد طلقها ، قال : ما أقدمك أى أمه ؟ قالت : النَّظَرُ إِيَّاكَ أى بنى ؛ إنه عمر ؛ وإنما يعمل لله ، وقد أتاك أبوك فخشيت أن تُخرج إليه من كلِّ شيء ، وأهل ذلك هو ؛ فلا يعلم الناس من أين أعطيتَه فيؤنَّبونك ويؤنَّبك عمر ، فلا يستقبلها أبداً ، فبعث إلى أبيه وإلى أخيه بمائة دينار ، وكساهما وحملهما ؛ فتعظَّمهما عمرو ؛ فقال أبو سفيان : لا تعظَّمهما ، فإنَّ هذا عطاء لم تغب عنه هند ، ومشورة قد حضرتها هند ، ورجعوا جميعاً ، فقال أبو سفيان لهند : أربحت ؟ فقالت : الله أعلم ، معى تجارة إلى المدينة . فلما أتت المدينة وباعت شكت الوضيعة ، فقال لها عمر : لو كان مالى لتركته لك ، ولكنه مال المسلمين ، وهذه مشورة لم يغيب عنها أبو سفيان ، فبعث إليه فحبسه حتى أوفته ، وقال لأبى سفيان : بكم أجازك معاوية ؟ فقال : بمائة دينار .

وحدثني عمر ، قال : حدثنا على ، عن مسلمة بن محارب ، عن خالد الحذاء ، عن عبد الله بن أبى صعصعة عن الأحنف ، قال : أتى عبد الله بن عمر عمر ؛ وهو يفرض للناس — واستشهد أبوه يوم حنين — فقال : يا أمير المؤمنين ، افرض لى ؛ فلم يلتفت إليه ، فنخسه ، فقال عمر : حس^(١) ! وأقبل عليه فقال : من أنت ؟ قال : عبد الله بن عمر ، قال : يا يرفأ ، أعطه مائة ، ٢٧٦٨/١ فأعطاه خمسمائة ، فلم يقبلها ، وقال : أمر لى أمير المؤمنين بمائة ، ورجع إلى عمر فأخبره ، فقال عمر : يا يرفأ ، أعطه مائة وحلته ، فأعطاه فلبس

(١) حس ، بالبناء على الكسر : كلمة من يفجؤه ما يحسه ويحرقه كالجمرة .

الحلة التي كساه عمر ، ورعى بما كان عليه ، فقال له عمر : يا بُنَيَّ ، خذ ثيابك هذه فتكون لمهنة أهلك ، وهذه لزينتك .

حدثني عمر ، قال : حدثنا علي ، قال حدثنا : أبو الوليد المكنى ، عن رجل من ولد طلحة ، عن ابن عباس ، قال : خرجت مع عمر في بعض أسفاره ، فإذا لنسير ليلة ، وقد دنوت منه ، إذ ضرب مقدّم رحله بسوطه ، وقال : كَذَبْتُمْ وَيَتَّيَّ اللَّهُ يُقْتَلُ أَحْمَدُ وَلَمَّا نَطَاعِن دُونَهُ وَنَنَاضِلُ^(١) وَنُسْلِمُهُ حَتَّى نَصْرَعَ حَوْلَهُ وَنَذْهَلَ عَنْ أَبْنَانِنَا وَالْحَلَالِ ثُمَّ قَالَ ، أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ، ثُمَّ سَارَ فَلَمْ يَتَكَلَّمْ قَلِيلًا ، ثُمَّ قَالَ :

وَمَا حَمَلْتُ مِنْ نَاقَةٍ فَوْقَ رَحْلِيهَا أَبْرٌّ وَأَوْفَى ذِمَّةً مِنْ مُحَمَّدٍ وَأَكْسَى لِبُرْدِ الْخَالِ قَبْلَ ابْتِدَالِهِ وَأَعْطَى لِرَأْسِ السَّابِقِ الْمُتَجَرِّدِ

ثم قال : أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ، يا بن عباس ، ما منع علياً من الخروج معنا ؟ قلت : لا أدرى ، قال : يا بن عباس ، أبوك عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنت ابن عمه ، فما منع قومكم منكم ؟ قلت : لا أدرى ، قال : لكني أدرى ، يكرهون ولا يتكلم لهم ! قلت : لم ، ونحن لهم كالخير ؟ قال : اللهم غفراً ، يكرهون أن تجتمع فيكم النبوة والخلافة ، فيكون يمحاً يمحاً^(٢) ، لعلكم تقولون : إن أبا بكر فعل ذلك ، لا والله ولكن أبا بكر أتى أحزم ما حضره ، ولو جعلها لكم ما نفعلكم مع قربكم ، أنشدني لشاعر الشعراء زهير قوله :

إِذَا ابْتَدَرْتُ قَيْسُ بْنُ عَيْلَانَ غَايَةً مِنْ الْمَجْدِ مَنْ يَسْبِقُ إِلَيْهَا يُسَوِّدُ^(٣)

فأنشدته وطلع الفجر ، فقال : اقرأ « الواقعة » ، فقرأتها ، ثم نزل فصلى ، وقرأ بالواقعة .

حدثني ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق . عن رجل ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال بينما عمر بن الخطاب

(١) البيتان من قصيدة لأبي طالب ، ديوانه ١١٠ مع اختلاف في الرواية .

(٢) البجج : التعاطف والفخر .

(٣) ديوانه ٢٣٤ .

رضى الله عنه وبعض أصحابه يتذاكرون الشعر ، فقال بعضهم : فلان أشعر ؛ وقال بعضهم : بل فلان أشعر ، قال : فأقبلت ، فقال عمر : قد جاءكم أعلم الناس بها ، فقال عمر : من شاعر الشعراء يابن عباس ؟ قال : فقلت : زهير بن أبي سلمى ، فقال عمر : هلم من شعره ما نستدل به على ما ذكرت ؛ فقلت : امتدح قوماً من بني عبد الله بن غطفان ، فقال :

لَوْ كَانَ يَفْعَدُ قَوْقُ الشَّمْسِ مِنْ كَرَمِ قَوْمٍ بِأَوْلِهِمْ أَوْ مَجْدِهِمْ قَعْدُوا^(١)
قَوْمٌ أَبُوهُمْ سِنَانٌ حِينَ تَنْسُبُهُمْ طَابُوا وَطَابَ مِنَ الْأَوْلَادِ مَا وَلَدُوا ٢٧٧٠/١
إِنْسٌ إِذَا أَمِنُوا ، جِنٌّ إِذَا فَرَعُوا مُرَزَّوْنَ بِهَا لَيْلٌ إِذَا حَشَدُوا
مَحْسَدُونَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ نِعَمٍ لَا يَنْزِعُ اللَّهُ مِنْهُمْ مَالَهُ حُسِدُوا

فقال عمر : أحسن ؛ وما أعلم أحداً أولى بهذا الشعر من هذا الحى من بنى هاشم ! لفضل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقربتهم منه ، فقلت : وفتت يا أمير المؤمنين ، ولم تزل موفقاً ، فقال : يابن عباس ، أتدرى ما منع قومكم منهم بعد محمد ؟ فكرهت أن أجيبه ، فقلت : إن لم أكن أدرى فأمر المؤمنين يُدبرني ، فقال عمر : كرهوا أن يجمعوا لكم النبوة والخلافة ، فنبجحوا^(٢) على قومكم بسجحاً يجحاً ، فاختارت قريش لأنفسها فأصابت ووفقت . فقلت : يا أمير المؤمنين ، إن تأذن لي في الكلام ، وتُعطى عنى الغضب تكلمت .

فقال : تكلم يابن عباس ، فقلت : أمّا قولك يا أمير المؤمنين : اختارت قريش لأنفسها فأصابت ووفقت ، فلو أن قريشاً اختارت لأنفسها حيث اختار الله عز وجل لها لكان الصواب بيدها غير مردود ولا محسود . وأمّا قولك : إنهم كرهوا أن تكون لنا النبوة والخلافة ، فإن الله عز وجل وصف قوماً بالكراهية فقال : ﴿ ذَلِكِ بَأْتَهُمْ كَرَهُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ۝ ﴾^(٣) . ٢٧٧١/١

فقال عمر : هيهات والله يابن عباس ! قد كانت تبلغنى عنك أشياء كنت أكره أن أقرّك^(٤) عنها ، فتزِيل^(٥) منزلتك منى ؛ فقلت : وما هى يا أمير المؤمنين ؟

(٢) يجح بالشئ : افتخر به .

(٤) فى ابن الأثير : « أقرّك » .

(١) ديوانه ٢٨٢

(٣) سورة محمد ٩ .

(٥) ابن الأثير : « لتزيل » .

فإن كانت حقاً فما ينبغي أن تزيل منزلتي منك ، وإن كانت باطلا فقتل أمارط الباطل عن نفسه ، فقال عمر : بلغني أنك تقول : إنما صرفوها عنا حسداً وظلماً ! فقلت : أمّا قولك يا أمير المؤمنين : ظلماً ؛ فقد تبين للجاهل والحليم ، وأمّا قولك : حسداً ، فإنّ إبليس حسد آدم ؛ فنحن ولده المحسودون ؛ فقال عمر : هيهات ! أبت والله قلوبكم يا بني هاشم إلاّ حسداً ما يحول ، وضغناً وغشاً ما يزول . فقلت : مهلاً يا أمير المؤمنين ؛ لا تصيف قلوب قوم أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً بالحسد والغش ، فإنّ قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم من قلوب بني هاشم . فقال عمر : إلیك عنی یابن عباس ، فقلت : أفعل ؛ فلما ذهبت لأقوم استحيا مني فقال : يابن عباس ، مكانك ، فوالله إنني لراعى لحقك ، محب لما سرك ؛ فقلت : يا أمير المؤمنين ، إن لي عليك حقاً وعلى كل مسلم ، فن حفظه فحفظه أصاب ، ومن أضاعه فحفظه أخطأ . ثم قام فضی .

حدثني أحمد بن عمرو ، قال : حدثنا يعقوب بن إسحاق الحضرمي ، قال : حدثنا عكرمة بن عمار ، عن إياس بن سلمة ، عن أبيه ، قال : مرّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه في السوق ومعه الدرة ، فحفظني بها خفقة ، فأصاب طرف ثوبي ، فقال : أميط عن الطريق ، فلما كان في العام المقبل لقيتني فقال : يا سلمة ، تريد الحج ؟ فقلت : نعم ، فأخذ بيدي ، فانطلق بي إلى منزله فأعطاني ستمائة درهم ، وقال : استعن بها على حجك ، واعلم أنها بالخفقة التي خفقتك ؛ قلت : يا أمير المؤمنين ما ذكرتها ! قال : وأنا ما نسيتها .

حدثني عبد الحميد بن بيان ، قال أخبرنا محمد بن يزيد ، عن إسماعيل ابن أبي خالد ، عن سلمة بن كهيل ، قال : قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أيها الرعية : إن لنا عليكم حقاً . النصيحة بالغيب ، والمعاونة على الخير ؛ إنه ليس من حلم أحب إلى الله ولا أعمّ نفعاً من حلم إمام ورفقه . أيها الرعية ؛ إنه ليس من جهل أبغض إلى الله ولا أعمّ شراً من جهل إمام وخرقه . أيها الرعية ، إنه من يأخذ بالعافية لمن بين ظهرانيه ، يؤتي الله العافية من فوه .

حدثني محمد بن إسحاق ، قال : حدثنا يحيى بن معين ، قال : حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا عيسى بن يزيد بن دأب ؛ عن عبد الرحمن ابن أبي زيد ، عن عمران بن سودة ، قال : صليت الصبح مع عمر ، فقراً : « سبحان » وسورة معها ، ثم انصرف وقمت معه ، فقال : أحاجة ؟ قلت : حاجة ، قال : فالحق ، قال : فلحقت ؛ فلما دخل أذن لي ؛ فإذا هو على سرير ليس فوقه شيء ، فقلت : نصيحة ، فقال : مرحباً بالناصح غدواً ١/٢٧٧٣ وعشيماً ؛ قلت : عابت أمتك منك أربعاً ، قال : فوضع رأس درته في ذفته ، ووضع أسفلها على فخذه ، ثم قال : هات ؛ قلت : ذكروا أنك حرمت العُمرة في أشهر الحج ، ولم يفعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر رضي الله عنه ؛ وهي حلال ، قال : هي حلال ، لو أنهم اعتمروا في أشهر الحج رأوها مجزية من حجهم ؛ فكانت قاتبة قوب عامها ، ففقر ع حجهم ^(١) ، وهو بهاء من بهاء الله ، وقد أصبت . قلت : وذكروا أنك حرمت متعة النساء وقد كانت رخصة من الله نستمتع بقُبضة ونفارق عن ثلاث . قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحلتها في زمان ضرورة ، ثم رجع الناس إلى السعة ، ثم لم أعلم أحداً من المسلمين عمل بها ولا عاد إليها ، فالآن من شاء نكح بقُبضة وفارق عن ثلاث بطلاق ، وقد أصبت . قال : قلت : وأعتقت الأمة أن وضعت ذا بطنها بغير عتاقة سيدها ، قال : ألحقت حرمة بحرمة ، وما أردت إلا الخير ، وأستغفر الله . قلت : وتشكروا منك نههر الرعية وعُنف السياق . قال : فشرع الدرّة ، ثم مسحها حتى أتى على آخرها ^(٢) ، ثم قال : أنا زميل محمد - وكان زامله في غزوة قرقرة الكُدَر - فوالله إنني لأرتع فأشبع ، وأسقى فأروى ، وأنهر اللّفوت ^(٣) ، وأزجر ^(٤) العَرَض ، وأذب

(١) قرع ؛ أي خلا من القوام به . قال الزمخشري : « القائب : البيضة المفرغة ، فاعلة بمعنى مفعولة ، من قبتها ، إذا فلقها قوباً . والقوب : الفرج ؛ ومنه المثل : « تبرأت قاتبة من قوب ، يعني أن مكة تخلو من الحجيج خلوا القاتبة » .

(٢) الفائق : « فوضع عود الدرّة ، ثم ذقن عليها » .

(٣) اللّفوت من التوق : الضجور التي تلتفت إلى حالها لتعضه فينهزها ؛ أي يدفعها ، وفي الفائق :

« يرد اللّفوت » .

(٤) الفائق : « وأضرب العَرَض » ، قال : هو الذي يأخذ يميناً وشمالاً ؛ حتى يرده إلى الطريق .

٢٧٧٤/١ قد رى ، وأسوق خَطْوَى ، وأضمّ العنود^(١) ، وألحق القَطُوف^(٢) ، وأكثِر الزَّجَر ، وأقلَّ الضرب ، وأشهر العصا^(٣) ؛ وأدفع باليد ؛ لولا ذلك لأغدرت^(٤) . قال : فبلغ ذلك معاوية ، فقال : كان والله عالماً برعيّتهم^(٥) .

حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا ابن عُلَيَّة ، عن ابن عون ، عن محمد ، قال : نُبِّئت أن عثمان قال : إنَّ عمر كان يمنع أهله وأقرباءه ابتغاء وجه الله ، وإنى أعطى أهلى وأقربائى ابتغاء وجه الله ، ولن يُلْقَى مثل عمر ثلاثة .

وحدثنى على بن سهل ، قال : حدثنا ضَمْرَةُ بن ربيعة ، عن عبد الله ابن أبى سليمان ، عن أبيه ، قال : قدمت المدينة ، فدخلت داراً من دُورِها ، فإذا عمر بن الخطاب رضى الله عنه عليه إزار قِطْرَى ، يدهنُ لإبل الصدقة بالقَطِران .

وحدثنا ابنُ بشار ، قال : حدثنا عبد الرحمن ، قال : حدثنا سُفْيَان ، عن حبيب ، عن أبى وائل ، قال : قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : لو استقبلتُ من أمرى ما استدبرت ، لأخذت فضولَ أموال الأغنياء ، فقسمتها على فقراء المهاجرين .

٢٧٧٥/١ وحدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا عبدُ الرحمن بن مهدي ، قال : حدثنا منصور بن أبى الأسود ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن الأسود بن يزيد ، قال : كان الوفد إذا قدِموا على عمر رضى الله عنه سألم عن أميرهم ، فيقولون خيراً ، فيقول : هل يعود مرضاكم ؟ فيقولون : نعم ؛ فيقول : هل يعود العبد ؟ فيقولون : نعم ، فيقول : كيف صنيعه بالضعيف ؟ هل يجلس على بابهِ ؟ فإن قالوا ليخصله منها : لا ، عزَّله .

(١) العنود : المائل عن السنن . (٢) القُطُوف : الدابة البطيخة السير .

(٣) يشهر العصا : أى يرفعها مرهباً بها .

(٤) لأغدرت : أى لغادرت الحق والصواب وقصرت في الإيالة ؛ وفى ط : «لأغذرت» ، تصحيف .

(٥) الخبر فى الفائق ١ : ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، مع اختلاف فى الرواية .

وحدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا الحكم بن بشير ، قال : حدثنا عمرو ، قال : كان عمر بن الخطاب يقول : أربع من أمر الإسلام لست مضيعهنّ ولا تاركهنّ لشيء أبدًا: القوة في مال الله وجمعه حتى إذا جمعه وضعناه حيث أمر الله ، وقعدنا آلَ عمر ليس في أيدينا ولا عندنا منه شيء . والمهاجرون الذين تحت ظلال السيوف ؛ ألاّ يحبسوا ولا يجمروا ، وأن يوفرّ فيء الله عليهم وعلى عيالاتهم ، وأكون أنا للعيال حتى يقدّموا . والأنصار الذين أعطوا الله عزّ وجلّ نصيباً ، وقاتلوا الناس كافة ؛ أن يقبل من محسنهم ، ويُسجّوا زعن مسيئهم ؛ وأن يُشاوروا في الأمر . والأعراب الذين هم أصل العرب ومادة الإسلام ؛ أن تؤخذ منهم صدقتهم على وجهها ، ولا يؤخذ منهم دينار ولا درهم ، وأن يرَدّ على فقرائهم ومساكينهم .

٢٧٧٦/١

كتب إلى العري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن ابن جرّيج ، عن نافع ، عن عبد الله بن عمر ، قال : قال عمر : إنّي لأعلم أنّ الناس لا يعدلون بهذين الرجلين اللذين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون نجياً بينهما وبين جبريل يتبلّغ عنه ويملّ عليهما .

* * *

قصة الشورى

حدثني عمر بن شبة ، قال : حدثنا عليّ بن محمد ، عن وكيع ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ومحمد بن عبد الله الأنصاريّ ، عن ابن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن شهر بن حوشب وأبي مخنف ، عن يوسف بن يزيد ، عن عباس بن سهل ومبارك بن فضالة ، عن عبيد الله بن عمر ويونس بن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون الأوديّ ؛ أنّ عمر بن الخطاب لما طُعِن قيل له : يا-أمير المؤمنين ؛ لو استخلفت ! قال : منّ استخلف ؟ لو كان أبو عبيدة بن الجراح حيّاً استخلفته ؛ فإن سألني ربّي قلت : سمعت نبيّك يقول : «لأنه أمين هذه الأمة» ، ولو كان سالم مولى أبي حذيفة حيّاً استخلفته ، ٢٧٧٧/١ فإن سألني ربّي قلت : سمعت نبيّك يقول : «إنّ سالمًا شديد الحبّ لله» . فقال

له رجل : أدلك عليه ؟ عبد الله بن عمر ، فقال : قاتلك الله ؛ والله ما أردت
الله بهذا ، ويحك ! كيف استخلف رجلاً عجز عن طلاق امرأته ! لا أرب
لنا في أموركم ، ما حديدتها فأرغب فيها لأحد من أهل بيتي ؛ إن كان خيراً
فقد أصبنا منه ، وإن كان شراً فشرعنا آل عمر ؛ بحسب آل عمر أن يحاسب
منهم رجل واحد ؛ ويسأل عن امرأة محمد ؛ أما لقد جهدت نفمي ، وحرمت
أهلي ؛ وإن نجوت كفافاً لا وزر ولا أجر إني لسعيد ؛ وأنظر فإن استخلفت
فقد استخلف من هو خير مني ، وإن أترك فقد ترك من هو خير مني ، ولن
يضيع الله دينه . فخرجوا ثم راحوا ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ؛ لو عهدت
عهداً ! فقال : قد كنت أجمعت بعد مقالتي لكم أن أنظر فأولّي رجلاً
أمركم ؛ هو أحرأكم أن يحملكم على الحق - وأشار إلى علي - ورهقني
غشية ، فرأيت رجلاً دخل جنة قد غرسها ، فجعل يقطف كل غصّة ويأنعه
فيضمه إليه ويصيره تحته ؛ فعلمت أن الله غالب أمره ، وموتف عمر ؛
فأريد أن أتحمّلها حياً وميتاً ؛ عليكم هؤلاء الرهط الذين قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : «لأنهم من أهل الجنة» ؛ سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل
منهم ؛ ولست مدخله ؛ ولكن الستة : علي وعثمان ابنا عبد مناف ، وعبد الرحمن
وسعد خلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والزبير بن العوام حوارى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وابن عمته ، وطلحة الخير بن عبيد الله ؛ فليختاروا منهم
رجلاً ؛ فإذا ولّوا والياً فأحسنوا مؤازرته وأعينوه ، إن ائتمن أحداً منكم فليؤد إليه
أمانته . وخرجوا ، فقال العباس لعلّ : لا تلخل معهم ، قال ^(١) : أكره
الخلاف ، قال : إذا ترى ما تكره ! فلما أصبح عمر دعا علياً وعثمان وسعداً
وعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام ، فقال : إنني نظرت فوجدتكم رؤساء
الناس وقادتهم ؛ ولا يكون هذا الأمر إلا فيكم ؛ وقد قبض رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم وهو عنكم راض ؛ إنني لا أخاف الناس عليكم إن استقمتم ؛
ولكنني أخاف عليكم اختلافكم فيما بينكم ، فيختلف الناس ، فانهمضوا إلى
حُجْرَة عائشة بإذنٍ منها ، فتشاوروا واختاروا رجلاً منكم . ثم قال : لا تدخلوا

٢٧٧٨/١

(١) بعدما في ف : « فاني » ، وفي ابن الأثير : « إني » .

حجرة عائشة ؛ ولكن كونوا قريباً ، ووضع رأسه وقد نَزَفَه الدم .

فدخلوا فتناجوا ، ثم ارتفعت أصواتهم ، فقال عبد الله بن عمر : سبحان الله ! إن أمير المؤمنين لم يمُتْ بعد ؛ فأسمعه فانتبه فقال : ألا أعرضوا عن هذا أجمعون ؛ فإذا متُ فتشاوروا ثلاثة أيام ، وليصل بالناس صهيب ، ولا يأتين اليوم الرابع إلا وعليكم أمير منكم ؛ ويحضر عبد الله بن عمر مشيراً ، ولا شيء له من الأمر ؛ وطلحة شريككم في الأمر ؛ فإن قدم في الأيام الثلاثة فأحضره أمركم ؛ وإن مَضَتِ الأيام الثلاثة قبل قدومه فاقضوا أمركم ، ومن لي بطلحة ؟ فقال سعد بن أبي وقاص : أنا لك به ؛ ولا يخالف إن شاء الله . فقال عمر : أرجو ألا يخالف إن شاء الله ؛ وما أظن أن يلي إلا أحد هذين الرجلين : علي أو عثمان ؛ فإن ولي عثمان فرجل فيه لين ، وإن ولي علي ففيه دُعابة ، وأحذر به أن يحملهم على طريق الحق ؛ وإن تولوا سعداً فأهلها هو ؛ وإلا فليستعن به الولي ، فإنني لم أعزله عن خيانه ولا ضعف ؛ ونعم ذو الرأي عبد الرحمن بن عوف ! مسدّد رشيد ، له من الله حافظ ، فاسمعوا منه .

وقال لأبي طلحة الأنصاري : يا أبا طلحة ، إن الله عز وجل طالما أعزّ الإسلام بكم ، فاختر خمسين رجلاً من الأنصار ؛ فاستحيث هؤلاء الرّهط حتى يختاروا رجلاً منهم . وقال للمقداد بن الأسود : إذا وضعتُموني في حفرتي فاجمع هؤلاء الرّهط في بيت حتى يختاروا رجلاً منهم ، وقال لصهيب : صل بالناس ثلاثة أيام ، وأدخل علياً وعثمان والزبير وسعداً وعبد الرحمن بن عوف وطلحة إن قدم ؛ وأحضر عبد الله بن عمر ولا شيء له من الأمر ؛ وقم على رؤوسهم ، فإن اجتمع خمسة ورضوا رجلاً وأبى واحد فاشدخ رأسه — أو اضرب رأسه بالسيف — وإن اتفق أربعة فرضوا رجلاً منهم وأبى اثنان ، فاضرب رؤوسهما ، فإن رضى ثلاثة رجلاً منهم وثلاثة رجلاً منهم ، فحكموا عبد الله ابن عمر ؛ فأبى الفريقين حكم له فليختاروا رجلاً منهم ؛ فإن لم يرضوا بحكم عبد الله بن عمر فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف ، واقتلوا الباقيين إن رغبوا عما اجتمع عليه الناس .

فخرجوا ، فقال علي لقوم كانوا معه من بني هاشم : إن أطيع فيكم قومكم لم تؤمروا أبداً . وتلقاه العباس ، فقال : عدلت عنتاً ! فقال : وما علمك ؟

قال : قرن بى عثمان ، وقال : كونوا مع الأكثر ، فإن رضى رجلان رجلا ، ورجلان رجلا فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف ؛ فسعد لا يخالف ابن عمه عبد الرحمن ؛ وعبد الرحمن صهر عثمان ؛ لا يختلفون ، فيوليها عبد الرحمن عثمان ، أو يوليها عثمان عبد الرحمن ؛ فلو كان الآخران معى لم ينفعانى ؛ بله إنى لا أرجو إلا أحدهما . فقال له العباس : لم أرفعك فى شيء إلا رجعت إلى مستأخرا بما أكره ؛ أشرت عليك عند وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تسأله فيمن هذا الأمر ؛ فأبيت ، وأشرت عليك بعد وفاته أن تعاجل الأمر فأبيت ، وأشرت عليك حين سمالك عمر فى الشورى ألا تدخل معهم فأبيت ؛ احفظ عني واحدة ؛ كلما عرض عليك القوم ، فقل : لا ، إلا أن يولوك ؛ واحذر هؤلاء الرهط ، فإنهم لا يبرحون يدفعوننا عن هذا الأمر حتى يقوم لنا به غيرنا ، وإيم الله لا يناله ^(١) إلا بشر لا ينفع معه خير . فقال على : أما لئن بقى عثمان لأذكرنه ما أتى ولئن مات لستداولنها بينهم ، ولئن فعلوا ليجلنى ^(٢) حيث يكرهون ؛ ثم تمثل :

٢٧٨١/١

حَلَفْتُ بِرَبِّ الرَّاقِصَاتِ عَشِيَّةً غَدَوْنَ خِفَافًا فَاِتَدَرْنَ الْمُحَصَّبَا
لِيَخْتَلَيْنَ رَهْطُ ابْنِ يَمْرُ مَارِيًا نَجِيْعًا بَنُو الشَّدَاخِ وَرَدَا مُصْلَبَا
والفتى فرأى أبا طلحة فكره مكانه ، فقال أبو طلحة : لم تُرْعَ
أبا الحسن . فلما مات عمر وأخرجت جنازته ، تصدى على عثمان : أيهما يصلى عليه ، فقال عبد الرحمن : كلا كما يحب الإمرة ، لستما من هذا فى شيء ، هذا إلى صهيب ، استخلفه عمر ، يصلى بالناس ثلاثا حتى يجتمع الناس على إمام . فصلى عليه صهيب ، فلما دفن عمر جمع المقداد أهل الشورى فى بيت المسور بن مخرمة - ويقال فى بيت المال ، ويقال فى حجرة عائشة بإذنهما - وهم خمسة ، معهم ابن عمر ، وطلحة غائب ؛ وأمروا أبا طلحة أن يحجبهم ، وجاء عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة فجلسا بالباب ، فحصبهما سعد وأقامهما ، وقال : تريدان أن تقولا : حضرننا وكنا فى أهل الشورى ! فتنافس القوم فى الأمر ؛ وكثر بينهم الكلام ؛ فقال أبو طلحة : أنا كنت

٢٧٨٢/١

(١) ف : « لا تناله » . (٢) ابن الأثير : « لتجلنى » .

لأنّ تدفعوها أخوف منّي لأن تنافسوها ! لا والذى ذهب بنفس عمر ؛
لا أزيدكم على الأيتام الثلاثة التى أمرتم ، ثم أجلس فى بيتي ؛ فأنظر ماتصنعون !
فقال عبد الرحمن : أيكم يخرج منها نفسه ويتقلدها على أن يوليها أفضلكم ؟
فلم يجبه أحد ، فقال : فأنا أنخلع منها ؛ فقال عثمان : أنا أول من رضى ، فلانى
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أمين فى الأرض أمين فى السماء » ،
فقال القوم : قد رضينا - وعلى ساكت - فقال : ما تقول يا أبا الحسن ؟
قال : أعطيتى موثقاً لتؤثرن الحق ولا تتبع الهوى ، ولا تخصص ذا رحم ،
ولا تألوا الأمة ! فقال : أعطونى موثيقكم على أن تكونوا معى على من بدّل
وغير ، وأن ترضوا من اخترت لكم ، على ميثاق الله ألا أخصّ ذارحيم لرحمه ،
ولا آلو المسلمين . فأخذ منهم ميثاقاً وأعطاهم مثله ، فقال لعلى ، إنك تقول : إني
أحقّ من حضر بالأمر لقربتك وسابقتك وحسن أثرك فى الدّين ولم تبعد ؛
ولكن أرايت لو صرف هذا الأمر عنك فلم تحضر ، من كنت ترى من هؤلاء
الرهط أحقّ بالأمر ؟ قال : عثمان . وخلا بعثمان ؛ فقال : تقول : شيخ
من بنى عبد مناف ؛ وصهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمه ، لى سابقة
وفضّل - لم تبعد - فلن يصرف هذا الأمر عني ، ولكن لو لم تحضر فأى هؤلاء
الرهط تراه أحقّ به ؟ قال : على . ثم خلا بالزبير ، فكلمه بمثل ما كلم
به علياً وعثمان ؛ فقال : عثمان . ثم خلا بسعد ، فكلمه ، فقال : عثمان . فلقى
على سعداً ، فقال : ﴿ واتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ
رَقِيباً ﴾ ^(١) ، أسألك برحيم ابني هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وبرحيم عمي حمزة منك ألا تكون مع عبد الرحمن لعثمان ظهيراً على ؛ فلانى
أدلى بما لا يدلى به عثمان . ودار عبد الرحمن ليايته يلتقى أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومن وافى المدينة من أمراء الأجناد وأشراف الناس ،
بشاورهم ، ولا يخلو برجل إلا أمره بعثمان ؛ حتى إذا كانت الليلة التى يستكمل
فى صبيحتها الأجل ، أتى منزل المسور بن مخرمة بعد ابهيرار ^(٢) من الليل ؛

(١) سورة النساء ١

(٢) ابهيرار الليل : طلوع نجومه إذا تامت واستنارت .

فأيقظه فقال: ألا أراك نائمًا ولم أذق في هذه الليلة كثير غمض^(١) ! انطلق فادعُ الزبير وسعداً .

فدعاهما فبدأ بالزبير في مؤخر المسجد في الصُّفَّة التي تلي دار مروان ، فقال له : خلّ ابني عبد مناف وهذا الأمر ، قال : نصيبي لعلّي ، وقال لسعد : أنا وأنت كلالَة ، فاجعل نصيبك لي فأختار ، قال : إن اخترت نفسك فنعم ، وإن اخترت عثمان فعلى أحبّ إليّ ؛ أيها الرجل بايع لنفسك وأريحنا ، وارفع رءوسنا ، قال : يا أبا إسحاق ؛ إني قد خلعت نفسي منها على أن أختار ، ولو لم أفعل وجعل الخيار لي لم أردّها ، إني أريت كروضة خضراء كثيرة العُشْب ، فدخل فحلّ فلم أر فحلاً قطّ أكرم منه ، فرّ كأنه سهم لا يلتفت إلى شيء مما في الروضة حتى قطعها ، لم يعرج . ودخل بغير يتلوه فاتّبع أثره حتى خرج من الروضة ، ثم دخل فحلّ عبقرى يجرّ خطامه ، يلتفت يمينا وشمالا ويمضي قصّص الأولين حتى خرج ، ثم دخل بغير رابع فرتّع في الروضة ؛ ولا والله لا أكون الرابع ؛ ولا يقوم مقام أبي بكر وعمر بعدهما أحدٌ فيرضى الناس عنه . قال سعد : فإني أخاف أن يكون الضّعف قد أدركك ، فامض لرأيتك ؛ فقد عرفت عهد عمر . وانصرف الزبير وسعد ؛ وأرسل الميسور بن محزمة إلى عليّ ، فواجه طويلاً ؛ وهو لا يشكّ أنه صاحب الأمر ، ثم نهض ؛ وأرسل الميسور إلى عثمان . فكان في نجيتهما ؛ حتى فرّق بينهما أذان الصبح . فقال عمرو بن ميمون : قال لي عبد الله بن عمر : يا عمرو ، من أخبرك أنه يعلم ما كلّم به عبد الرحمن بن عوف عليّاً وعثمان فقد قال بغير علم ؛ فوقع قضاء ربك على عثمان . فلما صلوا الصبح جمع الرهط ، وبعث إلى من حضره من المهاجرين وأهل السابقة والفضل من الأنصار ، وإلى أمراء الأجناد ، فاجتمعوا حتى التجّ المسجد بأهله ، فقال : أيّها الناس ، إن الناس قد أحبّوا أن يلحق أهل الأمصار بأمصارهم وقد علموا من أميرهم . فقال سعيد بن زيد : إنّا نراك لها أهلاً ، فقال : أشيروا عليّ بغير هذا ، فقال عمار : إن أردت ألا يختلف المسلمون فبايع عليّاً . فقال المقداد بن الأسود : صدق عمار ؛ إن بايعت عليّاً قلنا : سمعنا

٢٧٨٥/١

وأطعنا . قال ابنُ أبي سرح : إن أردتُ ألاّ تختلف قريش فبايع عثمان . فقال عبد الله بن أبي ربيعة : صدق ؛ إن بايعتُ عثمان قلنا : سمعنا وأطعنا . فشقَّ عمار ابن أبي سرح ، وقال : متى كنت تنصح المسلمين !

فتكلم بنو هاشم وبنو أمية ، فقال عمار : أيُّها الناس ؛ إن الله عز وجل أكرمنا بنبيه ، وأعزنا بدينه ، فأنى تصرفون هذا الأمر عن أهل بيت نبيكم ! فقال رجل من بني مخزوم : لقد عدوتُ طورك يا بن سمية ؛ وما أنت وتأمير قريش لأنفسها ! فقال سعد بن أبي وقاص : يا عبد الرحمن ، افرغ قبل أن يفتن الناس ، فقال عبد الرحمن : إني قد نظرتُ وشاورتُ ، فلا تجعلُنَّ أيُّها الرهط على أنفسكم سبيلا . ودعا علياً ، فقال : عليك عهد الله وميثاقه لتعمسكن بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخليفين من بعده ؟ قال : أرجو أن أفعل وأعمل بمبلغ علمي وطاقي ؛ ودعا عثمان فقال له مثل ما قال لعلي ، قال : نعم ، فبايعه ، فقال علي : حبوته حبو دهر ؛ ليس هذا أول يوم تظاهرتُم فيه علينا ؛ فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ؛ والله ما وليتُ عثمان إلا ليرد الأمر إليك ؛ والله كل يوم هو في شأن ؛ فقال عبد الرحمن : يا علي لا تجعل على نفسك سبيلا ؛ فإني قد نظرتُ وشاورتُ الناس ؛ فإذا هم لا يعدلون بعمان . فخرج علي وهو يقول : سيبليغ الكتاب أجله . فقال المقداد : يا عبد الرحمن ، أما والله لقد تركته من الذين يقضون بالحق وبه يعدلون . فقال : يامقداد ؛ والله لقد اجتهدتُ المسلمين ؛ قال : إن كنت أردتُ بذلك الله فأثابك الله ثواب المحسنين . فقال المقداد : ما رأيتُ مثل ما أوتى إلى أهل هذا البيت بعد نبيهم . إني لأعجب من قريش أنهم تركوا رجلاً ما أقول إن أحداً أعلم ولا أقضى منه بالعدل ؛ أما والله لو أجد عليه أعواناً ! فقال عبد الرحمن : يا مقداد ؛ اتق الله ؛ فإني خائف عليك الفتنة ، فقال رجل للمقداد : رحمك الله ! من أهل هذا البيت وسن هذا الرجل ؟ قال : أهل البيت بنو عبد المطلب ، والرجل علي بن أبي طالب . فقال علي : إن الناس ينظرون إلى قريش ، وقريش تنظر إلى بيتها فتقول : إن وُلّيتُ عليكم بنو هاشم لم تخرج منهم أبداً ، وما كانت في غيرهم من قريش تداولتموها بينكم . وقدم طلحة في اليوم الذي بويع

فيه لعثمان ، فقيل له : بايع عثمان ، فقال : أكل قريش راض به ؟ قال : نعم ، فأق عثمان فقال له عثمان : أنت على رأس أمرك ، إن أبيت رددتها ، قال : أتردّها ؟ قال : نعم ؛ قال : أكل الناس بايعوك ؟ قال : نعم ، قال : قد رضيت ؛ لا أرغب عما قد أجمعوا عليه ، وبايعه .

وقال المغيرة بن شعبة لعبد الرحمن : يا أبا محمد ، قد أصبت إذ بايعت عثمان ! وقال لعثمان : لو بايع عبد الرحمن غيرك ما رضينا ، فقال عبد الرحمن : كذبت يا أعور ؛ لو بايعت غيره لبايعته ، ولقلت هذه المقالة .

وقال الفرزدق ؛

صَلَّى صُهَيْبٌ ثَلَاثًا ثُمَّ أَرْسَلَهَا عَلَى ابْنِ عَفَّانٍ مُلْكًا غَيْرَ مَقْصُورٍ
خِلَافَةً مِنْ أَبِي بَكْرٍ لَصَاحِبِهِ كَانُوا أَخِلَاءَ مَهْدِيٍّ وَمَأْمُورٍ

وكان المِسْوَر بن مخزومة يقول : ما رأيت رجلاً بذّ قومًا فيما دخلوا فيه بأشدّ مما بذّهم عبد الرحمن بن عوف .

٢٧٨٨/١

• • •

قال أبو جعفر : وأما المِسْوَر بن مخزومة ، فإنّ الرواية عندنا عنه ما حدثني سلم بن جندادة أبو السائب ، قال : حدثنا سليمان بن عبد العزيز ابن أبي ثابت بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف ، قال : حدثنا أبي ، عن عبد الله بن جعفر ، عن أبيه ، عن المِسْوَر بن مخزومة - وكانت أمه عاتكة ابنة عوف - في الخبر الذي قد مضى ذكرى أوله في مقتل عمر بن الخطّاب ؛ قال : ونزل في قبره - يعني في قبر عمر - الخمسة ، يعني أهل الشورى . قال : ثم خرجوا يريدون بيوتهم ؛ فناداهم عبد الرحمن : إلى أين ؟ هلمّوا ! فتبعوه . وخرج حتى دخل بيت فاطمة ابنة قيس الفهريّة ، أنحت الضحّاك بن قيس الفهريّ - قال بعض أهل العلم : بل كانت زوجته ؛ وكانت نسجوداً ، يريد ذات رأي - قال : فبدأ عبد الرحمن بالكلام ، فقال : يا هؤلاء ؛ إنّ عندي رأياً ؛ وإنّ لكم نظراً ؛ فاسمعوا تعلّموا ، وأجيبوا

تفقهوا ؛ فإن حايباً خيراً من زاهق^(١) ؛ وإن جرعة من شرّوب^(٢) بارد أنفع من عذب مُسوّب^(٣) ؛ أنتم أئمة يهتدى بكم ؛ وعلماء يصدر إليكم ؛ ٢٧٨٩/١
فلا تقلّدوا المدّى بالاختلاف بينكم ، ولا تُغمّدوا السيوف عن أعدائكم ؛ فتؤثروا ثأركم ، وتؤثّلوا^(٤) أعمالكم ؛ لكلّ أجل كتاب ؛ ولكل بيت إمام بأمره يقومون ، وبنيه يترعون . قلّدوا أمركم واحداً منكم تمشوا الهوينى وتلحقوا الطلب ؛ لولا فتنة عمياء ، وضلالة حياء ؛ يقول أهلها ما يرون ، وتحلّهم الحسبوس كسرى^(٥) . ما عدت نياتكم معرفتكم ، ولا أعمالكم نياتكم . احلّروا نصيحة الهوى ، ولسان الفرقة ؛ فإن الحيلة في المنطق أبلغ من السيوف في الكلم ؛ علّقوا أمركم رَحْبَ الذراع فيما حلّ ، مأمون الغيب فيما نزل ، رضاً منكم وكلّكم رضاً ، ومقرّعاً منكم وكلّكم منتهى ، لا تطيعوا مفسداً ينتصح ؛ ولا تخالفوا مرشداً ينتصر ؛ أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم^(٦) .

ثم تكلم عثمان بن عفان ، فقال : الحمد لله الذي اتخذ محمداً نبياً ، وبعثه رسولاً ، صدقه وعده ، ووهب له نصره على كلّ من بعد نسباً ، أقرب رَحِمًا ؛ ٢٧٩٠/١
صلى الله عليه وسلم ؛ جعلنا الله له تابعين وبأمره مهتدين ؛ فهو لنا نور ؛ ونحن بأمره نقوم ، عند تفرّق الأهواء ؛ ومجادلة الأعداء ؛ جعلنا الله بفضلّه أئمة وبطاعته أمراء ، لا يخرج أمرنا منّا ، ولا يخل علينا غيرنا إلا من سفّه الحق ؛ ونكّل عن القصد ، وأحربها يابن عوف أن تترك ، وأحذر^(٧) بها أن تكون إن خولف أمرك وترك دعاؤك ؛ فأنا أوّل مجيب لك ، وداعٍ إليك ، وكفيل بما أقول زعيم ؛ وأستغفر الله لي ولكم .

ثم تكلم الزبير بن العوام بعده ، فقال : أمّا بعد ؛ فإن داعي الله لا يجهل ، وجيبه لا يخذل ، عند تفرّق الأهواء وليّ الأعناق ؛ ولن يقصّر عما قلت إلا غوى ،

(١) قال الزمخشري : « ضربة الحاي ؛ وهو السهم الذي يزلج على الأرض ، ثم يصيب الهدف . والزاهق هو الذي يجاوزه ؛ من زهق الفرس إذا تقدم الخيل ؛ جعله مثلاً لوال ضعيف ينال الحق أو بعضه ، ولاخر يجاوز الحق ويتخطاه » . (٢) الشرّوب : الماء الملح الذي لا يشرب إلا عند الضرورة .

(٣) العذب الموي : هو الذي يورث وباء ؛ قال الزمخشري : « ضربه مثلاً لرجلين ؛ أحدهما أدون

وأفنع ، والثاني أرفع وأضر » . (٤) وتؤلثوا أعمالكم ، أى تنقصوها ، وانظر في اللسان .

(٥) الحبوب كرى : الداهية . (٦) الخبر في الفائق ١ : ٢٣٢ مع اختلاف في الرواية .

(٧) كذا في النويري ، وفي ط : « أحذر » .

ولن يترك ما دعوت إليه إلا شقيّ ، لولا حدود الله فرضت ؛ وفرائض الله حدثت ؛ تراخ على أهلها ؛ وتحيا لا تموت ؛ لكان الموت من الإمارة نجاة ، والفرار من الولاية عصمة ؛ ولكن الله علينا إجابة الدعوة ، وإظهار السنة ؛ لئلا نموت ميتة عمية ؛ ولا نعلمى عى جاهلية ؛ فأنا مجيبك إلى ما دعوت ، ومعينك على ما أمرت ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وأستغفر الله لى ولكم .

ثم تكلم سعد بن أبى وقاص ، فقال : الحمد لله بديئاً كان ، وآخرأ يعود ، أحمدته لما نجاتى من الضلالة ، وبصرنى من الغواية ، فبهدى الله فاز من نجا ، وبرحمته أفلح من زكا ، وبمحمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم أنارت الطرق ، واستقامت السبل ، وظهر كل حق ، ومات كل باطل ؛ إياكم أيها النفر وقول الزور ، وأمنية أهل الغرور ، فقد سلبت الأمانى قوماً قبلكم ورثوا ما ورثتم ، ونالوا ما نلتهم ؛ فاتخذهم الله عدواً ، ولعنهم لعناً كبيراً . قال الله عز وجل : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ ^(١) . إننى نكبت قترى ^(٢) فأخذت سهمى الفالج ، وأخذت لطلحة بن عبيد الله ما ارتضيت لنفسى ؛ فأنا به كفيل ، وبما أعطيت عنه زعيم ، والأمر إليك يا بن عوف ؛ يجهد النفس ، وقصد النصيح ، وعلى الله قصد السبيل ، وإليه الرجوع ، وأستغفر الله لى ولكم ؛ وأعوذ بالله من مخالفتكم .

ثم تكلم على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه ؛ فقال : الحمد لله الذى بعث محمداً منّا نبياً ، وبعثه إلينا رسولا ، فنحن بيت النبوة ، ومعدن الحكمة ؛ وأمان أهل الأرض ، ونجاة لمن طلب ، لنا حق إن نعطه نأخذه ؛ وإن تمنعه نركب أعجاز الإبل ولو طال السرى ؛ لو عهد إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم عهداً لأنفذنا عهده ؛ ولو قال لنا قولاً لجادلنا عليه حتى نموت . لن يسرع أحد قبلى إلى دعوة حق وصلة رحم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله

٢٧٩٢/١

(٢) القرن هنا : الجبة ، ونكبت قرنه ، أى

(١) سورة المائدة ٧٨ ، ٧٩

نثر ما فيه من السهام . زانظر اللسان (نكبت ، قرن) .

اسمعوا كلامي ، وعوا منطقي ؛ عمي أن تروا هذا الأمر من بعد هذا المجمع .
تُتَضَيّ فيه السيوف ، وتُخَان فيه العهود ؛ حتى تكونوا جماعة ، ويكون بعضكم
أئمة لأهل الضلالة ، وشيعة لأهل الجهالة ، ثم أنشأ يقول :

فَإِنْ تَكُ جَاسِمٌ هَلَكْتُ فَإِنِّي بِمَا فَعَلْتُ بَنُو عَبْدِ بْنِ ضَخْمٍ
مُطِيعٌ فِي الْمَوَاجِرِ كُلِّ عَمْرٍ بَصِيرٌ بِالتَّوَيِّ مِنْ كُلِّ نَجْمٍ

فقال عبد الرحمن : أبكم يطيب نفساً أن يخرج نفسه من هذا الأمر
ويوليّه غيره ؟ قال : فأمسكوا عنه ، قال : فإني أخرج نفسي وابن عمي ،
فقلده القوم الأمر ، وأحلفهم عند المنبر ؛ فحلفوا ليّابعين مَنّ بايع ، وإن
بايع يباحدي يديه الأخرى . فأقام ثلاثاً في داره التي عند المسجد التي يقال
لها اليوم رحبة القضاء — وبذلك سميت رحبة القضاء — فأقام ثلاثاً يصلّي
بالناس صهيّب .

قال : وبعث عبد الرحمن إلى عليّ ، فقال له : إن لم أبايعك فأشر عليّ ؛
فقال : عثمان ، ثم بعث إلى عثمان ، فقال : إن لم أبايعك ، فمن تشير عليّ ؟
قال : عليّ ، ثم قال لهما : انصرفا . فدعا الزبير ، فقال : إن لم أبايعك ؛
فمن تشير عليّ ، قال : عثمان ، ثم دعا سعداً ، فقال : مَنّ تشير عليّ ؟
فأما أنا وأنت فلا نريدها ، فمن تشير عليّ ؟ قال : عثمان . فلما كانت الليلة
الثالثة ، قال : يا مسرور ، قلت : لبّيك ، قال : إنك لنا ثم ؛ والله ما اكتملت ٢٧٩٣/١
بغماض منذ ثلاث^(١) . اذهب فادع لي عليّاً وعثمان ؛ قال : قلت : يا خال ، بأيّهما
أبدأ ؟ قال : بأيّهما شئت ، قال : فخرجت فأتيت عليّاً — وكان هواي فيه —
فقلت : أجب خالي ، فقال : بعثك معي إلى غيري ؟ قلت : نعم ؛ قال : إلى
من ؟ قلت : إلى عثمان ، قال : فأبينا أمرك أن تبدأ به ؟ قلت : قد سألته
فقال : بأيّهما شئت ، فبدأت بك ، وكان هواي فيك . قال : فخرج معي
حتى أتينا المقاعد ، فجلس عليها عليّ ، ودخلت علي عثمان فوجدته يوتر مع
الفجر ، فقلت : أجب خالي ، فقال : بعثك معي إلى غيري ؟ قلت : نعم ،
إلى عليّ ، قال : بأبينا أمرك أن تبدأ ؟ قلت : سألته فقال : بأيّهما شئت ؛

وهذا علىّ على المقاعد ، فخرج معي حتى دخلنا جميعاً على خالي وهو في القبلة قائم يصلّي ، فانصرف لما رأانا ، ثم التفت إلى عليّ وعثمان ، فقال : إنّي قد سألت عنكما وعن غيركما ، فلم أجد الناس يعدلون بكما ، هل أنت يا عليّ مبايعي على كتاب الله وسنة نبيّه وفعل أبي بكر وعمر ؟ فقال : اللهم لا ، ولكن على جهدي من ذلك وطاقي . فالتفت إلى عثمان ، فقال : هل أنت مبايعي على كتاب الله وسنة نبيّه وفعل أبي بكر وعمر ؟ قال : اللهم نعم ، فأشار بيده إلى كتفيه ، وقال : إذا شئنا! فنهضنا حتى دخلنا المسجد ، وصاح صائح : الصلاة جامعة — قال عثمان : فتأخّرت والله حياء لما رأيت من إسرعه إلى عليّ ؛ فكنت في آخر المسجد — قال : وخرج عبد الرحمن بن عوف وعليه عمامته التي عمّمه بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، متقلداً سيفه ؛ حتى ركب المنبر ، فوقف وقوفاً طويلاً ، ثم دعا بما لم يسمعه الناس . ثم تكلم ، فقال : أيّها الناس ؛ إني قد سألتكم سرّاً وجهراً عن إمامكم ؛ فلم أجدكم تعدلون بأحد هذين الرجلين : إما عليّ وإما عثمان ؛ فقم إلى يا عليّ ، فقام إليه عليّ ، فوقف تحت المنبر ؛ فأخذ عبد الرحمن بيده ، فقال : هل أنت مبايعي على كتاب الله وسنة نبيّه وفعل أبي بكر وعمر ؟ قال : اللهم لا ؛ ولكن على جهدي من ذلك وطاقي ؛ قال : فأرسل يده ثم نادى : قم إلى يا عثمان ؛ فأخذ بيده — وهو في موقف عليّ الذي كان فيه — فقال : هل أنت مبايعي على كتاب الله وسنة نبيّه وفعل أبي بكر وعمر ؟ قال : اللهم نعم ؛ قال : فرفع رأسه إلى سقف المسجد ، ويده في يد عثمان ، ثم قال : اللهم اسمع واشهد ؛ اللهم إنّي قد جعلت ما في رقبتي من ذاك في رقبة عثمان . قال : وازدحم الناس يبايعون عثمان حتى غشوه عند المنبر ، فقعد عبد الرحمن مقعد النبي صلى الله عليه وسلم من المنبر ، وأقعد عثمان على الدرجة الثانية ، فجعل الناس يبايعونه ، وتلكأ عليّ ، فقال عبد الرحمن : ﴿ فَمَنْ نَكْتَفِئْنَا بِنِكَتِهِ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَسِيئَتِهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ ^(١) ؛ فرجع عليّ يشق ^(٢) الناس ؛ حتى بايع وهو يقول :

٢٧٩٤/١

٢٧٩٥/١

(١) سورة الفتح ١٠ .

(٢) التورى : « شق » .

خَدَعَة وَأَيَّمَا خَدَعَة !

قال عبد العزيز : وإنما سبب قول عليّ : « خَدَعَة » ؛ أن عمرو بن العاص كان قد لقي عليّاً في ليالى الشورى ، فقال : إن عبد الرحمن رجل مجتهد ، وإنه متى أعطيتَه العزيمة كان أزهّدَ له فيك ؛ ولكن الجهد والطاقة ؛ فإنه أرغبُ له فيك . قال : ثم لقي عثمان ، فقال : إن عبد الرحمن رجل مجتهد ؛ وليس والله يبايعك إلاّ بالعزيمة ، فاقبل ؛ فلذلك قال عليّ : « خَدَعَة » . قال : ثم انصرف بعثمان إلى بيت فاطمة ابنة قيس ، فجلس والناس معه ، فقام المغيرة بن شعبة خطيباً ، فقال : يا أبا محمد ، الحمد لله الذى وفّقك ؛ والله ما كان لها غير عثمان — وعلىّ جالس — فقال عبدالرحمن : يا بن الدّباغ ؛ ما أنت وذاك ! والله ما كنت أباع أحداً إلاّ قلت فيه هذه المقالة !

قال : ثم جلس عثمان في جانب المسجد ؛ ودعا بعبيد الله بن عمر — وكان محبوساً في دار سعد بن أبي وقاص ، وهو الذى نزع السيف من يده بعد قتله جُفينة والهزمزان وابنة أبي لؤلؤة ، وكان يقول : والله لأقتلن رجلاً من شرك في دم أبي — يعرض بالمهاجرين والأنصار — فقام إليه سعد ، فترع السيف من يده ؛ وجذب^(١) شعره حتى أضجعه إلى الأرض ، وحبسه في داره حتى أخرجه عثمان إليه ؛ فقال عثمان لجماعة من المهاجرين والأنصار : أشيروا عليّ في هذا الذى فتق في الإسلام ما فتق ، فقال عليّ : أرى أن تقتله ، فقال بعض المهاجرين : قتل عمر أمس^(٢) ويقتل ابنه اليوم ! فقال عمرو بن العاص : يا أمير المؤمنين ؛ إن الله قد أعفأك أن يكون هذا الحدّث كان ولك على المسلمين سلطان ؛ إنما كان هذا الحدّث ولا سلطان لك ؛ قال عثمان : أنا وليّهم ، وقد جعلتها ديةً ، واحتملتها في مالى .

قال : وكان رجل من الأنصار يقال له زياد بن لبيد البياضى إذا رأى عبيد الله بن عمر ، قال :

أَلَا يَا عبيدَ الله مالك مهربٌ ولا ملجأً من ابنِ أروى ولا خفرٌ

(١) ف : « جبذ » .

(٢) ف وابن كثير : « بالأمس » .

أَصْبَتْ دَمًا وَاللَّهُ فِي غَيْرِ حِلِّهِ حَرَامًا وَقَتْلُ الْهُرْمَزَانِ لَهُ خَطَرٌ
عَلَى غَيْرِ شَيْءٍ غَيْرَ أَنْ قَالَ قَاتِلُ أَتَتْهُمْ مَوْنُ الْهُرْمَزَانِ عَلَى عَمْرِ
فَقَالَ سَفِيهٌ - وَالْحَوَادِثُ جَمَّةٌ نَعَمْ أَتَيْتُهُمْ قَدْ أَشَارَ وَقَدْ أَمَرَ
وَكَانَ سِلَاحُ الْعَبْدِ فِي جَوْفِ بَيْتِهِ يُقْبَلُهَا وَالْأَمْرُ بِالْأَمْرِ يُعْتَابَرُ

قال : فشكا عبيد الله بن عمر إلى عثمان زياد بن لبيد وشعره ، فدعا عثمان
زياد بن لبيد ، فنهاه . قال : فأنشأ زياد يقول في عثمان :

أَبَا عَمْرٍو عَيْبِدُ اللَّهِ رَهْنٌ فَلَا تَشْكُكَ بِقَتْلِ الْهُرْمَزَانِ
فَإِنَّكَ إِنِ غَفَرْتَ الْجَزْمَ عَنْهُ وَأَسْبَابُ الْخَطَا فَرَسًا رِهَانِ
أَتَعْفُو إِذْ عَفَوْتَ بِغَيْرِ حَقٍّ فَمَا لَكَ بِالَّذِي تَحْكِي يَدَانِ !

فدعا عثمان زياد بن لبيد فنهاه وشذبه .

٢٧٩٧/١

• • •

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن يحيى بن سعيد ،
عن سعيد بن المسيب ، أن عبد الرحمن بن أبي بكر قال غداة طُعِنَ عمر :
مررت على أبي لؤلؤة عشيّ أمس ؛ ومعه جُفَيْنَةُ والهرمزان ، وهم نجى ، فلما
رهقْتَهُمْ ^(١) ثاروا ، وسقط منهم خنجر له رأسان ، نصابُهُ في وسطه ؛ فانظروا
بأى شيء قتل ؛ وقد تخلل أهل المسجد ، وخرج في طلبه رجل من بني تميم ،
فرجع إليهم التميمي ، وقد كان أَلْظَ ^(٢) بأبي لؤلؤة منصرفه عن عمر ، حتى
أخذه فقتله ؛ وجاء بالخنجر الذي وصفه عبد الرحمن بن أبي بكر ، فسمع
بذلك عبيد الله بن عمر ؛ فأمسك حتى مات عمر ؛ ثم اشتمل على السيف ؛
فأتى الهرمزان فقتله ؛ فلما عضه السيف قال : « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » . ثم مضى
حتى أتى جُفَيْنَةَ - وكان نصرانياً من أهل الحيرة ظنّاً لسعد بن مالك ، أقدمه
إلى المدينة للصلح الذي بينه وبينهم ، وليعلم بالمدينة الكتابة - فلما علاه بالسيف
صلب بين عينيه . وبلغ ذلك صهيباً ؛ فبعث إليه عمرو بن العاص ، فلم يزل

(١) رفقهم : ضيقت عليهم . (٢) أَلْظَ به : أمسكه .

به وعنه ، ويقول : السيف بأبى وأُمّى ! حتى ناوله إياه ، وثاوره سعدٌ فأخذ بشعره ، وجاءوا إلى صهيب .

• • •

٢٧٩٨/١

عمال عمر رضى الله عنه على الأمصار

وكان عامل عمر بن الخطاب رضى الله عنه — فى السنة التى قُتِلَ فيها ؛ وهى سنة ثلاث وعشرين — على مَكَّةَ نافع بن عبد الحارث الخُزَاعِيّ ، وعلى الطائف سُفْيَان بن عبد الله الثَّقَفِيّ ، وعلى صنعاء يعلَى بن مُنْبِيّة ؛ حليف بنى نوفل ابن عبد مناف ، وعلى الجَنْد عبد الله بن أبى ربيعة ، وعلى الكوفة المغيرة بن شعبه ؛ وعلى البصرة أبو موسى الأشعرى ، وعلى مصر عمرو بن العاص ؛ وعلى حِمَاصُ عُمر بن سعد ، وعلى دمشق معاوية بن أبى سَفْيَان ؛ وعلى البحرين وما والاها عثمان بن أبى العاص الثَّقَفِيّ .

• • •

وفى هذه السنة — أعنى سنة ثلاث وعشرين — توفى ، فيما زعم الواقديّ — قتادة ابن النعمان الظَفَرِيّ ، وصلى عليه عمر بن الخطاب .

وفىها غزا معاوية الصائفة حتى بلغ عمورية ؛ ومعه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عبادة بن الصامت وأبو أيوب خالد بن زيد وأبو ذرّ وشَدَاد بن أَوْس .

وفىها فتح معاوية عَسْقَلَانَ على صلح .

وقيل : كان على قضاء الكوفة فى السنة التى توفى فيها عمر بن الخطاب رضى الله عنه شُرَيْح ، وعلى البصرة كعب بن سُور ؛ وأما مصعب بن عبد الله فإنه ذكر أن مالك بن أنس روى عن ابن شهاب ؛ أن أبا بكر وعمر رضى الله عنهما لم يكن لهما قاضٍ .

ثم دخلت سنة أربع وعشرين ذكر ما كان فيها من الأحداث المشهورة

ففيها بويع لعثمان بن عفان بالخلافة، واختلف في الوقت الذي بويع له فيه ؛ فقال بعضهم ما حدثني به الحارث ، قال : حدثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثني أبو بكر بن إسماعيل بن محمد بن سعد ابن أبي وقاص ، عن عثمان بن محمد الأحنسي . قال : وأخبرنا محمد بن عمر قال : حدثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبيرة ، عن يعقوب بن زيد عن أبيه ، قالوا : بويع عثمان بن عفان يوم الاثنين لليلة بقيت من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين ، فاستقبل بخلافته المحرم سنة أربع وعشرين .

وقال آخرون: ما حدثني به أحمد بن ثابت الرازي ، عمن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر ، قال : بويع لعثمان عام الرعاف سنة أربع وعشرين ، قيل : إنما قيل لهذه السنة عام الرعاف ؛ لأنه كثر الرعاف فيها في الناس .

وقال آخرون— فيما كتب به إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن حليد بن ذقرة . ومجالد ؛ قالوا : استخلف عثمان لثلاث مضيئ من المحرم سنة أربع وعشرين ، فخرج فصلى بالناس العصر ، وزاد : ووقد فاستن به .

وكتب إلى المري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمر ، عن الشعبي ، قال : اجتمع أهل الشورى على عثمان لثلاث مضيئ من المحرم ، وقد دخل وقت العصر ، وقد أذن مؤذن صهيب ، واجتمعوا بين الأذان والإقامة ، فخرج فصلى بالناس ، وزاد الناس مائة ، ووقد أهل الأمصار ؛ وهو أول من صنع ذلك .

٢٨٠٠/١

وقال آخرون — فيما ذكر ابن سعد ، عن الواقدي ، عن ابن جريج عن ابن مليكة ، قال : بويع لعثمان لعشر مضيئ من المحرم ، بعد مقتل عمر بثلاث ليال .

خطبة عثمان

رضى الله عنه وقتل عبيد الله بن عمر الهرمزان

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن بدر بن عثمان ، عن عمّه ، قال : لما بايع أهلُ الشورى عثمان ، خرج وهو أشدّهم كآبة ، فأتى منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخطب الناس ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال : إنكم في دار قلعة^(١) ، وفي بقية أعمار ، فبادروا آجالكم بخير ما تقدرون عليه ؛ فلقد أتيتكم ، صبيحتم أو مسيتم ؛ ألا وإن الدنيا طوبت على الغرور ، فلا تغرنكم الحياة الدنيا ، ولا يغرنكم بالله الغرور . اعتبروا بمن مضى ، ثم جددوا ولا تغفلوا ، فإنه لا يُغفل عنكم . أين أبناء الدنيا وإخوانها الذين أثاروها وعمرّوها ، ومُتّعوا بها طويلا ؛ ألم تلفظّهم ! ارموا بالدنيا حيث رى الله بها ، واطلبوا الآخرة ؛ فإن الله قد ضرب لها مثلا ؛ ولئذى هو خير ، فقال عز وجل : ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ ﴾ — إلى قوله — ﴿ أَمْلًا ﴾^(٢) ، وأقبل الناس يبايعونه .

وكتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي منصور ، قال : سمعت القماذبان يحدث عن قتل أبيه ، قال : كانت العجم بالمدينة يستروح بعضها إلى بعض ، فرّ فيروز بأبي ، ومعه خنجر له رأسان ، فتناوله منه ، وقال : ما تصنع بهذا في هذه البلاد ؟ فقال : آتس^(٣) به ؛ فراه رجل ، فلما أصيب عمر ، قال : رأيتُ هذا مع الهرمزان ، دفعه إلى فيروز . فأقبل عبيد الله فقتله ؛ فلما ولي عثمان دعاني فأمكنني منه ، ثم قال : يا بني ، هذا قاتل أبيك ؛ وأنت أولى به منا ، فاذهب فاقتله ؛ فخرجت به وما في الأرض أحد إلاّ معي ؛ إلاّ أنهم يطلبون إلىّ فيه . فقلت لهم : أليّ قتله ؟ قالوا : نعم — وسبّوا عبيد الله — فقلت : أفلكم أن تمنعوه ؟ قالوا : لا ، وسبّوه

(٣) يقال : هم على قلعة ؛ أى على رحلة ؛ وفي حديث علي : « احذروكم الدنيا ؛ فإنها منزل قلعة » ، أى تحول وأرتحال .

(٢) سورة الكهف ٥٤ . (٣) كذا في س ، وفي ط : « أبس »

فتركه لله ولم . فاحتملوني ؛ فوالله ما بلغتُ المنزل إلاّ على رءوس الرّجال وأكفّهم .

ولاية سعد بن أبي وقاص الكوفة

وفي هذه السنة عزل عثمانُ المغيرةَ بن شعبة عن الكوفة ، وولّاها سعد بن أبي وقاص — فيما كتب به إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن المجالد، عن الشعبيّ ، قال : كان عمر قال : أوصي الخليفةَ من بعدى أن يستعمل سعد بن أبي وقاص ، فلنّتى لم أعزله عن سوء ، وقد خشيتُ أن يلحقه من ذلك . وكان أوّل عامل بعث به عثمانُ سعد بن أبي وقاص على الكوفة ، وعزل المغيرة بن شعبة ، والمغيرة يومئذ بالمدينة ، فعمل عليها سعد سنة وبعض أخرى ، وأقرّ أبا موسى سنوات .

٢٨٠٢/١

وأما الواقديّ فإنه ذكر أن أسامة بن زيد بن أسلم حدثه ، عن أبيه ، أن عمرَ أوصى أن يُقرَّ عمّاله سنة ؛ فلما ولي عثمانُ أقرَّ المغيرةَ بن شعبة على الكوفة سنة ، ثم عزله ، واستعمل سعد بن أبي وقاص ثم عزله ، واستعمل الوليد ابن عُقبة . فإن كان صحيحاً ما رواه الواقديّ من ذلك ، فولاية سعد الكوفة من قبل عثمان كانت سنة خمس وعشرين .

* * *

كتب عثمان رضى الله عنه إلى عمّاله وولاته والعامّة

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة بإسنادهما ، قالوا : لما وليّ عثمانُ بعث عبد الله بن عامر إلى كابل — وهي عمالة مسيحيّستان — فبلغ كابل حتى استفرغها ، فكانت عمالة مسيحيّستان أعظم من خراسان ؛ حتى مات معاوية ، وامتنع أهل كابل .

قالوا : وكان أوّل كتاب كتبه عثمان إلى عمّاله : أمّا بعد ؛ فإن الله أمّر الأئمة أن يكونوا رعاة ، ولم يتقدّم إليهم أن يكونوا جبابرة ؛ وإن صدّ ر هذه

الأمة خلِّقوا رُعاة ، لم يُخلَقوا جُباة ، وَلَيَوشِكَنَّ أُمَّتُكُمْ أَنْ يَصِيرُوا جُباةَ ولا يكونوا رعاة ؛ فإذا عادوا كذلك انقطع الحياء والأمانة والوفاء . ^١ وَإِنْ أَعْدَلَ السَّيْرَةَ أَنْ تَنْظُرُوا فِي أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ فِيمَا عَلَيْهِمْ فَتَعْطُوهُمْ مَا لَهُمْ ، وَتَأْخُذُوهُمْ بِمَا عَلَيْهِمْ ؛ ثُمَّ تَسْتَنْوُوا بِالذِّمَّةِ ، فَتَعْطُوهُمْ الَّذِي لَهُمْ ، وَتَأْخُذُوهُمْ بِالَّذِي عَلَيْهِمْ . ثُمَّ الْعَدُوَّ الَّذِي تَتَابُونَ ؛ فَاسْتَفْتَحُوا عَلَيْهِمْ بِالْوَفَاءِ .

قالوا : وكان أوَّل كتاب كتبه إلى أمراء الأجناد في الفروج : أمَّا بعد ، فإنَّكم حُماة المسلمين وذادتهم ؛ وقد وضع لكم عمر ما لم يغب عنا ، بل كان عن ما لمَّا مِنَّا ، ولا يبلغنني عن أحد منكم تغيير ولا تبديل فيغيِّر الله ما بكم ويستبدل بكم غيركم ؛ فانظروا كيف تكونون ، فإنِّي أنظر فيما ألزمني الله النَّظَرُ فِيهِ ، والقيام عليه .

قالوا : وكان أوَّل كتاب كتبه إلى عمَّال الخراج : أمَّا بعد ، فإنَّ الله خلَقَ الخلقَ بالحقِّ ؛ فلا يقبل إلا الحقَّ ، خذوا الحقَّ وأعطوا الحقَّ به . والأمانة الأمانة ؛ قوموا عليها ، ولا تكونوا أوَّل مَنْ يسلِّبها ^(١) ، فتكونوا شركاء مَنْ بعدكم إلى ما اكتسبتم . والوفاء الوفاء ؛ لا تظلموا اليتيم ولا المعاهد ؛ فإنَّ الله خصمٌ لمن ظلمهم .

قالوا : وكان كتابه إلى العامة : أمَّا بعد ، فإنَّكم إنما بلغتم ما بلغتم بالافتداء والاتباع ؛ فلا تَسْلَفْتَنكُمْ الدُّنْيَا عَنْ أُمُورِكُمْ ؛ فإنَّ أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ صَائِرٌ إِلَى الْإِبْتِدَاعِ بَعْدَ اجْتِمَاعِ ثَلَاثٍ فِيكُمْ : تَكَامُلُ النِّعَمِ ، وَبُلُوغُ أَوْلَادِكُمْ مِنَ السَّبَايَا ، وَقِرَاءَةُ الْأَعْرَابِ وَالْأَعَاجِمِ الْقُرْآنَ ؛ فإنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : ^٢ « الْكُفْرُ فِي الْعُجْمَةِ » ؛ فإذا استعجم عليهم أَمْرٌ تَكَلَّفُوا وَابْتَدَعُوا .

وكتب إلى المرسى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عاصم بن سليمان ، عن عامر الشعبي ، قال : أوَّل خليفة زاد الناس في أعطياتهم مائة عثمان ؛ فجرت . وكان عمر يجعل لكل نفس منقوسة ^(٢) من أهل النوى في رمضان درهمًا في كلِّ يوم ، وفرض لأزواج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ درهمين درهمين ؛ فقيل له : لو صنعت لهم طعامًا فجمعتهم عليه ! فقال : أشبع الناس في بيوتهم . فأقرَّ

عثمان الذي كان صنع عمر ؛ وزاد فوضع طعام رمضان ، فقال : للمتعب
الذي يتخلف في المسجد وابن السبيل والمعتزين^(١) بالناس في رمضان .

• • •

[غزوة أذربيجان وأرمينية]

وفي هذه السنة - أعني سنة أربع وعشرين - غزا الوليد بن عقبة أذربيجان
وأرمينية ، لمنع أهلها ما كانوا صالحوا عليه أهل الإسلام أيام عمر في رواية
أبي مخنف ؛ وأما في رواية غيره فلأن ذلك كان في سنة ست وعشرين .

• • •

• ذكر الخبر عن ذلك وما كان من أمر المسلمين وأمرهم في هذه الغزوة :
ذكر هشام بن محمد ، أن أبا مخنف حدثه عن فروة بن لقيط الأزدي ،
ثم الغامدي ؛ أن مغازي أهل الكوفة كانت الرى وأذربيجان ، وكان بالثغرين^(٢)
عشرة آلاف مقاتل من أهل الكوفة ؛ ستة آلاف بأذربيجان وأربعة
آلاف بالرى ، وكان بالكوفة إذ ذاك أربعون ألف مقاتل ؛ وكان يفزو
هذين الثغرين منهم عشرة آلاف في كل سنة ؛ فكان^(٣) الرجل^(٤) يصيبه
في كل أربع سنين غزوة^(٥) ؛ فغزا الوليد بن عقبة في إمارته^(٦) على الكوفة
في سلطان عثمان أذربيجان وأرمينية ، فدعا سلمان بن ربيعة الباهلي فبعثه
أمامه مقدمة له ، وخرج الوليد في جماعة الناس ؛ وهو يريد أن يمعن في
أرض أرمينية ، ففضي في الناس حتى دخل أذربيجان ، فبعث عبد الله بن
شبيب بن عوف الأحمسي في أربعة آلاف ، فأغار على أهل موقان والبسبر
والطيلسان ؛ فأصاب من أموالهم وغنم ، وتحرز القوم منه ، وسبى منهم سبياً
يسيراً ، فأقبل^(٧) إلى الوليد بن عقبة .

(٢) ف : « بالثغر » ، ابن حبيش : « بالبحرين » .

(١) المعتزون : الفقراء .

(٤) ابن حبيش : « الذي » .

(٣) ف : « وكان » .

(٦) ابن حبيش : « أزماته » .

(٥) ف : « غزاة » .

(٧) ابن حبيش : « وأقبل » .

ثم إن الوليد صالح أهل أذربيجان على ثمانمائة ألف درهم ؛ وذلك هو الصلح الذى كانوا صالحوا عليه حذيفة بن اليمان سنة اثنتين وعشرين بعد وقعة نهاوند بسنة . ثم إنهم حبسوها عند وفاة عمر ، فلما ولي عثمان وولى الوليد ابن عقبة الكوفة ، سار حتى وطئهم بالجيش ؛ فلما رأوا ذلك انقادوا له ، وطلبوا إليه أن يتم لهم على ذلك الصلح ، ففعل ؛ فقبض منهم المال ، وبث فيمن حولهم من أعداء المسلمين الغارات ؛ فلما رجع إليه عبد الله بن شبيب الأحمسي من غارته تلك - وقد سلم وغنم - بعث سلمان بن ربيعة الباهلي إلى أرمينية في اثني عشر ألفاً ، سنة أربع وعشرين . فسار في أرض أرمينية فقتل وسبي وغنم . ثم إنه انصرف وقد ملأ يديه حتى أتى الوليد . فانصرف الوليد وقد ظفر وأصاب حاجته .

• • •

إجلاب الروم على المسلمين واستمداد المسلمين من بالكوفة

وفي هذه السنة - في رواية أبي مخنف - جاشت الروم ، حتى استمدت من بالشام من جيوش المسلمين من عثمان مدداً .

• ذكر الخبر عن ذلك :

قال هشام : حدثني أبو مخنف ، قال : حدثني فروة بن لقيط الأزدي ، قال : لما أصاب الوليد حاجته من أرمينية في الغزوة التي ذكرتها في سنة أربع وعشرين من تاريخه ، ودخل الموصل ^(١) فنزل الحديثة ، أتاه كتاب من عثمان رضي الله عنه :

أما بعد ؛ فإن معاوية بن أبي سفيان كتب إلى يخبرني أن الروم قد أجلبت على المسلمين بجموع عظيمة ^(٢) ، وقد رأيت أن يمدد لهم إخوانهم من أهل الكوفة ؛ فإذا أتاك كتابي هذا فابعث رجلاً ممن ترضى نجدته وبأسه وشجاعته وإسلامه

(١) ابن الأثير والنويري : « وجعل طريقه على الموصل » .

(٢) بعدها في ابن حبيش : « كثيرة » .

في ثمانية آلاف أو تسعة آلاف أو عشرة آلاف إليهم من المكان الذي يأتيك فيه رسولى والسلام .

فقام الوليد في الناس ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد أيها الناس ؛ فإن الله قد أبلى المسلمين في هذا الوجه بلاء حسناً ؛ ردّ عليهم بلادهم التي كفرت ، وفتح بلاداً لم تكن افتتحت ، وردّهم سالمين غانمين مأجورين ، فالحمد لله رب العالمين . وقد كتب إلى أمير المؤمنين يأمرنى أن أندب منكم ما بين العشرة الآلاف إلى الثمانية الآلاف ، تُمدّون إخوانكم من أهل الشام ، فلمهم قد جاشت عليهم الرّوم ؛ وفي ذلك الأجر العظيم ، والفضل المبین ، فانتدبوا رحمكم الله مع سلمان بن ربيعة الباهلى . قال : فانتدب^(١) الناس ، فلم يمحض ثلاثة حتى خرج ثمانية آلاف رجل من أهل الكوفة ، ففضوا حتى دخلوا مع أهل الشام إلى أرض الرّوم ؛ وعلى جند أهل الشام حبيب بن مسلمة بن خالد الفهرى ، وعلى جند أهل الكوفة سلمان بن ربيعة [الباهلى]^(٢) ؛ فشؤوا الغارات على أرض الروم ، فأصاب الناس ما شاءوا من سبى ، وملكوا أيديهم من المغنم ، وافتتحوا بها حصوناً كثيرة .

٢٨٠٨/١

وزعم الواقلى أن الذى أمدّ حبيب بن مسلمة بسلمان بن ربيعة كان سعيد بن العاص ، وقال : كان سبب ذلك أن عثمان كتب إلى معاوية يأمره أن يغزى حبيب بن مسلمة في أهل الشام أرمينية ، فوجهه إليها ، فبلغ حبيباً أن الموريان الرومى قد توجه نحوه في ثمانين ألفاً من الروم والتّرك ، فكتب بذلك حبيب إلى معاوية ، فكتب معاوية به إلى عثمان ، فكتب عثمان إلى سعيد ابن العاص يأمره بإمداد حبيب بن مسلمة ، فأمدّه بسلمان بن ربيعة في ستة آلاف ، وكان حبيب صاحب كسند ، فأجمع على أن يبيت الموريان ، فسمعت أمراًته أم عبد الله بنت يزيد الكلبيّة يذكر ذلك ، فقالت له : فأين موعذك ؟ قال : سرادق الموريان أو الجنة ، ثم بيّتهم^(٣) ، فقتل من أشرف له ، وأتى السّرادق فوجد امرأته قد سبقت ؛ وكانت^(٤) أول امرأة من العرب

(١) انتدب الناس ؛ أى خفوا لما دعوا إليه . (٢) من ف .

(٣) ابن حبيش : « فبيتهم » . (٤) ابن حبيش : « فكانت » .

ضُرِبَ عليها سرادق ، ومات^(١) عنها حبيب ، فخلفَ عليها الضَّحَّاكُ بن ٢٨٠٩/١ قيس الفهرى ، فهي أمّ ولده .

* * *

واختلفَ فيمن حجّ بالناس في هذه السنة ، فقال بعضهم : حجّ بالناس في هذه السنة عبد الرحمن بن عوف بأمر عثمان ؛ كذلك قال أبو معشر والواقدي . وقال آخرون : بل حجّ في هذه السنة عثمان بن عفان .

* * *

وأما الاختلاف في الفتح التي نسبها بعض الناس إلى أنها كانت في عهد عمر ، وبعضهم إلى أنها كانت في إمارة عثمان ، فقد ذكرتُ قبلُ فيما مضى من كتابنا هذا ذكر اختلاف المختلفين في تاريخ كل فتح كان من ذلك .

ثم دخلت سنة خمس وعشرين

ذكر الأحداث المشهورة التي كانت فيها

فقال أبو معشر ، فيما حدثني أحمد بن ثابت الرازي ، قال : حدثني
حدث ، عن إسحاق بن عيسى عنه : كان فتح ^(١) الإسكندرية سنة خمس
وعشرين .

وقال الواقدي : وفي هذه السنة نقضت الإسكندرية عهدها ، فغزاهم
عمرو بن العاص فقتلهم ؛ وقد ذكرنا خبرها قبل فيما مضى ، ومن خالف
أبا معشر والواقدي في تأريخ ذلك .

• • •

وفيها كان أيضاً - في قول الواقدي - توجيه عبد الله بن سعد بن أبي سرح
الخيـل إلى المغرب . ٢٨١٠/١

• • •

قال : وكان عمرو بن العاص قد بعث بعثاً قبل ذلك إلى المغرب ،
فأصابوا غنائم ، فكتب عبد الله يستأذنه في الغزو إلى إفريقية ، فأذن له .
قال : وحج بالناس في هذه السنة عثمان ، واستخلف على المدينة .
قال : وفيها فتح الحصون وأميرهم معاوية بن أبي سفيان .
قال : وفيها ولد يزيد بن معاوية .
قال : وفيها كانت سابور الأولى [فتحت] ^(٢) .

(١) كذا في ف وفي ط : « كانت الإسكندرية » .

(٢) من ف

ثم دخلت سنة ست وعشرين ذكر ما كان فيها من الأحداث المشهورة

فكان فيها - في قول أبي معشر والواقدي - فتح سابور ؛ وقد مضى ذكر الخبر عنها في قول من خالفهما في ذلك .

وقال الواقدي : فيها أمر عثمان بتجديد أنصاب الحرم .

وقال : فيها زاد عثمان في المسجد الحرام ، ووسّعه وابتاع من قوم وأبي ٢٨١١/١ آخرون ؛ فهدم عليهم ؛ ووضع الأثمان في بيت المال ؛ فصيّحوا بعثمان ، فأمر بهم بالحبس ، وقال : أتلترون ما جرّأكم على ؟ ما جرّأكم على إلا حلمي ، قد فعل هذا بكم عمر فلم تصيّدوا به . ثم كلمه فيهم عبد الله بن خالد بن أسيد ، فأخرجوا .

قال : وحجّ بالناس في هذه السنة عثمان بن عفان .

وفي هذه السنة عزل عثمان سعداً عن الكوفة ، وولّاه الوليد بن عقبة في قول الواقدي ؛ وأمّا في قول سيف فإنه عزله عنها في سنة خمس وعشرين .

وفيهما ولي الوليد عليها ، وذلك أنه زعم أنه عزل المغيرة بن شعبة عن الكوفة حين مات عمر ، ووجّه سعداً إليها عاملاً ، فعمل له عليها سنة وأشهرأ .

• • •

ذكر سبب عزل عثمان

عن الكوفة سعداً واستعماله عليها الوليد

كتب إلى المري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو ، عن الشعبي ، قال : كان أول ما نُرِغ به بين أهل الكوفة - وهو أول مصر نُرِغ الشيطان بينهم^(١) في الإسلام - أن سعد بن أبي وقاص استقرض من عبد الله بن مسعود من بيت المال مالا ، فأقرضه ، فلمّا تقاضاه لم يقيم عليه ، فارتفع بينهما الكلام حتى استعان عبد الله بأناس من الناس على استخراج المال ، واستعان

(١) نرغ الشيطان بينهم ؛ أي أفسد .

سعد بأناس من الناس على استنظاره ، فافترقوا وبعضهم يلوم بعضاً ، يلوم هؤلاء سعداً ويلوم هؤلاء عبد الله . ٢٨١٢/١

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس بن أبي حازم ، قال : كنت جالساً عند سعد ، وعنده ابن أخيه هاشم بن عتبة ، فأتى ابن مسعود سعداً ، فقال له : أد المال الذي قبلك ، فقال له سعد : ما أراك إلا ستلقى شراً ! هل أنت إلا ابن مسعود ، عبد من هذيل ! فقال : أجل ؛ والله إنى لابن مسعود ، وإنك لابن حُمَيْسَةَ ، فقال هاشم : أجل والله إنكما لصاحبا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يُنْظَرُ إليكما . فطرح سعد عوداً كان في يده — وكان رجلاً فيه جِدَّة — ورفع يديه ، وقال : اللهم رب السموات والأرض ... فقال عبد الله : وبلك ! قل خيراً ، ولا تلعن ، فقال سعد عند ذلك : أما والله لولا اتقاء الله لدعوت عليك دعوة لا تخطئك . فولى عبد الله سريعاً حتى خرج .

وكتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن القاسم بن الوليد ، عن المسيب بن عبد خير^(١) ، عن عبد الله بن عكَّيم ، قال : لما وقع بين ابن مسعود وسعد الكلام في قرَضٍ أقرضه عبد الله إياه ؛ فلم يتيسر على سعد قضاؤه ؛ غضب عليهما عثمان ، وانتزعها من سعد ، وعزله وغضب على عبد الله وأقره ، واستعمل الوليد بن عُقْبَةَ — وكان عاملاً لعمر على ربيعة بالجزيرة — فقدم الكوفة فلم يتخذ لداره باباً حتى خرج من الكوفة .

وكتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالوا : لما بلغ عثمان الذي كان بين عبد الله وسعد فيما كان ، غضب عليهما وهم بهما ، ثم ترك ذلك ، وعزل سعداً ، وأخذ ما عليه ، وأقر عبد الله ، وتقدم إليه ، وأمر مكان سعد الوليد بن عُقْبَةَ — وكان على عرب الجزيرة عاملاً لعمر بن الخطاب — فقدم الوليد في السنة الثانية من إمارة عثمان ، وقد كان سعد عمل عليها سنة وبعض أخرى ، فقدم الكوفة ، وكان أحب الناس في الناس وأرفقهم بهم ؛ فكان كذلك خمس سنين وليس على داره باب . ٢٨١٣/١

(١) ط : «عن المسيب عن عبد خير» ، والصواب ما أثبتته .

ثم دخلت سنة سبع وعشرين ذكر الأحداث المشهورة التي كانت فيها

فما كان فيها من ذلك فتح إفريقية على يد عبد الله بن سعد بن أبي سرح ،
كذلك حدثني أحمد بن ثابت الرازي ، قال : حدثنا محدث ، عن إسحاق
ابن عيسى ، عن أبي معشر ؛ وهو قول الواقدي أيضاً .

• ذكر الخبر عن فتحها ، وعن سبب ولاية عبد الله بن سعد ابن أبي سرح
مصر ، وعزل عثمان عمرو بن العاص عنها :

كتب إلى المرو ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، .
قالا : مات عمر وعلى مصر عمرو بن العاص ، وعلى قضائها خارجة بن حذافة
السهمي ، فولى عثمان ، فأقرهما سنتين من إمارته ثم عزل عمرأ ، واستعمل عبد الله
ابن سعد بن أبي سرح .

وكتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي حارثة
وأبي عثمان ؛ قالوا : لما ولي عثمان أقر عمرو بن العاص على عمله ، وكان لا يعزل
أحد إلا عن شكاة أو استعفاء من غير شكاة ؛ وكان عبد الله بن سعد من
جند مصر ، فأمر عبد الله بن سعد على جنده ، ورواه بالرجال ، وسرحه
إلى إفريقية وسرح معه عبد الله بن نافع بن عبد القيس وعبد الله بن نافع بن
الحصم بن الفهريين ، وقال لعبد الله بن سعد : إن فتح الله عز وجل عليك
غداً إفريقية ، فلك مما أفاء الله على المسلمين خمس الخمس من الغنيمة نقلاً .
وأمر العبد بن علي الجند ، ورواهما بالرجال ، وسرحهما إلى الأندلس ؛ وأمرهما
وعبد الله بن سعد بالاجتماع على الأجل ، ثم يقيم عبد الله بن سعد في عمله
ويسيران إلى عملهما .

فخرجوا حتى قطعوا مصر ، فلما غلوا في أرض إفريقية فأمعنوا انتهوا إلى الأجل ، ومعهم الأفناء ، فاقتلوا ، فقتل الأجل ، قتله عبد الله بن سعد وفتح إفريقية سهلها وجبلها . ثم اجتمعوا على الإسلام ، وحسنت طاعتهم ، وقسم عبد الله ما أفاء الله عليهم على الجند ، وأخذ خمس الخمس ، وبعث بأربعة أخماسه إلى عثمان مع ابن وكيلة النصرى ، وضرب فسطاطاً في موضع القيروان ، ووفد وفداً ، فشكوا عبد الله فيما أخذ ، فقال لهم : أنا نقلته - وكذلك كان يصنع - وقد أمرت له بذلك ، وذاك إليكم الآن ؛ فإن رضيتم فقد جاز ، وإن سخطتم فهو رد . قالوا : فإننا نسخطه ، قال : فهو رد ، وكتب إلى عبد الله برد ذلك واستصلاحهم ، قالوا : فاعزله عنا ، فإننا لا نريد أن يتأمر علينا ، وقد وقع ما وقع ؛ فكتب إليه أن استخلف على إفريقية رجلاً ممن ترضى ويرضون واقسم الخمس الذي كنت نقلتك في سبيل الله ؛ فإنهم قد سخطوا النقل . ففعل ، ورجع عبد الله بن سعد إلى مصر وقد فتح إفريقية ، وقتل الأجل . فما زالوا من أسمع أهل البلدان وأطوعهم إلى زمان هشام بن عبد الملك ؛ أحسن أمة سلاماً وطاعة ؛ حتى دب إليهم أهل العراق ، فلما دب إليهم دعاة أهل العراق واستثاروهم ، شقوا عصاهم ، وفرقوا بينهم إلى اليوم . وكان من سبب تفريقهم أنهم ردوا على أهل الأهواء ، فقالوا : إنا لا نخالف الأئمة بما تجنى العمال ، ولا نحمل ذلك عليهم ؛ فقالوا لهم : إنما يعمل هؤلاء بأمر أولئك ، فقالوا لهم : لا نقبل ذلك حتى نبورهم^(١) ؛ فخرج ميسرة في بضعة عشر إنساناً حتى يقدم على هشام ، فطلبوا الإذن ، فصعب عليهم ، فأتوا الأبرش ، فقالوا : أبلغ أمير المؤمنين أن أميرنا يغزو بنا ويجنده ، فإذا أصاب نقلهم دوننا وقال : هم أحق به ؛ فقلنا : هو أخلص لجهادنا ، لأننا لا نأخذ منه شيئاً ، إن كان لنا فهم منه في حل ، وإن لم يكن لنا لم نردّه . وقالوا : إذا حاصرنا مدينة قال : تقدموا وأخر جنده ، فقلنا : تقدموا ، فإنه ازدياد في الجهاد ، ومثلكم كفى لإخوانه ، فوقيانهم بأنفسنا وكفيتناهم . ثم لأنهم عمدوا إلى

٢٨١٥/١

٢٨١٦/١

ماشيتنا ، فجعلوا يبقرونها على السَّخَال يطلبون الفراء البيض لأمير المؤمنين ، فيقتلون ألف شاة في جلد ، فقلنا : ما أيسر هذا لأمير المؤمنين ! فاحتملنا ذلك ، وخلصناهم وذلك . ثم إنهم سامونا أن يأخذوا كل جميلة من بناتنا فقلنا : لم نجد هذا في كتاب ولا سنة ، ونحن مسلمون ؛ فأحببنا أن نعلم : أعن رأى أمير المؤمنين ذلك أم لا ؟ قال : نفعل ؛ فلما طال عليهم ونفدت نفقاتهم ، كتبوا أسماءهم في رِقَاع ، ورفعوها إلى الوزراء ، وقالوا : هذه أسماؤنا وأنسابنا ؛ فإن سألكم أمير المؤمنين عنّا فأخبروه ، ثم كان وجههم إلى إفريقية ؛ فخرجوا على عامل هشام فقتلوه ، واستولوا على إفريقية ؛ وبلغ هشام الخبر ، وسأل عن النفر ، فرفعت إليه أسماؤهم ، فإذا هم الذين جاء الخبر أنهم صنعوا ما صنعوا .

٢٨١٧/١ وكتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالوا : وأرسل عثمان عبد الله بن نافع بن الحصين وعبد الله بن نافع بن عبد القيس من فورهما ذلك من إفريقية إلى الأندلس ، فأتياهما من قبيل البحر . وكتب عثمان إلى من انتدب من أهل الأندلس : أما بعد ، فإن القسطنطينية إنما تفتح من قبيل الأندلس ؛ وإنكم إن افتتحتموها كنتم شركاء من يفتحها في الأجر ، والسلام . وقال كعب الأحبار : يعبر البحر إلى الأندلس أقوام يفتحونها^(١) ، يعرفون بنورهم يوم القيامة .

وكتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالوا : فخرجوا ومعهم البربر ، فاتوها من برّها ، ففتحها الله على المسلمين وإفرنجة ؛ وازدادوا في سلطان المسلمين مثل إفريقية ؛ فلما عزل عثمان عبد الله ابن سعد بن أبي سرح صرف إلى عمله عبد الله بن نافع بن عبد القيس ؛ وكان عليها ، ورجع عبد الله بن سعد إلى مصر ؛ ولم يزل أمر الأندلس كأمر إفريقية حتى كان زمان هشام ، فنع البربر أرضهم ؛ وبقي من في الأندلس على حاله .

(١) ابن حبش : « يفتحونها » .

وأما الواقدي فإنه ذكر أن ابن أبي سبرة حدثه عن محمد بن أبي حرملة ، عن كُريب ، قال : لما نزع عثمان عمرو بن العاص عن مصر غضب عمرو غضباً شديداً ، وحقّد على عثمان ، فوجّه عبد الله بن سعد ، وأمره أن يمضي إلى إفريقية ؛ وندب عثمان الناس إلى إفريقية ؛ فخرج إليها عشرة آلاف من قریش والأنصار والمهاجرين . ٢٨١٨/١

قال الواقدي : وحدثني أسامة بن زيد الليثي ، عن ابن كعب ، قال : لما وجّه عثمان عبد الله بن سعد إلى إفريقية ، كان الذي صالحهم عليه بطريق إفريقية جرّجير ألقى ألف دينار وخمسمائة ألف دينار وعشرين ألف دينار ، فبعث ملك الروم رسولا ، وأمره أن يأخذ منهم ثلثمائة قنطار ؛ كما أخذ منهم عبد الله بن سعد ؛ فجمع رؤساء إفريقية ، فقال : إن الملك قد أمرني أن آخذ منكم ثلثمائة قنطار ذهب مثل ما أخذ منكم عبد الله بن سعد ؛ فقالوا : ما عندنا مال نعطيه ؛ فأما ما كان بأيدينا فقد افتدينا به أنفسنا ، وأما الملك فإنه سيّدنا فليأخذ ما كان له عندنا من جائزة كما كنا نعطيه كل سنة . فلمّا رأى ذلك أمر بحبسهم ، فبعثوا إلى قوم من أصحابهم ، فقدّموا عليه ، فكسروا السجن فخرجوا ، وكان الذي صالحهم عليه عبد الله بن سعد ثلثمائة قنطار ذهب ؛ فأمر بها عثمان لآل الحكم . قلت : أولمروا ؟ قال : لا أدري .

قال ابن عمر : وحدثني أسامة بن زيد ، عن يزيد بن أبي حبيب ، قال : نزع عثمان عمرو بن العاص عن خراج مصر ، واستعمل عبد الله بن سعد على الخراج ، فتباغيا ، فكتب عبد الله بن سعد إلى عثمان يقول : إن عمراً كسر الخراج . وكتب عمرو : إن عبد الله كسر على حيلة الحرب ، فكتب عثمان إلى عمرو : انصرف ؛ وولّى عبد الله بن سعد الخراج والحد ، فقدم عمرو مغضباً ، فدخل على عثمان وعليه جبّة يمانية مشوّة قطناً ، فقال له عثمان : ما حشوّ جبّةك ؟ قال : عمرو ، قال عثمان : قد علمت أن حشوّها عمرو ولم أرد هذا ، إننا سألت : أقطن هو أم غيره ؟ ٢٨١٩/١

قال الواقدي : وحدثني أسامة بن زيد ، عن يزيد بن أبي حبيب ،

قال : بعث عبد الله بن سعد إلى عثمان بمال من مصر ، قد حشد فيه ، فلخل عمرو على عثمان ؛ فقال عثمان : يا عمرو ، هل تعلم أن تلك اللقاح درت بعدك ! فقال عمرو : إن فصاها هلكت .

وحجّ بالناس في هذه السنة عثمان بن عفان رضى الله عنه .

• • •

وقال الواقدي : وفي هذه السنة كان فتح إصطخر الثاني على يد^(١) عثمان ابن أبي العاص .

قال : وفيها غزا معاوية قنسرين .

(١) ابن كثير : « على يدى » .

ثم دخلت سنة ثمان وعشرين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث المشهورة

٢٨٢٠/١

فما ذكر أنه كان فيها فتح قبرس ، على يد معاوية ، غزاها بأمر عثمان ليأيه ؛ وذلك في قول الواقدي .

فأمّا أبو معشر فإنه قال : كانت قبرس سنة ثلاث وثلاثين ، حدثني بذلك أحمد بن ثابت ، عمن حدثه ، عن إسحاق بن عيسى ، عنه .
وقال بعضهم : كانت قبرس سنة سبع وعشرين ، غزاها - فيما ذكر - جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيهم أبو ذرّ وعبد الله بن الصامت ؛ ومعه زوجته أمّ حرام والمقداد وأبو الدرداء ، وشداد بن أوس .

ذكر الخبر عن غزوة معاوية ليأيه :

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الربيع بن النعمان النّصرى وأبي المجالد جراد بن عمرو ، عن رجاء بن حيوة وأبي حارثة وأبي عثمان ، عن رجاء وعبد الله بن خالد : قالوا : ألح^(١) معاوية في زمانه على عمر بن الخطاب رضي الله عنه في غزو البحر وقرب الروم من حِمص ؛ وقال : إن قرية من قرى حِمص ليسمع أهلها نُبّاح كلابهم وصياح دجاجهم ؛ حتى كاد ذلك يأخذ بقلب عمر ؛ فكتب عمر إلى عمرو بن العاص : صِف لي البحر وبرأيه ؛ فإنّ نفسي تنازعني إليه .

٢٨٢١/١

وقال عبد الله بن خالد : لما أخبره ما للمسلمين في ذلك وما على المشركين ، فكتب إليه عمرو : إني رأيت خلقتُ كبيراً يركبه بخلق صغير ؛ إن ركن^(٢) خرق القلوب ، وإن تحرك أزاغ العقول ؛ يزداد فيه اليقين قلّة ، والشك كثرة ، هم فيه كدود على عود ؛ إن مال غريق ، وإن نجا برق^(٣) .

(١) ابن الأثير : « لج » . (٢) ركن : سكن ، وفي ابن حبيش : « ركد » .

(٣) البرق : الحيرة والدهش ، والخبر في اللسان (برق) .

فلما قرأه عمر كتب إلى معاوية : لا والذي بعث محمداً بالحق لا أحمل فيه مسلماً أبداً .

وكتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن سعيد ، عن عبادة بن نُمَيْسٍ ، عن جُنَادَةَ بن أَبِي أُمَيَّةَ الأزدي ، قال : كان معاوية كتب إلى عمر كتاباً في غزو البحر يرغبه فيه ، ويقول : يا أمير المؤمنين ؛ إن بالشَّامَ قريةَ يسمع أهلها نُبَاحَ كلابِ الرُّومِ وصياحِ ديوكِهم ؛ وهم تِلْقَاءُ ساحلٍ من سواحلِ حِمَصٍ ؛ فاتَّهَمَهُ عمرُ لأنَّه المشير ؛ فكتب إلى عمرو : أن صِفْ لي البحر ؛ ثم اكتب إلى بخبره : فكتب إليه : يا أمير المؤمنين ، إنِّي رأيتُ خلقاً عظيماً ، يركبه خلقٌ صغير ؛ ليس إلا السَّماءُ والماءُ ؛ وإنما هم كدودٍ على عود ، إن مال غريق ، وإن نجا برق .

وكتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي عثمان وأبي حارثة ، عن عبادة ، عن جُنَادَةَ بن أَبِي أُمَيَّةَ والربيع وأبي الجبال ، قالوا : ^١ كتب عمر إلى معاوية : إنا سمعنا ^(٢) أن بحر الشام يشرف على أطول شيء على الأرض ؛ يستأذن الله في كل يوم وليلة في أن يُفِيضَ على الأرض فيغرقها ؛ فكيف أحمل الجنود في هذا [البحر] ^(٣) الكافر المستصعب ؛ وتالله لمسلم أحب إلى مما حوت الروم ؛ فإياك أن تعرَّضَ لي ؛ وقد تقدَّمت إليك ، وقد علمت ما لقيَ العلاء مني ، ولم أتقدَّم إليه في مثل ذلك .

وقالوا : ترك ملك الروم الغزو ، وكاتب عمر وقاربه ، وسأله عن كلمة يجتمع فيها العلم كله ، فكتب إليه : أحبُّ للناس ما تحبُّ لنفسك ، وأكره لهم ما تكره لها ، تجتمع لك الحكمة كلها . واعتبر الناس بما يليك ، تجتمع لك المعرفة كلها .

وكتب إليه ملك الروم — وبعث إليه بقارورة : أن املأ لي هذه القارورة من كل شيء ، فلاها ماء ، وكتب إليه : إن هذا كل شيء من الدنيا .

(١) ابن حبيش : « وكتب » . (٢) ابن حبيش : « قد سمعنا » .

(٣) ابن حبيش : « في » ، وابن الأثير والثوري : « من » . (٤) من ابن حبيش .

وكتب إليه ملك الروم : ما بين الحق والباطل ؟ فكتب إليه : أربع أصابع الحق ، فيما يرى عياناً ، والباطل كثيراً يستمع به فيما لم يعاين .

وكتب إليه ملك الروم يسأله عما بين السماء والأرض وبين المشرق والمغرب ، فكتب إليه : مسيرة خمسمائة عام للمسافر ؛ لو كان طريقاً مبسوطاً . ٢٨٢٣/١

قال : وبعثت أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب إلى ملكة الروم بطيب ومشارب وأحفاش من أحفاش^(١) النساء ، ودمست إلى البريد ، فأبلغه لها ، وأخذ منه . وجاءت امرأة هرقل ، وجمعت نساءها ، وقالت : هذه هدية امرأة ملك العرب ، وبنت نبيهم ، وكاتبها وكافاتها ، وأهدت لها ؛ وفيما أهدت لها عقد فاخر . فلما انتهى به البريد إليه أمره بإمساكه ، ودعا : الصلاة جامعة ، فاجتمعوا ، فصلّى بهم ركعتين ، وقال : إنه لا خير في أمر أبرم عن غير شوري من أموري ؛ قولوا في هدية أهدتها أم كلثوم لامرأة ملك الروم ؛ فأهدت لها امرأة ملك الروم ، فقال قائلون : هو لها بالذي لها ، وليست امرأة الملك بدمّة فتصانع به ، ولا تحت يدك فتتقيك .

وقال آخرون : قد كنّا نُهدى الثياب لنسثيب ، ونبعث بها لتباع ، ولنصيب ثمنًا . فقال : ولكنّ الرسول رسول المسلمين ، والبريد بريدهم ، والمسلمون عظموها في صدرها . فأمر بردّها إلى بيت المال ، وردّها عليها بقدر نفقتها .

كتب إلى المرسى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي حازمة ، عن خالد بن معدان ، قال : أوّل من غزا في البحر معاوية بن أبي سفيان زمان عثمان بن عفان ، وقد كان استأذن^(٢) عمر فيه فلم يأذن له ؛ فلما ولي عثمان لم يزل به معاوية ؛ حتى عزم عثمان على ذلك بأخيرة ، وقال : لا تنتخب الناس ، ولا تُقرع بينهم ؛ خيرهم ؛ فن اختار الغزو طائعاً فاحمله وأعينه ، ففعل واستعمل على البحر عبد الله بن قيس الجاسي حليف بني قنزة ، فغزا خمسين غزاة من بين شاتية وصائفة في البحر ، ولم يفرق فيه أحد ولم ينكب ؛

(١) الأحفاش : أوعية الطيب . (٢) ف : « يستأذن » .

وكان يدعو الله أن يرزقه العافية في جنده ، وألاّ يبتليّه بمصاب أحد منهم ، ففعل ، حتى إذا أراد الله أن يصيبه وحده ؛ خرج في قارب طليعة ، فانتهى إلى المرقى من أرض الروم ؛ وعليه سؤال يعترّون بذلك المكان ، فتصدّق عليهم ، فرجعت امرأة من السؤال إلى قربتها ، فقالت للرجال : هل لكم في عبد الله بن قيس ؟ قالوا : وأين هو ؟ قالت : في المرقى ، قالوا : أى عدوة الله ! ومن أين تعرفين عبد الله بن قيس ؟ فوبّختهم ، وقالت : أنتم أعجز من أن يخفى عبد الله على أحد . فثاروا^(١) إليه ، فهجموا عليه ، فقاتلوه وقتلهم^(٢) ، ٢٨٢٥/١ فأصيب وحده ؛ وأفلت الملاح حتى أتى أصحابه ، فجاءوا حتى أرقوا ، والخليفة منهم^(٣) سفيان بن عوف الأزدي^(٤) ، فخرج فقاتلهم ، فضجّر وجعل يعبث بأصحابه ويشتهم ، فقالت جارية عبد الله : واعبد الله ، ما هكذا كان يقول حين يقاتل ! فقال سفيان : وكيف كان يقول ؟ قالت :
• الغمرات ثم ينجلينا^(٥) .

فترك ما كان يقول ، ولزم : « الغمرات ثم ينجلينا » . وأصيب في المسلمين يومئذ ، وذلك آخر زمان عبد الله بن قيس الجاسى ؛ وقيل لتلك المرأة بعد : بأى شيء عرفته ؟ قالت : بصدّقه ؛ أعطى كما يعطى الملوك ؛ ولم يقبض قبض التجار .

وكتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي حارثة وأبي عثمان ، قالوا : قيل لتلك المرأة التى استثارت الروم على عبد الله بن قيس : كيف عرفته ؟ قالت : كان كالتاجر ، فلما سألته أعطاني كالمملك ؛ فعرفت أنه عبد الله بن قيس .

وكتب إلى معاوية والعمّال : أمّا بعد ، فقوموا^(٦) على ما فارقتم عليه عمر ، ولا تبدّلوا ، ومهما أشكل عليكم ، فردّوه إلينا^(٧) نجمع عليه الأمة ، ثم نردّه ٢٨٢٦/١

(١) ابن حبيش : « فبادروا » . (٢) ف : « فقاتلهم وقتلوه » .

(٣) ابن الأثير : « عليهم » . (٤) ابن حبيش : « الأزدي » .

(٥) للأغلب العجل ، أمثال الميداني ٢ : ٥٨ .

(٦) ابن حبيش : « فقوموا » . (٧) ابن حبيش : « علينا » .

عليكم ؛ وإياكم أن تغيروا ، فإننى لست قابلاً منكم إلا ما كان عمر يقبل . وقد كانت تنتقص فيما بين صلح عمر وولاية عثمان تلك الناحية فيبعث إليها الرجل فيفتحها الله على يديه ، فيحسب له ذلك ؛ وأما الفتوح فلا أول من وليها .

• • •

قال أبو جعفر : ولما غزا معاوية قبرس ؛ صالح أهلها — فيما حدثنى على بن مهمل ، قال : حدثنا الوليد بن مسلم ، قال : أخبرنى سليمان بن أبى كريمة والليث بن سعد وغيرهما من مشيخة ساحل دمشق ؛ أن صلح قبرس وقع على جزية سبعة آلاف دينار يؤدونها إلى المسلمين فى كل سنة ، ويؤدون إلى الروم مثلها ، ليس للمسلمين أن يحولوا بينهم وبين ذلك ، على ألا يغزوه ولا يقاتلوا من وراءهم ممن أرادهم من خلفهم ، وعليهم أن يؤذنوا المسلمين بمسير عدوهم من الروم إليهم ؛ وعلى أن يبطر إمام المسلمين عليهم منهم .

وقال الواقدي : غزا معاوية فى سنة ثمان وعشرين قبرس ، وغزاها أهل مصر وعليهم عبد الله بن سعد بن أبى سرح ، حتى لقوا معاوية ، فكان على الناس .

قال : وحدثنى ثور بن يزيد ، عن خالد بن معدان ، عن جبشير بن نفيير ، قال : لما سبيناهم نظرت إلى أبى الدرداء يبكى ، فقلت [له] ^(١) : ما يبكيك فى يوم أعز الله فيه الإسلام وأهله ، وأذل فيه الكفر وأهله ؟ قال : فضرب بيده ^(٢) على منكبيه ، وقال : ثكلتكم أمك يا جبير ! ما أهون الخلق ^(٣) على الله إذا ^(٤) تركوا أمره ! بينا هى أمة ظاهرة قاهرة للناس لهم الملك ؛ إذ تركوا أمر الله ، فصاروا إلى ما ترى ، فسلط عليهم السباء ، وإذا سلط السباء على قوم فليس لله فيهم حاجة .

قال الواقدي : وحدثنى أبو سعيد ، أن معاوية بن أبى سفيان صالح

(٢) ابن حبش : « بيديه » .

(١) من ابن حبش .

(٤) ف : « سبحانه إذ » .

(٣) ابن كثير : « العباد » .

أهل قبرس في ولاية عثمان ؛ وهو أوّل مَنْ غزا الروم ؛ وفي العهد الذي بينه وبينهم ألاّ يتزوجوا في عدوتنا من الروم إلاّ بإذننا .

• • •

قال الواقدي: وفي هذه السنة غزا حبيب بن مسلمة سورية من أرض الروم .

وفيها تزوج عثمان نائلة ابنة الفرافصة [الكليبة] ^(١) وكانت نصرانية ، فتحنّثت ^(٢) قبل أن يدخل بها .

قال : وفيها بنى داره بالمدينة ، الزوراء ^(٣) ، وفرغ منها .

قال : وفيها كان فتح فارس الأول ، وإصطخر الآخر وأميرها هشام ابن عامر .

قال : وحجّ بالناس عثمان في هذه السنة .

(١) من ابن كثير . (٢) ابن الأثير وابن كثير والتويري : « فأسلمت » .

(٣) الزوراء ، من وصف الدار ؛ وانظر ياقوت .

ثم دخلت سنة تسع وعشرين

ذكر ما كان فيها من الأحداث المشهورة

ففيها عزل عثمان أبا موسى الأشعري عن البصرة ، وكان عامله عليها ست سنين ، ولأها عبد الله بن عامر بن كُرَيْز ، وهو يومئذ ابن خمس وعشرين سنة ، فقدمها . وقد قيل : إن أبا موسى إنما عمِلَ لعثمان على البصرة ثلاث سنين .

وذكر علي بن محمد أن محارباً أخبره ، عن عوف الأعرابي ، قال : خرج غَيْلان بن خَرَشَة الضبيّ إلى عثمان بن عفان ، فقال : أما لكم صغير فتستبوه فتولوه البصرة ! حتى متى بلى هذا الشيخ البصرة ! يعني أبا موسى ؛ وكان وليها بعد موت عمر ست سنين .

قال : فعزله عثمان عنها ، وبعث عبد الله بن عامر بن كُرَيْز بن ربيعة ابن حبيب بن عبد شمس ، وأمه دجاجة ابنة أسماء السلمي ؛ وهو ابن خال عثمان بن عفان . قال مسلمة : فقدم البصرة ، وهو ابن خمس وعشرين سنة ، سنة تسع وعشرين .

• • •

ذكر الخبر عن سبب عزل عثمان أبا موسى عن البصرة

كتب إلى السري ، يذكر أن شعيباً حدثه ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالا : لما ولي عثمان أقرّ أبا موسى على البصرة ثلاث سنين ، وعزله في الرابعة ، وأمر على خراسان عمير بن عثمان بن سعد ، وعلى سجستان عبد الله بن عمير اللبني - وهو من كنانة - فأئخذ فيها إلى كابل ، وأئخذ عمير في خراسان حتى بلغ فرغانة ، فلم يدع دونه كورة إلا أصلحها ؛ وبعث إلى مكران عبيد الله بن معمر التيمي ، فأئخذ فيها حتى بلغ النهر .

٢٨٢٩/١

وبعث على كرمّان عبد الرحمن بن غُبَيْسٍ؛ وبعث إلى فارس والأهواز نفرًا،
 وضمّ سواد البصرة إلى الحصين بن أبي الحرّ، ثم عزل عبد الله بن عُمَيْر،
 واستعمل عبد الله بن عامر فأقرّه عليها سنة ثم عزله، واستعمل عاصم بن
 عمرو، وعزل عبد الرحمن بن غُبَيْسٍ، وأعاد عدى بن سُهيل بن عدى.
 ولما كان في السنة الثالثة كفر أهل لبذج والأكراد، فنادى أبو موسى
 في الناس، وحضّهم وندبهم؛ وذكر من فضل الجهاد في الرُّجْلة^(١)؛ حتى حمل
 فقر على دوابهم، وأجمعوا على أن يخرجوا رُجُلًا. وقال آخرون: لا والله
 لا نعجل بشيء حتى ننظر ما صنيعه؟ فان أشبه قوله فعله فعلنا كما فعل
 أصحابنا.

فلما كان يوم خرج أخرج ثقله من قصره على أربعين بغلاً، فعلقوا
 بعنانه، وقالوا: احملنا على بعض هذه الفضول، وارغب من الرُّجْلة فيما
 رغبنا فيه، فقتنع القوم حتى تركوا دابته وضي، فأتوا عثمان، فاستغفوه
 منه، وقالوا: ما كل ما نعلم نحب أن نقوله، فأبْد لنا به، فقال: مَنْ
 تحبّون؟ فقال غَيْلان بن خَرْشَة: في كل أحد عوّض من هذا العبد الذي
 قد أكل أرضنا، وأحيا أمر الجاهلية فينا، فلا نفك من أشعريّ كان يعظّم
 ملكه عن الأشعرين؛ ويستصغر ملك البصرة، وإذا أمّرت علينا صغيراً
 كان فيه عوّض منه، أو مهترأ كان فيه عوّض منه؛ ومن بين ذلك من جميع
 الناس خير منه.

فدعا عبد الله بن عامر وأمّره على البصرة، وصرف عُبَيْد الله بن معمر إلى
 فارس، واستعمل على عمله عُيمِر بن عثمان بن سعد. فاستعمل على خراسان
 في سنة أربع أُمَيْن بن أحمر اليَشْكُريّ، واستعمل على سِجِسْتَان في سنة
 أربع عمران بن الفَصِيل البرجميّ، وعلى كرمّان عاصم بن عمرو، فمات بها.
 فجاشت فارس، وانتقضت بعُبَيْد الله بن معمر، فاجتمعوا له بإصطخر،
 فالتفّوا على باب إصطخر، فقتل عُبَيْد الله وهزّم جنده؛ وبلغ الخبر عبد الله
 ابن عامر، فاستنفر أهل البصرة؛ وخرج معه الناس، وعلى مقدّمته عثمان
 ابن أبي العاص، فالتفّوا هم وهم بإصطخر، وقتل منهم مقتلة عظيمة لم يزلوا

٢٨٣١/١

(١) الرُّجْلة، بالفم: أن يسير المرء راجلاً غير راكب.

منها في ذلّ ، وكتب بذلك إلى عثمان ؛ فكتب إليه بإمرة هريم بن حسان اليشكريّ ، وهريم بن حيان العبدى من عبد القيس ، والخريّث بن راشد من بني سامة ، والمنسجّاب بن راشد ، والترجّمان الهجيميّ ، على كورّ قاس ، وفرق خراسان بين نفر ستة : الأحنف على المروّين ، وحبيب بن قرّة اليربوعيّ على بلكخ - وكانت مما افتتح أهل الكوفة - وخالد بن عبد الله بن زهير على هراة ، وأمّين بن أحمد اليشكريّ على طوس ، وقيس بن الهيثم السلميّ على نيسابور - وهو أول من خرج - وعبد الله بن خازم ، وهو ابن عمه . ثم إن عثمان جمعها له قبل موته ؛ فمات وقيس على خراسان ، واستعمل أمّين بن أحمر على سجستان ، ثم جعل عليها عبد الرحمن بن سمرة - وهو من آل حبيب ابن عبد شمس ؛ فمات عثمان وهو عليها ؛ ومات عمران على كرمان - وعمر ابن عثمان بن سعد على فارس ، وابن كندير القشيريّ على مكرّان .

وقال عليّ بن محمد : أخبرنا عليّ بن مجاهد ، عن أشياخه ، قال : قال غيّلان بن خريشة لعثمان بن عفان : أها منكم خنيس فترفعوه ! أما منكم فقير فتجبروه ! يا معشر قريش ، حتى متى يأكل هذا الشيخ الأشعريّ هذه البلاد ! فانتبه لها الشيخ ؛ فولاها عبد الله بن عامر . ٢٨٣٢/١

قال عليّ بن محمد : أخبرنا أبو بكر الهذليّ ؛ قال : ولّى عثمان ابن عامر البصرة ؛ فقال الحسن (١) : قال أبو موسى : يأتاكم غلام خراج ولاّج كريم الجذات والخالات والعمات ؛ يُجمع له الجنندان . قال : قال الحسن : فقدم ابن عامر ، فجمع له جند أبي موسى وجند عثمان بن أبي العاص الثقفيّ ؛ وكان عثمان بن أبي العاص فيمن عبّر من عُثمان والبحرين .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالوا : وقد قيس بن هيثم عبد الله بن خازم إلى عبد الله بن عامر في زمان عثمان ؛ وكان عبد الله بن خازم على عبد الله بن عامر كريماً ، فقال له : اكتب لي على خراسان عهداً إن خرج منها قيس بن الهيثم . ففعل ، فرجع إلى خراسان ؛ فلما قتل عثمان وبلغ الناس الخبر ، وجاش العدو لذلك ، قال قيس : ما ترى يا عبد الله ؟ قال : أرى أن تخلفني ولا تخلف عن المضىّ حتى تنظر فيما تنظر . ففعل

(١) هو الحسن البصريّ ، أخذ عنه أبو بكر الهذليّ . لسان الميزان ٣ : ٧١ .

واستخلفه ، فأخرج عبد الله عهدَ خلافته ، وثبت على خُرَاسان إلى أن قام على رضى الله تعالى عنه ، وكانت أمّ عبد الله عَجَلِيّ ، فقال قيس : أنا كنت أحقّ أن أكون ابن عَجَلِيّ من عبد الله ؛ وغضب مما صنع به الآخر .

• • •

وفى هذه السنة افتتح عبد الله بن عامر فارسَ في قول الواقديّ وفى قول أبى معشر ؛ حدثنى بقول أبى معشر أحمد بن ثابت ، عمّن حدثه ، عن إسحاق ابن عيسى ، عنه . وأما قول سيف فقد ذكرناه قبل .

• • •

وفى هذه السنة — أعنى سنة تسع وعشرين — زاد عثمان في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وسعّه ، وابتدأ في بنائه في شهر ربيع الأول ؛ وكانت القصّة (١) تحمّل إلى عثمان من بطن نَحْلٍ ، وبناه بالحجارة المنقوشة ، وجعل نَمُودَه من حجارة فيها رصاص ، وسقفه ساجاً ، وجعل طوله ستين ومائة ذراع ، وعرضه مائة وخمسين ذراعاً ، وجعل أبوابه على ما كانت عليه على عهد عمر ، ستة أبواب .

• • •

وحجّ بالناس في هذه السنة عثمان ؛ فضرب بمئى فسطاطاً ، فكان أوّل فسطاط ضربه عثمان بمئى ، وأتمّ الصلاة بها وبعرفة .

فذكر الواقديّ ، عن عمر بن صالح بن نافع ، عن صالح مولى التوءمة ، قال : سمعتُ ابن عباس يقول : إن أوّل ما تكلم الناس في عثمان ظاهراً أنه صلى بالناس بمئى في ولايته ركعتين ؛ حتى إذا كانت السنة السادسة أتمّها ، فعاب ذلك غير واحد من أصحاب النّبى صلى الله عليه وسلم ؛ وتكلم في ذلك منّ يريد أن يكثّر عليه ؛ حتى جاءه على فيمن جاءه ، فقال : والله ما حدث أمرٌ ولا قدّم عهد ؛ ولقد عهدت نبيك صلى الله عليه وسلم يصلّى ركعتين . ثمّ أبا بكر ، ثمّ عمر ، وأنت صدرّاً من ولايتك ، فما أدري ما ترجع إليه ! فقال : رأى رأيته .

٢٨٣٤/١

(١) القصّة : الحجارة من الجص .

قال الواقدي : وحدّثني داود بن خالد ، عن عبد الملك بن عمرو بن أبي سفيان الثقفي ، عن عمته ، قال : صلّى عثمان بالناس بمئى أربعاً ، فأتى آت عبد الرحمن بن عوف ، فقال : هل لك في أخيك ؟ قد صلّى بالناس أربعاً ! فصلّى عبد الرحمن بأصحابه ركعتين ؛ ثم خرج حتى دخل على عثمان ، فقال له : ألم تصلّ في هذا المكان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين ؟ قال : بلى ، قال : أفلم تصلّ مع عمر ركعتين ؟ قال : بلى ، قال : ألم تصلّ صدراً من خلافتك ركعتين ؟ قال : بلى ، قال : فاسمع مني يا أبا محمد^(١) ؛ إني أخبرت أن بعض من حجّ من أهل اليمن وجفأة الناس قد قالوا في عامنا الماضي : إن الصلاة للمقيم ركعتان ، هذا إمامكم عثمان يصلّي ركعتين ، وقد اتخذت بمكة أهلاً ، فرأيت أن أصليّ أربعاً لخوف ما أخاف على الناس ؛ وأخرى قد اتخذت بها زوجة ، وليّ بالطائف مال ؛ فربما اطلعتهُ فأقمتُ فيه بعد الصّدَر . فقال عبد الرحمن ابن عوف : ما من هذا شيء لك فيه عُدْر ؛ أما قولك : اتخذت أهلاً ، فزجّلتك بالمدينة تخرج بها إذا شئت وتقدم بها إذا شئت ؛ إنما تسكن بسكنائك . وأما قولك : وليّ مال بالطائف ؛ فإن بينك وبين الطائف مسيرة ثلاث ليال وأنت لست من أهل الطائف . وأما قولك : يرجع من حجّ من أهل اليمن وغيرهم فيقولون : هذا إمامكم عثمان يصلّي ركعتين وهو مقيم ؛ فقد كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ينزل عليه الوحي والناس يومئذ الإسلامُ فيهم قليل ؛ ثم أبو بكر مثل ذلك ، ثم عمر ، فضرب الإسلامُ بجِراحه ، فصلّي بهم عمر حتى مات ركعتين ، فقال عثمان : هذا رأي رأيته .

٢٨٣٥/١

قال : فخرج عبد الرحمن فلقى ابن مسعود ، فقال : أبا محمد ، غير ما يُعلم^(٢) ؟ قال : لا ، قال : فما أصنع ؟ قال : اعمل أنت بما تعلم ؛ فقال ابن مسعود : الخلاف شر ؛ قد بلغني أنه صلّى أربعاً فصلّي بأصحابي أربعاً ، فقال عبد الرحمن بن عوف : قد بلغني أنه صلّى أربعاً ، فصلّي بأصحابي ركعتين ، وأما الآن فسوف يكون الذي تقول — يعني نصليّ معه أربعاً .

(١) أبو محمد ، كنية عبد الرحمن بن عوف .

(٢) ابن الأثير : غير ما تعلم ؟ .

ثم دخلت سنة ثلاثين

ذكر ما كان فيها من الأحداث المشهورة

فما كان فيها غزوة سعيد بن العاص طبرستان في قول أبي معشر ،
حدثني بذلك أحمد بن ثابت ، عمن حدثه ، عن إسحاق بن عيسى ، عنه .
وفي قول الواقدي وقول علي بن محمد المدائني : حدثني بذلك عمر بن شبة عنه .
وأما سيف بن عمر ، فإنه ذكر أن إصْبَهْبَنْدَهَا صالح سويد بن مقرن على
الآل يغزوها ؛ على مال بذله له . قد مضى ذكر الخبر عن ذلك قبل في أيام
عمر رضي الله عنه .

وأما علي بن محمد المدائني ، فإنه قال — فيما حدثني به عنه عمر : لم يغزها
أحدٌ حتى قام عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فغزاها سعيد بن العاص
سنة ثلاثين .

ذكر الخبر عنه عن غزو سعيد بن العاص طبرستان

حدثني عمر بن شبة ، قال : حدثني علي بن محمد ، عن علي بن
مجاهد ، عن حنش بن لمالك ، قال : غزا سعيد بن العاص من الكوفة سنة
ثلاثين يريد خراسان ، ومعه حذيفة بن اليمان وناسٌ من أصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم ، ومعه الحسن والحسين وعبد الله بن عباس وعبد الله
ابن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الله بن الزبير ؛ وخرج عبد الله
ابن عامر من البصرة يريد خراسان ، فسبق سعيداً ونزل أبرش شهر ، وبلغ
نزوله أبرش شهر سعيداً . فنزل سعيد قوميس ؛ وهي صلح ، صالحهم حذيفة
بعد نهاوند ؛ فأقن جرجان ، فصالحوه على مائتي ألف ، ثم أتى طميسية ، وهي
كلها من طبرستان (١) جرجان ، وهي مدينة على ساحل البحر ، وهي
في تخوم جرجان ، فقَاتَلَهُ أهلها حتى صلت صلاة الخوف ، فقال حذيفة :
كيف صلت رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فأخبره ، فصلت بها سعيد صلاة

(١) ابن حبيش : « من ناحية » .

الخوف ، وهم يقتتلون ، وضرب يومئذ سعيد رجلاً من المشركين على جبل عاتقه ، فخرج السيِّف من تحت مِرْفَقه ؛ وحاصروهم ، فسألوا الأمان ؛ فأعطاهم على ألا يقتل منهم رجلاً واحداً ، ففتحوا الحصن ، فقتلهم جميعاً إلا رجلاً واحداً ؛ وحوى ما كان في الحصن ، فأصاب رجل من بني نَهْد سَقَطاً عليه قُفْل ، فظنّ فيه جوهراً ؛ وبلغ سعيداً ، فبعث إلى النهديّ ، فأتاه بالسَّقَط ، فكسروا قُفْله ؛ فوجدوا فيه سَقَطاً ، ففتحوه ، فإذا فيه خرقة سوداء مُدرجة فنشروها ، فوجدوا خِرقة حمراء فنشروها ، فإذا خرقة صفراء ؛ وفيها أيران : كُمَيْت وُزْد ، فقال شاعر يهجو بني نَهْد :

أَبَ الْكِرَامِ بِالسَّبَايا غَنِيمةً وفاز بنو نَهْدٍ بِأَيْرَيْنِ فِي سَقَطِ
كُمَيْتٍ وَوَزْدٍ وَافِرَيْنِ كِلَاهُمَا فظَنُّوهُمَا غَنَمًا فَنَاهِيكَ مِنْ غَلَطِ !
وفتح سعيد بن العاص نامية ، وليست بمدينة ، هي صحارى .

* * *

وحدثني عمر بن شبة ، قال : حدثنا عليّ بن محمد ، قال : أخبرني عليّ بن مجاهد ، عن حَسَنَ بن مالك التَّغْلَبِيّ ، قال : غزا سعيد سنة ثلاثين ، فأتى جَرْجَان وطَبْرِسْتَان ؛ معه عبد الله بن العباس وعبد الله بن عمر وابن الزبير وعبد الله بن عمرو بن العاص ؛ فحدثني عِلْج كان يخذلهم قال : كنت أتيهم بالسُّفْرة ^(١) ، فإذا أكلوا أمروني فنفضتها وعلقتها ، فإذا أمسوا أعطوني باقية . قال : وهلك مع سعيد بن العاص محمد بن الحكم ابن أبي عَقِيل الثقفيّ ، جدّ يوسف بن عمر ، فقال يوسف لقحذَم : يا قحذَم ، أتلرى أين مات محمد بن الحكم ؟ قال : نعم ، استشهد مع سعيد بن العاص بطَبْرِسْتَان ، قال : لا ، مات بها وهو مع سعيد ، ثم قتل سعيد إلى الكوفة ، فدحه كعب بن جُعِيل ، فقال :

فَنِعَمَ الْقَى إِذْ جَالِ جِيلَانُ دُونَهُ وَإِذْ هَبَطُوا مِنْ دَسْتَبَى ثُمَّ أَبْهَرَا
تَعْلَمُ سَعِيدَ الْخَيْرِ أَنْ مَطِيتِي إِذَا هَبَطْتَ أَشْفَقْتُ مِنْ أَنْ تُعْمَرَا
كَأَنَّكَ يَوْمَ الشَّعْبِ لَيْثٌ خَفِيَّةٍ تَحَرَّدَ مِنْ لَيْثِ الْعَرَيْنِ وَأَصْحَرَا

(١) السفرة : طعام المسافر .

تَسُوْسُ الَّذِي مَاسَسَ قَبْلَكَ وَاحِدٌ ثَمَانِينَ أَلْفًا دَارِعِينَ وَحُسْرًا ٢٨٣٩/١
 وحدثني عمر ، قال : حدثنا عليّ ، عن كليب بن خلف وغيره ؛ أن
 سعيد بن العاص صالح أهل جُرجان ، ثم امتنعوا وكفروا ، فلم يأت جُرجان
 بعد سعيد أحد ، ومنعوا ذلك الطريق ؛ فلم يكن أحد يسلك طريق خُراسان
 من ناحية قُوميس إلا على وجهك وخوف من أهل جُرجان ، وكان^(١) الطريق إلى
 خراسان من فارس إلى كَرَمَان ، فأول من صير الطريق من قُوميس قتيبة
 ابن مسلم حين ولي خراسان .

وحدثني عمر ، قال : حدثنا عليّ ، عن كليب بن خلف العَمِيّ ،
 عن طفيل بن مرداس العَمِيّ وإدريس بن حنظلة العَمِيّ ؛ أن سعيد بن
 العاص صالح أهل جُرجان ؛ وكانوا يجيئون أحيانًا مائة ألف ويقولون :
 هذا صلحنا ، وأحيانًا مائتي ألف ، وأحيانًا ثلاثمائة ألف ؛ وكانوا ربما أعطوا ذلك
 وربما منعهوا ؛ ثم امتنعوا وكفروا ، فلم يُعطوا خراجًا حتى أتاهم يزيد بن المهلب ،
 فلم يعاذه^(٢) أحد حين قدمها ؛ فلما صالح صُولا وفتح البُحيرة ودهستان
 صالح أهل جُرجان على صلح سعيد بن العاص .

* * *

وفي هذه السنة — أعني سنة ثلاثين — عزل عثمان الوليد بن عقبة عن الكوفة ، ٢٨٤٠/١
 وولاه سعيد بن العاص في قول سيف بن عمر .

* * *

ذكر السبب في عزل عثمان الوليد عن الكوفة وتوليته سعيداً عليها
 كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ،
 قالوا : لما بلغ عثمان الذي كان بين عبد الله وسعد غضب عليهما وهمّ بهما ،
 ثم ترك ذلك وعزل سعداً ، وأخذ ما عليه ، وأقرّ عبد الله ، وتقدّم إليه ، وأمر مكان
 سعد الوليد بن عُقْبَة — وكان على عرب الجزيرة عاملاً لعمر بن الخطاب —
 فقدم الوليد في السنة الثانية من إمارة عثمان ؛ وقد كان سعد عمل عليها سنة وبعض
 أخرى ؛ فقدم الكوفة ، وكان أحبّ الناس في الناس وأرفقهم بهم ؛ فكان كذلك
 خمس سنين ، وليس على داره باب . ثمّ إن شباباً من أهل الكوفة

(١) كذا في ابن حبيش ، وفي ط : « كان » . (٢) لم يعاذه : لم يغلبه .

نقبوا على ابن الحيسمان الخزاعي، وكاثروه ، فنذروهم ، فخرج عليهم بالسيف ، فلما رأى كثرتهم استصرخ ، فقالوا له : اسكت ، فلما هي ضربة حتى نريحك من روعة هذه الليلة وأبو شريح الخزاعي مشرف عليهم - فصاح بهم وضربوه فقتلوه ، وأحاط الناس بهم فأخذوهم ؛ وفيهم زهير بن جندب الأزدي ومورع بن أبي مورع الأسدي ، وشبيل بن أبي الأزدي ، في عدة . فشهد عليهم أبو شريح وابنه أنهم دخلوا عليه ، فنع بعضهم بعضاً من الناس ، فقتله بعضهم ، فكتب فيهم إلى عثمان ، فكتب إليه في قتلهم ، فقتلهم على باب القصر في الرحبة ، وقال في ذلك عمرو بن عاصم التميمي :

٢٨٤١/١

لَا تَأْكُلُوا أَبَدًا جِوَارِنَكُمْ سَرَقًا أَهْلَ الزَّعَارَةِ فِي مُلْكِ ابْنِ عَفَّانٍ
[وقال أيضاً] :

إِنَّ ابْنَ عَفَّانَ الَّذِي جَرَّبْتُمْ فَطَمَ لِلصَّوْصِ بِمُحْكَمِ الْفُرْقَانِ
مَا زَالَ يَعْمَلُ بِالْكِتَابِ مُهَيِّمًا فِي كُلِّ غُنْفٍ مِنْهُمْ وَبَنَانِ

وكتب إلى المري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عبد الله بن سعيد ، عن أبي سعيد ، قال : كان أبو شريح الخزاعي من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتحول من المدينة إلى الكوفة ليدنو من الغزو ؛ فبينما هو ليلة على السطح ، إذ استغاث بجاره ، فأشرف فإذا هو بشباب من أهل الكوفة قد بيتوا جاره ؛ وجعلوا يقولون له : لا تصح ، فلما هي ضربة حتى نريحك ؛ فقتلوه . فارتحل إلى عثمان ، ورجع إلى المدينة ونقل أهله ، ولهذا الحديث حين كثُر أحدت القسامة ؛ وأخذ بقول ولي المقتول : لِيُقْطَمَ ^(١) الناس عن القتل عن ملا من الناس يومئذ .

٢٨٤٢/١

وكتب إلى المري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن كريب ، عن نافع بن جبير ، قال : قال عثمان : القسامة على المدعى عليه وعلى أوليائه ؛ يحلف منهم خمسون رجلاً إذا لم تكن بينة ؛ فإن نقصت قسامتهم ، أو إن نكّل رجل واحد ردت قسامتهم ووليها المدعون ؛ وأحلفوا ، فإن حلف منهم خمسون استحقوا .

(١) ابن الأثير : « ليقطع » .

وكتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الغصن بن القاسم ، عن عوّن بن عبد الله ، قال : كان مما أحدث عثمان بالكوفة إلى ما كان من الخبر أنه بلغه أن أبا سمّال الأسديّ في نفر من أهل الكوفة ، ينادى مناد لهم إذا قدم الميَّار ^(١) : من كان ها هنا من كلب أو بني فلان ليس لقومهم بها منزل فتزله على أبي سمّال ^(٢) . فاتخذ موضع دار عتّيل دار الضيفان ودار ابن هبّار ، وكان منزل عبد الله بن مسعود في هذيل في موضع الرّمادة ، فتزل موضع داره ، وترك داره دار الضيافة ، وكان الأضياف يتزلون داره في هذيل إذا ضاق عليهم ما حول المسجد .

وكتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن المغيرة بن مقسم ، عن أدركم من علماء أهل الكوفة ، أن أبا سمّال كان ينادى مناديه في السوق والكناسة : من كان ها هنا من بني فلان وفلان—لمن ليست له بها خُطّة— فتزله على أبي سمّال ؛ فاتخذ عثمان للأضياف منازل .

٢٨٤٣/١

وكتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن موسى لآل طلحة ، عن موسى بن طلحة مثله .

وكتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالا : كان عمر بن الخطاب قد استعمل الوليد بن عتبة على عرب الجزيرة ، فتزل في بني تغلب . وكان أبو زُبَيْد في الجاهليّة والإسلام في بني تغلب حتى أسلم ؛ وكانت بنو تغلب أخواله ؛ فاضطهده أخواله ديناً له ؛ فأخذ له الوليد بحقه ، فشكرها له أبو زُبَيْد ، وانقطع إليه ، وغشيه بالمدينة ؛ فلما ولي الوليد الكوفة أتاه مسلماً معظماً على مثل ما كان يأتيه بالجزيرة والمدينة ، فتزل دار الضيفان ، وآخر قَدَمه قَدَمه لها أبو زُبَيْد على الوليد ؛ وقد كان يتتبعه ويرجع ، وكان نصرانياً قبل ذلك ، فلم يزل الوليد به وعنه حتى أسلم في آخر إمارة الوليد ، وحسن إسلامه ، فاستدخله الوليد ، وكان عربياً شاعراً حين قام على الإسلام ؛ فأتى آتٍ أبا زَيْنَب وأبا مَوْرَع وجُنْدَباً ، وهم يحقدون ^(٣)

(١) الميَّار : جمع مائرو وهو جالب الميرة ، والميرة : الطعام .

(٢) ط : « فلان » ، وانظر التصويبات .

(٣) ابن الأثير : « يحقدون » .

له منذ قَتَلَ آبَاءَهُمْ ، وَيَضْعُونَ لَهُ الْعَيْنَ (١) ، فَقَالَ لَهُمْ : هَلْ لَكُمْ فِي الْوَلِيدِ يَشَارِبُ آبَا زُبَيْدٍ ؟ فَتَارُوا فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ أَبُو زَيْنَبٍ وَأَبُو مَرْعٍ وَجَنَدَبٌ لِأَنَاسٍ مِنْ وَجْهِ أَهْلِ الْكُوفَةِ : هَذَا أَمِيرُكُمْ وَأَبُو زُبَيْدٍ خَيْرُهُ ، وَهُمَا عَاكِفَانِ عَلَى الْخَمْرِ ، فَقَامُوا مَعَهُمْ — وَمَنْزِلُ الْوَلِيدِ فِي الرَّحْبَةِ مَعَ عُمَارَةَ بْنِ عَقْبَةَ ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ بَابٌ — فَاقْتَحَمُوا عَلَيْهِ مِنَ الْمَسْجِدِ وَبَابَهُ إِلَى الْمَسْجِدِ ، فَلَمْ يُفْجَأَ الْوَلِيدُ إِلَّا بِهِمْ ، فَنَحَى شَيْئًا ، فَأَدْخَلَهُ تَحْتَ الْمُرِيرِ ، فَأَدْخَلَ بَعْضُهُمْ يَدَهُ فَأَخْرَجَهُ لَا يُؤَامِرُهُ ؛ فَإِذَا طَبَقَ عَلَيْهِ تَفَارِيقُ عُنْبٍ — وَإِنَّمَا نَحَاهُ اسْتِحْيَاءُ أَنْ يَرَوْا طَبَقَهُ لَيْسَ عَلَيْهِ إِلَّا تَفَارِيقُ عُنْبٍ — فَقَامُوا فَخَرَجُوا عَلَى النَّاسِ ، فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ ، وَسَمِعَ النَّاسُ بِذَلِكَ ، فَأَقْبَلَ النَّاسُ عَلَيْهِمْ يَسْتَوْنَهُمْ وَيَلْعَنُونَهُمْ ؛ وَيَقُولُونَ : أَقْوَامُ غَضِبَ اللَّهُ لَعْمَهُ ، وَبَعْضُهُمْ أَرْغَمَهُ الْكِتَابُ (٢) ؛ فَدَعَاهُمْ ذَلِكَ إِلَى التَّحَسُّسِ وَالْبَحْثِ ؛ فَسَرَّ عَلَيْهِمُ الْوَلِيدُ ذَلِكَ ، وَطَوَاهُ عَنْ عُثْمَانَ ، وَلَمْ يَدْخُلْ بَيْنَ النَّاسِ فِي ذَلِكَ شَيْءٌ ، وَكَرِهَ أَنْ يُفْسَدَ بَيْنَهُمْ ، فَسَكَتَ عَنْ ذَلِكَ وَصَبَرَ .

وَكُتِبَ إِلَى الْمَرْيِّ ، عَنْ شُعَيْبٍ ، عَنْ سَيْفٍ ، عَنْ الْفَيْضِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، قَالَ : رَأَيْتُ الشَّعْبِيَّ جُلَسَ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْوَلِيدِ — يَعْنِي ابْنَ عَقْبَةَ — وَهُوَ خَلِيفَةُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ؛ فَذَكَرَ مُحَمَّدٌ غَزْوَةَ مُسْلَمَةَ ، فَقَالَ : كَيْفَ لَوْ أَدْرَكْتُمُ الْوَلِيدَ ؛ غَزَوَهُ وَإِمَارَتَهُ ! إِنْ كَانَ لِيغْزُوَ فَيَنْتَهِي إِلَى كَذَا وَكَذَا ، مَا قَصَّرَ وَلَا انْتَقَضَ عَلَيْهِ أَحَدٌ حَتَّى عِزَلَ عَنْ عَمَلِهِ ؛ وَعَلَى الْبَابِ يَوْمُئِذٍ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ رَبِيعَةَ الْبَاهِلِيَّ ؛ وَإِنْ كَانَ مِمَّا زَادَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَانَ النَّاسَ عَلَى يَدِهِ أَنْ رَدَّ عَلَى كُلِّ مَمْلُوكٍ بِالْكُوفَةِ مِنْ فَضُولِ الْأَمْوَالِ ثَلَاثَةَ فِي كُلِّ شَهْرٍ ؛ يَتَسَعُونَ بِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مَوَالِيَهُمْ مِنْ أَرْزَاقِهِمْ .

كُتِبَ إِلَى الْمَرْيِّ ، عَنْ شُعَيْبٍ ، عَنْ سَيْفٍ ، عَنْ الْغَضَنِ بْنِ الْقَاسِمِ ، عَنْ عُونَ (٣) بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : جَاءَ جَنَدَبٌ وَرَهْطٌ مَعَهُ إِلَى ابْنِ مَسْعُودٍ ، فَقَالُوا : الْوَلِيدُ يَعْتَكِفُ عَلَى الْخَمْرِ ؛ وَأَذَاعُوا ذَلِكَ حَتَّى طَرِحَ عَلَى أَلْسِنِ النَّاسِ ، فَقَالَ

(١) ف : « الْعْيَبِ » . (٢) كَذَا فِي أَصُولِ ط ، وَهُوَ غَيْرُ وَاضِحٍ .

(٣) ط : « عَمْرُو » ، وَانْظُرْ ص ٤٢٢ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ .

ابن مسعود: من استتر عتاً بشيء لم تتبع عورته، ولم نهتك ستره؛ فأرسل إلى ابن مسعود فأتاه فعاتبه في ذلك، وقال: أيرضى^(١) من مثلك بأن يجيب قوماً موتورين بما أجبت على! أى شيء استتر به! إنما يقال هذا للمريب، فتلاحيا وافترقا على تغاضب، لم يكن بينهما أكثر من ذلك.

وكتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالوا: وأتى الوليد بساحر؛ فأرسل إلى ابن مسعود يسأله عن حده، فقال: وما يُدريك أنه ساحر! قال: زعم هؤلاء النفر - لنفر جاءوا به - أنه ساحر، قال: وما يُدريك أنه ساحر! قالوا: يزعم ذلك، قال: أساحر أنت؟ قال: نعم، قال: وتدرى ما السحر؟ قال: نعم، وثار إلى حمار، فجعل يركبه من قبل ذنبه، ويُرهم أنه يخرج من فيه واسته. فقال ابن مسعود: فاقتله. فأتى الوليد، فنادوا في المسجد أن رجلاً يلعب بالسحر عند الوليد، فأقبلوا، وأقبل جندب - واغتمها - يقول: أين هو؟ أين هو؟ حتى أريته! فضر به، فاجتمع عبد الله والوليد على حبسه؛ حتى كتب إلى عثمان، فأجابهم عثمان أن استحلّفوه بالله ما علم برأيكم فيه. وإنه لصادق بقوله فيما ظن من تعطيل حده. وعزّروه، وخلّوا سبيله. وتقدم إلى الناس في ألاّ يعملوا بالظنون، وألاّ يقيموا الحدود دون السلطان، فإننا نقيد المخطئ، ونؤدّب المصيب. ففعل ذلك به، وترك لأنه أصاب حدّاً، وغضب لجندب أصحابه، فخرجوا إلى المدينة، فيهم أبو خشة الغفاري وجشامة بن الصعب بن جشامة ومعهم جندب، فاستعفوه من الوليد، فقال لهم عثمان: تعملون بالظنون، وتخطئون في الإسلام، وتخرجون بغير إذن؛ ارجعوا. فردّهم، فلما رجعوا إلى الكوفة، لم يبق موتور في نفسه إلاّ أناهم، فاجتمعوا على رأى فأصدروه، ثم تغفّلوا الوليد - وكان ليس عليه حجاب - فدخل عليه أبو زينب الأزدي وأبو مورع الأسدي، فسلاً خاتمه، ثم خرجا إلى عثمان، فشهدا عليه؛ ومعهما نفر ممن يعرف من أعوانهم. فبعث إليه عثمان، فلما قدم أمر به سعيد ابن العاص، فقال: يا أمير المؤمنين، أنشدك الله! فوالله لئنهما لخصمان موتوران.

فقال : لا يضرّك ذلك ؛ إنما نعمل بما ينتهي إلينا ، فن ظلمَ فآله وليّ انتقامه ،
ومن ظلمَ فآله وليّ جزائه .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي غسان سكّن
ابن عبد الرحمن بن حبّيش ، قال : اجتمع نفرٌ من أهل الكوفة ، فعملوا
في عزل الوليد ، فانتدب أبو زينب بن عوف وأبو مورّع بن فلان الأسديّ
للشهادة عليه ، نغشوا الوليد ، وأكبوا عليه ؛ فبينما هم معه يوماً في البيت وله
امراتان في المخدع ؛ بينهما وبين القوم سترٌ ؛ إحدهما بنت ذى الحمار
والأخرى بنت أبي عقيل ، فنام الوليد ، وتفرّق القوم عنه ؛ وثبت أبو زينب
وأبو مورّع ، فتناول أحدهما خاتمة ، ثم خرجا ، فاستيقظ الوليد وامراتاه عند
رأسه ؛ فلم ير خاتمه ، فسألها عنه فلم يجد عندهما منه علماً ، قال : فأىّ
القوم تخلف عنهم ؟ قالتا : رجلان لا نعرفهما ، ما غشّياك إلا منذ قريب .
قال : حكّياهما ^(١) ، فقالتا : على أحدهما خميصة ، وعلى الآخر مطرّف ،
وصاحب المطرّف أبعدهما منك ، فقال : الطّوال ؟ قالتا : نعم ؛ وصاحب
الخميصة أقربهما إليك ، فقال : القصير ؟ قالتا : نعم ؛ وقد رأينا يده على
يدك . قال : ذاك أبو زينب ، والآخر أبو مورّع ؛ وقد أرادا داهية ، فليت
شعري ماذا يريدان ! فطلبهما فلم يقدر عليهما ؛ وكان وجههما إلى المدينة ،
فقدما على عثمان ؛ ومعهما نفرٌ ممن يعرف عثمان ، ممن قد عزل الوليد عن
الأعمال ، فقالوا له ، فقال : من يشهد ؟ قالوا : أبو زينب وأبو مورّع ،
وكاع الآخران ^(٢) ، فقال : كيف رأيتهما ؟ قالوا : كنّا من غاشيته ؛ فدخلنا
عليه وهو يقبىء الخمر ، فقال : ما بقى الخمر إلاّ شاربها . فبعث إليه ، فلما
دخل على عثمان رأهما ، فقال متمثلاً :

٢٨٤٨/١

ما إن خشيتُ على أمرٍ خلوتُ به فلم أخفك على أمثالها حارٍ
فحلف له الوليد وأخبره خبرهم ، فقال : نقيم الحدود وبيوء شاهد الزور بالنار ؛
فاصبر يا أخى ! فأمر سعيد بن العاص فجلبه ، فأورث ذلك عداوةً بين
ولديهما حتى اليوم ؛ وكانت على الوليد خميصة يوم أمر به أن يجلد ، فترعها

(١) حليهما ، أى صفاهما . (٢) كاع الآخران : جينا .

عنه على بن أبي طالب عليه السلام .

كتب إلى السريّ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عبّيد الطنافمى ،
عن أبي عبيدة الإيادى ، قال : خرج أبو زينب وأبو مورّع حتى دخلا على
الوليد بيته ، وعنده امرأتان : بنت ذى الخمار وبنت أبي عقيل ؛ وهو نائم ،
قالت إحداهما : فأكبّ عليه أحدهما فأخذ خاتمته ، فسألهما حين استيقظ ،
فقالتا : ما أخذناه ، قال : منّ بقى آخر القوم ؟ قالتا : رجلان ؛ رجل
قصير عليه خصيصة ، ورجل طويل عليه مطّرف ، ورأينا صاحب الخصيصة
أكبّ عليك ، قال : ذاك أبو زينب . فخرج يطلبهما ، فإذا هو وجههما
عن ملا من أصحابهما ؛ ولا يدرى الوليد ما أرادا من ذلك . فقدّما على
عثمان ، فأخبراه الخبر على رؤوس الناس ، فأرسل إلى الوليد ، فقديّم ، فإذا
هو بهما . ودعا بهما عثمان ، فقال : بم تشهدان أنكما رأيتهما يشرب
الخمر ؟ فقالا : لا ، وخافا ، قال : فكيف ؟ قالّا : اعتصمناهما من لحيته وهو
يقىء الخمر . فأمر سعيد بن العاص فجلبه ، فأورث ذلك عداوة بين
أهليهما .

وكتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عطية ، عن
أبي العريف ويزيد الفقعى ، قالّا : كان الناس فى الوليد فرقتين : العامة معه
والخاصة عليه ؛ فما زال عليهم من ذاك خُشوع حتى كانت صيفين ، فولى
معاوية ، فجعلوا يقولون : عيب عثمان بالباطل ، فقال لهم على عليه السلام :
لأنكم وما تعيرون به عثمان كالطاعن نفسه ليقتل ردّفه ، ما ذنب عثمان فى
رجل قد ضر به بفعله^(١) ، وعزله عن عمله ! وما ذنب عثمان فيما صنع عن أمرنا !

وكتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن كريب ،
عن نافع بن جبّير ، قال : قال عثمان رضى الله عنه : إذا جليد الرجل الحدّ
ثم ظهرت توبته جازت شهادته .

وكتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي كبرّان ، عن
مولاة لهم — وأثنى عليها خيراً — قالت : كان الوليد أدخل على الناس خيراً ،

(١) ط : « بقوله » ، وانظر التصويبات .

حتى جعل يقيم للولائد والعبيد ، ولقد تفجع عليه الأحرار والمماليك ، كان يسمع الولائد وعليهن الحداد يقلن :

يَا وَيْلَتَا قَدْ عَزَلَ الْوَلِيدُ وَجَاءَنَا مُجُوعًا سَعِيدُ

يَنْقُصُ فِي الصَّاعِ وَلَا يَزِيدُ فَجُوعَ الْإِمَامِ وَالْعَبِيدُ

وكتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الغصن بن القاسم ، قال : كان الناس يقولون حين عزل الوليد وأمر سعيد :

لَا يَبْعَدِ الْمَلِكُ إِذْ وَلَّتْ شِمَالُهُ وَلَا الرِّيَاسَةُ لِمَا رَأَسَ كُتَّابُ

وكتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة بإسنادهما ، قالوا : قدم سعيد بن العاص في سنة سبع من إمارة عثمان ، وكان سعيد بن العاص بقية العاص بن أمية ، وكان أهله كثيراً تتابعوا ، فلما فتح الله الشام قدمها ، فأقام مع معاوية ، وكان يتيماً نشأ في حجر عثمان ، فتذكر عمر قريباً ، وسأل عنه فيما يتفقد من أمور الناس ، ف قيل : يا أمير المؤمنين ، هو بدمشق ، عهد العاهد به وهو مأموم بالموت . فأرسل إلى معاوية : أن ابعث إلى سعيد بن العاص في منقل ، فبعث به إليه وهو ذئف ، فما بلغ المدينة حتى أفاق ، فقال : يا بن أخي ؛ قد بلغني عنك بلاء وصلاح ، فازدد يزدك الله خيراً . وقال : هل لك من زوجة ؟ قال : لا ؛ قال : يا أبا عمرو ، ما منعك من هذا الغلام أن تكون زوجته ؟ قال : قد عرضت عليه فأبى ، فخرج يسير في البر ، فانتهى إلى ماء ، فلقى عليه أربع نسوة ، فقمّن له ، فقال : ماكن ؟ ومن أنس ؟ فقلن : بنات سفيان بن عوف - ومعهن أمهن - فقالت : أمهن : هلك رجالنا ، وإذا هلك الرجال ضاع النساء ، فضعهن في أكفأهن ، فزوج سعيداً إحداهن وعبد الرحمن بن عوف الأخرى ، والوليد بن عتبة الثالثة ؛ وأتاه بنات مسعود بن نعيم النهشلي ، فقلن : قد هلك رجالنا ، وبقي الصبيان ، فضعنا في أكفأنا ، فزوج سعيداً إحداهن ، وجبير بن مطعم إحداهن ، فشارك سعيد هؤلاء وهؤلاء ، وقد كان عمومته ذوى بلاء في الإسلام ، وسابقة حسنة ، وقُدُمة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فلم يمت عمر حتى كان سعيد من رجال الناس .

٢٨٥٢/١

فقدم سعيد الكوفة في خلافة عثمان أميراً ، وخرج معه من مكة - أوالمدينة - الأشتر وأبو خُشَّة الغفاري وجندب بن عبد الله وأبو مُصعب بن جثامة - وكانوا فيمن شخص مع الوليد يعيبونه^(١) ، فرجعوا مع هذا - فصعد سعيد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، وقال : والله لقد بُعِثَ إليكم وإني لكاره ؛ ولكنني لم أجِدْ بداً إذ أمرت أن أتميرَ - ألا إنَّ الفتنة قد أطلعتْ خَطْمُها وعينُها ؛ ووالله لأضرين وجهها حتى أقمعا أو تُعيني ؛ وإني لرائد نفسي اليوم . ونزل . وسأل عن أهل الكوفة ، فأقيم على حال أهلها .

فكتب إلى عثمان بالذي انتهى إليه : إنَّ أهلَ الكوفة قد اضطرب أمرهم ، وغلب أهل الشرف منهم والبيوتات والسابقة والقُدُمة ؛ والغالب على تلك البلاد روادف ردت ، وأعراب لحقت ؛ حتى ما يُنظر إلى ذى شرف ولا بلاء من نازلتها ولا نابتها .

فكتب إليه عثمان : أما بعد ؛ ففضَّلَ أهل السابقة والقُدُمة ممن فتح الله عليه تلك البلاد ، وليكن من نزلها بسببهم تبعاً لهم ؛ إلا أن يكونوا تناقلوا عن الحق ، وتركوا القيام به وقام به هؤلاء . واحفظ لكل منزله ، وأعظمهم جميعاً بقسطهم من الحق ، فإنَّ المعرفة بالناس بها يصاب العدل .

٢٨٥٣/١

فأرسل سعيد إلى وجوه الناس من أهل الأيتام والقادسية ، فقال : أنتم وجوه من وراءكم ، والوجه ينبت عن الجسد ؛ فأبلغونا حاجة ذى الحاجة وخلة ذى الخلة . وأدخل معهم من المحتمل من اللواحق والروادف ؛ وخلص بالقرءاء والمتسمتين في سمره ، فكأنما كانت الكوفة يبساً شملته نار ؛ فانقطع إلى ذلك الضرب ضربهم ، وفشت القالة والإذاعة .

فكتب سعيد إلى عثمان بذلك ، فنادى منادى عثمان : الصلاة جامعة ! فاجتمعوا ، فأخبرهم بالذي كتب به إلى سعيد ، وبالذي كتب به إليه فيهم ؛ وبالذي جاءه من القالة والإذاعة ، فقالوا : أصبتَ فلا تُسغفهم في ذلك ، ولا تُطعمهم فيما ليسوا له بأهل ، فإنه إذا نهض في الأمور من ليس لها بأهل لم يحتملها وأفسدها .

(١) ابن الأثير : « يعينونه » .

فقال عثمان : يا أهل المدينة استعدوا واستمسكوا ، فقد دبت إليكم الفتن .
ونزل . فأوى إلى منزله ، وتمثل مثله ومثل هذا الضرب الذين شرعوا في
الخلافة :

أَبْنَى عُبَيْدٍ قَدْ أَتَى أَشْيَاعَكُمْ عَنْكُمْ مَقَالَتُكُمْ وَشِعْرُ الشَّاعِرِ
فَإِذَا أَتَيْتُمْ هَذِهِ فَتَلَبَّسُوا إِنَّ الرَّمَّاحَ بِصِيرَةٍ بِالْحَاسِرِ

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن هشام بن عروة ،
قال : كان عثمان أروى الناس للبيت والبيتين والثلاثة إلى الخمسة . ٢٨٥٤/١

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن سعيد بن عبد الله
الجمحي ، عن عبيد الله بن عمر ، قال : سمعته وهو يقول لأبي : إن عثمان
جمع أهل المدينة ، فقال : يا أهل المدينة ؛ إن الناس يتمخضون بالفتنة ،
وإني والله لأنخلصنكم لكم الذي لكم حتى أنقله إليكم إن رأيتم ذلك ؛ فهل
تروونه حتى يأتي من شهد مع أهل العراق الفتح فيه ، فيقيم معه في بلاده ؟
فقام أولئك ، وقالوا : كيف تنقل لنا ما أفاء الله علينا من الأرضين يا أمير المؤمنين ؟
فقال : نبيعهما ممن شاء بما كان له بالحجاز . ففرحوا وفتح الله عليهم
به أمراً لم يكن في حسابهم ؛ فافترقوا وقد فرّجها الله عنهم به . وكان طلحة
ابن عبيد الله قد استجمع له عامة ميهمان خيبر إلى ما كان له سوى ذلك ،
فاشترى طلحة منه من نصيب من شهد القادسية والمدائن من أهل المدينة ممن
أقام ولم يهاجر إلى العراق النشاستج بما كان له بخيبر وغيرها من
تلك الأموال ، واشترى منه بئر أريس شيئاً كان لعثمان بالعراق ، واشترى
منه مروان بن الحكم بمال كان له أعطاه إياه عثمان نهر مروان - وهو يومئذ
أجمة - واشترى منه رجال من القبائل بالعراق بأموال كانت لهم في جزيرة ٢٨٥٥/١
العرب من أهل المدينة ومكة والطائف واليمن وحضرموت ؛ فكان مما اشترى
منه الأشعث بمال كان له في حضرموت ما كان له بطيز ناباذ . وكتب عثمان
إلى أهل الآفاق في ذلك وبعده جربان النوى ، والنوى الذي يتداعاه أهل الأمصار ،
فهو ما كان للملوك نحو كسرى وقيصرو ومن تابعهم من أهل بلادهم . فأجلى

عنه، فأتاهم شيء عرفوه . وأخذ بقدر عدة من شهدها من أهل المدينة ، ويقدر نصيبهم ، وضمّ ذلك إليهم ، فباعوه بما يليهم من الأموال بالحجاز ومكة واليمن وحضر موت ، يردّ على أهلها الذين شهدوا الفتوح من بين أهل المدينة .

وكتب إلى السريّ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة مثل ذلك ، إلاّ أنّهما قالوا : اشترى هذا الضرب رجال من كلّ قبيلة ممن كان له هنالك شيء ؛ فأراد أن يستبدل به فيما يليه ، فأخذوا ، وجاز لهم عن تراضٍ منهم ومن الناس وإقرار بالحقوق ؛ إلاّ أنّ الذين لا سابقة لهم ولا قُدّمة لا يبلغون مبلغ أهل السابقة والقُدّمة في المجالس والرياسة والحظوة ، ثم كانوا يعيرون التفضيل ، ويجعلونه جفوةً ، وهم في ذلك يختفون به ولا يكادون يظهرونه ، لأنّه لا حجة لهم والناس عليهم ، فكان إذا لحق بهم لا حق من ناشئ أو أعرابى أو محرّر استحلّى كلامهم ؛ فكانوا في زيادة ، وكان الناس في نقصان حتى غلب الشرّ .

وكتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالوا : 'صرف حذيفة عن غزو الرّيّ إلى غزو الباب مدّداً لعبد الرحمن بن ربيعة ، وخرج معه سعيد بن العاص ، فبلغ معه أذربيجان - وكذلك كانوا يصنعون ، يجعلون للناس ردءاً - فأقام حتى قفل حذيفة ثم رجعا .

وفي هذه السنة - أعنى سنة ثلاثين - سقط خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم من يد عثمان في بئر أريس وهي على ميلين من المدينة ، وكانت من أقلّ الآبار ماءً ، فما أدرك حتى الساعة قعرها .

• • •

ذكر الخبر عن سبب سقوط الخاتم من يد عثمان في بئر أريس

حدثني محمد بن موسى الحرّشيّ ، قال : حدثنا أبو خلف عبد الله بن عيسى الخزّاز . قال : وكان شريك يونس بن عبيد قال : حدثنا داود ابن أبي هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أنّ رسول الله صلى الله عليه

وسلم أراد أن يكتب إلى الأعاجم كتاباً يدعوهم إلى الله عز وجل؛ فقال له رجل: يا رسول الله؛ إنهم لا يقبلون كتاباً إلا مَخْتُوماً ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُعمل له خاتم من حديد ، فجعله في إصبعه ، فأتاه جبريل ، فقال له: انبذه من إصبعك ، فنبذه رسول الله صلى الله عليه وسلم من إصبعه ، وأمر بخاتم آخر يُعمل له ، فعمل له خاتم من نُحاس ، فجعله في إصبعه ، فقال له جبريل عليه السلام: انبذه من إصبعك ، فنبذه رسول الله صلى الله عليه وسلم من إصبعه ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بخاتم من ورق ، فصنع له خاتم من ورق فجعله في إصبعه ، فأقره جبريل ، وأمر أن ينقش عليه: «محمد رسول الله»، فجعل يتختم به ، ويكتب إلى من أراد أن يكتب إليه من الأعاجم ، وكان نقش الخاتم ثلاثة أسطر . فكتب كتاباً إلى كمرى بن هرمز فبعثه مع عمر بن الخطاب ، فأتى به عمر كسرى فقرأ الكتاب ، فلم يلتفت إلى كتابه ، فقال عمر : يا رسول الله ، جعلني الله فداك ! أنت على سرير مرمول^(١) بالليث ، وكمرى بن هرمز على سرير من ذهب ، وعليه الديباج ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة ! » . فقال : جعلني الله فداك ! قد رضيت .

وكتب كتاباً آخر ، فبعث به مع دحية بن خليفة الكلبي إلى هرقل ملك الروم يدعوهم إلى الإسلام ، فقرأه وضمه إليه ، ووضعها عنده ؛ فكان الخاتم في إصبع رسول الله صلى الله عليه وسلم يتختم به حتى قبضه الله عز وجل ، ثم استخلف أبو بكر فتختم به حتى قبضه الله عز وجل ، ثم ولي عمر بن الخطاب بعد فجعل يتختم به حتى قبضه الله ، ثم ولي من بعده عثمان ابن عفان ، فتختم به ست سنين ، فحضر بئراً بالمدينة شرباً للمسلمين ، فقعده على رأس البئر ، فجعل يعبث بالخاتم ، ويديره بإصبعه ، فانسل الخاتم من إصبعه فوق في البئر ، فطلبوه في البئر ، ونزحوا ما فيها من الماء ، فلم يقدروا عليه ، فجعل فيه مالا عظيماً لمن جاء به ، واغتم لذلك غمّاً شديداً ، فلما يئس من الخاتم أمر فصنع له خاتم آخر مثله ، خلقه من فضة ، على مثاله

(١) مرمول ، أى منسوج .

وشبهه ، ونقش عليه : « محمد رسول الله » ؛ فجعله في إصبعه حتى هلك ، فلما قتل ذهب الخاتم من يده فلم يُدَرَّ مَنْ أخذه .

• • •

أخبار أبي ذرٍّ رحمه الله تعالى

وفي هذه السنة — أعني سنة ثلاثين — كان ما ذكر من أمر أبي ذرٍّ ومعاوية ، وإشخاص معاوية إتياءه من الشام إلى المدينة ، وقد ذكر في سبب إشخاصه إتياءه منها إليها أمور كثيرة ، كرهت ذكر أكثرها .

فأما العاذرون معاوية في ذلك ، فإنهم ذكروا في ذلك قصةً كتب إلى بها السريّ ، يذكر أن شعيباً حدثه عن سيف ، عن عطية ، عن يزيد الفقعسيّ ، قال : لما ورد ابنُ السوداء^(١) الشام لقي أبا ذرٍّ ، فقال : يا أبا ذرٍّ ، ألا تعجب إلى معاوية ، يقول : المال مال الله ! ألا إن كل شيء لله كأنه يريد أن يحتجبه^(٢) دون المسلمين ، ويمحو اسم المسلمين . فأتاه أبو ذرٍّ ، فقال : ما يدعوك إلى أن تسمي مالَ المسلمين مالَ الله ! قال : يرحمك الله يا أبا ذرٍّ ؛ ألسنا عبادَ الله ، والمال ماله ، والخلق خلقه ، والأمر أمره !

قال : فلا تقله ، قال : فإني لا أقول : إنه ليس لله ، ولكن سأقول : مال المسلمين . قال : وأني ابن السوداء أبا الدرداء ، فقال له : مَنْ أنت ؟ أظنك والله يهودياً ! فأني عبادة بن الصامت فتعلّق به ، فأني به معاوية ، فقال : هذا والله الذي بعث عليك أبا ذرٍّ ، وقام أبو ذرٍّ بالشام وجعل يقول : يا معشر الأغنياء ، واسوا الفقراء . بُشِّر الذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله بمكاوٍ من نار تكوى بها جباهم وجنوبهم وظهورهم . فما زال حتى ولّس الفقراء بمثل ذلك ، وأوجبوه على الأغنياء ، وحتى شكّا الأغنياء ما يلقون من الناس . فكتب معاوية إلى عثمان : إن أبا ذرٍّ قد أعضل^(٣) بي ، وقد كان من أمره كيّس وكبيّس . فكتب إليه عثمان : إن الفتنة قد أخرجت خطمها وعينيها ،

(١) ابن السوداء ؛ هو عبد الله بن سبأ .

(٢) التويروى : « يحتجبه » .

(٣) يقال : أعضل به الأمر ؛ إذا ضاقت عليه فيه الحيل .

فلم يبقَ إلا أن تثب ، فلا تنكأ القَرْح ، وجهزَ أبا ذر إلى ، وابعث معه دليلاً وزوّده ، وارفق به ، وكفّف الناس ونفسك ما استطعت ؛ فإنما تُمسك ما استمسكت . فبعث بأبي ذرٍّ ومعه دليل ؛ فلما قدم المدينة ورأى المجالس في أصل سَلْع ، قال : بشّر أهل المدينة بغارة شعواء وحربٍ مِذْكَار^(١) . ودخل على عثمان فقال : يا أبا ذرٍّ ، ما لأهل الشام يشكون ذَرَبَكَ ! فأخبره أنه لا ينبغي أن يقال : مال الله ، ولا ينبغي للأغنياء أن يقتنوا مالا . فقال : يا أبا ذرٍّ ؛ على أن أقضى ما على ، وآخذ ما على الرعيّة ، ولا أجبرهم على الزّهد ، وأن أدعوهم إلى الاجتهاد والاقتصاد .

٢٨٦٠/١

قال : فتأذن لي في الخروج ، فإنّ المدينة ليست لي بدار ؟ فقال : أوّ تستبدل بها لإشراً منها ! قال : أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أخرج منها إذا بلغ البناء سَلْعاً ؛ قال : فانفضّ لما أمرك به . قال : فخرج حتى نزل الرّبذة ، فخطب بها مسجداً ، وأقطع عثمان صِرْمة^(٢) من الإبل وأعطاه مملوكين ، وأرسل إليه : أن تعاهد المدينة حتى لا ترتدّ أعرابياً ؛ ففعل . وكتب إلى السّريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن عون ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : كان أبو ذرٍّ يختلف من الرّبذة إلى المدينة مخافة الأعرابيّة ، وكان يحبّ الوحدة والخلوّ . فدخل على عثمان ، وعنده كعب الأحبار ، فقال لعثمان : لا ترضوا من الناس بكفّ الأذى حتى يبذلوا المعروف ؛ وقد ينبغي للمؤدى الزكاة ألاّ يقتصر عليها حتى يحسن إلى الجيران والإخوان ، ويصل القربات . فقال كعب : من أدّى الفريضة فقد قضى ما عليه . فرفع أبو ذرٍّ محجّته فضرّبه فشجّه ، فاستوبه عثمان ، فوجهه له ، وقال : يا أبا ذرٍّ ، اتق الله واكفّ يدك ولسانك ، وقد كان قال له : يا بن اليهوديّة ؛ ما أنت وما هاهنا ! والله لتسمعنّ مني أولاد خيل عليك .

٢٨٦١/١

وكتب إلى السّريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الأشعث بن سوار ، عن محمد بن سيرين ، قال : خرج أبو ذرٍّ إلى الرّبذة من قبل نفسه لما رأى (١) حرب مذكّار : ذات أهوال . (٢) الصرمة من الإبل : ما بين العشرين والثلاثين .

وأما الآخرون ، فإنهم رَوَوْا في سبب ذلك أشياء كثيرة ، وأموراً شنيعة^(١) ، كرهت ذكرها .

• • •

[ذكر هرب يزْدَجِرْد إلى خراسان]

وفي هذه السنة ، هرب يزْدَجِرْد بن شهر يار في قول بعضهم من فارس إلى خراسان .

• ذكر من قال ذلك وما قال فيه :

ذكر عليّ بن محمد أنّ مسلمة أخبره عن داود ، قال : قدِم ابنُ عامر البصرة ، ثمّ خرج إلى فارس فافتتحها ، وهرب يزْدَجِرْد من جُوز — وهي أردشير خُرة — في سنة ثلاثين . فوجه ابنُ عامر في أثره مجاشع بن مسعود السلمي ، فأتبعه إلى كرمان ، فرل مجاشع السَّيرجان بالعسكر ، وهرب يزْدَجِرْد إلى خراسان . قال : وعبدُ القيس تقول : وجه ابنُ عامر هرم ابن حيان العبدى ، وبكر بن وائل تقول : وجه ابن حسان اليشكري . قال : وأصحّه عندنا مجاشع .

قال عليّ : وأخبرنا مسلمة بن عثمان — وكان فاضلاً — عن شيخ من أهل كرمان والفضل الكرمانى ، عن أبيه ، قال : اتبع مجاشع يزْدَجِرْد فخرج من السَّيرجان ، فلما كان عند القصر في بيمَند^(٢) — وهو الذى يقال له قصر مجاشع — أصابهم الثلج والدَّمَق^(٣) ، فوقع الثلج ، واشتدّ البرد ، وصار الثلج قامة رُمُح ، فهلك الجند ، وسلم مجاشع ورجل كانت معه جارية ، فشقّ

(١) ف : « شنة » .

(٢) بيمند بكسر الباء وفتح الميم ؛ ويقال « ميمند » بالميم : رستاق بفارس . وأنظر ياقوت .

(٣) الدّمق ، بالتحريك : الثلج مع الريح يغشى الإنسان من كل أوب ، حتى يكاد يقتل من يصيبه ، فارسى معرب .

بطن بعير ، فأدخلها فيه وهرب ؛ فلما كان من الغد ، جاء فوجدتها حية فحملها ، فسُمِّيَ ذلك القصر قصر مجاشع ؛ لأن جيشه هلكوا فيه ؛ وهو على خمسة فراسخ أو ستة من السَّيرجان .

قال عليّ : أخبرنا أبو المقدام ، عن بعض مشيخته ، قال : خرج مجاشع ٢٨٦٤/١ على وفدٍ أهل البصرة من تُسْتَر - وفيهم الأحنف - وأخذ في غداة واحدة على الجلم واحد خمسين ألفاً ، سبق على الصفراء ابنة الغراء ابنة الغبراء ، فأخذها منه عمر حين قاسم عماله الأموال .

قال عليّ : فقلت للنضر بن إسحاق : إن أبا المقدام ذكر هذا الحديث ! فقال : صدق ، سمعته من عدة من الحنّ وغيرهم ، وقرئ الصفراء ابنة الغراء ابنة الغبراء . وهو مجاشع بن مسعود بن ثعلبة بن عائذ بن وهب بن ربيعة بن يربوع بن ستمال بن عوف بن امرئ القيس بن بهثة بن مسلم . ويكنى أبا سليمان .

• • •

قال : وفي هذه السنة زاد عثمان النداء الثالث على الزّوراء ، وصلى بيمنى أربعاً .

وحجّ بالناس في هذه السنة عثمان رضى الله عنه .

ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين

ذكر ما كان فيها من الأحداث المشهورة

فَمَا كَانَ فِيهَا مِنْ ذَلِكَ غَزْوَةَ الْمُسْلِمِينَ الرُّومَ الَّتِي يُقَالُ لَهَا :

غزوة الصواري

فِي قَوْلِ الْوَاقِدِيِّ . فَأَمَّا أَبُو مُعْشَرَ فَإِنَّهُ قَالَ فِيهَا حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ ثَابِتِ
الرَّازِيُّ ، عَمَّنْ ذَكَرَهُ ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عِيسَى ، عَنْهُ : كَانَتْ غَزْوَةُ الصَّوَارِي
سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ ؛ وَقَالَ : كَانَتْ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ الْأَسَاوِدَةَ فِي الْبَحْرِ
وَوَقَائِعَ كَسْرَى .

وَقَالَ الْوَاقِدِيُّ : غَزْوَةُ الصَّوَارِي وَالْأَسَاوِدَةَ كِلَاهُمَا كَانَتَا فِي سَنَةِ إِحْدَى
وَثَلَاثِينَ .

• ذَكَرَ الْخُبْرَ عَنْ هَاتَيْنِ الْغَزَوَتَيْنِ :

ذَكَرَ الْوَاقِدِيُّ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ صَالِحٍ حَدَّثَهُ ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ عَمْرِو^(١) بْنِ
قَتَادَةَ ، أَنَّ أَهْلَ الشَّامِ خَرَجُوا ؛ عَلَيْهِمْ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ ، وَكَانَتْ الشَّامُ
قَدْ جُمِعَ جَمْعُهَا لِمُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ .

• ذَكَرَ السَّبَبَ فِي جَمْعِهَا لَهُ :

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ ، عَنْ شُعَيْبٍ ، عَنْ سَيْفٍ ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ وَالرَّبِيعِ
وَأَبِي مَجَالِدٍ وَأَبِي عُمَانَ وَأَبِي حَارِثَةَ ، قَالُوا : لَمَّا حُضِرَ^(٢) أَبُو عُبَيْدَةَ اسْتَخْلَفَ
عَلَى عَمَلِهِ عِيَاضُ بْنُ غَسْنَمٍ - وَهُوَ خَالَهُ وَابْنُ عَمِّهِ - وَقَدْ كَانَ وَلِيَّ الْبَلْجَزِيرَةِ
عَمَلًا ، فَغَزَلَهُ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ؛ فَلَحِقَ بِأَبِي عُبَيْدَةَ بِالشَّامِ ؛ ٢٨٦٦/١

(١) ط : « عمير » ، تحريف .

(٢) يقال : حضر المريض واحتضر ، إذا نزل به الموت .

وكان معه ؛ وكان جواداً مشهوراً بالجلود ، لا يَلِيْقُ ^(١) شيئاً ، ولا يمنع أحداً . فكلَّم عمر في ذلك ، فقيل له : عزلت خالداً وعتبت عليه العطاء ، وعياض أجود العرب وأعطاهم ؛ لا يمنع شيئاً يُسألُه ؛ فقال عمر : متى سيمته عياض في ماله ^(٢) حتى يخلص إلى ما لنا ! وإني مع ذلك لم أكن مغيراً أمراً قضاه أبو عبيدة . ومات عياض بن غنم بعد أبي عبيدة ، فأمر عمر على عمله سعيد بن حذيم الجُمَحِيّ ، ومات سعيد بعد ؛ فأمر عمر مكانه عمير بن سعد الأنصاري ؛ ومات عمر ومعاوية على دمشق والأردن ، وعمير بن سعد على حمص وقنسرين ؛ وإنما مصر قنسرين معاوية بن أبي سفيان لمن لحق به من أهل العراق ومات يزيد بن أبي سفيان ، فجعل عمر مكانه معاوية ونعاه لأبي سفيان ، فقال : من جعلت على عمله يا أمير المؤمنين ؟ فقال : معاوية ، فقال : وصلتك رحم ؛ فاجتمعت لمعاوية الأردن ودمشق ؛ ومات عمر ومعاوية على دمشق والأردن وعمير بن سعد على حمص وقنسرين ، وعلقمة ابن مجزز على فلسطين وعمرو بن العاص على مصر .

وكتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن مبشر ، عن سالم ، قال : كان أول عامل استعمله عثمان بن عفان سعد بن أبي وقاص عن وصية عمر . ثم إن عمير بن سعد طعن فأضنى ^(٣) منها ، فاستغنى عثمان واستأذنه في الرجوع إلى أهله ؛ فأذن له ؛ وضم حمص وقنسرين إلى معاوية .

وكتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي حازمة وأبي عثمان ، عن خالد بن معدان ؛ قال : لما ولي عثمان أقرّ عمال عمر على الشام ؛ فلما مات عبد الرحمن بن علقمة الكنانى - وكان على فلسطين - ضم عمله إلى معاوية ، ومرض عمير بن سعد في إمارة عثمان مرضاً طال به ، فاستعفاه واستأذنه فأذن له ، وضم عمله إلى معاوية ؛ فاجتمع الشام على معاوية لستين

(١) يقال : فلان ما يليق درهمًا من جوده ؛ أى ما يمسكه .

(٢) كذا ورد في التعليقات ، وفي ط : « حتى سيمه » ؛ وكلاهما غير واضح .

(٣) أضنى : أصابه الضى فلزم الفراش .

من إمارة عثمان . وكان عمرو بن العاص على مصر زمانَ عمر ، مجتمعةً له ، فأقره عثمان صدراً من إمارته .

• • •

• رجع الحديث إلى حديث الواقدي عن خبر الغزوتين اللتين ذكرتهما :

إنَّ أهل الشام خرجوا ، عليهم ^(١) معاوية بن أبي سفيان ؛ وعلى أهل البحر عبد الله بن سعد بن أبي سرح . وقال : وخرج عامنذ قسطنطين بن هيرقل لما أصاب المسلمون منهم بإفريقية ، فخرجوا في جمْعٍ لم يجتمع للروم مثله قط منذ كان الإسلام ، فخرجوا في خمسمائة مركب ؛ فالتقوا هم وعبد الله بن سعد ، فأمن بعضهم بعضاً حتى قروا بين سفن المسلمين وأهل الشرك بين صواربها ^(٢) .

قال ابن عمر : حدثني عيسى بن علقمة ، عن عبد الله بن أبي سفيان ، عن أبيه ، عن مالك بن أوس بن الحذكان ، قال : كنت معهم ، فالتقينا في البحر ، فنظرنا إلى مراكب ما رأينا مثلاً قط ؛ وكانت الرياح علينا ، فأرسلنا ساعة ، وأرسلوا قريباً منا ؛ وسكنت الرياح عنا ، فقلنا : الأمن بيننا وبينكم . قالوا : ذلك لكم ولنا منكم ، ثم قلنا : إن أحببتم فالساحل حتى يموت الأعجل منا ومنكم ؛ وإن شئتم فالبحر . قال : فنخروا نخرة واحدة ، وقالوا : الماء ؛ فدنونا منهم ، فربطنا السفن بعضها إلى بعض حتى كنا يضرب بعضنا بعضاً على سفننا وسفنهم ؛ فقاتلنا أشد القتال ، ووثبت الرجال على الرجال يضطربون بالسيوف على السفن ، ويتواجهون بالخنجر ، حتى رجعت الدماء إلى الساحل تضربها الأمواج ، وطرحت الأمواج جثث الرجال ركاماً .

قال ابن عمر : فحدثني هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن عمِّه حضر ذلك اليوم ، قال : رأيت الساحل حيث تضرب الرياح الموج ، وإنَّ عليه لمثل الظَّرب ^(٣) العظيم من جثث الرجال ؛ وإنَّ الدم لغالب على

(١) ابن حبيش : «وعليم» .

(٢) الصواري : جمع صار ؛ وهو الخشبة المعترضة وسط السفينة .

(٣) الظرب : مائتاً من الحجارة وحدد طرفه .

الماء، ولقد قتل يومئذ من المسلمين بشر كثير، وقتل من الكفار ما لا يحصى، وصبروا يومئذ صبراً لم يصبروا في موطن قط [مثله] ^(١). ثم أنزل الله نصرته على ^(٢) أهل الإسلام، وانهزم القسطنطين مدبراً، فما انكشف إلا لما أصابه من القتل والجراح؛ ولقد أصابه يومئذ جراحات مكث منها حيناً جريحاً.

قال ابن عمر: حدثني سالم مولى أم محمد، عن خالد بن أبي عمران، عن حنّس بن عبد الله الصنعاني، قال: كان أول ما سمع من محمد بن أبي حذيفة حين ركب الناس البحر سنة إحدى وثلاثين، لما صلى عبد الله بن سعد بن أبي سرح بالناس العصر، كبر محمد بن أبي حذيفة تكبيراً ورفع صوته حتى فرغ الإمام عبد الله بن سعد بن أبي سرح؛ فلما انصرف سأله: ما هذا؟ فقل له: هذا محمد بن أبي حذيفة يكبر، فدعاه عبد الله بن سعد، فقال له: ما هذه البدعة والحدث؟ فقال له: ما هذه بدعة ولا حدث؛ وما بالتكبير بأس، قال: لا تعودن.

قال: فأسكت ^(٣) محمد بن أبي حذيفة، فلما صلى المغرب عبد الله بن سعد كبر محمد بن أبي حذيفة تكبيراً أرفع من الأول، فأرسل إليه: إنك غلام أحمق؛ أما والله لولا أني لا أدري ما يوافق أمير المؤمنين لقاربت بين خطيوك. فقال محمد بن أبي حذيفة: والله مآلك إلى ذلك سبيل؛ ولو هممت به ما قدرت عليه. قال: فكفّ خير لك؛ والله لا تركب معنا، قال: فأركب مع المسلمين؟ قال: أركب حيث شئت. قال: فركب في مركب وحده ما معه إلا القبط؛ حتى بلغوا ذات الصواري؛ فلقوا جموع الروم في خمسمائة مركب أو ستمائة فيها القسطنطين بن هرقل، فقال: أشيروا علي، قالوا: ننظر الليلة، فباتوا يضربون بالنواقيس، وبات المسلمون يصلون ويدعون الله.

ثم أصبحوا وقد أجمع القسطنطين أن يقاتل، فقرّبوا سفنهم، وقرب المسلمون فربطوا بعضها إلى بعض، وصف عبد الله بن سعد المسلمين على

(١) من ابن حبيش. (٢-٢) ابن الأثير: «المسلمين».

(١) أسكت الرجل: انقطع كلامه.

نواحي السفن ، وجعل يأمرهم بقراءة القرآن ، ويأمرهم بالصبر ، وثبت الروم في سفن المسلمين على صفوفهم حتى نقضوها ؛ فكانوا يقاتلون على غير صفوف . قال : فاقتلوا قتالا شديداً . ثم إن الله نصر المؤمنين ، فقتلوا منهم مقتلة عظيمة لم ينج من الروم إلا الشريد .

قال : وأقام عبد الله بذات الصواري أياماً بعد هزيمة القوم ؛ ثم أقبل راجعاً ؛ وجعل محمد بن أبي حذيفة يقول للرجل : أما والله لقد تركنا خلفنا الجهاد حقاً ، فيقول الرجل : وأى جهاد ؟ فيقول : عثمان بن عفان فعل كذا وكذا ، وفعل كذا وكذا حتى أفسد الناس . فقدموا بلدهم وقد أفسدهم ، وأظهروا من القول ما لم يكونوا ينطقون به .

قال محمد بن عمر : فحدثني معمر بن راشد ، عن الزهري ، قال : خرج محمد بن أبي حذيفة ومحمد بن أبي بكر عام خرج عبد الله بن سعد ، فأظهرا عيب عثمان وما غيرهما خالف به أبا بكر وعمر ؛ وأن دم عثمان حلال . ويقولان : استعمل عبد الله بن سعد ؛ رجلاً كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أباح دمه ونزل القرآن بكفره ، وأخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قوماً وأدخلهم ، ونزع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واستعمل سعيد بن العاص وعبد الله بن عامر . فبلغ ذلك عبد الله بن سعد ، فقال : لا تركبا معنا ، فركبا في مركب ما فيه أحد من المسلمين ، ولقوا العدو ؛ وكانا أكل المسلمين قتالا ، فقبل لهما في ذلك ، فقالا : كيف نقاتل مع رجل لا ينبغي لنا أن نحكمه ! عبد الله بن سعد استعمله عثمان ، وعثمان فعل وفعل ؛ فأفسدا أهل تلك الغزاة ، وعابا عثمان أشد العيب . فأرسل عبد الله بن سعد إليهما ينهاهما أشد النهي ، وقال : والله لولا أني لا أدري ما يوافق أمير المؤمنين لعاقبتكما وحبستكما .

قال الواقدي : وفي هذه السنة توفى أبو سفيان بن حرب وهو ابن ثمان وثمانين سنة .

وفي هذه السنة — أعني سنة إحدى وثلاثين — فتحت في قول الواقدي أرمينية على يد حبيب بن مسلمة الفهري .

[ذكر الخبر عن مقتل يزديجرد ملك فارس]

٢٨٧٢/١

وفي هذه السنة قتل يزديجرد ملك فارس .

• ذكر الخبر عن سبب مقتله :

اختلف في سبب مقتله ؛ وكيف كان ذلك ؛ فقال علي بن محمد : أخبرنا غياث بن إبراهيم ، عن ابن إسحاق ، قال : هرب يزديجرد من كرممان في جماعة يسيرة إلى مَرَوَ ، فسأل مرزبانها مالا فمنعه ، فخافوا على أنفسهم ، فأرسلوا إلى الترك يستنصرونهم عليه ، فأتوه فبيتوه ، فقتلوا أصحابه ، وهرب يزديجرد حتى أتى منزلاً رجل ينقر الأرحاء على شطّ المرغاب ، فأوى إليه ليلاً ، فلما نام قتله .

قال علي : وأخبرنا الهذلي ، قال : أتى يزديجرد مَرَوَ هارباً من كرممان ، فسأل مرزبانها وأهلها مالا ، فمنعوه وخافوه ، فبيتوه ولم يستجيبوا عليه الترك ، فقتلوا أصحابه ، وخرج هارباً على رجليه ، معه منطقتة وسيفه وتاجه ؛ حتى انتهى إلى منزل نقار على شطّ المرغاب ، فلما غفل يزديجرد قتله النقار ، وأخذ متاعه وألقى جسده في المرغاب ، وأصبح أهل مَرَوَ فاتبعوا أثره ، حتى خفي عليهم عند منزل النقار ، فأخذوه ، فأقرّ لهم بقتله وأخرج متاعه ؛ فقتلوا النقار وأهل بيته ، وأخذوا متاعه ومتاع يزديجرد ، وأخرجوه من المرغاب فجعلوه في تابوت من خشب .

قال : فزعم بعضهم أنهم حملوه إلى إصطخر فدفن بها في أول سنة إحدى وثلاثين ، وسميت مَرَوَ «خزاه دُشمَن» ، وقد كان يزديجرد وطئ امرأة بها فولدت له غلاماً ذاهب الشقّ — وذلك بعد ما قتل يزديجرد — فسمى المخذج ، فولد له أولاد بخراسان ، فوجد قتيبة حين افتتح الصغد أو غيرها بجاريتين فقيل له : لمتما من ولد المخدج ، فبعث بهما — أو بإحدهما — إلى الحجاج بن يوسف ، فبعث بها^(١) إلى الوليد بن عبد الملك ، فولدت للوليد يزيد بن الوليد الناقص .

قال علي : وأخبرنا رَوْح بن عبد الله ، عن خُرَدَاذْبه الرازي ؛ أن

(١) ابن حبيش : « بها » .

٢٨٧٣/١

يَزْدَجَرْدُ أُنَى خُرَّاسَانَ وَمَعَهُ خُرَّزَادْمَهْرٌ ، أَخُو رَسْتَمَ ، فَقَالَ لِمَاهُوِيَهْ مَرْزَبَانَ مَرْوُ : إِنِّي قَدْ سَلَّمْتُ (١) إِلَيْكَ الْمَلِكَ . ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى الْعِرَاقِ وَأَقَامَ يَزْدَجَرْدُ بِمَرْوَ ، وَهَمَّ بِعِزْلِ مَاهُوِيَهْ ، فَكَتَبَ مَاهُوِيَهْ إِلَى التُّرْكِ يُخْبِرُهُمْ بِأَهْزَامِ يَزْدَجَرْدُ وَبِقُدُومِهِ عَلَيْهِ ، وَعَاهَدَهُمْ عَلَى مُؤَاذَمَتِهِمْ عَلَيْهِ ، وَخَلَّى لَهُمُ الطَّرِيقَ .

قَالَ : وَأَقْبَلَ التُّرْكُ إِلَى مَرْوَ ، وَخَرَجَ إِلَيْهِمْ يَزْدَجَرْدُ فِيمَنْ مَعَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَقَاتَلَهُمْ وَمَعَهُ مَاهُوِيَهْ فِي أَسَاوِرَةِ مَرْوَ ، فَأَتَّخَنَ يَزْدَجَرْدُ فِي التُّرْكِ ، فَخَشِيَ مَاهُوِيَهْ أَنْ يَنْهَزِمَ التُّرْكُ ، فَتَحَوَّلَ إِلَيْهِمْ فِي أَسَاوِرَةِ مَرْوَ ، فَأَهْزَمَ جَنْدُ يَزْدَجَرْدُ وَقَتَلُوا ، وَعُقِرَ فَرَسُ يَزْدَجَرْدُ عِنْدَ الْمَسَاءِ ، فَضَى مَاشِيًا هَارِبًا حَتَّى انْتَهَى إِلَى بَيْتٍ فِيهِ رَحًا عَلَى شَطِّ الْمَرْغَابِ ، فَكَثَّ فِيهِ لَيْلَتَيْنِ ، فَطَلَبَهُ مَاهُوِيَهْ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ الْيَوْمَ الثَّانِي دَخَلَ صَاحِبُ الرَّحَا بَيْتَهُ ، فَلَمَّا رَأَى هَيْئَةَ يَزْدَجَرْدُ قَالَ : مَا أَنْتَ ؟ لِمَنْتَى أَوْ جَنَى ؟ قَالَ : لِمَنْتَى ؟ فَهَلْ عِنْدَكَ طَعَامٌ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، فَأَتَاهُ بِهِ ، فَقَالَ : إِنِّي مُزْمِرٌ فَأَتْنِي بِمَا أَزْمُرُ بِهِ ، فَذَهَبَ الطَّحَّانُ إِلَى إِسْوَارِ مِنَ الْأَسَاوِرَةِ ، فَطَلَبَ مِنْهُ مَا يَزْمُرُ بِهِ ، قَالَ : وَمَا تَصْنَعُ بِهِ ؟ قَالَ : عِنْدِي رَجُلٌ لَمْ أَرْ مِثْلَهُ قَطُّ ، وَقَدْ طَلَبَ هَذَا مِنْنِي . فَأَدْخَلَهُ عَلَى مَاهُوِيَهْ ، فَقَالَ : هَذَا يَزْدَجَرْدُ ، أَذْهَبُوا فَجِيئُونِي بِرَأْسِهِ ، فَقَالَ لَهُ الْمُوَبَّدُ : لَيْسَ ذَلِكَ لَكَ ، قَدْ عَلِمْتَ أَنَّ الدِّينَ وَالْمُلْكَ مَقْتَرَنَانِ لَا يَسْتَقِيمُ أَحَدُهُمَا إِلَّا بِالْآخَرِ ، وَمَتَى فَعَلْتَ انْتَهَكَتَ الْحُرْمَةَ الَّتِي لَا بَعْدَهَا . وَتَكَلَّمَ النَّاسُ وَأَعْظَمُوا ذَلِكَ ، فَشَتَّمَهُمْ مَاهُوِيَهْ ، وَقَالَ لِلْأَسَاوِرَةِ : مَنْ تَكَلَّمَ فَاقْتُلُوهُ . وَأَمَرَ عِدَّةً فَذَهَبُوا مَعَ الطَّحَّانِ ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَقْتُلُوا يَزْدَجَرْدَ ، فَانْطَلَقُوا فَلَمَّا رَأَوْهُ كَرِهُوا قَتْلَهُ ، وَتَدَافَعُوا ذَلِكَ وَقَالُوا لِلطَّحَّانِ : ادْخُلْ فَاقْتُلْهُ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ وَهُوَ نَائِمٌ وَمَعَهُ حَجَرٌ فَشَدَخَ بِهِ رَأْسَهُ ، ثُمَّ احْتَزَزَ رَأْسَهُ ، فَدَفَعَهُ إِلَيْهِمْ ، وَأَلْقَى جَسَدَهُ فِي الْمَرْغَابِ . فَخَرَجَ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ مَرْوَ ، فَقَتَلُوا الطَّحَّانَ ، وَهَدَمُوا رِجَاهُ ، وَخَرَجَ أَسْقُفُ مَرْوَ ، فَأَخْرَجَ جَسَدَ يَزْدَجَرْدُ مِنَ الْمَرْغَابِ ، فَجَعَلَهُ فِي تَابُوتٍ ، وَحَمَلَهُ إِلَى إِصْطَخَرِ ، فَوَضَعَهُ فِي نَاوُوسٍ .

وقال آخرون في ذلك ما ذكر هشام بن محمد؛ أنه ذُكر له أن يَزْدَجُرد هرب بعد وقعة نِهاوند ، وكانت آخر وقعاتهم حتى سقط إلى أرض إصبهان ، وبها رجل يقال له مطيار من دهاقينها — وهو المنتدب كان لقتال العرب حين نككت الأعاجم عنها — فدعاهم إلى نفسه ، فقال : إن وليتُ أموركم وسرت بكم إليهم ما تجعلون لي ؟ فقالوا : نُفّر لك بفضلك . فسار بهم ، فأصاب من العرب شيئاً يسيراً ، فحظي به عندهم ، ونال به أفضل الدرجات فيهم . فلما رأى يَزْدَجُرد أمر إصبهان ونزلها ، أتاه مطيار ذات يوم زائراً ، فحجبه بوابه ، وقال له : قف حتى أستأذن لك عليه ، فوثب عليه فشجّه أنفةً وحميّة لحجبه إياه ، ودخل البواب على يَزْدَجُرد مدمي ، فلما نظر إليه أفضله ذلك ، وركب من ساعته مرتحلاً عن إصبهان ، وأشير عليه أن يأتي أقصى مملكته فيكون بها ، لاشتغال العرب عنه بما هم فيه إلى يوم . فسار متوجّهاً إلى ناحية الرّي ، فلما قدمها خرج إليه صاحب طَبَرِستان ، وعرض عليه بلاده ، وأخبره بمصائبها ، وقال له : إن أنت لم تجبني يومك هذا ثم أتيتني بعد ذلك لم أقبلك ولم أولك ؛ فأبى عليه يَزْدَجُرد ، وكتب له بالإصبهانية ، وكان له فيما خلا عليه درجة أوضع منها .

وقال بعضهم : إن يَزْدَجُرد مضى من فوره ذلك إلى سجستان ، ٢٨٧٦/١ ثم سار منها إلى مَرَوَ في ألف رجل من الأساورة .

وقال بعضهم : إن يَزْدَجُرد وقع إلى أرض فارس ، فأقام بها أربع سنين ، ثم أتى أرض كرمان ، فأقام بها سنتين أو ثلاث سنين ؛ فطلب إليه دِهقان كَرَمَان أن يقيم عنده ، فلم يفعل ؛ وطلب من الدِهقان أن يعطيه رهينة ، فلم يعطه دِهقان كَرَمَان شيئاً ، فلم يعطه ما طلب ، فأخذ برجله فسحبه وطرده عن بلاده ؛ فوقع منها إلى سجستان ، فأقام بها نحواً من خمس سنين . ثم أجمع أن ينزل خراسان فيجمع الجموع فيها ويسير بهم إلى من غلبه على مملكته ، فسار بمن معه إلى مَرَوَ ، ومعه الرّهْن من أولاد الدهاقين ، ومعه من رؤسائهم فرخزاد ؛ فلما قدم مَرَوَ استغاث منهم بالملوك ، وكتب إليهم يستمدّهم ، وإلى صاحب الصين وملك فرغانة وملك كابل وملك الخزر

والدهقان يومئذ بمرو ماهويه بن مافناه بن فيد أبو برّاز . ووكل ماهويه ابنه برّاز مدينة مرو - وكانت إليه - وأراد يزّـدجيرد دخول المدينة لينظر إليها وإلى قُـهـنـدزها - وكان ماهويه قد تقدّم إلى ابنه ألاّ يفتحها له إن رام دخولها تخوفاً لمكره وغدره - فركب يزّـدجيرد في اليوم الذي أراد دخولها ، فأطاف بالمدينة ، فلما انتهى إلى باب من أبوابها ، وأراد دخولها منه صاح أبو برّاز ببرّاز: أن افتح - وهو في ذلك يشدّ منطقتة ، ويومئ إلى ألاّ يفعل - وفطن لذلك رجل من أصحاب يزّـدجيرد ، فأعلمه ذلك ، واستأذنه في ضرب عتق ماهويه ، وقال : إن فعلت صنت لك الأمور بهذه الناحية ؛ فأبى عليه .

٢٨٧٧/١

* * *

وقال بعضهم : بل كان يزّـدجيرد ولّى مرو فرخزاد ، وأمر برّاز أن يدفع القُـهـنـدز والمدينة إليه ، فأبى أهل المدينة ذلك ؛ لأن ماهويه أبا برّاز تقدّم إليهم بذلك ، وقال لهم : ليس هذا لكم بملك ، فقد جاءكم مفلولاً مجروحاً ، ومرو لا تحتل ما يحتمل غيرها من الكور ، فإذا جئكم غداً فلا تفتحوا الباب . فلما أتاها ففعلوا ذلك ، وانصرف فرخزاد ، فجثا بين يدي يزّـدجيرد ، وقال : استصعبت عليك مرو ؛ وهذه العرب قد أتتكم . قال : فما الرأي ؟ قال : الرأي أن نلحق ببلاد الترك ونقيم بها ، حتى يتبين لنا أمر العرب ؛ فإنهم لا يدعون بلدة إلاّ دخلوها . قال : لست أفعل ؛ ولكني أرجع عودى على بدئى ؛ فعصاه ولم يقبل رأيه ، وسار يزّـدجيرد ، فأبى برّاز دهقان مرو ، وأجمع على صرف الدهقنة إلى سينجان ابن أخيه ، فبلغ ذلك ماهويه أبا برّاز ، فعمل في هلاك يزّـدجيرد وكتب إلى نيزك طرخان يخبره أن يزّـدجيرد وقع إليه مفلولاً ، ودعاه إلى القدوم عليه لتكون أيديهما معاً في أخذه ، والاستيثاق منه ، فيقتلوه أو يصالحوه عليه العرب ، وجعل له إن هو أراحه منه أن يبيّ له كل يوم بألف درهم ، وسأله أن يكتب إلى يزّـدجيرد مما كراً له لينحى عنه عامة جنده ، ويحصل في طائفة من عسكره وخواصه ، فيكون أضعف لرُكنه ، وأهون لشوكنه ، وقال : تُعَلِّمُه في كتابك إليه الذى عزمته عليه ؛ من مناصحته ومعونته على عدوه من العرب ، حتى

٢٨٧٨/١

يقهرهم ، وتطلب إليه أن يشتق لك اسماً من أسماء أهل الدرجات بكتاب مختوم بالذهب ، وتعلمه أنك لست قادماً عليه حتى ينحى عنه فرخزاد .

فكتب نيزك بذلك إلى يزددجرد ، فلما ورد عليه كتابه بعث إلى عظماء مـرو فاستشارهم ، فقال له سنجان : لست أرى أن تنحى عنك جندك وفرخزاد لشيء ، وقال أبو براز : بل أرى أن تتألف نيزك وتجيبه إلى ما سأل . فقبل رأيه ^(١) ، وفرق عنه جنده ، وأمر فرخزاد أن يأتي أجمة سرخس ، فصاح فرخزاد ، وشقّ جيبه ، وتناول عموداً بين يديه يريد ضرب أبي براز به ، وقال : يا قتلة الملوك ، قتلتم ملكين ، وأظنكم قاتلي هذا ! ولم يرح فرخزاد حتى كتب له يزددجرد بخطّ يده كتاباً : هذا كتاب لفرخزاد ؛ إنك قد سلّمت يزددجرد وأهله ولده وحاشيته وما معه إلى ماهويه دهقان مـرو . وأشهد عليه بذلك .

فأقبل نيزك إلى موضع بين المروين ، يقال له حلسدان ؛ فلما أجمع يزددجرد على لقائه والمسير إليه ، أشار عليه أبو براز ألاّ يلقاه في السلاح فيرتاب به ، وينفر عنه ؛ ولكن يلقاه بالزماير والملاهي ؛ ففعل فسار فيمن أشار عليه ماهويه ، وسمى له ، وتقاعص عنه أبو براز ، وكردّس نيزك أصحابه كراديس . فلما تدانوا استقبله نيزك ماشياً ، ويزددجرد على فرس له ، فأمر لنيزك بجنّية ^(٢) من جنائبه فركبها ؛ فلما توسط عسكره توافقا ، فقال له نيزك فيما يقول : زوجني إحدى بناتك وأناصحك ، وأقاتل معك عدوك . فقال له يزددجرد : وعلىّ تجرئ أيتها الكلب ! فعلاه نيزك بمخففته ، وصاح يزددجرد : غدر الغادر ! وركض منهزماً ، ووضع أصحاب نيزك سيوفهم فيهم ، فأكثروا فيهم القتل .

وانتهى يزددجرد من هزيمته إلى مكان من أرض مـرو ، فنزل عن فرسه ، ودخل بيت طحان فكث فيه ثلاثة أيام ؛ فقال له الطحان : أيها الشقيّ ، اخرج فاطعم شيئاً ، فإنك قد جعت منذ ثلاث ، قال : لست

أَصِيلَ إِلَى ذَلِكَ إِلَّا بِزَمْزَةٍ^(١) وَكَانَ رَجُلٌ مِنْ زَمَاوَةِ مَرْوَ أَخْرَجَ حَنْطَةَ لَهُ لِيَطْحَنَهَا ، فَكَلِمَةُ الطَّحَّانِ أَنْ يَزْمَزَ عَنْدهُ لِيَأْكُلَ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ ؛ فَلَمَّا انْصَرَفَ سَمِعَ أَبَا بَرَّازٍ يَذْكُرُ يَزْدَجِيرِدَ ، فَسَأَلَهُمْ عَنْ حَالِيَّتِهِ ؛ فَوَصَفُوهُ لَهُ ، فَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ رَأَى فِي بَيْتِ طَحَّانٍ ، وَهُوَ رَجُلٌ جَعَدَ مَقْرُونِ حَسَنِ الثَّنَائِيَا ، مَقْرَطٌ مَسُورٌ . فَوَجَّهَ إِلَيْهِ عِنْدَ ذَلِكَ رَجُلًا مِنَ الْأَسَاوِرَةِ ، وَأَمَرَهُ أَنْ هُوَ ظَفَرَ بِهِ أَنْ يَخْتَنِقَهُ بَوْتَرٌ ، ثُمَّ يَطْرَحُهُ فِي نَهْرِ مَرْوَ ؛ فَلَقُوا الطَّحَّانَ ، فَضَرَبُوهُ لِيُدَلَّ عَلَيْهِ فَلَمْ يَفْعَلْ ، وَجَحَدَهُمْ أَنْ يَكُونَ يَعْرِفُ أَيْنَ تَوَجَّهَ . فَلَمَّا أَرَادُوا الْإِنْصِرَافَ عَنْهُ قَالَ لَهُمْ رَجُلٌ مِنْهُمْ : إِنِّي أَبْجُدُ رِيحَ الْمَسْكِ ؛ وَنَظَرَ إِلَى طَرَفِ ثَوْبِهِ مِنْ دِيْبَاجٍ فِي الْمَاءِ ، فَاجْتَنَبَهُ إِلَيْهِ ؛ فَإِذَا هُوَ يَزْدَجِيرِدُ ، فَسَأَلَهُ أَلَا يَقْتُلُهُ وَلَا يَدُلُّ عَلَيْهِ ، وَيَجْعَلُ لَهُ خَاتَمَهُ وَسَوَارَهُ وَسِنْطَقَتَهُ ؛ قَالَ الْآخَرُ : أُعْطِنِي أَرْبَعَةَ دَرَاهِمَ وَأَخْلِي عَنكَ ؛ قَالَ يَزْدَجِيرِدُ : وَيَحْكُ خَاتَمِي لَكَ ، وَثَمَنُهُ لَا يَحْصَى ! فَأَبَى عَلَيْهِ ؛ قَالَ يَزْدَجِيرِدُ : قَدْ كُنْتُ أَخْبَرْتُ أَنَّي سَأَحْتَاجُ إِلَى أَرْبَعَةِ دَرَاهِمَ ؛ وَأَضْطَرُّ إِلَى أَنْ يَكُونَ أَكْلِي أَكْلَ الْهَرِّ ، فَقَدْ عَايَنْتُ ، وَجَاءَنِي بِحَقِيقَتِهِ ؛ وَانْتَزَعَ أَحَدُ قُرْطِيهِ فَأَعْطَاهُ الطَّحَّانَ مِكَافَأَةً لَهُ لِكَيْمَانَةِ عَلَيْهِ ، وَدَنَا مِنْهُ كَأَنَّهُ يَكَلِمُهُ بِشَيْءٍ ، فَوَصَفَ لَهُ مَوْضِعَهُ ، وَأَنْذَرَ الرَّجُلَ أَصْحَابَهُ ، فَأَتَوْهُ ، فَطَلَبَ إِلَيْهِمْ يَزْدَجِيرِدُ أَلَّا يَقْتُلُوهُ وَقَالَ : وَيَحْكُمُ ! إِنَّا نَجِدُ فِي كِتَابِنَا أَنَّ مَنْ اجْتَرَأَ عَلَى قَتْلِ الْمَلُوكِ عَاقَبَهُ اللَّهُ بِالْحَرِيقِ فِي الدُّنْيَا ؛ مَعَ مَا هُوَ قَادِمٌ عَلَيْهِ ، فَلَا تَقْتُلُونِي وَآتُونِي الدَّهْقَانَ أَوْ سَرَحُونِي إِلَى الْعَرَبِ ؛ فَلَيْنَهُمْ يَسْتَحْيُونَ مِثْلِي مِنَ الْمَلُوكِ ؛ فَأَخَذُوا مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ الْخَلْيِ ، فَجَعَلُوهُ فِي جِرَابٍ ، وَخَتَمُوا عَلَيْهِ ؛ ثُمَّ خَنَقُوهُ بَوْتَرٍ ، وَطَرَحُوهُ فِي نَهْرِ مَرْوَ ، فَجَرَى بِهِ الْمَاءُ حَتَّى انْتَهَى إِلَى قُوَّةِ الرَّزِيقِ ، فَتَعَلَّقَ بَعُودٌ ، فَأَتَاهُ أَسْقَفُ مَرْوَ ، فَحَمَلَهُ وَلَفَّهُ فِي طِيلَسَانَ مَمْسَكٍ ، وَجَعَلَهُ فِي تَابُوتٍ ، وَحَمَلَهُ إِلَى بَائِي بَابَانَ أَسْفَلَ مَا جَانَ ، فَوَضَعَهُ فِي عَقْدٍ كَانَ يَكُونُ مَجْلِسَ الْأَسْقَفِ فِيهِ وَرَدَمَهُ ، وَسَأَلَ أَبُو بَرَّازٍ عَنْ أَحَدِ الْقُرْطَيْنِ حِينَ افْتَقَدَهُ ، فَأَخَذَ الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ فَضَرَبَهُ حَتَّى أَتَى عَلَى نَفْسِهِ ، وَبَعَثَ بِمَا أَصِيبَ لَهُ إِلَى الْخَلِيفَةِ يَوْمَئِذٍ ، فَأَغْرَمَ الْخَلِيفَةُ الدَّهْقَانَ قِيَمَةَ الْقُرْطِ الْمَفْقُودِ .

٢٨٨١/١

(١) الزَمْزِمَةُ : كَلَامُ الْحَبُوسِ عِنْدَ الْأَكْلِ يَقُولُونَهُ بِصَوْتِ خَفٍ .

وقال آخرون : بل سار يَزْدَجِيرِد من كَرْمَان قبل ورود العرب إياها ،
فأخذ على طريق الطَّبَّسَيْن وقُهَيْسْتَان ، حتى شارف مَرْو في زهاء أربعة آلاف
رجل ، ليجمع من أهل خُرَّاسَان جموعاً ، ويكرّ إلى العرب ويقاثلهم ،
فتلقاه قائدان متباغضان ^(١) متحاسدان كانا يَمْرَو ؛ يقال لأحدهما براز
والآخر سَنْجَان ؛ ومَنْعَاهُ الطاعة ، وأقام يَمْرَو ، وخصّ براز فحسده
ذلك سَنْجَان ، وجعل براز يبغى سَنْجَان الغوائل ، ويوغل صدر يَزْدَجِيرِد
عليه ، وسعى بسَنْجَان حتى عزم على قتله ؛ وأنشئ ما كان عزم عليه من
ذلك إلى امرأة من نسائه كان براز وإطأها ؛ فأرسلت إلى براز بنسوة زعمت
بإجماع يَزْدَجِيرِد على قتل سَنْجَان ، وفشا ما كان عزم عليه يَزْدَجِيرِد من
ذلك . فنذر ^(٢) سَنْجَان ، وأخذ حِذْرَه ، وجمع جمعاً كنعوا أصحاب براز ،
ومن كان مع يَزْدَجِيرِد من الجند ، وتوجّه نحو القصر الذى كان يَزْدَجِيرِد
نازله . وبلغ ذلك براز ، فنكص عن سَنْجَان لكثرة جموعه ^(٣) ، ورعب ^(٤)
جمع سنجان يَزْدَجِيرِد وأخافه ، فخرج من قصره متنكراً ، ومضى على وجهه
راجلاً لينجو بنفسه ، فشى نحواً من فرسخين حتى وقع إلى رحاً ما ، فدخل
بيت الرحا ، فجلس فيه كالاً لِيُغْبَأ ، فرآه صاحب الرحا ذَاهِيَةً وطُرَّة
وبيزة كريمة ، ففرش له ، فجلس وأتاه بطعام فطيم ، ومكث عنده يوماً
وليلة ، فسأله صاحب الرحا أن يأمر له بشيء ، فبذل له منطقة مكلّلة
بجوهر كانت عليه ؛ فأبى صاحب الرحا أن يقبلها ، وقال : إنما كان يرضيني
من هذه المنطقة أربعة دراهم كنت أطعم بها وأشرب ، فأخبره أنه لا ورق معه ،
فتملّقه صاحب الرحا ؛ حتى إذا غفا قام إليه بفأس له فضرب بها هامته
فقتله ، واحتزّ رأسه ؛ وأخذ ما كان عليه من ثياب ومنطقة ، وألقى جيفته في
النهر الذى كان تدور بمائه رحاه ، وبقر بطنه ، وأدخل فيه أصولاً من أصول
طرفاء كانت نابتة في ذلك النهر لتحبس جثته في الموضع الذى ألقاه فيه ،
فلا يسفل فيعرف ويطلب قاتله وما أخذ من سلبه ، وهرب على وجهه .
وبلغ قتل يَزْدَجِيرِد رجلاً من أهل الأهواز كان مُطْراناً على مَرْو ؛

(١) ف : « متباغيان » . (٢) نذر : علم . (٣) م : « جمعه » .

(٤) رعبه : أخافه .

يقال له إيلياء، فجمع مَن كان قِبَلَه من النصارى ، وقال لهم : إنَّ مَلِكَ
الفرس قد قَتَلَ ، وهو ابن شهر يار بن كمرى ؛ وإنما شهر يار ولدُ شيزين
المؤمنة التي قد عرفتم حَقَّها وإحسانها إلى أهلِ ملَّتِها من غير وجه ؛ ولهذا الملك
عنصر في النصرانية مع ما نال النصارى في مَلِكِ جدِّه كمرى من الشَّرَف ؛
وقبل ذلك في مملكة ملوك من أسلافه من الخير ؛ حتى بَنَى لهم بعض البيع ،
وسدَّ لهم بعض مِلَّتِهم ؛ فينبغي لنا أن نحزَنَ لقتل هذا الملك من كرامته بقدر
إحسان أسلافه وجَدَّتِه شيرين، كان إلى النصارى ؛ وقد رأيت أن أُنَبِّئَ له
ناووسًا ، وأحمل جُثَّتَه في كرامة حتى أوارِيَهَا فيه .

فقال النصارى : أمرنا لأمرِك أيتها المطران تَبِعْ ؛ ونحن لك على رأيك
هذا مواطنون . فأمر المطران فبنى في جوف بستان المطارنة بمرَّو ناووسًا ؛
ومضى بنفسه ومعه نصارى مرَّو حتى استخرج جُثَّةَ يَزْدَجِرِد من النهر
وكتَفَنَهَا ، وجعلها في تابوت ، وحمله مَن كان معه من النصارى على عواقبهم
حتى أتوا به الناووس الذى أمر ببنائه له وواروه فيه ، وردموا بابَه ؛ فكان مَلِكُ
يَزْدَجِرِد عشرين سنة، منها أربع سنين في دَعَّة وست عشرة سنة في تعب
من محاربة العرب إِيَّاه وغلظتهم عليه .

وكان آخر مَلِكِ مَلِكِ من آل أردشير بن بابك ؛ وصفا الملك بعده
للعرب .

* * *

[شخص عبد الله بن عامر إلى خراسان وما قام به من فتوح]

وفي هذه السنة — أعني سنة إحدى وثلاثين — شخص عبد الله بن عامر
إلى خراسان ففتح أبرشهر وطوس وبيورد ونَسَا حتى بلغ سَرَخَس، وصالح
فيها أهل مرَّو .

• ذكر الخبر عن ذلك :

ذُكِرَ أن ابن عامر لما فتح فارس قام إليه أوس بن حبيب التميمي ، فقال :
أصلح الله الأمير ! إنَّ الأرض بين يديك ، ولم تفتح من ذلك إلَّا القليل ،
فسرَّ فإنَّ الله ناصرُك ؛ قال : أو لم تأمر بالمسير ! وكره أن يُظْهَر أنَّه قبل

رأيه ؛ فذكر عليّ بن محمد أن مَسْلَمَةَ بن مُحَارِب أخبره عن السَّكَن بن قتادة العُرَيْنِيّ ، قال : فتح ابن عامر فارسَ ورجع إلى البصرة ، واستعمل على إصطخر شريك بن الأعور الحارثي ، فبنى شريك مسجد إصطخر ، فدخل ٢٨٨٥/١ على ابن عامر رجل من بني تميم ، قال : كنّا نقول : إنه الأحنف - ويقال : أوُس بن جابر الجُشَشِيّ جُشِمَ تميم - فقال له : إنَّ عدوك منك هارب ؛ وهو لك هائب ، والبلاد واسعة ؛ فسرْ فإنَّ الله ناصرُك ، ومعزُّ دينه .

فتجهز ابن عامر ، وأمر الناس بالجهاز للمسير ، واستخلف على البصرة زياداً ، وسار إلى كَرْمَان ؛ ثم أخذ إلى خراسان ، فقوم يقولون : أخذ طريق إصْبَهان ؛ ثم سار إلى خراسان .

قال عليّ : أخبرنا المفضل الكَرْمَانِيّ ، عن أبيه ، قال : كان أشياخ كَرْمَان يذكرون أنَّ ابن عامر نزل المعسكر بالسَّيرجان ، ثم سار إلى خراسان ، واستعمل على كَرْمَان مجاشع بن مسعود السُّلَمِيّ ، وأخذ ابن عامر على مفازة أبرّ ؛ وهي ثمانون فرسخاً ، ثم سار إلى الطَّبَسِيْن يريد أبرّ شهر ؛ وهي مدينة نيسابور ، وعلى مقدّمته الأحنف بن قيس ، فأخذ إلى قَهِسْتان ، وخرج إلى أبرّ شهر فلقبه الهياطلة ؛ وهم أهلُ حَرّاة ؛ فقاتلهم الأحنف فهزمهم ؛ ثم أتى ابن عامر نيسابور .

قال عليّ : وأخبرنا أبو مخنف ، عن نُمَيْر بن وَعَلّة ، عن الشعبيّ ، قال : ٢٨٨٦/١ أخذ ابن عامر على مفازة خَبِيص ؛ ثم على خَوَاسْت - ويقال : على يَزْد - ثم على قَهِسْتان ؛ فقدّم الأحنف فلقبه الهياطلة ، فقاتلهم فهزمهم ؛ ثم أتى أبرّ شهر ، فنزل ابن عامر ؛ وكان معيد بن العاص في جُند أهل الكوفة ، فأتى جُرجان وهو يريد خراسان ؛ فلما بلغه نزول ابن عامر أبرّ شهر ، رجع إلى الكوفة .

قال عليّ : أخبرنا عليّ بن مجاهد ، قال : نزل ابن عامر على أبرّ شهر فغلب على نصفها عَنوّة ، وكان النصف الآخر في يد كَنَارِيّ ، ونصف نَسَاوُطُوس ؛ فلم يقدر ابن عامر أن يجوزَ إلى مَرّو ، فصالح كَنَارِيّ ، فأعطاه ابنة أبا الصلت ابن كَنَارِيّ وابن أخيه سليمانَ رَهْنًا . ووجه عبد الله بن خازم إلى حَرّاة

وحاتم بن النعمان إلى مَرَوْ، فأخذ ابن عامر ابْنِي كَنَارِي، فصارا إلى النعمان ابن الأفقم النَّصْرِي فَأَعْتَقَهُمَا . ٢٨٨٧/١

قال عليّ : وأخبرنا أبو حفص الأزديّ ، عن إدريس بن حنظلة العَمِيّ ، قال : فتح ابن عامر مدينة أْبْرَشَهْر عَنَوَة ؛ وفتح ما حولها طوس وبيورْد ونَسَا وحُمُرَان ، وذلك سنة إحدى وثلاثين .

قال عليّ : أخبرنا أبوالمترى المروزيّ، عن أبيه، قال : سمعتُ موسى بن عبد الله بن خازم يقول : أبا صالح أهل سَرَخْس، بعثه إليهم عبد الله بن عامر من أْبْرَشَهْر وصالح ابن عامر أهل أْبْرَشَهْر صلَحًا ، فأعطوه جاريَتين من آل كسرى بابونج وطهميج - أو طهميج - فأقبل بهما معه ، وبعث أُمَيِّن ابن أحمر اليَشْكِرِيّ ، ففتح ما حول أْبْرَشَهْر : طُوس وبيورْد ونَسَا وحُمُرَان ، حتى انتهى إلى سَرَخْس .

قال عليّ : وأخبرنا الصلت بن دينار ، عن ابن سيرين ، قال : بعث ابن عامر عبد الله بن خازم إلى سَرَخْس ؛ ففتحها وأصاب ابن عامر جاريَتين من آل كسرى ، فأعطى إحداهما النوشجان ؛ وماتت بابونج .

قال عليّ : وأخبرنا أبو الذَّيَال زهير بن هُنَيْد العَدَوِيّ ، عن أشياخ من أهل خُرَاسَان ، أن ابن عامر سَرَحَ الْأَسْوَدَ بن كُلْثُوم العَدَوِيّ - عدِيّ الرَّبَاب - إلى بَيْهَق ؛ وهو من أْبْرَشَهْر ، بينها وبين مدينة أْبْرَشَهْر مئة عشر فرسخًا ، ففتحها وقتل الْأَسْوَدَ بن كُلْثُوم . قال : وكان فاضلاً في دينه ، كان من أصحاب عامر بن عبد الله العنبريّ وكان عامر يقول بعد ما أخرج من البصرة : ما آسى من العراق على شيء إلاّ على ماء الهَوَاجِر ، وتجاوب المؤذنين ، وإخوان مثل الْأَسْوَدَ بن كُلْثُوم . ٢٨٨٨/١

قال عليّ : وأخبرنا زهير بن هُنَيْد ، عن بعض عمومته ، قال : غلب ابن عامر على نيسابور ، وخرج إلى سَرَخْس ، فأرسل إلى أهل مَرَوْ يطلب

الصَّلَح ؛ فَبَعَثَ إِلَيْهِمُ ابْنَ عَامِرٍ حَاتِمَ بْنِ التَّعْمَانِ الْبَاهِلِيَّ ، فَصَالَحَ بَرَّازَ مَرْزَبَانَ مَسْرُوعًا عَلَى أَلْفٍ مِائَتِي أَلْفٍ .

قال : فَأَخْبَرَنَا مُصْعَبُ بْنُ حَيَّانَ عَنْ أَخِيهِ مُقَاتِلِ بْنِ حَيَّانَ ، قَالَ : صَالَحَهُمْ عَلَى سِتَّةِ آلَافِ أَلْفٍ وَمِائَتِي أَلْفٍ .

• • •

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثين ذكر ما كان فيها من الأحداث المذكورة

٢٨٨٩/١

ففي ذلك غزوة معاوية بن أبي سفيان المَضِيق، مضيق القسطنطينية؛ ومعه زوجته عاتكة ابنة قرطة بن عبد عمرو بن نوفل بن عبد مناف .
وقيل : فاخته ؛ حدثني بذلك أحمد بن ثابت ، عن ذكره ، عن إسحاق ، عن أبي معشر ، وهو قول الواقدي .

وفي هذه السنة استعمل سعيد بن العاص سلمان بن ربيعة على فَرَج بَلَنْجَر ، وأمدّ الجيش الذي كان به مقيماً مع حُدَيْفَة بأهل الشام ؛ عليهم حبيب بن مسلمة الفهري - في قول سيف - فوقع فيها الاختلاف بين سلمان وحبيب في الأمر ، وتنازع في ذلك أهل الشام وأهل الكوفة .

• ذكر الخبر بذلك :

فمّا كتب به إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة قالوا : كتب عثمان إلى سعيد : أن أغزّ سلمان الباب ؛ وكتب إلى عبد الرحمن ابن ربيعة وهو على الباب : إن الرعيّة قد أبطرت كثيراً منهم البيّنة ، فقصر ، ولا تقتحم بالمسلمين ؛ فإني خاش أن يُبْتَلَوْا ، فلم يزجر ذلك عبد الرحمن عن غايته ، وكان لا يقصر عن بَلَنْجَر ، فغزا سنة تسع من إمارة عثمان حتى إذا بلغ بَلَنْجَر ؛ حصروها ونصبوا عليها الحجانيق والعرّادات ^(١) ، فجعل لا يدنو منها أحد إلا أعتوه أو قتلوه ؛ فأمرعوا في الناس ؛ وقتل معضد في تلك الأيام .

٢٨٩٠/١

ثم إن الترك اتعدوا يوماً ، فخرج أهل بَلَنْجَر ؛ وتوافت إليهم الترك فاقتتلوا ؛ فأصيب عبد الرحمن بن ربيعة - وكان يقال له ذو النور - وأهزم المسلمون ففترقوا ، فأما من أخذ طريق سلمان بن ربيعة فحماه حتى خرج

(١) المرادة : من آلات الحرب ، ترمى بالحجارة المرمى البعيد .

من الباب ، وأمّا مَنْ أخذ طريق الخَزَر وبلادها ، فإنه خرج على جِيْلان وجُرجان وفيهم سلمان الفارسيّ وأبو هريرة ، وأخذ القوم جسد عبد الرحمن فجعلوه في سَقَط ، فبقِيَ في أيديهم ، فهم يستسقون به إلى اليوم ويستنصرون به .
كتب إلى المَرِيّ عن شعيب ، عن سيف ، عن داود بن يزيد ، عن الشعبي ، قال : والله لسلمانُ بن ربيعة كان أبصرَ بالمضارب من الجازر بمفاصل الخَزَر .

كتب إلى المَرِيّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الغصن بن القاسم ، عن رجل من بني كنانة ، قال : لما تتابعت الغزوات على الخَزَر ، وتذاَمروا وتعايروا وقالوا : كنّا أمة لا يُقَرَن^(١) لنا أحد حتى جاءت هذه الأمة القليلة ، فصرنا لا نقوم لها . فقال بعضهم لبعض : إنّ هؤلاء لا يموتون ؛ ولو كانوا يموتون لما اقتحموا علينا . وما أصيب في غزواتها أحد إلاّ في آخر غزوة ٢٨٩١/١ عبد الرحمن ، فقالوا : أفلا تجرّبون ! فكمنوا في الغياض ، فرّب بأولئك الكمين مرّار من الجند ، فرمّوهم منها ؛ فقتلوهم ، فواعدوا رؤسهم ، ثمّ تداَعَوْا إلى حربهم ؛ ثمّ اتَّعدوا يوماً ؛ فاقتتلوا ، فقتل عبد الرحمن ، وأسرع في الناس فافترقوا فِرْقَيْن ؛ فِرْق نحو الباب فحماهم سلمان حتى أخرجهم ، وفِرْق أخذوا نحو الخَزَر ؛ فطلعوا على جِيْلان وجرجان ، فيهم سلمان الفارسيّ وأبو هريرة .

كتب إلى المَرِيّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن المستنير بن يزيد ، عن أخيه قيس ، عن أبيه : قال كان يزيد بن معاوية وعَلَقمة بن قيس ومِعْضَد الشيبانيّ وأبو مَفْزَر التميميّ في خِيَاء ، وعمر بن عتبة وخالد بن ربيعة والحِكل بن دُرَيْم والقَرْنَع في خِيَاء ، وكانوا متجاورين في عسكر بَلَسَنْجَر ؛ وكان القَرْنَع يقول : ما أحسن لمع الدماء على الثياب ! وكان عمرو بن عتبة يقول لِقَبَاء عليه أبيض : ما أحسن حُمْرة الدماء في بياضك !

وغزا أهل الكوفة بَلَسَنْجَر سنين من إمارة عثمان لم تَشِمَ فيهنّ امرأة ، ولم يَتِمَّ فيهنّ صبيّ من قَتْلٍ ، حتى كان سنة تسع ؛ فلمّا كان سنة تسع قبل ٢٨٩٢/١

(١) ابن حبيش : « لا يقوم » .

المزاحفة بيومين رأى يزيد بن معاوية أن غزالا جىء به إلى خيائه، لم ير غزالا أحسن منه حتى لُفَّ في ملحفته، ثم أتى به قبر عليه أربعة نفر لم ير قبرا أشد استواء منه ولا أحسن منه، حتى دفن فيه؛ فلما تغادى الناس على الترك رُمى يزيد بحجر، فهشم رأسه، فكأنما زُيِّن ثوبه بالدماء زينة، وليس يتلطخ؛ فكان ذلك الغزال الذى رأى، وكان بذلك الدم على ذلك القباء الحسن، فلما كان قبل المزاحفة بيوم تغادوا، فقال معضد لعلقمة: أعيرنى برؤدك أعصّب به رأسى؛ ففعل، فأقى البرج الذى أصيب فيه يزيد؛ فرماه قتل منهم، ورُمى بحجر فى عرادة، ففضخ هامته، واجتره أصحابه فدفنوه إلى جنب يزيد، وأصاب عمرو بن عتبة جراحة؛ فرأى قباءه كما اشتهى. وقتل؛ فلما كان يوم المزاحفة قاتل القرئع حتى خرق بالحراب، فكأنما كان قباؤه ثوبا أرضه بيشاء ووشيه أحمر، وما زال الناس ثوبتا حتى أصيب، وكانت هزيمة الناس مع مقتله.

كتب إلى السرى، عن شعيب، عن سيف، عن داود بن يزيد، قال: كان يزيد بن معاوية التّخفى رضى الله عنه وعمرو بن عتبة ومعضد أصيبوا يوم بلسنجر؛ فأما معضد فإنه اعتجر ببرد لعلقمة، فأتاه شظية من حجر منجنيق فألمه، فاستصغره، ووضع يده عليه فأت فأت فغسل دمه لعلقمة، فلم يخرج؛ وكان يحضر فيه الجمعة، وقال يحرّضنى عليه: إن فيه دم معضد. فأما عمرو فلبس قباء أبيض، وقال: ما أحسن الدم على هذا! فأتاه حجر فقتله، وملاه دما، وأما يزيد فدلّى عليه شيء فقتله، وقد كانوا حفروا قبرا فأعدّوه؛ فنظر إليه يزيد، فقال: ما أحسنه! وأرى فيما يرى النائم أن غزالا لم ير غزالا أحسن منه، جىء به حتى دفن فيه؛ فكان هو ذلك الغزال. وكان يزيد رقيقا جميلا رحمه الله؛ وبلغ ذلك عثمان، فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون! انتكث أهل الكوفة. اللهم تبّ عليهم وأقبل بهم.

كتب إلى السرى، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالوا: استعمل سعيد على ذلك الفرّج سلمان بن ربيعة، واستعمل على الغزو

بأهل الكوفة حذيفة بن اليمان ؛ وكان على ذلك الفرج قبل ذلك عبدالرحمن ابن ربيعة ؛ وأمدّهم عثمان في سنة عشر بأهل الشام ؛ عليهم حبيب بن مسلمة القرشي ، فتأمر عليه سلمان ، وأبى عليه حبيب ؛ حتى قال أهل الشام : لقد هممنا بضرب سلمان ، فقال في ذلك الناس : إذا والله نضرب حبيباً ونحبسه ؛ وإن أبتم كثرت القتلى فيكم وفينا .

وقال أوس بن مغراء في ذلك :

وإن تَضَرَّ بواَسْلَمَانَ نَضَرَّ بِحَبِيبِكُمْ^(١) وإن تَحَلَّوْا نَحَوَّ أَبْنِ عَقَّانَ نَزَحَلْ
وإن تُقْسِطُوا فَالْتَفَرُّ تَفَرُّ أَمِيرَنَا وهذا أميرٌ في الكَتَائِبِ مَقْبِلُ
وَنَحْنُ وَلَاءُ التَّفَرِّ كُنَّا حُمَاتَهُ^(٢) لِيَالِي نَزَمِي كُلَّ تَفَرٍّ وَنُسْكِلُ

فأراد حبيب أن يتأمر على صاحب الباب كما كان يتأمر أمير الجيش إذا جاء من الكوفة ؛ فلما أحس حذيفة أقرّ وأقرّوا ؛ فغزاها حذيفة ابن اليمان ثلاث غزوات ؛ فقتل عثمان في الثالثة ؛ ولقيهم مقتل عثمان ، فقال : اللهم العن قتلة عثمان وغزاة عثمان وشنأة عثمان . اللهم إنا كنا نعاتبه ويعاتبنا ، متى ما كان من قبله يعاتبنا ونعاتبه ! فاتخذوا ذلك سُلماً إلى الفتنة ؛ اللهم لا تُمِتْهُمْ إِلَّا بالسيف .

• • •

وفي هذه السنة مات عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه ؛ زعم الواقدي أن عبد الله بن جعفر حدثه بذلك عن يعقوب بن عتبة ؛ وأنه يوم مات كان ابن خمسٍ وسبعين سنة .

قال : وفيها مات العباس بن عبد المطلب ؛ وهو يومئذ ابن ثمان وثمانين سنة ؛ وكان أسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاث سنين .

قال : وفيها مات عبد الله بن زيد بن عبد ربه رحمه الله ؛ الذي أرى الأذان .

(١) ابن كثير : « وإن تضربوا » . (٢) ابن الأثير : « ونحن ولادة الأمر » .

قال : وفيها توفى عبد الله بن مسعود بالمدينة ، فدفن بالبقيع رحمه الله
فقال قائل : صلى عليه عمار ، وقال قائل : صلى عليه عثمان .
وفيها مات أبو طلحة رحمه الله . ٢٨٩٥/١

• • •

[ذكر الخبر عن وفاة أبي ذر]

قال : وفيها مات أبو ذر رضي الله عنه في رواية سيف .
• ذكر الخبر عن وفاته :

كتب إلى المرسى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عطية عن يزيد
الفقعسي ، قال : لما حضرت أبا ذر الوفاة ؛ وذلك في سنة ثمان في ذي الحجة
من إمارة عثمان ، نزل بأبي ذر ؛ فلما أشرف قال لابنته : استشري في يابنية
فانظري هل ترين أحداً ؟ قالت : لا ، قال : فما جاءت ساعتي بعد ؛ ثم
أمرها فذبحت شاة ، ثم طبختها ، ثم قال : إذا جاءك الذين يدفنونني فقول
لهم : إن أبا ذر يقسم عليكم ألا تركبوا حتى تأكلوا ؛ فلما نضجت قدرها
قال لها : انظري هل ترين أحداً ؟ قالت : نعم ؛ هؤلاء ركب مقبلون ، قال :
استقبلي بي الكعبة . ففعلت ، وقال : بسم الله ، وبالله ، وعلى ملة رسول الله
صلى الله عليه وسلم . ثم خرجت ابنته فتلقتهم وقالت : رحمكم الله ! اشهدوا
أبا ذر - قالوا : وأين هو ؟ فأشارت لهم إليه وقد مات - فادفنوه ، قالوا :
نعم ونعمة عين ! لقد أكرمنا الله بذلك ؛ وإذا ركب من أهل الكوفة فيهم
ابن مسعود ، فالوا إليه وابن مسعود يبكي ويقول : صدق رسول الله صلى
الله عليه وسلم : « يموت وحده ، ويُبعث وحده » ؛ فغسلوه وكفّنوه وصلّوا عليه
ودفنوه ، فلما أرادوا أن يرتحلوا قالت لهم : إن أبا ذر يقرأ عليكم السلام ،
وأقسم عليكم ألا تركبوا حتى تأكلوا ، ففعلوا ، وحملوهم ^(١) حتى أقدموهم مكة ،
ونعوه إلى عثمان ، فضم ابنته إلى عياله ، وقال : يرحم الله أبا ذر ، ويغفر لرافع
ابن خديج مكنونه . ٢٨٩٦/١

كتب إلى المرسى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن القعقاع بن الصلت ،

(١) ابن الأثير والنويري : « وحملوا أهله معهم » .

عن رجل ، عن كُليب بن الحُلحال ، عن الحُلحال بن ذُرِّي ، قال :
خرجنا مع ابن مسعود سنة إحدى وثلاثين ونحن أربعة عشر راكباً حتى أتينا
على الرَبْدَةِ فإذا امرأة قد تلقتنا ، فقالت : اشهدوا أبا ذرٍّ - وما شعرنا بأمره
ولا بلغنا - فقلنا : وأين أبو ذرٍّ ؟ فأشارت إلى خيباء ، فقلنا : ماله ؟ قالت :
فارق المدينة لأمر قد بلغه فيها ، ففارقها . قال ابن مسعود : ما دعاه إلى
الإعراب ؟ فقالت : أما إن أمير المؤمنين قد كره ذلك ؛ ولكنه كان يقول :
هي بَعْدُ ، وهي مدينة . قال ابن مسعود إليه وهو يبكي ، فغسلناه وكفّناه ؛
وإذا خيباء منصوخ بمسك ، فقلنا للمرأة : ما هذا ؟ فقالت : كانت مسككة ، فلما
حُضِر قال : إن الميت يحضره شهود يجدون الرِّيح ؛ ولا يأكلون ، فَدُو في (١)
تلك المسكة بماء ، ثم رثي بها الخيباء فاقربهم ريحها ، واطبخي هذا اللحم ؛
فإنه سيشهدني قوم صالحون يلون دفتي ، فاقربهم ، فلما دفنناه دعتنا إلى الطعام
فأكلنا ، وأردنا أحماها ، فقال ابن مسعود : أمير المؤمنين قريب ، نستأمره ؛
فقدمنا مكة فأخبرناه الخبر ، فقال : يرحم الله أبا ذرٍّ ، ويغفر له نزولُه الرَبْدَةَ !
ولما صدرَ خرج فأخذ طريق الرَبْدَةِ ، فضمَّ عياله إلى عياله ، وتوجّه
نحو المدينة ، وتوجّهنا نحو العراق ؛ وعدّتنا : ابن مسعود وأبو مفرز التميمي ، وبكر بن
عبد الله التميمي ، والأسود بن يزيد النخعي وعلقمة بن قيس النخعي ، والحلحال
ابن ذري الضبي والحارث بن سويد التميمي ، وعمرو بن عتبة بن فرقد السلمي ،
وابن ربيعة السلمي ، وأبورافع المزني ، وسويد بن مثةبة التميمي ، وزباد بن
معاوية النخعي ، وأخو القرثع الضبي ؛ وأخو معضد الشيباني .

[فتح مرورذ والطارقان والفارياب والجوزجان وطخارستان]

وفي سنة اثنتين وثلاثين فتح ابن عامر مرورذ والطارقان والفارياب
والجوزجان وطخارستان .

• ذكر الخبر عن ذلك :

قال عليّ : أخبرنا سلمة بن عثمان وغيره ، عن إسماعيل بن مسلم ، عن

ابن سيرين ، قال : بعث ابنُ عامر الأحنف بن قيس إلى مَرُوروذ ، فحصر أهلها ، فخرجوا إليهم فقاتلوه ، فهزمهم المسلمون حتى اضطروهم إلى حصنهم ^(١) ، فأشرفوا عليهم ، فقالوا : يا معشر العرب ، ما كنتم عندنا كما نرى ؛ ولو علمنا أنكم كما نرى لكانت لنا ولكم حال غير هذه ؛ فأمهلونا فنظر يومنا ^(٢) ، وارجعوا إلى عسكركم ^(٣) . فرجع الأحنف ، فلما أصبح غاداهم ^(٤) وقد أعدوا له الحرب ؛ فخرج رجلٌ من العجم معه كتاب من المدينة ، فقال : إني رسول فامتوني ، فامتوه ، فلذا رسول من مرزبان مَرُوروذ ابن أخيه وترجمانه ، وإذا كتاب المرزبان إلى الأحنف ، فقرأ الكتاب ؛ قال : فإذا هو : إلى أمير الجيش ؛ إنا نحمد الله الذي بيده الدَّول ، يغير ما شاء من الملك ، ويرفع من شاء بعد الدَّلة ، ويضع من شاء بعد الرفعة . إنه دعاني إلى مصالحتك وموادعتك ما كان من إسلام جدتي ، وما كان رأي من صاحبكم من الكرامة والمنزلة ؛ فرحباً بكم وأبشروا ؛ وأنا أدعوكم إلى الصلح فيما بينكم وبيننا ؛ على أن أؤدِّيَ إليكم خراجاً ^(٥) ستين ألف درهم ؛ وأن تُقرَّوا بيدي ما كان ملك الملوك كمرى أقطع جدّ أبي ^(٦) حيث قتل الحيّة التي أكلت الناس ، وقطعت السُّبل من الأرضين ^(٧) والقُرى بما فيها من الرجال ، ولا تأخذوا من أحد من أهل بيتي شيئاً من الخراج ، ولا تخرج المرزبة ^(٨) من أهل بيتي إلى غيركم ، فإن جعلت ذلك لي خرجتُ إليك ؛ وقد بعث إليك ابنُ أخي ماهك ليستوثق منك بما سألت ^(٩) .

قال : فكتب إليه الأحنف : بعم الله الرحمن الرحيم ، من صخر بن قيس أمير الجيش إلى باذان مرزبان مَرُوروذ ومن معه من الأساورة والأعاجم ^(١٠) . سلام على من اتبع الهدى ، وآمن واتقى . أما بعد ؛ فإن ابن أخيك ماهك

(١) ابن حبيش : « حصونهم » . (٢) ابن حبيش : « في أمرنا » .

(٣) ف : « عسكركم » . (٤) ب : « عاد لهم » .

(٥) ابن حبيش : « خراجنا » . (٦) ف : « جدى » .

(٧) ابن حبيش : « الأرض » .

(٨) ب ، ف : « المرزبة » ، والمرزبة : الرياسة في العجم ، والمرزبان : الرئيس المقدم فيهم .

(٩) ب : « سألتك » . (١٠) ب : « والعجم » .

قدم على ، فنصح لك جهده ، وأبلغ عنك ؛ وقد عرضت ذلك على من معي من المسلمين ، وأنا وهم فيما عليك سواء ؛ وقد أجبتك إلى ما سألت وعرضت على أن تؤدى عن أكثرتك وفلاتحك والأرضين ستين ألف^(١) درهم إلى وإلى الولي من بعدى من أمراء المسلمين ؛ إلا ما كان من الأرضين التي ذكرت أن كمرى الظالم لنفسه أقطع جد أبيك ليمّا كان من قتله الحيّة التي أفسدت الأرض وقطعت السبل . والأرض لله ولرسوله يُورثها من يشاء من عباده ، وإن عليك نصرة المسلمين وقاتل عدوهم بمن معك من الأساورة ؛ إن أحبّ المسلمون ذلك وأرادوه ؛ وإن لك على ذلك نصرة^(٢) المسلمين على من يقاتل من وراءك من أهل ملتك ، جار لك بذلك منى كتاب يكون لك بعدى ، ولا خراج عليك ولا على أحد من أهل بيتك من ذوى الأرحام ؛ وإن أنت أسلمت واتبعت الرسول كان لك من المسلمين العطاء والمنزلة والرزق وأنت أخوهم ؛ ولك بذلك ذمتي وذمة أبى وذم المسلمين وذم آبائهم . شهد على ما فى هذا الكتاب جزء ابن معاوية — أو معاوية بن جزء السعدى — وحمة بن الهرماس وحُميد بن ٢٨٩٩/١ الخيار المازنيّان ، وعياض بن ورقاء الأسيدى . وكتب كَيْسَان مولى بنى ثعلبة يوم الأحد من شهر الله المحرم . وختم أمير الجيش الأحنف بن قيس . ونقش خاتم الأحنف : « نعبد الله » .

قال على : أخبرنا مصعب بن حيّان ، عن أخيه مقاتل بن حيّان ، قال : صالح ابن عامر أهل مَرَوْ ، وبعث الأحنف فى أربعة آلاف إلى طُخَارِستان فأقبل حتى نزل موضع قصر الأحنف من مَرَوْ رُوذ ، وجمع له أهل طُخَارِستان ، وأهل الجوزجان والطالقان والفارياب ؛ فكانوا ثلاثة زحوف ، ثلاثين ألفاً . وأتى الأحنف خبرهم وما جمعوا له ، فاستشار الناس فاختلفوا ؛ فبين قاتل : نرجع إلى مَرَوْ ، وقاتل : نرجع إلى أبرّ شهر ، وقاتل : نقيم نستمد ، وقاتل : نلقاهم فنناجزهم . قال : فلما أمسى الأحنف خرج يمشى فى العسكر ، ويستمع حديث الناس ، فرّ بأهل خيباء ورجل يوقد تحت خزيرة أو يعجن ؛ وهم يتحدّثون ويذكرون العدو ؛ فقال بعضهم : الرأى للأمير^(٣) أن يسير إذا أصبح^(٤) ؛ حتى

(١) ف : « ستين ألفاً » . (٢) ف وابن حبيش : « نصر » .

(٣-٣) ابن حبيش : « إذا أصبح أن يسير » .

يلقى القوم حيث لقيتهم^(١) - فإنه أرب لم - فيناجزهم . فقال صاحب الخزيرة^(٢) أو العجين : إن فعل ذلك فقد أخطأ وأخطأتم ؛ أنأمرونه أن يلقى حد^(٣) العدو مصحراً في بلادهم ، فيلقى جمعاً كثيراً بعدد قليل ، فإن جالوا جولة اصطلمونا ! ولكن الرأي له أن ينزل بين المرغاب والجبل ، فيجعل المرغاب عن يمينه والجبل عن يساره ، فلا يلقاه من عدوه وإن كثروا إلا عدد أصحابه . فرجع الأحنف وقد اعتقد ما قال ؛ فضرب عسكره ، وأقام فأرسل إليه أهل مرو يعرضون عليه أن يقاتلوا معه ؛ فقال : إننى أكره أن أستنصر بالمشركين ؛ فأقيموا على ما أعطيناكم ؛ وجعلنا بيننا وبينكم ؛ فإن ظفرنا فنحن على ما جعلنا لكم ؛ وإن ظفروا بنا وقاتلوكم فقاتلوا عن أنفسكم .

قال : فوافق المسلمين صلاة العصر ؛ فعاجلهم المشركون فناهضوهم فقاتلوهم ؛ وصبر الفريقان حتى أمسوا والأحنف يتمثل بشعر ابن جؤية الأعرجي :

أحق من لم يكره النية خزور ليست له ذرية

قال عليّ : أخبرنا أبو الأشهب السعديّ ، عن أبيه ، قال : لقي الأحنف أهل مرو وروذ والطالقان والفارياب والجوزجان في المسلمين ليلاً ، فقاتلهم حتى ذهب عامة الليل ، ثم هزمهم الله ، فقتلهم المسلمون حتى انتهوا إلى راسكن - وهي على اثني عشر فرسخاً من قصر الأحنف - وكان مرزبان مرو وروذ ، قد تربص بحمل ما كانوا صالحوه عليه ؛ لينظر ما يكون من أمرهم .

قال : فلمّا ظفر الأحنف سرح رجلين إلى المرزبان ، وأمرهما ألا يكلماه حتى يقبضاه^(٤) . ففعلا . فعلم أنهم لم يصنعوا ذلك به إلا وقد ظفروا ، فحمل ما كان عليه .

قال عليّ : وأخبرنا المفضل الضبيّ ، عن أبيه ، قال : سار الأقرع بن حابس إلى الجوزجان ؛ بعثه الأحنف في جريدة خيل إلى بقية كانت بقيت

(١) ابن حبيش : « حيث لاقيناهم » . (٢) الخزيرة : شبه عصيدة بلحم وبلحم .

(٣) ف : « جند » . (٤) ف : « يعفاه » ، ابن حبيش : « يقتناه » .

من الرّحوف الذين هزمهم الأحنف ، فقاتلهم ، فجال المسلمون جولة ، فقتل فرسان من فرسانهم ؛ ثم أظفر الله المسلمين بهم فهزموهم وقتلهم ، فقال كثير النّهلى :

سَقَى مَزْنَ السَّحَابِ إِذَا اسْتَهَلَّتْ مَصَارِعَ فِتْيَةٍ بِالْجُوزِ جَانِ (١)
إِلَى الْقَضْرَيْنِ مِنْ رُسْتَاقِ خُوطٍ أَقَادَهُمْ هُنَاكَ الْأَقْرَعَانِ
وهي طويلة

• • •

[ذكر صلح الأحنف مع أهل بلخ]

وفي هذه السنة ، جرى صلح بين الأحنف وبين أهل بلخ .

٢٩٠٣/١

• ذكر الخبر بذلك :

قال عليّ : أخبرنا زهير بن المهسّد ، عن إياس بن المهلب ، قال : سار الأحنف من مرو والروذ إلى بلخ فحاصروهم ، فصالحه أهلها على أربعمائة ألف ، فرضى منهم بذلك (٢) ، واستعمل ابن عمه ، وهو أسيد بن المتشمس ليأخذ منهم ما صالحوه عليه (٣) ، ومضى إلى خarezم (٤) ، فأقام حتى هجم عليه الشتاء ، فقال لأصحابه : ما ترون ؟ قال له حصين : قد قال لك عمرو بن معد يكرب ، قال : وما قال ؟ قال : قال :

إِذَا لَمْ تَسْتَطِعْ أَمْرًا فَدَعَهُ (٥) وَجَاوَزَهُ إِلَى مَا تَسْتَطِيعُ

قال : فأمر الأحنف بالرحيل ، ثم انصرف إلى بلخ ، وقد قبض ابن عمه ما صالحهم عليه ؛ وكان وافق وهو يجيبهم المهرجنان ، فأهدوا إليه هدايا من آنية الذهب والفضة ودنانير ودراهم ومتاع وثياب ، فقال ابن عم الأحنف : هذا ما صالحناكم عليه ؟ قالوا : لا ؛ ولكن هذا شيء نصنعه في هذا اليوم بمن وليتنا نستعطفه به ، قال : وما هذا اليوم ؟ قالوا : المهرجنان ، قال : ما أدرى ما هذا ؟ وإنني لأكره أن أردّه ؛ ولعله من حقّي ؛ ولكن (٦) أقبضه وأعزله

(١) ياقوت ٣ : ١٦٧ .

(٢) ابن حبّيش : « بذلك منهم » .

(٣) ابن حبّيش : « صالحوا عليه » . (٤) ابن حبّيش وابن الأثير : « خوارزم » .

(٥) ف وابن كثير : « شيئاً » . (٦) ف وابن حبّيش : « ولكن » .

٢٩٠٤/١ حتى أنظر [فيه] ^(١)؛ فقبضه، وقدم الأحنف فأخبره، فسألم عنه، فقالوا [له] ^(١) مثل ما قالوا لابن عمته، فقال: أتيت به الأمير؛ فحمله إلى ابن عامر، فأخبره عنه، فقال: اقبضه يا أبا بحر؛ فهو لك؟ قال: لا حاجة لي فيه، فقال ابن عامر: ضمه إليك يامسمار، قال: قال الحسن: فضمه القرشي وكان مضماً.

قال علي: وأخبرنا عمرو بن محمد المرقبي، عن أشياخ من بني مرة، أن الأحنف استعمل على بلخ بشر بن المتشمس.

قال علي: وأخبرنا صدقة بن حميد، عن أبيه، قال: بعث ابن عامر - حين صالح أهل مرو، وصالح الأحنف أهل بلخ - خليلة بن عبد الله الحنفي إلى هرة وباذغيس؛ فافتتحهما، ثم كفروا بعد فكانوا مع قارن.

قال علي: وأخبرنا مسلمة، عن داود، قال: ولما رجع الأحنف إلى ابن عامر قال الناس لابن عامر: ما فتح على أحد ما قد فتح عليك؛ فارس وكرمان وسجستان وعامة خراسان! قال: لا جرم، لأجعلن شكرى لله على ذلك أن أخرج محرمًا معتمرًا من موقفي هذا. فأحرم بعصرة من نيسابور؛ فلما قدم على عمان لأمه على إحرامه من خراسان، وقال: ليتك تضبط ذلك من الوقت الذي يحرم منه الناس!

قال علي: أخبرنا مسلمة، عن السكن بن قتادة العريني، قال: استخلف ابن عامر على خراسان قيس بن الهيثم، وخرج ابن عامر منها في سنة اثنتين وثلاثين. قال: فجمع قارن جمعًا كثيرًا من ناحية الطبسين وأهل باذغيس وهرة وقهستان، فأقبل في أربعين ألفًا، فقال لعبد الله بن خازم: ما ترى؟ قال: أرى أن تخلى البلاد فإني أميرها؛ ومعى عهد من ابن عامر؛ إذا كانت حرب بخراسان فأنا أميرها - وأخرج كتابًا قد افتعله عمداً - فكره قيس مشاغبتها، وخلاه والبلاد؛ وأقبل إلى ابن عامر، فلامه ابن عامر،

وقال : تركت البلاد حرباً^(١) وأقبلت ! قال : جاءني بعهد منك . فقالت له أمّه : قد نهيتك أن تدعّهما في بلد ، فإنه يشغّب عليه^(٢) .

قال : فسار ابنُ خازم إلى قارن في أربعة آلاف : وأمر الناس فحملوا الودك ؛ فلما قرب من عسكره أمرّ الناس ، فقال : ليدري كلُّ رجلٍ منكم على زُجّ رحه ما كان معه من خيرقة أو قطن أو صوف ؛ ثم أوسعوه من الودك من سمن أو دهن أو زيت أو إهالة . ثم سار حتى إذا أمسى قدّم^(٣) مقدّمته سائمة ، ثم اتبعهم ، وأمر الناس فأشعلوا النيران في أطراف الرّماح ، وجعل يقتبس بعضهم من بعض . قال : وانتهت مقدّمته إلى عسكر قارن ، فاتّوهم نصف الليل ؛ ولهم حرس ، فناوشهم ، وهاج الناس على كدهش ، وكانوا آمنين في أنفسهم من البيات ، ودنا ابنُ خازم منهم ، فأروا النيران يَمْنَةً وَيَسْرَةً ، وتتقدّم وتتأخّر ، وتنخفّض^(٤) وترتفع ؛ فلا يرون أحداً . فهاهم ٢٩٠٦/١ ذلك ، ومقدّمه ابن خازم يقاتلونهم ؛ ثم غشيهم ابنُ خازم بالمسلمين ، فقتل قارن ، وانهزم العدو فأتبعوهم يقتلونهم كيف شاءوا ، وأصابوا سبيّاً كثيراً ؛ فزعم شيخ من بني تميم ، قال : كانت أمّ الصلت بن حُرَيْث من مسبى قارن ، وأمّ زياد بن الربيع منهم ، وأمّ عون أبي عبد الله بن عون الفقيه منهم .

قال عليّ : حدثنا مسلمة ، قال : أخذ ابن خازم عسكر قارن بما كان فيه ، وكتب بالفتح إلى ابن عامر ؛ فرضى وأقرّه على خراسان ، فلبّث عليها حتى انقضى أمرُ الجمل ، فأقبل إلى البصرة ، فشهد وقعة ابن الحضرميّ ، وكان معه في دار سبيل .

قال عليّ : وأخبرنا الحسن بن رشيد ، عن سليمان بن كثير [العمي] الخزاعيّ ، قال : جمع قارن للمسلمين جمعاً كثيراً^(٥) ، فضاقت المسلمون بأمرهم ، فقال قيس

(١) ف وابن الأثير والنويري : « خراباً » .

(٢) ابن حبيش : « عليك » .

(٣) ب : « أمسى وقدم » ، ابن الأثير والنويري : « أمسى قدّم » .

(٤) ابن حبيش والنويري : « وتنخفّض » .

(٥) ب : « كثيراً » .

ابن الهيثم لعبد الله بن خازم : ما ترى ؟ قال : أرى أنك لا تطيق كثرة مَن قد أتانا ، فأخرج بنفسك إلى ابن عامر فتخبره ^(١) بكثرة مَن قد جمعوا لنا ، ونقيم نحن في هذه الحصون ونطاولهم حتى تقدم ويأتينا مددكم .

قال : فخرج قيس بن الهيثم ، فلما أمعن أظهر ابن خازم عهداً ، وقال : قد ولّاني ابنُ عامر خراسان ؛ فسار إلى قارن ، فظفر به ، وكتب بالفتح إلى ابن عامر ، فأقرّه ابنُ عامر على خراسان ؛ فلم يزل أهل البصرة يغزون مَن لم يكن صالح من أهل خراسان ، فإذا رجعوا خلفوا أربعة آلاف للعقبة ، فكانوا على ذلك حتى كانت الفتنة .

ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين

ففيها كانت غزوة معاوية حِصْن المرأة من أرض الرّوم من ناحية مَلَطِيَّة في قول الواقدي .

٢٩٠٧/١

وفيهما كانت غزوة عبد الله بن سعد بن أبي سرح إفريقية ^(١) الثانية ^(٢) حين نقض أهلها العهد .

وفيهما قدّم عبد الله بن عامر الأحنف بن قيس إلى خراسان وقد انتقض أهلها ، ففتح المروّين : مرو والشاهجان صلحاً ، ومرو والروذ بعد قتال شديد ، وتبعه عبد الله بن عامر ، فنزل أبرشهر ، ففتحها صلحاً في قول الواقدي .

وأما أبو معشر فإنه قال — فيما حدثني أحمد بن ثابت الرازي ، عن حدثه ، عن إسحاق بن عيسى ، عنه ، قال : كانت قبرس سنة ثلاث وثلاثين ، وقد ذكرنا قول من خالفه في ذلك ، والخبر عن قبرس .

وفيهما : كان تسيير عثمان بن عفان من سيّر من أهل العراق إلى الشام .

• • •

ذكر تسيير من سيّر من أهل الكوفة إليها

اختلف أهل السير في ذلك ، فأما سيف فإنه ذكر فيما كتب به إلى السري عن شعيب عنه ، عن محمد وطلحة ، قالوا : كان سعيد بن العاص لا يغشاه إلا نازلة أهل الكوفة ووجوه أهل الأيام وأهل القادسية وقرّاء أهل البصرة ^(٣) والمتسمّتون ، وكان هؤلاء دخلته إذا خلا ، فأما إذا جلس للناس ٢٩٠٨/١

(١) ف : « إلى إفريقية » . (٢) ف : « المرة الثانية » .

(٣) ابن الأثير : « الكوفة » .

فإنه يدخل عليه كل أحد ، فجلس للناس يوماً ، فدخلوا عليه ؛ فبيناهم ^(١) جلوس يتحدّثون قال خنيس بن فلان ^(٢) : ما أجود طلحة بن عبيد الله ! فقال سعيد ابن العاص : إن من له مثل النشاستج ^(٣) لحقيق أن يكون جواداً ؛ والله لو أن لي مثله لأعاشكم الله عيشاً رغداً . فقال عبد الرحمن بن خنيس - وهو حدّث : والله لوددت أن هذا المِلطاط لك - يعني ما كان لآل كسرى على جانب القرات الذي يلي الكوفة - قالوا : فض الله فاك ! والله لقد هممنا بك ، فقال : خنيس غلام فلا تجازوه ^(٤) ، فقالوا : يتمنى له من سوادنا ! قال : ويتمنى لكم أضعافه ، قالوا : لا يتمنى لنا ولا له ، قال : ما هذا بكم ! قالوا : أنت والله أمرته بها ، فنار إليه الأشراب بن ذى الحبكة وجندب وصعصعة وابن الكواء وكُمَيْل بن زياد وعُمير بن ضائب ؛ فأخذوه فذهب أبوه لينع منه فضر بهما حتى غشي عليهما ، وجعل سعيد يناشدهم ويأبون ، حتى قضوا منهما وطراً ، فسمعت بذلك بنو أسد ، فجاءوا وفيهم طليحة فأحاطوا بالقصر ، وركبت القبائل ، فعادوا بسعيد ، وقالوا : أفلتنا وخلّصنا .

فخرج سعيد إلى الناس ، فقال : أيّها الناس ، قوم تنازعوا وتهاووا ، وقد رزق الله العافية . ثم قعدوا وعادوا في حديثهم ، وتراجعوا فساءهم وردّهم ، وأفاق الرّجلان ؛ فقال : أبكما حياة ؟ قالوا : قتلنا غاشيتك ، قال : لا يغشوني والله أبداً ، فاحفظا على ألسنتكما ولا تجرّتا على الناس . ففعلا . ولما انقطع رجاء أولئك النفر من ذلك قعدوا في بيوتهم ، وأقبلوا على الإذاعة حتى لاهم أهل الكوفة في أمرهم ؛ فقال : هذا أميركم وقد نهاني أن أحرك شيئاً ، فمن أراد منكم أن يحرك شيئاً فليحرّكه .

فكتب أشراف أهل الكوفة وصلحاؤهم إلى عثمان في إخراجهم ، فكتب : إذا اجتمع ملؤكم على ذلك فألحقوهم بمعاوية . فأخرجوهم ، فذلّوا وانقادوا حتى أتوه - وهم بضعة عشر - فكتبوا بذلك إلى عثمان ، وكتب عثمان إلى معاوية : إن أهل الكوفة قد أخرجوا إليك نفراً خلّقوا للفتنة ، فرعّهم وقمّ عليهم ؛

(١) ف والنويرى : « فبيناً » . (٢) هو خنيس بن حبيش .

(٣) النشاستج : ضيعة بالكوفة كانت لطلحة بن عبيد الله التيمي ؛ وكانت عظيمة الدخل ، اشتراها من أهل الكوفة المقيمين بالحجاز بمال كان له بخيبر ، وعمرها ، فعظم دخلها . ياقوت ٨ : ٢٨٨ .

(٤) ف : « تحاوروه » .

فإن آنست منهم رَشَدًا فاقبل منهم ؛ وإن أعيوك فاردُّهم عليهم. فلما قدموا على معاوية رَحَّبَ بهم وأنزلهم كنيسة تسمَّى مريم ، وأجرى عليهم بأمر عثمان ما كان يجري عليهم بالعراق ، وجعل لا يزال يتغذى ويتعشى معهم ، فقال لهم يوماً : إنكم قوم من العرب لكم أسنان وألسنة ، وقد أدركتم بالإسلام شرفًا وغلبتم الأمم وحويتُم مراتبهم ومواريتهم^(١) ، وقد بلغني أنكم نَقَمْتُم قريشًا ؛ ٢٩١٠/١ وإن قريشًا لو لم تكن عدتم أذلةً كما كنتم ، إن أتمتكم لكم إلى اليوم جُنَّة فلا تَشِدُّوا^(٢) عن جُسَّتكم ؛ وإن أتمتكم اليوم يصبرون لكم على الجُور^(٣) ، ويحملون منكم المؤونة ؛ والله لتنتهئن أو ليبتلينكم الله بمن يسومكم ؛ ثم لا يحمدكم على الصبر ، ثم تكونون شركاء لهم فيما جررتهم على الرعيَّة في حياتكم وبعد موتكم .

فقال رجل من القوم : أمّا ما ذكرت من قريش فإنها لم تكن أكثر العرب ولا أضعفها في الجاهلية فتُخَوِّفُنَا ؛ وأما ما ذكرت من الجُنَّة فإن الجُنَّة إذا احترقت^(٤) خُلِصَ إلينا .

فقال معاوية : عرفتكم الآن ، علمتُ أن الذي أغراكم على هذا قِلَّةُ العقول ، وأنت خطيب القوم ، ولا أرى لك عقلًا ، أعْظِمَ عليك أمر الإسلام ، وأذكرك به ، وتذكرني الجاهلية ! وقد وعظمتك . وتزعم لما يحنك أنه يُخترق ، ولا ينسب ما يخترق إلى الجُنَّة ؛ أخزى الله أقوامًا أعظموا أمركم ، ورفعوا إلى خليفتم ! افقهوا — ولا أظنكم تفقهون — أن قريشًا لم تُعَزَّزْ في جاهلية ولا إسلام إلا بالله عز وجل ، لم تكن بأكثر العرب ولا أشدهم ؛ ولكنهم كانوا أكرمهم أحسابًا ، وأحفضهم أنسابًا ، وأعظمهم أخطارًا ؛ وأكلهم مروءة ، ولم يمتنعوا في الجاهلية والناس يأكل بعضهم بعضًا إلا بالله الذي لا يُسْتَدَلُّ مَنْ أعزَّ ، ولا يوضع ٢٩١١/١ مَنْ رفع ؛ فبواهم حرمًا آمنًا يُتَخَطَّفُ الناس من حوْلهم ! هل تعرفون عربًا أو عجمًا أو سودًا أو حمراء إلا قد أصابه الدهر في بلده وحرمته بدولة ؛ إلا ما كان من قريش ؛ فإنه لم يردَّهم أحدٌ من الناس بكيد إلا جعل الله

(٢) ط : « تسدوا » .

(١) ف : « وحزمت مواريتهم »

(٤) ب : « احترقت » .

(٣) ف : « الحق » .

خده (١) الأسفل ، حتى أراد الله أن يتنقذ (٢) من أكرم واتسع دينه من هوان الدنيا (٣) وسوء مرد الآخرة ، فارتضى لذلك خير خلقه ، ثم ارتضى له أصحاباً فكان خيارهم قريشاً ، ثم بنى هذا الملك عليهم ، وجعل هذه الخلافة فيهم ؛ ولا يصلح ذلك إلا عليهم ؛ فكان الله يحوطهم في الجاهلية وهم على كفرهم بالله ؛ أفتراه لا يحوطهم وهم على دينه وقد حاطهم في الجاهلية من الملوك الذين كانوا يتدينونكم ! أف لك ولأصحابك ! ولو أن متكلماً غيرك تكلم ، ولكنك ابتدأت . فأما أنت يا صعصة فإن قررتك شر قررتي عربية ؛ أنتنها نبياً ، وأعقها وادياً ، وأعرفها بالشر ، والأمها جيراناً ، لم يسكنها شريف قط ولا وضع إلا سبب بها ؛ وكانت عليه هجنة ، ثم كانوا أقبح العرب ألقاباً ، والأمة أصهاراً ، نزاع الأمم (٤) ؛ وأنتم جيران الخط وفعلة فارس ، حتى أصابتكم دعوة النبي صلى الله عليه وسلم ونكبتك دعوته ؛ وأنت نزيح شطير (٥) في عُمان ، لم تسكن البسحرين فتشركهم في دعوة النبي صلى الله عليه وسلم ، فأنت شر قومك ، حتى إذا أبرزك الإسلام ، وخلطك بالناس ، وحملك على الأمم التي كانت عليك ؛ أقبلت تبغي دين الله عوجاً ؛ وتنزع إلى اللامة (٦) والدلة . ولا يضع ذلك قريشاً ، وإن يضرهم ، ولن يمتنعهم من تأدية ما عليهم ؛ إن الشيطان عنكم غير غافل ، قد عرفكم بالشر من بين أممكم ، فأغرى بكم الناس ؛ وهو صايركم (٧) . لقد علم أنه لا يستطيع أن يرد بكم قضاء قضاءه الله ، ولا أمراً أرادته الله ، ولا تتركون بالشر أمراً أبداً إلا فتح الله عليكم شراً منه وأخزى .

ثم قام وتركهم ؛ فتذا مروا . فتقاصرت إليهم أنفسهم ، فلمّا كان بعد ذلك أتاهم فقال : إني قد أذنت لكم فاذهبوا حيث شئتم ؛ لا والله لا ينفع الله بكم أحداً ولا يضره ؛ ولا أنتم برجال منفعة ولا مضرة ؛ ولكنكم رجال تكبر . وبعد ، فإن أردتم النجاة فالزموا جماعتكم ؛ وليسمعكم ماوسع الله هماً ، ولا يبطركم الإنعام ، فإن البطر لا يعتري الحيار ؛ اذهبوا حيث شئتم ، فإني كاتب إلى أمير المؤمنين فيكم .

(١) ف : « كيده » . (٢) ابن الأثير : « يستنقذ » .

(٣) ف : « الناس » . (٤) النزاع : جمع نزيح ؛ وهو الغريب .

(٥) الشطير : الغريب أيضاً . (٦) اللامة : مصدر لؤم . (٧) ف : « صايركم » .

فلما خرجوا دعاهم فقال : إني معيا. عليكم. إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان معصوماً فولاتي ، وأدخلني في أمره ، ثم استخلف أبو بكر رضي الله عنه فولاتي ؛ ثم استخلف عمر فولاتي ، ثم استخلف عثمان فولاتي ، فلم أَلِ لأحد منهم ولم يولّني إلا وهو راضٍ عني ؛ ولما طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم للأعمال أهلَ الجزاء عن المسلمين والغنماء ؛ ولم يطلب لها أهل الاجتهاد والجهل بها والضعف عنها ؛ وإن الله ذو سطواتٍ ونقماتٍ يمكر بمن مكره ، فلا تعرضوا لأمر وأنتم تعلمون من أنفسكم غير ما تظهرون ؛ فإن الله غير تارككم حتى يختبركم ويبدى للناس سرائركم ؛ وقد قال عز وجل : ﴿ أَلَمْ يَأْتِ الْبَشَرُ إِلَّا خَشْيَةَ اللَّهِ فَإِنْ أَتَى النَّاسَ الْغَيْبُ فَهُمْ لَا يَخْتَرِعُونَ إِلَّا نَبْأَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ (١) .

وكتب معاوية إلى عثمان : إنه قدم على أقوام ليست لهم عقول ولا أديان ، أثقلهم الإسلام ، وأضجرهم العدل ؛ لا يريدون الله بشيء ، ولا يتكلمون بحجة ؛ إنما همهم الفتنة وأموال أهل الذمة ؛ والله مبتليهم ومختبرهم ، ثم فاضحهم ونخزهم (٢) ؛ وليسوا بالذين ينكون أحداً إلا مع غيرهم ، فانه سعيداً ومن قبله عنهم ؛ فإنهم ليسوا لأكثر من شغَب أو نكير .

وخرج القوم من دمشق فقالوا : لا ترجعوا إلى الكوفة ، فإنهم يهيمتون بكم ، وميلوا بنسا إلى الجزيرة ، ودعوا العراق والشام . فأووا (٣) إلى الجزيرة ، وسمع بهم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد — وكان معاوية قد ولاه حِمَصَ وولى عامل الجزيرة حِزَانَ والرقة — فدعا بهم ، فقال : يا آلَ الشيطان ، لا مرجباً بكم ولا أهلاً ! قد رجع الشيطان محسوراً وأنتم بعدُ نشاط ؛ خسر الله عبد الرحمن إن لم يؤد بكم حتى يحمركم . يا معشر من لا أدري أعرب أم عجم ، لكي لا تقولوا لي ما يبلغني أنكم تقولون لمعاوية ؛ أنا ابن خالد بن الوليد ، أنا ابن من قد عجمته العاجمات ، أنا ابن فاقٍ الردة ، والله لئن بلغني يا صعصعة ابن ذل أن أحداً ممن معي دق أنفك ثم أمصك (٤)

(١) سورة النكبات ١ ، ٢ (٢) ف : « ومحرهم » .

(٣) ف : « فأتوا » .

(٤) ابن الأثير « عمصك » ، وأمصك ، أى قال له : مص من أهلك .

لأطيرن بك طيرة بعيدة المهوى . فأقامهم أشهر آكلما ركب أمشاهم ، فلذا مر به [صعصة] ^(١) قال : يابن الخطيئة ^(٢) ، أعلمت أن من لم يصلحه الخير أصلحه الشر ! مآلك لا تقول كما كان يبلغني أنك تقول لسعيد ومعاوية ! فيقول ويقولون : نتوب إلى الله ، أقلنا أقالك الله ! فما زالوا به حتى قال : تاب الله عليكم .

وسرح الأشر إلى عثمان ، وقال لهم : ما شتم ، إن شتم فاخرجوا ، وإن شتم فأقيموا . وخرج الأشر ، فأتى عثمان بالتوبة والندم والتزوع عنه وعن أصحابه ، فقال : سلمكم الله . وقدم سعيد بن العاص ، فقال عثمان للأشر : احلل حيث شئت ، فقال : مع عبد الرحمن بن خالد ؟ وذكر من فضله ، فقال : ذاك إليكم ، فرجع إلى عبد الرحمن .

وأما محمد بن عمر ؛ فإنه ذكر أن أبا بكر بن إسماعيل حدثه عن أبيه ، عن عامر بن سعد ، أن عثمان بعث سعيد بن العاص إلى الكوفة أميراً عليها ، حين شهد على الوليد بن عتبة بشرب الخمر من شهد عليه ، وأمره أن يبعث إليه الوليد بن عتبة . قال : قدّم سعيد بن العاص الكوفة ، فأرسل إلى الوليد : إن أمير المؤمنين يأمرك أن تلحق به . قال : فتصجّع ^(٣) أياماً ، فقال له : انطلق إلى أخيك ؛ فإنه قد أمرني أن أبعثك إليه ، قال : وما صعد منبر الكوفة حتى أمر به أن يغسل ^(٤) ، فناشده رجال من قريش كانوا قد خرجوا معه من بني أمية ، وقالوا : إن هذا قبيح ؛ والله لو أراد هذا غيرك لكان حقاً أن تذب عنه ؛ يلزمه عارٌ هذا أبداً . قال : فأبى إلا أن يفعل ، فغسله وأرسل إلى الوليد أن يتحوّل من دار الإمارة ، فتحوّل منها ، ونزل دار ثمارة بن عتبة ، فقدم الوليد على عثمان ، فجمع بينه وبين خصمائه ، فرأى أن يجلده ، فجلده الحد .

قال محمد بن عمر : حدثني شيبان ، عن مجالد ، عن الشعبي ، قال : قدّم سعيد بن العاص الكوفة ، فجعل يختار وجوه الناس يدخلون عليه

(١) من ابن الأثير . (٢) ابن الأثير : « الخطيئة » .

(٣) يقال : تصجّع في الأمر ؛ تقعد فيه ولم يتم به .

(٤) الغسل هنا : الضرب بالسوط .

ويسمرون عنده ؛ وإنه سمر عنده ليلة وجوه أهل الكوفة ، منهم مالك بن كعب الأرحبي ، والأود بن يزيد وعلقمة بن قيس النخعيان ، وفيهم مالك الأشتر في رجال ، فقال سعيد : إنما هذا السواد بستان لقريش ؛ فقال الأشتر : أتزعم أن السواد الذي أفاءه الله علينا بأسيا فبا بستان لك ولقومك ! والله ما يزيد أوفاكم فيه نصيباً إلا أن يكون كأحدنا ، وتكلم معه القوم .

قال : فقال عبد الرحمن الأسدي - وكان على شرطة سعيد : أتردون على الأمير مقالته ! وأغلظ لهم ، فقال الأشتر : من ها هنا ! لا يفوتنكم الرجل ؛ فوثبوا عليه فوطئوه وطأ شديداً ، حتى غشى عليه ، ثم جبر برجله فألقى ، فنضح بماء فأفاق ، فقال له سعيد : أبك حياة ؟ فقال : قتلتني من انتخبت - زعمت - للإسلام ، فقال : والله لا يسمر منهم عندي أحد أبداً ، فجعلوا يجلسون في مجالسهم وبيوتهم يشتمون عثمان وسعيداً ؛ واجتمع الناس إليهم ؛ حتى كثر من يختلف إليهم . فكتب سعيد إلى عثمان يخبره بذلك ، ويقول : إن رهطاً من أهل الكوفة - سباهم له عشرة - يؤتبون ويجمعون على عيبك وعيبي والظعن في ديننا ، وقد خشيت إن ثبت أمرهم أن يكثروا ؛ فكتب عثمان إلى سعيد : أن سيرهم إلى معاوية - ومعاوية يومئذ على الشام - فسيرهم - وهم تسعة نفر - إلى معاوية ؛ وفيهم مالك الأشتر ، وثابت بن قيس بن مسنن ، وكميل بن زياد النخعي ، وصعصعة بن صوحان . ثم ذكر نحو حديث السري ، عن شعيب ؛ إلا أنه قال : فقال صعصعة : فإن احترقت الجنة بأفليس يخلص إلينا ؟ فقال معاوية : إن الجنة لا تخرق ، فضع أمر قريش على أحسن ما يحضرك .

وزاد فيه أيضاً : إن معاوية لما عاد إليهم من القابلة وذكرهم ، قال فيما يقول : وإني والله ما آمركم بشيء إلا قد بدأت فيه بنفسى وأهل بيتى وخاصتى ؛ وقد عرفت قريش أن أبا سفيان كان أكرمها وابن أكرمها ، إلا ما جعل الله لنبيه نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم ؛ فإن الله انتخبه وأكرمه ، فلم يخلق في أحد من الأخلاق الصالحة شيئاً إلا أصفاه الله بأكرمها وأحسنها ؛ ولم يخلق من الأخلاق السيئة شيئاً في أحد إلا أكرمه الله عنها ونزهه ؛ وإني لأظن أن

أبا سفيان لو ولد الناس لم يلد إلا حازماً . قال صعصعة : كذبت ! قد ولدَهم خير من أبي سفيان ؛ مَنْ خلقه الله بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وأمر الملائكة فسجدوا له ، فكان فيهم البرّ والفاجر ، والأحمق والكيّس . فخرج تلك الليلة من عندهم ، ثم أتاهم القابلة ، فتحدثت عندهم طويلاً ، ثم قال : أيُّها القوم ، ردّوا علىّ خيراً أو اسكتوا وتفكروا وانظروا فيما ينفعكم وينفع أهليكم ، وينفع عشائركم ، وينفع جماعة المسلمين ؛ فاطلبوه ^(١) تعيشوا ونعيش بكم . فقال صعصعة : لست بأهل ذلك ، ولا كرامة لك أن تطاع في معصية الله . فقال : أو ليس ما ابتدأتكم به أن أمرتكم بتقوى الله وطاعته وطاعة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وأن تعتصموا بحبله جميعاً ولا تفرّقوا ! قالوا : بل أمرت بالفرقة وخلاف ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم . قال : فإنّي آمركم الآن ، إن كنت فعلت فأتوب إلى الله ، وأمركم بتقواه ^(٢) وطاعته وطاعة نبيه صلى الله عليه وسلم ولزوم الجماعة ، وكراهة الفرقة ، وأن توقروا أئمتكم وتدلوهم على كلّ حسن ما قدرتم ، وتعظوهم في لين ولطف في شيء إن كان منهم .

فقال صعصعة : فإنّا نأمرُك أن تعتزل عمالك ؛ فإنّ في المسلمين من هو أحقّ به منك ، قال : مَنْ هو ؟ قال : مَنْ كان أبوه أحسن قلعاً من أبيك ، وهو بنفسه أحسن قلعاً منك في الإسلام ، فقال : والله إنّ لي في الإسلام قلعاً ، ولتغيري كان أحسن قلعاً مني ؛ ولكنه ليس في زمانى أحد أقوى على ما أنا فيه مني ؛ ولقد رأى ذلك ^(٣) عمر بن الخطاب ، فلو كان غيري أقوى مني لم يكن لي عند عمر هودة ولا لغيري ، ولم أحدث من الحدث ما ينبغي لي أن أعتزل على ؛ ولو رأى ذلك أمير المؤمنين وجماعة المسلمين لكتب إلىّ بخطّ يده فاعتزلت عمله ؛ ولو قضى الله أن يفعل ذلك لرجوت ألا يعزم له على ذلك إلا وهو خير ؛ فهلا فإنّ في ذلك وأشباهه ما يتنّى الشيطان ويأمر ؛ ولعمري لو كانت الأمور تقضى على رأيكم وأمانيتكم

(١) ب : « واطلبوه » . (٢) ف : « بتقوى الله » .

(٣) ب : « رأى » .

ما استقامت الأمور لأهل الإسلام يوماً ولا ليلة، ولكن الله يقضيها ويدبرها؛ وهو بالغ أمره؛ فعاودوا الخبر وقولوه.

فقالوا: لست لذلك أهلاً، فقال: أما والله إنَّ الله لسطوات ونقمات، وإني لخائف عليكم أن تتابعوا^(١) في مطاوعة الشيطان حتى تُحِلَّكم مطاوعة الشيطان ومعصية الرحمن دارَ الهوان من نَقَمِ الله في عاجل الأمر، والخزى^(٢) الدائم في الآجل.

فوثبوا عليه؛ فأخذوا^(٣) برأسه ولحيته، فقال: مَهْ؛ إنَّ هذه ليست بأرض الكوفة، والله لو رأى أهل الشام ما صنعتم بي وأنا أمامهم ما ملكت أن أنجاهم عنكم حتى يقتلوكم. فلعمري إنَّ صنعكم لي شبه بعضه بعضاً، ثم أقام من عندهم، فقال: والله لا أدخل عليكم مدخلا ما بقيت.

ثم كتب إلى عثمان: بسم الله الرحمن الرحيم؛ لعبد الله عثمان أمير المؤمنين من معاوية بن أبي سفيان، أما بعد يا أمير المؤمنين، فإنك بعثت إلى أقواماً يتكلمون بالسنة الشياطين وما يُملَّون عليهم، ويأتون الناس—زعموا—من قبيل القرآن، فيشبهون على الناس، وليس كلَّ الناس يعلم ما يريدون؛ وإنما يريدون فرقة، ويقرَّبون فتنة؛ قد أثقلهم الإسلام وأضجرهم، وتمكَّنت رُقَى الشيطان من قلوبهم، فقد أفسدوا كثيراً من الناس ممن كانوا بين ظهرانيهم من أهل الكوفة؛ ولست آمن إن أقاموا وسط أهل الشام أن يغروهم بسحرهم وفجورهم؛ فاردُّهم إلى مصرهم؛ فلتكن دارهم في مصرهم الذي نجم فيه نفاقهم؛ والسلام.

فكتب إليه عثمان يأمره أن يردهم إلى سعيد بن العاص بالكوفة، فردَّهم إليه، فلم يكونوا إلاَّ أطلق السنة منهم حين رجعوا.

وكتب سعيد إلى عثمان يضيغ منهم؛ فكتب عثمان إلى سعيد أن سيرهم إلى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد؛ وكان أميراً على حمص.

(١) التورى: «تتابعوا».

(٢) ف: «والخزى».

(٣) ف وابن الأثير والتورى: «وأخذوا».

وكتب إلى الأشتر وأصحابه : أمّا بعد ؛ فإنّي قد سیرتکم إلى حمص ، فإذا
أتاکم کتابی هذا فاخرجوا إليها ؛ فإنکم لستم تألون الإسلام وأهله شرّاً . والسلام .
فلما قرأ الأشتر الكتاب ، قال : اللهم أسوأننا نظراً للرعيّة وأعلنا فيهم
بالمعصية ؛ فعبّجّل له النعمة .

فكتب بذلك سعيد إلى عثمان ، وسار الأشتر وأصحابه إلى حمص ؛
فأنزلهم عبد الرحمن بن خالد الساحل ، وأجرى عليهم رزقاً .

قال محمد بن عمر : حدّثنی عيسى بن عبد الرحمن ، عن أبي إسحاق
الهمدانيّ ، قال : اجتمع نفر بالكوفة - يطعنون على عثمان - من أشرف أهل
العراق : مالك بن الحارث الأشتر ، وثابت بن قيس النخعيّ ، وكُميل بن
زياد النخعيّ ، وزيد بن صوحان العبديّ ، وجندب بن زهير الغامديّ ،
وجندب بن كعب الأزديّ ، وعروة بن الجعد ، وعمرو بن الحمق الخزاعيّ .
فكتب سعيد بن العاص إلى عثمان يخبره بأمرهم ، فكتب إليه أن سيرهم
إلى الشام وأنزهم الدروب .

• • •

ذكر الخبر

٢٩٢٢/١

عن تسيير عثمان من سير من أهل البصرة إلى الشام

مما كتب به إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عطية ، عن
يزيد الفقعسيّ ؛ قال : لما مضى من إمارة ابن عامر ثلاث سنين ، بلغه
أن في عبد القيس رجلاً نازلاً على حُكيم بن جبلة ، وكان حُكيم بن جبلة
رجلاً لصّاً ، إذا قفل الجيوش ختنس عنهم ، فسعى في أرض فارس ، فيغير
على أهل الذمة ، ويتنكّر لهم ، ويفسد في الأرض ، ويصيب ما شاء ثم
يرجع . فشكاه أهل الذمة وأهل القبيلة إلى عثمان . فكتب إلى عبد الله بن
عامر : أن احبسه ، ومن كان مثله فلا يخرج من البصرة حتى تأنسوا منه
رُشدّاً ؛ فحبسه فكان لا يستطيع أن يخرج منها . فلما قدم ابنُ السوداء
نزل عليه واجتمع إليه نفر فطرح لهم ابنُ السوداء ولم يصرح ، فقبلوا منه ،
واستعظموه ، وأرسل إليه ابنُ عامر ، فسأله : ما أنت ؟ فأخبره أنه رجل من

أهل الكتاب ، رغب في الإسلام ، ورغب في جوارك ؛ فقال : ما يبلغني ذلك ، اخرج عني . فخرج حتى أتى الكوفة فأخرج منها فاستقر بمصر ، وجعل يكتبهم ويكتبونه ، ويختلف^(١) الرجال بينهم .

٢٩٢٣/١

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قال : إن حُمران بن أبان تزوج امرأة في عِدَّتِها ، فنكَل به عثمان ، وفرق بينهما ، وسيّره إلى البصرة ، فلزم ابنُ عامر ؛ فتذاكروا يوماً الركوب والمروءة بعامر ابن عبد قيس - وكان منقبضاً عن الناس - فقال حُمران : ألا أسبقكم فأخبره ! فخرج فدخل عليه وهو يقرأ في المصحف ، فقال : الأمير أراد أن يمر بك فأحببت أن أخبرك ، فلم يقطع قراءته ولم يُقبل عليه ، فقام من عنده خارجاً . فلما انتهى إلى الباب لقيه ابنُ عامر ، فقال : جئتك من عند امرئ لا يرى لآل إبراهيم عليه فضلاً ؛ واستأذن ابن عامر ، فدخل عليه ، وجلس إليه ، فأطبق عامر المصحف ، وحدّثه ساعة ، فقال له ابنُ عامر : ألا تغشانا ؟ فقال : سعد بن أبي العرجاء يحب الشرف ، فقال : ألا نستعملك ؟ فقال : حصين ابن أبي الحر يحب العمل ، فقال : ألا تزوجك ! فقال : ربيعة بن عيسل يعجبه النساء ، قال : إن هذا يزعم أنك لا ترى لآل إبراهيم عليك فضلاً ، فتصفّح المصحف ؛ فكان أول ما وقع عليه واقتنع منه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾^(٢) ، فلما رُدَّ حُمران تتبع ذلك منه ، فسعى به ، وشهد له أقوام فسيّره إلى الشام ، فلما علموا علمه أذنوا له فأبى ولزم الشام .

٢٩٢٤/١

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، أن عثمان سير حُمران بن أبان ؛ أن تزوج امرأة في عِدَّتِها ، وفرق بينهما ، وضر به وسيّره إلى البصرة ؛ فلما أتى عليه ما شاء الله ، وأتاه عنه الذي يحب ، أذن له . فقدم عليه المدينة ، وقدم معه قوم سَعَوْا بعامر بن عبد قيس ؛ أنه لا يرى التزويج ، ولا يأكل اللحم ؛ ولا يشهد الجمعة - وكان مع عامر انقباض ؛

وكان عمله كله خفية - فكتب إلى عبد الله بن عامر بذلك ، فالحقه بمعاوية ؛ فلما قدم عليه وافقه وعنده ثريدة ^(١) فأكل أكلاً غريباً ؛ فعرف أن الرجل مكذوب عليه ، فقال : يا هذا ، هل تدري فيم أخرجت ؟ قال : لا ، قال : أبلغ الخليفة أنك لا تأكل اللحم ، وأيتك وعرفت أن قد كُذِّب عليك ، وأنت لا ترى التزويج ، ولا تشهد الجمعة ، قال : أمّا الجمعة فلاني أشهدا في مؤخر المسجد ثم أرجع في أوائل الناس ؛ وأمّا التزويج فلاني خرجت وأنا يخطب عليّ ؛ وأمّا اللحم فقد رأيت ، ولكني كنت امرأة لا أكل ذبائح القصابين منذ رأيت قصاباً يجر شاة إلى مذبحها ، ثم وضع السكين على مذبحها ، فما زال يقول : النفاق النفاق ، حتى وجبت ^(٢) . قال : فارجع ، قال : لا أرجع إلى بلد استحل أهله مني ما استحلوا ولكمشي أقيم بهذا البلد الذي اختاره الله لي . وكان يكون في السواحل ؛ وكان يلقي معاوية ، فيكثر معاوية أن يقول : حاجتك ؟ فيقول : لا حاجة لي ؛ فلما أكثر عليه ، قال : ترد عليّ من حرّ البصرة لعل الصوم أن يشتد عليّ شيئاً ، فإنه يخف عليّ في بلادكم .

٢٩٢٥/١

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي حارثة وأبي عثمان ، قالا : لما قدم مسيرة أهل الكوفة على معاوية ، أنزله داراً ، ثم خلا بهم ، فقال لهم وقالوا له ، فلما فرغوا قال : لم تؤتوا إلا من الحمقى ، والله ما أرى منطقاً سديداً ، ولا عنراً مبيناً ، ولا حلمًا ولا قوة ؛ وإنك يا صعصعة لأحمقهم ؛ اصنعوا وقولوا ما شئتم ما لم تدعوا شيئاً من أمر الله ؛ فإن كل شيء يَحتمل لكم إلا معصيته ، فأما فيما بيننا وبينكم فأنتم أمراء أنفسكم . فرآهم بعد وهم يشهدون الصلاة ، ويقفون مع قاص الجماعة ، فلنخل عليهم يوماً وبعضهم يقرى بعضاً ، فقال : إن في هذا لحلفاً مما قدمتم به عليّ من النزاع إلى أمر الجاهلية ؛ اذهبوا حيث شئتم ، واعلموا أنكم إن لزمتم جماعتكم سعدتم بذلك دونهم ؛ وإن لم تلزموها شقيتم بذلك دونهم ؛ ولم تضروا أحداً ، فجزوه خيراً ،

٢٩٢٦/١

(١) الثريدة : كسر الحز المبلول بالماء . (٢) وجبت ، أي تم بيعها ونفدت .

وأثنوا عليه ، فقال : يا بن الكوآء ، أى رجل أنا ؟ قال : بعيد الثرى ، كثير المرعى ، طيب البديهة ، بعيد الغـور ، الغالب عليك الحلم ، ركن من أركان الإسلام ، سُدّت بك فرجة مخوفة . قال : فأخبرني عن أهل الإحداث من أهل الأمصار فإنك أعقل أصحابك ؛ قال : كاتبهم وكاتبوني ، وأنكروني وعرفتهم ؛ فأما أهلُ الإحداث من أهل المدينة فهم أحرصُ الأمة على الشرِّ ، وأعجزه عنه . وأما أهلُ الإحداث من أهل الكوفة فإنهم أنظر الناس في صغير ، وأركب كبير . وأما أهلُ الإحداث من أهل البصرة ، فإنهم يتردُّون جميعاً ، ويصلُّون شتى ، وأما أهل الإحداث من أهل مصر فهم أوفى الناس بشرِّ ، وأسرع ندامة ؛ وأما أهل الإحداث من أهل الشام فأطوع الناس لمرشدتهم ، وأعصاه لمغويهم .

• • •

وحجَّ بالناس في هذه السنة عثمان .

وزعم أبو معشر أن فتح قبرس كان في هذه السنة ، وقد ذكرت من خالفه في ذلك .

ثم دخلت سنة أربع وثلاثين

ذكر ما كان فيها من الأحداث المذكورة

فزعم أبو معشر أن غزوة الصواري كانت فيها ؛ حدثني بذلك أحمد ،
عمن حدثه ، عن إسحاق ، عنه . وقد مضى الخبر عن هذه الغزوة وذكر
من خالف أبا معشر في وقتها .

وفيهما كان ردّ أهل الكوفة سعيد بن العاص عن الكوفة .

* * *

[ذكر خبر اجتماع المنحرفين على عثمان]

وفي هذه السنة تكاتب المنحرفون عن عثمان بن عفان للاجتماع لمناظرته
فيما كانوا يذكرون أنهم تقموا عليه .

• ذكر الخبر عن صفة اجتماعهم لذلك وخبر الجرّاعة :

مما كتب إلى به السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن المستنير بن
يزيد ، عن قيس بن يزيد النخعيّ ، قال : لما رجع معاوية المسيّرين ،
قالوا : إنّ العراق والشّام ليسا لنا بدار ؛ فعليكم بالجزيرة . فأتوها اختياراً .
فغدا عليهم عبد الرحمن بن خالد ؛ فسامهم الشدة ، ففزعوا له وتابعوه .
وسرح الأشتر إلى عثمان ، فدعا به ، وقال : اذهب حيث شئت ، فقال :
أرجع إلى عبد الرحمن ، فرجع . ووفد سعيد بن العاص إلى عثمان في سنة إحدى
عشرة من إمارة عثمان . وقبل مخرج سعيد بن العاص من الكوفة بسنة وبعض
أخرى بعث الأشعث بن قيس على أذربيجان ، وسعيد بن قيس على الرّيّ ؛
وكان سعيد بن قيس على همدان ، فعزل وجعل عليها النّسّير العجليّ ، وعلى
إصبهان السائب بن الأقرع ، وعلى ماه مالک بن حبّيب اليربوعيّ ، وعلى
الموصل حكيم بن سلامة الحزاميّ ، وجرير بن عبد الله على قرقيسياء ، وسلمان

ابن ربيعة على الباب ؛ وعلى الحرب القعقاع بن عمرو ، وعلى حلوان عتيبة ابن النهاس ؛ وخلفت الكوفة من الرؤساء إلا منزوعاً أو مفتوناً . فخرج يزيد بن قيس وهو يريد خلع عثمان ، فدخل المسجد ، فجلس فيه ، وثاب إليه الذين كان فيه ابن السوداء يكاتبهم ؛ فانقض عليه القعقاع ، فأخذ يزيد بن قيس ، فقال : إنما نستعفى من سعيد ، قال : هذا ما لا يعرض لكم فيه ، لا تجلس لهذا ولا يجتمعن إليك ، واطلب حاجتك ، فلعمري لتعطسيتها . فرجع إلى بيته واستأجر رجلاً ، وأعطاه دراهم وبغلاً على أن يأتي المسيرين . وكتب إليهم : لا تضعوا كتابي من أيديكم حتى تجيئوا ، فإن أهل المصر قد جامعونا . فانطلق الرجل ، فأتى عليهم وقد رجع الأشتر ؛ فدفع إليهم الكتاب ، فقالوا : ما اسمك ؟ قال : بُغْشُر ؛ قالوا : ممن ؟ قال : من كُتِّب ، قالوا : سُبْعٌ ذليل يبغي النفوس ؛ لا حاجة لنا بك . وخالفهم الأشتر ، ورجع عاصياً ، فلما خرج قال أصحابه : أخرجنا أخرجه الله ؛ لانجد بداً مما صنع ؛ إن علم بنا عبد الرحمن لم يصدقنا ولم يستقلها ، فاتبعوه فلم يلحقوه ؛ وبلغ عبد الرحمن أنهم قد رحلوا فطلبهم في السوداء ، فسار الأشتر سبعاً والقوم عشراً ، فلم يفلح الناس في يوم الجمعة إلا والأشتر على باب المسجد يقول : أيتها الناس ؛ إني قد جئتكم من عند أمير المؤمنين عثمان ، وتركت سعيداً يريد على نقصان نسائكم إلى (١) مائة درهم . ورد أهل البلاء منكم إلى الفين ، ويقول : ما بال أشراف النساء ؛ وهذه العلالة بين هذين العديلين ! ويزعم أن فيثكم بستان قريش ؛ وقد سايrote مرحلة ، فما زال يرجز بذلك حتى فارقه ؛ يقول :

وَيْلٌ لِأَشْرَافِ النِّسَاءِ مِثِّي صَمَحَحْ كَأَنِّي مِنْ جِنٍّ

فاستخف الناس ، وجعل أهل الحجي ينهونه فلا يُسمع منهم ، وكانت نفجة (٢) ، فخرج يزيد ، وأمر منادياً ينادي : مَنْ شاء أن يلحق بيزيد

(١) ابن الأثير والنويري : « على » . (٢) الصمصحح من الرجال : الشديد المجتمع .

(٣) يريد بالنفجة هنا الضجة ، انظر الفائق ٣ : ١٢٠ .

ابن قيس لرد سعيد وطلب أمير غيره فليفعل . وبقى حُلُماء الناس وأشرافهم
 وجوهمهم في المسجد ، وذهب من سواهم ، وعمرو بن حُرَيْث يومئذ الخليفة ،
 فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، وقال : اذكروا نعمة الله عليكم إذ
 كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً ، بعد أن كنتم على
 شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، فلا تعودوا في شرّ قد استنقذكم الله
 عزّ وجلّ منه . أبعد الإسلام وهدّيه وسنته لا تعرفون حقاً ، ولا تصيبون
 بابه ! فقال القعقاع بن عمرو : أتردّ السيل عن عبابه ! فاردّد الفرات
 عن أدراجه ، هيهات ! لا والله لا تُسكّن الغوغاء إلاّ المشركية ^(١) ويوشك
 أن تُنتضى ، ثم يعجبون عجيج العتدان ^(٢) ويتمنّون ما هم فيه فلا يردّه
 الله عليهم أبداً . فاصبر ؛ فقال : أصبر ، وتحول إلى منزله ، وخرج يزيد
 ابن قيس حتى نزل الجحرّة ، ومعه الأشر ، وقد كان سعيد تلبّث في الطريق ،
 فطلع عليهم سعيد وهم مقيمون له معسكرون ، فقالوا : لا حاجة لنا بك .
 فقال : فما اختلفتم الآن ؛ إنما كان يكفيكم أن تبعثوا إلى أمير المؤمنين رجلاً
 وتضعوا إلى رجلاً . وهل يخرج الألف لهم عقول إلى رجل ! ثم انصرف
 عنهم وتحسّوا بمولّى له على بعير قد حُسِر ، فقال : والله ما كان ينبغي لسعيد
 أن يرجع . فضرب الأشر عنقه ، ومضى سعيد حتى قدّم على عثمان ،
 فأخبره الخبر ، فقال : ما يريدون ؟ أخلّعوا يداً من طاعة ؟ قال : أظهرّوا
 أنهم يريدون البدل . قال : فمن يريدون ؟ قال : أبا موسى ؛ قال : قد أثبتنا
 أبا موسى عليهم ، والله لا نجعل لأحد عنداً ، ولا نترك لهم حجة ، ولنصبرن
 كما أمّرنا حتى نبّلع ما يريدون . ورجع من قرب عمله من الكوفة ، ورجع
 جرير من قرقيسياء وعُتبية من حلوان . وقام أبو موسى فتكلّم بالكوفة
 فقال : أيّها الناس ، لاتنفّروا في مثل هذا ، ولا تعودوا لمثله ، الزموا جماعتكم
 والطاعة ؛ وإياكم والعجلة ، اصبروا ، فكأنكم بأمير . قالوا : فصلّ بنا ، قال لا ، إلا
 على السمع والطاعة لعثمان بن عفان ؛ قالوا : على السمع والطاعة لعثمان .

٢٩٢٠/١

٢٩٣١/١

(١) المشركية : ضرب من السيوف منسوب إلى مشارق ، قرى قرب حوران من بلاد الشام .
 (٢) العتود : الجدى الذى استكرش ، وقيل : الحول من أولاد المعز ، وجمعه عتدان .

حدثني جعفر بن عبد الله الحمدي ، قال : حدثنا عمرو بن حماد بن طلحة وعلى بن حسين بن عيسى . قالوا : حدثنا حسين بن عيسى ، عن أبيه . عن هارون بن سعد ، عن العلاء بن عبد الله بن زيد العنبري ، أنه قال : اجتمع ناس من المسلمين ، فتلوا أعمال عثمان وما صنع ، فاجتمع رأيهم على أن يبعثوا إليه رجلاً يكلمه ، ويخبره بإحداثه ، فأرسلوا إليه عامر ابن عبد الله التميمي ثم العنبري — وهو الذي يدعى عامر بن عبد قيس — فأثابه . فدخل عليه ، فقال له : إن ناساً من المسلمين اجتمعوا فنظروا في أعمالك . فوجدوك قد ركبت أموراً عظماً ، فاتق الله عز وجل وتب إليه ، وانزع عنها . قال له عثمان : انظر إلى هذا . فإن الناس يزعمون أنه قارئ . ثم هو يحيي فيككتني في المحقرات ، فوالله ما يدرى أين الله ! قال عامر : أنا لا أدري أين الله ! قال : نعم ، والله ما تدري أين الله ، قال عامر : بلى والله إني لأدري أن الله بالمرصاد لك .

فأرسل عثمان إلى معاوية بن أبي سفيان ، وإلى عبد الله بن سعد بن أبي مسرّح ، وإلى سعيد بن العاص ، وإلى عمرو بن العاص بن وائل السهمي ، وإلى عبد الله بن عامر ، فجمعهم ليشاورهم في أمره وما طُلب إليه ، وما بلغه عنهم ، فلما اجتمعوا عنده قال لهم : إن لكل امرئ وزراء ونصحاء ، ولأنسكم وزرائي ونصحاءي وأهل ثقتي ، وقد صنع الناس ما قد رأيتم ، وطلبوا إلى أن أعزل عمالي ، وأن أرجع عن جميع ما يكرهون إلى ما يحبون ، فاجتهدوا رأيكم ، وأشيروا علي .

فقال له عبد الله بن عامر : رأيي لك يا أمير المؤمنين أن تأمرهم بجهاد يشغلهم عنك . وأن تجمرهم^(١) في المغازي حتى يذللوا لك فلا يكون همّة أحدهم إلا نفسه ، وما هو فيه من دبرة دابته ، وقمل فروه . ثم أقبل عثمان على سعيد بن العاص فقال له : ما رأيك ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، إن كنت ترى رأينا فاحسم عنك الداء ، واقطع عنك الذي تخاف ، واعمل برأيي تصب ، وما هو ؟ قال : إن لكل قوم قادة متى تهلك يتفرقوا ،

(١) يقال : جمر الجيش ؛ إذا حبه في أرض العدو ولم يقفله من الشر .

ولا يجتمع لهم أمر ، فقال عثمان : إن هذا الرأي لولا ما فيه . ثم أقبل معاوية فقال : ما رأيك ؟ قال : أرى لك يا أمير المؤمنين أن ترد عمالك على الكفاية لما قبلكم ، وأنا ضامن لك قبلي .

ثم أقبل على عبد الله بن سعد ، فقال : ما رأيك ؟ قال : أرى يا أمير المؤمنين أن الناس أهل طمع ، فأعطهم من هذا المال تعطف عليك قلوبهم . ثم أقبل على عمرو بن العاص فقال له : ما رأيك ؟ قال : أرى أنك قد ركبت الناس بما يكرهون ؛ فاعتزم أن تعتدل ، فإن أبيت فاعتزم أن تعتزل ، فإن أبيت فاعتزم عزماً ، وامض قُدماً ؛ فقال عثمان : مآلك قَمِيلَ فَرُوك ؟ أهذا الجِدُّ منك ! فأسكت عنه دهرأ ، حتى إذا تفرق القوم قال عمرو : لا والله يا أمير المؤمنين ، لأنت أعزُّ على من ذلك ، ولكن قد علمت أن ميبليغ الناس قول كل رجل منا ، فأردت أن يبلغهم قولي فيشقوا بي ، فأقود إليك خيراً ، أو أدفع عنك شراً . ٢٩٣٣/١

حدثني جعفر ، قال : حدثنا عمرو بن حماد وعلي بن حسين ، قالا : حدثنا حسين ، عن أبيه ، عن عمرو بن أبي المقدام ، عن عبد الملك ابن عُمر الزُّهري ، أنه قال : جمع عثمانُ أمراءَ الأجناد : معاوية بن أبي سفيان ، وسعيد بن العاص ، وعبد الله بن عامر ، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح ، وعمرو بن العاص ، فقال : أشيروا علي ، فإن الناس قد تَمَرَّوا لي ، فقال له معاوية : أشيرُ عليك أن تأمر أمراءَ أجنادِكَ فيكفيكَ كل رجل منهم ما قبلكه ، وأكفيكَ أنا أهل الشام ؛ فقال له عبد الله بن عامر : أرى لك أن تجمرهم في هذه البعوث حتى يهيم كل رجل منهم دَبْرُ دابته ، وتشلهم عن الإرجاف بك ، فقال عبد الله بن سعد : أشير عليك أن تنظر ما أسخطهم فترضيتهم ، ثم تُخرج لهم هذا المال فيقسم بينهم .

ثم قام عمرو بن العاص فقال : يا عثمان ؛ إنك قد ركبت الناس بمثل بني أمية ، فقلت وقالوا ، وزغت وزاغوا ، فاعتدل أو اعتزل ، فإن أبيت فاعتزم عزماً ، وامض قُدماً ؛ فقال له عثمان : مآلك قَمِيلَ فَرُوك ! أهذا الجِدُّ منك ! فأسكت عمرو حتى إذا تفرقوا قال : لا والله يا أمير المؤمنين ، ٢٩٣٤/١

لأنت أكرمُ عليّ من ذلك ، ولكني قد علمتُ أنّ بالباب قوماً قد علموا أنك جمعتنا لنُشير عليك ، فأحببتُ أن يبلغهم قولي ، فأودّ لك خيراً ، أو أدفع عنك شراً . فردّ عثمانُ عمّالَه على أعمالهم ، وأمرهم بالتضييق على من قبلهم ، وأمرهم بتجوير الناس في البُعوث ، وعزم على تحرّيم إعطياتهم ليطيعوه ، ويحتاجوا إليه ، وردّ سعيد بن العاص أميراً على الكوفة ، فخرج أهل الكوفة عليه بالسلاح ، فتلقّوه فردّوه ، وقالوا : لا والله لا يلي علينا حُكماً ما حملنا سيوفنا .

حدثني جعفر ، قال : حدثنا عمرو وعليّ بن حسين ، عن أبيه ، عن هارون بن سعد ، عن أبي يحيى عمير بن سعد النخعيّ ، أنه قال : كأنتي أنظر إلى الأشتر مالك بن الحارث النخعيّ على وجهه الغبار ، وهو متقلد السيف ، وهو يقول : والله لا يدخلها علينا ما حملنا سيوفنا — يعني سعيداً ، وذلك يوم الجِـرَعة ، والجِـرَعة مكانٌ مُشرف قُرب القادسيّة — وهناك تلقاه أهل الكوفة .

حدثني جعفر ، قال : حدثنا عمرو وعليّ ، قالا : حدثنا حسين ، عن أبيه ، عن هارون بن سعد ، عن عمرو بن مرّة الجهميّ ، عن أبي البختريّ الطائيّ ، عن أبي ثور الحداني^(١) — وحدّاء حتى من مُراد — أنه قال : دفعتُ إلى حذيفة بن اليمان وأبي مسعود عُقبَة بن عمرو الأنصاريّ وهما في مسجد الكوفة يوم الجِـرَعة ، حيث صنّع الناسُ بسعيد بن العاص ما صنعوا ، وأبو مسعود يُعظّم ذلك ، ويقول : ما أرى أن تُردّ على عُقبِها حتّى يكون فيها دماء ، فقال حذيفة : والله لتُردّ على عُقبِها ، ولا يكون فيها محجّمة من دم ، وما أعلم منها اليوم شيئاً إلاّ وقد علمته ومحمد صلى الله عليه وسلم حيّ ، وإنّ الرجل ليُصبح على الإسلام ثم يُمسي وما معه منه شيء ، ثم يقاتل أهل القبلة ويقتله الله غداً ، فينكص قلبه ، فتعلوه استه . فقلت لأبي ثور : فلعله قد كان ، قال : لا والله ما كان . فلما رجع

٢٩٣٥/١

(١) ابن الأثير : « الحداني » .

سعيد بن العاص إلى عثمان مطروداً ، أرسل أبا موسى أميراً على الكوفة ، فأقرؤه عليها .

كتب إلى المري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن يحيى بن مسلم ، عن واقد بن عبد الله ، عن عبد الله بن عُمير الأشجعي ، قال : قام في المسجد في الفتنة فقال : أيها الناس ، اسكُتوا ، فإنني سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من خرج وعلى الناس إمام — والله ما قال : عادل — ليشقَّ عصابهم ، ويفرق جماعتهم ، فاقتلوه كائنًا من كان » .

كتب إلى المري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالوا : لما استعوى ^(١) يزيد بن قيس الناس على سعيد بن العاص ، خرج منه ذِكْرٌ لعثمان ، فأقبلَ إليه القَتْعَاقُ بنُ عمرو حتى أخذه ، فقال : ما تُريد ؟ ألك علينا في أن نستعفى سبيل ؟ قال : لا ، فهل إلّا ذلك ؟ قال : لا ، قال : فاستعف . واستجلبَ يزيد أصحابه من حيث كانوا ، فردّوا سعيداً ، وطلبوا أبا موسى ، فكتب إليهم عثمان :

٢٩٣٦/١

بسم الله الرحمن الرحيم . أمّا بعد ، فقد أمرتُ عليكم من اخترتم ، وأعفيتكم من سعيد ، والله لأفرشنكم ^(٢) عرضي ، ولأبذلن لكم صبري ، ولأستصلحنكم بجهدي ، فلا تدعوا شيئاً أحببتموه لأيعصى الله فيه إلّا سألتموه ، ولا شيئاً كرهتموه لأيعصى الله فيه إلّا استعفتم منه ؛ أنزل فيه عند ما أحببتم ، حتى لا يكون لكم على حجة .

وكتب بمثل ذلك في الأمصار ، فقدمت إمارة أبي موسى وغزو حذيفة وتأمّر أبو موسى ، ورجع العمّال إلى أعمالهم ، ومضى حذيفة إلى الباب .

وأما الواقدي فإنه زعم أن عبد الله بن محمد حدثه ، عن أبيه . قال : لما كانت سنة أربع وثلاثين كتب أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعضهم إلى بعض : أن اقدموا ، فإن كنتم تريدون الجهاد فعندنا الجهاد . وكثّر ^(٣) الناس على عثمان ، ونالوا منه أقبح ما نبيل من أحد : وأصحابُ رسول

٢٩٣٧/١

(١) استعواهم : دعاهم إلى الفتنة . (٢) ابن الأثير والنويري : « لأقرضنكم » .

(٣) ابن الأثير والنويري : « وعظم » .

الله صلى الله عليه وسلم يترن ويستمعون ؛ ليس فيهم أحد ينهى ولا يذنب إلا نفير ؛ [منهم] ^(١) زيد بن ثابت ، وأبو أسيد الساعدي ، وكعب بن مالك ، وحسان بن ثابت . فاجتمع الناس ، وكتبوا على بن أبي طالب . فدخل على عثمان ، فقال : الناس ورأى ، وقد كلموني فيك ، والله ما أدري ما أقول لك ، وما أعرف شيئاً تجهله ، ولا أدلك على أمر لا تعرفه ؛ إنك لتعلم ما نعلم ، ما سبقناك إلى شيء فنخبرك عنه ، ولا خلونا بشيء فنبلغك ، وما خصصنا بأمر دونك ^(٢) ، وقد رأيت وسمعت ، وصحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم ونلت صهره . وما ابن أبي قحافة بأولى بعمل الحق منك ، ولا ابن الخطاب بأولى بشيء من الخير منك ، وإنك أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورحمًا ، ولقد نلت من صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم يتال ، ولا سبقناك إلى شيء . قاله الله في نفسك ، فإنك والله ما تبصر من عمي ، ولا تعلم من جهل ، وإن الطريق لواضح بين ، وإن أعلام الدين لقائمة . تعلم يا عثمان أن أفضل عباد الله عند الله إمام عادل ، هدى وهدى ، فأقام سنة معلومة ، وأمات بدعة متروكة ^(٣) ، فوالله إن كلاً لبين ، وإن السنن لقائمة لها أعلام ، وإن البدع لقائمة لها أعلام ، وإن شر الناس عند الله إمام جائر ، ضل وضل به ، فأما سنة معلومة ، وأحيا بدعة متروكة ، وإنني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يؤتى يوم القيامة بالإمام الجائر وليس معه نصير ولا عاخر ^(٤) ، فيلقى في جهنم ، فيدور في جهنم كما تدور الرحا ، ثم يرتطم في غمرة جهنم » . وإنني أحذرك الله ، وأحذرك سطوته ونقماته ^(٥) ؛ فإن عذابه شديد أليم . وأحذرك أن تكون إمام هذه الأمة المقتول ، فإنه يقال : يقتل في هذه الأمة إمام ، فيفتح عليها القتل والقتال إلى يوم القيامة ، وتلبس أمورُها عليها ، ويتركهم شيعاً ، فلا يبصرون الحق لعلو الباطل ؛ يموجون فيها موجاً ، ويمرجون فيها مرجاً .

(٢) ابن كثير : « بأمور عنك » .

(٤) ابن كثير : « حميم »

(١) من ابن الأثير والنويري .

(٣) ابن كثير : « معلومة » .

(٥) ابن كثير : « ونقمته » .

فقال عثمان : قد والله علمت ، ليقولنّ الذي قلت ، أما والله لو كنت
مكاني ما عنتفتك ، ولا أسلمتلك ، ولا عبتُ عليك ، ولا جئتُ منكراً أن
وصلتَ رحماً ، وسدّدتَ خَلْعةً ، وآويتَ ضائعاً ، ولّيتَ شبيهاً بمن كان
عمر يولّي . أنشدك الله يا عليّ ، هل تعلم أن المغيرة بن شعبه ليس هناك !
قال : نعم ؛ قال : فتعلم أن عمر ولاّه ؟ قال : نعم ، قال : فلم تلومني
أن ولّيتُ ابنَ عامر في رَحِمِهِ وقربته ؟ قال عليّ : سأخبرك ، إن عمر
ابن الخطاب كان كلُّ مَنْ ولّي فلاناً يبطأ على صياحه ^(١) ، إن بَلَغَهُ عنه حرفٌ
جلبه ثم بلغ به أقصى الغاية ؛ وأنت لا تفعل ، ضعفتَ ورققتَ ^(٢) على أقربائك .
قال عثمان : هم أقرباؤك أيضاً . فقال عليّ : لعمري إن رَحِمَهُم
منّي لقريبة ، ولكنّ الفضلَ في غيرهم ؛ قال عثمان : هل تعلم أن عمر ولّي
معاويةَ خلافته كلّها ؟ فقد ولّيته . فقال عليّ : أنشدك الله هل تعلم
أن معاوية كان أخوفَ من عمرَ من يَرَفُ غلامَ عمر منه ؟ قال : نعم .
قال عليّ : فإن معاوية يقطع الأمورَ دونك وأنت تعلمها ، فيقول للناس :
هذا أمر عثمان ، فيبلغك ولا تغيّر على معاوية . ثم خرج عليّ من عنده ،
وخرج عثمانُ على أثره ، فجلس على المنبر ، فقال : أمّا بعد ، فإن لكلّ
شيء آفة ، ولكلّ أمر عاهة ، وإن آفة هذه الأمة ، وعاهة هذه النعمة ،
عَيّابون طعّانون ، يرونكم ما تحبون ويُسرون ما تَكْرهون ؛ يقولون
لكم ويقولون ، أمثالُ النعام يتبعون أولَ ناعق ؛ أحبُّ مواردُها إليها البعيد ،
لا يشربون إلّا نَعَصاً ولا يَرِدون إلّا عَكراً ، لا يقوم لهم رائد ، وقد أعيتهم
الأمور ، وتعدّرت عليهم المكاسب . ألا فقد والله عبتم عليّ بما أقررت لابن
الخطاب بمثله ، ولكنّه وطئكم برجله ، وضربكم بيده ، وقمعكم ^(٣) بلسانه ،
فدَنِمَ له على ما أحببتُم أو كرهتم ، ولنت لكم ، وأوطأت لكم كَتفي ، وكففت
يدي ولساني عنكم ، فاجترأتم عليّ . أمّا والله لأنا أعزّ نفراً ، وأقربُ ناصراً

٢٩٣٩/١

٢٩٤٠/١

(١) ابن كثير : « صاخي » . (٢) النويري : « ورققت » .

(٣) ابن الأثير : « وقمعكم » .

وأكثرُ عدداً ، وأقمن إن قلتُ هلمْ أتيتيَ إلى ؛ ولقد أعددتُ لكم أقرانكم ، وأفضلتُ عليكم فضولاً ، وكشّرتُ لكم عن ناني ، وأخرجتُ مني خلُقاً لم أكن أحسنه ، ومنطقاً لم أنطق به ، فكفّوا عليكم السننكم ، وطعننكم وعيكم على ولاتكم ، فإنّي قد كففت عنكم من لو كان هو الذي يكلمكم لرضيتُ منه بدون منطقي هذا . ألا فما تفقدون من حقكم ؟ والله ما قصّرت في بلوغ ما كان يبلغ من كان قبلي ، ومن لم تكونوا تختلفون عليه . فضل فضل من مال ؛ فما لي لا أصنع في الفضل ما أريد ! فلم كنتُ إماماً !

فقام مروان ابن الحَكَم ، فقال : إن شتمتُ حَكَمنا والله بيننا وبينكم السيف ، نحن والله وأنتم كما قال الشاعر :

فَرَشْنَا لَكُمْ أَعْرَاضًا فَتَبَّتْ بِكُمْ مَعَارِسُكُمْ تَبْنُونَ فِي دِمَنِ الثَّرَى

فقال عثمان : اسكت لاسكت ، دعني وأصحابي ، ما منطقتُك في هذا ! ٢٩٤١/١
ألم أتقدم إليك ألا تنطق ! فسكت مروان ، ونزل عثمان .

• • •

وفي هذه السنة مات أبو عبّس بن جبّير بالمدينة ، وهو بدرى . ومات أيضاً مسطح بن أثاثه ، وعافل بن أبي البكير من بني سعد بن ليث ، حليف لبني عدى ، وهما بدريان .

وحجّ بالناس في هذه السنة عثمان بن عفان رضي الله عنه .

ثم دخلت سنة خمس وثلاثين

ذكر ما كان فيها من الأحداث

فما كان فيها من ذلك نزول أهل مصرَ ذا خُشْب ، حدثني بذلك
أحمد بن ثابت ، عن حدثه ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر ،
قال : كان ذو خُشْب سنة خمس وثلاثين ، وكذلك قال الواقدي .

• • •

ذكر مسير من سار إلى ذى خُشْب من أهل

مصرَ وسبب مسير من سار إلى ذى المروة من أهل العراق

فما كتب به إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عطية ، عن
يزيد الفقهى ، قال : كان عبد الله بن سبأ يهودياً من أهل صنعاء ،
أمه سوداء ، فأسلم زمان عثمان ، ثم تنقل في بلدان المسلمين ، يحاول ضلالتهم ،
فبدأ بالحجاز ، ثم البصرة ، ثم الكوفة ، ثم الشام ، فلم يقدر على ما يريد
عند أحد من أهل الشام ، فأخرجوه حتى أتى مصرَ ، فاعتصر فيهم ، فقال
لهم فيما يقول : لعجب^(١) ممن يزعم أن عيسى يرجع ، ويكذب بأن محمداً يرجع ،
وقد قال الله عز وجل : ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾^(٢) .
فمحمد أحق بالرجوع من عيسى . قال : فقبيل ذلك عنه ، ووضع لهم الرجعة ،
فتكلموا فيها . ثم قال لهم بعد ذلك : إنه كان ألف نبي ، ولكل نبي وصي ،
وكان على وصي محمد ؛ ثم قال : محمد خاتم الأنبياء ، وعلى خاتم الأوصياء ،
ثم قال بعد ذلك : من أظلم ممن لم يُجيز وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
ووثب على وصي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتناول أمر الأمة ! ثم قال
لهم بعد ذلك : إن عثمان أخذها بغير حق ، وهذا وصي رسول الله صلى الله

(١) ب : « تعجبت » ، ابن الأثير والنويري : « العجب » . (٢) سورة القصص ٨٥ .

عليه وسلم ، فانهضوا في هذا الأمر فحرّكوه ، وابدءوا بالطعن على أمرائكم ، وأظهروا الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، تستميلوا الناس ، وادعواهم إلى هذا الأمر .

فبثّ دعائه ، وكاتب من كان استفسد في الأمصار وكاتبوه ، ودعوا في السرّ إلى ما عليه رأيهم ، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وجعلوا يكتبون إلى الأمصار بكتب^(١) يضعونها في عيوب ولاتيهم ، ويكتبهم لإخوانهم بمثل ذلك ، ويكتب أهل كل مصر منهم إلى مصر آخر بما يصنعون ؛ فيقرّوه أولئك في أمصارهم وهؤلاء في أمصارهم ، حتى تناولوا بذلك المدينة ، وأوسعوا الأرض لإذاعة ، وهم يريدون غير ما يُظهرون ، ويسرون غير ما يُبدون ، فيقول أهل كل مصر : إنا لنى عافية مما ابتلى به هؤلاء ، إلّا أهل المدينة فإنهم جاءهم ذلك عن جميع الأمصار ، فقالوا : إنا لنى عافية مما فيه الناس ، وجامعه محمد وطلحة من هذا المكان ، قالوا : فاتوا عثمان ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ، أيا تيك عن الناس الذى يأتينا ؟ قال : لا والله ، ما جاءنى إلّا السلامة ، قالوا : فإننا قد أتاننا . وأخبروه بالذى أسقطوا إليهم ؛ قال : فأنتم شركائى وشهود المؤمنين ، فأشيروا على ؛ قالوا : نُشير عليك أن تبعث رجالاتنا ممن تثق بهم إلى الأمصار حتى يرجعوا إليك بأخبارهم . فدعا محمد بن مسلمة فأرسله إلى الكوفة ، وأرسل أسامة بن زيد إلى البصرة ، وأرسل عمار بن ياسر إلى مصر ، وأرسل عبد الله بن عمر إلى الشام ، وفرّق رجالاتهم سواهم ، فرجعوا جميعاً قبل عمار ، فقالوا : أيها الناس ، ما أنكرنا شيئاً ، ولا أنكره أعلام المسلمين ولا عوامهم ؛ وقالوا جميعاً : الأمر أمر المسلمين ، إلّا أن أمراءهم يُقسطون بينهم ، ويقومون^(٢) عليهم . واستبطنوا الناس عمّاراً حتى ظنوا أنه قد اغتيل ، فلم يتّجّسّأهم إلّا كتاب من عبد الله ابن سعد بن أبى سرح يخبرهم أن عمّاراً قد استماله قوم^(٣) بمصر ، وقد انقطعوا إليه ؛ منهم عبد الله بن السوداء ، وخالد بن ملجّم ، وسودان بن حمران ، وكنانة بن بشر .

(١) ف : « كتب » . (٢) ف : « ويقومون » . (٣) ف : « استمال قوماً »

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وعطيّة ، قالوا : كتب عثمانُ إلى أهل الأمصار : أمّا بعد ، فإنّي آخذُ العمال بموافاتي في كلّ موسم ، وقد سلّطت الأمة منذ وليتُ على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فلا يُرفع على شيء ولا على أحد من عمالي إلّا أعطيتُهُ ، وليس لي ولعالي حقّ قبيل الرعيّة إلّا متروك لهم ، وقد رفع إلى أهل المدينة أن أقواماً يُشتمون ، وآخرون يُضربون ، فيامن ضُرب سيراً ، وشتم سراً ، من ادّعى شيئاً من ذلك فليواف الموسم فليأخذ بحقه حيث كان ؛ منّي أو من عمالي ، أو تصدّقوا فإن الله يجزّي المتصدّقين . فلما قرئ في الأمصار أبكى الناس ، ودعوا لعثمان وقالوا : إنّ الأمة لتسمخّضُ بشرّ . وبعث إلى عمال الأمصار ففقدوا عليه ^(١) : عبد الله بن عامر ، ومعاوية ، وعبد الله بن سعد ، وأدخل معهم في المشورة سعيداً وعمراً ، فقال : ويحكم ! ما هذه الشكاية ؟ وما هذه الإذاعة ؟ إني والله لخائف أن تكونوا مصدوقاً عليكم ، وما يُعصّب ^(٢) هذا إلّا بي ؛ فقالوا له : ألم تبعث ! ألم ترجع إليك الخبر عن القوم ^(٣) ! ألم يرجعوا ولم يشافهم أحدٌ بشيء ! لا والله ما صدّقوا ولا برّوا ، ولا نعلم لهذا الأمر أصلاً ، وما كنت لتأخذ به أحداً فيقيمك على شيء ؛ وما هي إلا إذاعة لا يحلّ الأخذُ بها ، ولا الانتهاء إليها .

٢٩٤٥/١

قال : فأشيروا عليّ ؛ فقال سعيد بن العاص : هذا أمر مصنوع يُصنع في السرّ ، فيُلقي به غير ذى المعرفة ، فيُخبر به ، فيُتحدّث به في مجالسهم ، قال : فما دواء ذلك ؟ قال : طلب هؤلاء القوم ، ثم قتل هؤلاء الذين يخرج هذا من عندهم .

وقال عبد الله بن سعد : خذ من الناس الذى الذى عليهم إذا أعطيتهم الذى لهم ؛ فإنه خير من أن تدعهم . قال معاوية : قد وليتني فوليتُ قوماً لا يأتيتك عنهم إلا الخير ، والرّجلان أعلمُ بناحيتهما ؛ قال : فما الرأى ؟ قال : حسنُ الأدب ، قال : فما ترى يا عمرو ؟ قال : أرى أنك قد لنت لهم ، وتراخيت

(١) بعدها في ابن الأثير : « في الموسم » . وفي التويرى : « ليأخذ بحقه » .

(٢) يصعب في ، أى يناط . (٣) ابن الأثير والتويرى : « العوام » .

عنهم ، وزدّتهم على ما كان يصنع عمر ، فأرى أن تلزم طريقة صاحبك ، فتشدّ في موضع الشدة ، وتلين في موضع اللين . إن الشدة تنبغى لمن لا يألو الناس شراً ، واللين لمن يخلف الناس بالنصح ، وقد فرشتهما جميعاً اللين . وقام عثمان فحمد الله وأثنى عليه وقال : كل ما أشرتم به على قد سمعت ، ولكل أمر باب يؤتسى منه ؛ إن هذا الأمر الذي يخاف على هذه الأمة كائن ، وإن بابه الذي يغلق عليه فيكفكف به اللين والمؤاتاة والمتابعة ، إلا في حدود الله تعالى ذكره ، التي لا يستطيع أحد أن يبادى بعبث أحدها ، ٢٩٤٦/١ فإن سده شيء فرفق ، فذاك والله ليقتحن ، وليست لأحد على حجة حق ، وقد علم الله أنني لم آل الناس خيراً ، ولا نفسي . والله إن راحا الفتنة لدائرة ، فطوبى لعثمان إن مات ولم يحرّكها . كفكفوا الناس ، وهبوا لهم حقوقهم ، واغفروا لهم ، وإذا تعوطين حقوق الله فلا تدّهنوا فيها . فلما نفر عثمان أشخاص معاوية وعبد الله بن سعد إلى المدينة ، ورجع ابن عامر وسعيد معه . ولما استقلّ عثمان رجز الحادى :

قد علمت ضوامر المطى وضامرات عوج القسي
أن الأمير بعده على وفي الزبير خلف رضى
• وطلحة الحامى لها ولي •

فقال كعب وهو يسير خلف عثمان : الأمير والله بعده صاحب البغلة — وأشار إلى معاوية .

كتب إلى المرمى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن بلر بن الخليل بن عثمان بن قطبة الأسدي ، عن رجل من بنى أسد ، قال : ما زال معاوية يطمع فيها بعد مقدمه على عثمان حين جمعهم ، فاجتمعوا إليه بالموسم ، ثم ارتحل ، فحدّاه به الرّاجز :

٢٩٤٧/١ إن الأمير بعده على وفي الزبير خلف رضى

قال كعب : كذبت ! صاحب الشهباء بعده — يعنى معاوية — فأخبر معاوية ، فسأله عن الذى بلغه ، قال : نعم ، أنت الأمير بعده ، ولكنها والله لا تصل إليك حتى تكذب بجديتى هذا . فوقع في نفس معاوية . وشاركهم في هذا المكان أبو حارثة وأبو عثمان ، عن رجاء بن حيوة

وغيره . قالوا : فلما وردَ عثمانُ المدينةَ ردَّ الأمراءَ إلى أعمالهم ، ففضوا جميعاً ، وأقام سعيد بعدهم ، فلما ودَّع معاويةَ عثمانَ خرج من عنده وعليه ثياب السفر متقلداً سيفه ، متنكباً قوسه ، فإذا هو بنفر من المهاجرين ، فيهم طلحة والزبير وعليّ ، فقام عليهم ، فتوكتأ على قوسه بعد ما سلّم عليهم ، ثم قال : إنكم قد علمتم أن هذا الأمر كان إذ الناس يتغالّبون إلى رجال ، فلم يكن منكم أحد إلا وفي فصيلته من يرؤسه ، ويستبدّ عليه ، ويقطع الأمرَ دونه ، ولا يشهده ، ولا يؤامره ، حتى بعث الله جلّ وعزّ نبيّه صلى الله عليه وسلم ، وأكرم به من أتبعه ؛ فكانوا يرؤسون من جاء من بعده ، وأمرهم سُورى بينهم ، يتفاضلون بالسابقة والقُدّمة والاجتهاد ؛ فإن أخذوا بذلك وقاموا عليه كان الأمرُ أمرهم ، والناس تبعٌ لهم ، وإن أصغوا إلى الدنيا وطلبوها بالتغالّب سلبوا ذلك ، وردّه الله إلى من كان يرؤسهم . وإلاّ فليستحذروا الغيرَ ، فإنّ الله على البذلّ قادر ، وله المشيئة في ملكه وأمره . لأنّنى قد خلّفت فيكم شيخاً فاستوصوا به خيراً ، وكافّوه تكونوا أسعدَ منه بذلك . ثم ودّعهم ومضى ؛ فقال عليّ : ما كنتُ أرى أن في هذا خيراً ؛ فقال الزبير : لا والله ، ما كان قطّ أعظمَ في صدرك وصدورنا منه الغدّة .

٢٩٤٨/١

حدثني عبد الله بن أحمد بن شبيبويه ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني عبد الله ، عن إسحاق بن يحيى ، عن موسى بن طلحة ، قال : أرسل عثمان إلى طلحة يدعوه ؛ فخرجتُ معه حتى دخل على عثمان ، وإذا على وسعد والزبير وعثمان ومعاوية ، فحمد الله معاويةً وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : أنتم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخيرتُه في الأرض ، وولاية أمر هذه الأمة ، لا يطمع في ذلك أحد غيركم ، اخترتم صاحبكم عن غير غلبة ولا طمع ، وقد كبرت سنّه ، وولّى عمره ، ولو انتظرتُم به الهرم كان قريباً ؛ مع أنى أرجو أن يكون أكرم على الله أن يبلغ به ذلك ، وقد فشّت قاله خفتُها عليكم ، فاعتبم فيه من شيء فهذه يدي لكم به ، ولا تُطمعوا الناس في أمركم ، فوالله لئن طمعوا في ذلك لا رأيتم فيها أبداً إلا إداراً . قال عليّ : ومالكٌ وذلك ! وما أدراك لا أمّ لك ! قال : دع أمتي مكانها ، ليست بشرّ أمتهائكم ، قد أسلمت وبابعت النبيّ صلى الله عليه

وسلم ، وأجبتني فيما أقول لك . فقال عثمان : صدق ابن أخي ، إنني أخبركم عنني وعمّا وليتُ ، إنَّ صاحِبِي اللذين كانا قبلي ظلما أنفسهما ومن كان منهما بسبيل احتساباً ، وإنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعطي قرابته ، وأنا في رهط أهل عَيْلَةٍ ، وقلَّة معاش ، فبسطت يدي في شيء من ذلك المال ، لمكان ما أقوم به فيه ، ورأيت أنَّ ذلك لي ، فإن رأيتُ ذلك خطأ فردّوه ، فأمرى لأمركم تتبّع . قالوا : أصبت وأحسنْتَ ؛ قالوا : أعطيتَ عبد الله بن خالد بن أسيد ومروان - وكانوا يزعمون أنه أعطى مروان خمسة عشر ألفاً ، وابن أسيد خمسين ألفاً - فردّوا منهما ذلك ، فرضوا وقبّلوا ، وخرجوا راضين .

* * *

* رجع الحديث إلى حديث سيف ، عن شيوخي :

وكان معاوية قد قال لعثمان غداة ودّعه وخرج : يا أمير المؤمنين ، انطلق معي إلى الشام قبل أن يهجم عليك من لا قبيل لك به ، فإنَّ أهل الشام على الأمر لم يزالوا . فقال : أنا لا أبيع جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء ؛ وإن كان فيه قِطْع خَيْطٍ عنّي . قال : فأبعثُ إليك جنداً منهم يقيم بين ظَهْراني أهل المدينة لِنائبة إن نابت المدينة أو إياك . قال : أنا أقتَر على جيران رسول الله صلى الله عليه وسلم الأرزاق بجندٍ تساكَنهم ، وأضيّق على أهل دار الهجرة والنصرة ! قال : والله يا أمير المؤمنين ، لتُغتالَن أو لتُغزَيْنَ ؛ قال : حسبي الله ونعم الوكيل . وقال معاوية : يا أيُّسار الجَزُور ، وأين أيُّسار الجَزُور ! ثم خرج حتى وقف على النفر ، ثم مضى . وقد كان أهل مصر كاتبوا أشياء عنهم من أهل الكوفة وأهل البصرة وجميع من أجابهم أن يثوروا خلاف أمرائهم . واتعدوا يوماً حيث شخص أمرائهم ، فلم يستقم ذلك لأحد منهم ، ولم ينهض إلا أهل الكوفة ، فإنَّ يزيد بن قيس الأرجسي ثار فيها ، واجتمع إليه أصحابه ، وعلى الحرب يومئذ القَعَقاع بن عمرو - فأتاه فأحاط النَّاس بهم وناشدوهم ؛ فقال يزيد للقَعَقاع : ما سبيلك عليّ وعلى هؤلاء ! فوالله إنني لسامع مطيع ، وإنني للآزم للجماعتي إلا أنَّني أستعني ومن ترى من إمارة سعيد ، فقال : استعفني الخاصة من أمر قد رضيتُه العامة ؟ قال :

فذلك إلى أمير المؤمنين . فتركهم والاستعفاء ، ولم يستطيعوا أن يظهروا غير ذلك ، فاستقبلوا سعيداً ، فردّوه من الجسرّة ، واجتمع الناس على أبي موسى ، وأقرّه عثمان رضي الله تعالى عنه . ولما رجع الأمراء لم يكن للسبئية سبيل إلى الخروج إلى الأمصار ، وكاتبوا أشياعهم من أهل الأمصار أن يتوافوا بالمدينة لينظروا فيما يريدون ، وأظهروا أنهم يأمرّون بالمعروف ، ويسألون عثمان عن أشياء لتطير في الناس ، ولتُحقّق عليه ؛ فتوافوا بالمدينة ، وأرسل عثمان رجلين : غزوميّاً وزُهريّاً ، فقال : انظروا ما يريدون ، واعلموا علمهم - وكانا ممن قد ناله من عثمان أدب ، فاصطبرا للحق ، ولم يضطغنا - فلما رأوهما باثوهما وأخبروهما بما يريدون ، فقالا : من معكم على هذا من أهل المدينة ؟ قالوا : ثلاثة نفّر ، فقالا : هل إلّا ؟ قالوا لا ! قالوا : فكيف تريدون أن تصنعوا ؟ قالوا : نريد أن نذكر له أشياء قد زرعناها في قلوب الناس ، ثم نرجع إليهم فترجم لهم أنا قرّناها بها ، فلم يخرج منها ولم يتب ، ثم نخرج كأننا حجاج حتى نقدم فنحيط به فنخلعه ، فإنّ أبي قتلناه . وكانت إياها ، فرجعا إلى عثمان بالخبر ، فضحك وقال : اللهم سلّم هؤلاء ، فإنك إن لم تسلّمهم شقوا .

٢٩٥١/١

أمّا عمار فحمل على عباس بن عتبة بن أبي لهب وعسكره . وأمّا محمد ابن أبي بكر فانه أعجيب حتى رأى أنّ الحقّ لا تلزمه ، وأمّا ابن سهلة فإنه يتعرض للبلاء . فأرسل إلى الكوفيين والبصريّين ، وفادى : الصلاة جامعة ! وهم عنده في أصل المنبر ، فأقبل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحاطوا بهم ، فحمد الله وأثنى عليه ، وأخبرهم خبر القوم ، وقام الرجلان ، فقالوا جميعاً : اقتلهم ، فإنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من دعا إلى نفسه أو إلى أحد وعلى الناس إمام فعليه لعنة الله فاقتلوه » . وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : لا أحلّ لكم إلا ما قتلتموه وأنا شريككم . فقال عثمان : بل نغفو ونقبل ونبصرهم بجهننا ، ولا نحادث أحداً حتى يركب حدّاً ، أو يبدى كفرأ . إن هؤلاء ذكروا أموراً قد علموا منها مثل الذي علمتم ، إلّا أنهم زعموا أنهم يذاكرونها ليوجبوها على عند من لا يعلم . وقالوا : أتم الصلاة في السفر ، وكانت لا تتم ، ألا وإنّي قلمت بلداً

٢٩٥٢/١

فيه أهلى ، فأتممت لهذين الأمرين ؛ أو كذلك ؟ قالوا : اللهم نعم .
 وقالوا : وحميت حمى ؛ وإنى والله ما حميت ، حمى قبلى ، والله
 ما حموا شيئاً لأحد ما حموا إلاّ غلب عليه أهل المدينة ، ثم لم يمنعوا من
 رغبة أحد ، واقتصروا لصدقات المسلمين يحمونها لئلا يكون بين من يليها
 وبين أحد تنازع ، ثم ما منعوا ولا نَحَوُا منها أحد إلاّ من ساق درهمًا ؛
 ومالى من بغير غير راحلتين ، ومالى ثاغية ولا راغية ، وإنى قد ولّيت ،
 وإنى أكثر العرب بغيراً وشاء ، فالى اليوم شاة ولا بغير غير بعيرين
 لحجى ، أكذاك ؟ قالوا : اللهم نعم .

وقالوا : كان القرآن كُتِبَ ، فركتّها إلاّ واحداً . ألا وإنّ القرآن
 واحد ، جاء من عند واحد ؛ وإنما أنا فى ذلك تابع لهؤلاء ؛ أكذاك ؟ قالوا :
 نعم ، وسألوه أن يقلبهم ^(١) .

وقالوا : إننى رددتُ الحَكَمَ وقد سيّره رسولُ الله صلى الله عليه وسلم .
 والحَكَمَ مكّى ، سيّره رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى الطائف ،
 ثم رده رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فرسول الله صلى الله عليه وسلم سيّره ،
 ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم رده ؛ أكذاك ؟ قالوا : اللهم نعم .

وقالوا : استعملت الأحداث . ولم أستعمل إلاّ مجتمعاً محتجلاً مرضياً ،
 وهؤلاء أهلُ عملهم ، فسكّوهم عنه ، وهؤلاء أهل بلده ، ولقد ولّيت من قبلى
 أحدث منهم ، وقيل فى ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم أشدّ مما قيل لى فى
 استعماله أسامة ؛ أكذاك ؟ قالوا : اللهم نعم ، يعيبون للناس ما لا يفكرون .

وقالوا : إننى أعطيتُ ابن أبى سرح ما أفاء الله عليه . وإنى إنما نفقسته خمس
 ما أفاء الله عليه من الخمس ، فكان مائة ألف ، وقد أنفذ مثل ذلك أبو بكر
 وعمر رضى الله عنهما ، فزعم الجند أنهم يكرهون ذلك ، فرددته عليهم
 وليس ذاك لهم ، أكذاك ؟ قالوا : نعم .

وقالوا : إنى أحبّ أهل بيتى وأعطيتهم ؛ فأما حبى فإنه لم يملّ معهم على
 جور ، بل أحمل الحقوق عليهم ، وأما إعطاؤهم فإنى ما أعطيتهم من مالى ،
 ولا أستحلّ أموال المسلمين لنفسى ؛ ولا لأحد من الناس ؛ ولقد كنت

أعطى العطيّة الكبيرة الرغيبة من صُلب مالى أزمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر رضى الله عنهما ؛ وأنا يومئذ شحيح حريص ، أفحين أتيت على أسنان أهل بيتى ، وفنى عمرى ، وودعت الذى لى فى أهلى ، قال الملحدون ما قالوا ! وإنى والله ما حملت على مصر من الأمصار فضلاً فيجوز ذلك لمن قاله ؛ ولقد رددته عليهم ، وما قدم على إلا الأخماس ، ولا يحل لى منها شيء ؛ فولى المسلمون وضعها فى أهلها دونى ؛ ولا يتسلف من مال الله بفلس فما فوقه ؛ وما أتبلغ منه ما آكل إلا مالى .

وقالوا : أعطيت الأرض رجالاً ؛ وإن هذه الأرضين شاركهم فيها المهاجرون والأنصار أيام افتتحت ؛ فمن أقام بمكان من هذه الفتوح فهو أسوة أهله ، ومن رجع إلى أهله لم يذهب ذلك ما حوى الله له ؛ فنظرت فى الذى يُصيبهم مما أفاء الله عليهم فبعته لهم بأمرهم من رجال أهل عقار ببلاد العرب فنقلت إليهم نصيبهم ، فهو فى أيديهم دونى .

وكان عثمان قد قسم ماله وأرضه فى بنى أمية ، وجعل ولده كبنص من يعطى ، فبدأ بنى أبى العاص ، فأعطى آل الحكم رجالهم عشرة آلاف ، عشرة آلاف ، فأخذوا مائة ألف ، وأعطى بنى عثمان مثل ذلك ، وقسم فى بنى العاص وفى بنى العيص وفى بنى حرب ، ولانت حاشية عثمان لأولئك الطوائف ، وأبى المسلمون إلا قتلهم ، وأبى إلا تركهم ؛ فذهبوا ورجعوا إلى بلادهم على أن يغزوه مع الحجاج كالحجاج ؛ فتكاثروا وقالوا : موعدكم ضواحي المدينة فى شوال ؛ حتى إذا دخل شوال من سنة اثنتى عشرة ، ضربوا كالحجاج فنزلوا قرب المدينة .

• • •

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وأبى حارثة وأبى عثمان ، قالوا : لما كان فى شوال سنة خمس وثلاثين خرج أهل مصر فى أربع رفاق على أربعة أمراء ؛ المقليل يقول : سائة ، والمكثّر يقول : ألف . على الرفاق عبد الرحمن بن عديس البلوى ، وكنانة بن بشر التّجيبى ، وعروة بن شيم الليثى ، وأبو عمرو بن بديل بن ورقاء الخزاعى وسواد بن رومان الأصبحى ، وزرع بن يشكر اليافعى ، وسودان ابن حمران السّكونى ، وقثيرة بن فلان السّكونى ، وعلى القوم جميعاً

أَلْغَافِي بن حرب الْعَمَكِيُّ، ولم يَجْتَرِئُوا أَنْ يُعْلَمُوا النَّاسَ بِخُرُوجِهِمْ إِلَى الْحَرْبِ، وَإِنَّمَا أَخْرَجُوا كَالْحُجَّاجِ، وَمَعَهُم ابْنُ السَّوْدَاءِ. وَخَرَجَ أَهْلُ الْكُوفَةِ فِي أَرْبَعِ رِفَاقٍ، وَعَلَى الرِّفَاقِ زَيْدُ بْنُ صُوحَانَ الْعَبْدِيُّ، وَالْأَشْثَرُ النَّخَعِيُّ، وَزِيَادُ بْنُ النَّضْرِ الْحَارِثِيُّ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْأَصَمِّ، أَحَدُ بَنِي عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ، وَعَدَدُهُمْ كَعَدَدِ أَهْلِ مِصْرَ، وَعَلَيْهِمْ جَمِيعًا عَمْرُو^(١) بْنُ الْأَصَمِّ. وَخَرَجَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ فِي أَرْبَعِ رِفَاقٍ، وَعَلَى الرِّفَاقِ حُكَيْمُ بْنُ جَبَلَةَ الْعَبْدِيُّ، وَذَرِيحُ بْنُ عَبَّادِ الْعَبْدِيُّ، وَبُشَيْرُ بْنُ شُرَيْحٍ الْحُطَمِيُّ بْنُ ضُبَيْعَةَ الْقَيْسِيِّ، وَابْنُ الْحَرَّاشِ ابْنُ عَبْدِ بْنِ عَمْرُو الْخَنْفِيُّ، وَعَدَدُهُمْ كَعَدَدِ أَهْلِ مِصْرَ، وَأَمِيرُهُمْ جَمِيعًا حُرْقُوصُ بْنُ زُهَيْرِ السَّعْدِيِّ، سَوَى مَنْ تَلَّاحَقَ بِهِمْ مِنَ النَّاسِ. فَأَمَّا أَهْلُ مِصْرَ فَلَهُمْ كَانُوا يُشْتَهَوْنَ عَلِيًّا، وَأَمَّا أَهْلُ الْبَصْرَةِ فَلَهُمْ كَانُوا يُشْتَهَوْنَ طَلْحَةَ، وَأَمَّا أَهْلُ الْكُوفَةِ فَلَهُمْ كَانُوا يُشْتَهَوْنَ الزُّبَيْرَ.

فَخَرَجُوا وَهُمْ عَلَى الْخُرُوجِ جَمِيعٌ. وَفِي النَّاسِ شَتَّى، لَا تَشْكُ^(٢) كُلُّ فِرْقَةٍ إِلَّا أَنْ الْفُلُجَ^(٣) مَعَهَا، وَأَنْ أَمْرَهَا سَيِّئٌ دُونَ الْأَخْرِيَيْنِ^(٤)؛ فَخَرَجُوا حَتَّى إِذَا كَانُوا مِنَ الْمَدِينَةِ عَلَى ثَلَاثِ تَقْدَمَ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ فَتَزَلُّوا ذَا خُشْبٍ، وَنَاسٌ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ فَتَزَلُّوا الْأَعْوَصَ، وَجَاءَهُمْ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ، وَتَرَكُوا^(٥) عَامَتَهُمْ بِذِي الْمَرْوَةِ. وَشَتَّى فِيمَا بَيْنَ أَهْلِ مِصْرَ وَأَهْلِ الْبَصْرَةِ زِيَادُ بْنُ النَّضْرِ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْأَصَمِّ، وَقَالَا: لَا تَعَجَّلُوا وَلَا تَعْجَلُوا حَتَّى نَدْخُلَ لَكُمْ الْمَدِينَةَ وَنَرْتَادَ؛ فَإِنَّهُ بَلَّغْنَا أَنَّهُمْ قَدْ عَسَكُرُوا لَنَا؛ فَوَاللَّهِ إِنْ كَانَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ قَدْ خَافُونَا وَاسْتَحْلَوْا قِتَالَنَا وَلَمْ يَعْلَمُوا عَلِمْنَا فَهَمَّ إِذَا عَلِمُوا عَلِمْنَا أَشَدَّ؛ وَإِنْ أَمَرْنَا هَذَا لِبَاطِلٍ؛ وَإِنْ لَمْ يَسْتَحْلَوْا قِتَالَنَا وَوَجَدْنَا الَّذِي بَلَّغْنَا بِاطِلًا لَتَرْجِعَنَّ إِلَيْكُمْ بِالْخَبَرِ. قَالُوا: اذْهَبَا، فَدَخَلَ الرَّجُلَانِ فَلَقِيَا أَزْوَاجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلِيًّا وَطَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ، وَقَالَا: إِنَّمَا نَأْتِي هَذَا الْبَيْتَ، وَنَسْتَعْفِي هَذَا الْوَالِيَّ مِنْ بَعْضِ

(١) ف: «عمر» . (٢) كذا في ابن كثير، وفي ط: «لا يشك» .

(٣) الفلج: الظفر والفوز . (٤) ب: «الآخرين» .

(٥) التويرى: «وترك» .

عمّالنا ، ما جئنا إلا لذلك ، واستأذناهم للناس بالدخول ، فكلّهم أتى ، ونهى
 وقال : بَيْضُ ما يُفْرَخَنَّ ، فرجعا إليهم فاجتمع من أهل مصر نفرٌ فأتوا علياً
 ومن أهل البصرة نفرٌ فأتوا طلحة ، ومن أهل الكوفة نفرٌ فأتوا الزبير ؛ وقال
 كلٌّ فريق منهم : إن بايعوا صاحبنا وإلا كدناهم وفرقنا جماعتهم ؛ ثم
 كررنا حتى نبغتهم ؛ فأتى المصريون علياً وهو في عسكر عند أحجار الزيت ؛
 عليه حلّة أفواف^(١) معتمٌ بشقيقة حمراء يمانية ، متقلّد السيف ، ليس^(٢)
 عليه قميص ، وقد سرح الحسن^(٣) إلى عثمان فيمن اجتمع إليه . فالحسنُ
 جالس عند عثمان ، وعلىّ عند أحجار الزيت ، فسلم عليه المصريون وعرضوا
 له ؛ فصاح بهم واطّردهم ، وقال : لقد علم الصالحون أن جيش ذى المروة
 وذى خُشب^(٤) ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم ، فارجعوا لا صحبكم^(٥)
 الله ! قالوا : نعم ، فانصرفوا^(٦) من عنده على ذلك .

وأتى البصريون طلحة وهو في جماعة أخرى إلى جنب عليّ ؛ وقد أرسل
 ابنه إلى عثمان ، فسلم البصريون عليه وعرضوا له ، فصاح بهم واطّردهم ،
 وقال : لقد علم المؤمنون أن جيش ذى المروة وذى خُشب^(٧) والأعوص ملعونون
 على لسان محمد صلى الله عليه وسلم .

وأتى الكوفيون الزبير وهو في جماعة أخرى ؛ وقد سرح ابنه عبد الله إلى
 عثمان ، فسلموا عليه وعرضوا له ، فصاح بهم واطّردهم ، وقال : لقد علم
 المسلمون أن جيش ذى المروة وذى خُشب والأعوص ملعونون على لسان محمد
 صلى الله عليه وسلم ، فخرج القوم وأروهم أنهم يرجعون ؛ فانفشتوا عن ذى
 خُشب والأعوص ، حتى انتهوا إلى عساكرهم ؛ وهى ثلاث مراحل ؛ كى
 يفترق أهل المدينة ، ثم يكرّوا راجعين . فافترق أهل المدينة لخروجهم .

فلما بلغ القوم عساكرهم كرّوا بهم ، فبغتهم ، فلم يفجأ أهل المدينة

(١) فى اللسان : « الفوف : ضرب من يرود اليمن . وفى حديث عثمان : خرج وعليه حلّة أفواف ،
 الأفواف : جمع فوف ، وهو القطن ؛ وواحدة الفوف فوفة ، يقال : برد أفواف وحلّة أفواف بالإضافة » .

(٢) ابن كثير : « وليس » . (٣) ابن كثير : « ابنه الحسن » .

(٤) ف : ذى خُشب « وذى المروة » ؛ وأضاف ابن الأثير : « والأعوص » .

(٥) ب : « صحبكم » . (٦) ابن كثير : « وانصرفوا » .

(٧) ب : « وجيش ذى المروة » .

إلا والتكبير في نواحي المدينة ، فنزلوا في مواضع عساكرهم ، وأحاطوا بعمان ، وقالوا : مَنْ كَفَّ يده فهو آمن .

٢٩٥٨/١

وصلى عثمان بالناس أياماً ؛ ولزم الناس بيوتهم ، ولم يمنعوا أحداً من كلام ، فاتاهم الناس فكلموهم ، وفيهم عليّ ، فقال : ماردكم بعد ذهابكم ورجوعكم عن رأيكم ؟ قالوا : أخذنا مع بريد كتاباً بقتلنا ؛ وأتاهم طلحة فقال البصريون مثل ذلك ، وأتاهم الزبير فقال الكوفيون مثل ذلك ، وقال الكوفيون والبصريون : فنحن ننصر إخواننا ونمنعهم جميعاً ؛ كأنما كانوا على ميعاد . فقال لهم عليّ : كيف علمتم يا أهل الكوفة يا أهل البصرة بما لقي أهل مصر ؛ وقد سرتهم مراحل ؛ ثم طويتم نحونا ؟ هذا والله أمرٌ أبرم بالمدينة ! قالوا : فضعوه على ما شئتم ، لا حاجة لنا في هذا الرجل ، ليعزلنا . وهو في ذلك يصلي بهم ، وهم يصلون خلفه ، ويغشى من شاء عثمان وهم في عينه أدق من التراب ؛ وكانوا لا يمنعون أحداً من الكلام ، وكانوا زمراً بالمدينة ، يمنعون الناس من الاجتماع .

٢٩٥٩/١

وكتب عثمان إلى أهل الأمصار يستمدّهم : بسم الله الرحمن الرحيم ؛ أما بعد ؛ فإنّ الله عزّ وجلّ بعث محمداً بالحق بشيراً ونذيراً ، فبلغ عن الله ما أمره به ، ثم مضى وقد قضى الذي عليه ؛ وخلف فينا كتابه ، فيه حلّاله وحرامه ، وبيان الأمور التي قدّر ، فأمضاها على ما أحبّ العباد وكرهوا ، فكان الخليفة أبو بكر رضي الله عنه وعمر رضي الله عنه ، ثم أدخلت في الشورى عن غير علم ولا مسألة عن ملا من الأمة ، ثم أجمع^(١) أهل الشورى عن ملا منهم ومن الناس عليّ ، على غير طلب مني ولا حجة ؛ فعملت فيهم ما يعرفون ولا ينكرون ، تابعاً غير مستتب ، متبعاً غير مبتدع^(٢) ، مقتدياً غير متكلف . فلما انتهت الأمور ، وانتكت الشرُّ بأهله ؛ بدت ضغائن وأهواء على غير إجماع ولا ترة فيما مضى إلا إمضاء الكتاب ؛ فطلبوا أمراً وأعلنوا غيره بغير حجة ولا عذر ، فاعبوا على أشياء مما كانوا يرضون ، وأشياء عن ملا من أهل المدينة لا يصلح غيرها ؛ فصبرت لهم نفسي وكففتها عنهم منذ سنين^(٣)

(١) ف : « اجتمع » . (٢) ف : « متبدع » . (٣) ف : « سنتين » .

وَأَنَا أَرَى وَأَسْمَعُ ؛ فَازْدَادُوا عَلَى اللَّهِ عِزًّا وَجَلَّ جَبْرُوتُهُ ، حَتَّى أَغَارُوا عَلَيْنَا فِي جُودَارِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحَرَمِهِ وَأَرْضِ الْهَجْرَةِ ، وَثَابَتَ إِلَيْهِمُ الْأَعْرَابُ ^(١) ؛ فَهُمْ كَالْأَحْزَابِ أَيَّامَ الْأَحْزَابِ أَوْ مَنْ غَزَانَا بِأَحَدٍ إِلَّا مَا يُظْهِرُونَ ؛ فَنَ قَدَرَ عَلَى اللَّحَاقِ بِنَا فَلْيَلْحَقْ .

فَأَتَى الْكِتَابَ أَهْلَ الْأَمْصَارِ ، فَخَرَجُوا عَلَى الصَّعْبَةِ ^(٢) وَالذَّلُولِ ؛ فَبَعَثَ مَعَاوِيَةَ حَبِيبَ بْنَ مَسْلَمَةَ الْفَهْرِيَّ ، وَبَعَثَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَعْدٍ مَعَاوِيَةَ بْنَ حُذَيْجِ السَّكُونِيَّ ، وَخَرَجَ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ الْقَعْقَاعُ بْنُ عَمْرٍو .

وَكَانَ الْمُحَضِّضِينَ بِالْكُوفَةِ عَلَى إِعَانَةِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ عُقْبَةُ بْنُ عَمْرٍو وَعَبْدُ اللَّهِ ابْنُ أَبِي أَوْفَى وَحَنْظَلَةُ بْنُ الرَّبِيعِ التَّمِيمِيُّ ، فِي أَمْثَالِهِمْ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَكَانَ الْمُحَضِّضِينَ بِالْكُوفَةِ مِنَ التَّابِعِينَ أَصْحَابُ عَبْدِ اللَّهِ مَسْرُوقُ بْنُ الْأَجْدَعِ ، وَالْأَسْوَدُ بْنُ يَزِيدَ ، وَشُرَيْحُ بْنُ الْحَارِثِ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُكَيْمٍ ^(٣) ؛ فِي أَمْثَالِهِمْ ؛ يَسِيرُونَ فِيهَا ، وَيَطُوفُونَ عَلَى مَجَالِسِهَا ؛ يَقُولُونَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ؛ إِنَّ الْكَلَامَ الْيَوْمَ وَلَيْسَ بِهِ غَدًا ، وَإِنَّ النَّظَرَ يَحْسُنُ الْيَوْمَ وَيَقْبَحُ غَدًا ، وَإِنَّ الْقِتَالَ يَجَلُّ الْيَوْمَ وَيَجْرُمُ غَدًا ، انْهَضُوا إِلَى خَلِيفَتِكُمْ ، وَعِصْمَةُ أَمْرِكُمْ . وَقَامَ بِالْبَصْرَةِ عَمْرَانُ بْنُ حَصِينٍ وَأَنْسُ بْنُ مَالِكٍ ، وَهَشَامُ بْنُ عَامِرٍ فِي أَمْثَالِهِمْ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُونَ مِثْلَ ذَلِكَ ، وَمِنَ التَّابِعِينَ كَعْبُ بْنُ سُوْرٍ وَهَرِمُ بْنُ حَيَّاتَانَ الْعَبْدِيُّ ، وَأَشْبَاهُ لُهُمَا يَقُولُونَ ذَلِكَ ! وَقَامَ بِالشَّامِ عِبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ وَأَبُو الدَّرْدَاءِ وَأَبُو أَمَامَةَ فِي أَمْثَالِهِمْ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُونَ مِثْلَ ذَلِكَ ؛ وَمِنَ التَّابِعِينَ شَرِيكُ بْنُ خُبَاشَةَ النَّسَمِيَّ ، وَأَبُو مُسْلِمٍ الْخَوْلَانِيَّ ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ غَسَنَمٍ بِمِثْلِ ذَلِكَ ، وَقَامَ بِمِصْرَ خَارِجَةُ فِي أَشْبَاهِ لَهُ ؛ وَقَدْ كَانَ بَعْضُ الْمُحَضِّضِينَ قَدْ شَهِدَ قُدُومَهُمْ ، فَلَمَّا رَأَوْا حَالَهُمْ انْصَرَفُوا إِلَى أَمْصَارِهِمْ بِذَلِكَ وَقَامُوا فِيهِمْ .

وَلَمَّا جَاءَتِ الْجُمُعَةُ الَّتِي عَلَى أَثَرِ نَزُولِ الْمَصْرِيِّينَ مَسْجِدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ عُمَانُ فَصَلَّى بِالنَّاسِ ثُمَّ قَامَ عَلَى الْمَنْبَرِ فَقَالَ : يَا هَؤُلَاءِ

(٢) ف : ابن الأثير : « الصعب » .

(١) ف : « العرب » .

(٣) ابن الأثير : « حكيم » .

العدى، الله الله ! فوالله ؛ إن أهل المدينة ليعلمون أنكم ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم ؛ فامحوا الخطايا بالصواب ؛ فإن الله عز وجل لا يمحو السيئ إلا بالحسن .

فقام محمد بن مسلمة ، فقال : أنا أشهد بذلك ، فأخذه حُكَيْم بن جبلة فأقعدته ، فقام زيد بن ثابت فقال : ابغني ^(١) الكتاب ، فثار إليه من ناحية أخرى محمد بن أبي قُتَيْبَةَ فأقعدته ؛ وقال فأفطع ؛ وثار القوم بأجمعهم ، فحصبوا الناس حتى أخرجوهم من المسجد ، وحصبوا عثمان حتى صُرع عن المنبر مغشياً عليه ، فاحتسمل فأدخل داره ، وكان المصريون لا يطمعون في أحد من أهل المدينة أن يساعدهم إلا في ثلاثة نفر ؛ فإنهم كانوا يرأسونهم : محمد بن أبي بكر ، ومحمد بن أبي حذيفة ، وعمار بن ياسر ؛ وشمر أناس من الناس فاستقتلوا ؛ منهم سعد بن مالك ، وأبو هريرة ، وزيد بن ثابت ، والحسن بن علي ؛ فبعث إليهم عثمان بعزمه لما انصرفوا فانصرفوا ، وأقبل على عليه السلام حتى دخل على عثمان ، وأقبل طلحة حتى دخل عليه ، وأقبل الزبير حتى دخل عليه ؛ يعودونه من صرخته ؛ ويشكون بثهم ، ثم رجعوا إلى منازلهم .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي عمرو ، عن الحسن ، قال : قلت له : ^(٢) «هل شهدت حصر عثمان ؟» قال : نعم ؛ وأنا يومئذ غلام في أتراب لي في المسجد ، فإذا كثر اللفظ جثوت على ركبتي أوقمت ؛ فأقبل القوم حين أقبلوا حتى نزلوا المسجد وما حوله ؛ فاجتمع إليهم أناس من أهل المدينة ، يُعَظِّمون ما صنعوا . وأقبلوا على أهل المدينة يتوَعَّلونهم ؛ فبينما هم كذلك في لَغْطهم حَوْلَ الباب ، فطلع عثمان ؛ فكأنما كانت نارٌ طَفِئَتْ ، فعمد إلى المنبر فصعد فحمد الله وأثنى عليه ، فثار رجل ، فأقعدته رجل ، وقام آخر فأقعدته آخر ، ثم ثار القوم فحصبوا عثمان حتى صُرع ، فاحتسمل فأدخل ، فصلى بهم عشرين يوماً ، ثم منعه من الصلاة .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة

(١) ابغني ، أى أحضر لي .

(٢-٢) ف : «هل شهدت عثمان محصوراً» .

وأبى حارثة وأبى عثمان، قالوا : صَلَّى عثمان بالناس بعد ما نزلوا به في المسجد ثلاثين يوماً ، ثم إنهم منعوه الصلاة ، فصلَّى بالناس أميرهم الغافقي ، دان له المصريون والكوفيون والبصريون ، وتفرق أهل المدينة في حيطانهم ، ولزموا بيوتهم ، لا يخرج أحدٌ ولا يجلس إلاّ وعليه سيفه يمتنع به من رَهق القوم^(١) وكان الحصار أربعين يوماً ، وفيهنّ كان القتل ، ومن تعرّض لهم وضعوا فيه السلاح ، وكانوا قبل ذلك ثلاثين يوماً يكفّون .

• • •

وأما غيرُ سيف فإنّ منهم من قال : كانت مناظرة القوم عثمان وسبب حصارهم^(٢) إيّاه ما حدّثني به يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدّثنا معتمر بن سليمان التيمي ، قال : حدّثنا أبي ، قال : حدّثنا أبو نَضْرَةَ ، عن أبي سعيد مولى أبي أسيد الأنصاري . قال : سمع عثمان أنّ وفد أهل مصر قد أقبلوا ، قال : فاستقبلهم ، وكان في قرية له خارجة من المدينة — أو كما قال — فلمّا سمعوا به ، أقبلوا نحوه إلى المكان الذي هو فيه — قال : وكره أن يقدموا عليه المذبذبة أو نحوه من ذلك — قال : فأتوه ، فقالوا له : ادعْ بالمصحف ، قال : فدعا بالمصحف ، قال : فقالوا له : افتح التاسعة — قال : وكانوا يسمون سورة يونس التاسعة — قال : فقرأها حتى أتى على هذه الآية : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ اللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾^(٣) . قال : قالوا له : قف ، فقالوا له : أرايت ما حَمَيْتَ من الحمى ؟ آلله أذن لك أم على الله تفتري ! قال : فقال : امضيه ؛ نزلت في كذا وكذا . قال : وأما الحمى فإنّ عمر حمى الحمى قبل لإبل الصدقة ، فلما وليت زادت لإبل الصدقة فزدت في الحمى لما زاد في لإبل الصدقة ، امضيه . قال : فجعلوا يأخذونه بالآية ، فيقول : امضيه ، نزلت في كذا وكذا — قال : والذي يتولى كلام عثمان يومئذ في سنك ، قال : يقول أبو نضرة ، يقول ذاك^(٤) لي أبو سعيد ، قال أبو نضرة : وأنا في سنك

٢٩٦٣/١

٢٩٦٤/١

(٢) ف : « حصار القوم » .

(١) ف : « الفتنة » .

(٤) ف : « ذلك » .

(٣) سورة يونس ٥٩

يومئذ ، قال : ولم يخرج وجهي يومئذ ، لا أدري ، ولعله قد قال مرة أخرى : وأنا يومئذ ابن ثلاثين سنة — ثم أخذوه بأشياء لم يكن عنده منها مخرج . قال : فعرفها ، فقال : أستغفر الله وأتوب إليه . قال : فقال لهم : ما تريدون ؟ قال : فأخذوا ميثاقه — قال : وأحسبه قال : وكتبوا عليه شرطاً — قال : وأخذوا عليهم ألا يشقوا عصاً ، ولا يفارقوا جماعة ما قام لهم بشرطهم — أو كما أخذوا عليه — قال : فقال لهم : ما تريدون ؟ قالوا : نريد ألا يأخذ أهل المدينة ^(١) عطاء ، فإنما هذا المال لمن قاتل عليه ولطؤلاء الشيوخ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : فرضوا بذلك ، وأقبلوا معه إلى المدينة راضين .

قال : فقام فخطب ، فقال : إنني ما رأيت ^(٢) والله وفداً في الأرض هم خير لحوبائسي من هذا الوفد الذين قدموا عليّ . وقد قال مرة أخرى : خشيت من هذا الوفد من أهل مصر ، ألا من كان له زرع فليلحق بزعره ، ومن كان له ضرع فليحتلب ؛ ألا إنه لا مال لكم عندنا ، إنما هذا المال لمن قاتل عليه ولطؤلاء الشيوخ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : فغضب الناس ، وقالوا : هذا مكر بني أمية .

قال : ثم رجع الوفد المصريون راضين ؛ فبينما هم في الطريق إذا هم براكب يتعرض لهم ثم يفارقهم ثم يرجع إليهم ، ثم يفارقهم ويتبينهم . قال : قالوا له : مالك ؟ إن لك لأمرأ ! ما شأنك ؟ قال : فقال : أنا رسول أمير المؤمنين ٢٩٦٥/١ إلى عامله بمصر ؛ ففتشوه ؛ فإذا هم بالكتاب على لسان عثمان ، عليه خاتمه إلى عامله بمصر أن يصلبهم أو يقتلهم أو يقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف . قال : فأقبلوا حتى قدموا المدينة ، قال : فأتوا علياً ، فقالوا : ألم تر إلى عدو الله ! إنه كتب فينا بكذا وكذا ؛ وإن الله قد أحلّ دمه ، قم معنا إليه ، قال : والله لا أقوم معكم ؛ إلى أن قالوا : فلم كتبت إلينا ؟ فقال : والله ما كتبت إليكم كتاباً قط ؛ قال : فنظر بعضهم إلى بعض ، ثم قال بعضهم لبعض : ألهذا تقاتلون ، أو لهذا تغضبون !

قال : فانطلق عليّ ، فخرج من المدينة إلى قرية . قال : فانطلقوا حتى

دخلوا على عثمان ، فقالوا : كتبنا فينا بكذا وكذا ! قال : فقال : إنما هما
اثنان : أن تقيموا على رجلين من المسلمين ، أو يميني بالله الذي لا إله إلا
هو ما كتبْتُ ولا أملتُ ولا علمت . قال : وقد تعلمون أن الكتاب
يكتب على لسان الرجل ، وقد ينقش الخاتم على الخاتم . قال : فقالوا : فقد
والله أحل الله دَمَك ، ونقضت العهد والميثاق . قال : فحاصروه .

• • •

وأما الواقدي فإنه ذكر في سبب مسير المصريين إلى عثمان ونزولهم
ذا خُشْبُ أموراً كثيرة ، منها ما قد تقدّم ذكره ؛ ومنها ما أعرضت عن
ذكره كراهة مني لبشاعته^(١) . ومنها ما ذكر أن عبد الله بن جعفر حدثه
عن أبي عون مولى المسور ، قال : كان عمرو بن العاص على مصر عاملاً
لعثمان ؛ فعزله عن الخراج ، واستعمله على الصلاة ، واستعمل عبد الله بن
سعد على الخراج ؛ ثم جمعهما لعبد الله بن سعد ، فلما قدم عمرو بن العاص
المدينة جعل يطلع على عثمان ، فأرسل إليه يوماً عثمان خالياً به ، فقال : يا بن
النابعة ، ما أسرع ما قميل جربُنا جُبَّتكَ ! إنما عهدك بالعمل عاماً أول .
أتظن على وتأتيني بوجه وتذهب عني بآخر ! والله لولا أُنْكَلَةٌ ما فعلت
ذلك . قال : فقال عمرو : إن كثيراً مما يقول الناس وينقلون إلى ولائهم
باطل ؛ فاتق الله يا أمير المؤمنين في رعينك ! فقال عثمان : والله لقد استعملتك
على ظمعيك ، وكثرة القالة فيك . فقال عمرو : قد كنتُ عاملاً لعمر بن
الخطاب ، ففارقني وهو عني راض . قال : فقال عثمان : وأنا والله لو آخذتك
بما آخذك به عمر لاستممت ؛ ولكني لنت عليك فاجترأت على ، أما والله لآنا
أعزُّ منك نقرأ في الجاهلية ؛ وقبل أن ألي هذا السلطان . فقال عمرو : دع
عنك هذا ، فالحمد لله الذي أكرمنا بمحمد صلى الله عليه وسلم وهدانا به ؛ قد
رأيت العاصي بن وائل ورأيت أباك عفان ، فوالله للعاص كان أشرف من
أبيك . قال : فانكسر عثمان ، وقال : ما لنا ولذكر الجاهلية !

قال : وخرج عمرو ودخل مروان ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ وقد بلغت
مبلغاً يذكر عمرو بن العاص أباك ! فقال عثمان : دَعْ هذا عنك ، من ذكر
آباء الرجال ذكروا آباءه .

قال : فخرج عمرو من عند عثمان وهو محتد عليه ، يأتي علياً مرة فيؤلبه على عثمان ، ويأتي الزبير مرة فيؤلبه على عثمان ، ويأتي طلحة مرة فيؤلبه على عثمان ، ويعترض الحاج فيخبرهم بما أحدث عثمان ، فلما كان حصّر عثمان الأول ؛ خرج من المدينة ، حتى انتهى إلى أرض له بفلسطين يقال لها السبع ؛ فنزل في قصر له يقال له العجلان ؛ وهو يقول : العجب ما يأتينا عن ابن عفان ! قال : فبينما هو جالس في قصره ذلك ، ومعه ابناه محمد وعبد الله ؛ وسلامة ابن رَوْح الجنداعي ، إذ مرّ بهم راكب ، فناداه عمرو : من أين قدم الرجل ؟ فقال : من المدينة ، قال : ما فعل الرجل ؟ يعني عثمان ، قال : تركته محصوراً شديد الحصار . قال عمرو : أنا أبو عبد الله ؛ قد يضطر العير والمكواة في النار^(١) . فلم يبرح مجلسه ذلك حتى مرّ به راكب آخر ، فناداه عمرو : ما فعل الرجل ؟ يعني عثمان ، قال : قتل ، قال : أنا أبو عبد الله ؛ إذا حككت قرحة نكأتها ، إن كنت لأحرض عليه ؛ حتى إنى لأحرض عليه الراعي في غنمه في رأس الجبل . فقال له سلامة بن روح : يا معشر قريش ؛ إنه كان بينكم وبين العرب باب وثيق فكسروهم ، فما حملكم على ذلك ؟ فقال : أردنا أن نخرج الحق من حافة الباطل ، وأن يكون الناس في الحق شرعاً سواء . وكانت عند عمرو أخت عثمان لأمه أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ، فقارحها حين عزله .

قال محمد بن عمر : وحدثني عبد الله بن محمد ، عن أبيه ، قال : كان محمد بن أبي بكر ومحمد بن أبي حذيفة بمصر يحرضان على عثمان ، فقدم محمد بن أبي بكر وأقام محمد بن أبي حذيفة بمصر ؛ فلما خرج المصريون خرج عبد الرحمن بن عديس البلوي في خمسمائة ، وأظهروا أنهم يريدون العمرة ، وخرجوا في رجب ، وبعث عبد الله بن سعد رسولاً صار إحدى عشرة ليلة يخبر عثمان أن ابن عديس وأصحابه قد وجّهوا نحوه ، وأن محمد بن أبي حذيفة شيعتهم إلى عجرود ، ثم رجع وأظهر محمد أن قال : خرج القوم عماراً ، وقال في السر : خرج القوم إلى إمامهم فإن نزع وإلا قتلوه ؛ وصار

(١) مثل يضرب للرجل يخاف الأمر فيجزع قبل وقوعه فيه . مجمع الأمثال ٢ : ٩٥

القوم المنازل لم يعدوها حتى نزلوا ذا خُشْب . وقال عثمان قبل قدومهم حين جاءه رسول عبد الله بن سعد: هؤلاء قوم من أهل مصر يريدون - بزعمهم - العُمرة ، والله ما أراهم يريدونها ؛ ولكن الناس قد دُخل بهم ؛ وأسرعوا إلى الفتنة ، وطال عليهم عمرى ؛ أما والله لئن فارقتهم ليتمنون أن عمرى كان طال عليهم مكان كل يوم بسنة مما يرون^(١) من الدماء المسفوكة ، والإحسَن والأثَرَة الظاهرة ، والأحكام المغيَّرة .

٢٩٦٩/١

قال: فلما نزلَ القوم ذا خُشْب جاء الخبر أن القوم يريدون قتل عثمان إن لم يتزع ، وأتى رسولهم إلى على ليلاً ، وإلى طلحة ، وإلى عمار بن ياسر . وكتب محمد بن أبي حذيفة معهم إلى على كتاباً ، فجاءوا بالكتاب إلى على ، فلم يَظْهَرْ على مافيه ، فلما رأى عثمان ما رأى جاء عليّاً فدخل عليه بيته ، فقال : يا بن عم ، إنه ليس لى متَّرك ؛ وإن قرابتي قريبة ؛ ولى حقٌ عظيم عليك ، وقد جاء ما ترى من هؤلاء القوم ، وهم مصبَّحى ؛ وأنا أعلم أن لك عند الناس قدراً ، وأنهم يسمعون منك ، فأنا أحب أن تترك إليهم فردَّهم عني ، فإني لا أحب أن يدخلوا على ؛ فإن ذلك جرأة منهم على ، وليسمع بذلك غيرهم . فقال على : علام أردتهم ؟ قال: على أن أصير إلى ما أشرت به على ورأيت لى ؛ ولست أخرج من يديك ؛ فقال على : إني قد كنت كلمتك مرَّة بعد مرَّة ، فكل ذلك نخرج فتُكلِّم ، ونقول ونقول ؛ وذلك كله فعل مروان بن الحكم وسعيد بن العاص وابن عامر ومعاوية ؛ أطعتهم وعصيتنى . قال عثمان : فإني أعصيههم وأطيعك

قال : فأمر^(٢) الناس ، فركبوا معه : المهاجرون والأنصار . قال: وأرسل عثمان إلى عمار بن ياسر ، يُكلِّمه أن يركب مع على فأبى ، فأرسل عثمان إلى سعد بن أبي وقاص ، فكلِّمه^(٣) أن يأتى عماراً فيكلِّمه أن يركب مع على ؛ قال : فخرج سعد حتى دخل على عمار ، فقال : يا أبا اليقظان ، ألا تخرج فيمن يخرج ! وهذا^(٤) على يخرج فإخرج معه ، واردد هؤلاء القوم عن إمامك ، فإني

٢٩٧٠/١

(٢) ب : « وأمر » .

(١) ف : « فايريدون » .

(٤) ف : « فهذا » .

(٣) ف : « يكلِّمه » .

لأحسب أنك لم تركب مركباً هو خير لك منه .

قال : وأوصل عثمان إلى كثير بن الصلت الكندي - وكان من أعوان عثمان - فقال : انطلق في إثر سعد فاسمع ما يقول سعد لعمار ، وما يردّ عمار على سعد ، ثم اثنى سريعاً .

قال : فخرج كثير حتى يجد سعداً عند عمار مخلياً به ، فألقم عينه جحر الباب ، فقام إليه عمار ولا يعرفه ، وفي يده قضيب ، فأدخل القضيب الجحر الذي ألقمه كثير عينه ، فأخرج كثير عينه من الجحر ، وولّى مدبراً متقنعاً . فخرج عمار فعرف أثره ، ونادى : يا قليل ابن أمّ قليل ! أعلى تطالع وتستمع حديثي ! والله لو دريت أنك هولفقات عينك بالقضيب ؛ فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أحلّ ذلك . ثم رجع عمار إلى سعد ، فكلمه سعد وجعل يفتله بكل وجه ؛ فكان آخر ذلك أن قال عمار : والله لا أردّهم عنه أبداً . فرجع سعد إلى عثمان ، فأخبره بقول عمار ، فاتهم عثمان سعداً أن يكون لم ينصحهم ، فأقسم له سعد بالله ؛ لقد حرّض . فقبل منه عثمان . قال : وركب على عليه السلام إلى أهل مصر ، فردّهم عنه ، فانصرفوا راجعين .

قال محمد بن عمر : حدثني محمد بن صالح ، عن عاصم بن عمر ، عن محمود بن لبيد ، قال : لما نزأوا ذا خُشب ، كلم عثمان عليّاً وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يردّوهم عنه ، فركب على وركب معه نفر من المهاجرين ، فيهم سعيد بن زيد ، وأبو جهنم العدوي ، وجبير بن مطعم ، وحكيم بن حزام ، ومروان بن الحَكَم ، وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن عتّاب بن أسيد ؛ وخرج من الأنصار أبو أسيد الساعدي وأبو حميد الساعدي ، وزيد بن ثابت ، وحسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، ومعهم من العرب نيار بن ميكرم وغيرهم ثلاثون رجلاً ؛ وكلّتهم على محمد بن مسلمة - وهما اللذان قدما - فسمعوا مقاتلتهما ، ورجعوا . قال محمود : فأخبرني محمد بن مسلمة ، قال : ما برحنا من ذي خُشب حتى رحلوا راجعين إلى مصر ، وجعلوا يسلّمون علىّ ، فما أنسى قول عبد الرحمن بن عديس : أتوصينا يا أبا عبد الرحمن بحاجة ؟ قال : قلت : تتقى الله وحده لا شريك له ،

وَتَرَدَّ مَنْ قَبِلَكَ عَنْ إِمَامِهِ ، فَإِنَّهُ قَدْ وَعَدْنَا أَنْ يَرْجِعَ وَيَتَزَعَ . قَالَ ابْنُ عُدَيْسٍ : أَفْعَلُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . قَالَ : فَرَجَعَ الْقَوْمُ إِلَى الْمَدِينَةِ .

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو : فَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : لَمَّا رَجَعَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَخْبَرَهُ أَنَّهُمْ قَدْ رَجَعُوا ، وَكَلَّمَهُ عَلِيٌّ كَلَامًا فِي نَفْسِهِ ، قَالَ لَهُ : أَعْلِمُ أَنِّي قَاتِلُ فَيْكِ أَكْثَرَ مِمَّا قُلْتَ . قَالَ : ثُمَّ خَرَجَ إِلَى بَيْتِهِ ، قَالَ : فَكَثَّ عُثْمَانُ ذَلِكَ الْيَوْمَ ؛ حَتَّى إِذَا كَانَ الْغَدُ جَاءَهُ مَرْوَانُ ، فَقَالَ لَهُ : تَكَلَّمْ وَأَعْلِمِ النَّاسَ أَنَّ أَهْلَ مِصْرَ قَدْ رَجَعُوا ، وَأَنَّ مَا بَلَغَهُمْ عَنْ إِمَامِهِمْ كَانَ بَاطِلًا ، فَإِنَّ خُطْبَتَكَ تَسِيرُ فِي الْبِلَادِ قَبْلَ أَنْ يَتَحَلَّبَ النَّاسُ عَلَيْكَ ^(١) مِنْ أُمُصَارِهِمْ ؛ فَيَأْتِيكَ مَنْ لَا تَسْتَطِيعُ دَفْعَهُ . قَالَ : فَأَبَى عُثْمَانُ أَنْ يَخْرُجَ . قَالَ : فَلَمْ يَزَلْ بِهِ مَرْوَانُ حَتَّى خَرَجَ فَجَلَسَ عَلَى الْمُنْبَرِ ، فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ كَانَ بَلَغَهُمْ عَنْ إِمَامِهِمْ أَمْرٌ ؛ فَلَمَّا تَيَقَّنُوا أَنَّهُ بَاطِلٌ مَا بَلَغَهُمْ عَنْهُ رَجَعُوا إِلَى بِلَادِهِمْ . قَالَ : فَتَنَادَاهُ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ مِنْ نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ : اتَّقِ اللَّهَ يَا عُثْمَانُ ؛ فَإِنَّكَ قَدْ رَكَبْتَ نَهَابِيرَ ^(٢) وَرَكَبْنَاهَا مَعَكَ ؛ فَتَبَّ إِلَى اللَّهِ نَتَبُّ . قَالَ : فَتَنَادَاهُ عُثْمَانُ ؛ وَإِنَّكَ هُنَاكَ يَا بَنَ النَّابِغَةِ ! قَمِلَتْ وَاللَّهِ جُبَّتْكَ مِنْذُ تَرَكْتُكَ مِنَ الْعَمَلِ . قَالَ : فَتَوَدَّى مِنْ نَاحِيَةِ أُخْرَى : تَبَّ إِلَى اللَّهِ وَأُظْهِرَ التَّوْبَةَ يَكْفِ النَّاسَ عَنْكَ . قَالَ : فَرَفَعَ عُثْمَانُ يَدَيْهِ مَدًّا وَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَوَّلُ تَائِبٍ تَابَ إِلَيْكَ . وَرَجَعَ إِلَى مَنْزِلِهِ ، وَخَرَجَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ حَتَّى نَزَلَ مَنْزِلَهُ بِفِلَسْطِينَ ، فَكَانَ يَقُولُ : وَاللَّهِ إِنْ كُنْتُ لَأَلْقَى الرَّاعِيَّ فَأُحَرِّضَهُ عَلَيْهِ .

٢٩٧٢/١

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو : فَحَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ عَمْرٍو ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : ثُمَّ إِنْ عَلِيًّا جَاءَهُ عُثْمَانُ بَعْدَ انْصِرَافِ الْمَصْرِيِّينَ ، فَقَالَ لَهُ : تَكَلَّمْ كَلَامًا يَسْمَعُهُ النَّاسُ مِنْكَ وَيَشْهَدُونَ عَلَيْهِ ^(٣) ، وَيَشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِكَ مِنَ التَّزْوَعِ وَالْإِنَابَةِ ؛

٢٩٧٣/١

(١) ف : « عَنْكَ » . (٢) النَّهَابِيرُ : الْمَهَالِكُ .

(٣) ابْنُ كَثِيرٍ وَابْنُ الْأَثِيرِ وَالتَّوِيرِيُّ : « عَلَيْكَ » .

فإن البلاد قد تمخضت عليك ؛ فلا آمنُ ركباً آخرين يقدمون من الكوفة ،
فتقول : يا على ، اركب إليهم ؛ ولا أقدر أن أركب إليهم ؛ ولا أسمع عذراً .
ويقدم ركب آخرون من البصرة ، فتقول : يا على اركب إليهم ؛ فإن
لم أفعل رأيتني قد قطعت رحيمك ، واستخففتُ بحقك .

قال : فخرج عثمان فخطب الخطبة التي نزع فيها ، وأعطى الناس من
نفسه التوبة ، فقام فحمد الله ، وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : أما بعد أيها
الناس ؛ فوالله ما عابَ مَنْ عابَ منكم شيئاً أجهله ، وما جثت شيئاً إلا وأنا
أعرفه ؛ ولكنني مسنتني نفسي وكذبتني ، وضلّ عني رشدي ؛ ولقد سمعتُ
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « مَنْ زلّ فليتب ، ومن أخطأ فليتب ؛
ولا يتماد في الهلكة ؛ إن مَنْ تهادى في الجور كان أبعد من الطريق » ، فأنا
أول من اتعظ ؛ أستغفر الله مما فعلت وأتوب إليه ، فثلى نزع وتاب ؛
فإذا نزلت فليأثني أشرافكم فليروني رأيهم ؛ فوالله لئن ردّني الحق عبداً لأستنّ
بسنة العبد ، ولأذلّن ذلّ العبد ، ولأكوننّ كالمرقوق ؛ إن مُلك صبر ،
وإن عتق شكر ؛ وما عن الله مذهب إلا إليه ، فلا يعجزنّ عنكم خياركم
أن يدنوا إلى ، لئن أبت يميني لتتابعنّ^(١) شمالي .

٢٩٧٤/١

قال : فرق الناس له يومئذ ، وبكى مَنْ بكى منهم ، وقام إليه سعيد
ابن زيد ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ليس بواصل لك مَنْ ليس معك ؛ الله الله
في نفسك ! فأتمم علي ما قلت . فلما نزل عثمان وجد في منزله مروان وسعيداً ونفراً
من بني أمية ؛ ولم يكونوا شهدوا الخطبة ؛ فلما جلس قال مروان : يا أمير المؤمنين ،
أتكلّم أم أصمت ؟ فقالت نائلة ابنة الفرافصة ، امرأة عثمان الكلبيّة :
لا بل اصمت ، فإنهم والله قاتلوه ومؤثّموه ؛ إنه قد قال مقالة لا ينبغي له أن
ينزع عنها . فأقبل عليها مروان ، فقال : ما أنت وذاك ! فوالله لقد مات أبوك
وما يُحسن يتوضأ ، فقالت له : مهلاً يا مروان عن ذكر الآباء ، تُخبر عن
أبي وهو غائب تكذب عليه ! وإن أباك لا يستطيع أن يدفع عنه ؛ أما والله
لولا أنه غمّه ، وأنه يناله غمّه ، أخبرتك عنه ما لن أكذب عليه .

(١) ن : « لتتابعني » .

قال : فأعرض عنها مروان ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ، أتكلّم أم أصمت ؟ قال : بل تكلّم ، فقال مروان : بأبي أنت وأمي ! والله لوددت أن مقاتلك هذه كانت وأنت ممتنع منيع فكنت أول من رضى بها ، وأعان عليها ؛ ولكنك قلت ما قلت حين بلغ الحزام الطَّبِيبَيْن ، وخلف السَّيْلُ الزُّبْي ، وحين أعطى الخطة الذليلة الدليل ؛ والله لإقامة على خطيئة تستغفر الله منها أجمل من توبة تُخَوِّفُ عليها ؛ وإنك إن شئت تقرّبت بالتوبة ولم تقرر بالخطيئة ؛ وقد اجتمع إليك على الباب مثل الحبال من الناس . فقال عثمان : فاخرج إليهم فكلّمهم ، فإنني أستحي أن أكلمهم . قال : فخرج مروان إلى الباب والناس يركب بعضهم بعضاً ، فقال : ما شأنكم قد اجتمعتم كأنكم قد جئتم لنهب ! شأته الوجوه ! كل إنسان آخذ بأذن صاحبه . ألا من أريد أن جئتم تريدون أن تنزعوا ملكنا من أيدينا ! اخرجوا عنا ، أما والله لئن رمتونا ليمرن عليكم منّا أمر^(١) لا يسركم ؛ ولا تحمدوا غيب رأيكم . ارجعوا إلى منازلكم ؛ فإننا والله ما نحن مغلوبين على ما في أيدينا .

٢٩٧٥/١

قال : فرجع الناس وخرج بعضهم حتى أتى عليّاً فأخبره الخبر ، فجاء عليّ عليه السلام مغضباً ، حتى دخل على عثمان ، فقال : أما رضيت من مروان ولا رضى منك إلا بتحرفك عن دينك وعن عقاك ، مثل جمل الظئنة يقاد حيث يسار به ؛ والله ما مروان بذى رأى في دينه ولا نفسه ؛ وإيم الله إني لأراه سيورِدك ثم لا يصدرك ؛ وما أنا بعائد بعد مقامى هذا لمعايتك ، أذهبت شرفك ، وغلبت على أمرك . فلما خرج عليّ دخلت عليه نائلة ابنة الفرافصة امرأته ، فقالت : أتكلّم أو أسكت ؟ فقال : تكلمى ؛ فقالت : قد سمعت قول عليّ لك ؛ وإنه ليس يعاودك ، وقد أطعت مروان يقودك حيث شاء . قال : فما أصنع ؟ قالت : تتقى الله وحده لا شريك له ، وتتبع سنة صاحبك من قبلك ، فإنك متى أطعت مروان قتلك ؛ ومروان ليس له عند الناس قدر ولا هيبة ولا محبة ؛ وإنما تركتك الناس لمكان مروان ؛ فأرسل إلى عليّ فاستصلحه ،

٢٩٧٦/١

فإن له قرابةً منك ، وهو لا يُعصَى . قال : فأرسل عثمان إلى عليّ ، فأبى أن يأتيه ، وقال : قد أعلمته أنني لست بعائد .

قال : فبلغ مروان مقالةً نائلةً فيه ، قال : فجاء إلى عثمان فجلس بين يديه ، فقال : أتكلم أو أسكت^(١) ؟ فقال : تكلم ، فقال : إن بنت الفسرافصة... فقال عثمان : لا تذكريها بحرف فأسوتى لك وجهك ، فهي والله أنصح لي منك . قال : فكف مروان .

قال محمد بن عمر : وحدّثني شُرحبيل بن أبي عون ، عن أبيه ، قال : سمعتُ عبدَ الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث يذكر مروان بن الحكم ، قال : قبّح الله مروان ! خرج عثمان إلى الناس فأعطاهم الرضا ، وبكى على المنبر وبكى الناس حتى نظرت إلى لحية عثمان مُختضلةً من الدموع ، وهو يقول : اللهم ! إنني أتوب إليك ؛ اللهم ! إنني أتوب إليك ، اللهم ! إنني أتوب إليك ! والله لئن ردّني الحق إلى أن أكون عبداً قسناً لأرضين به ؛ إذا دخلتُ منزلي فادخلوا عليّ ؛ فوالله لا أحتجب منكم ، ولأعطينكم الرضا ، ولأزيدنكم على الرضا ، ولأنحيتُ مروان وذويه . قال : فلما دخل أمر بالباب ففتح ، ودخل بيته ، ودخل عليه مروان ، فلم يزل يفتله في الذروة والغارب حتى قتله عن رأيه ؛ وأزاله عما كان يريد ؛ فلقد مكث عثمان ثلاثة أيام ما خرج استحياءً من الناس ؛ وخرج مروان إلى الناس ، فقال : شأهت الوجوه ! ألا من أريد ! ارجعوا إلى منازلكم ؛ فإن يكن لأُمير المؤمنين حاجة بأحد منكم يرسل إليه ، وإلا قرّ في بيته . قال عبد الرحمن : فبحث لي عليّ فأجده بين القبر والمنبر ، وأجد عنده عمار^(٢) بن ياسر ومحمد بن أبي بكر وهما يقولان : صنع مروان بالناس وصنع . قال : فأقبل عليّ عليّ ، فقال : أحضرت خطبة عثمان ؟ قلت : نعم ، قال : أحضرت مقالة مروان للناس ؟ قلت : نعم ، قال عليّ : عياذ الله ، بالمسلمين^(٣) ! إنني إن قعدت في بيتي قال لي : تركتني

(١) ب : « أم أسكت ؟ » .

(٢) ف : « عماراً » .

(٣) ب : « بالمسلمين » .

وقرابتي وحتى ؛ وإني إن تكلمت فجاء ما يريد يلعبُ به مروان ، فصار سيقّة^(١) له يسوقه حيث شاء بعد كبر السنّ وصحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال عبد الرحمن بن الأسود : فلم يزل حتى جاء رسول عثمان : اتنى ، فقال على بصوت مرتفع عال مغضّب : قل له : ما أنا بداخل عليك ولا عائد . قال : فانصرف الرسول . قال : فلقيتُ عثمان بعد ذلك بليتين خائبًا ، فسألت نائلا غلامه : من أين جاء أمير المؤمنين ؟ فقال : كان عند عليّ ، فقال عبد الرحمن بن الأسود : فغدتُ فجلست مع عليّ عليه السلام ، فقال لي : جاءني عثمان البارحة ، فجعل يقول : إني غير عائد ؛ وإني فاعل ؛ قال : فقلت له : بعد ما تكلمت به على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأعطيت من نفسك ، ثم دخلت بيتك ، وخرج مروان إلى الناس فشتهم على بابك ويؤذيهم ! قال : فرجع وهو يقول : قطعت رجلي وخذلتني ، وجرات الناس على . فقلت : والله إني لأذب الناس عنك ؛ ولكني كلّما جئت بك بهنة أظنها لك رضا جاء بأخرى ؛ فسمعت قول مروان عليّ ، واستدخلت مروان . قال : ثمّ انصرف إلى بيته . قال عبد الرحمن بن الأسود : فلم أزل أرى عليًّا منكبًا عنه لا يفعل ما كان يفعل ؛ إلّا أنّي أعلم أنه قد كلم طلحة حين حصر في أن يدخل عليه الروايا ، وغضب في ذلك غضبًا شديدًا ، حتى دخلت الروايا على عثمان .

٢٩٧٩/١

قال محمد بن عمر : وحدّثني عبد الله بن جعفر ، عن إسماعيل بن محمد ، أن عثمان صعد يوم الجمعة المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، فقام رجل ، فقال : أقيم كتاب الله ، فقال عثمان : اجلس ، فجلس حتى قام ثلاثًا ، فأمر به عثمان فجلس ، فتحاثوا بالخصباء حتى ما ترى السماء ؛ وسقط عن المنبر ، وحُمِل فادخل داره مغشيًا عليه ، فخرج رجل من حجاب عثمان ، ومعه مصحف في يده وهو ينادى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيْعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ﴾^(٢) ودخل عليّ بن

أبى طالب على عثمان رضى الله عنهما وهو مغشى عليه ، وبنو أمية حوله ، فقال : مالك يا أمير المؤمنين ؟ فأقبلت بنو أمية بمنطق واحد ، فقالوا : يا على أهلكتنا وصنعت هذا الصنيع بأمر المؤمنين ! أما والله لئن بلغت الذى تريد ٢٩٨٠/١ لتُسمرنَّ عليك الدنيا . فقام على مغضباً .

• • •

[ذكر الخبر عن قتل عثمان رضى الله عنه]

وفى هذه السنة قتل عثمان بن عفان رضى الله عنه .

• ذكر الخبر عن قتله وكيف قتل :

قال أبو جعفر رحمه الله : قد ذكرنا كثيراً من الأسباب التى ذكر قاتلوه أنهم جعلوها ذريعة إلى قتله ، فأعرضنا عن ذكر كثير منها لعل دعت إلى الإعراض عنها ؛ ونذكر الآن كيف قُتِل ، وما كان بدء ذلك وافتتاحه ، ومن كان المبتدئ به والمفتتح للجرأة عليه قبل قتله .

ذكر محمد بن عمر أن عبد الله بن جعفر حدثه عن أم بكر بنت المسور بن مخرمة ، عن أبيها ، قال : قدمت لبل من إبل الصدقة على عثمان ، فوهبها لبعض بنى الحكم ، فبلغ ذلك عبد الرحمن بن عوف ، فأرسل إلى المسور ابن مخرمة وإلى عبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث فأخذها ، فقسّمها عبد الرحمن فى الناس وعثمان فى الدار .

قال محمد بن عمر : وحدثني محمد بن صالح ، عن عبيد الله بن رافع ابن نقاعة ، عن عثمان بن الشريد ، قال : مرّ عثمان على جبلة بن عمرو الساعدي وهو بفناء داره ، ومعه جماعة^(١) ، فقال : يا نعل^(٢) ، والله لأقتلنك ؛ ولأحملنك على قتلوص جرباء ، ولأخرجنك إلى حرّة النار . ثم بجاءه مرة أخرى وعثمان على المنبر فأنزله عنه .

حدثني محمد ، قال : حدثني أبو بكر بن إسماعيل ، عن أبيه ، عن عامر بن سعد ، قال : كان أول من اجتراً على عثمان بالمنطق السيئ جبلة

(١) الجماعة : الغل يوضع فى العتق . (٢) فى اللسان : و نعل رجل من أهل مصر ؛

كان طويل اللحية ، قيل إنه كان يشبه عثمان رضى الله عنه .

ابن عمرو الساعدي ، مرّ به عثمان وهو جالس في ندى قومه ، وفي يد جبلة بن عمرو جامعة ، فلما مرّ عثمان سلّم ، فردّ القوم ، فقال جبلة : لم تردون على رجل فعل كذا وكذا ! قال : ثم أقبل على عثمان ، فقال : والله لأطرحنّ هذه الجامعة في عثقتك أو لتتركنّ بطانتك هذه . قال عثمان : أيّ بطانة ! فوالله إني لأتخير الناس ؛ فقال : مروان تخيرته ! ومعاوية تخيرته ! وعبد الله بن عامر بن كُرَيْز تخيرته ! وعبد الله بن سعد تخيرته ! منهم من نزل القرآن بدمه ، وأباح رسول الله صلى الله عليه وسلم دمه .

قال : فانصرف عثمان ، فما زال الناس يجترئين عليه إلى هذا اليوم .

قال محمد بن عمر : وحدّثني ابن أبي الزناد ، عن موسى بن عُقْبَةَ ، عن أبي حبيبة ، قال : خطب عثمان الناس في بعض أيامه ، فقال عمرو بن العاص : يا أمير المؤمنين ، إنك قد ركبت نَهَايِرَ وركبتها مَعْلَك ، فنب نَب . فاستقبل عثمان القبلة وشهرَ يديه — قال أبو حبيبة : فلم أرَ يوماً أكثر باكيةً ولا باكية من يومئذ — ثم لما كان بعد ذلك خطب الناس ، فقام إليه جَهَنجَاهُ الغِفَارِيُّ ؛ فصاح : يا عثمان ، ألا إن هذه شاربٌ ^(١) قد جثنا بها ، عليها عباءة وجامعة ؛ فانزل فلنلزعك العباءة ، ولنطرحك في الجامعة ؛ ولنحملك على الشارف ؛ ثم نطرحك في جبل الدخان . فقال عثمان : قبحك الله وقبح ما جثت به ! قال أبو حبيبة : ولم يكن ذلك منه إلاّ عن ملا من الناس ؛ وقام إلى عثمان خيرته وشيعته من بني أميّة فحملوه فأدخلوه الدار . قال أبو حبيبة : فكان آخر ما رأيته فيه .

قال محمد : وحدّثني أسامة بن زيد اللبّثي ، عن يحيى بن عبد الرحمن ابن حاطب ، عن أبيه ، قال : أنا أنظر إلى عثمان يخطب على عصا النبي صلى الله عليه وسلم التي كان يخطب عليها وأبو بكر وعمر رضى الله عنهما ، فقال له جَهَنجَاهُ : قم يا نعلك ؛ فانزل عن هذا المنبر ، وأخذ العصا فكمرها على ركبته اليمنى ، فدخلت شظيّة منها فيها ؛ فبقى الجرح حتى أصابته الأكلة ،

(١) للشارف من النوق : المسنة الهرمة .

فرايتها تدود، فترل عثمان وحملوه وأمر بالعصا فشدوها ، فكانت مضببة ، فما خرج بعد ذلك اليوم إلا خرجة أو خرجتين حتى حُصِر قتل .

حدثني أحمد بن إبراهيم ؛ قال : حدثنا عبد الله بن إدريس ، عن عبيد الله بن عمر ، عن نافع ، أن جَهَنجَاهًا الغفاري ، أخذ عصا كانت في يد عثمان ، فكسرها على ركبته ، فرمى في ذلك المكان بأكله .

حدثني جعفر بن عبد الله الحمدي ، قال : حدثنا عمرو ، عن محمد ابن إسحاق بن يسار المدني ، عن عمه عبد الرحمن بن يسار ، أنه قال : لما رأى الناس ما صنع عثمان كتب من بالمدينة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى من بالآفاق منهم — وكانوا قد تفرقوا في الثغور : إنكم إنما خرجتم أن تجاهدوا في سبيل الله عز وجل ، تطلبون دين محمد صلى الله عليه وسلم ؛ فإن دين محمد قد أفسد من خلفكم وترك ، فهلموا فأقيموا دين محمد صلى الله عليه وسلم . فأقبلوا من كل أفق حتى قتلوه . وكتب عثمان إلى عبد الله بن سعد بن أبي سرح عامله على مصر — حين تراجع الناس عنه ، وزعم أنه تائب — بكتاب في الذين شخصوا من مصر ، وكانوا أشد أهل الأمصار عليه : أما بعد ؛ فانظر فلانًا وفلانًا فاضرب أعناقهم إذا قدموا عليك ؛ فانظر فلانًا وفلانًا فعاقبهم بكذا وكذا — منهم نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومنهم قوم من التابعين — فكان رسوله في ذلك أبو الأعور بن سفيان السلمى ، حملة عثمان على جمل له ، ثم أمره أن يقبل حتى يدخل مصر قبل أن يدخلها القوم ، فلحقهم أبو الأعور ببعض الطريق ، فسألوه : أين يريد ؟ قال : أريد مصر ؛ ومعه رجل من أهل الشام من خولان ؛ فلما رآه على جمل عثمان ، قالوا له : هل معك كتاب ؟ قال : لا ، قالوا : فيم أرسلت ؟ قال : لا علم لي ، قالوا : ليس معك كتاب ولا علم لك بما أرسلت ! إن أمرك لمريب ! ففتشوه ، فوجدوا معه كتابًا في إداوة يابسة ، فنظروا في الكتاب ، فإذا فيه قتل بعضهم وعقوبة بعضهم في أنفسهم وأموالهم . فلما رأوا ذلك رجعوا إلى المدينة ، فبلغ الناس رجوعهم ، والذي كان من أمرهم فتراجعوا من الآفاق كلها ، وثار أهل المدينة .

حدثني جعفر ، قال : حدثنا عمرو وعليّ ، قالوا : حدثنا حسين ، عن أبيه ، عن محمد بن السائب الكلبيّ ، قال : إنما ردّ أهل مصر إلى عثمان بعد انصرافهم عنه أنه أدركهم غلام لعثمان على جمل له بصحيفة إلى أمير مصر أن يقتل بعضهم ، وأن يصلب بعضهم . فلما أتوا عثمان ، قالوا : هذا غلامك ، قال : غلامي انطلق بغير علمي ، قالوا : جملك ، قال : أخذه من الدار بغير أمرى ، قالوا : خاتمك ، قال : نقش عليه ، فقال عبد الرحمن ابن عديس التّجيبّيّ حين أقبل أهل مصر :

أَقْبَلْنَ مِنْ بِلْبِيسٍ وَالصَّعِيدِ خُوصاً كَأَمْثَالِ الْقِسِيِّ قُودِ
مُسْتَحَقَّاتِ حَلَقِ الْحَدِيدِ يَطْلُبْنَ حَقَّ اللَّهِ فِي الْوَلِيدِ
وَعِنْدَ عَثْمَانَ وَفِي سَعِيدِ يَا رَبِّ فَارْجِعْنَا بِمَا نَزِيدُ

٢٩٨٥/١

فلما رأى عثمان ما قد نزل به ، وما قد انبعث عليه من النّاس ، كتب إلى معاوية بن أبي سفيان وهو بالشّام : بسم الله الرحمن الرحيم ، أمّا بعد ؛ فإنّ أهل المدينة قد كفروا وأخلفوا الطّاعة ، ونكثوا البيعة ، فابعث إلى من قبيلك من مقاتلة أهل الشّام على كلّ صعب وذلول .

فلما جاء معاوية الكتاب تربّص به ، وكره إظهار مخالفة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وقد علم اجتماعهم ؛ فلما أبطل أمره على عثمان كتب إلى يزيد بن أسد بن كُرُز ، وإلى أهل الشّام يستنفرهم ويُعظّم حقّه عليهم ، ويذكر الخلفاء وما أمر الله عزّ وجلّ به من طاعتهم ومناصحتهم ، ووعدهم أن يتجدّد لهم جندٌ أو بطانةٌ دون النّاس ، وذكّرهم بلاءه عندهم ، وصنيعه إليهم ، فإن كان عندكم غياث فالعجّل العجّل ؛ فإن القوم مُعاجِلٌ . فلما قرئ كتابه عليهم قام يزيد بن أسد بن كُرُز البسجليّ ثمّ القسريّ ؛ فحمد الله وأثنى عليه ، ثمّ ذكر عثمان ، فعظّم حقّه ، وحضّهم على نصره ، وأمرهم بالمسير إليه . فتابعه ناس كثير ، وساروا معه حتى إذا كانوا بوادي القُرى ، بلغهم قتل عثمان رضي الله عنه ، فرجعوا .

وكتب عثمان إلى عبد الله بن عامر ؛ أن اندب إلى أهل البصرة ؛ نسخة كتابه إلى أهل الشّام .

فجمع عبد الله بن عامر الناس ؛ فقرأ كتابه عليهم ؛ فقامت خطباء من أهل البصرة يحضونه على نصر عثمان والمسير إليه ؛ فيهم مجاشع بن مسعود السُّلَمي ؛ وكان أولَ مَنْ تكلّم ؛ وهو يومئذ سيّد قيس بالبصرة . وقام أيضاً قيس ابن الهيثم السُّلَمي ، فخطب وحضّ الناس على نصر عثمان ؛ فسارع الناس إلى ذلك ؛ فاستعمل عليهم عبد الله بن عامر مجاشع بن مسعود فسار بهم ؛ حتّى إذا نزل الناس الرّبيّدة ، ونزلت مقدّمته عند صرار - ناحية من المدينة - أتاهم قتلُ عثمان .

حدثني جعفر ، قال : حدثنا عمرو وعليّ ، قالوا : حدثنا حسين ، عن أبيه ، عن محمد بن إسحاق بن يسار المدنيّ ، عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، قال : كتب أهلُ مصر بالسُّقيا - أوبذى خشب - إلى عثمان بكتاب ؛ فجاء به رجل منهم حتّى دخل به عليه ، فلم يردّ عليه شيئاً ، فأمر به فأخرج من الدار ؛ وكان أهلُ مصر الذين ساروا إلى عثمان ستمائة رجل على أربعة ألوية لها رؤوس أربعة ، مع كلّ رجل منهم لواء ؛ وكان جميعاً أمرهم جميعاً إلى عمرو بن بُدَيْل بن ورقاء الخزاعيّ - وكان من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم - وإلى عبد الرحمن بن عديس التَّحِجِبيّ ؛ فكان فيما كتبوا إليه : بسم الله الرحمن الرحيم ؛ أمّا بعد ، فاعلم أنّ الله لا يغيّر ما بقوم حتّى يغيّروا ما بأنفسهم ؛ فالله الله ! ثمّ الله الله ! فإنك على دُنيا فاستتمّ إليها معها آخرة ، ولا تلبيس نصيبك من الآخرة ؛ فلا تسوخ لك الدنيا . واعلم أنّا والله لله نغضب ، وفي الله نرضى ؛ وإنا لن نضع سيوفنا عن عواتقنا حتّى تأتينا منك توبة مصرّحة ، أو ضلالة مجلّحة مُبلّجة ؛ فهذه مقاتلتنا لك ، وقضيتنا إليك ، والله عذيرنا منك . والسلام .

وكتب أهلُ المدينة إلى عثمان يدعونه إلى التوبة ، ويحتجّون ويقسمون له بالله لا يمسون عنه أبداً حتّى يقتلوه ، أو يعطيهم ما يلزمه من حقّ الله . فلما خاف القتلَ شاور نصحاءه وأهل بيته ، فقال لهم : قد صنع القوم ما قد رأيتم ، فما المخرج ؟ فأشاروا عليه أن يرسل إلى عليّ بن أبي طالب فيطلب إليه أن يردّهم عنه ، ويعطيهم ما يرضيهم ليطاولهم حتّى يأتيه

أمداد ؛ فقال : إن القوم لن يقبلوا التعليل ، وهم محمّلون عهداً ؛ وقد كان منى في قَدَمَتهم الأولى ما كان ؛ فتى أعطيتهم ذلك يسألوني الوفاء به ! فقال مروان بن الحكم : يا أمير المؤمنين ، مقاربَتهم حتى تقوى أمثل من مكاثرتهم على القُرب ، فأعطهم ما سألك ، وطاولهم ما طاولوك ؛ فإنما هم بغوا عليك ، فلا عهد لهم .

فأرسل إلى عليّ فدعاه ، فلما جاءه قال : يا أبا حسن ؛ إنه قد كان من الناس ما قد رأيت ، وكان منى ما قد علمت ؛ ولست آمنهم على قتلى ، فارددوهم عنى ؛ فإن لهم الله عز وجل أن أعيتبهم^(١) من كل مايكرهون ؛ وأن أعطيتهم الحق من نفسى ومن غيرى ؛ وإن كان في ذلك سفك دمي . فقال له عليّ : الناس إلى عدلك أحوج منهم إلى قتلك ؛ وإني لأرى قوماً لا يرضون إلا بالرضا ، وقد كنت أعطيتهم في قَدَمَتهم الأولى عهداً من الله : لترجعن عن جميع ما نقموا ؛ فرددتهم عنك ، ثم لم تف لهم بشيء من ذلك ، فلا تغرتي هذه المرة من شيء فإني معطيهم عليك الحق . قال : نعم ، فأعطهم ؛ فوالله لأفين لهم . فخرج عليّ إلى الناس ، فقال : أيها الناس ؛ إنكم إنما طلبتم الحق فقد أعطيتموه ؛ إن عثمان قد زعم أنه منصفكم من نفسه ومن غيره ؛ وراجع عن جميع ما تكرهون ، فاقبلوا منه ووكّدوا عليه . قال الناس : قد قبلنا فاستوثق منه لنا ، فإننا والله لا نرضى بقول دون فعل . فقال لهم عليّ : ذلك لكم . ثم دخل عليه فأخبره الخبر ، فقال عثمان : اضرب بيني وبينهم أجلاً يكون لي فيه مهلة ، فإني لا أقدر على ردّ ما كرهوا في يوم واحد ، قال له عليّ : ما حضر بالمدينة فلا أجل فيه ، وما غاب فأجله وصول أمرك ، قال : نعم ؛ ولكن أجّلتي فيما بالمدينة ثلاثة أيام . قال عليّ : نعم ، فخرج إلى الناس فأخبرهم بذلك ، وكتب بينهم وبين عثمان كتاباً أجّله فيه ثلاثاً ، على أن يرُدّ كل مظلّمة ، ويعزل كل عامل كرهوه ؛ ثم أخذ عليه في الكتاب أعظم ما أخذ الله على أحد من خلقه من عهد وميثاق ، وأشهد عليه ناساً من وجوه المهاجرين والأنصار ، فكفّ المسلمون عنه ورجعوا إلى أن يقضى لهم بما أعطاهم من نفسه ؛ فجعل يتأهب للقتال ، ويستعدّ بالسلاح — وقد كان اتّخذ جنداً عظيماً من

٢٩٨٨/١

(١) أعيتبهم : أعطاهم العتي وأرضاهم ، وترك ما كانوا يفضيئون من أجله .

رقيق الخمس فلما مضت الأيام الثلاثة وهو على حاله لم يغير شيئاً مما كرهه ، ولم يعزل عاملاً ثار به الناس . وخرج عمرو بن حزم الأنصاري حتى أتى المصريين وهم بذى خشب ، فأخبرهم الخبر ، وسار معهم حتى قدّموا المدينة ، فأرسلوا إلى عثمان : ألم نفارقك على أنك زعمت أنك تائب من إحدائك ، وراجع عما كرهنا منك ؟ وأعطيتنا على ذلك عهد الله وميثاقه ! قال : بلى ؛ أنا على ذلك ، قالوا : فما هذا الكتاب الذى وجدنا مع رسولك ؟ وكتبت به إلى عاملك ؟ قال : ما فعلت ولا لى علم بما تقولون . قالوا : برّيدك على جملك ، وكتاب كاتبك عليه خاتمك ؟ قال : أما الجمل فمسرّوق ، وقد يشبه الخط الخط ؟ وأما الخاتم فانتقش عليه ، قالوا : فإننا لا نعجل عليك ، وإن كنا قد اتهمناك ، اعزل عنا عمالك الفساق ، واستعمل علينا من لا يتهمهم على دماننا وأموالنا ، واردد علينا مظالمنا . قال عثمان : ما أراى إذا فى شيء إن كنت أستعمل من هويتهم ، وأعزل من كرهتهم ، الأمر إذاً أمركم ! قالوا : والله لتفعلن أولتُ عزّ لئن أو لتقتلن ، فانظر لنفسك أودع . فأبى عليهم وقال : لم أكن لأخلع سربالاً سرّ بكنيه الله ، فحضره أربعين ليلة ، وطلّحه بصلّى بالناس .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ، عن ابن عون ، قال : حدثنا الحسن ، قال : أنبأني وثّاب - قال : وكان فيمن أدركه عتيق أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه ، قال : ورأيت بخلقه أثر طعتين ، كأنهما كتيبان^(١) طعنهما يومئذ يوم الدار - قال : بعثنى عثمان ، فدعوت له الأشتر ، فجاء - قال ابن عون : فأظنه قال : فطرح لأمر المؤمنين وسادة وله وسادة - فقال : يا أشتر ؛ ما يريد الناس منى ؟ قال : ثلاثاً ليس من إحداهن بد ؛ قال : ما هن ؟ قال : يخبرونك بين أن تخلع لهم أمرهم فتقول : هذا أمركم فاخاروا له من شئتم ، وبين أن تقص من نفسك ، فإن أبيت هاتين فإن القوم قاتلوك . فقال : أما من إحداهن بد ؟ قال : ما من إحداهن بد ، فقال : أما أن أخلع لهم أمرهم فما كنت لأخلع سربالاً سرّ بكنيه الله عز وجل - قال : وقال غيره : والله لأن أقدم فتضرب عني أحب إلى من

(١) الكتبة ، بالضم : الثقبه ويخطها في الجلد .

أن أخلع قميصاً قمصنيه الله وأترك أمة محمد صلى الله عليه وسلم يعدو بعضها على بعض. قال ابن عون: وهذا أشبه بكلامه — وأما أن أقص من نفسي؛ فوالله لقد علمت أن صاحبي بين يدي قد كانا يعاقبان وما يقوم بدني بالقصاص، وأما أن تقتلوني، فوالله لئن قتلتموني لا تتحابون بعدى أبداً، ولا تصلون جميعاً بعدى أبداً، ولا تقاتلون بعدى علواً جميعاً أبداً. قال: فقام الأشتر فانطلق؛ فكثنا أياماً. قال: ثم جاء رُوَيْل كأنه ذئب، فاطلع من باب، ثم رجع وجاء محمد بن أبي بكر وثلاثة عشر حتى انتهى إلى عثمان، فأخذ بلحيته، فقال بها حتى سمعت وقع أضراسه، وقال: ما أغنى عنك معاوية، ما أغنى عنك ابن عامر، ما أغنت عنك كتبك! قال: أرسل لحيتي يا بن أخي، أرسل لحيتي. قال: وأنا رأيته استعدى رجلاً من القوم بعينه، فقام إليه بمشقص حتى وجأ به في رأسه. قلت: ثم مه؛ قال: تفاووا عليه حتى قتلوه.

٢٩٩١/١

وذكر الواقدي أن يحيى بن عبد العزيز حدثه عن جعفر بن محمود، عن محمد بن مسلمة، قال: خرجت في نفر من قوى إلى المصريين وكان رؤسائهم أربعة: عبد الرحمن بن عديس البدوي، وسودان بن حمران المرادي، وعمر بن الحميح الخزاعي. وقد كان هذا الاسم غلب حتى كان يقال: حبيس بن الحميح — وابن النباع. قال: فدخلت عليهم وهم في خيباء لهم أربعتهم، ورأيت الناس لهم تبعاً، قال: فعظمت حق عثمان وما في رقابهم من البيعة، وخوفتهم بالفتنة، وأعلمتهم أن في قتله اختلافاً وأمرأً عظيماً؛ فلا تكونوا أول من فتحه، وأنه يتزع عن هذه الخصال التي تقسم منها عليه، وأنا ضامن لذلك. قال القوم: فإن لم يتزع؟ قال: قلت: فأمركم إليكم. قال: فانصرف القوم وهم راضون، فرجعت إلى عثمان، فقلت: أخلني فأخلائني، فقلت: الله الله يا عثمان في نفسك! إن هؤلاء القوم إنما قدموا يريدون دملك، وأنت ترى خذلان أصحابك لك؛ لا بل هم يقوون عدوك عليك. قال: فأعطاني الرضا، وجزاني خيراً. قال: ثم خرجت من عنده، فأقمت ما شاء الله أن أقيم.

قال : وقد تكلّم عثمان برجوع المصريين ، وذكر أنهم جاءوا لأمر ، فبلغهم غيره فأنصرفوا ، فأردت أن آتيه فأعنته بهما ، ثم سكّت فإذا قائل يقول : قد قدم المصريون وهم بالسويداء ، قال : قلت : أحقّ ما تقول ؟ قال : نعم ، قال : فأرسل إلى عثمان .

قال : وإذا الخبر قد جاءه ، وقد نزل القوم من ساعتهم ذا خشب ، فقال : يا أبا عبد الرحمن ، هؤلاء القوم قد رجعوا ، فما الرأي فيهم ؟ قال : قلت : والله ما أدري ؛ إلاّ أني أظن أنهم لم يرجعوا لخبر . قال : فارجع إليهم فارددهم ، قال : قلت : لا والله ما أنا بفاعل ، قال : ولم ؟ قال : لأنني ضمنت لهم أموراً تنزع عنها فلم تنزع عن حرف واحد منها . قال : فقال : الله المستعان .

قال : وخرجتُ وقدم القوم وحلّوا بالأسواف ، وحصروا عثمان .

قال : وجاءني عبدُ الرحمن بن عُدَيْس ومعه سُودان بن حُمران وصاحباها ، فقالوا : يا أبا عبد الرحمن ، ألم تعلم أنّك كلمتنا ورددتنا وزعمت أنّ صاحبنا نازعٌ عما نكره ؟ فقلت : بلى ، قال : فإذا هم يُخرجون إلى صحيفة صغيرة . قال : وإذا قصبة من رصاص ؛ فإذا هم يقولون : وجدنا جملاً من إبل الصدقة عليه غلام عثمان ، فأخذنا متاعه ففتشناه ، فوجدنا فيه هذا الكتاب ؛ فإذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم ؛ أما بعد ؛ فإذا قدم عليك عبدُ الرحمن ابن عُدَيْس فاجلده مائة جلدة ، واحلق رأسه ولحيته ، وأطيل حبسه حتى يأتيتك أمرى ، وعمر بن الحمق فافعل به مثل ذلك ، وسُودان بن حُمران مثل ذلك ؛ وعروة بن النّباع اللبّيّ مثل ذلك . قال : فقلت : وما يدريك أنّ عثمان كتب بهذا ؟ قالوا : فيفتات مروان على عثمان بهذا ! فهذا شرّ ؛ فيخرج نفسه من هذا الأمر . ثم قالوا : انطلق معنا إليه ، فقد كلمنا عليّاً ، ووعدنا أن يكلمه إذا صلى الظهر . وجئنا سعد بن أبي وقاص ، فقال : لا أدخل في أمركم . وجئنا سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفيل فقال مثل هذا ؛ فقال محمد : فأين وعدكم عليّ ؟ قالوا : وعَدنا إذا صلى الظهر أن يدخل عليه . قال محمد : فصليت مع عليّ ، قال : ثم دخلت أنا وعلى عليه ، فقلنا :

إن هؤلاء المصريين بالبواب ، فأذن لهم — قال : ومروان عنده جالس — قال : فقال مروان : دعني جعلت فداك أكلّمهم ! قال : فقال عثمان : فضّ الله فاك ! اخرج عني ؛ وما كلامك في هذا الأمر ! قال : فخرج مروان ، قال : وأقبل علىّ عليه — قال : وقد أنهى المصريون إليه مثل الذي أنهوا إلى — قال : فجعل علىّ يخبره ما وجدوا في كتابهم . قال : فجعل يقسم بالله ما كتب ولا علم ولا شُور فيه . قال : فقال محمد بن مسلمة : والله إنه لصادق ؛ ولكن هذا عمل مروان ، فقال علىّ : فأدخلهم عليك ؛ فليسمعوا عذرَكَ ، قال : ثم أقبل عثمان علىّ علىّ ، فقال : إن لي قرابة ورحمًا ؛ والله لو كنت في هذه الحلقة لخلتها عنك ؛ فاخرج إليهم ، فكلّمهم ؛ فلمهم يسمعون منك . قال علىّ : والله ما أنا بفاعل ؛ ولكن أدخلهم حتى تعذّر إليهم ؛ قال : فادخلوا .

قال محمد بن مسلمة : فدخلوا يومئذ ، فاسلموا عليه بالخلافة ، فعرفت أنه الشرّ بعينه ؛ قالوا : سلام عليكم ، فقلنا : وعليكم السلام ، قال : فتكلّم القوم وقد قدّموا في كلامهم ابنَ عُدَيْس ، فذكر ما صنع ابنُ سعد بمصر ، وذكر تحاملاً منه على المسلمين وأهل الذّمة ، وذكر استئثاراً منه في غنائم المسلمين ؛ فإذا قيل له في ذلك ، قال : هذا كتاب أمير المؤمنين إلىّ ، ثم ذكروا أشياء مما أحدث بالمدينة ، وما خالف به صاحبيه . قال : فرحلنا من مصر ونحن لا نريد إلا دمك أو تنزع ؛ فردّنا علىّ ومحمد بن مسلمة ، وضمن لنا محمد التزوع عن كلّ ما تكلمنا فيه — ثم أقبلوا على محمد بن مسلمة ، فقالوا : هل قلت ذاك لنا ؟ قال محمد : فقلت : نعم — ثم رجعنا إلى بلادنا نستظهر بالله عزّ وجلّ عليك ويكون حجة لنا بعد حجة حتى إذا كنا بالبُويّب أخذنا غلامك فأخذنا كتابك وخاتمك إلى عبد الله بن سعد ، تأمره فيه بجلد ظهورنا ، والمثّل بنا في أشعارنا ، وناول الحبس لنا ؛ وهذا كتابك .

قال : فحمد الله عثمانُ وأثنى عليه ، ثم قال : والله ما كتبتُ ولا أمرتُ ، ولا شورت ولا علمتُ . قال : فقلت وعلىّ جميعاً : قد صدق . قال : فاستراح

إليها عثمان ، فقال المصريون : فن كتبه ؟ قال : لا أدري ، قال : أفيجترأ عليك فيبعت غلامك وجمل من صدقات المسلمين ، وينتس على خاتمك ، ويكتب إلى عاملك بهذه الأمور العظام وأنت لا تعلم ! قال : نعم ، قالوا : فليس مثلك يلى ، اخلع نفسك من هذا الأمر كما خلعتك الله منه . قال : لا أنزع قميصاً ألبسنيهِ الله عز وجل . قال : وكثرت الأصوات واللفظ ، فما كنت أظن أنهم يخرجون حتى يواثبوه . قال : وقام على فخرج ، قال : فلما قام على قمت ، قال : وقال للمصريين : اخرجوا ، فخرجوا . ٢٩٩٥/١ قال : ورجعت إلى منزلى ورجع على إلى منزله ، فما برحوا محاصريه حتى قتلوه .

قال محمد بن عمر : وحدثنى عبد الله بن الحارث بن الفضيل ، عن أبيه ، عن سفيان بن أبي العوجاء ، قال : قدم المصريون القدمة الأولى ، فكلّم عثمانُ محمد بن مسلمة ، فخرج في خمسين راكباً من الأنصار ، فأتوهم بذى خُشب فردّهم ، ورجع القوم حتى إذا كانوا بالبُويب ، وجدوا غلاماً لعثمان معه كتاب إلى عبد الله بن سعد ، فكروا ، فأنتهوا إلى المدينة ، وقد تخلّف بها من الناس الأشتر وحُكيم بن جبّلة ، فأتوا بالكتاب ، فأنكر عثمان أن يكون كتبه ، وقال : هذا مفتعل ، قالوا : فالكتاب كتابُ كاتبك ! قال : أجل ؛ ولكنه كتبه بغير أمرى ، قالوا : فإنّ الرسول الذى وجدنا معه الكتابَ غلامُك ؛ قال : أجل ؛ ولكنه خرج بغير إذنى ، قالوا : فالجمل جملُك ، قال : أجل ؛ ولكنه أخذ بغير علمى ، قالوا : ما أنت إلاّ صادق أو كاذب ؛ فإن كنت كاذباً فقد استحققت الخلع لما أمرت به من سفك دماثنا بغير حقها ، وإن كنت صادقاً فقد استحققت أن تخلع لضعفك ^(١) وغفلتك وخبث بطانتك ؛ لأنه لا ينبغي لنا أن نترك على رقابنا من يقتطع ^(٢) مثل هذا الأمر دونه ^(٣) لضعفه وغفلته . وقالوا له : إنك ضربت رجالاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وغيرهم حين يعظونك ويأمرونك بمراجعة الحق عندما

(١) ابن الأثير : « أن تخلع نفسك » .

(٢-٢) ابن الأثير : « تقطع الأمور دونه » .

يستذكرون من أعمالك ؛ فأقيد من نفسك من ضربته وأنت له ظالم ، فقال : للإمام يخطئ ويصيب ؛ فلا أقيد من نفسي ؛ لأنني لو أقدت كل من أصبته بخطي آتى على نفسي ؛ قالوا : إنك قد أحدثت أحداثاً عظماً فاستحققت بها الخلع ؛ فإذا كلّمت فيها أعطيت التوبة ثم عدت إليها وإلى مثلها ، ثم قدمنا عليك فأعطينا التوبة والرجوع إلى الحق ؛ ولما فبك محمد ابن مسلمة ، وضمن لنا ما حدث من أمر ، فأخبرته فتبرأ منك ، وقال : لا أدخل في أمره ؛ فرجعنا أول مرة لنقطع حجّتك ونبليغ أقصى الإعذار إليك ؛ نستظهر بالله عزّ وجلّ عليك ؛ فلحقنا كتاب منك إلى عاملك علينا تأمره فينا بالقتل والقطع والصلب . وزعمت أنه كتب بغير علمك وهو مع غلامك وعلى جميلك وبخط كاتبك وعليه خاتمك ، فقد وقعت عليك بذلك التهمة القبيحة ، مع ما بلونا منك قبل ذلك من الجور في الحكم والأثرة في القسّم والعقوبة للأمر بالتبسط من الناس ، والإظهار للتوبة ، ثم الرجوع إلى الخطيئة ، ولقد رجعنا عنك وما كان لنا أن نرجع حتى نخلعك ونستبدل بك من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يحدث مثل ما جربنا منك ، ولم يقع عليه من التهمة ما وقع عليك ؛ فاردد خلافتنا واعتزل أمرنا ، فإن ذلك أسلم لنا منك ، وأسلم لك منا .

٢٩٩٦/١

فقال عثمان : فرغم من جميع ما تريدون ؟ قالوا : نعم ، قال : الحمد لله ، أحمدّه وأستعينه ، وأومن به ، وأتوكل عليه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأنّ محمداً عبده ورسوله ؛ أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون . أمّا بعد ، فإنكم لم تعدلوا في المنطق ، ولم تنصفوا في القضاء ؛ أما قولكم : تخلع نفسك ، فلا أنزع قميصاً قمصنيه الله عزّ وجلّ وأكرمني به ، وخصني به على غيري ؛ ولكني أتوب وأنزع ولا أعود لشيء عابه المسلمون ؛ فإني والله الفقير إلى الله الخائف منه . قالوا : إن هذا لو كان أول حدث أحدثته ثم تبت منه ولم تقم عليه ؛ لكان علينا أن نقبل منك ، وأن ننصرف عنك ؛ ولكنه قد كان منك من الإحداث قبل هذا ما قد علمت ، ولقد انصرفنا عنك في المرة الأولى ، وما نخشى أن نكتب فينا ،

٢٩٩٧/١

ولا من اعتلت به بما وجدنا في كتابك مع غلامك . وكيف تقبل توبتك وقد بلونا منك أنك لا تعطي من نفسك التوبة من ذنب إلا عدت إليه ؛ فلسنا منصرفين حتى نغزلك ونستبدل بك ، فإن حال من معك من قومك وذوي رحيمك وأهل الانقطاع إليك دونك بقتال قاتلناهم ؛ حتى نخلص إليك فنقتلك أو تلحق أرواحنا بالله . فقال عثمان : أمّا أن أتبرأ من الإمارة ؛ فإن تصلبوني أحب إلى من أن أتبرأ من أمر الله عز وجل وخلافته . وأما قولكم : تقاتلون من قاتل دوني ؛ فإنني لا آمر أحداً بقتالكم ؛ فمن قاتل دوني فإنما قاتل بغير أمري ؛ ولعمري لو كنت أريد قتالكم ، لقد كنت كتبت إلى الأجناد فقادوا الجنود ، وبعثوا الرجال ، أو لحقت ببعض أطرافي بمصر أو عراق ؛ فالله الله في أنفسكم فأبقوا عليها إن لم تبقوا على ؛ فإنكم يجتلبون بهذا الأمر - إن قتلتموني - دماً . قال : ثم انصرفوا عنه وآذوه بالحرب ، وأرسل إلى محمد بن مسلمة فكلّمه أن يردّهم ، فقال : والله لا أكذب الله في سنة مرتين .

٢٩٩٨/١ قال محمد بن عمر : حدثني محمد بن مسلم ، عن موسى بن عقيب ، عن أبي حبيبة ، قال : نظرت إلى سعد بن أبي وقاص يوم قُتل عثمان ؛ دخل عليه ثم خرج من عنده وهو يسترجع مما يرى على الباب ؛ فقال له مروان : الآن تندم ! أنت أشعرتك^(١) . فأسمع سعداً يقول : أستغفر الله ، لم أكن أظن الناس يجترئون هذه الجرأة ، ولا يطلبون دمه ، وقد دخلت عليه الآن فتكلم بكلام لم تحضره أنت ولا أصحابك ، فترع عن كل ما كره منه ، وأعطى التوبة ، وقال : لا أتمادى في الهلكة ؛ إن من تدامى في الجور كان أبعد من الطريق ؛ فأنا أتوب وأنزع . فقال مروان : إن كنت تريد أن تذب عنه ؛ فعليك بابن أبي طالب ، فإنه متستر ، وهو لا يُجَبِّه ؛ فخرج سعد حتى أتى علياً وهو بين القبر والمنبر ، فقال : يا أبا حسن ، قم فإدراك أبي وأمي ! جئتك والله بخير ما جاء به أحد قط إلى أحد ، تصل رحيم ابن عمك ، وتأخذ بالفضل عليه ، وتحقن دمه ، ويرجع الأمر على ما نحب ، قد أعطى خليفتك

(١) أشعره ، أي شهروه بالقول ، فصار له كالطعنة في البدن .

من نفسه الرضا . فقال عليّ : تقبل الله منه يا أبا إسحاق ! والله ما زلتُ أذب عنه حتى إني لأستحي ؛ ولكن مروان ومعاوية وعبد الله بن عامر وسعيد ابن العاص هم صنعوا به ما ترى ؛ فإذا نصحتُه وأمرته أن ينحيهم استغشيتني حتى جاء ماترى . قال : فبينما هم كذلك جاء محمد بن أبي بكر ، فسارَّ عليّاً ؛ فأخذ عليّ يبدى ، ونهض عليّ وهو يقول : وأيّ خير توبته هذه ! فوالله ما بلغت دارى حتى سمعت الهائعة^(١) ؛ أن عثمان قد قتل ؛ فلم نزل والله في شرٍّ إلى يومنا هذا .

٢٩٩٩/١

قال محمد بن عمر : وحدثني شرحبيل بن أبي عون ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن أبي الخير^(٢) ، قال : لما خرج المصريون إلى عثمان رضى الله عنه ، بعث عبد الله بن سعد رسولاّ أسرع السير يعلم عثمان بمخرجهم ، ويخبره أنهم يُظهرون أنهم يريدون العمرة . فقدم الرسول على عثمان بن عفان ، يخبرهم فتكلم عثمان ، وبعث إلى أهل مكة يحذّر من هناك هؤلاء المصريين ، ويخبرهم أنهم قد طعنوا على إمامهم . ثمّ إن عبد الله بن سعد خرج إلى عثمان في آثار المصريين — وقد كان كتب إليه يستأذنه في القدوم عليه ، فأذن له — فقدم ابن سعد ؛ حتى إذا كان بأيلة بلغه أن المصريين قد رجعوا إلى عثمان ، وأنهم قد حصروه ، ومحمد بن أبي حذيفة بمصر ؛ فلما بلغ محمداً حصْرُ عثمان وخروجُ عبد الله بن سعد عنه غلب على مصر ، فاستجابوا له ، فأقبل عبد الله بن سعد يريد مصر ، فنهه ابنُ أبي حذيفة ، فوجه إلى فلسطين ، فأقام بها حتى قُتِل عثمان رضى الله عنه ، وأقبل المصريون حتى نزلوا بالأسواف ، فحسروا عثمان ، وقدم حُكَيْم بن جبلة من البصرة في ركب ، وقدم الأشتر في أهل الكوفة ، فتوافقوا بالمدينة ، فاعتزل الأشتر ؛ فاعتزل حُكَيْم بن جبلة ، وكان ابن عُدَيْس وأصحابه هم الذين يحصرون عثمان ، فكانوا خمسمائة ، فأقاموا على حصاره تسعة وأربعين يوماً ، حتى قُتِل يوم الجمعة لثمان عشرة ليلة مضت من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين .

٣٠٠٠/١

قال محمد : وحدثني إبراهيم بن سالم ، عن أبيه ، عن بسر بن سعيد ، قال : وحدثني عبد الله بن عيّاش بن أبي ربيعة ، قال : دخلتُ على عثمان

(١) الهائعة : الصوت المفزع . (٢) هو مرثد بن عبد الله اليزنى .

رضي الله عنه ، فتحدثت عنده ساعة ، فقال : يا بن عياش^(١) ، تعال .
 فأخذ يبدى ، فأسمعني كلام من على باب عثمان ، فسمعنا كلاماً ؛ منهم من
 يقول : ما تنتظرون به ؟ ومنهم من يقول : انظروا عسى أن يراجع ، فبينما أنا
 وهو واقفان ، إذ مرّ طلحة بن عبيد الله ؛ فوقف فقال : أين ابن عديس ؟
 فقيل : ها هو ذا ، قال : فجاءه ابن عديس ، فواجه بشيء ، ثم رجع
 ابن عديس فقال لأصحابه : لا تتركوا أحداً يدخل على هذا الرجل ؛
 ولا يخرج من عنده . قال : فقال لى عثمان : هذا ما أمر به طلحة بن عبيد الله .
 ثم قال عثمان : اللهم اكفيني طلحة بن عبيد الله ، فإنه حمل على هؤلاء
 وألبهم ؛ والله إنى لأرجو أن يكون منها صفراً ، وأن يسفك دمه ، إنه انتهك
 منى ما لا يحل له ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يحل دم
 امرئ مسلم إلا في إحدى ثلاث : رجل كفر بعد إسلامه فيقتل ، أو رجل
 زنى بعد إحصائه فيرجم ، أو رجل قتل نفساً بغير نفس » ، فقيم أقتل ! قال :
 ثم رجع عثمان . قال ابن عياش : فأردت أن أخرج فنعنوني حتى مرّ بى
 محمد بن أبى بكر فقال : خلّوه ، فخلّونى .

قال محمد : حدثنى يعقوب بن عبد الله الأشعرى ، عن جعفر بن
 أبى المغيرة ، عن سعيد بن عبد الرحمن بن أبزى ، عن أبيه ، قال : رأيت اليوم
 الذى دخل فيه على عثمان ، فدخلوا من دار عمرو بن حزم نخوة هناك
 حتى دخلوا الدار ، فتناوشهم شيئاً من مناوشة ودخلوا ، فوالله ما نسينا أن أخرج
 سؤدان بن حمران ، فأسمعه يقول : أين طلحة بن عبيد الله ؟ قد قتلنا ابن
 عفان !

قال محمد بن عمر : وحدثنى شرحبيل بن أبى عون ، عن أبيه ، عن
 أبى حفصة الباقى ، قال : كنت لرجل من أهل البادية من العرب ، فأعجبته -
 يعنى مروان- فاشتراني واشترى امرأتى وولدى فأعتقنا جميعاً ؛ وكنت أكون
 معه ، فلما حُصِر عثمان رضي الله عنه ، شمرت معه بنو أمية ، ودخل معه
 مروان الدار . قال : فكنت معه فى الدار ، قال : فأنا والله أنشبت القتال بين

الناس ؛ رميت من فوق الدار رجلاً من أسلم فقتلته ؛ وهو نيار الأسلمي ، فنشِب القتال ، ثم نزلت ، فاقتتل الناس على الباب ، وقَاتل مروان حتى سقط فاحتلمته ، فأدخلته بيت عجوز ، وأغلقت عليه ، وألقى الناس النيران في أبواب دار عثمان ، فاحترق بعضها ، فقال عثمان : ما احترق الباب إلا لما هو أعظم منه ، لا يجر كن رجل منكم يده ؛ فوالله لو كنت أقصاكم لتخطوكم حتى يقتلوني ، ولو كنت أدناكم ما جاوزوني إلى غيري ، وإني لصابر كما عهد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأُصرعن مصرعي الذي كتب الله عز وجل . فقال مروان : والله لا تقتل وأنا أسمع الصوت ، ثم خرج بالسيف على الباب يتمثل بهذا الشعر :

قد عَلِمَتْ ذاتُ القُرُونِ المِيلَ والكَفِّ والأَنَامِلِ الطُّفُولِ

أَنِّي أَرُوعُ أَوَّلَ الرَّعِيلِ^(١) بِفَارِهِ مِثْلَ قَطَا الشَّيْلِ

٢٠٠٢/١

قال محمد : وحدثنني عبد الله بن الحارث بن الفضيل ، عن أبيه ، عن أبي حفصة ، قال : لما كان يوم الخميس دلت حجرة من فوق الدار ، فقتلت رجلاً من أسلم يقال له نيار ، فأرسلوا إلى عثمان : أن أمكننا من قاتله . قال : والله ما أعرف له قاتلاً ، فباتوا ينحرفون علينا ليلة الجمعة بمثل النيران ، فلما أصبحوا غدوا ، فأول من طلع علينا كنانة بن عتاب ، في يده شعلة من نار على ظهر سطوحنا ، قد فتح له من دار آل حزم ، ثم دخلت الشعلة على أثره تُنضَح بالنفط ؛ فقاتلناهم ساعة على الخشب ، وقد اضطرم الخشب ، فأسمع عثمان يقول لأصحابه : ما بعد الحريق شيء ! قد احترق الخشب ، واحترقت الأبواب ، ومن كانت لي عليه طاعة فليمسك داره ؛ فإنما يريدني القوم ، وسيندمون على قتلي ؛ والله لو تركوني لظننت أني لا أحب الحياة ؛ ولقد تغيرت حالي ، وسقط أسناني ، ورق عظمي .

قال : ثم قال لمروان : اجلس فلا تخرج ، فعصاه مروان ، فقال : والله لا تقتل ، ولا يُخلص إليك ، وأنا أسمع الصوت ، ثم خرج إلى الناس . فقلت : ما لمولاي مُتْرَك ! فخرجت معه أذب عنه ، ونحن قليل ، فأسمع مروان يتمثل :

(١) في تعليقات ط : « أزوع » ؛ أي أحث الرعيل ليزيد في السير ، وهو وجه .

قد علمت ذاتُ القرونِ المِيلِ والكفِّ والأنايلِ الطُفُولِ

ثم صاح : مَنْ يبارز ؟ وقد رفع أسفل درعه ؛ فجعله في منطقته . قال : ٣٠٠٣/١
فيثب إليه ابن النِّبَّاعِ فضربه ضربة على رقبته من خلفه فأثبته ؛ حتى سقط ،
فما ينبض منه عرق ، فأدخلته بيتَ فاطمة ابنة أوس جدَّة إبراهيم بن العديّ .
قال : فكان عبد الملك وبنو أمية يعرفون ذلك لآل العديّ .

حدثني أحمد بن عثمان بن حكيم ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن شريك ،
قال : حدثني أبي ، عن محمد بن إسحاق ، عن يعقوب بن عتبة بن الأخنس ،
عن ابن الحارث بن أبي بكر ، عن أبيه أبي بكر بن الحارث بن هشام ، قال :
كأنني أنظر إلى عبد الرحمن بن عديس البلّوي وهو مسند ظهره إلى مسجد
نبي الله صلى الله عليه وسلم وعثمان بن عفان رضي الله عنه محصور ، فخرج
مروان بن الحكم ، فقال : مَنْ يبارز ؟ فقال عبد الرحمن بن عديس لفلان
ابن عروة : قم إلى هذا الرجل ، فقام إليه غلام شاب طُوال ؛ فأخذ رُفْرَف^(١)
الدرع فغرز في منطقته ، فأعور له عن ساقه ، فأهوى له مروان وضربه
ابن عروة على عنقه ، فكأنني أنظر إليه حين استدار . وقام إليه عبيد بن رفاعه
الزُّرْقَى ليدفِّف^(٢) عليه ، قال : فوثبت عليه فاطمة ابنة أوس جدَّة إبراهيم
ابن عديّ — قال : وكانت أرضعت مروان وأرضعت له — فقالت : إن كنت
إنما تريد قتل الرجل فقد قتل ؛ وإن كنت تريد أن تلعب بلحمه فهذا قبيح .
قال : فكف عنه ، فما زالوا يشكرونها لها ، فاستعملوا ابنها إبراهيم بعد .

وقال ابن إسحاق : قال عبد الرحمن بن عديس البلّوي حين سار
إلى المدينة من مصر :

أَقْبَلَنَ مِنْ بَلَيْسٍ وَالصَّعِيدِ مُسْتَحْقَبَاتٍ حَلَقَ الْحَلِيدِ
يَطْلُبُنَ حَقَّ اللَّهِ فِي سَعِيدٍ حَتَّى رَجَعْنَ بِالَّذِي نَرِيدُ

حدثني جعفر بن عبد الله الحمدي ، قال : حدثنا عمرو بن حماد وعليّ

(١) رُفْرَفُ الدرع : زرديشد بالبيضة ويطرحه الرجل على ظهره ؛ وفي ط : « رفيف »
تحريف . (٢) دَفَفَ على الجريح ، مثل دَفَفَ : أجهز عليه .

ببابه ، فاقْتَلُوا عليه قتالا شديداً ، فقتِلَ في المعركة على الباب زياد بن نَعِيسَم
الْفِهْرِيّ في ناس من أصحاب عثمان ، فلم يزل الناس يقتتلون حتى فتح عمرو
ابن حزم الأنصاريّ باب داره وهو إلى جنب دار عثمان بن عفان ، ثمّ نادى
الناس فأقبلوا عليه من داره ، فقاتلهم في جَوْف الدار حتى انهزموا ، وندّى لهم
عن باب الدار ؛ فخرجوا هُرَّاباً في طرق المدينة ؛ وبقّى عثمان في أناس من
أهل بيته وأصحابه فقتلوا معه ؛ وقتل عثمان رضي الله عنه .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا معتمر بن سليمان التيميّ ،
قال : حدثنا أبي ، قال : حدثنا أبو نَضْرَةَ ، عن أبي سعيد مولى أبي أسيد
الأنصاريّ ، قال : أشرف عليهم عثمان رضي الله عنه ذات يوم ، فقال :
السلام عليكم ، قال : فما سمع أحداً من الناس ردّ عليه إلّا أن يردّ رجل في
نفسه ، فقال : أنشدكم بالله هل علمتم أنّي اشتريت رومة من ماليّ يستعذب
بها ، فجعلت ريشائي منها كريشاً رجل من المسلمين ! قال : قيل : نعم .
قال : فما يمنعني أن أشرب منها حتى أفطر على ماء البحر ! قال : أنشدكم
الله هل علمتم أنّي اشتريت كذا وكذا من الأرض فردته في المسجد ؟ قيل :
نعم ، قال : فهل علمتم أحداً من الناس مُنِع أن يصلّي فيه قبلي ! قال :
أنشدكم الله ، هل سمعتم نبيّ الله صلى الله عليه وسلم يذكر كذا وكذا ؛ أشياء
في شأنه ، وذكر الله إياه أيضاً في كتابه المفصّل . قال : ففشا النهي .

قال : فجعل الناس يقولون : مهلاً عن أمير المؤمنين ، قال : وفشا النهي .
قال : وقام الأشر - قال : ولا أدري يومئذ أو في يوم آخر - فقال : لعله
قد مكر به وبكم ! قال : فوطئه الناس ، حتى لقي كذا وكذا ، قال : فرأيت
أشرف عليهم مرة أخرى ، فوعظهم وذكّرهم ، فلم تأخذ فيهم الموعظة .
وكان الناس تأخذ فيهم الموعظة أوّل ما يسمعونها ؛ فإذا أعيدت عليهم لم تأخذ
فيهم . قال : ثمّ إنه فتح الباب ووضع المصحف بين يديه . قال : وذلك أنه
رأى من الليل أنّ نبيّ الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أفطر عندنا
الليلة » .

قال أبو المعتمر : فحدثنا الحسن : أنّ محمد بن أبي بكر دخل عليه ٢٠٠٧/١

فأخذ بلحيته . قال : فقال له : قد أخذت منّا مأخذاً ، وقعدت مني مقعداً ما كان أبو بكر ليقعده أو ليأخذه . قال : فخرج وتركه . قال : ودخل عليه رجل يقال له الموت الأسود . قال : فخنقه ثم خنقه . قال : ثم خرج فقال : والله ما رأيت شيئاً قطّ ألين من حلقة ؛ والله لقد خنقته حتى رأيت نفسه يتردد في جسده كنفس الجان . قال : فخرج .

قال في حديث أبي سعيد : دخل على عثمان رجل ، فقال : بيني وبينك كتاب الله — قال : والمصحف بين يديه — قال : فيُهوَى له بالسيف ، فأتقاه بيده ، فقطعها ، فقال : لا أدري أباؤها أم قطعها ولم يُبْنها . قال : فقال : أما والله إنها لأوّل كفّ خطّت المِفْصَل . وقال في غير حديث أبي سعيد : فدخل عليه التّجبيّ ، فأشعره مِشَقَصاً^(١) فانتضح الدّم على هذه الآية : ﴿ فَتَكْفِيكُمْ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾^(٢) . قال : فلإنها في المصحف ما حُكَّت .

قال وأخذت ابنة الفرّافصة في حديث أبي سعيد حليها فوضعت في حجرها ، وذلك قبل أن يقتل ، قال : فلما أشعِر — أو قال : قتل — ناحت عليه . قال : فقال بعضهم : قاتلها الله ! ما أعظم عجزتها ! قال : فعلمت أن عدو الله لم يرد إلا الدنيا .

وأما سيف ، فإنه قال — فيما كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عنه : ذُكِرَ عن بدر بن عثمان ، عن عمّه ، قال : آخر خطبة خطبها عثمان رضي الله عنه في جماعة : إن الله عزّ وجلّ إنما أعطاكم الدنيا لتطلبوا بها الآخرة ، ولم يعطكموها لتركتوا إليها ، إن الدنيا تفتنى ، والآخرة تبقّى ؛ فلا تبطرنكم الفانية ، ولا تشغلنكم عن الباقية ؛ فأثروا ما يبقى على ما يفنى ؛ فإن الدنيا منقطعة ؛ وإنّ المصير إلى الله . اتقوا الله جلّ وعزّ ، فإن تقواه جنة من بأسه ، ووسيلة عنده ؛ واحذروا من الله الغير ، والزموا جماعتكم ، لا تصيروا أحزاباً ، ﴿ وَادْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾^(٣) .

٢٠٠٨/١

(١) أشعره مشقّصاً : رماه به ، كذا فرسه صاحب اللسان في (شعر) ، وذكر الخبر .

(٢) سورة البقرة ١٣٧ . (٣) سورة آل عمران ١٠٣ .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وأبي حارثة وأبي عثمان ، قالوا : لما قضى عثمان في ذلك المجلس حاجاته وعزم وعزم له المسلمون على الصبر والامتناع عليهم بسلطان الله ، قال : اخرجوا رحمكم الله فكونوا بالباب ، وليجامعكم هؤلاء الذين حبسوا عنى . وأرسل إلى طلحة والزبير وعلى وعدة : أن ادنوا . فاجتمعوا فأشرف عليهم ، فقال : يا أيها الناس ؛ اجلسوا ، فجلسوا جميعاً ؛ المحارب الطارئ ، والمسلم المقيم ، فقال : يا أهل المدينة ؛ إننى أستودعكم الله ، وأسأله أن يحسن عليكم الخلافة من بعدى ؛ وإننى والله لا أدخل على أحد بعد يومى هذا حتى يقضى الله في قضاءه ؛ ولأدعنّ هؤلاء وما وراءه بأبى غير معطيهم شيئاً يتخذونه عليكم دخلاً في دين الله أو دنياً حتى يكون الله عزّ وجلّ الصانع في ذلك ما أحبّ . وأمر أهل المدينة بالرجوع وأقسم عليهم ، فرجعوا إلّا الحسن ومحمداً وابن الزبير وأشباهاً لهم ؛ فجلسوا بالباب عن أمر آبائهم ؛ وثاب إليهم ناس كثير ، ولزم عثمان الدار .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي حارثة وأبي عثمان ومحمد وطلحة ، قالوا : كان الحصر أربعين ليلة والتزول سبعين ، فلما مضت من الأربعين ثمان عشرة ، قدّم ركباً من الوجوه فأخبروا خبر من قد تهيأ إليهم من الآفاق : حبيب من الشام ، ومعاوية من مصر ، والققاع من الكوفة ، وجماشع من البصرة ؛ فعندها حالوا بين الناس وبين عثمان ؛ ومنعوه كلّ شيء حتى الماء ؛ وقد كان يدخل على بالشىء مما يريد . وطلبوا العلل فلم تطلع عليهم علّة ، فعثروا في داره بالحجارة ليُرْمَوْا ؛ فيقولوا : قوتلنا — وذلك ليلاً — فناداهم : ألا تتقون الله ! ألا تعلمون أن في الدار غيرى ! قالوا : لا والله ما رميناك . قال : فمن رمانا ؟ قالوا : الله ، قال : كذبتم ؛ إن الله عزّ وجلّ لو رمانا لم يخطئنا وأنتم تخطئوننا . وأشرف عثمان على آل حنّهم وهم جيرانه ، فسرح ابناً لعمرو إلى علىّ بأنهم قد منعوا الماء ، فإن قلتم أن ترسلوا إلينا شيئاً من الماء فافعلوا . وإلى طلحة وإلى الزبير ، وإلى عائشة رضى الله عنها وأزواج النبيّ صلى الله عليه وسلم ؛ فكان أولهم إنجاداً له علىّ وأمّ حبيبة ؛ جاء علىّ

فى الغلّس، فقال : يا أيّها الناس ؛ إنّ الذى تصنعون لا يشبه أمر المؤمنين ولا أمر الكافرين ؛ لا تقطعوا عن هذا الرجل المادّة ؛ فإنّ الرّوم وفارس لتأسر فتطعم وتسقى ؛ وما تعرّض لكم هذا الرّجل ؛ فبم تستحلّون حصره وقتله ! قالوا : لا والله ولا نعمة عين ؛ لا نتركه يأكل ولا يشرب ؛ فرمى بعمامته فى الدار بأنّى قد نهضت فيما أنهضت^(١) ؛ فرجع . وجاءت أم حبيبة على بغلة لها برحالة^(٢) مشتملة على إداوة ، فقيل : أم المؤمنين أم حبيبة ، فضربوا وجه بغلتها ، فقالت : إنّ وصايا بنى أميّة إلى هذا الرجل ، فأحببت أن ألقاه فأساله عن ذلك كيلا تهلك أموال أيتام وأرامل^(٣) . قالوا : كاذبة ، وأهروا لها وقطعوا جبل البغلة بالسيف ، فندت بأُم حبيبة ، فتلّقها الناس ، وقد مالت رحالتها ، فتعلّقوا بها وأخذوها وقد كادت تقتل ، فذهبوا بها إلى بيتها . وتجهّزت عائشة خارجة إلى الحجّ هاربة ، واستتبت أخاها ، فأبى ؛ فقالت : أما والله لن استطعت أن يحرمهم الله ما يحاولون لأفعلن .

وجاء حنظلة الكاتب حتى قام على محمد بن أبى بكر ، فقال : يا محمد ، تستبعلك أم المؤمنين فلا تتبعها ، وتدعوك ذؤبان العرب إلى ما لا يحلّ فتتبعهم ! فقال : ما أنت وذاك يا بنى التميميّة ! فقال : يا بنى الخثعميّة ؛ إن هذا الأمر إن صار إلى التغالب غلبتك عليه بنو عبد مناف ، وانصرف وهو يقول :

عَجَبْتُ لِمَا يَخْوَضُ النَّاسُ فِيهِ يَرُومُونَ الْخِلَافَةَ أَنْ تَزُولَا
وَلَوْ زَالَتْ لِرِزَالِ الْخَيْرِ عَنْهُمْ وَلَا قَوْا بَعْدَهَا ذُلًّا ذَلِيلًا
وَكَانُوا كَالْيَهُودِ أَوْ النَّصَارَى سَوَاءَ كُلُّهُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَا

ولحق بالكوفة . وخرجت عائشة وهى ممتلئة غيظًا على أهل مصر ، وجاءها مروان بن الحكم فقال : يا أمّ المؤمنين ؛ لو أقمت كان أجدر أن يراقبوا هذا الرجل ، فقالت : أتريد أن يصنع بى كما صنع بأُم حبيبة ، ثم لا أجدر من يمنعنى ! لا والله ولا أعير ولا أدري إلام يسلم أمر هؤلاء ! وبلغ طلحة

(١) كذا فى أصول ط وفى العبارة غموض .

(٢) الرحالة : السرج من جلود ؛ يتخذ للركض الشديد .

(٣) ابن الأثير والنويرى : « الأيتام والأرامل » .

والزبير ما لى على وأم حبيبة ، فلزموا بيوتهم ، وبقى عثمان يسقيه آل حزم في الغفلات ، عليهم الرقباء ، فأشرف عثمان على الناس ، فقال : يا عبدالله ابن عباس - فدعى له - فقال : اذهب فأنت على الموسم - وكان ممن لزم الباب - فقال : والله يا أمير المؤمنين لجهاد هؤلاء أحب إلى من الحج ؛ فأقسم عليه لينطلقن . فانطلق ابن عباس على الموسم تلك السنة ؛ ورمى عثمان إلى الزبير بوصيته ، فانصرف بها - وفي الزبير اختلاف : أدرك مقتله أو خرج قبله - وقال عثمان : ﴿ يَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ... ﴾ ^(١) الآية ، اللهم حل بين الأحزاب وبين ما يأملون كما فعل بأشياعهم من قبل .

٣٠١٢/١

وكتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو بن محمد ، قال : بعثت ليلي ابنة حميس إلى محمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر ، فقالت : إن المصباح يأكل نفسه ، ويضيء للناس ؛ فلا تأثما في أمر تسوقانه إلى من لا يأنس فيكما ؛ فإن هذا الأمر الذي تحاولون اليوم لغيركم غداً ، فاتقوا أن يكون عملكم اليوم حسرة عليكم ؛ فلجأً وخرجاً مغضبين يقولان : لا ننسى ما صنع بنا عثمان ؛ ونقول : ما صنع بكما ! ألا أأزمكما الله ! فلقيهما سعيد ابن العاص ، وقد كان بين محمد بن أبي بكر وبينه شيء ، فأنكره حين لقيه خارجاً من عند ليلي ، فتمثل له في تلك الحال بيتاً :

اسْتَبَقِ وَدَكَ لِلصَّدِيقِ وَلَا تَكُنْ فَيْنَا يَعْصُ بِخَاذِلٍ مِلْجَاجَا
فأجابه سعيد متمثلاً :

تَرَوْنَ إِذَا ضَرَبَا صَمِيمًا مِنَ الذِي لَهُ جَانِبٌ نَاءَ عَنِ الْجُرْمِ مُعَوِرُ

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وأبي حارثة وأبي عثمان ، قالوا : فلما بويع الناس جاء السابق فقصد بالسلامة ، فأخبرهم من الموسم ^(٢) أنهم يريدون جميعاً المصريين وأشياعهم ، وأنهم يريدون أن يجمعوا ذلك إلى حجهم ؛ فلما أتاها ذلك مع ما بلغهم من نفور أهل الأمصار ؛

٣٠١٣/١

أعلقهم الشيطان ، وقالوا : لا يخرِجُنا مما وقعنا فيه إلاّ قتلُ هذا الرجل ؛ فيشتغل بذلك الناس عتاً ، ولم يبق خَصْلَةٌ يرجون بها النجاة إلاّ قتلُهُ . فراموا الباب ؛ ففتحهم من ذلك الحسن وابن الزبير ومحمد بن طلحة ومروان بن الحكم وسعيد ابن العاص ومن كان من أبناء الصحابة أقام معهم ، واجتلدوا ، فناداهم عثمان : الله الله ! أنتم في حِلٍّ من نصرتي فأبوا ، ففتح الباب ، وخرج ومعه الترس والسيف لينهتَهُمْ ؛ فلما رأوه أدبر المصريون ، وركبهم هؤلاء ، ونهتَهُمْ فراجعوا وعظم على الفريقين ، وأقسم على الصحابة ليدخلنَّ ، فأبوا أن ينصرفوا ، فدخلوا فأغلق الباب دون المصريين - وقد كان المغيرة بن الأحنس بن شريق فيمن حجج ، ثم تعجّل في نفر حجتوا معه ، فأدرك عثمان قبل أن يقتل وشهد المناوشة ، ودخل الدار فيمن دخل وجلس على الباب من داخل ؛ وقال : ما عذرنا عند الله إن تركناك ونحن نستطيع ألاّ ندعهم حتى نموت ! فاتخذ عثمان تلك الأيام القرآن تحسباً^(١) ، يصليّ وعنده المصحف ؛ فإذا أعياء جلس فقرأ فيه - وكانوا يرون القراءة في المصحف من العبادة - وكان القوم الذين كفكفهم بينه وبين الباب ؛ فلما بقي المصريون لا يمنهم أحد من الباب ولا يقدرّون على الدخول جاءوا بنار ، فأحرقوا الباب والسقيفة ، فتأجّج الباب والسقيفة ؛ حتى إذا احترق الخشب خرت السقيفة على الباب ، فثار أهل الدار وعثمان يصليّ ؛ حتى منعهم الدخول ؛ وكان أول من برز لهم المغيرة بن الأحنس ، وهو يرتجز :

قد عَلِمَتْ جَارِيَةٌ عُطْبُولُ ذَاتُ وِشَاحٍ وَلَهَا جَدِيلُ

أَتَى يَنْصُلِ السَّيْفِ خَشَلِيلُ لَأُثَمِّنَنَّ مِنْكُمْ خَلِيلِي

• بصارمٍ ليس بنى قُلُولِ •

وخرج الحسن بن عليّ وهو يقول :

لا دينُهُم دِينِي وَلَا أَنَا مِنْهُمْ حَتَّى أُسِيرَ إِلَى طَمَارِ شَمَامٍ

وخرج حمزة بن طلحة وهو يقول :

أَنَا ابْنُ مَنْ حَامَى عَلَيْهِ بِأَحَدٍ وَرَدَّ أَحْزَابًا عَلَى رَغْمِ مَعَدَّةٍ

(١) نجياً : أي هارياً .

وخرج سعيد بن العاص وهو يقول :

صَبَرْنَا غَدَاةَ الدَّارِ وَالْمَوْتُ وَاقِبُ بِأَسْيَافِنَا دُونَ ابْنِ أَرْوَى نُضَارِبُ
وَكُنَّا غَدَاةَ الرَّوْعِ فِي الدَّارِ نُضْرَةُ نُشَافِهِم بِالضَّرْبِ وَالْمَوْتُ ثَاقِبُ
فَكَانَ آخِرَ مَنْ خَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ ؛ وَأَمْرُهُ عَثَانُ أَنْ يَصِيرَ إِلَى أَبِيهِ
فِي وَصِيَّةٍ بِمَا أَرَادَ ، وَأَمْرُهُ أَنْ يَأْتِيَ أَهْلَ الدَّارِ فَيَأْمُرَهُم بِالْانْصِرَافِ إِلَى مَنَازِلِهِمْ ؛
فَخَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ آخِرَهُمْ ؛ فَمَا زَالَ يَدْعِي بِهَا ، وَيَحْدِثُ النَّاسَ عَنْ
عَثَانٍ بِأَخْرِ مَا مَاتَ عَلَيْهِ .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة
وأبي حازمة وأبي عثمان ، قالوا : وأحرقوا الباب وعثمان في الصلاة ، وقد افتتح
﴿ طه . مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴾ ^(١) — وكان سريع القراءة ، فأكثرت
ما سمع ، وما يخطئ وما يتنعم حتى أتى عليها قبل أن يصلوا إليه — ثم عاد فجلس
إلى عند المصحف وقرأ : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا
لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ ^(٢) .

وارتجز المغيرة بن الأحنس وهو دون الدار في أصحابه :

قَدْ عَلِمْتُ ذَاتُ الْقُرُونِ الْمِيلِ وَالْحُلَى وَالْأَنَامِلِ الطُّفُولِ
لِتَصْدُقَنَّ بَيْعَتِي خَلِيلِي بِصَارِمٍ ذِي رَوْتِي مَصْقُولِ
. لَا أَسْتَقِيلُ إِنْ أَقْلْتُ قَبِيلِي .

وأقبل أبو هريرة ، والناس محجمون عن الدار إلا أولئك العُصبة ، فدرسوا ^(٣)
فاستقبلوا ، فقام معهم ، وقال : أنا لاسوتكم ؛ وقال هذا يوم طاب امضرب
— يعني أنه حل القتال ، وطاب وهذه لغة حمير ^(٤) — فنادى : يا قوم ، مالي
أدعوكم إلى النجاة وتدمعونني إلى النار ! وبأس مروان يومئذ نادى :
رجل رجل ، فبرز له رجل من بني لبيث يدعى النخاع فاحتاك ، فضربه

(١) سورة طه ٢٤١ . (٢) سورة آل عمران ١٧٣ .
(٣) درسوا : دفنوا . (٤) انظر اللسان (طيب) .

مروان أسفل رجله ، وضربه الآخر على أصل العنق فقلبه ، فانكب مروان ، واستلقى ، فاجتر هذا أصحابه ، واجتر الآخر أصحابه ؛ فقال المصريون : أما والله لولا أن تكونوا^(١) حجة علينا في الأمة لقد قتلناكم بعد تحذير^(٢) ، فقال المغيرة : من يبارز ؟ فبرز له رجل فاجتلد ، وهو يقول :

أَضْرِبُهُمْ بِالْيَاسِ ضَرْبَ غَلَامٍ بِائِسٍ
• من الحياءِ آيس •

فأجابه صاحبه...^(٣) . وقال الناس : قتل المغيرة بن الأخنس ، فقال الذى قتله : إنا لله ! فقال له عبد الرحمن بن عديس : مالك ؟ قال : إني أُتيت فيما يرى النائم ، فقيل لى : بشر قاتل المغيرة بن الأخنس بالنار ؛ فابتليت به ، وقتلت قبائث الكيناني نيار بن عبد الله الأسلمي ، واقتحم الناس الدار من الدور التي حولها حتى ملئوها ولا يشعر الذين بالباب ، وأقبلت القباس على أبنائهم ؛ فذهبوا بهم إذ غلبوا على أميرهم ، وندبوا رجلا لقتله ، فانتدب له رجل ، فدخل عليه البيت ، فقال : اخلعها وندعك ، فقال : ويحك ! والله ما كشفت امرأة في جاهلية ولا إسلام ، ولا تغنيت ولا تمنيت ، ولا وضعت يميني على عورتي منذ بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ ولست خالعا قميصا كسانيه الله عز وجل ، وأنا على مكاني حتى يكرم الله أهل السعادة ، ويهين أهل الشقاء^(٤) .

فخرج وقالوا : ما صنعت ؟ فقال : عليقنا والله ؛ والله ما ينجينا من الناس إلا قتله ، وما يحل لنا قتله ؛ فأدخلوا عليه رجلا من بني ليث ، فقال : ممن الرجل ؟ فقال : ليثي ؛ فقال : لست بصاحبي ، قال : وكيف ؟ فقال : ألت الذي دعا لك النبي صلى الله عليه وسلم في نفر أن تحفظوا يوم كذا وكذا ؟ قال : بلى ، قال : فلن تضيع ؛ فرجع وفارق القوم ، فأدخلوا عليه رجلا من قريش ، فقال : يا عثمان ؛ إني قاتلك ، قال : كلا يا فلان ، لا تقتلني ، قال : وكيف ؟ قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم استغفر لك يوم كذا وكذا ؛ فلن تقارف دمًا حرامًا . فاستغفر ورجع ، وفارق أصحابه

(١) ط : « لا أن تكونوا » (٢) في الأصول من غير نقط ، والمثبت أقرب الكلمات في هذا المقام .
(٣) هنا نقص في أصول ط .
(٤) ابن الأثير والنويري : « الشقاوة » .

فأقبل عبد الله بن سلام حتى قام على باب الدار ينهاهم عن قتله ، وقال : يا قوم لا تسلبوا سيف الله عليكم ؛ فوالله إن سلتموه لا تغمدوه ، ويلكم ! إن سلطانكم اليوم يقوم بالدرة ؛ فإن قتلتموه لا يقوم ^(١) إلا بالسيف . ويلكم ! إن مدينتكم محفوفة بملائكة الله ؛ والله لئن قتلتموه لتركنتها ؛ فقالوا : يا بن اليهودية ؛ وما أنت وهذا ! فرجع عنهم .

قالوا : وكان آخر من دخل عليه من رجع إلى القوم محمد بن أبي بكر ، فقال له عثمان : ويلك ! أعلی الله تغضب ! هل لي إليك جرم إلا حقّه ^(٢) أخذته منك ! فنكل ورجع .

قالوا : فلما خرج محمد بن أبي بكر وعرفوا انكساره ، ثار قتيبة وسودان ابن حمران السكونيان والغافقي ؛ فضربه الغافقي بجديدة معه ، وضرب ^{٣٠١٨/١} المصحف برجله فاستدار المصحف ، فاستقر بين يديه ؛ وسالت عليه الدماء ؛ وجاء سودان بن حمران ليضربه ، فانكبّت عليه نائلة ابنة الفرافصة ، واتقت السيف بيدها ، فتعمدها ، ونفخ أصابعها ، فأطن أصابع يديها وولت ؛ فغمز أوراكها ، وقال : إنها لكبيرة العجيزة ، وضرب عثمان فقتله ، ودخل غلمة لعثمان مع القوم لينصروه — وقد كان عثمان أعتق من كَفّ منهم — فلما رأوا سودان قد ضربه ، أهوى له بعضهم فضرب عنقه فقتله ، وثب قتيبة على الغلام فقتله ، وانهبوا ما في البيت ؛ وأخرجوا من فيه ، ثم أغلقوه على ثلاثة قتلى . فلما خرجوا إلى الدار ، وثب غلام لعثمان آخر على قتيبة فقتله ، ودار القوم فأخذوا ما وجدوا ؛ حتى تناولوا ما على النساء ، وأخذ رجل ملاءة نائلة — والرجل يدعى كلثوم بن نجيب — فتنحّت نائلة ، فقال : وبع أمك من عَجِيزَة ما أتمك ! وبصر به غلام لعثمان فقتله وقَتِل ، وتنادى القوم : أبصر رجل من صاحبه ، وتنادوا في الدار : أدركوا بيت المال لا تسبقوا ^(٣) إليه ؛ وسمع أصحاب بيت المال أصواتهم ؛ وليس فيه إلا غيرانتان ، فقالوا : السجاء ؛ فإن القوم إنمّا يحاولون الدنيا ، فهربوا وأتوا بيت المال فانتهبوه ، وماج ^{٣٠١٩/١}

(١) النويري : « لا يقيم » . (٢) كذا في ط ؛ ولعله : « لا أحقه » ، أي لا أذكره .

(٣) ابن الأثير : « ولا تسبقوا » . ابن كثير : « ولا يستقروا إليه » .

الناس فيه ، فالتأني^(١) يسترجع ويكي ، والطارئ يفرح . وندم القوم ، وكان الزبير قد خرج من المدينة ، فأقام على طريق مكة ثلاثاً يشهد مقتله ، فلما أتاه الخبر بمقتل عثمان وهو بحيث هو ، قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ! رحم الله عثمان . وانتصر له ؛ وقيل : إن القوم نادمون ؛ فقال : دبّروا دبّروا ، ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ . . ﴾^(٢) الآية . وأتى الخبر طلحة ، فقال : رحم الله عثمان ! وانتصر له وللإسلام ؛ وقيل له : إن القوم نادمون ، فقال تبّاً لهم ! وقرأ : ﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴾^(٣) . وأتى على فقيل : قُتِلَ عثمان ، فقال رحم الله عثمان ، وخلف علينا بخير ! وقيل : ندم القوم ، فقرأ : ﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ ... ﴾^(٤) ، الآية . وطُلب سعد ، فإذا هو في حائطه ، وقد قال : لا أشهد قتله ، فلما جاءه قتله قال : فررنا إلى المدنية تدنينا ؛ وقرأ : ﴿ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾^(٥) . اللهم أند منهم ثم خذهم .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الجالد ، عن الشعبي ، عن المغيرة بن شعبة ، قال : قلت لعلي : إن هذا الرجل مقتول ؛ وإنه إن قتل وأنت بالمدينة اتخذوا فيك ، فأخرج فكن بمكان كذا وكذا ؛ فلأنك إن فعلت وكنت في غار باليمن طلبك الناس ؛ فأبى وحصر عثمان اثنين وعشرين يوماً ؛ ثم أحرقوا الباب ؛ وفي الدار أناس كثير ؛ فيهم عبد الله بن الزبير ومروان ، فقالوا : ائذن لنا ؛ فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد إلى عهداً ، فأنا صابر عليه ؛ وإن القوم لم يحرقوا باب الدار إلا وهم يطلبون ما هو أعظم منه ؛ فأخرج على رجل^(٦) يستقتل ويقاتل^(٧) ؛ وخرج الناس كلهم ؛ ودعا بالمصحف يقرأ فيه والحسن عنده ، فقال : إن أباك الآن لي أمر عظيم ؛ فأقسمت عليك لما خرجت ! وأمر عثمان أبا كريب رجلاً من همدان—

٣٠٢٠/١

(١) التأني : المقيم .

(٢) سورة سبأ ٥٤ .

(٣) سورة يس ٥٠ .

(٤) سورة الحشر ١٦ .

(٥) سورة الكهف ١٠٤ .

(٦-٦) ابن الأثير : « أن يستقتل أو يقاتل » .

وآخر من الأنصار أن يقوما على باب بيت المال ؛ وليس فيه إلا غيرارتان من ورق ؛ فلما أطفئت النار بعد ما ناوشهم ابنُ الزبير ومروان ، وتوعد محمد بن أبي بكر ابنَ الزبير ومروان ؛ فلما دخل على عثمان هربا . ودخل محمد بن أبي بكر على عثمان ؛ فأخذ بلحيته ، فقال : أرسل لي حتى ؛ فلم يكن أبوك ليتناولها . فأرسلها ؛ ودخلوا عليه ؛ فنهزم من يجرؤه بنعل سيفه ، وآخر يلكزه ؛ وجاء رجل بمشاقص معه ، فوجأه في ترقوته ، فسال الدّم على المصحف وهم في ذلك يهابون في قتله ؛ وكان كبيراً ؛ وغشى عليه . ودخل آخرون فلما رأوه مغشياً عليه جرّوا برجله ؛ فصاحت نائلة وبناته ؛ وجاء التّجيبى مختبطاً سيفه ليضعه في بطنه ، فوقته نائلة ، فقطع يدها ، واتكأ بالسيف عليه في صدره . وقتل عثمان رضى الله عنه قبل غروب الشمس ، ونادى مناد : ما يحلّ دمه ويخرج ماله ؛ فانتهبوا كلّ شيء ، ثم تبادلوا بيت المال ، فألقى الرّجلان المفاتيح ونجوا ، وقالوا : الهرب الهرب ! هذا ما طلب القوم .

وذكر محمد بن عمر ، أن عبد الرحمن بن عبد العزيز حدثه عن عبد الرحمن ابن محمد ، أن محمد بن أبي بكر تسوّر على عثمان من دار عمرو بن حزم ، ومعه كنانة بن بشر بن عتاب ، وسودان بن حمران ، وعمرو بن الحمق ؛ فوجدوا عثمان عند امرأته نائلة وهو يقرأ في المصحف في سورة البقرة ، فتقدّمهم محمد بن أبي بكر ؛ فأخذ بلحية عثمان ، فقال : قد أخزأك الله يا نعل ! فقال عثمان : لست بنعل ؛ ولكنى عبدُ الله وأمير المؤمنين . قال محمد : ما أغنى عنك معاوية وفلان وفلان ! فقال عثمان : يابن أخى ، دَعُ عنك لحيتى ؛ فما كان أبوك ليقبض على ما قبضت عليه . فقال محمد : لو رآك أبى تعمل هذه الأعمال أنكرها عليك ؛ وما أريد بك أشدّ من قبضى على لحيّتك ؛ قال عثمان : أستنصر الله عليك وأستعين به . ثم طعن جبينه بمشقة في يده . ورفع كنانة بن بشر مشاقص كانت في يده ، فوجأ بها في أصل أذن عثمان ، فضت حتى دخلت في حلقه ، ثم علاه بالسيف حتى قتله ؛ فقال عبد الرحمن : سمعت أبا عون يقول : ضرب كنانة بن بشر جبينه

ومقدّم رأسه بعمود حديد ، فخرّ بلجينه ، فضرّبه سودان بن حُمران المرادى بعد ما خرّ بلجينه فقتله .

قال محمد بن عمر : حدّثنى عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن عبد الرحمن ابن الحارث ، قال : الذى قتله كنانة بن بشر بن عتاب التّجيبى . وكانت امرأة منظور بن سيار الفزارى تقول : خرجنا إلى الحجّ ؛ وما علمنا لعُمان بقتل ؛ حتى إذا كنّا بالعَرَج سمعنا رجلاً يتغنّى تحت الليل :

ألا إنّ خيرَ الناس بعد ثلاثةٍ قَتيلُ التّجيبى الذى جاء من مِصرٍ

قال : وأما عمرو بن الحمق فوثب على عُمان ، فجلس على صدره وبه رمق ، فطعنه تسعَ طعنات . قال عمرو : فأما ثلاثُ منهنّ فلانى طعنتهنّ إِيّاه لله ؛ وأما ستّ فلانى طعنتهنّ إِيّاه لما كان فى صدرى عليه .

قال محمد : وحدّثنى إسحاق بن يحيى ، عن موسى بن طلحة ، قال : رأيت عُروة بن شَيْسَم ضرب مروان يوم الدّار بالسيف على رقبته ، فقطع إحدى عِلْبَاويه ^(١) ، فعاش مروان أَوْقَصَ ^(٢) ؛ ومروان الذى يقول :

مَا قُلْتُ يَوْمَ الدّارِ لِلْقَوْمِ حَاجِزُوا رُؤَيْدًا وَلَا اسْتَبَقُوا الْحَيَاةَ عَلَى الْقَتْلِ وَلَكِنِّي قَدْ قُلْتُ لِلْقَوْمِ مَا صِغُوا بِأَسْيَافِكُمْ كَيْمَا يَصِلْنَ إِلَى الْكَهْلِ ^(٣)

قال محمد الواقدى : وحدّثنى يوسف بن يعقوب ، عن عُمان بن محمد الأخنسى ، قال : كان حصر عُمان قبل قدوم أهل مصر ، فقدم أهل مصر يوم الجمعة ، وقتلوه فى الجمعة الأخرى .

وحَدّثنى عبد الله بن أحمد المروزى ، قال : حدّثنى أبى ، قال : حدّثنى سليمان ، قال : حدّثنى عبد الله ، عن حرْملة بن عمران ، قال : حدّثنى يزيد بن أبى حبيب ، قال : ولّى قتلَ عُمان نهران الأصْبَحَى ، وكان قَاتِلَ عبد الله بن بُسْرة ؛ وهو رجل من بنى عبد الدّار .

قال محمد بن عمر : وحدّثنى الحكم بن القاسم ، عن أبى عَوْن مولى

(١) العلباء : عصابة صفراء فى صفحة المنق . (٢) الأوقص : قصير العنق .

(٣) ما صموا : قاتلوا وجالدوا .

المِسُور بن مخرمة ، قال : ما زال المصريون كافّين عن دمه وعن القتال ؛ حتى قدمت أمدادُ العراق من البصرة ومن الكوفة ومن الشام ؛ فلما جاءوا شجعوا القوم ؛ وبلغهم أنّ البعوث قد فصلت من العراق ومن مصر من عند ابن سعد ؛ ولم يكن ابن سعد بمصر قبل ذلك ؛ كان هارباً قد خرج إلى الشام ، فقالوا : نعالجه قبل أن تقدم الأمداد .

قال محمد : وحدّثني الزبير بن عبد الله ، عن يوسف بن عبد الله بن سلام ، قال : أشرف عثمان عليهم وهو محصور ؛ وقد أحاطوا بالدّار من كلّ ناحية ، فقال : أنشدكم بالله جلّ وعزّ ؛ هل تعلمون أنّكم دعوتم الله عند مصاب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن يخير لكم ، وأن يجمّعكم على خيركم ! فإنا ظنّكم بالله ! أتقولونه : لم يستجب لكم ، وهنّتم على الله سبحانه ، وأنتم يومئذ أهل حقّه من خلقه ، وجميع أموركم لم تتفرّق ! أم تقولون : هان على الله دينه فلم يبال مَنْ ولاه ، والدّين يومئذ يُعبد به الله ولم يتفرّق أهله ؛ فتوكلوا وتخذلوا ، وتعاقبوا ! أم تقولون : لم يكن أخذٌ عن مشورة ؛ وإنما كابرتم مكابرة ، فوكلّ الله الأمة إذا عصته لم تشاوروا في الإمام ، ولم تجتهدوا في موضع كراهته ! أم تقولون : لم يندّر الله ما عاقبة أمرى ؛ فكنت في بعض أمرى محسنًا ، ولأهل الدين رضا ، فما أحدثت بعدُ في أمرى ما يستخطّ الله ، وتسخّطون بما لم يعلم الله سبحانه يوم اختارني وسرّبني سرّبال كرامته ! وأنشدكم بالله ، هل تعلمون لي من سابقة خير وسلف خير قدّمه الله لي ، وأشهدني من حقّه ! وجهادُ عدوّه حقٌّ على كلّ مَنْ جاء بعدى أن يعرفوا لي فضلها . فمهلاً ، لا تقتلوني ؛ فإنه لا يحلّ إلا قتل ثلاثة : رجل زنى بعد إحصائه ، أو كفر بعد إسلامه ، أو قتل نفساً بغير نفس فيقتل بها ؛ فإنكم إن قتلتموني وضعتّ السيف على رقابكم ؛ ثم لم يرفعه الله عزّ وجلّ عنكم إلى يوم القيامة . ولا تقتلوني فإنكم إن قتلتموني لم تصلّوا من بعدى جميعاً أبداً ، ولم تقتسموا بعدى فيشاً جميعاً أبداً ، ولن يرفع الله عنكم الاختلاف أبداً .

قالوا له : أمّا ما ذكرت من استخارة الله عزّ وجلّ الناس بعد عمر رضى

الله عنه فيمن يولّون عليهم ، ثم ولّوك بعد استخارة الله ؛ فإنّ كلّ ما صنع الله الخيرة ؛ ولكن الله سبحانه جعل أمرك بليّة ابتلى بها عباده . وأما ما ذكرت من قِدَمِك وسبقك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنك قد كنت ذا قِدَمٍ وسلف ، وكنت أهلاً للولاية ؛ ولكن بدّلت بعد ذلك ، وأحدثت ما قد علمت . وأما ما ذكرت مما يصيبنا إن نحن قتلناك من البلاء ؛ فإنه لا ينبغي ترك إقامة الحقّ عليك مخافة الفتنة عامّاً قابلاً . وأما قولك : إنه لا يحلّ إلاّ قتل ثلاثة ؛ فإننا نجد في كتاب الله قتلَ غير الثلاثة الذين سميت ؛ قتلَ مَنْ سعى في الأرض فساداً ، وقتلَ مَنْ بغى ثم قاتل على بغيه ، وقتلَ مَنْ حال دون شيء من الحق ومنعه ثم قاتل دونه وكابر عليه ؛ وقد بغيت ، ومنعت الحقّ ، وحلّلت دونه ؛ وكابرت عليه ؛ تأبى أن تُقيدَ من نفسك مَنْ ظلمت عمداً ، وتمسكت بالإمارة علينا وقد جرّرت في حكمك وقسّمتك ! فإن زعمت أنك لم تكابرنا عليه ، وأنّ الذين قاموا دونك ومنعوك منا إنما يقاتلون بغير أمرك ؛ فإنما يقاتلون لتمسّكك بالإمارة ؛ فلو أنّك خلعت نفسك لانصرفوا عن القتال دونك .

• • •

ذكر بعض سير عثمان بن عفان رضي الله عنه

حدثني زياد بن أيوب ، قال : حدثنا هشيم ، قال : زعم أبو المقدام ، عن الحسن بن أبي الحسن ، قال : دخلت المسجد ؛ فإذا أنا بعثمان بن عفان متكئاً على رداءه ، فأتاه سقاءوان يختصمان^(١) ، ففضى بينهما .

وفيما كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمارة بن القعقاع ، عن الحسن البصريّ ، قال : كان عمرُ بن الخطاب قد حجّر على أعلام قُرَيش من المهاجرين الخروج في البلدان إلاّ بإذن وأجل ، فشكوه فبلغه ، فقام فقال : ألا إنّي قد سنت الإسلام سنّ البعير ؛ يبدأ فيكون جدّ عمّاً ، ثم ثنيّاً ، ثم رباعيّاً ، ثم سدّيساً ، ثم بازلاً^(٢) ، ألا فهل يُستظر بالبازل

(١) ابن الأثير : « يختصمان إليه » . (٢) الفتي : الذي يلي ثنيته ، ويكون ذلك في ذي الظلف والخافر في السنة الثالثة ، والجدع قبله ، والرباعي : الذي أتى رباعيته ؛ وهو ما كان بعد الفتي ، والسدّيس : ما أتت عليه السادسة ، والبازل : الذي انشق نابه بدخوله في السنة التاسعة .

٣٠٢٦/١ إلا النقصان ! ألا فإنّ الإسلام قد بَزَلَ . ألا وإنّ قريشاً يريدون أن يتخذوا مال الله معونات دون عباده ، ألا فأما وابن الخطاب حتى فلا ؛ إني قائم دون شِعب الحرّة ، آخذ بحلّاقم قريش وحُجَرتِها أن يتهافتوا في النار .

وكتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قال : فلما وليّ عثمان لم يأخذهم بالذي كان يأخذهم به عمر ، فانساحوا في البلاد ، فلما رأوها ورأوا الدنيا ، ورآهم الناس ، انقطع إليهم من لم يكن له طول ولا مزية في الإسلام ؛ فكان مغموماً^(١) في الناس ، وصاروا أوزاعاً إليهم وأملوهم ، وتقدّموا في ذلك فقالوا : يملكون فنكون قد عرفناهم ، وتقدّمنا في التقرب والانقطاع إليهم ، فكان ذلك أوّل وهنٍ دخل على الإسلام ؛ وأوّل فتنة كانت في العامّة ، ليس إلاّ ذلك .

وكتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو ، عن الشعبيّ ، قال : لم يمّت عُمر رضى الله عنه حتى ملّته قريش ، وقد كان حصرهم بالمدينة ، فامتنع عليهم ، وقال : إنّ أخوفّ ما أخاف على هذه الأمة انتشاركم في البلاد ؛ فإن كان الرجل ليستأذنه في الغزو — وهو ممن حبس بالمدينة من المهاجرين ؛ ولم يكن فعل ذلك بغيرهم من أهل مكة — فيقول : قد كان في غزوكم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبلغك ؛ وخير لك من الغزو اليوم ألاّ ترى الدنيا ولا تراك ، فلما وليّ عثمان خلّى عنهم ، فاضطربوا في البلاد ، وانقطع إليهم الناس ، فكان أحبّ إليهم من عمر .

٣٠٢٧/١ كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن مبشر بن الفضيل ، عن سالم بن عبد الله ، قال : لما وليّ عثمان حجّ سنواته كلها إلا آخر حجة ، وحجّ بأزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان يصنع عمر ؛ فكان عبد الرحمن ابن عوف في موضعه ؛ وجعل في موضع نفسه سعيد بن زيد ؛ هذا في مؤخّر القطار ، وهذا في مقدّمه ، وأمين الناس ؛ وكتب في الأمصار أن يوافيه العمال في كلّ موسم ومن يشكّوهم . وكتب إلى الناس إلى الأمصار ؛ أن ائتمروا بالمعروف ، وتناهوا عن المنكر ، ولا يُذِلّ المؤمن نفسه ، فإنّي مع الضعيف على القوى ما دام مظلوماً إن شاء الله . فكان الناس بذلك ، فجرى ذلك إلى

(١) مغموماً ، أى مغلى ، وهو استعمال قديم لأهل المدينة . وانظر شفاء الغليل ١٩٣ .

أن اتخذهم أقوام^١ وسيلة^٢ إلى تفريق الأمة .

وكتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالوا :
لم تمض سنة من إمارة عثمان حتى اتخذ رجال من قريش أموالاً في الأمصار ،
وانقطع إليهم الناس ، وثبتوا سبع سنين ، كل قوم يحبّون أن يكلّ صاحبهم .
ثم إن ابن السوداء أسلم ، وتكلّم وقد فاضت الدنيا ، وطلعت الأحداث على
يديه ، فاستطالوا عُسْرَ عثمان رضي الله عنه .

وكتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عثمان بن حكيم
ابن عباد بن حنيفة ، عن أبيه ، قال : أوّل منكر ظهر بالمدينة حين فاضت
الدنيا ، وانتهى وُسْعُ الناس طيّران الحمام والرّمي على الجّلاهقات^(١) ، فاستعمل
عليها عثمان رجلاً من بني ليث سنة ثمان ، فقصّها وكسر الجّلاهقات .

٣٠٢٨/١

وكتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن عبد الله ،
عن عمرو بن شعيب ، قال : أوّل من منع الحمام الطيّارة والجّلاهقات
عثمان ؛ ظهرت بالمدينة فأمرَ عليها رجلاً ، فقتلهم منها .

وكتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن سهل بن يوسف ،
عن القاسم بن محمد ، عن أبيه نحوه منه ؛ وزاد : وحدث بين الناس النّشو .
قال : فأرسل عثمان طائفة يطوف عليهم بالعصا ، فقتلهم من ذلك ، ثم اشتدّ
ذلك فأفشى الحدود ، ونبأ ذلك عثمان ، وشكاه إلى الناس ، فاجتمعوا على أن
يجلّدوا في النّبذ ، فأخذ نفرٌ منهم فجلّدوا .

وكتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن مبشر بن الفضيل ،
عن سالم بن عبد الله ، قال : لما حدثت الأحداث بالمدينة خرج منها رجال
إلى الأمصار مجاهدين ، ولیدنوا من العرب ؛ فقتلهم من أتى البصرة ، ومنهم
من أتى الكوفة ، ومنهم من أتى الشام ، فهجموا جميعاً من أبناء المهاجرين
بالأمصار على مثل ما حدث في أبناء المدينة إلّا ما كان من أبناء الشام ،
فرجعوا جميعاً إلى المدينة إلّا من كان بالشام ، فأخبروا عثمان بخبرهم ؛ فقام

(١) الجّلاهق كملابط : قوس البندق الذي يرمى به .

(٢) ابن الأثير : «قص الطيور وكسر الجّلاهقات» .

عثمان في الناس خطيباً، فقال : يا أهل المدينة ؛ أنتم أصل الإسلام ؛ وإنما يفسد الناس بفسادكم ، ويصلحون بصلاحكم ؛ والله والله لا يبلغني عن أحد منكم حدث أحدثه إلا سيّره ؛ ألا فلا أعرفنّ أحداً عرض دون أولئك بكلام ولا طلب ، فإن من كان قبلكم كانت تقطع أعضاؤهم دون أن يتكلم أحد منهم بما عليه ولا له . وجعل عثمان لا يأخذ أحداً منهم على شرّ أو شهتر سلاح : عصاً فما فوقها إلا سيّره ؛ فضجّ أبّاؤهم من ذلك حتى بلغه أنهم يقولون : ما أحدث التسيير إلا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيّر الحكم بن أبي العاص ، فقال : إن الحكم كان مكياً ، فسيّره رسول الله صلى الله عليه وسلم منها إلى الطائف ، ثم رده إلى بلده ؛ فرسول الله صلى الله عليه وسلم سيّره بذنبه ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم رده بعفوه . وقد سيّر الخليفة من بعده ؛ وعمر رضى الله عنه من بعد الخليفة ، وإيم الله لآخذن العفو من أخلاقكم ، ولا بذلته لكم من خلق ؛ وقد دنت أمور ، ولا أحب أن تحل بنا وبكم ؛ وأنا على وجلٍ وحذر ، فاحذروا واعتبروا .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عبد الله بن سعيد ابن ثابت ويحيى بن سعيد ، قالوا : سأل سائل سعيد بن المسيّب عن محمد بن أبي حذيفة : ما دعاه إلى الخروج على عثمان ؟ فقال : كان يتيمّاً في حجر عثمان ، فكان عثمان والى أيتام أهل بيته ؛ ويحتمل كلّهم ؛ فسأل عثمان العمل حين ولّى ، فقال : يا بني ، لو كنت رضا ثم سألتني العمل لاستعملتك ، ولكن لست هناك ! قال : فأذن لي فلا أخرج فلا أطلب ما يقوتني ، قال : اذهب حيث شئت ؛ وجهّزه من عنده ، وحمله وأعطاه ، فلما وقع إلى مصر كان فيمن تغيّر عليه أن منعه الولاية . قيل : فعمّار بن ياسر ؟ قال : كان بينه وبين عباس بن عتبة بن أبي لهب كلام ، ففرضهما عثمان ، فأورث ذلك بين آل عمّار وآل عتبة شراً حتى اليوم ، وكسني عمّا ضرباً عليه وفيه .

٣٠٣٠/١

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عبد الله بن سعيد ابن ثابت ، قال : فسألت ابن سليمان بن أبي حشمة ، فأخبرني أنه تقاذف . كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن مبشر ، قال : سألت

سالم بن عبد الله عن محمد بن أبي بكر: ما دعاه إلى ركوب عثمان؟ فقال: الغضب والطمع، قلت: ما الغضب والطمع؟ قال: كان من الإسلام بالمكان الذي هو به، وغرّه أقوام فطمع. وكانت له دالة فلزمه حق، فأخذته عثمان من ظهره، ولم يدهن؛ فاجتمع هذا إلى هذا، فصار مذمماً بعد أن كان محمداً.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن مبشر، عن سالم ابن عبد الله، قال: لما وكّى عثمان لأن لهم، فانزع الحقوق انتزاعاً، ولم يعطل حقاً، فأحبوه على لينة، فأسلمهم ذلك إلى أمر الله عز وجل.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن سهل، عن القاسم، قال: كان مما أحدث عثمان فرضي به منه أنه ضرب رجلاً في منازعة استخف فيها بالعباس بن عبد المطلب، ف قيل له، فقال: نعم، أيفخّم رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه، وأرخص في الاستخفاف به! لقد خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم من فعل ذلك، ومن رضى به منه.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن رزيق بن عبد الله الرازي، عن علقمة بن مرثد، عن حمران بن أبان؛ قال: أرسلني عثمان إلى العباس بعد ما بويع، فدعوته إليه، فقال: مالك تعبدتني! قال: لم أكن قط أحوج إليك مني اليوم، قال: الزم خمساً؛ لا تنازعك الأمة خزائنها ما لزمتهما، قال: وما هن؟ قال: الصبر عن القتل، والتجيب، والصفح، والمدارة، وكتان السر.

وذكر محمد بن عمر، قال: حدثني ابن أبي سبرة، عن عمرو بن أمية الضمري، قال: إن قريشاً كان من أسن منهم مولعاً بأكل الخزيرة؛ وإني كنت أتعتني مع عثمان خنزيراً من طبخ من أجود ما رأيت قط، فيها بطون الغنم، وأدومها اللبن والسمن، فقال عثمان: كيف ترى هذا الطعام؟ فقلت: هذا أطيب ما أكلت قط، فقال: يرحم الله ابن الخطاب! أكلت

معه هذه الخزيرة قطّ ؟ قلت : نعم ؛ فكادت اللقمة تَفَرَّتْ^(١) في يدي حين أهوى بها إلى فمي ؛ وليس فيها لحم ؛ وكان أذمها السمن ولا لبن فيها . فقال عثمان : صدقت ، إنَّ عمرَ رضى الله عنه أحبَّ والله من تبع أثره ؛ وإنه كان يطلب بِشَنِيهِ عن هذه الأمور ظَلَفًا^(٢) . أما والله ما آكله من مال المسلمين ؛ ولكنى آكله من مالى ؛ أنت تعلم أنى كنت أكثرَ قریش مالا ، وأجدتهم فى التجارة ؛ ولم أزل آكل من الطعام ما لان منه ؛ وقد بلغت سنًا فأحبُّ الطعام إلىَّ ألبس ؛ ولا أعلم لأحد علىَّ فى ذلك تَبِيعَةً .

قال محمد : وحدثنى ابنُ أبى سبَّرة ، عن عاصم بن عبيد الله ، عن عبد الله ابن عامر ، قال : كنت أَطِيرُ مع عثمان فى شهر رمضان ؛ فكان يأتينا بطعام هو ألبس من طعام عمر ، قد رأيت على مائدة عثمان الدرَّ مَمَك الجيد وصغار الضأن كلَّ ليلة ؛ وما رأيت عمر قطّ أكل من الدقيق منخولا ، ولا أكل من الغنم إلاَّ مَسَانِهَا ، فقلت لعثمان فى ذلك ، فقال : يرحم الله عمر ! ومن يطيق ما كان عمر يطيق !

قال محمد : وحدثنى عبدُ الملك بن يزيد بن السائب ، عن عبد الله بن السائب ، قال : أخبرنى أبى ، قال : أوَّل فسطاط رأيتُه بمنى فسطاط لعثمان ، وآخر لعبد الله بن عامر بن كُرَيْز ، وأوَّل مَنْ زاد النداء الثالث يوم الجمعة على الزَّوراء عثمان ، وأوَّل مَنْ نُحِلَّ له الدقيق من الولاة عثمان رضى الله عنه .

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالوا : بلغ عثمان أنَّ ابنَ ذى الحُبَيْكة انشَهدى يعالج نيرنجًا — قال محمد بن سلمة : إنما هو نيرج^(٣) — فأرسل إلى الوليد بن عتبة ليسأله عن ذلك ؛ فإنَّ أقرَّ به فأوجعنه ، فدعا به فسأله ، فقال : إنما هو رِفْق وأمرٌ يعجب منه ؛ فأمر به فعزَّر ، وأخبر الناس خبره ، وقرأ عليهم كتاب عثمان : إنه قد جُدَّ بكم ، فعليكم بالجِدِّ ؛ وإياكم والهزَّال ؛ فكان الناس عليه ؛ وتعجبوا من وقوف عثمان

(١) تفرَّتْ ؛ أى تنشق وتتناثر .

(٢) ظلف نفسه عن الشيء يظلفها ظلفاً ؛ أى منها من أن تفعله .

(٣) النيرج : أخذ كالسحر وليس به .

على مثل خبره ، فغضب ، فنفر في الذين نفروا ، فضرب معهم ، فكتب إلى عثمان فيه ، فلما سير إلى الشام من سِير ، سير كعب بن ذي الحبكة ومالك ابن عبد الله - وكان دينه كدينه - إلى دُنياوند ؛ لأنها أرض سَحيرة ، فقال في ذلك كعب بن ذي الحبكة للوليد :

لَعَمْرِي لئن طردتني ما إلى التي طمعت بها من سَقَطَتِي لَسَبِيلُ
رَجَوْتُ رُجوعِي يابنَ أروى وَرَجَعَتِي إلى الحقِّ دَهْرًا غَالِ ذلك غُولُ
وإن اغترابِي في البلاد وَجَفَوَتِي وَشَتِي في ذات الإله قليلُ
وإن دُعَاي كلِّ يومٍ وَليلةٍ عَلَيْكَ بِدُنْيَاوَنَدِكُمْ لَطَوِيلُ

فلما ولي سعيده أقفله ، وأحسن إليه واستصلحه ، فكفره ، فلم يزد إلا فساداً . واستعار ضابئ بن الحارث البرجمي في زمان الوليد بن عقبة من قوم من الأنصار كلباً يدعى قَرَحان ، يصيد الطباء ، فحبسه عنهم ، فنافره الأنصارىون ، واستغاثوا عليه بقومه فكاثروه ، فانتزعوه منه وردّوه على الأنصار ، فهجّاهم وقال في ذلك :

تَحَسَّمْ دُونِي وَفَدُّ قَرَحَانَ خَطَّةً تَضِلُّ لَهَا الْوَجَنَاءُ وَهِيَ حَسِيرٌ^(١)
فَبَاتُوا شِبَاعًا نَاعِمِينَ كَأَنَّمَا حَبَاهُمْ بَيْتِ الْمَرْزُبَانِ أَمِيرِ
فَكَلْبِكُمْ لَا تَتَرُكُوا فَهْوَ أَثْمُكُمْ فَإِنَّ عَقُوقَ الْأُمَمَاتِ كَبِيرُ

فاستعدوا عليه عثمان ، فأرسل إليه ، فعزّره وحبسه كما كان يصنع بالمسلمين ، فاستقل ذلك ، فما زال في الحبس حتى مات فيه . وقال في الفتك يعتذر إلى أصحابه :

هَمَمْتُ وَلَمْ أَفْعَلْ وَكَدْتُ وَلَيْتَنِي فَعَلْتُ وَوَلَّيْتُ الْبُكَاءَ حَالًا ثُلَّةً^(٢)
وَقَائِلَةٌ قَدْ مَاتَ فِي السَّجْنِ ضَابِئُ الْأَمَنِ لَخْصَمٍ لَمْ يَجِدْ مَنْ يُجَادِلُهُ أ

(١) خزائن الأدب ٤ : ٨٠ ، وفيها : « تظل به » .

(٢) خزائن الأدب ٤ : ٧٩ .

وقائلة لا يُعبد الله ضابطاً فَنَمَّ القَتَى تَخْلُو به وتُحَاوِلُه

فلذلك صار عمير بن ضابئ سبئياً .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن المستنير ، عن أخيه ، قال : والله ما علمت ولا سمعت بأحد غزا عثمان رضي الله عنه ، ولا ركب إليه إلا قتل ؛ لقد اجتمع بالكوفة نفر ، فيهم الأشتر وزيد بن صوحان وكعب ابن ذى الحبيكة وأبو زينب وأبو مورع وكُمَيْل بن زياد وعمير بن ضابئ ؛ فقالوا : لا والله لا يُرْفَع رأس ما دام عثمان على الناس ؛ فقال عمير بن ضابئ وكُمَيْل بن زياد : نحن نقتله . فركبا إلى المدينة ؛ فأما عمير فإنه نكل عنه ، وأما كُمَيْل بن زياد فإنه جسر وثاوره ؛ وكان جالساً يرصده حتى أتى عليه عثمان ، فوجأ عثمان وجهه ، فوقع على استه ، وقال : أوجعتني يا أمير المؤمنين ! قال : أو لست بفاتك ! قال : لا والله الذي لا إله إلا هو ؛ فحلف وقد اجتمع عليه الناس ، فقالوا : نفتشه يا أمير المؤمنين ، فقال : لا ، قد رزق الله العافية ، ولا أشتهى أن أطلع منه على غير ما قال . وقال : إن كان كما قلت يا كميل فاقتد مني - وجثا - فوالله ما حسبتك إلا تريدني ، وقال : إن كنت صادقاً فأجزل الله ، وإن كنت كاذباً فأذل الله . وقعد له على قدميه وقال : دونك ! قال : قد تركت . فبقيا حتى أكثر الناس في نجائهما ، فلما قدم الحجاج قال : من كان من بعث المهلب فليواف مكتبه ؛ ولا يجعل على نفسه سيلاً . فقام إليه عمير ، وقال : إني شيخ ضعيف ، ولي ابنان قويتان ؛ فأخرج أحدهما مكاني أو كليهما ، فقال : من أنت ؟ قال : أنا عمير بن ضابئ ، فقال : والله لقد عصيت الله عز وجل منذ أربعين سنة ؛ والله لأنكُلن بك المسلمين ، غضبت لسارق الكلب ظالمًا ، إن أباك إذ غُل لهم ؛ وإنك هممت ونكلت ، وإني أهمم ثم لا أنكل . فضربت عنقه .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، قال : حدثنا رجل من بني أسد ، قال : كان من حديثه أنه كان قد غزا عثمان رضي الله عنه فيمن غزاه ؛ فلما قدم الحجاج ونادى بما نادى به ، عرض رجل عليه ما عيَّوض

نفسه ، ففُهِل منه ، فلما وَلَّى قال أسماء بن خازجة : لقد كان شأن عمير مما يهمني ، قال : ومن عمير ؟ قال : هذا الشيخ ، قال :
 . ذكّرني الطعن وكنت ناسياً^(١) .

أليس فيمن خرج إلى عثمان ؟ قال : بلى ، قال : فهل بالكوفة أحد غيره ؟ قال : نعم ، كُمَيْل ، قال : على بعُمر ، فضرب عنقه ، ودعا بكُمَيْل فهرب ، فأخذ النخَع به ، فقال له الأسود بن الهيثم : ما تريد من شيخ قد كفاكه الكبير ! فقال : أما والله لتحسن عني لسانك أو لأحسن رأسك بالسيف . قال : أفعل . فلما رأى كُمَيْل ما لقي قومه من الخوف وهم ألفا مقاتل ، قال : الموت خير من الخوف إذا أُخيف ألفان من سببى وحرّموا . فخرج حتى أتى الحجاج ، فقال له الحجاج : أنت الذى أردت ثم لم يكشفك أمير المؤمنين ، ولم ترض حتى أقعدته للقصاص إذ دفعك عن نفسه ؟ فقال : على أى ذلك تقتلنى ! تقتلنى على عفوهِ أو على عافيتى ؟ قال : يا أدهم بن الحرز ، اقتله ؛ قال : والأجر بينى وبينك ؟ قال : نعم ، قال أدهم : بل الأجر لك ؛ وما كان من لئيم فعلى . وقال مالك بن عبد الله - وكان من المسيّرين :

مَضَتْ لابن أروى في كُمَيْل ظِلَامَةٌ عفاها له والمستقيدُ يلامُ
 وقال له لا أقبح اليوم مُثْلَةَ عَلِيكَ أبا عمرو وأنت إمامُ
 رُؤَيْدِكَ رَأْسِي وَالَّذِي نَسَكْتَ لَهُ قُرَيْشُ بِنَا عَلَى الْكَبِيرِ حَرَامُ
 وَلِلْعَفْوِ أَمْنٌ يَعْرِفُ النَّاسُ فَضْلَهُ وَلَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْقَصَاصِ أَثَامُ
 وَلَوْ عَلِمَ الْفَارُوقُ مَا أَنْتَ صَانِعٌ نَهَى عَنْكَ نَهْيًا لَيْسَ فِيهِ كَلَامُ
 حدثني عمر بن شُبّة ، قال : حدثنا عليّ بن محمد ، عن سُحَيْمِ بْنِ حَنْفِص ، قال : كان ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب شريكَ عُثْمَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، فقال العباس بن ربيعة لعثمان : اكتب لي إلى ابن عامر يُسَلِّفَنِي مِائَةَ أَلْفٍ ؛ فكتب ، فأعطاه مائة ألف وصلّاه بها ، وأقطعته داره ؛ دار العباس ابن ربيعة اليوم .

وحدثني عمر ، قال : حدثنا عليّ ، عن إسحاق بن يحيى ، عن موسى

(١) مثل ، أول من قاله ربيع بن حزن الهذلي . الميذاني ١ : ١٨٨ .

ابن طلحة ، قال : كان لعثمان عليّ طلحة خمسون ألفاً ، فخرج عثمان يوماً إلى المسجد ، فقال له طلحة : قد تهيأ مالك فاقبضه ، قال : هو لك يا أبا محمد معونة لك على مروتك .

وحدثني عمر ، قال : حدثنا عليّ ، عن عبد ربّه ، عن نافع ، عن إسماعيل ابن أبي خالد ، عن حكيم بن جابر ، قال : قال عليّ لطلحة : أنشدك الله إلاّ رددت الناس عن عثمان ! قال : لا والله حتى تُعطيّ بنو أمية الحقّ من أنفسها .

وحدثني عمر ، قال : حدثنا عليّ ، قال : حدثنا أبو بكر البكريّ ، عن هشام بن حسان ، عن الحسن ؛ أنّ طلحة بن عبيد الله باع أرضاً له من عثمان بسبعمائة ألف ، فحملها إليه ، فقال طلحة : إنّ رجلاً تتسوّق^(١) هذه عنده وفي بيته لا يدري ما يطرفه من أمر الله عزّ وجلّ لغرير بالله سبحانه ! وما عنده منها درهم . قال الحسن : وجاء هاهنا يطلب الدينار والدرهم — أو قال : الصفرء والبيضاء .

* * *

وحجّ بالناس في هذه السنة — أعني سنة خمس وثلاثين — عبد الله بن عباس بأمر عثمان إياه بذلك ؛ حدثني بذلك أحمد بن ثابت الرازيّ ، عمّن حدثه ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر .

* * *

ذكر الخبر عن السبب الذي من أجله أمر عثمان رضي الله عنه عبد الله

ابن عباس رضي الله عنه أن يحجّ بالناس في هذه السنة

ذكر محمد بن عمر الواقديّ أنّ أسامة بن زيد حدثه عن داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : لما حُصِرَ عثمان الحُصْرَ الآخر قال

(١) ابن أبي الحديد : ١٠ : ٥ ، فيما نقل عن الطبري : « يبيت وهذه عنده » .

(٢) ابن أبي الحديد : « رسله تختلف » .

عكرمة : فقلت لابن عباس : أَوَ كَمَا حَصَّرَين ؟ فقال ابن عباس : نعم ،
 الحُصْرُ الأوَّلُ ، حُصْرُ اثْنَيْ عَشْرَةَ — وقدم المصريون فلقِيَهُمْ عليٌّ بِذِي
 حُشْبٍ ؛ فردَّهم عنه ؛ وقد كان والله عليٌّ له صاحبٌ صدق ، حتى أوغَرَ
 نفسَ عليٍّ عليه ؛ جعل مروان وسعيد وذو وهما يحملونه عليٌّ عليٌّ فيتحمَّلُ ؛
 ويقولون : لو شاء ما كلَّمك أحدٌ ؛ وذلك أن عليًّا كان يكلمه وينصحه
 ويُغْلِظُ عليه في المنطق في مروان وذوويه ، فيقولون لعثمان : هكذا يستقبلك وأنت
 إمامه وسيلفه وابن عمِّه وابن عمته ؛ فما ظنُّك بما غاب عنك منه ! فلم يزالوا بعليٍّ
 حتى أجمع ألاَّ يقوم دونه ؛ فدخلتُ عليه اليوم الذي خرجتُ فيه إلى مكة ،
 فذكرتُ له أن عثمان دعاني إلى الخروج فقال لي : ما يريد عثمان أن ينصحه
 ٣٠٣٩/١ أحدٌ ؛ اتخذ بطانة أهل غِشٍّ ليس منهم أحدٌ إلَّا قد تسبَّب بطائفة من
 الأرض يأكل خراجها ويستذلُّ أهلها ؛ فقلت له : إنَّ له رَحِمًا وحَقًّا ؛ فإن
 رأيت أن تقوم دونه فعلت ؛ فإنك لا تُعْذِرُ إلَّا بذلك .

قال ابن عباس : فالله يعلم أني رأيت فيه الانكسار والرقَّة لعثمان ؛ ثم إنني
 لأراه يؤتَى إليه عظيم . ثم قال عكرمة : وسمعت ابن عباس يقول : قال لي
 عثمان : يا ابن عباس ، اذهب إلى خالد بن العاص وهو بمكة ، فقل له :
 اقرأ عليك أمير المؤمنين السلام ، ويقول لك : إنني محصور منذ كذا وكذا
 يومًا ، لا أشرب إلَّا من الأُجْتاج من داري ، وقد مُنِعْتُ بَرًّا اشتريتها من صُلْبِ
 مالي ، رُومَةٍ ؛ فإنما يشرها الناس ولا أشرب منها شيئًا ، ولا آكل إلَّا مما في بيتي ،
 منعت أن آكل مما في السوق شيئًا وأنا محصور كما ترى ؛ فأمره وقل له :
 فليحجَّ بالناس ؛ وليس بفاعيل ؛ فإنَّ أبي فاحججٌ أنت بالناس .

فقدمت الحجَّ في العَشْرِ ، فجئت خالد بن العاص ، فقلت له ما قال
 لي عثمان ، فقال لي : هل طاقة بعداوة من ترى ؟ فأبى أن يحجَّ وقال : فحجَّ
 أنت بالناس : فأنت ابن عمِّ الرجل ؛ وهذا الأمر لا يُفْضَى إلَّا إليه — يعني
 عليًّا — وأنت أحقُّ أن تحمل له ذلك ، فحججت بالناس ، ثم قلت
 في آخر الشهر ، فقدمت المدينة وإذا عثمان قد قتل ؛ وإذا الناس يتواثبون

على رَقَبَةِ على بن أبي طالب . فلما رآني على ترك الناس ، وأقبل عليّ فانتجاني ، فقال : ما ترى فيما وقع ؟ فإنه قد وقع أمر عظيم كما ترى لا طاقة لأحد به ؛ فقلت : أرى أنه لا بدّ للناس منك اليوم ؛ فأرى أنه لا يبايع اليوم أحدٌ إلاّ اتهم بدم هذا الرجل ، فأبى إلاّ أن يبايع فاتهم بدمه .

٣٠٤٠/١

قال محمد : فحدثني ابنُ أبي سبّرة ، عن عبد الحميد بن سهيل ، عن عكرمة ، قال : قال ابنُ عباس : قال لي عثمان رضى الله عنه : إني قد استعملتُ خالد بن العاص بن هشام على مكة ؛ وقد بلغ أهل مكة ما صنع الناس ؛ فأنا خائف أن يمنعه الموقف فيأبى ، فيقاتلهم في حرّم الله جلّ وعزّ وأمنه . وإن قومًا جاءوا من كل فج عميق ، ليشهدوا منافع لهم ؛ فرأيت أن أولئك أمر الموسم . وكتب معه إلى أهل الموسم بكتاب يسألهم أن يأخذوا له بالحقّ ممن حصّره . فخرج ابنُ عباس ، فرّبعاشة في الصلّصل ؛ فقالت : يا ابنَ عباس ؛ أنشدك الله — فإنك قد أعطيت لسانًا لإزعيل^(١) — أن تخذل عن هذا الرجل ، وأن تشكك فيه الناس ؛ فقد بانت لهم بصائرهم وأنهجت^(٢) ، ورفعت لهم المنار ، وتحلبوا من البلدان لأمر قد حمّ^(٣) ؛ وقد رأيت طلحة بن عبيد الله قد اتّخذ على بيوت الأموال والخزائن مفاتيح ، فإن يكلّ يسير بسيرة ابن عمه أبي بكر ، قال : قلت يا أمّهُ لو حدث بالرجل حدث ما فزع الناس إلاّ إلى صاحبنا . فقالت : إيهّا عنك ! إني لست أريد مكابرتك ولا مجادلتك .

قال ابن أبي سبّرة : فأخبرني عبد الحميد بن سهيل ؛ أنه انتسخ رسالة عثمان التي كتب بها من عكرمة ، فإذا فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله عثمان أمير المؤمنين إلى المؤمنين والمسلمين ؛ سلام عليكم ، فإنّي أحمد الله إليكم الذي لا إله إلا هو ؛ أمّا بعد ؛ فإنّي أذكركم بالله جلّ وعزّ الذي أنعم عليكم وعلمكم الإسلام ، وهذاكم من الضلالة ، وأنقذكم من الكفر ، وأراكم البيّنات ، وأوسع عليكم من

٣٠٤١/١

(١) الإزعيل : الذئق .

(٢) أنهجت الطريق : وضع .

(٣) ط : « جم » ، وانظر ابن أبي الحديد ١٠ : ٦ .

الرزق ، ونصركم على العدو ، وأسبغ عليكم نعمته ؛ فإن الله عز وجل يقول وقوله الحق : ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ ^(١) .

وقال عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ • وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا ﴾ إلى قوله : ﴿ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ ^(٢) . وقال وقوله الحق : ﴿ وَادْكُرُوا اللَّهَ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ ^(٣) . وقال وقوله الحق : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ ﴾ إلى قوله : ﴿ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ ^(٤) . وقال عز وجل : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ إلى ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ^(٥) . وقال وقوله الحق : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ إلى ﴿ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ ^(٦) . وقال وقوله الحق : ﴿ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ﴾ إلى قوله : ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّهُ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ^(٧) . وقال وقوله الحق : ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ إلى ﴿ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ ^(٨) . وقال وقوله الحق : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ ^(٩) . وقال وقوله الحق : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ ﴾ إلى ﴿ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ ^(١٠) .

٣٠٤٢/١

(٢) سورة آل عمران ١٠٢ - ١٠٥ .

(٤) سورة الحجرات ٦ - ٨ .

(٦) سورة التباين ١٦ .

(٨) سورة النساء ٥٩ .

(١٠) سورة الفتح ١ .

(١) سورة إبراهيم ٣٤ .

(٣) سورة المائدة ٧ .

(٥) سورة آل عمران ٧٧ .

(٧) سورة البهل ٩١ - ٩٦ .

(٩) سورة النور ٥٥ .

أما بعد ، فإن الله عز وجل رضى لكم السمع والطاعة والجماعة ، وحذركم المعصية والفُرقة والاختلاف ، ونبأكم ما قد فعله الذين من قبلكم ، وتقدم إليكم فيه ليكون له الحجة عليكم إن عصيتموه ، فاقبلوا نصيحة الله عز وجل واحذروا عذابه ؛ فإنكم لن تجدوا أمةً هلكت إلا من بعد أن تختلف ؛ إلا أن يكون لها رأس يجمعها ، ومتى ما تفعلوا ذلك لاتقيموا الصلاة جميعاً ، وسلط عليكم عدوكم ، ويستحل بعضكم حرّم بعض ؛ ومتى يفعل ذلك لايقم لله سبحانه دين ، وتكونوا شيعاً ، وقد قال الله جل وعز لرسوله صلى الله عليه وسلم : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ ^(١) . وإنى أوصيكم بما أوصاكم الله ، واحذركم عذابه ؛ فإن شيعياً صلى الله عليه وسلم قال لقومه : ﴿ يَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ ﴾ إلى قوله : ﴿ رَجِيمٌ وَدُودٌ ﴾ ^(٢) .

أما بعد ؛ فإن أقواماً من كان يقول في هذا الحديث ، أظهروا للناس أنما يدعون إلى كتاب الله عز وجل والحق ، ولا يريدون الدنيا ولا منازعة فيها ؛ فلما عرض عليهم الحق إذا الناس في ذلك شتى ؛ منهم آخذ للحق ، ونازع ^(٣) عنه حين يعطاه ؛ ومنهم تارك للحق ونازل عنه في الأمر ، يريد أن يبتزّه بغير الحق ؛ طال عليهم عمرى ، وراث عليهم ^(٤) . أمثلهم الإمرة ؛ فاستعجلوا القدر ؛ وقد كتبوا إليكم أنهم قد رجعوا بالذى أعطيتهم ؛ ولا أعلم أنى تركت من الذى عاهدتهم عليه شيئاً ؛ كانوا زعموا أنهم يطلبون الحدود ، فقلت : أقيموها على من علمتم تعداها في أحد ، أقيموها على من ظلمكم من قريب أو بعيد . قالوا : كتاب الله يتلى ، فليتلّه من تلاه غير غال فيه بغير ما أنزل الله في الكتاب . وقالوا : المحروم يرزق ، والمال يوفى ليُسْتَنّ فيه السنة الحسنة ، ولا يعتدى في الخمس ولا في الصدقة ، ويؤمّر ذو القوة والأمانة ،

(١) سورة الأنعام ١٥٩ .

(٢) سورة هود ٨٩ ، ٩٠ .

(٣) نزع عن الأمر : كف وأبى .

(٤) راث : أبناً .

وترد مظالم الناس إلى أهلها ؛ فرضيت بذلك واصطبرت له ؛ وجئت نسوة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حتى كلمتهن ، فقلت : ما تأمرنني ؟ قتلن : تؤمرن عمرو بن العاص وعبد الله بن قيس وتدع معاوية ؛ فإنما أمره أمير قبلك ؛ فإنه مصلح لأرضه ، راض به جنده ؛ واردد عمرًا ؛ فإن جنده راضون به ، وأمره فليصلح أرضه ؛ فكل ذلك فعلت . وإنه اعتدى على بعد ذلك ، وعدي^(١) على الحق .

كتبت إليكم وأصحابي الذين زعموا في الأمر ؛ استعجلوا القدر ، ومنعوا مني الصلاة ، وحالوا بيني وبين المسجد ، وابتزوا ما قدروا عليه بالمدينة .

كتبت إليكم كتابي هذا ؛ وهم يخبروني إحدى ثلاث : إما يُقيدونني بكل رجل أصبته خطأ أو صوابًا ، غير متروك منه شيء ؛ وإما أعتزل الأمر فيؤمرون آخر غيري ، وإما يرسلون إلى من أطاعهم من الأجناد وأهل المدينة فيتبرءون من الذي جعل الله سبحانه لي عليهم من السمع والطاعة . فقلت لهم : أما إقادتني من نفسي فقد كان من قبلي خلفاء تخطئ وتصيب ؛ فلم يستقد^(٢) من أحد منهم ؛ وقد علمت أنما يريدون نفسي ؛ وأما أن أتبرأ من الإمارة فإن يكسبونني^(٣) أحب إلى من أن أتبرأ من عمل الله عز وجل وخلافته . وأما قولكم : يرسلون إلى الأجناد وأهل المدينة فيتبرءون من طاعتي ؛ فلست عليكم بوكيل ؛ ولم أكن استكرهتهم من قبل على السمع والطاعة ؛ ولكن أتوها طائعين ، يبتغون مرضاة الله عز وجل وإصلاح ذات البين ؛ ومن يكن منكم إنما يبتغي الدنيا فليس بنائل منها إلا ما كتب الله عز وجل له ، ومن يكن إنما يريد وجه الله والدار الآخرة وصلاح الأمة وابتغاء مرضات الله عز وجل والسنة الحسنة التي استن بها رسول الله صلى الله عليه وسلم والخليفتان من بعده رضى الله عنهما ؛ فإنما يجزى بذلكم الله ؛ وليس يدي جزاؤكم ؛ ولو أعطيتكم الدنيا كلها

٣٠٤٤/١

(١) ط : « عدا » ، والصواب ما في الأصول .

(٢) استقاد الحاكم : سأله أن يقيد القاتل بالقتيل .

(٣) كلبه : ضربه بالكلاب ، والكلاب : الحديد التي عل خف الراكض .

لم يكن في ذلك ثمن لدينكم ؛ ولم يُغْنِ عنكم شيئاً ، فاتقوا الله واحتسبوا ما لحنّده ؛ فمن يرضَ بالنَّكْثِ منكم فيأني لا أرضاه له ، ولا يرضى الله سبحانه أن تنكثوا عهده . وأما الذي يخيروني فإنما كله النزاع والتأخير . فلو كنت نفسي ومن معي ؛ ونظرت حكم الله وتغيير النعمة من الله سبحانه ، وكرهت سنة السوء وشقاق الأمة وسفك الدماء ؛ فيأني أنشدكم بالله والإسلام ألا تأخذوا إلا الحق وتعطوه مني وترك البغي على أهله ، وخذوا بيننا بالعدل كما أمركم الله عز وجل . فيأني أنشدكم الله سبحانه الذي جعل عليكم العهد والموازة في أمر الله ؛ فإن الله سبحانه قال وقوله الحق : ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً ﴾^(١) ، فإن هذه معذرة إلى الله ولعلمكم تذكرون .

أما بعد ، فيأني لا أبرئ نفسي ، ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾^(٢) ، وإن عاقبت أقواماً فأتبغى بذلك إلا الخير ، وإني أتوب إلى الله عز وجل من كل عمل عملته ، وأستغفره إنه لا يغفر الذنوب إلا هو ، إن رحمة ربي وسعت كل شيء ، إنه لا يقنط من رحمة الله إلا القوم الضالون ، وإنه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما يفعلون . وأنا أسأل الله عز وجل أن يغفر لي ولكم ، وأن يؤلف قلوب هذه الأمة على الخير ، ويكره إليها الفسق . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، أيها المؤمنون والمسلمون .

قال ابن عباس : فقرأت هذا الكتاب عليهم قبل التروية^(٣) بحكمة بيوم . قال : وحدثني ابن أبي سبرة ، عن عبد المجيد بن سهيل ، عن عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس ، قال : دعاني عثمان ، فاستعملني على الحج . قال : فخرجت إلى مكة ، فأقمت للناس الحج ، وقرأت عليهم كتاب عثمان إليهم ؛ ثم قدمت المدينة وقد بويع لعلي .

(١) سورة الإسراء ٣٤ .

(٢) سورة يوسف ٥٣ .

(٣) يوم التروية : ثامن ذي الحجة .

ذكر الخبر عن الموضع الذى دُفن فيه عثمان رضى الله عنه ومن صلى عليه
وولى أمره بعد ما قتل إلى أن فرغ من أمره ودُفِنه

حدثني جعفر بن عبد الله المحمديّ ، قال : حدثنا عمرو بن حماد وعلى
ابن حسين ، قالا : حدثنا حسين بن عيسى ، عن أبيه ، عن أبي ميمونة ،
عن أبي بشير العباديّ ، قال : نبذ عثمان رضى الله عنه ثلاثة أيام لا يُدفن ؛
ثم إن حَكِيم بن حزام القرشيّ ثم أحد بنى أسد بن عبد العزى ، وجبّير بن
مطعم بن عديّ بن نوفل بن عبد مناف ، كلّمّا عليّاً فى دفنه ، وطلبّا إليه أن
يأذن لأهله فى ذلك ، ففعل ، وأذن لهم علىّ ، فلما سُمِع بذلك قعدوا له فى الطريق
بالحجارة ، وخرج به ناس يسيرٌ من أهله ؛ وهم يريدون به حائطاً بالمدينة ،
يقال له : حَشَّ كَوْكَب^(١) ، كانت اليهود تدفن فيه موتاهم ؛ فلما خرج به على
الناس رجموا سريره ، وهمّوا بطرحه ، فبلغ ذلك عليّاً ، فأرسل إليهم يعزم عليهم
لَيَكْفَنَنَّ عنه ، ففعلوا ، فانطلق حتى دفن رضى الله عنه فى حَشَّ كَوْكَب ؛
فلما ظهر معاوية بن أبي سفيان على الناس أمر بهدم ذلك الحائط حتى أفضى
به إلى البقيع ؛ فأمر الناس أن يدفنوا موتاهم حَوّل قبره حتى اتّصل ذلك
بمقابر المسلمين .

٣٠٤٦/١

وحدثني جعفر ، قال : حدثنا عمرو وعلىّ قالا : حدثنا حُسَيْن^(٢) ، عن
أبيه ، عن المجالد بن سعيد الحمّديّ ، عن يسار بن أبي كريب ، عن أبيه .
— وكان أبو كَرِيب عاملاً على بيت مال عثمان — قال : دفن عثمان رضى الله
عنه بين المغرب والعَتَمَة ؛ ولم يشهد جنازته إلا مروان بن الحكم وثلاثة من
مواليه وابنته الخامسة ، فناحت ابنته ورفعت صوتها تنديه ، وأخذ الناس الحجارة
وقالوا : نَعْتَل نَعْتَل ! وكادت ترجّم ؛ فقالوا : الحائط الحائط ؛ فدفن فى حائط
خارجاً .

٣٠٤٧/١

(١) حَشَّ كَوْكَب : موضع عند بقيع النرقد ، قال ياقوت : « اشتراه عثمان بن عفان وزاده
فى البقيع ، ولما قتل أتى فيه ثم دفن إلى جنبه » .

(٢) ط : « حسن » ؛ وهر حسين بن عيسى ، وانظر السند السابق .

وأما الواقدي فإنه ذكر أن سعد بن راشد حدثه عن صالح بن كيسان ، أنه قال : لما قتل عثمان رضي الله عنه قال رجل : يدفن بدبر سلع مقبرة اليهود ، فقال حكيم بن حزام : والله لا يكون هذا أبداً وأحد من ولد قصي حتى ؛ حتى كاد الشر يلتحم ، فقال ابن عديس البسكوي : أيتها الشيخ ، وما يضرك أين يدفن ! فقال حكيم بن حزام : لا يدفن إلا ببيع الغرق حيث دفن سلعته وفترطه ؛ فخرج به حكيم بن حزام في اثني عشر رجلاً ، وفيهم الزبير ، فصلّى عليه حكيم بن حزام . قال الواقدي : الثبت عندنا أنه صلى عليه جبير بن مطعم .

قال محمد بن عمر : وحدّثني الضحاك بن عثمان ، عن مخزّمة بن سليمان الوالبي ، قال : قتل عثمان رضي الله عنه يوم الجمعة ضحوة ، فلم يقدروا على دفنه ، وأرسلت نائلة ابنة العرافصة إلى حويطب بن عبد العزّي وجبير بن مطعم وأبي جهم بن حذيفة وحكيم بن حزام ونيار الأسلمي ، فقالوا : إنا لا نقدر أن نخرج به نهراً ، وهؤلاء المصريون على الباب ، فأملهوا حتى كان بين المغرب والعشاء ، فدخل القوم ، فحبل بينهم وبينه ، فقال أبو جهم : والله لا يحول بيني وبينه أحد إلا ميت دونه ؛ أحملوه ، فحمل إلى البقيع ؛ قال : وتبعتهم نائلة بسراج استسرجته بالبقيع وغلّام لعثمان ، حتى انتهوا إلى نخيلات عليها حائط ؛ فدخلوا الجدار ، ثم قبروه في تلك النخيلات ، وصلى عليه جبير ابن مطعم ، فذهبت نائلة تريد أن تتكلم ، فزبرها القوم ، وقالوا : إنا نخاف عليه من هؤلاء الغوغاء أن ينسبوه ، فرجعت نائلة إلى منزلها .

٣٠٤٨/٩

قال محمد : وحدّثني عبد الله بن يزيد الهذلي ، عن عبد الله بن ساعدة ، قال : لبث عثمان بعد ما قتل ليلتين لا يستطيعون دفنه ، ثم حمله أربعة : حكيم بن حزام ، وجبير بن مطعم ، ونيار بن مكرم ، وأبو جهم بن حذيفة ؛ فلما وُضع ليصلّى عليه ، جاء نفر من الأنصار يمنعهم الصلاة عليه ، فبهم أسلم بن أوس بن بكرة الساعدي ، وأبرهية المازني . في عدة ؛ ومنهم من أن يدفن بالبقيع ؛ فقال أبو جهم : ادفنوه ، فقد صلى الله عليه وملائكته ، فقالوا : لا والله ، لا يدفن في مقابر المسلمين أبداً ، فدفنوه في حشّ كوكب . فلما ماكت بتوأمة أدخلوا ذلك الشر في البقيع ؛ فدفنهم مقبرة بني أمية .

قال محمد : وحدَّثني عبد الله بن موسى الخزومي ، قال : لما قَتَلَ عُمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَرَادُوا حَزَّ رَأْسَهُ ، فَوَقَعَتْ عَلَيْهِ نَائِلَةٌ وَأُمُّ الْبَنِينَ ، فَتَعَنَّتْهُمْ ، وَصَحْنَتْ وَضُرِبَ الْوَجْهُ ، وَخُرِقَ ثِيَابُهُمْ ، فَقَالَ ابْنُ عُدَيْسٍ : أَتَرْكُوهُ ؛ فَأَخْرَجَ عُمَانُ وَلَمْ يَغْسِلْ إِلَى الْبَقِيعِ ، وَأَرَادُوا أَنْ يَصَلُّوا عَلَيْهِ فِي مَوْضِعِ الْجَنَائِزِ ؛ فَأَبَتِ الْأَنْصَارُ ، وَأَقْبَلَ تَحْمِيرُ بْنُ ضَابِيٍّ وَعُمَانُ مَوْضُوعٌ عَلَى بَابٍ ، فَسَتَرَا عَلَيْهِ . فَكَسَرَ ضِلَعًا مِنْ أَضْلَاعِهِ ، وَقَالَ : سَجَنَتْ ضَابِيًّا حَتَّى مَاتَ فِي السَّجَنِ .

وحَدَّثَنِي الْحَارِثُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ سَعْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أُوَيْسٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عَمُّ جَدِّي الرَّبِيعُ بْنُ مَالِكِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : كُنْتُ أَحَدَ حَمَلَةِ عُمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَ قَتَلَ : حَمَلَنَاهُ عَلَى بَابٍ ، وَإِنْ رَأْسُهُ لَتَقْرَعُ الْبَابَ لِإِسْرَاعِنَا بِهِ ؛ وَإِنْ بَنَّا مِنْ الْخَوْفِ لَأَمْرًا عَظِيمًا حَتَّى وَارَيْنَاهُ فِي قَبْرِهِ فِي حَشٍّ كَكَوْكَبٍ .

٣٠٤٩/١

* * *

وَأَمَّا سَيْفٌ ، فَإِنَّهُ رَوَى فِيمَا كَتَبَ بِهِ إِلَى السَّرِيِّ ، عَنْ شُعَيْبٍ ، عَنْهُ . عَنْ أَبِي حَارِثَةَ وَأَبِي عُمَانَ وَمُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ ؛ أَنَّ عُمَانَ لَمَّا قَتِلَ أُرْسِلَتْ نَائِلَةٌ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ عُدَيْسٍ ، فَقَالَتْ لَهُ : إِنَّكَ أَمْسَ الْقَوْمِ رَحِيمًا ، وَأَوْلَاهُمْ أَنْ تَقُومَ بِأَمْرِي ؛ أَغْرِبْ عَنِّي هَؤُلَاءِ الْأَمْوَاتِ . قَالَ : فَشَتَمَهَا وَزَجَرَهَا ؛ حَتَّى إِذَا كَانَ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ خَرَجَ مِرْوَانُ حَتَّى أَتَى دَارَ عُمَانَ ، فَأَتَاهُ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ وَطَلْحَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَعَلِيٌّ وَالْحَسَنُ وَكَعْبُ بْنُ مَالِكٍ وَعَامَّةٌ مِنْ ثَمٍّ مِنْ صَحَابِهِ ، فَتَوَأَّمُوا إِلَى مَوْضِعِ الْجَنَائِزِ صَبِيَّانَ وَنِسَاءً ؛ فَأَخْرَجُوا عُمَانَ فَصَلَّيَا عَلَيْهِ مِرْوَانُ ، ثُمَّ خَرَجُوا بِهِ حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى الْبَقِيعِ ، فَدَفَنُوهُ فِيهِ مِمَّا يَلِي حَشٍّ كَكَوْكَبٍ ؛ حَتَّى إِذَا أَصْبَحُوا أَتَوْا أَعْبُدَ عُمَانَ الَّذِينَ قَتَلُوا مَعَهُ فَأَخْرَجُوهُمْ فَرَأَوْهُمْ فَنَعَوْهُمْ مِنْ أَنْ يَدْفِنُوا ، فَأَدْخَلُوهُمْ حَشٍّ كَكَوْكَبٍ ؛ فَلَمَّا أَمْسَوْا خَرَجُوا بِعَبْدِينَ مِنْهُمْ فَدَفَنُوهُمَا إِلَى جَنْبِ عُمَانَ ، وَمَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا خَمْسَةٌ نَفَرًا وَامْرَأَةً ؛ فَاطِمَةُ أُمُّ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَدَى ، ثُمَّ رَجَعُوا فَأَتَوْا كَنَانَةَ بْنَ بَشَرَ ، فَقَالُوا : إِنَّكَ أَمْسَ الْقَوْمِ بَنًا رَحِيمًا ، فَأَمُرُّ بِهَاتَيْنِ الْجَيْفَتَيْنِ اللَّائِيَتَيْنِ فِي الدَّارِ أَنْ تُخْرَجَا ، فَكَلَّمَهُمْ فِي ذَلِكَ ، فَأَبَوْا ، فَقَالَ : أَنَا جَارُ لَأَلِ عُمَانَ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ وَمَنْ لَفَ لَفَتَهُمْ ، فَأَخْرِجُوهُمَا فَاَرْمُوا بِهِمَا ؛ فَجُرَّ بِأَرْجُلِهِمَا

فرى بهما على البلاط ، فأكلتهما الكلاب ؛ وكان العبدان اللذان قتلوا يوم الدار
يقال لهما نُجيج وصُيِّح ؛ فكان اسماهما الغالب على الرقيق لفضلهما وبلاهما ؛
ولم يحفظ الناس اسم الثالث ، ولم يغسل عثمان ، وكُفِّنَ في ثيابه ودمائه ولا
غُسلَ غلاماه .

وكتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن مجالد ، عن الشعبيّ
قال : دفن عثمان رضي الله عنه من الليل ، وصلى عليه مروان بن الحكم ، وخرجت
ابنته تبكي في أثره ، ونائلة ابنة الفرافصة ، رحمهم الله .

• • •

ذكر الخبر عن الوقت الذي قتل فيه عثمان رضي الله عنه

اختلف في ذلك بعد إجماع جميعهم على أنه قتل في ذى الحجة ، فقال
بعضهم : قتل لثماني عشرة ليلة خلت من ذى الحجة سنة ست وثلاثين من
الهجرة ، فقال الجمهور منهم : قتل لثماني عشرة ليلة مضت من ذى الحجة
سنة خمس وثلاثين .

• ذكر الرواية بذلك عن بعض من قال إنه قتل في سنة ست وثلاثين :

حدثني الحارث بن محمد ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد
ابن عمر ، قال : حدثني أبو بكر بن إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص ،
عن عثمان بن محمد الأحنسيّ ؛ قال الحارث : وحدثنا ابنُ سعد ، قال :
أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبيرة ،
عن يعقوب بن زيد ، عن أبيه ، قال : قتل عثمان رضي الله عنه يوم الجمعة
لثماني عشرة ليلة خلت من ذى الحجة سنة ست وثلاثين بعد العصر ، وكانت
خلافته اثنتي عشرة سنة غير اثني عشر يوماً ؛ وهو ابن اثنتين وثمانين سنة .
وقال أبو بكر : أخبرنا مُصعب بن عبد الله ، قال : قتل عثمان رضي الله
عنه يوم الجمعة لثماني عشرة ليلة خلت من ذى الحجة سنة ست وثلاثين بعد
العصر .

• • •

وقال آخرون : قتل في ذى الحجة سنة خمس وثلاثين لثاني عشرة ليلة خلت منه .

• ذكر من قال ذلك :

حدثني جعفر بن عبد الله ، قال : حدثنا عمرو بن حماد وعلي ، قالوا : حدثنا حسين^(١) ، عن أبيه ، عن المجالد بن سعيد الهمداني ، عن عامر الشعبي ، أنه قال : « حُصِرَ عثمان بن عفان رضي الله عنه في الدار اثنتين وعشرين ليلة ، وقيل صُبْحَةً ثمانى عشرة ليلة مضت من ذى الحجة سنة خمس وعشرين من وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وحدثني أحمد بن ثابت الرازي ، عن حدثنا ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر ، قال : قتل عثمان رضي الله عنه يوم الجمعة لثاني عشرة ليلة مضت من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين ، وكانت خلافته اثنتى عشرة سنة إلا اثني عشر يوماً .

وكتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وأبي حارثة وأبي عثمان ، قالوا : قتل عثمان رضي الله عنه يوم الجمعة لثاني عشرة ليلة مضت من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين على رأس إحدى عشرة سنة وأحد عشر شهراً واثنين وعشرين يوماً من مقتل عمر رضي الله عنه .

وحدثت عن زكرياء بن عدى ، قال : حدثنا عبيد الله بن عمرو ، عن ابن عتيق ، قال : قتل عثمان رضي الله عنه سنة خمس وثلاثين .

وكتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي حارثة وأبي عثمان ومحمد وطلحة ، قالوا : قتل عثمان رضي الله عنه لثاني عشرة ليلة خلت من ذى الحجة يوم الجمعة في آخر ساعة .

• • •

وقال آخرون : قتل يوم الجمعة ضحوة .

(١) ط : « حسن » ؛ وهو حينئذ بن عيسى ؛ وانظر ص ٣٨٢ من ١ من هذا الجزء .

• ذكر من قال ذلك :

ذكر عن هشام بن الكلبي ، أنه قال : قتل عثمان رضي الله عنه صبيحة الجمعة لثاني عشرة ليلة خلت من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين ، فكانت خلافته اثنتي عشرة سنة إلا ثمانية أيام .

حدثنا الحارث ، عن ابن سعد ، عن محمد بن عمر ، قال : حدثني الضحاك بن عثمان ، عن مخزومة بن سليمان الوالبي ، قال : قتل عثمان رضي الله عنه يوم الجمعة ضحوة لثاني عشرة ليلة مضت من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين .

* * *

وقال آخرون : قتل في أيام التشريق
• ذكر من قال ذلك :

حدثني أحمد بن زهير ، قال : حدثنا أبي أبو خيثمة ، قال : حدثنا وهب بن جرير ، قال : سمعت أبي قال : سمعت يونس بن يزيد الأيلي ، عن الزهري ، قال : قتل عثمان رضي الله عنه ، فزعم بعض الناس أنه قتل في أيام التشريق .

وقال بعضهم : قتل يوم الجمعة لثاني عشرة ليلة خلت من ذى الحجة .

* * *

ذكر الخبر عن قدر مدة حياته

اختلف السلف قبلنا في ذلك ، فقال بعضهم : كانت مدة ذلك اثنتين وثمانين سنة .

• ذكر من قال ذلك :

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ؛ أن عثمان رضي الله عنه قتل وهو ابن اثنتين وثمانين سنة .

قال محمد بن عمر : وحدثني الضحاك بن عثمان ، عن مخزومة بن سليمان الوالبي ، قال : قتل عثمان رضي الله عنه وهو ابن اثنتين وثمانين سنة .

قال محمد : وحدَّثني سعد بن راشد عن صالح بن كيسان ، قال : قَتِلَ عثمان رضي الله عنه وهو ابن اثنتين وثمانين سنة وأشهر .

• • •

وقال آخرون : قَتِلَ وهو ابن تسعين أو ثمان وثمانين .

• ذكر من قال ذلك :

حدثت عن الحسن بن موسى الأشيب ، قال : حدثنا أبو هلال ؛ عن قتادة : أن عثمان رضي الله عنه قَتِلَ وهو ابن تسعين أو ثمان وثمانين سنة .

وقال آخرون : قتل وهو ابن خمس وسبعين سنة ؛ وذلك قول ذكر عن هشام بن محمد .

وقال بعضهم : قتل وهو ابن ثلاث وستين ، وهذا قول نسبة سيف بن عمر إلى جماعة . كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ؛ أن أبا حارثة وأبا عثمان ومحمداً وطلحة ، قالوا : قَتِلَ عثمان رضي الله عنه وهو ابن ثلاث وستين سنة .

• • •

وقال آخرون : قَتِلَ وهو ابن ست وثمانين .

• ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن موسى الحرشي ، قال : حدثنا معاذ بن هشام ، قال : حدثني أبي ، عن قتادة ، قال : قَتِلَ عثمان رضي الله عنه وهو ابن ست وثمانين . ٣٠٥٤/١

• • •

ذكر الخبر عن صفة عثمان

حدثني زياد بن أيوب ، قال : حدثنا هشيم ، قال : زعم أبو المقدام ، عن الحسن بن أبي الحسن ، قال : دخلت المسجد ؛ فإذا أنا بعثمان رضي الله عنه متكئاً على رءائه ، فنظرت إليه ؛ فإذا رجلٌ حسن الوجه ؛ وإذا بوجهه نُكُتَاتٌ من جذري ؛ وإذا شعره قد كسا ذراعيه .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : حدثنا محمد بن عمر ، قال : سألت عمرو بن عبد الله بن عَنَسَةَ وعروة بن خالد بن عبد الله ابن عمرو بن عثمان وعبد الرحمن بن أبي الزناد عن صفة عثمان ، فلم أدر بينهم اختلافًا ، قالوا : كان رجلاً ليس بالقصير ولا بالطويل ، حسن الوجه ، رقيق البشرة ، كث اللحية عظيمها ؛ أسمر اللون ، عظيم الكراديس^(١) ؛ عظيم ما بين المنكبين ، كثير شعر الرأس ، يصفّر لحيته .

وحدثني أحمد بن زهير ، قال : حدثنا أبي ، قال : حدثنا وهب بن جرير بن حازم ، قال : سمعت أبي يقول : سمعت يونس بن يزيد الأيلي ، عن الزهري ، قال : كان عثمان رجلاً مربعاً ، حسن الشعر ، حسن الوجه ، أصلع ، أرواح^(٢) الرجلين .

• • •

ذكر الخبر عن وقت إسلامه وهجرته

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : كان إسلام عثمان قديماً قبل دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الأرقم . قال : وكان ممن هاجر من مكة إلى أرض الحبشة الهجرة الأولى والهجرة الثانية ، ومعه فيهما جميعاً امرأته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

• • •

ذكر الخبر عما كان يكنى به عثمان بن عفان رضي الله عنه

حدثني الحارث بن محمد ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد ابن عمر أن عثمان بن عفان رضي الله عنه كان يُكنى في الجاهلية أبا عمرو ، فلما كان في الإسلام ولد له من رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم غلامٌ فسماه عبد الله ، واكتنى به ، فكانه المسلمون أبا عبد الله ؛ فبلغ عبد الله ست سنين ، فنقره ديكٌ على عينه ، فرفضات في جمادى الأولى سنة أربع من

(١) الكراديس : جمع كردوس ، وهو كل عظيم التقياً في مفصل .

(٢) أرواح الرجلين ؛ أى منفرج ما بينهما .

الهجرة ، فصلّى عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ونزل في حُفْرته عُثْمَانُ رضى الله عنه .

وقال هشام بن محمد : كان يكنى أبا عمرو .

* * *

ذكر نسبه

هو عُثْمَانُ بن عفّان بن العاص بن أميّة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي . وأمه أروى ابنة كُرَيْز بن ربيعة بن حَبِيب بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي ، وأُمّها أم حَكِيم بنت عبد المطلب .

* * *

ذكر أولاده وأزواجه

رقية وأم كلثوم ابنتا رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ ولدت له رقية عبد الله . وفاخته ابنة غَزْوَان بن جابر بن نُسَيْب بن وَهَيْب بن زيد بن مالك ابن عبد بن عوف بن الحارث بن مازن بن منصور بن عكرمة بن خَصَفَة بن قَيْس بن عَيْلَان بن مُضَر . ولدت له ابناً فسماه عبد الله ؛ وهو عبد الله الأصغر ، هَلَكَ .

٢٠٥٦/١

وأمّ عمرو بنت جُنْدُب بن عمرو بن حُصَمَة بن الحارث بن رفاعة بن سَعْد بن ثعلبة بن لؤي بن عامر بن غنم بن دُهْمَان بن مُنْهَب بن دَوْس ، من الأزد ؛ ولدت له عمراً ونخالداً وأباناً وعمر ومريم .

وفاطمة ابنة الوليد بن عبد شمس بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، ولدت له الوليد وسعيداً وأمّ سعيد ، بنى عُثْمَان .

وأمّ البنين بنت عُبَيْنة بن حِصْن بن حَذِيفَة بن بدر الفزاري ؛ ولدت له عبد الملك بن عُثْمَان ، هَلَكَ .

ورملة ابنة شيبَة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي ؛ ولدت له عائشة وأمّ أبان وأمّ عمرو ، بنات عُثْمَان .

ونائلة ابنة الفَرَاصَة بن الأَحْوَص بن عمرو بن ثعلبة بن الحارث بن

حِصْنُ بن ضَمَضَم بن عَدَى بن جناب بن كلب ؛ ولدت له مريم ابنة عثمان .
وقال هشام بن الكلبي : ولدت أمّ البنين بنت عيينة بن حصن لعثمان
عبد الملك وعتبة . وقال أيضاً : ولدت نائلة عنبسة .

وزعم الواقدي أن لعثمان ابنة تدعى أمّ البنين بنت عثمان من نائلة ، قال : ٣٠٥٧/١
وهي التي كانت عند عبد الله بن يزيد بن أبي سفيان .

وقتل عثمان رضي الله عنه وعنده رملة ابنة شيبة ونائلة وأمّ البنين بنت عيينة
وفاخنة ابنة غزّوان ؛ غير أنه — فيما زعم عليّ بن محمد — طلق أمّ البنين وهو
محصور .

فهؤلاء أزواجه اللواتي كنّ له في الجاهلية والإسلام ، وأولاده : رجالهم ونسائهم .

• • •

ذكر أسماء عمّال عثمان رضي الله عنه في هذه السنة على البلدان

قال محمد بن عمر : قتل عثمان رضي الله عنه وعمّاله على الأمصار — فيما
حدّثني عبد الرحمن بن أبي الزناد — على مكة عبد الله بن الحضرمي ، وعلى
الطائف القاسم بن ربيعة الثقفي ، وعلى صنعاء يعلى بن مُثَنِيّة ، وعلى الجند
عبد الله بن أبي ربيعة ، وعلى البصرة عبد الله بن عامر بن كُرَيْز — خرج منها
فلم يولّ عليها عثمان أحداً — وعلى الكوفة سعيد بن العاص — أخرج منها فلم يترك
يدخلها — وعلى مصر عبد الله بن سعد بن أبي سرح — قدم على عثمان ، وغلب
محمد بن أبي حذيفة عليها . وكان عبد الله بن سعد استخلف على مصر السائب
ابن هشام بن عمرو العامري ، فأخرجه محمد بن أبي حذيفة — وعلى الشام معاوية
ابن أبي سفيان .

وفما كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي حارثة
وأبي عثمان ، قالا : مات عثمان رضي الله عنه وعلى الشام معاوية ، وعامل معاوية
على حمص عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، وعلى قنسرين حبيب بن مسلمة ،
وعلى الأردنّ أبو الأعور بن سفيان ، وعلى فلسطين علقمة بن حَكِيم الكتاني ،
وعلى البحر عبد الله بن قيس الفزاري . وعلى القضاء أبو الدرداء . ٣٠٥٨/١

وكتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عطية ، قال : مات
عثمان رضي الله عنه وعلى الكوفة ، على صلاحها أبو موسى ، وعلى خراج السّواد
جابر بن عمرو^(١) المزنيّ—وهو صاحب المسنة إلى جانب الكوفة—وسماك الأنصاريّ .
وعلى حربها القعقاع بن عمرو ، وعلى قرقيسياء جرير بن عبد الله ، وعلى
أذريجيجان الأشعث بن قيس ، وعلى حلوان عتيبة بن النّهاس ، وعلى ماه
مالك بن حبيب ، وعلى همدان النّسّير ، وعلى الرّيّ سعيد بن قيس ، وعلى
إصبيهان السائب بن الأقرع ، وعلى ماسبذان حبّيش ، وعلى بيت المال عقبة
ابن عمرو . وكان على قضاء عثمان يومئذ زيد بن ثابت .

• • •

ذكر بعض خطب عثمان رضي الله عنه

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن القاسم بن محمد ،
عن عون بن عبد الله بن عتبة ، قال : خطب عثمان الناس بعد ما بويع ،
فقال :

أما بعد ؛ فإنّي قد حمّلت وقد قبلت ؛ ألا وإنّي متّبع ولست بمبتدع ؛
ألا وإنّ لكم علىّ بعد كتاب الله عزّ وجلّ وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ثلاثاً :
اتباع من كان قبليّ فيما اجتمع عليه وسنتم ، وسنة أهل الخير فيما لم تسنوا
عن ملا ، والكفّ عنكم إلاّ فيما استوجبتم . ألا وإن الدنيا خضرة قد شهيت
إلى الناس ، ومال إليها كثير منهم ، فلا تركنوا إلى الدنيا ولا تنقوا بها ، فإنّها
ليست بثقة ، واعلموا أنّها غير تاركة إلاّ من تركها .

٣٠٥٩/١

وكتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن بدر بن عثمان ،
عن عمّه ، قال : آخر خطبة خطبها عثمان رضي الله عنه في جماعة :

إنّ الله عزّ وجلّ إنّما أعطاكم الدنيا لتطلبوا بها الآخرة ، ولم يعطكموها لتركنوا
إليها ؛ إنّ الدنيا تفنّي والآخرة تبقى ، فلا تبطرنكم الفانية ، ولا تشغلنكم عن
الباقية ، فأثروا ما يبقى على ما يفنّي ؛ فإنّ الدنيا منقطعة ؛ وإنّ المصير إلى
الله . اتقوا الله جلّ وعزّ ؛ فإن تقواه جنة من بأسه ، ووسيلة عنده ؛ واحذروا

(١) ط : « فلان » ، وانظر ص ١٣٩ من هذا الجزء .

من الله الغيـر، والزمو اجتماعكم لاتصبروا أحزاباً، ﴿وَإِذْ كُرُوا نِعْمَةً اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءَ﴾ قَالَتْ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴿١١﴾ .
إلى آخر القصة .

• • •

ذكر الخبر عمن كان يصلى بالناس في مسجد رسول الله

صلى الله عليه وسلم حين حصر عثمان

قال محمد بن عمر : حدثني ربيعة بن عثمان : جاء المؤذن، سعدُ القَرَظُ إلى عليّ بن أبي طالب في ذلك اليوم ، فقال : مَنْ يصلى بالناس ؟ فقال عليّ : ناد خالد بن زيد ، فنادى خالد بن زيد، فصلّى بالناس - فإنه لأول يوم عرف أن أبا أيوب خالد بن زيد - فكان يصلى بهم أياماً، ثم صلى عليّ بعد ذلك بالناس .

قال محمد : وحدثني عبد الرحمن بن عبد العزيز ، عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم ، قال : جاء المؤذن إلى عثمان فأذنه بالصلاة ، فقال : لا أنزل أصلى ؛ اذهب إلى مَنْ يصلى . فجاء المؤذن إلى عليّ ، فأمر سهل بن حنيف ، فصلّى اليوم الذي حُصِر فيه عثمان الحضر الآخر ؛ وهو ليلة رُئِيَ هلال ذى الحجة ، فصلّى بهم ؛ حتى إذا كان يوم العيد صلى عليّ العيد، ثم صلى بهم حتى قتل رضى الله عنه .

قال : وحدثني عبد الله بن نافع ، عن أبيه ، عن ابن عمر ، قال : لما حُصِر عثمان صلى بالناس أبو أيوب أياماً ، ثم صلى بهم عليّ الجمعة والعيد ، حتى قتل رضى الله عنه .

• • •

ذكر ما رُئِيَ به من الأشعار

وتقاوول الشعراء بعد مقتله فيه ؛ فمن مادح وهاجٍ ، ومن نائح باكٍ ، ومن سارٍ فرِح ؛ فكان يمتن بمدحه حسّان بن ثابت وكعب بن مالك الأنصاريان

وتيم بن أبي بن مقبل في آخرين غيرهم . مما مدحه به وبكاه حسان
وهجا به قاتله :

٣٠٦١/١

أتركتم غزو الدروب وراءكم
فلبس هدي المسلمين هديتم
إن تقدّموا نجمل قري سرواتكم
أو تدبروا فلبس ما سافرت
وكان أصحاب النبي عشيّة
أبكي أبا عمرو لحسن بلائه
وقال أيضاً :

٣٠٦٢/١

إن تمس دار ابن أروى منه خاوية
قد يصادف باغى الخير حاجته
يا أيها الناس أبدوا ذات أنفسكم
قوموا بحق ملك الناس تعترفوا
فيهم حبيب شهاب الموت يقدمهم^(٥)

وله فيه أشعار كثيرة . وقال كعب بن مالك الأنصاري :

يا للرجال للبك المخطوف
وينح لأمر قد أتاني رائع
قتل الخليفة كان أمراً مفضلاً
قتل الإمام له النجوم خواضع
يا لهف نفسي إذ تولوا غدوة
بالنمش فوق عواتق وكثوف !

(١) ديوانه ١٠١ (٢) الديوان : « كلّ لدن » (٣) الديوان : « تنحر » .

(٤) ديوانه ٢٢ . (٥) كذا في الديوان ؛ وهو حبيب بن مسلمة الفهرى ؛ كان

وجه معاوية لنصرة عثمان . وفي ط : « خبيث » .

وَلَوْ اَوْ دَلَوْا فِي الصَّرِيحِ اُخَاهُمْ
 مِنْ نَائِلٍ اَوْ سُودَدٍ وَحَمَالَةٍ
 كَمْ مِنْ يَتِيمٍ كَانَ يَجْبُرُ عَظْمَهُ
 مَا زَالَ يَقْبَلُهُمْ وَيَرَأُبُ ظُلْمَهُمْ
 اُتَمَسَى مُقِيمًا بِالْبَقِيعِ وَأَصْبَحُوا
 النَّارُ مَوْعِدُهُمْ بَقِيْلَ اِمَامِهِمْ
 جَمَعَ الْحَمَالَةَ بَعْدَ حِلْمٍ رَاجِحٍ
 يَا كَعْبُ لَا تَنْفَكْ تَبْكِي مَالِكًا
 فَأَبْكِي أَبَا عَمْرٍو عَتِيقًا وَاصِلًا
 وَلِيَبْكِهِ عِنْدَ الْخَافِظِ لِمُعْظَمِ
 قَتْلُوكَ يَا عُمَانَ غَيْرَ مُدْنَسٍ

وقال حسان :

مِنْ سَرَّةِ اللَّوْتِ صِرْفًا لَا مِزَاجَ لَهُ
 مُسْتَشْعِرِي حَلَقِ الْمَازِي قَدْ شَفِيعَتْ
 صَبْرًا فِدَى لَكُمْ أُنَى وَمَا وَلَدَتْ
 فَقَدْ رَضِينَا بِأَهْلِ الشَّامِ نَافِرَةً
 إِنِّي لَنِيْنُهُمْ وَإِنْ غَابُوا وَإِنْ شَهِدُوا
 لَتَسْمَعَنَّ وَشَيْكًا فِي دِيَارِهِمْ
 يَا لَيْتَ شَعْرِي وَلَيْتَ الطَّيْرَ تُخْبِرُنِي

وقال الوليد بن عقبة بن أبي معيط يُحَرِّضُ عُمَارَةَ بْنَ عُقْبَةَ :

(١) قتل ظهراً ؛ أى غيلة (٢) ديوانه ٤٠٩ ، ٤١٠ . (٣) استحب السلاح :

حملة ، والمأذى : خالص الحديد . المخاطم : الأنوف .

ألا إن خير الناس بعد ثلاثة
فإن يك ظنى بابن أمي صادقاً
بييت وأوتار ابن عفان عنده
فأجابه الفضل بن عباس^(١) :

٣٠٦٥/١

أتطلب ثأراً لست منه ولا له
كما اتصلت بنت الحمار بأمه
ألا إن خير الناس بعد محمد
وأول من صلى وصنوه نبيه
فلو رأت الأنصار ظلم ابن عمكم
كفى ذلك عيباً أن يشيروا بقتله
وإن ابن ذكوان الصفوري من عمرو
وتنسى أباه إذ تسمى أولى الفخري
وصى النبي المصطفى عند ذي الذكر
وأول من أردى الفؤاد لدى بدر
لكانوا له من ظلمه حاضري النصر
وأن يسلموه للأحاشيش من مصر

وقال الحباب بن يزيد المجاشعي، عم الفرزدق :

لعمرو أيك فلا تجزعن
لقد سفة الناس في دينهم
أعاذل كل امرئ هالك
لقد ذهب الخير إلا قليلا
وخلى ابن عفان شراً طويلا
فسيرى إلى الله سيراً جميلا

(١) هو الفضل بن عباس بن عتبة بن أبي لهب وانظر الأغاني ٤ : ١٧٤ ساسي .

خلافة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب

وفى هذه السنة ببيع لعلّ بن أبي طالب بالمدينة بالخلافة .

ذكرُ الخبر عن بيعة من بايعه ، والوقت الذي بويع فيه

اختلف السلف من أهل السَّيَرِ في ذلك ، فقال بعضهم : سأل عليّاً أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتقلّد لهم وللمسلمين ، فأبى عليهم ؛ فلما أبَوْا عليه ، وطلبوا إليه ، تقلّد ذلك لهم .

• ذكر الرواية بذلك عن رواه :

حدثني جعفر بن عبد الله الحمديّ ، قال : حدثنا عمرو بن حماد وعليّ ابن حسين ، قالا : حدثنا حسين عن أبيه ، عن عبد الملك بن أبي سليمان الفزاريّ ، عن سالم بن أبي الجعد الأشجعيّ ، عن محمد بن الحنفية ، قال : كنتُ مع أبي حين قُتل عثمان رضى الله عنه ، فقام فدخل منزله ، فأناه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : إن هذا الرَّجل قد قُتل ، ولا بدّ للناس من إمام ، ولا نجد اليوم أحداً أحقّ بهذا الأمر منك ؛ لا أقدم سابقةً ، ولا أقربَ من رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال : لا تفعلوا ، فإني أكون وزيراً خيراً من أن أكون أميراً ؛ فقالوا : لا ، والله ما نحن بفاعلين حتى نبايعك ؛ قال : ففى المسجد ، فإنّ بيعتي لا تكون خفياً^(١) ، ولا تكون إلاّ

عن رضا المسلمين . قال سالم بن أبي الجعد : فقال عبد الله بن عباس : فلقد كرهت أن يأتى المسجد مخافة أن يُشغَب عليه ؛ وأبى هو إلاّ المسجد ، فلمّا دخل دخل المهاجرون والأنصار فبايعوه ، ثم بايعه الناس .

وحدثني جعفر ، قال : حدثنا عمرو وعليّ ، قالا : حدثنا حسين ، عن أبيه ، عن أبي ميمونة ، عن أبي بشير العابدیّ ، قال : كنت بالمدينة حين قُتل عثمان رضى الله عنه ، واجتمع المهاجرون والأنصار ، فيهم طلحة والزبير ، فأتوا عليّاً فقالوا : يا أبا حسن ؛ هلمّ نبايعك ، فقال : لا حاجة لى فى أمركم ، أنا معكم فن اخترتم فقد رضىت به ، فاختاروا والله فقالوا : ما نختار

(١) ابن الأثير : « خفية » .

غيرك ؛ قال : فاختلفوا إليه بعد ما قتل عثمان رضى الله عنه مِراراً ، ثم أتوه فى آخر ذلك ، فقالوا له : إنه لا يَصْلَحُ الناس إلاّ بِإِمرَةٍ ، وقد طال الأمر ، فقال لهم : إنكم قد اختلفتم إلىّ وأتيتم ، وإننى قائل لكم قولاً إن قبِلْتُمُوهُ قبلت أَمْرُكم ، وإلاّ فلا حاجة لى فيه . قالوا : ما قلت من شيء قبلناه إن شاء الله . فجاء فصعد المنبر ، فاجتمع الناس إليه ، فقال : إنى قد كنت كارهاً لأمركم ، فأبيتُم إلاّ أن أكون عليكم ؛ ألا وإنه ليس لى أمرٌ دونكم ، إلاّ أن مفاتيح مالكم معى ، ألا وإنه ليس لى أن آخذَ منه درهماً دونكم ، رضىتم ؟ قالوا : نعم ؛ قال : اللهم اشهد عليهم ، ثم بايعهم على ذلك .

قال أبو بشر : وأنا يومئذ عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم أسمع ما يقول .

وحدثنى عمر بن شبّة ، قال : حدثنا علىّ بن محمد ، قال : أخبرنا أبو بكر الهذلىّ ، عن أبى المَلِيح ، قال : لما قتل عثمان رضى الله عنه ، خرج علىّ إلى السوق ، وذلك يوم السبت لثمانى عشرة ليلة خلت من ذى الحجة ، فاتبعه الناس وبهشوا^(١) فى وجهه ، فدخل حائط بنى عمرو بن مبدول ، وقال لأبى عمرة بن عمرو بن محصن : أغلق الباب ، فجاء الناس فقرعوا الباب ، فدخلوا ، فيهم طلحة والزبير ، فقالا : يا علىّ أبسط يدك . فبايعه طلحة والزبير ، فنظر حبيب بن ذؤيب إلى طلحة حين بايع ، فقال : أول من بدأ بالبَيْعَةِ يدٌ شلاء ؛ لا يتمّ هذا الأمر ! وخرج علىّ إلى المسجد فصعد المنبر وعليه إزارٌ وطاق^(٢) وعمامة خزّ ، ونعلاه فى يده ، متوكئاً على قوس ؛ فبايعه الناس . وجاءوا بسعد ، فقال علىّ : بايع ، قال : لا أباع حتى يبايع الناس ، والله ما عليك منى بأس ؛ قال : خلّوا سبيله . وجاءوا بابن عمر ، فقال : بايع ، قال : لا أباع حتى يبايع الناس ، قال : اثنى بحميل^(٣) ، قال : لا أرى حميلاً ، قال الأشتر : خلّ عنيّ أضرب عنقه ، قال علىّ : دعوه ، أنا حميلُهُ ، إنك - ما علمت - لسيّئُ الخلق صغيراً وكبيراً .

٣٠٦٨/١

(١) بهشوا فى وجهه ، أى ارتاحوا إليه . (٢) الطاق : الطيلسان .

(٣) الحمل هنا : الكفيل .

وحدثني محمد بن سنان القزّاز ، قال : حدثنا إسحاق بن إدريس ، قال : حدثنا هشيم ، قال : أخبرنا حميد ، عن الحسن ، قال : رأيت للزبير ابن العوّام بايع علياً في حشّ من حشّان^(١) المدينة .

وحدثني أحمد بن زهير ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثنا وهب ابن جرير ، قال : سمعتُ أبي ، قال : سمعت يونس بن يزيد الأيليّ ، عن الزُّهرى ، قال : بايع الناس علىّ بن أبي طالب ، فأرسل إلى الزّبير وطلحة فدعاهما إلى البيعة ، فتلكأ طلحة ، فقام مالك الأشتر وسل سيفه وقال : والله لتبايعن أو لأضربن به ما بين عينيك ، فقال طلحة : وأين المهرب عنه ! فبايعه ، وبايعه الزّبير والناس . وسأل طلحة والزّبير أن يؤمّرها على الكوفة والبصرة ، فقال : تكونان عندي فأتحمل بكما ، فإني وحشّ^(٢) . لفرأقكما . قال الزّهرى : وقد بلغنا أنه قال لهما : إن أحببنا أن تُبايعا لي وإن أحببنا ببايعتكما ، فقالا : بل نبايعك ؛ وقالوا بعد ذلك : إنما صنعنا ذلك خشيةً على أنفسنا ، وقد عرفنا أنه لم يكن ليُبايعتنا . فظهروا إلى مكة بعد قتل عثمان بأربعة أشهر .

وحدثني عمر بن شبة ، قال : حدثنا أبو الحسن ، قال : حدثنا أبو ميخنف ، عن عبد الملك بن أبي سليمان ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن محمد بن الحنفية ، قال : كنت أُمسّي مع أبي حين قتل عثمان رضي الله عنه حتى دخل بيته ، فأتاه ناسٌ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : إن هذا الرجل قد قُتِل ، ولا بدّ من إمام للناس ، قال : أو تكون شورى ؟ قالوا : أنت لنا رضىً ، قال : فالمسجد إذاً يكون عن رضا من الناس . فخرج إلى المسجد فبايعه من بايعه ؛ وبايعت الأنصار عليّاً إلاّ نَفَيراً يسيراً ، فقال طلحة : ما لنا من هذا الأمر إلاّ كحسّة أنف الكلب .

وحدثني عمر ، قال : حدثنا أبو الحسن ، قال : أخبرنا شيخٌ من بني هاشم ، عن عبد الله بن الحسن ، قال : لما قتل عثمان رضي الله عنه بايعت الأنصار عليّاً إلاّ نَفَيراً يسيراً ، منهم حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ،

(١) الحش : البستان أو مجمع النخل . (٢) وحش لفرأقكما ، أى متألم لذهابكما عني .

ومسلمة بن مخلد، وأبوسعيد الخدري، ومحمد بن مسلمة، والنعمان بن بشير، وزيد بن ثابت، ورافع بن خديج، وفصالة بن عبّيد، وكعب بن عجرة، كانوا عثمانيّة. فقال رجل لعبد الله بن حسن: كيف أبى هؤلاء بيعة على! وكانوا عثمانيّة. قال: أما حسّان فكان شاعراً لا يبالي ما يصنع؛ وأما زيد ابن ثابت فولاه عثمان الديوان وبيت المال، فلما حُصِر عثمان، قال: يا معشر الأنصار، كونوا أنصاراً لله... مرتين، فقال أبو أيّوب: ما تنصره إلا أنه أكثر لك من العُضدان^(١). فأما كعب بن مالك فاستعمله على صدقة مُزينة وترك ما أخذ منهم له.

قال: وحدّثني مَنْ سمع الزهري يقول: هرب قوم من المدينة إلى الشام ولم يبايعوا عليّاً، ولم يبايعه قدامة بن مظعون، وعبد الله بن سلام، والمغيرة ابن شعبة. وقال آخرون: إنما بايع طلحة والزبير عليّاً كرهاً. وقال بعضهم: لم يبايعه الزبير.

* * *

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ :

حدّثني عبد الله بن أحمد المروزي، قال: حدّثني أبي، قال: حدّثني سليمان؛ قال: حدّثني عبد الله، عن جرير بن حازم، قال: حدّثني هشام ابن أبي هشام مولى عثمان بن عفان، عن شيخ من أهل الكوفة، يحدّثه عن شيخ آخر، قال: حُصِر عثمان وعلى بخيبر، فلما قدِم أرسل إليه عثمان يدعوه، فانطلق، فقلت: لأنطلقنّ معه ولأسمعنّ مقالتهما، فلما دخل عليه كلمه عثمان، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أمّا بعد، فإنّ لي عليك حقوقاً؛ حقّ الإسلام، وحقّ الإخاء - وقد علمت أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم حين آخى بين الصحابة آخى بيني وبينك - وحقّ القرابة والصهر، وما جعلت لي في عنقك من العهد والميثاق، فوالله لو لم يكن من هذا شيء ثم كنّا إنما نحن في جاهليّة، لكان مُبْطِئاً على بني عبد مناف أن يترزّم أخو بني تميم مُلْكَهُمْ.

٣٠٧١/١

(١) العُضدان: جمع عُضيد؛ وهي النخلة لها جذع يتناول منه المتناول.

فَتَكَلَّمَ عَلِيٌّ ، فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : أَمَا بَعْدَ ، فَكُلَّ مَا ذَكَرْتَ مِنْ حَقِّكَ عَلِيٌّ عَلَى مَا ذَكَرْتَ ، أَمَا قَوْلُكَ : لَوْ كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ لَكَانَ مَبْطَأًا عَلَى بَنِي عَبْدِ مَنْفَ أَنْ يَبْتَزَّهُمْ أَخُو بَنِي تَيْمٍّ مَلِكَتَهُمْ فَصَدَقْتَ ، وَسَيَأْتِيكَ الْخَبَرُ . ثُمَّ خَرَجَ فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ فَرَأَى أَسَامَةَ جَالِسًا ، فَدَعَاهُ ، فَاعْتَمَدَ عَلَى يَدِهِ ، فَخَرَجَ يَمْشِي إِلَى طَلْحَةَ وَتَبِعَتْهُ ، فَدَخَلْنَا دَارَ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ وَهِيَ دِحَّاسٌ ^(١) مِنْ النَّاسِ ، فَقَامَ إِلَيْهِ ، فَقَالَ : يَا طَلْحَةُ ، مَا هَذَا الْأَمْرَ الَّذِي وَقَعَتْ فِيهِ ؟ فَقَالَ : يَا أَبَا حَسَنِ ، بَعْدَ مَا مَسَّ الْحَزَامُ الطُّبِّيِّينَ ! فَاَنْصَرَفَ عَلِيٌّ وَلَمْ يُحِرْ إِلَيْهِ شَيْئًا حَتَّى أَتَى بَيْتَ الْمَالِ ، فَقَالَ : افْتَحُوا هَذَا الْبَابَ ، فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى الْمَقَاتِيحِ ، فَقَالَ : اكْسُرُوهُ ؛ فَكُسِرَ بَابُ بَيْتِ الْمَالِ ، فَقَالَ : أَخْرِجُوا الْمَالَ ، فَجَعَلَ يُعْطِي النَّاسَ فَبَلَغَ الَّذِينَ فِي دَارِ طَلْحَةَ الَّذِي صَنَعَ عَلِيٌّ ، فَجَعَلُوا يَتَسَلَّلُونَ إِلَيْهِ حَتَّى تُرِكَ طَلْحَةُ وَحْدَهُ . وَبَلَغَ الْخَبْرُ عُثْمَانَ ، فَسُرَّ بِذَلِكَ ، ثُمَّ أَقْبَلَ طَلْحَةَ يَمْشِي عَائِدًا إِلَى دَارِ عُثْمَانَ ، فَقُلْتُ : وَاللَّهِ لَأَنْظُرَنَّ مَا يَقُولُ هَذَا ؛ فَتَبِعْتُهُ ، فَاسْتَأْذَنَ عَلَى عُثْمَانَ ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ ، أَرَدْتُ أَمْرًا فَحَالَ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ ، فَقَالَ عُثْمَانُ : إِنَّكَ وَاللَّهِ مَا جِئْتَ تَائِبًا ، وَلَكِنَّكَ جِئْتَ مَغْلُوبًا ، اللَّهُ حَسِييْكَ يَا طَلْحَةُ !

وَحَدَّثَنِي الْحَارِثُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ سَعْدٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ سَعْدٍ ، قَالَ : قَالَ طَلْحَةُ : بَايَعْتُ وَالسَّيْفَ فَوْقَ رَأْسِي — فَقَالَ سَعْدٌ : لَا أَدْرِي وَالسَّيْفَ عَلَى رَأْسِهِ أَمْ لَا ، إِلَّا أَنِّي أَعْلَمُ أَنَّهُ بَايَعَ كَارِهًا — قَالَ : وَبَايَعَ النَّاسَ عَلِيًّا بِالْمَدِينَةِ ، وَتَرَبَّصَ سَبْعَةَ نَفَرٍ فَلَمْ يَبَايِعُوهُ ؛ مِنْهُمْ : سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ ، وَمِنْهُمْ ابْنُ عَمْرِو ، وَصَهْبِيبُ ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمَةَ ، وَسَلَمَةُ بْنُ وَقَّاشٍ ، وَأَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ ، وَلَمْ يَتَخَلَّفْ أَحَدٌ مِنَ الْأَنْصَارِ إِلَّا بَايَعَ فِيمَا نَعْلَمُ .

وَحَدَّثَنَا الزَّيْبِيُّ بْنُ بَكَّارٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عَمِي مُصْعَبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ،

(١) ط : « دِحَّاسٌ » . ودحاس من الناس . ؛ أى مثقلة ؛ وانظر ابن أبي الحديد ١٠ : ٨ .

قال : حدثني أبي عبد الله بن مصعب ، عن موسى بن عقبة ، عن أبي حبيبة مولى الزبير ، قال : لما قتل الناس عثمان رضي الله عنه وبايعوا علياً ، جاء على إلى الزبير فاستأذن عليه ، فأعلمته به ، فسل سيفاً ووضعته تحت فراشه ، ثم قال : ائذن له ، فأذنت له ، فدخل فسلم على الزبير وهو واقفٌ بنحرة ، ثم خرج . فقال الزبير : لقد دخل المرء ما أقصاه ، قم في مقامه فانظر هل ترى من السيف شيئاً ؟ فقممت في مقامه فرأيت ذباب السيف ، فأخبرته فقال : ذاك أعجل الرّجل . فلما خرج على سألته الناس ، فقال : وجدت أبر ابن أخيت وأوصله . فظن الناس خيراً ، فقال علي : إنه بايعه .

وما كتب به إلى السري عن شعيب ، عن سيف بن عمر ، قال : حدثنا محمد بن عبد الله بن سواد بن نؤيرة ، وطلحة بن الأعلم ، وأبو حارثة ، وأبو عثمان ، قالوا : بقيت المدينة بعد قتل عثمان رضي الله عنه خمسة أيام ، وأميرها الغافقي بن حرب يلتصقون من يجيبهم إلى القيام بالأمر فلا يجدونه ، يأتي المصريون علياً فيختبئ منهم ويلوذُ بحيطان المدينة ، فإذا لقوه باعدهم وتبرأ منهم ومن مقاتلتهم مرة بعد مرة ؛ ويطلب الكوفيون الزبير فلا يجدونه ، فأرسلوا إليه حيث هو رسلاً ، فباعدهم وتبرأ من مقاتلتهم ؛ ويطلب البصريون طلحة فإذا لقيهم باعدهم وتبرأ من مقاتلتهم مرة بعد مرة ؛ وكانوا مجتمعين على قتل عثمان مختلفين فيمن يهرون ، فلما لم يجدوا ممالئاً ولا مجيباً جمعهم الشر على أول من أجابهم ، وقالوا : لا نولي أحداً من هؤلاء الثلاثة ، فبعثوا إلى سعد بن أبي وقاص وقالوا : إنك من أهل الشورى فرأينا فيك مجتمع ، فاقدّم نبايعك ، فبعث إليهم : إني وابن عمر خرجنا منها فلا حاجة لي فيها على حال ؛ وتمثل :

لا تَخْلِطَنَّ خَيْشَاتٍ بِطَبِيبَةٍ واخْلَعْ ثِيَابَكَ مِنْهَا وَانْجُ عُرْيَانَا

ثم لهنم أتوا ابن عمر عبد الله ، فقالوا : أنت ابن عمر فقم بهذا الأمر ، فقال : إن لهذا الأمر انتقاماً والله لا أتعرض له ، فالتمسوا غيره . فبقوا حيارى لا يدرون ما يصنعون والأمر أمرهم .

وكتب إلى السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن سهل بن يوسف، عن القاسم بن محمد، قال : كانوا إذا لقوا طلحةً أبى وقال :

ومن عَجَبِ الأيامِ والُدَّهرِ أنى بَقِيتُ وحيداً لا أَمِرُّ ولا أُحِلّى
فيقولون : إنَّكَ لتوعدا . فيقومون فيتركونه ، فإذا لقوا الزبير وأرادوه
أبى وقال :

متى أنت عن دارٍ بفيحانٍ راحلٌ وباحتها تَخْنُو عليك الكتابُ
فيقولون : إنَّكَ لتوعدا ! فإذا لقوا عليّاً وأرادوه أبى، وقال :
لو أنَّ قومي طاوَعَتْنى سَرائِهِمُ أَمَرْتُهُمُ أَمراً يُدِيخُ الأعاديَا
فيقولون : إنَّكَ لتوعدا ! فيقومون ويتركونه .

وحدثني عمر بن شبّة ، قال : حدّثنا أبو الحسن المدائنيّ ، قال : أخبرنا
مسلمة بن محارب ، عن داود بن أبي هند ، عن الشعبيّ ، قال : لما قَتَلَ عثمان
رضي الله عنه أقى الناسُ عليّاً وهو في سوق المدينة، وقالوا له : ابسط يدك نبايعك،
قال : لا تعجلوا فإنَّ عمر كان رجلاً مباركاً، وقد أوصى بها شوري، فأمهّلوا
يجمع الناس ويتشاورون . فارتدّ الناس عن عليّ ؛ ثم قال بعضهم : إن رجع
الناس إلى أمصارهم بقتل عثمان ولم يَتَقَمَّ بعده قائمٌ بهذا الأمر لم نأمن اختلاف
الناس وفساد الأمة ، فعادوا إلى عليّ ، فأخذ الأَشْتَرُ بيده فقبضها عليّ ، فقال :
أبعد ثلاثة ! أمّا والله لئن تركتها لتقصرن عَنِّيَتُكَ (١) عليها حيناً ، فبايعته
العامة . وأهل الكوفة يقولون : إنَّ أوَّلَ من بايعه الأَشْتَرُ .

وكتب إلى السريّ ، عن شعيب، عن سيف ، عن أبي حارثة وأبي
عثمان ، قالا : لما كان يوم الخميس على رأس خمسة أيام من مقتل عثمان رضي
الله عنه ، جمعوا أهل المدينة فوجدوا سعداً والزبير خارجين ، ووجدوا طلحة
في حائط له ، ووجدوا بنى أمية قد هربوا إلّا من لم يُطِيق الهرب، وهرب الوليد
وسعيد إلى مكة في أوَّل من خرج ، وتبعهم مروان ، وتتابع على ذلك مَن تابع ،

(١) عنيك ، أى عنامك ، وقط : « عنيك » .

فلما اجتمع لهم أهلُ المدينة قال لهم أهل مصر: أنتم أهل الشورى، وأنتم تعتقدون الإمامة، وأمركم عابر^(١) على الأمة، فانظروا رجلاً تنصبونه، ونحن لكم تبع. فقال الجمهور: على بن أبي طالب نحن به راضون.

وأخبرنا على بن مسلم، قال: حدثنا حَبَّان بن هلال، قال: حدثنا جعفر بن سليمان، عن عوف، قال: أما أنا فأشهد أني سمعتُ محمد بن سيرين يقول: إن علياً جاء فقال لطلحة: ابسط يدك يا طلحة لأبايعك، فقال طلحة: أنت أحق، وأنت أمير المؤمنين، فابسط يدك، قال: فبسط على يده فبايعه.

وكتب إلى السري عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالوا: فقالوا لهم: دونكم يا أهل المدينة فقد أجَلْنَاكم يومين^(٢)، فوالله لئن لم تفرغوا لنقتلن غداً علياً وطلحة والزبير وأناساً كثيراً. فغشى الناس علياً فقالوا: نبايعك فقد ترى ما نزل بالإسلام؛ وما ابتلينا به من ذوى القرى^(٣)، فقال على: دعوني والتمسوا غيري فإننا مستقبلون أمراً له وجه وله ألوان، لا تقوم له القلوب، ولا تثبت عليه العقول. فقالوا: ننشدك الله ألا ترى ما نرى! ألا ترى الإسلام! ألا ترى الفتنة! ألا تخاف الله! فقال: قد أجبتكم لما أرى، واعلموا إن أجبتكم ركبتم بكم ما أعلم، وإن تركتموني فإنما أنا كأحدكم، إلا أني أسمعكم وأطوعمكم لمن وليتموه أمركم. ثم افرقوا على ذلك واتعدوا الغد. وتشاور الناس فيما بينهم وقالوا: إن دخل طلحة والزبير فقد استقامت. فبعث البصريون إلى الزبير بصرياً، وقالوا: احذر لا تحادّه — وكان رسولهم حُكَيْم بن جبلة العبدى في نفر — فجاءوا به يحدّونه بالسيف. وإلى طلحة كوفياً وقالوا له: احذر لا تحادّه، فبعثوا الأشتر في نفر فجاءوا به يحدّونه بالسيف. وأهل الكوفة وأهل البصرة شامتون بصاحبهم، وأهل مصر فرحون بما^(٤)، اجتمع عليه أهل المدينة، وقد خشع أهل الكوفة وأهل البصرة أن صاروا أتباعاً لأهل مصر وحشوة فيهم، وازدادوا بذلك على طلحة والزبير غيظاً، فلما أصبحوا من

(١) ابن الأثير والنويرى «جائز». (٢) ابن الأثير والنويرى: «يومكم».

(٣) ابن الأثير والنويرى: «بين القرى». (٤) النويرى: «لما».

يوم الجمعة حضر الناس المسجد ، وجاء على حتى صعد المنبر ، فقال : يأيها الناس—عن ملا وإذن— إن هذا أمرٌكم ليس لأحد فيه حقٌ إلا من أمرتم ، وقد افترقنا بالأمس على أمر ، فإن شتم قعدت لكم ، وإلا فلا أجِد على أحد . فقالوا : نحن على ما فارقناك عليه بالأمس . وجاء القوم بطلحة فقالوا : بايع ، فقال : إني إنما أبايع كرهًا ، فبايع— وكان به شلل — أول الناس ، وفي الناس رجل يعتاف ، فنظر من بعيد ، فلما رأى طلحة أول من بايع قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ! أول يد بايعت أمير المؤمنين يدٌ شلاء ، لا يتم هذا الأمر ! ثم جىء بالزبير فقال مثل ذلك وبايع — وفي الزبير اختلاف — ثم جىء بقوم كانوا قد تحلفوا فقالوا : نبايع على إقامة كتاب الله في القريب والبعيد ، والعزير والذليل ، فبايعهم ؛ ثم قام العامة فبايعوا .

كتب إلى السري عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي زهير الأزدي ، عن عبد الرحمن بن جندب ، عن أبيه ، قال : لما قتل عثمان رضي الله عنه واجتمع الناس على علي ، ذهب الأشتَر فجاء بطلحة ، فقال له : دعني أنظر ما يصنع الناس ، فلم يدعه وجاء به يتلوه تلاً عنيفاً^(١) ، وصعد المنبر فبايع .

وكتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن قيس ، عن الحارث الوالي ، قال : جاء حُكيم بن جبلة بالزبير حتى بايع ؛ فكان الزبير يقول : جاءني لصٌ من لُصوص عبد القيس فبايعت واللجج^(٢) على عني .

وكتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالا : وبايع الناس كلهم .

قال أبو جعفر : وسمح بعد هؤلاء الذين اشترطوا الذين جىء بهم ، وصار لأمر أمر أهل المدينة ، وكانوا كما كانوا فيه ، وتفرقوا إلى منازلهم لولا مكان النزاع والغوغاء فيهم .

• • •

(١) يتلوه تلا عنيفاً ، أى يدفعه دفعاً شديداً .

(٢) اللجج : السيف ؛ تشبيهاً بلج الماء .

اتّساق الأمر في البيعة لعليّ بن أبي طالب عليه السلام

وبويح عليّ يوم الجمعة لخمس بقين من ذى الحجة - والناس يحسبون من يوم قتل عثمان رضي الله عنه - فأول خطبة خطبها عليّ حين استخلف - فيما كتب به إلى السريّ، عن شعيب ، عن سيف ، عن سليمان بن أبي المغيرة ، عن عليّ بن الحسين - حميد الله وأثنى عليه ، فقال :

إنّ الله عزّ وجلّ أنزل كتاباً هادياً بيّن فيه الخير والشرّ ، فخذوا بالخير ودعوا الشرّ . الفرائض أدّوها إلى الله سبحانه يؤدّكم إلى الجنة . إنّ الله حرّم حرماً غير مجهولة ، وفضل حرمة المسلم على الحرّم كلّها ، شدّ بالإخلاص والتوحيد المسلمين . والمسلم من سلم الناس من لسانه ويده إلا بالحقّ ، لا يحلّ أذى المسلم إلا بما يجب . بادروا أمر العامة ، وخاصّة أحدكم الموت ، فإنّ الناس أمامكم ، وإنّ ما من خلفكم الساعة تحدوكم . تخفّفوا تلحقوا ، فإنما ينتظر الناس أخراهم . اتقوا الله عباده في عباده وبلاده ، إنكم مسئولون حتى عن البقاع والبهائم ، أطيعوا الله عزّ وجلّ ولا تعصوه ، وإذا رأيتم الخير فخذوا به وإذا رأيتم الشرّ فدعوه ، ﴿ واذكروا إذ أنتم قليلٌ مستضعفون في الأرض ﴾ ^(١) .

٣٠٧٩/١

ولما فرغ عليّ من خطبته وهو على المنبر قال المصريون :

خذها ... واحذرّا أبا حسن ^(٢) إنّنا نمرّ الأمر إمّار الرّسن

ولنّما الشعر :

خذها إليك واحذرّا أبا حسن .

فقال عليّ مجيباً :

إني عجزت عجزة ما أعذر سوف أكيس بعدها وأستمر

وكتب إلى السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالا :
ولما أراد عليّ الذهاب إلى بيته قالت السبيّة :

(١) سورة الأنفال ٤١ (٢) هكذا غير موزون .

خذها إليك واحذراً أبا حسن : إِنَّا نُمِرُ الْأَمْرَ إِمْرَارَ الرَّسَنِ
صَوْلَةَ أَقْوَامٍ كَأَسْدَادِ الشُّفَنِ بِمَشْرِفَيَاتِ كَفْذَرَانِ اللَّذَنِ
وَنَظْمِنَ الْمُلْكَ بِلَيْنِ كَالشَّطَنِ حَتَّى يَمُرَّ عَلَى غَيْرِ عَيْنِ
فَقَالَ عَلَى : وَذَكَرَ تَرْكَهُمُ الْعَسْكَرَ وَالْكَيْنُونَةَ عَلَى عِدَّةٍ مَامُنُّوا حِينَ غَمَزُوهُمْ
وَرَجَعُوا إِلَيْهِمْ ، فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا أَنْ يَمْتَنِعُوا حَتَّى ... (١)

٣٠٨٠/١
إِنِّي عَجَزْتُ عَجْزَةً لَا أَعْتَذِرُ سَوْفَ أَكَيْسُ بَعْدَهَا وَأَسْتَمِرُّ
أَرْفَعُ مِنْ ذَيْلِي مَا كُنْتُ أَجْرُ وَأَجْمَعُ الْأَمْرَ الشَّتِيَّتَ الْمُنْتَشِرُ
إِنْ لَمْ يُشَاغِبْنِي الْعَجُولُ الْمُنْتَصِرُ أَوْ يَتْرُكُونِي وَالسَّلَاحُ يُبْتَدَرُ

واجتمع إلى على بعد ما دخل طلحة والزبير في عِدَّةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ ، فَقَالُوا :
يَا عَلَى ، إِنَّا قَدْ اشْتَرَطْنَا إِقَامَةَ الْحُدُودِ ، وَإِنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ قَدْ اشْتَرَكُوا فِي دَمِ
هَذَا الرَّجُلِ وَأَحْلَوْا بِأَنْفُسِهِمْ . فَقَالَ لَهُمْ : يَا إِخْوَتَاهُ ، إِنِّي لَسْتُ أَجْهَلُ مَا تَعْلَمُونَ ،
وَلَكِنِّي كَيْفَ أَصْنَعُ بِقَوْمٍ يَمْلِكُونَنَا (٢) وَلَا تَمْلِكُهُمْ ! هَا هُمْ هَؤُلَاءِ قَدْ ثَارَتْ
مَعَهُمْ عُبْدَانُكُمْ ، وَثَابَتْ إِلَيْهِمْ أَعْرَابُكُمْ ، وَهُمْ خِلَالَكُمْ يَسُومُونَكُمْ مَا شَاءُوا ، فَهَلِ
تَرَوْنَ مَوْضِعًا لِقُدْرَةٍ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا تَرِيدُونَ ؟ قَالُوا : لَا ، قَالَ : فَلَا وَاللَّهِ لَا أَرَى
إِلَّا رَأْيًا تَرَوْنَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ؛ إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ أَمْرُ جَاهِلِيَّةٍ ، وَإِنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ
مَادَّةٌ ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الشَّيْطَانَ لَمْ يَشْرَعْ شَرِيعَةً قَطُّ فَيَبْرِحَ الْأَرْضَ مِنْ أَخْذِهَا أَبَدًا .
إِنَّ النَّاسَ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ أَنْ حُرِّكَ عَلَى أُمُورٍ : فَرَفَقَةٌ تَرَى مَا تَرُونَ ، وَفَرَقَةٌ
تَرَى مَا لَا تَرُونَ ، وَفَرَقَةٌ لَا تَرَى هَذَا وَلَا هَذَا حَتَّى يَهْدِيَ النَّاسَ وَتَقَعُ الْقُلُوبُ
مَوَاقِعَهَا وَتُؤَخِّذَ الْحَقُوقَ ، فَاهْدُوا عَنِّي وَانظُرُوا مَاذَا يَأْتِيكُمْ ، ثُمَّ عُودُوا .

وَاشْتَدَّ عَلَى قُرَيْشٍ ، وَحَالَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْخُرُوجِ عَلَى حَالٍ ، وَإِنَّمَا هَيَّجَهُ
عَلَى ذَلِكَ هَرَبُ بَنِي أُمَيَّةَ . وَتَفَرَّقَ الْقَوْمُ ؛ وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ : وَاللَّهِ لَئِنْ أَزْدَادَ الْأَمْرُ
لَا قُدْرَتَنَا عَلَى انْتِصَارٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الْأَشْرَارِ ؛ لَتَتْرُكْ هَذَا إِلَى مَا قَالَ عَلَى أَمْثَلِ .
وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ : نَقَضَى الَّذِي عَلَيْنَا وَلَا نُؤَخِّرُهُ ، وَاللَّهِ إِنَّ عَلَيْنَا لِمُسْتَعْنٍ بِرَأْيِهِ
وَأَمْرِهِ عَنَا ، وَلَا نَرَاهُ إِلَّا سَيَكُونُ عَلَى قُرَيْشٍ أَشَدَّ مِنْ غَيْرِهِ . فَذَكَرَ ذَلِكَ لِعَلَى

(١) هَذَا نَقَصٌ فِي أَصُولِ ط .

(٢) كَذَا فِي ابْنِ الْأَثِيرِ ، وَفِي الطَّبْرِيِّ : « يَمْلِكُونَهَا » .

فقام فحمد الله وأثنى عليه وذكر فضلهم وحاجته إليهم ونظره لهم وقيامه دونهم ، وأنه ليس له من سلطانهم إلا ذلك ، والأجر من الله عز وجل عليه ، ونادى : برئت الذمة من عبدٍ لم يرجع إلى مواليه . فتذامرت السبئية والأعراب ، وقالوا : لنا غداً مثلها ، ولا نستطيع نحتج فيهم بشيء .

وكتب إلى السري عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قال : خرج علي في اليوم الثالث على الناس ، فقال : يا أيها الناس ، أخرجوا عنكم الأعراب . وقال : يا معشر الأعراب ، الحقوا بمياهم . فأبى السبئية وأطاعهم الأعراب . ودخل علي بيته ودخل عليه طلحة والزبير وعدة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : دونكم ثأركم فاقتلوه ؛ فقالوا : عَشُوا^(١) عن ذلك ، قال : هم والله بعد اليوم أعشى وأبى . وقال :

لَوْ أَنَّ قَوْمِي طَاوَعَنِي مَرَاتُهُمْ أَمَرْتُهُمْ أَمْرًا يُدِيخُ الْأَعْدَايَا^(٢)

٣٠٨٢/١

وقال طلحة : دعني فلات البصرة فلا يفجؤك إلا وأنا في خيل ، فقال : حتى أنظر في ذلك . وقال الزبير : دعني آت الكوفة فلا يفجؤك إلا وأنا في خيل ، فقال : حتى أنظر في ذلك ؛ وسمع المغيرة بذلك المجلس فجاء حتى دخل عليه ، فقال : إن لك حق الطاعة والنصيحة ، وإن الرأي اليوم تحرز به ما في غد ، وإن الضياع اليوم تضییع به ما في غد ؛ أقرر معاوية على عمله ، وأقرر ابن عامر على عمله ، وأقرر العمال على أعمالهم ، حتى إذا أتت طاعتهم وبيعة الجنود استبدلت أو تركت . قال : حتى أنظر .

فخرج من عنده وعاد إليه من الغد ، فقال : إني أشرت عليك بالأمس برأي ، وإن الرأي أن تعاجلهم بالتزوع ، فيعرف السامع من غيره ويستقبل أمرك ؛ ثم خرج وتلقاه ابن عباس خارجاً وهو داخل ، فلما انتهى إلى علي قال : رأيت المغيرة خرج من عندك ففيم جاءك ؟ قال : جاءني أمس بذية وذية ، وجاءني اليوم بذية وذية ، فقال : أمّا أمس فقد نصّحك ، وأما اليوم فقد غشّك . قال : فما الرأي ؟ قال : كان الرأي أن تخرج حين قتل الرجل أو قبل ذلك ، فتأتي مكة فتدخل دارك وتغلق عليك بابك ، فإن كانت العرب جائلة مضطربة

(٢) ابن الأثير : « ولو أن » .

(١) يقال : عشت عن الشيء ، أعرضت عنه

في أترك لا تجد غيرك؛ فأما اليوم فلأن في بني أمية من يستحسنون الطلب بأن يلزموك شعبة من هذا الأمر، ويشبهون على الناس، ويطلبون مثل ما طلب أهل المدينة، ولا تقدر على ما يريدون ولا يقدرون عليه، ولو صارت الأمور إليهم حتى يصيروا في ذلك أموت لحقوقهم؛ وأترك لها إلا ما يعجلون من الشبهة. وقال المغيرة: نصحتك والله، فلما لم يقبل غششتك. وخرج المغيرة حتى لحق بمكة.

حدثني الحارث، عن ابن سعد، عن الواقدي، قال: حدثني ابن أبي سبرة، عن عبد المجيد بن سهيل، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن ابن عباس، قال: دعاني عثمان فاستعملني على الحج، فخرجت إلى مكة فأقمت للناس الحج، وقرأت عليهم كتاب عثمان إليهم، ثم قدمت المدينة وقد بويج لعل؛ فأتيته في داره فوجدت المغيرة بن شعبة مستخليا به، فحبسني حتى خرج من عنده، فقلت: ماذا قال لك هذا؟ فقال: قال لي قبل مرته هذه: أرسل إلى عبد الله بن عامر وإلى معاوية وإلى عمال عثمان بعهدهم تفرهم على أعمالهم ويباعون لك الناس، فإنهم يهدون البلاد ويسكنون الناس؛ فأبيت ذلك عليه يومئذ وقلت: والله لو كان ساعة من نهار لاجتهدت فيها رأيي، ولا وليت هؤلاء ولا مثلهم يؤكس.

قال: ثم انصرف من عندي وأنا أعرف فيه أنه يرى^(١) أني مخطئ؛ ثم عاد إلى الآن فقال: إنني أشرت عليك أول مرة بالذي أشرت عليك وخالفني فيه، ثم رأيت بعد ذلك رأيا، وأنا أرى أن تصنع الذي رأيت فتزعمهم وتستعين بمن تشق به، فقد كفى الله، وهم أهون شوكة مما كان. قال ابن عباس: فقلت لعل: أما المرة الأولى فقد نصحك، وأما المرة الآخرة فقد غشك؛ قال له علي: ولیم نصحنی؟ قال ابن عباس: لأنك تعلم أن معاوية وأصحابه أهل دنيا، فتي تشبتهم لا يبالوا^(٢) بمن ولي هذا الأمر، ومتى عزلهم يقولوا: أخذ هذا الأمر بغير شوري، وهو قتل صاحبنا؛ ويؤلبون عليك فينتقض عليك أهل الشام وأهل العراق، مع أني لا آمن طلحة والزبير أن يكررا عليك.

(١) ابن الأثير: «يود».

(٢) ابن الأثير والنويري: «فتي ثبتم لا يبالون».

فقال عليّ: أمّا ما ذكرت من إقرارهم فوالله ما أشكّ أنّ ذلك خيرٌ في عاجل الدنيا لإصلاحها ، وأمّا الذي يلزمني من الحقّ والمعرفة بعمّال عثمان فوالله لا أولّى منهم أحداً أبداً ؛ فإنّ أقبلوا فذلك خيرٌ لهم : وإنّ أدبروا بذلت لهم السيف . قال ابن عباس : فأطعني وادخل دارك ، والحقّ بمالك ييسّبُ ، وأغلق بابك عليك ، فإنّ العرب تجول جولةً وتضطربُ ولا تجد غيرك ، فإنك والله لئن نهضت مع هؤلاء اليوم ليجسمّلك الناس دمَ عثمان غداً . فأبى عليّ ، فقال لابن عباس : سر إلى الشام فقد وليتكمها ؛ فقال ابن عباس : ما هذا برأى ؛ معاويةُ رجلٌ من بني أميّة وهو ابنُ عمِّ عثمان وعامله على الشام ، ولست آمن أن يضرب عنقُ لعثمان ، أو أدّني ما هو صانعٌ أن يجسّني فيتحكم عليّ . فقال له عليّ : ولم ؟ قال : لقربة ما بيني وبينك ، وإنّ كلَّ ما حميل عليك حميل عليّ ، ولكن اكتب إلى معاوية فنّه وعده . فأبى عليّ وقال : والله لا كان هذا أبداً .

٣٠٨٥/١

قال محمد : وحدّثني هشام بن سعد ، عن أبي هلال ، قال : قال ابن عباس : قد متّ المدينة من مكة بعد قتل عثمان رضي الله عنه بخمسة أيام ، فجنّنتُ عليّاً أدخل عليه ، فقيل لي : عنده المغيرةُ بن شعبة ؛ فجلستُ بالباب ساعةً ، فخرج المغيرةُ فسلم عليّ فقال : متى قد مت ؟ فقلت : الساعة . فدخلتُ عليّ عليّ فسلمتُ عليه ، فقال لي : لقيت الزبير وطلحة ؟ قال : قلت : لقيتهما بالنواصف . قال : من معهما ؟ قلت : أبو سعيد بن الحارث بن هشام في فئة من قريش . فقال عليّ : أما إنهم لن يدعوا أن يخرجوا يقولون : نطلب بدم عثمان ؛ والله نعلم أنهم قتلة عثمان . قال ابن عباس : يا أمير المؤمنين ، أخبرني عن شأن المغيرة ، ولمّ خلا بك ؟ قال : جاءني بعد مقتل عثمان بيومين ، فقال لي : أخلّني ، ففعلت ؛ فقال : إنّ التصحّ رخيص وأنت بقية الناس ، وإنّ لك ناصح ، وإنّ أشير عليك بردّ عمال عثمان عامك هذا ؛ فاكتب إليهم بإثباتهم على أعمالهم ، فإذا بايعوا لك واطمأنّ الأمرُ لك عزّلت من أحبّيت وأقرّرت من أحبّيت . فقلت : والله لا أدهن^(١) في ديني ولا أعطى

(١) ابن الأثير « أدهن » .

الدثي في أمري . قال : فإن كنت قد أبست عليّ فانزع من شئت واترك معاوية ، فإنّ لمعاوية جرأة ، وهو في أهل الشام يُسمع منه ، ولك حجة في إثباته ؛ كان عمر بن الخطاب قد ولاه الشام كلها ، فقلت : لا والله ، لا أستعمل معاوية يومين أبداً . فخرج من عندي على ما أشار به ، ثم عاد فقال لي : إني أشرت عليك بما أشرت به فأبيت عليّ ، ثم نظرت في الأمر فإذا أنت مصيب ، لا ينبغي لك أن تأخذ أمرك بخدعة ، ولا يكون في أمرك دلسة . قال : فقال ابن عباس : فقلت لعلّي : أمّا أول ما أشار به عليك فقد نصحتك ، وأمّا الآخر فغشيتك ؛ وأنا أشير عليك بأن تُشيت معاوية ، فإن بايع لك فعلى أن أقلعه من منزله . قال عليّ : لا والله ، لا أعطيه إلاّ السيف . قال : ثم تمثّل بهذا البيت :

هاميته إن مُتُّها غيرَ عاجزٍ بعارٍ إذا ما غالت النفس غولها
فقلتُ : يا أمير المؤمنين ، أنت رجلٌ شجاعٌ لست بأرب بالحرب ، أمّا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «الحرب خدعة» ! فقال عليّ : بلى ، فقال ابن عباس : أمّا والله لئن أطعته لئن لأصدُرَنّ بهم بعد وِردٍ ، ولأتركهم ينظرون في دُبُر الأمور لا يعرفون ما كان وجهها ، في غير نُقصان عليك ولا إثم لك . فقال : يا بن عباس ، لست من هُنيتك وهنيات معاوية في شيء ، تُشير عليّ وأرى ، فإذا عصيتك فأطعني . قال : فقلت : أفعل ، إنّ أيسر ما لك عندى الطاعة .

• • •

مسير قسطنطين ملك الروم يُريد المسلمين

وفي هذه السنة — أعني سنة خمس وثلاثين — سار قسطنطين بن هرقل — فيما ذكر محمد بن عمر الواقدي عن هشام بن الغاز ، عن عبادة بن نسي — في ألف مَرَكب يُريد أرض المسلمين ، فسلط الله عليهم قاصفاً من الريح فغرقهم ، ونجا قسطنطين بن هرقل ، فأثى صقليّة ، فصنعوا له حماماً فدخله فقتلوه فيه ؛ وقالوا : قتلنا رجالنا .

ثم دخلت سنة ست وثلاثين

تفريق على عماله على الأمصار

ولما دخلت سنة ست وثلاثين فرّق على عماله؛ فمّا كتب إلى السري، عن شُعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالوا: بعث على عماله على الأمصار، فبعث عثمان بن حنيف على البصرة، وعُمارة بن شهاب على الكوفة، وكانت له هجرة؛ وعبيد الله بن عباس على اليمن، وقيس بن سعد على مصر، وسهل بن حنيف على الشام؛ فأما سهل فإنه خرج حتى إذا كان بتبوك لقيته خيلٌ، فقالوا: مَنْ أنت؟ قال: أمير، قالوا: على أي شيء؟ قال: على الشام، قالوا: إن كان عثمان بعثك فحيّاهُ بك، وإن كان بعثك غيره فارجع! قال: أو ما سمعتم بالذي كان؟ قالوا: بلى؛ فرجع إلى على. وأما قيس بن سعد فإنه لما انتهى إلى أبلّة لقيته خيلٌ، فقالوا: مَنْ أنت؟ قال: من فالة عثمان، فأنا أطلب من آوى إليه وأنتصر به، قالوا: من أنت؟ قال: قيس ابن سعد، قالوا: امض؛ فضى حتى دخل مصر، فافترق أهل مصر فِرَقًا؛ فرقة دخلت في الجماعة وكانوا معه، وفِرقة وقفت واعتزلت إلى خربيتنا وقالوا: إن قُتِل قتلةُ عثمان فنحن معكم، وإلا فنحن على جد يلتنا حتى نحرك أو نصيب حاجتنا؛ وفرقة قالوا: نحن مع على ما لم يُقَدِّ إخواننا، وهم في ذلك مع الجماعة؛ وكتب قيس إلى أمير المؤمنين بذلك. وأما عثمان بن حنيف فسار فلم يردّه أحدٌ عن دخول البصرة ولم يوجد في ذلك لابن عامر رأى ولا حزم ولا استقلال بحرب. وافترق الناس بها، فاتبعت فرقة القوم، ودخلت فرقة في الجماعة، وفرقة قالت: ننظر ما يصنع أهل المدينة فنصنع كما صنعوا. وأما عُمارة فأقبل حتى إذا كان بربالة لقيه طليحة بن خويلد؛ وقد كان حين بلغهم خبر عثمان خرج يدعو إلى الطلب بدمه ويقول: لهنى على أمرٍ لم يسبقني ولم أدركه!

٣٠٨٨/١

يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعٌ أَكْرُ فِيهَا وَأَضَعُ

فخرج حين رجع القعقاعُ من لغاتة عثمان فيمن أجابه حتى دخل الكوفة ، فطلع عليه عُمارَةُ قَادِمًا عَلَى الكوفة ، فقال له : ارجع فَإِنَّ القومَ لَا يريدون بِأَمِيرِهِمْ بَدَلًا ، وَإِنْ آيَتُ ضَرِبْتُ عَنْقَكَ . فرجع عُمارَةُ وهو يقول : احذر الخطرَ مَا يَمَسُّكَ ، الشرُّ خَيْرٌ مِنْ شَرِّ مِنْهُ .

٣٠٨٩/١

فرجع إِلَى عَلَى بِالخَبَرِ . وَغَلَبَ عَلَى عُمارَةُ بْنُ شَهَابٍ هَذَا المثلُ مِنْ لَدُنْ اعتَصَمَتْ عَلَيْهِ الْأُمُورُ إِلَى أَنْ مَاتَ . وَانْطَلَقَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ إِلَى الْيَمَنِ ، فَجَمَعَ يَعْزَلَى بْنُ أُمَيَّةَ كُلَّ شَيْءٍ مِنَ الْحَيَاةِ وَتَرَكَهُ وَخَرَجَ بِذَلِكَ وَهُوَ سَائِرٌ عَلَى حَامِيَتِهِ إِلَى مَكَّةَ فَقَسَدَ مَعَهَا بِالْمَالِ . وَلَمَّا رَجَعَ سَهْلُ بْنُ حُثَيْفٍ مِنْ طَرِيقِ الشَّامِ وَأَتَتْهُ الْأَخْبَارُ وَرَجَعَ مِنْ رَجْعٍ ، دَعَا عَلَى طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ ، فَقَالَ : إِنَّ الَّذِي كُنْتُ أَحْذَرُكُمْ قَدْ وَقَعَ يَا قَوْمَ ، وَإِنَّ الْأَمْرَ الَّذِي وَقَعَ لَا يُدْرِكُ إِلَّا بِأَمَانَتِهِ ، وَإِنَهَا فِتْنَةٌ كَالنَّارِ ؛ كُلَّمَا سُعِرَتْ أَزْدَادَتْ وَاسْتَنَارَتْ . فَقَالَا لَهُ : فَتَأْذَنُ لَنَا أَنْ نَخْرُجَ مِنَ الْمَدِينَةِ ، فَلَمَّا أَنْ نُكَابِرُ وَإِمَّا أَنْ تَدْعَنَا ، فَقَالَ : سَأَمْسِكَ الْأَمْرَ مَا اسْتَمْسَكَ ؛ فَلِذَا لَمْ أَجِدْ بُدًّا فَأَخِيرَ النَّوَاءَ الْكَيَّ .

وَكُتِبَ إِلَى مُعَاوِيَةَ وَإِلَى أَبِي مُوسَى . وَكُتِبَ إِلَيْهِ أَبُو مُوسَى بِطَاعَةِ أَهْلِ الكوفةِ وَيَسْعَتِهِمْ ، وَبَيَّنَّ الْكَارِهَ مِنْهُمْ لِلَّذِي كَانَ ، وَالرَّاضِيَ بِالَّذِي قَدْ كَانَ ، وَمِنْ بَيِّنَ ذَلِكَ حَتَّى كَانَ عَلِيًّا عَلَى الْمُؤَاجَهَةِ مِنْ أَمْرِ أَهْلِ الكوفةِ . وَكَانَ رَسُولُ عَلَى إِلَى أَبِي مُوسَى مَعْبُودَ الْأَسْلَمِيِّ ؛ وَكَانَ رَسُولُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مُعَاوِيَةَ سَبْرَةَ الْجُهَنِيِّ ، فَقَدِمَ عَلَيْهِ فَلَمْ يَكْتُبْ مُعَاوِيَةَ بِشَيْءٍ وَلَمْ يُجِيبْهُ وَرَدَّ رَسُولُهُ ، وَجَعَلَ كُلَّمَا تَنَجَّزَ (١) جَوَابَهُ لَمْ يَزِدْ عَلَى قَوْلِهِ :

٣٠٩٠/١

أَدِمَّ إِدَامَةَ حِصْنٍ أَوْ خَدًّا يَبْدَى حَرْبًا ضَرُوسًا تَشُبُّ الْجَزْلَ وَالضَّرْمَا فِي جَارِكُمْ وَابْنِكُمْ إِذْ كَانَ مَقْتَلُهُ شَنْعَاءَ شَيَّبَتِ الْأَصْدَاغَ وَاللَّمَمَا أَغْيَا الْمَسُودَ بِهَا وَالسَّيِّدُونَ فَلَمْ يَوْجِدْ لَهَا غَيْرُنَا مَوْلَى وَلَا حَكَمًا وَجَعَلَ الْجُهْنِيُّ كُلَّمَا تَنَجَّزَ الْكِتَابَ لَمْ يَزِدْهُ عَلَى هَذِهِ الْأَيَّاتِ ؛ حَتَّى إِذَا

كان الشهر الثالث من مقتل عثمان في صفر ، دعا معاويةُ برجلٍ من بني عبس ، ثم أحد بني راحة يدعى قبيصة ، فدفع إليه طوماراً مسخّطاً ، عنوانه : من معاوية إلى علي . فقال : إذا دخلت المدينة فاقبض على أسفل الطومار ، ثم أوصاه بما يقولُ وسرّح رسولَ علي . وخرجا فقدما المدينة في ربيع الأول لغزّته ، فلما دخلا المدينة رفع العبيس الطومار كما أمره ، وخرج الناس ينظرون إليه ؛ ففتفروا إلى منازلهم وقد علموا أن معاوية معترض ، ومضى حتى يدخل علي ، فدفع إليه الطومار ، فقبض خاتمه فلم يجد في جوفه كتابة ، فقال للرسول : ما وراءك ؟ قال : آمن أنا ؟ قال : نعم ، إن الرسل آمنة لا تقتل ؛ قال : ورأى أني تركتُ قومًا لا يرضون إلا بالقود ، قال : ممن ؟ قال : من خبيط نفسك^(١) ، وتركتُ ستين ألف شيخ يبيكى تحت قميص عثمان وهو منصوب لهم ، قد ألبسوه منبر دمشق . فقال : مني^(٢) يطلبون دم عثمان ! ألسنتُ موتوراً كثيرة عثمان ! اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان ؛ نجا والله قتلة عثمان إلا أن يشاء الله ، فإنه إذا أراد أمراً أصابه ؛ اخرج ؛ قال : وأنا آمن ؟ قال : وأنت آمن . فخرج العبيس وصاحت السبئية قالوا : هذا الكلب ، هذا وافد الكلاب ، اقلوه ! فنادى : يا آل مضر ، يا آل قيس ، الخيل والنبل ، إني أحلف بالله جل اسمه ليرُدّنها عليكم أربعة آلاف حصي ، فانظروا كم الفحولة والركاب ! وتعاووا عليه ومنعته مضر ، وجعلوا يقولون له : اسكت ، فيقول : لا والله ، لا يفلح هؤلاء أبداً ، فلقد أتاهم ما يوعدون . فيقولون له : اسكت ، فيقول : لقد حل بهم ما يحذرون ، انتهت والله أعمالهم ، وذهبت ريحهم ، فوالله ما أمسوا حتى عرف الذل فيهم .

* * *

استئذان طلحة والزبير علياً

كتب إلى السري عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالوا : استأذن طلحة والزبير علياً في العمرة ، فأذن لهما ، فلحقا بمكة ؛ وأحب أهل

(١) ابن الأثير والنويري : « وقبتك » . (٢) ابن الأثير والنويري : « أمي » .

المدينة أن يعلموا ما رأى على في معاوية وانتفاضه ، ليعرفوا بذلك رأيه في قتال أهل القبلة ؛ أيجسر عليه أو ينكل عنه ! وقد بلغهم أن الحسن بن علي دخل عليه ودعاه إلى القعود وترك الناس ، فدسوا إليه زياد بن حنظلة التميمي - وكان منقطعاً إلى علي - فدخل عليه فجلس إليه ساعة ثم قال له علي : يا زياد ، تيسر ؟ فقال : لأى شيء ؟ فقال : تغزو الشام ، فقال زياد : الأناة والرفق أمثل ، فقال :

وَمَنْ لَا يُصَانِعُ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ يُضَرِّسُ بِأَنْيَابٍ وَيُوطَأُ بِمَنْسِمٍ^(١)
فتمثل على وكأنه لا يريدہ :

مَتَى تَجْمَعُ الْقَلْبَ الذَّكِيَّ وَصَارِمًا وَأَنْفًا حَمِيًّا تَجْتَنِبُكَ الْمَظَالِمُ^(٢)

فخرج زياد على الناس والناس ينتظرونه ، فقالوا : ما وراءك ؟ فقال : السيف يا قوم ، فعرفوا ما هو فاعيل . ودعا على محمد بن الحنفية فدفع إليه اللواء ، وولّى عبد الله بن عباس ميمنته ، وعمر بن أبي سلمة - أو عمرو بن سفيان بن عبد الأسد - ولاه ميسرته ، ودعا أبا ليلى بن عمر بن الجراح ؛ ابن أخى أبى عبيدة بن الجراح ، فجعله على مقدمته ، واستخلف على المدينة قثم بن عباس ، ولم يولّ ممن خرج على عثمان أحداً ، وكتب إلى قيس بن سعد أن يندب الناس إلى الشام ، وإلى عثمان بن حنيف وإلى أبى موسى مثل ذلك ، وأقبل على التهيؤ والتجهز ، وخطب أهل المدينة فدعاهم إلى النهوض في قتال أهل الفرقة ، وقال : إن الله عز وجل بعث رسولا هادياً مهدياً بكتاب ناطق وأمر قائم واضح ؛ لا يهلك عنه إلا هالك ، وإن المبتدعات والشبهات هن المهلكات إلا من حفظ الله ، وإن في سلطان الله عصمة أمركم ، فأعطوه طاعتكم غير مكلوبة ولا مستكره بها ، والله لتفعلن أو ليقطن الله عنكم سلطان الإسلام ثم لا ينقله إليكم أبداً حتى يارز الأمر إليها^(٣) ، انهضوا إلى

(١) لزير ، ديوانه ٢٩ .

(٢) لابن بركة الهذلي ، الكامل ١ : ٢٧ ، وقيله :

وَكُنْتُ إِذَا قَوْمٌ رَمَوْنِي رَمِيَّتَهُمْ فَهَلْ أَنَا فِي ذَا يَالِ هَمْدَانَ ظَالِمُ
(٣) أى إلى المدينة .

هؤلاء القوم الذين يريدون يفرقون جماعتكم ، لعل الله يصلح بكم ما أفسد أهل الآفاق ، وتقضون الذى عليكم . فبينما هم كذلك إذ جاء الخبر عن أهل مكة بنحو آخر وتمايز على خلاف ، فقام فيهم بذلك ؛ فقال : إن الله عز وجل جعل لظالم هذه الأمة العفو والمغفرة ، وجعل لمن لزم الأمر واستقام الفوز والنجاة ، فمن لم يسعه الحق أخذ بالباطل . ألا وإن طلحة والزبير وأم المؤمنين قد تماثلوا على سخط إمارتى ، ودعوا الناس إلى الإصلاح ، وسأصبر ما لم أخف على جماعتكم ، وأكف إن كفوا ، وأقتصر على ما بلغنى عنهم .

ثم أتاه أنهم يريدون البصرة لمشاهدة الناس والإصلاح ، فتعبدى للخروج إليهم ، وقال : إن فعلوا هذا فقد انقطع نظام المسلمين وما كان عليهم فى المقام فينا مسؤولية ولا إكراه . فاشتد على أهل المدينة الأمر ، فتناقلوا ، فبعث إلى عبد الله بن عمر كميلاً النخعي ، فجاء به فقال : أنهض معى ، فقال : أنا مع أهل المدينة ، إنما أنا رجل منهم وقد دخلوا فى هذا الأمر فدخلت معهم لا أفارقهم ، فإن يخرجوا أخرج وإن يقعدوا أقعد . قال : فأعطينى زعيماً بالأمان تخرج ، قال : ولا أعطيك زعيماً ، قال : لولا ما أعرف من سوء خلقك صغيراً وكبيراً لأنكرتني ، دعوه فأنا به زعيم . فرجع عبد الله بن عمر إلى المدينة وهم يقولون : لا والله ما ندرى كيف نصنع ، فإن هذا الأمر لمشتبه علينا ، ونحن مقيمون حتى يضىء لنا ويسفر .

٣٠٩٤/١

فخرج من تحت ليلته وأخبر أم كلثوم بنت علي بالذى سمع من أهل المدينة ، وأنه يخرج معتمراً مقيماً على طاعة علي ما خلا النهوض ؛ وكان صدوقاً فاستقر عندها ؛ وأصبح علي فقيل له : حدث البارحة حدث هو أشد عليك من طلحة والزبير وأم المؤمنين ومعاوية . قال : وما ذلك ؟ قال : خرج ابن عمر إلى الشام ؛ فأتى على السوق ودعا بالظَّهر فحمل الرجال وأعد لكل طريق طلباً . وماج أهل المدينة ، وسمعت أم كلثوم بالذى هو فيه ، فدعت ببيغلتها فركبتها فى رحل ثم أتت علياً وهو واقف فى السوق يفرق الرجال فى طلبه ، فقالت : مآلك لا تترند^(١) من هذا الرجل ؟ إن الأمر

(١) يقال : ترند فلان إذا ضاق صدره ؛ ورجل مزند أى سريع الغضب .

على خلاف ما بُلِّغَتْه وُحِّدَتْه . قالت : أنا ضامنة له ، فطابت نفسه وقال : انصرفوا ، لا والله ما كذبت ولا كذب ، وإنه عندي ثقة فانصرفوا .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالوا : ولما رأى على من أهل المدينة ما رأى لم يَرْضَ طاعتهم حتى يكون معها نُصْرته ، قام فيهم وجمع إليه وجوه أهل المدينة ، وقال : إن آخر هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح أوله ، فقد رأيتم عواقب قضاء الله عز وجل على من مضى منكم ، فانصروا الله ينصركم ويصلح لكم أمركم . فأجابه رجلان من أعلام الأنصار ؛ أبو الهيثم بن التيهان - وهو بدرى - وخزيمة بن ثابت ؛ وليس بنى الشهادتين ؛ مات ذو الشهادتين في زمن عثمان رضى الله عنه .

كتب إلى السري عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد ، عن عبيد الله ، عن الحكم ، قال : قيل له : أشهد خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين الجمل ؟ فقال : ليس به ، ولكنه غيره من الأنصار ؛ مات ذو الشهادتين في زمان عثمان ابن عفان رضى الله عنه .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن مجالد ، عن الشعبي ، قال : بالله الذي لا إله إلا هو ؛ ما نهض في تلك الفتنة إلا ستة بدريين ما لهم سابع ، أو سبعة ما لهم ثامن .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو بن محمد ، عن الشعبي ، قال : بالله الذي لا إله إلا هو ما نهض في ذلك الأمر إلا ستة بدريين ما لهم سابع . فقلت : اختلفا . قال : لم يختلف ، إن الشعبي شك في أبي أيوب : أخرج حيث أرسلته أم سلمة إلى على بعد صيفين ، أم لم يخرج ! إلا أنه قدم عليه فضى إليه ، وعلى يومئذ بالنهر وان .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عبد الله بن سعيد ابن ثابت ، عن رجل ، عن سعيد بن زيد ، قال : ما اجتمع أربعة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ففازوا على الناس بخير يحوزونه إلا

وعلى بن أبي طالب أحدهم .

ثم إن زياد بن حنظلة لما رأى تناقل الناس عن عليّ ابتدر إليه وقال : من تناقل عنك فإننا نخفّ معك ونقاتل دونك . وبينما عليّ يمشى في المدينة إذ سمع زينب ابنة أبي سفيان وهي تقول : ظلامتنا عند مُدَمَّمٍ وعند مكحلة^(١) ، فقال : إنها لتعلم ما همّا لها بثأر .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ؛ أن عثمان قُتِلَ في ذى الحجة لثمان عشرة خلت منه ، وكان على مكة عبد الله بن عامر الحضرميّ ، وعلى الموسم يومئذ عبد الله بن عباس ، بعثه عثمان وهو محصور ، فتعجّل أناس في يومين فأدركوا مع ابن عباس . فقدموا المدينة بعد ما قُتِلَ وقبل أن يُبايع عليّ ، وهرب بنو أميّة فلحقوا بمكة ، وبويع عليّ لخمس بقين من ذى الحجة يوم الجمعة ؛ وتساقط الهرّاب إلى مكة ، وعائشة مقيمة بمكة تريد عمرة المحرم ، فلما تساقط إليها الهرّاب استخبرتهم فأخبروها أن قد قُتِلَ عثمان رضي الله عنه ولم يُجسبهم إلى التأمير أحدٌ ؛ فقالت عائشة رضي الله عنها : ولكن أكياس . هذا غيبٌ ما كان يدور بينكم من عتاب الاستصلاح ؛ حتى إذا قضت عمرتها وخرجت فانتهدت إلى سرّيف لقيها رجلٌ من أخوالها من بني لَيْثٍ - وكانت واصلة لهم ، رفيقة عليهم - يُقال له عبيد بن أبي سلمة يعرف بأمّه أمّ كلاب ، فقالت : مهيم ! فأصمّ ودمدم ، فقالت : ويحك ! علينا أو لنا ؟ فقال : لا تدري . قتل عثمان وبقوا ثمانياً ، قالت : ثمّ صنعوا ماذا ؟ فقال : أخذوا أهل المدينة بالاجتماع على عليّ ، والقومُ الغالبون على المدينة . فرجعت إلى مكة وهي لا تقول شيئاً ولا يخرج منها شيء ، حتى نزلت على باب المسجد وقصدت للحجر فسترت فيه ، واجتمع الناس إليها فقالت : يأيتها الناس ، إن الغوغاء من أهل الأمصار وأهل المياه وعبيد أهل المدينة اجتمعوا أن عاب الغوغاء على هذا المقتول بالأمس الإرب واستعمال من حدثت سنّه ، وقد استعمل أسنانهم قبله ، ومواضع من مواضع الحمى حماها لهم ، وهي أمورٌ قد سبق بها لا يصلح غيرها ، فتابعهم ونزع لهم عنها استصلاحاً

(١) هما محمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر ؛ وهذا خبر لها .

لهم ، فلما لم يجدوا حجةً ولا عذراً خلجوا وبادوا بالعدوان ونسباً فِعْلُهُمْ
عن قَوْلِهِمْ ؛ فسفكوا الدَّمَ الحرام واستحلوا البلدَ الحرام وأخذوا المالَ الحرام ،
واستحلوا الشهر الحرام . والله لإصْبَعَ عثمان خيرٌ من طَبَاقِ الأرضِ أمثالهم .
فنجاة من اجتماعكم عليهم حتى يَنْكُلَ بهم غيرهم ويشردَ مَنْ بعدهم ، والله لو
أنَّ الَّذِي اعتدوا به عليه كان ذنباً لُخِّلَصَ منه كما يَخْلَصُ الذَّهَبُ من
خَبَثِهِ أو الثَّوبُ من دَرَنِهِ إِذْ مَاصُوهُ ^(١) كما يَمَاصُ الثَّوبُ بالماء . فقال عبد الله
ابن عامر الحضرمي : هأنذا لها أوَّلُ طالب — وكان أوَّلُ مُجِيبٍ ومُنْتَدِبٍ .

حدثني عمر بن شبة ، قال : حدثنا أبو الحسن المدائني ، قال : حدثنا
سُحَيْمٌ مولى وبرة التميمي ، عن عبيد بن عمرو القرشي ، قال : خرجت عائشة
رضي الله عنها وعثمان محصوراً ، فقدم عليها مكَّة رجلٌ يقال له أخضر ،
فقال : ما صنع الناس ؟ : فقال : قَتَلَ عثمانُ المصريين ، قالت : إنا لله
وإنا إليه راجعون ! أَيْقَتَلُ قوماً جاءوا يطلبون الحقَّ وينكرون الظلم ! والله
لأنرَضَى بهذا . ثمَّ قدِمَ آخرُ فقال : ما صنع الناس ؟ قال : قَتَلَ
المصريون عثماناً ، قالت : العجبُ لأخضر ، زعم أن المقتول هو القاتل ! .
فكان يُضْرَبُ به المثلُ : « أَكْذَبُ من أخضر » .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو بن محمد ، عن
الشعبي ، قال : خرجت عائشة رضي الله عنها نحو المدينة من مكَّة بعد مقتل
عثمان ، فليقيها رجلٌ من أحوالها ، فقالت : ما وراءك ؟ قال : قَتَلَ عثمان
واجتمع الناس على عليٍّ ، والأمرُ أمرُ الغوغاء . فقالت : ما أظنُّ ذلك
تاماً ، رُدُّوني . فانصرفت راجعة إلى مكَّة ، حتى إذ دخلتُها أتاها عبد الله
ابن عامر الحضرمي — وكان أميرَ عثمان عليها — فقال : ما ردَّكَ يا أمَّ المؤمنين ؟
قالت : ردَّتني أن عثمانَ قَتَلَ مظلوماً ، وأنَّ الأمرَ لا يستقيمُ ولهذه الغوغاءُ أمرٌ ،
فاطلبوا بدَمَ عثمانَ تُعِزُّوا الإسلامَ . فكان أوَّلُ من أجابها عبد الله بن عامر

(١) في نهاية ابن الأثير : « في حديث عائشة قالت عن عثمان : مصتموه كما يماص الثوب ثم علوتم
عليه فقتلتموه . الموص : الغسل بالأصابع ؟ يقال : مصته أموصه موصاً ؟ أرادت أنهم استابوه عما
نقموا منه ؟ فلما أعطاهم ما طلبوه قتلوه » .

الحضرمي ، وذلك أول ما تكلمت بنو أمية بالحجاز ورفعوا رؤوسهم ، وقام معهم سعيد بن العاص ، والوليد بن عقبة ، وسائر بني أمية . وقد قدم عليهم عبد الله بن عامر من البصرة^(١) ؛ ويعلى بن أمية من اليمن ، وطلحة والزبير من المدينة ، واجتمع ملؤهم بعد نظر طويل في أمرهم على البصرة ، وقالت : أيُّها الناس ، إن هذا حدث عظيم وأمر منكر ، فانهمضوا فيه إلى إخوانكم من أهل البصرة فأذكروه ، فقد كفاكم أهل الشام ما عندهم ، لعل الله عز وجل يدرك لعثمان وللمسلمين بثأرهم .

كتب إلى السري عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالوا : كان أول من أجاب إلى ذلك عبد الله بن عامر وبني أمية ؛ وقد كانوا سقطوا إليها بعد مقتل عثمان ، ثم قدم عبد الله بن عامر ، ثم قدم يعلى ابن أمية ، فاتَّفَقَا بمكة ، ومع يعلى ستمائة بغير وستائة ألف ، فأناخ بالأبطح معسكراً ؛ وقدم معهما طلحة والزبير ، فلقيها عائشة رضي الله عنها ، فقالت : ما وراءكما ؟ فقالوا : وراءنا أنا تحملنا بقلبيتنا^(٢) هُراباً من المدينة من غوغاء وأعراب ، وفارقنا قوماً حيارى لا يعرفون حقاً ولا ينكرون باطلاً ولا يمنعون أنفسهم . قالت : فائتمروا أمراً ؛ ثم انهضوا إلى هذه الغوغاء وتمثلت :

ولو أن قومي طاوَعَنِي سَرَاهُمُ لَأُنْقِذَهُمْ مِنَ الْحِبَالِ أَوِ الْخَبْلِ

وقال القومُ فيما ائتمروا به : الشام . فقال عبد الله بن عامر : قد كفاكم الشام من يستمر في حوزته ، فقال له طلحة والزبير : فأين ؟ قال : البصرة ، فإن لي بها صنائع ولم في طلحة هوى ، قالوا : قبحك الله ! فوالله ما كنت بالمسلم ولا بالحارب ، فهلاً أقمت كما أقام معاوية فسَكَتَنِي بك ، وزأني الكوفة ففسد على هؤلاء القوم المذاهب ! فلم يجدوا عنده جواباً مقبولاً ، حتى إذا استقام لهم الرأي على البصرة قالوا : يا أم المؤمنين ، دعي المدينة فإن من معنا لا يُقرنون لتلك الغوغاء التي بها ، واشخصي معنا إلى البصرة ، فإننا نأثي بلدًا

(١) يمدحني ابن الأثير والنويري : « بمال كثير » .

(٢) ارتحل القوم بقلبيتهم ، أي لم يدعوا وراءهم شيئاً .

مضيقاً، وسيستجوتون علينا فيه ببيعة على بن أبي طالب فتنهضينهم كما أنهضت أهل مكة ثم تقعدين، فإن أصلح الله الأمر كان الذي تريدان، وإلا احتسبنا ودفعنا عن هذا الأمر بجهدنا حتى يقضى الله ما أراد .

فلما قالوا ذلك لها - ولم يكن ذلك مستقيماً إلا بها - قالت : نعم ؛ وقد كان أزواج النبي صلى الله عليه وسلم معها على قصد المدينة، فلما تحول رأيها إلى البصرة تركن ذلك ؛ وانطلق القوم بعدها إلى حقةصة ، فقالت : رأيي تسبع لرأى عائشة ؛ حتى إذا لم يبق إلا الخروج قالوا : كيف نستقل وليس معنا مال نجهز به الناس ! فقال يعلى بن أمية : معي ستمائة ألف وستائة بغير فاركوها ؛ وقال ابن عامر : معي كذا وكذا فتجهزوا به . فنادى المنادى : إن أم المؤمنين وطلحة والزبير شاخصون إلى البصرة ، فمن كان يريد إعزاز الإسلام وقاتل المحلّين والطلب بثأر عثمان ومن لم يكن عنده متركب ٣١٠١/١ ولم يكن له جهاز فهذا جهاز وهذه نفقة ، فحملوا ستمائة رجل على ستمائة ناقة سوى من كان له متركب - وكانوا جميعاً ألفاً - وتجهزوا بالمال، ونادوا بالرحيل واستقلوا ذاهبين . وأرادت حقةصة الخروج فأناها عبد الله بن عمر فطلب إليها أن تقعد، فقعدت وبعثت إلى عائشة : أن عبد الله حال بيني وبينك الخروج ، فقالت : يغفر الله لعبد الله ! وبعثت أم الفضل بنت الحارث رجلاً من جهينة يدعى ظفراً ، فاستأجرته على أن يطوى ويأتى علياً بكتابها ، فقدم على علي بكتاب أم الفضل بالخبر .

حدثني عمر بن شبة ، قال : حدثنا علي ، عن أبي مخنف ، قال : حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي عمرة ، عن أبيه ، قال : قال أبو قتادة لعلي : يا أمير المؤمنين ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قلّدتني هذا السيف وقد شمتته^(١) فطال شيمته، وقد أننى تجريدُه على هؤلاء القوم الظالمين الذين لم يألوا الأمة غشاً، فإن أحببت أن تقعد مني ، فقد مني . وقامت أم سلمة فقالت : يا أمير المؤمنين ، لولا أن أعصى الله عز وجل وأنك لا تقبله مني لخرجت معك ؛ وهذا ابني عمر - والله هو أعز علي من نفسي - يخرج معك فيشهد

(١) شتمه ، أى اغمدته .

مشاهدك . فخرج فلم يزل معه ، واستعمله على البَحْرَيْن ثم عزله ،
٣١٠٢/١ واستعمل النعمان بن عجلان الرُّقِّي .

حدثني حمز ، قال : حدثنا أبو الحسن ، قال : حدثنا مسلمة ، عن
عوف ، قال : أعانَ يَعْلَى بن أمية الزُّبَيْر بأربعمائة ألف ، وحمل سبعين رجلا
من قُرَيْش ، وحَمَلَ عائشة رضي الله عنها على جَمَلٍ يقال له عسكر ،
أخذَه بِثَانَيْنِ دِينَاراً ، وخرجوا . فنظر عبد الله بن الزُّبَيْر إلى البَيْتِ ؛ فقال :
ما رأيتُ مثلكَ طالبَ خير ، ولا هاربٍ من شرِّ .

كتب إلى السريِّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالوا :
خرج المغيرة وسعيد بن العاص معهم مرحلةً من مكة ، فقال سعيد للمغيرة :
ما الرأي ؟ قال : الرأي والله الاعتزال ، فإنَّهم ما يفلح أمرهم ، فإن أظفره الله
أَتَيْنَاهُ ، فقلنا : كان هَوَانًا وصَغُونًا^(١) معك ؛ فاعتزلاً فجلسا ، فجاء سعيدُ
مكة فأقامَ بها ، ورجع معهما عبد الله بن خالد بن أسيد .

حدثني أحمد بن زُهَيْر ، قال : حدثنا أبي ، قال : حدثنا وهب بن
جرير بن حازم ، قال : سمعتُ أبي ، قال : سمعتُ يونس بن يزيد الأيلي ،
عن الزُّهري ، قال : ثمَّ ظهراً — يعني طلحة والزُّبَيْر — إلى مكة بعد قتل
عثمان رضي الله عنه بأربعة أشهر وابن عامر بها يجرُّ الدنيا ، وقدم يَعْلَى بن
أمية معه بمال كثير ، وزيادة على أربعمائة بَعِير ، فاجتمعوا في بَيْتِ عائشة
رضي الله عنها فأرادوا الرأي ، فقالوا : نسيرُ إلى عليٍّ فنُقَاتِلُهُ ، فقال بعضهم :
ليس لكم طاقة بأهل المدينة ، ولكنَّا نَسِيرُ حتى ندْخُلَ البصرة والكوفة ،
ولطلحة بالكوفة شيعةٌ وهوى ، ولزُّبَيْر بالبصرة هوى ومعونة . فاجتمع
رأيهم على أن يسيروا إلى البصرة وإلى الكوفة ، فأعطاهم عبد الله بن عامر مالا^{٣١٠٣/١}
كثيراً وإبلًا ، فخرجوا في سبعمائة رَجُلٍ من أهل المدينة ومكة ، ولحقهم الناس
حتى كانوا ثلاثة آلاف رَجُلٍ ، فبلغ عليّاً مسيرهم ، فأمر على المدينة سهلاً

(١) صغونا ، أى ميلنا .

ابن حُنيْف الأنصارى ، وخرَجَ فسارحتى نزل ذاقَارٍ ، وكان مسيره إليها ثمان ليال ، ومعه جماعةٌ من أهل المدينة .

حدثني أحمد بن منصور ، قال : حدثني يحيى بن معين ، قال : حدثنا هشام بن يوسف قاضى صَنْعَاءَ ، عن عبد الله بن مصعب بن ثابت ابن عبد الله بن الزبير ، عن موسى بن عَقْبَةَ ، عن علقمة بن وقاص الليثى ، قال : لما خرج طلحةُ والزبير وعائشة رضى الله عنهم عرضوا الناس بذَاتِ عِرْقٍ ، واستصغروا عروة بن الزبير وأبا بكر بن عبد الرحمن بن الحارث ابن هشام فردَّهما .

حدثني عمر بن شبة ، قال : حدثنا أبو الحسن ، قال : أخبرنا أبو عمرو ، عن عتبة بن المغيرة بن الأخنس ، قال : لتقى سعيد بن العاص مروان بن الحكم وأصحابه بذَاتِ عِرْقٍ ، فقال : أين تذهبون وثأركم على أعجاز الإبل ! اقتلوهم ثم ارجعوا إلى منازلكم لا تقتلوا أنفسكم ؛ قالوا : بل نسير فلعلنا نقتل قتلةَ عثمان جميعاً . فخلا سعيدٌ وطلحة والزبير ، فقال : إن ظفرتُما لمن تجعلان الأمر ؟ أصد قانى ؛ قالوا : لأحدنا أيننا اختاره الناس . قال : بل اجعلوه لوكد عثمان فإنكم خرَجْتُم تطلبون بدمه ، قالوا : ندع شيوخ المهاجرين ونجعلها لأبنائهم ! قال : أفلا أراى أسعى لأخرجها من بنى عبد مناف . فرجع ورجع عبد الله بن خالد بن أسيد ، فقال المغيرة ابن شعبة : الرأى ما رأى سعيد ، من كان ها هنا من ثقيف فليرجع ؛ فرجع ومضى القوم ، معهم ^(١) أبان بن عثمان والوليد بن عثمان ، فاختلفوا فى الطريق فقالوا : من ندعو لهذا الأمر ؟ فخلا الزبير بابنه عبد الله ، وخلا طلحةٌ بعلقمة بن وقاص الليثى - وكان يؤثِّره على ولده - فقال أحدهما : ائت الشام ، وقال الآخر : ائت العراق ، وحاور كل واحد منهما صاحبه ثم اتفقا على البصرة .

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن قيس ،

(١) ابن الأثير والنويرى : « ومهم » .

عن الأغر ، قال : لما اجتمع إلى مكة بنو أمية وبعللى بن منية وطلحة والزبير ، انتمروا أمرهم ، وأجمع ملوهم على الطلب بدم عثمان وقتال السبئية حتى يثأروا وينتقموا ؛ فأمرتهم عائشة رضي الله عنها بالخروج إلى المدينة ، واجتمع القوم على البصرة وردوها عن رأيها ، وقال لها طلحة والزبير : إنا نأثي أرضاً قد أضيعت وصارت إلى علي ، وقد أجبرنا علي على بيعته ، وهم محتجون علينا بذلك وتاركو أمرنا إلا أن تخرجي فتأمرى بمثل ما أمرت بمكة ، ثم ترجعي . فنادى المنادي : إن عائشة تريد البصرة وليس في سبائة بعير ما تغنون^(١) به غوغاء وجلبة^(٢) الأعراب وعبيداً قد انتشروا وافتروشوا أذرعهم مسعد بن لأول واعية . وبعثت إلى حنيفة ، فأرادت الخروج ، فعزم عليها ابن عمر فأقامت ؛ فخرجت عائشة ومعها طلحة والزبير ، وأمرت على الصلاة عبد الرحمن ابن عتاب بن أسيد ، فكان يوصلهم في الطريق وبالبصرة حتى قتل ، وخرج معها مروان وسائر بني أمية إلا من خشع ، وتيامنت عز أوطاس ؛ وهم سبائة راكب سوى من كانت له مطية ، فترك الطريق ليلة وتيامنت عنها كأنهم سبائة ونجعة ، مساحلين لم يدن من المنكدر ولا واسط ولا فلج منهم أحد ، حتى أتوا البصرة في عام خصب . وتمثلت :

٣١٠٥/١

دعى بلاد جموع الظلم إذ صلحت فيها المياه وسيرى سير مذعور
تخيري التبت فارعى ثم ظاهرة وبطن واد من الضمار ممطور

حدثني عمر ، قال : حدثنا أبو الحسن ، عن عمر بن راشد الباهلي ، عن أبي كثير السحيمي ، عن ابن عباس ، قال : خرج أصحاب الحمل في سبائة ، معهم عبد الرحمن بن أبي بكر وعبد الله بن صفوان الجمحي ، فلما جاؤا بشر ميمون إذا هم بجزور قد نحرت ونحرها يشعب ، فطيطروا . وأذن متروان حين فصل من مكة ثم جاء حتى وقف عليهما ، فقال : أيكما أسلكم بالإمرة وأذن بالصلاة ؟ فقال عبد الله بن الزبير : علكي أبي عبد الله ، وقال محمد بن طلحة : على أبي محمد . فأرسلت عائشة رضي الله

٣١٠٦/١

عنها إلى مروان فقالت: مَالَك؟ أتريد أن تفرق أمرنا! لِيُصَلِّ ابْنُ أُخْتِي، فكان يصلّي بهم عبد الله بن الزبير حتى قدِمَ البصرة، فكان معاذ بن عبيد الله يقول: والله لو ظفرنا لافتتنسنا ما خلتى الزبير بين طلحة والأمر، ولا خلتى طلحة بين الزبير والأمر.

* * *

خروج عليّ إلى الرّبذة يُريد البصرة

كتب إلى السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن سهل بن يوسف، عن القاسم بن محمد، قال: جاء عليّاً الخبرُ عن طلحة والزبير وأمّ المؤمنين، فأمر على المدينة تمام بن العباس، وبعث إلى مكة قُثم بن العباس، وخرج وهو يرجو أن يأخذهم بالطريق، وأراد أن يعتصرهم، فاستبان له بالربذة أن قد فاتوه، وجاءه بالخبير عطاء بن رثاب مولى الحارث بن حزن.

كتب إلى السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالوا: بلغ عليّاً الخبرُ وهو بالمدينة فاجتمعهم على الخروج إلى البصرة وبالدّى اجتمع عليه ملوهم؛ طلحة والزبير وعائشة ومن تبعهم، وبلغه قول عائشة، وخرج عليّ يبادرهم في تعبيته التي كان تعبى بها إلى الشام، وخرج معه من نسط من الكوفيّين والبصريّين متخفّفين في سبعمائة رجل، وهو يرجو أن يذركهم فيستحول بينهم وبين الخروج، فلقى عبد الله بن سلام فأخذ بعيناه، وقال: يا أمير المؤمنين، لا تخرج منها؛ فوالله لئن خرجت منها لا ترجع إليها ولا يعود إليها سلطان المسلمين أبداً. فسبّوه، فقال: دعوا الرجل؛ فنعم الرجل من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم! وسار حتى انتهى إلى الرّبذة فبلغه ممّرهم، فأقام حين فاتوه ياتمر بالربذة.

كتب إلى السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن خالد بن مهران البجليّ، عن مروان بن عبد الرحمن الحميبيّ، عن طارق بن شهاب، قال: خرجنا من الكوفة معتمرين حين أتنا قتل عثمان رضي الله عنه، فلما انتهينا إلى الرّبذة—وذلك في وجه الصّبح—إذا الرّفاق وإذا بعضهم يحدو^(١)

بعضاً ، فقلت : ما هذا ؟ فقالوا : أمير المؤمنين ، فقلت : ما لَه ؟ قالوا : غلبَه طُلحة والزبير ، فخرج يعترض لهما ليردّهما ، فبلغَه أنهما قد فاتاه ، فهو يُريد أن يخرج في آثارهما ، فقلت : إنا لله وإنا إليه راجعون ! آتى عليّاً فأقاتل معه هذين الرجلين وأمّ المؤمنين أو أخالفه ! إنّ هذا لشديد . فخرجت فأتيتُه ، فأقيمت الصلاة بغلّس ، فتقدّم فصلّى ، فلما انصرف أتاه ابنه الحسن فجلس فقال : قد أمرتك فعصيتني ، فتقتل غداً بمصيبة^(١) لا ناصر لك ، فقال عليّ : إنك لا تزال تخنّ خنن الجارية ! وما الذي أمرتني فعصيتك ؟ قال : أمرتك يوم أُحيط بعمان رضى الله عنه أن تخرج من المدينة فيقتل ولست بهما ، ثمّ أمرتك يوم قُتل ألاّ تباع حتى يأتبك وفود أهل الأمصار والعرب وبيعة كلّ مصر ، ثمّ أمرتك حين فعل هذان الرجلان ما فعلا أن تجلس في بيتك حتى يصططحوا ، فإن كان الفساد كان على يدى غيرك ؛ فعصيتني في ذلك كله . قال : أىّ بئى ، أمّا قولك : لو خرجت من المدينة حين أحيط بعمان ؛ فوالله لقد أحيط بنا كما أحيط به . وأمّا قولك : لا تباع حتى تأتى بيعة الأمصار ، فإنّ الأمر أمر أهل المدينة ، وكرهنا أن يضع هذا الأمر . وأمّا قولك حين خرج طلحة والزبير ، فإنّ ذلك كان وهناً على أهل الإسلام ، والله ما زلت مقهوراً مذوليت ، منقوصاً لا أصل إلى شيء مما ينبغي . وأمّا قولك : اجلس في بيتك ، فكيف لي بما قد لزمني ! أو من تريدني ؟ أتريد أن أكون مثل الضبّع التي يحاط بها ويقال : دباب دباب^(٢) ! ليست ها هنا حتى يحلّ عرقوباها ثم تخرج ؛ وإذا لم أنظر فيما لزمني من هذا الأمر ويعينني فن ينظر فيه ! فكفّ عنك أىّ بئى .

٣١٠٨/١

* * *

شراء الجمل لعائشة رضى الله عنها ، وخبر كلاب الحوَّاب

حدثني إسماعيل بن موسى الفزارى ، قال : أخبرنا عليّ بن عابس الأزرق ، قال : حدثنا أبو الخطاب الهجرى ، عن صفوان بن قبيصة الأحمسى ، قال : حدثني العُرقى صاحب الجمل ، قال : بينما أنا أسير

(١) ط : « بمصيبة » ، وفي ابن الأثير : « بمصيبة » . (٢) دباب كقطام : دعاء الضبع للضبع ، أى دبح .

على جَمَلٍ إذ عَرَّضَ لى رَاكِبٌ فَقَالَ : يَا صَاحِبَ الْجَمَلِ ، تَبِيعُ جَمَلَكَ ؟
 قَلْتُ : نَعَمْ ، قَالَ : بِكُمْ ؟ قَلْتُ : بِأَلْفِ دَرَاهِمٍ . قَالَ : مَسْجُونُونَ أَنْتَ ! جَمَلُكَ
 يُبَاعُ بِأَلْفِ دَرَاهِمٍ ! قَالَ : قَلْتُ : نَعَمْ . جَمَلِي هَذَا ، قَالَ : وَمِمَّ ذَلِكَ ؟
 قَلْتُ : مَا طَلَبْتُ عَلَيْهِ أَحَدًا قَطُّ إِلَّا أَدْرَكْتَهُ ، وَلَا طَلَبْنِي وَأَنَا عَلَيْهِ أَحَدٌ إِلَّا
 فَتَنَنِي . قَالَ : لَوْ تَعَلَّمُ لِمَنْ تُرِيدُهُ لَأَحْسَنْتَ بِيَعْنَا . قَالَ : قَلْتُ : وَلِمَنْ
 تُرِيدُهُ ؟ قَالَ : لِأَمَلِكِ ، قَلْتُ : لَقَدْ تَرَكْتُ أَمِي فِي بَيْتِهَا قَاعِدَةً مَا تُرِيدُ بِرَاحِهَا ،
 قَالَ : إِنَّمَا أُرِيدُهُ لِأَمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ . قَلْتُ : فَهَوِّ لَكَ ، فَخَذَهُ بِغَيْرِ ثَمَنِ ،
 قَالَ : لَا ، وَلَكِنْ ارْجِعْ مَعَنَا إِلَى الرَّحْلِ فَلَسَنُعْطِيكَ نَاقَةً مَهْرِيَّةً وَنَزِيدُكَ
 دَرَاهِمًا ، قَالَ : فَارْجَعْتُ فَأَعْطَوْنِي نَاقَةً لَهَا مَهْرِيَّةٌ ، وَزَادُونِي أَرْبَعِمِائَةَ أَوْسَمِائَةِ
 دَرَاهِمٍ ، فَقَالَ لِي : يَا أَخَا عُرَيْبَةَ ، هَلْ لَكَ دَلَالَةٌ بِالطَّرِيقِ ؟ قَالَ : قَلْتُ :
 نَعَمْ ، أَنَا مِنْ أَدْرِكِ النَّاسِ ، قَالَ : فَسِرْ مَعَنَا . فَسِرْتُ مَعَهُمْ فَلَا أَمْرَ عَلَى
 وَادٍ وَلَا مَاءٍ إِلَّا سَأَلُونِي عَنْهُ : حَتَّى طَرَفْنَا مَاءَ الْحَوْءِ فَنَبَحْتُنَا كَلَابُهَا ،
 قَالُوا : أَيْ مَاءِ هَذَا ؟ قَلْتُ : مَاءُ الْحَوْءِ ، قَالَ : فَصَرَخَتْ عَائِشَةُ بِأَعْلَى
 صَوْتِهَا ، ثُمَّ ضَرَبَتْ عَضْدُ بَعِيرِهَا فَأَنَاحَتْهُ ، ثُمَّ قَالَتْ : أَنَا وَاللَّهِ صَاحِبَةُ كَلَابِ
 الْحَوْءِ طَرُوقًا . رُدُّونِي ! تَقُولُ ذَلِكَ ثَلَاثًا . فَأَنَاحَتْ وَأَنَاحُوا حَوْلَهَا وَهُمْ
 عَلَى ذَلِكَ ، وَهِيَ تَأْبَى حَتَّى كَانَتِ السَّاعَةُ الَّتِي أَنَاحُوا فِيهَا مِنَ الْغَدِّ . قَالَ : فَجَاءَهَا
 ابْنُ الزُّبَيْرِ فَقَالَ : السَّجَاءُ النَّجَاءُ ، فَقَدْ أَدْرَكَكُمْ وَاللَّهِ عَلَى بَنِي أَبِي طَالِبٍ ! قَالَ :
 فَارْتَحِلُوا وَشَتِّمُونِي ، فَانصَرَفْتُ ، فَمَا سِرْتُ إِلَّا قَلِيلًا وَإِذَا أَنَا بِعَلَى وَرَكْبٍ
 مَعَهُ نَحْوُ ثَلَاثَةِ مِائَةٍ ، فَقَالَ لِي عَلَى : يَا بَيْتُهَا الرَّاكَبِ ! فَأَتَيْتُهُ فَقَالَ : أَيْنَ أَتَيْتَ
 الظَّعِينَةَ ؟ قَلْتُ : فِي مَكَانٍ كَذَا وَكَذَا ، وَهَذِهِ نَاقَتُهَا ، وَبَعْتُهُمْ جَمَلِي ،
 قَالَ : وَقَدْ رَكِبْتَهُ ؟ قَلْتُ : نَعَمْ : وَسِرْتُ مَعَهُمْ حَتَّى أَتَيْنَا مَاءَ الْحَوْءِ
 فَنَبَحَتْ عَلَيْهَا كَلَابُهَا ، فَقَالَتْ كَذَا وَكَذَا ، فَلَمَّا رَأَيْتُ اخْتِلَاطَ أَمْرِهِمْ انْفَتَلْتُ
 وَارْتَحَلُوا ، فَقَالَ عَلِيٌّ : هَلْ لَكَ دَلَالَةٌ بِذِي قَارٍ ؟ قَلْتُ : لِعَلِّي أَدَلَّ النَّاسَ ،
 قَالَ : فَسِرْ مَعَنَا : فَسِرْنَا حَتَّى نَزَلْنَا ذَا قَارٍ ، فَأَمَرَ عَلِيٌّ بَنِي أَبِي طَالِبٍ
 بِجُؤَالِقَيْنِ فَضَمَّ أَحَدَهُمَا إِلَى صَاحِبِهِ ، ثُمَّ جَاءَ بِرَحْلٍ فَوَضَعَ عَلَيْهِمَا ، ثُمَّ جَاءَ
 يَمْشِي حَتَّى صَعَدَ عَلَيْهِ ، وَسَدَلَ رَجُلِيهِ مِنْ جَانِبٍ وَاحِدٍ ، ثُمَّ حَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى

عليه، وصلى على محمد صلى الله عليه وسلم، ثم قال: قد رأيتم ما صنع هؤلاء القومُ وهذه المرأة. فقام إليه الحسنُ فبكى، فقال له عليٌّ: قد جئتُ تخنُ خنِينَ الجارية! فقال: أجل، أمرتك فقصيتني، فأنت اليوم تقتل بمضيعة^(١) لا ناصر لك، قال: حدثت القوم بما أمرتني به، قال: أمرتك حين سار الناس إلى عثمان ألا تبسط يدك ببَيْعَةٍ حتى تجول جائلة العرب، فإنهم لن يقطعوا أمراً دونك، فأبيتَ عليٌّ، وأمرتك حين سارت هذه المرأة وصنعت هؤلاء القوم ما صنعوا أن تلزم المدينة وترسل إلى من استجاب لك من شيعتك، قال عليٌّ: صدق والله، ولكن والله يا بني ما كنت لأكون كالضبع تستمع ليلدُم، إن النبي صلى الله عليه وسلم قبض وما أرى أحداً أحق بهذا الأمر مني، فبايع الناس أبا بكر، فبايعتُ كما بايعوا، ثم إن أبا بكر رضى الله عنه هلك وما أرى أحداً أحق بهذا الأمر مني، فبايع الناس عمرَ بن الخطاب، فبايعتُ كما بايعوا، ثم إن عمر رضى الله عنه هلك وما أرى أحداً أحق بهذا الأمر مني، فجعلني سهماً من ستة أسهم، فبايع الناس عثمانَ فبايعتُ كما بايعوا، ثم سار الناس إلى عثمان رضى الله عنه فقتلوه، ثم أتوني فبايعوني طائعين غير مكرهين، فأنا مُقاتِلٌ من خالفني بمن اتبعني حتى يحكم الله بيني وبينهم وهو خير الحاكمين.

٣١١١/١

* * *

قَوْلُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: وَاللَّهِ لَأُطْلَبَنَّ

بِدَمِ عُثْمَانَ وَخُرُوجُهَا وَطَلْحَةَ وَالزَّيَّيرَ فِيمَنْ تَبِعَهُمْ إِلَى الْبَصْرَةِ

كتب إلى عليٍّ بن أحمد بن الحسن العجلي أن الحسين بن نصر العطار، قال: حدثنا أبي نصر بن مزاحم العطار، قال: حدثنا سيف بن عمر، عن محمد بن نؤيرة وطلحة بن الأعلم الحنفي. قال: وحدثنا عمر بن سعد، عن أسد بن عبد الله، عمن أدرك من أهل العلم؛ أن عائشة رضى الله عنها لما انتهت إلى سرِّف راجعة في طريقها إلى مكة، لقيها عبد بن أمّ كلاب—وهو

(١) مضيعة، أى بدار ضياع.

عبد بن أبي سلمة ، ينسب إلى أمه — فقالت له : مهيم ؟ قال : قتلوا عثمان رضى الله عنه ، فكثروا ثمانياً ؛ قالت : ثم صنعوا ماذا ؟ قال : أخذوها أهل المدينة بالاجتماع ، فجازت بهم الأمور إلى خيبر مجاز ؛ اجتمعوا على علي بن أبي طالب . فقالت : والله ليت أن هذه انطبقت على هذه إن تم الأمر لصاحبك ! ردوني ردوني ، فانصرفت إلى مكة وهي تقول : قُتِلَ والله عثمان مظلوماً ، والله لأطلبن بدمه ، فقال لها ابن أمّ كلاب : ولیم ؟ فوالله إن أول من أمال حرقه لأنت ! ولقد كنتِ تقولين : اقتلوا نعلثا فقد كفر ؛ قالت : إنهم استتابوه ثم قتلوه ، وقد قلت وقالوا ، وقول الأخير خير من قول الأول ؛ فقال لها ابن أمّ كلاب :

فَمِنْكَ الْبَدَاءُ وَمِنْكَ الْغَيْرُ وَمِنْكَ الرِّيحُ وَمِنْكَ الْمَطَرُ
وَأَنْتِ أَمَرْتِ بِقَتْلِ الْإِمَامِ وَقُلْتِ لَنَا إِنَّهُ قَدْ كَفَرَ
فَهَبْنَا أَطْعَمَاكَ فِي قَتْلِهِ وَقَاتِلُهُ عِنْدَنَا مَنْ أَمَرَ
وَلَمْ يَسْقُطِ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِنَا وَلَمْ تَنْكَسِفِ شَمْسُنَا وَالْقَمَرُ
وَقَدْ بَايَعَ النَّاسُ ذَا تُدْرَا^(١) يُزِيلُ الشُّبْبَا وَيُقِيمُ الصَّعْرَ
وَيَلْبِسُ لِلْحَرْبِ أَثْوَابَهَا وَمَا مِنْ وَفَى مِثْلُ مَنْ قَدْ غَدَرَ

فانصرفت إلى مكة فزلت على باب المسجد فقصدت للحجر ، فسترت واجتمع إليها الناس ، فقالت : يأيها الناس ، إن عثمان قُتِلَ مظلوماً ، والله لأطلبن بدمه .

كتب إلى السري عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالا : كان علي في هم من توجه القوم لا يدري إلى أين يأخذون ! وكان أن أتوا البصرة أحب إليه . فلما تيقن أن القوم يعارضون طريق البصرة سر بذلك ، وقال : الكوفة فيها رجال العرب وببوتاتهم ، فقال له ابن عباس : إن الذي يسرك^(٢) من ذلك ليسوفني ، إن الكوفة فسطاط فيه أعلام من أعلام العرب ، ولا يحملهم

(١) ذو تدرا ؛ أى ذوعة وقوة . (٢) ابن الأثير والنويرى : « سرك » .

عِدَّة القوم، ولا يزال فيهم من يسمو إلى أمرٍ لا ينالُه؛ فإذا كان كذلك شغب على الذي قد نال حتى يفسدَ بعضهم على بعض . فقال عليّ : إن الأمر ليس به ما تقول، ولكنّ الأثرُ لأهل الطاعة والحقّ بأحسنهم سابقةً وقُدِّمةً، فإن استووا أعفيناهم واجتبرناهم، فإن أقنعهم ذلك كان خيراً لهم، وإن لم يقنعهم كلّفونا إقامتهم وكان شراً على من هو شرُّ له . فقال ابن عباس : إن ذلك لأمرٌ لا يدرك إلاّ بالقنوع .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالوا : لما اجتمع الرأى من طلحة والزبير وأمّ المؤمنين ومن بمكة من المسلمين على السير إلى البصرة والانتصار من قتلَ عثمان رضي الله عنه، خرج الزبير وطلحة حتى لقيَا ابن عمر ودعواهُ إلى الخفوف^(١) ، فقال : إني امرؤ من أهل المدينة، فإن يجتمعوا على النهوض أنهض ، وإن يجتمعوا على القعود أقعد ، فتركاها ورجعا .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن سعيد بن عبد الله ، عن ابن أبي مُلَيْكَة ، قال : جمع الزبير بنه حين أراد الرّحيل ، فودّع بعضهم وأخرج بعضهم، وأخرج ابنتي أسماء جميعاً ، فقال : يا فلان أقيم ، يا عمرو أقم . فلما رأى ذلك عبد الله بن الزبير ، قال : يا عروة أقم ، ويا مسند أقم ، فقال الزبير : ويحك ! أستصحب ابني وأستمع منهما، فقال : إن خرجت بهما جميعاً فاخرج ، وإن خالفت منهم أحداً فخالفتهم ولا تعرّض أسماء للشكّل من بين نسائك . فبكى وتركهما ، فخرجوا حتى إذا انتهوا إلى جبال أوطاس تيامنوا وسلكوا طريقاً نحو البصرة ، وتركوا طريقها يساراً ، حتى إذا دنوا منها فدخلوها ركبوا المنكدر .

٣١١٤/١

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن ابن الشهيد ، عن ابن أبي مُلَيْكَة ، قال : خرج الزبير وطلحة ففصلاً ، ثم خرجت عائشة فتبعتها أمّهات المؤمنين إلى ذات عرق ، فلم يرَ يومٌ كان أكثر باكيّاً على الإسلام أو باكيّاً له من ذلك اليوم ، كان يُسمّى يوم النّحيب . وأمّرت

(١) الخفوف : الخفة معهم وإعانتهم على ما يريدون .

عبد الرحمن بن عتّاب ، فكان يصلّي بالناس ، وكان عدّلاً بينهم .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن عبد الله ، عن يزيد بن معن السّلميّ ، قال : لما تيامنَ عسكرها عن أوطاس أتوا على مكيب بن عوف السّلميّ ، وهو مطلع ما له ، فسلم على الزبير ، وقال : يا أبا عبد الله ، ما هذا ؟ قال : عدّي على أمير المؤمنين رضى الله عنه فقتل بلا ترّة ولا عذر ، قال : ومن ؟ قال : الغوغاء من الأمصار ونزاع القبائل ، وظاهروهم الأعراب والعبيد ، قال : فتريدون ماذا ؟ قال : ننهض الناس فيدرك بهذا الدّم لثلاً يبسطل ، فإن في إبطاله توهين سلطان الله بيّنتنا أبداً ؛ إذا لم يفظم الناس عن أمثالها لم يبق إمام إلا قتل هذا الضّرب ، قال : والله ٣١١٠/١ إن ترك هذا لشديد ، ولا تدرون إلى أين ذلك يسير ! فودّع كل واحد منهما صاحبه ، وافترقا ومضى الناس .

• • •

دخولهم البصرة والحرب بينهم وبين عثمان بن حنيف

كتب إلى السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالوا : ومضى الناس حتى إذا عاجوا عن الطريق وكانوا بفناء البصرة ، لقيهم حمير ابن عبد الله التميميّ ، فقال : يا أمّ المؤمنين ، أنشدك بالله أن تقدّمى اليوم على قوم تُراسل منهم أحداً فيكفيكهم ! فقالت : جئتني بالرأى ، امرؤ صالح ، قال : فعجّل ابن عامر فليدخل ، فإن له صنائع فليذهب إلى صنائعه فليلقوا الناس حتى تقدّموا ويسمعوا ما جثم فيه . فأرسلته فاندس إلى البصرة ، فأتى القوم . وكتب عائشة رضى الله عنها إلى رجال من أهل البصرة ، وكتبت إلى الأحنف بن قيس وصبرة بن شيمان وأمثالهم من الوجوه ، ومضت حتى إذا كانت بالحفير انتظرت الجواب بالخبر ؛ ولما بلغ ذلك أهل البصرة دعا عثمان بن حنيف عمران بن حصين - وكان رجل عامّة - وألزّه^(١) بأبى الأسود الدؤلى - وكان رجل خاصّة - فقال : انطلقا إلى هذه المرأة فاعلما علمها وعلم من معها ، فخرجا فانتھيا إليها وإلى الناس وهم بالحفير ، فاستأذنا

(١) ألزّه : ألصقه .

٣١١٦/١

فأذنتُ لهما، فسلمّا وقالا : إنَّ أميرنا بعثنا إليك نسألك عن مسيرك، فهل أنت مخبرتنا ؟ فقالت : والله ما مثلي يسير بالأمر المكتوم ولا يغطى لبنيه الخبر . إنَّ الغوغاءَ من أهل الأمصار ونزاع القبائل غزوا حرّم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحدثوا فيه الأحداث، وآووا فيه المحدثين، واستوجبوا فيه لعنة الله ولعنة رسوله، مع ما نالوا من قتل إمام المسلمين بلا تيرة ولا عذر، فاستحلّوا والدّم الحرام فسفكوه، وانتهبوا المال الحرام، وأحلّوا البلد الحرام، والشهر الحرام، ومزّقوا الأعراض والجلود، وأقاموا في دار قوم كانوا كارهين لمقامهم ضارّين مضرّين، غير نافعين ولا متقين ؛ لا يقدرّون على امتناع ولا يأمنون، فخرّجتُ في المسلمين أعلمهم ما أتى هؤلاء القوم وما فيه الناس وراءنا، وما ينبغي لهم أن يأتوا في إصلاح هذا . وقرأت : ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ﴾ . نهض في الإصلاح ممن أمر الله عزّ وجلّ وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، الصغير والكبير والذكر والأنثى ، فهذا شأننا إلى معروف نأمركم به، ونحضّكم عليه، ومنكر ننّهاكم عنه، ونحثّكم على تغييره .

كتب إلى السريّ عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالوا : فخرج أبو الأسود وعمران من عندها فأتيا طلحة فقالا : ما أقدمك ؟ قال : الطلب بدم عثمان ، قالوا : ألم تبایع عليّا ؟ قال : بلى ، واللّجّ على عني ، وما أستقبل عليّا إن هو لم يحلّ بيننا وبين قتلة عثمان ، ثمّ أتيا الزبير فقالا : ما أقدمك ؟ قال : الطلب بدم عثمان ، قالوا : ألم تبایع عليّا ؟ قال : بلى ، واللّجّ على عني ، وما أستقبل عليّا إن هو لم يحلّ بيننا وبين قتلة عثمان . فرجعا إلى أمّ المؤمنين فودعاها فودعت عمران، وقالت : يا أبا الأسود ليّاك أن يقودك الهوى إلى النار، ﴿ كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ... ﴾ الآية . فسرحتهما ؛ ونادى مُناديها بالرحيل ، ومضى الرجلان حتى دخلا على عثمان بن حنيف ، فبدر أبو الأسود عمران فقال :

٣١١٧/١

يَا بَنَ حَنِيفٍ قَدْ أَتَيْتَ فَاغْفِرِ وَطَاعِنِ الْقَوْمَ وَجَالِدِ وَاصْبِرِ
 • وَابْزُرْ لَهُمْ مُسْتَلْثَمًا وَشَرًّا •

فقال عثمان : إنا لله وإنا إليه راجعون ! دارت رحا الإسلام ورب الكعبة ؛
 فانظروا بأى زَيْفَانٍ تَزِيْفُ ! فقال عمران : إى والله لتعزُّ كنَّكم عركًا طويلاً
 ثم لا يساوى ما بقى منكم كثير شيء ؛ قال : فأشرْ عَلَى يا عمران ، قال :
 إنى قاعد فاقعد ، فقال عثمان : بل أمنعهم حتى يأتى أمير المؤمنين على ، قال
 عمران : بل يحكم الله ما يريد ، فانصرف إلى بيته ، وقام عثمان فى أمره ، فأتاه
 هشام بن عامر فقال : يا عثمان ، إن هذا الأمر الذى تروم يُسلم إلى شرٍّ مما
 تكره ، إن هذا فَسَقٌ لا يُرْتَقى ، وَصَدْعٌ لا يُجْبَر ، فسأحهم حتى يأتى
 أمرٌ على ولا تحادهم ، فأبى ونادى عثمان فى الناس وأمرهم بالتهيؤ ، ولبسوا
 السلاح ، واجتمعوا إلى المسجد الجامع ، وأقبل عثمان على الكيِّد فكاد الناس
 لينظر ما عندهم ، وأمرهم بالتهيؤ ، وأمر رجلاً ودسَّه إلى الناس خَدْعًا كوفيًّا
 قيسياً ، فقام فقال : يأيها الناس ، أنا قيس بن العَقْدَةِ الحُمَيْسِيّ ، إن
 هؤلاء القوم الذين جاءوكم إن كانوا جاءوكم خائفين فقد جاءوا من المكان الذى
 يأمن فيه الطير ، وإن كانوا جاءوا يطلبون بدم عثمان رضى الله عنه فما نحن
 بقتلة عثمان . أطيعونى فى هؤلاء القوم فردَّهم من حيث جاءوا . فقام الأسود
 ابن سريع السعدى ، فقال : أو زعموا أننا قتلة عثمان رضى الله عنه ! فلما فرغوا
 إلينا يستعينون بنا على قتلة عثمان منا ومن غيرنا ، فإن كان القوم أخرجوا من
 ديارهم كما زعمت ، فن يمنعهم من إخراجهم الرجال أو البلندان ! فحصبه الناس ،
 فعرف عثمان أن لهم بالبصرة ناصراً ممن يقوم معهم ، فكسره ذلك . وأقبلت عائشة
 رضى الله عنها فيمن معها ، حتى إذا انتهوا إلى المربد ودخلوا من أعلاه
 أمسكوا ووقفوا حتى خرج عثمان فيمن معه ، وخرج إليها من أهل البصرة من
 أراد أن يخرج إليها ويكون معها ، فاجتمعوا بالمربد وجعلوا يثوبون حتى
 غصَّ بالناس .

فنكلتم طلحة وهو فى ميمنة المربد ومعه الزبير وعثمان فى ميسرته ، فأنصرتوا

له ، فحمد الله وأثنى عليه ، وذكر عثمان رضى الله عنه وفضلُه والبلد وما استحلَّ منه ، وعظَّم ما أتى إليه ، ودعا إلى الطلب بدَمه ، وقال : إنَّ في ذلك إعزازَ دين الله عزَّ وجلَّ وسلطانه ، وأما الطَّاب بدم الخليفة المظلوم فإنه حدٌّ من حدود الله ، وإنَّكم إن فعلتم أصبتم وعادَ أمركم إليكم ، وإن ترَكْتُم لم يقمَّ لكم سلطان ، ولم يكن لكم نظام .

٣١١٩/١

فتكلم الزبير بمثل ذلك . فقال مَن في ميمنة المِرْبِد : صدَقا وبرّا ، وقالا الحق ، وأمرّا بالحق . وقال مَن في ميسرته : فجَـجَـرَا وغَدَرَا ، وقالا الباطل ، وأمرّا به ، قد بايعا ثم جاءا يقولان ما يقولان ! وتحاثي^(١) الناس وتحاصبوا وأرهبوا . فتكلَّمت عائشةُ — وكانت جهورية يعلو صوتها كثرة كأنه صوت امرأة جليلة — فحمدت الله جلَّ وعزَّ وأثنت عليه ، وقالت : كان الناس يتجنَّون على عثمان رضى الله عنه ويُزْرُون على عمَّاله ويأتوننا بالمدينة فيستَشِيرُوننا فما يخبروننا عنهم ، ويرون حسنا من كلامنا في صلاح بينهم ، فننظر في ذلك فتجدُه بريئا تقيًّا وفيًّا ونجدهم فجرةً كذبةً يحاولون غير ما يظهرون . فلما قووا على المكاثرة كاثروه فاقتحموا عليه داره ، واستحلوا الدَّم الحرام ، والمال الحرام ، والبلد الحرام ، بلا تِرةٍ ولا عُدْر ، ألا إن مما ينبغي لا ينبغي لكم غيره . أخذ قتل عثمان رضى الله عنه وإقامة كتاب الله عزَّ وجلَّ : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيحًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ﴾^(٢) .

٣١٢٠/١

فافترق أصحابُ عثمان ابن حنيف فِرْقَتَيْنِ ، فقالت فرقة : صدَقَتْ والله وبرَّت ؛ وجاءت والله بالمعروف ؛ وقال الآخرون : كذبتم والله ما نعرف ما تقولون ، فتحاثوا وتحاصبوا وأرهبوا ، فلما رأت ذلك عائشةُ انحدرت وانحدر أهل الميمنة مفارقين لعثمان حتى وقفوا في المِرْبِد في موضع الدِّبَاجين ، وبقى أصحابُ عثمان على حالهم يتدافعون حتى تحاجزوا ، ومال بعضهم إلى عائشة ، وبقى بعضهم مع عثمان على فم السكة . وأتى عثمانُ

(١) التويرى : « وتحاثي » . والحثى كالرى : ما رفعت به يدك . (٢) سورة آل عمران ٢٣ .

ابن حنيفة فيمن معه، حتى إذا كانوا على فَم السكة، سكة المسجد عن يمين الدُّبَاغِين استقبلوا الناس فأخذوا عليهم بقمها .

* * *

وفيما ذكر نَصْرُ بن مَرْحَم، عن سيف، عن سهل بن يوسف، عن القاسم ابن محمد، قال : وأقبل جارية بن قُدَّامة السَّعْدِيَّ ، فقال : يا أمَّ المؤمنين ؛ والله لَتَقْتُلُ عُثْمَانَ بن عفان أهونُ من خُرُوجِكَ من بيتِكَ على هذا الجَملِ الملعون عُرْضَةً للسلَّاح ! إنه قد كان لك من الله سِتْرٌ وحرمة، فهتكتِ سِتْرَهُ ؛ وأباحتِ حُرْمَتَكَ ، إنه مَنْ رَأَى قتالَكَ فإنه يرى قَتْلَكَ ، وإن كنتِ أَتَيْتِنَا طائِعَةً فارجعي إلى منزلك ، وإن كنتِ أَتَيْتِنَا مستكرهةً فاستعيني بالناس . قال : فخرج غلامٌ شابٌّ من بني سعد إلى طلحة والزبير ، فقال : أمَّا أنتِ يا زُبَيْر فحواريُّ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وأمَّا أنتِ يا طلحة فوقيَّت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بيدك ، وأرى أَمَكُما معكما فهل جئنا بنسائكما ؟ قالَا : لا ، قال : فما أنا منكما في شيء ، واعتزل . وقال السَّعْدِيَّ في ذلك :

صُنِّمَ حِلَالُكُمْ وَقُدِّمَ أَمَكُمُ هَذَا لَعَمْرُكَ قِلَّةُ الْإِنصَافِ
أَمِرَتْ بِجَرِّ ذِيوِهَا فِي بَيْتِهَا فَهَوَتْ تَشْقُ الْبَيْدَ بِالْإِيحَافِ
غَرَضًا يُقَاتِلُ دُونَهَا أَبْنَاوَهَا بِالنَّبْلِ وَالْخَطِيطِ وَالْأَسِيفِ
هُتَكَتِ بَطْلِحَةُ الزُّبَيْرِ سُتُورُهَا هَذَا الْمَخْبَرُ عَنْهُمْ وَالْكَافِ

وأقبل غلامٌ من جُهَيْنَةَ على محمد بن طلحة - وكان محمد رجلاً عابداً - فقال : أَخْبِرْنِي عَنْ قَتْلَةِ عُثْمَانَ ! فقال : نعم ، دمُ عُثْمَانَ ثَلَاثَةُ أَثْلَاثٍ ، ثَلْثٌ عَلَى صَاحِبَةِ الْهُودَجِ - يعني عائشة - وَثَلْثٌ عَلَى صَاحِبِ الْجَمَلِ الْأَحْمَرِ - يعني طلحة - وَثَلْثٌ عَلَى عَلِيِّ بن أَبِي طَالِبٍ ؛ وَضَحَكَ الْغُلَامُ وَقَالَ : أَلَا أَرَانِي عَلَى ضَلَالٍ ! وَلَحِقَ بِعَلِيٍّ ، وَقَالَ فِي ذَلِكَ شِعْرًا :

سَأَلْتُ ابْنَ طَلْحَةَ عَنْ هَالِكِ بِمَجُوفِ الْمَدِينَةِ لَمْ يُقْبَرْ
فَقَالَ ثَلَاثَةٌ رَهْطٌ هُمْ أَمَاتُوا ابْنَ عَفَّانَ وَاسْتَعْبَرِ
فَنَلْتُ عَلَى تِلْكَ فِي خِدْرِهَا وَثَلْثٌ عَلَى رَاكِبِ الْأَحْمَرِ

وُلْتُ عَلَى ابْنِ أَبِي طَالِبٍ وَنَحْنُ بِدَوِيَّةٍ قَرَفَرُ
فَقُلْتُ صَدَقْتَ عَلَى الْأَوَّلِينَ وَأَخْطَأْتَ فِي الثَّالِثِ الْأَزْهَرِ

رجع الحديث إلى حديث سيف عن محمد وطلحة . قال : فخرج أبو الأسود
وعمران وأقبل حُكَيْمُ بْنُ جَبَلَةَ ؛ وقد خرج وهو على الخيل ، فأنشب القتال ،
وأشرع أصحابُ عائشة رضى الله عنها رماحهم وأمسكوا لِيُمْسِكُوا فلم يَنْتَه
ولم يَنْتَ ، فقاتلهم وأصحاب عائشة كافون إلا ما دافعوا عن أنفسهم ،
وحُكَيْمُ يذمرُ خيله ويركبهم بها ، ويقول : إنها قریش ليرُدِينَهَا جُبْنُهَا
والطَّيْشُ ، واقتتلوا على فم السكة ، وأشرف أهل الدور ممن كان له في واحد من
الفريقين هوًى ، فرموا باقى الآخرين بالحجارة ، وأمرت عائشةُ أصحابها
فتيامنوا حتى انتهوا إلى مقبرة بنى مازن ، فوقفوا بها ملياً ، وثار إليهم الناس ،
فحجز الليل بينهم . فرجع عثمان إلى القصر ، ورجع الناس إلى قبائلهم ،
وجاء أبو الجرباء ؛ أحدُ بنى عثمان بن مالك بن عمرو بن تميم إلى عائشة
وطلحة والزبير ، فأشار عليهم بأمثل من مكانهم فاستنصحوه وتابعوا رأيَه ،
فساروا من مقبرة بنى مازن فأخذوا على مُسْنَاة البصرة من قبل الجبَّانة حتى
انتهوا إلى الزَّابُوقَةِ ، ثم أتوا مقبرة بنى حِصْنٍ وهى متنجسة إلى دار الرزق ،
فباتوا يتأهبون ، وبات الناس يسرون إليهم ، وأصبحوا وهم على رجلٍ في
ساحة دار الرق ، وأصبح عثمان بن حُنَيْفٍ فغاداهم ، وغدا حُكَيْمُ بْنُ
جَبَلَةَ وهو يُبْرِبرُ وفي يده الرَّمَحُ ، فقال له رجل من عبد القيس : مَنْ هذا
الذى تسبّ وتقول له ما أسمع ؟ قال : عائشة ، قال : يابن الخبيثة ، أَلَا أَمْ
المؤمنين تقول هذا ! فوضع حُكَيْمُ السَّيْفَ بين يديه فقتله . ثم مرّ بامرأة
وهو يسبّها — يعنى عائشة — فقالت : مَنْ هذا الذى أَلْحَاكَ إلى هذا ؟
قال : عائشة ، قالت : يابن الخبيثة ، أَلَا أَمْ المؤمنين تقول هذا ! فطعننها
بين ثدييها فقتلها . ثم سار ، فلما اجتمعوا واقفوه ، فاقتلوا بدار الرزق قتالاً
شديداً من حين بزغت الشمس إلى أن زال النهار وقد كثر القتلى في أصحاب
ابن حُنَيْفٍ وفشت الجراحة في الفريقين ، ومنادى عائشة يُنَادِهم ويدعوهم

٣١٢٢/١

٣١٢٣/١

إلى الكفّ فيأبؤون ، حتى إذا مستهم الشرّ وعضّهم^(١) نادوا أصحابَ عائشة إلى الصلح والمّتات^(٢) . فأجابوهم وتواعدوا^(٣) ، وكتبوا بينهم كتاباً على أن يبعثوا رسولاً إلى المدينة ؛ وحتى يرجع الرسول من المدينة ، فإن كانا أكرّها خرج عثمان عنهما وأخلى لهما البصرة ، وإن لم يكونا أكرّها خرج طلحة والزبير :

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما اصطلاح عليه طلحة والزبير ومن معهما ٣١٢٤/١ من المؤمنين والمسلمين ، وعثمان بن حنيف ومن معه من المؤمنين والمسلمين . إن عثمان يقيم حيث أدركه الصلح على ما في يده ، وإن طلحة والزبير يقيمان حيث أدركهما الصلح على ما في أيديهما ، حتى يرجع أمينُ الفريقين ورسولُهم كعب بن سور من المدينة . ولا يضارّ واحدٌ من الفريقين الآخر في مسجد ولا سوق ولا طريق ولا فرضة ، بينهم عيصة مفتوحة حتى يرجع كعب بالخبر ؛ فإن رجع بأن القوم أكرهوا طلحة والزبير فالأمر أمرُهما ، وإن شاء عثمان خرج حتى يلحق بطيئته ، وإن شاء دخل معهما ؛ وإن رجع بأنهما لم يكرّها فالأمر أمرُ عثمان ، فإن شاء طلحة والزبير أقاما على طاعة عليّ وإن شاءا خرجا حتى يلحقا بطيئتهما ؛ والمؤمنون أعوانُ الفالح منهما .

فخرج كعب حتى يقدّم المدينة ، فاجتمع الناس لقدمه ، وكان قدومه يوم جمعة ، فقام كعب فقال : يا أهل المدينة ، إني رسول أهل البصرة إليكم ؛ أأكره هؤلاء القوم هذين الرجلين على بيعه عليّ ، أم أتياها طائعين ؟ فلم يجبه أحدٌ من القوم إلّا ما كان من أسامة بن زيد ، فإنه قام فقال : اللهم إنيهما^(٤) لم يُبايعا إلّا وهما كارِهان . فأمر به تمام ، فوائبه سهل بن حنيف والناس ، وثار صُهيّب بن سنان وأبو أيوب بن زيد ، في عدّة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيهم محمد بن مسلمة ، حين خافوا أن يقتل أسامة ، فقال : اللهم نعم ؛ فانفروا عن الرجل ؛ فانفروا عنه ، وأخذ صُهيّب بيده حتى أخرجه فأدخله منزله ، وقال : قد علمت أن أمّ عامر حاميّة ، أما وسعتك

٣١٢٥/١

(١) ابن الأثير : « وعضّهم الحرب » . (٢) المتات : التوصل بالقرين .

(٣) ابن الأثير : « وتواعدوا » ، التوىرى : « وتداعوا » .

(٤) ط : « إنيهما » .

ما وسعنا من السكوت ! قال : لا والله ، ما كنت أرى أن الأمر يترامى إلى ما رأيت ، وقد أبسلنا^(١) ليعظيم . فرجع كعبٌ وقد اعتدّ طلحة والزبير فيما بين ذلك بأشياء كلها كانت مما يعتدّ به ، منها أن محمد بن طلحة - وكان صاحب صلاة - قام مقاماً قريباً من عثمان بن حُنيئ ، فخشي بعضُ الزُّطّ والسيابجة أن يكون جاء لغير ما جاء له ، فنحياه ، فبعثا إلى عثمان ، هذه واحدة . وبلغ عليّاً الخبرُ الذي كان بالمدينة من ذلك ، فبادر بالكتاب إلى عثمان يعجزه ويقول : والله ما أكرها إلا كسرّها على فرقة ، ولقد أكرها على جماعة وفضل ، فإن كانا يُريدان الخلع فلا عذرَ لهما ، وإن كانا يُريدان غير ذلك ننظرنا ونظرا . فقدم الكتابُ على عثمان بن حُنيئ ، وقدم كعبٌ فأرسلوا إلى عثمان أن اخرج عنا ، فاحتجّ عثمان بالكتاب وقال : هذا أمرٌ آخر غير ما كنا فيه ؛ فجمع طلحة والزبير الرّجالَ في ليلة مظلمة باردة ذات رياح وندى ، ثم قصدا المسجدَ فوافقا صلاةَ العشاء - وكانوا يؤخّرونها - فأبطأ عثمانُ بن حُنيئ فقدّمَا عبد الرحمن بن عتاب ، فشهر الزُّطّ والسيابجة السلاح ثم وضعوه فيهم ، فأقبلوا عليهم فاقتتلوا في المسجد وصبروا لهم ، فأناموهم وهم أربعون ، وأدخلوا الرّجالَ على عثمان ليُخرجوه إليهما ، فلما وصل إليهما توطّؤوه وما بقيت في وجهه شعرة ، فاستعظما ذلك ، وأرسلوا إلى عائشة بالذي كان ، واستطلعا رأيها ، فأرسلت إليهما أن خلّوا سبيلَه فليذهب حيث شاءَ ولا تجسوه ، فأخرجوا الحرسَ الذين كانوا مع عثمان في القصر ودخلوه ، وقد كانوا يعتقبون حرسَ عثمان في كلّ يوم وفي كلّ ليلة أربعون ، فصلّى عبد الرحمن بن عتاب بالناس العشاءَ والفجرَ ، وكان الرّسولُ فيما بين عائشة وطلحة والزبير هو ، أتاها بالخبر ، وهو رجع إليهما بالجواب ، فكان رسول القوم .

٣١٢٦/١

حدثنا عمر بن شُبّة ، قال : حدثنا أبو الحسن عن أبي مخنف ، عن يوسف بن يزيد ، عن سهل بن سعد ، قال : لما أخذوا عثمان بن حُنيئ أرسلوا أبانَ بن عثمان إلى عائشة يستشيرونها في أمره ، قالت : اقتلوه ، فقالت لها امرأة : نشدتُك بالله يا أمّ المؤمنين في عثمان وصحبته لرسول الله صلى الله

(١) يقال : أبسلت فلاناً ؛ إذا أسلته للهلكة .

عليه وسلم ! قالت : ردّوا أباناً ، فردّوه ، فقالت : احبسوه ولا تقتلوه ، قال : لو علمتُ أنّك تدعيني لهذا لم أرجع ، فقال لهم مجاشع بن مسعود : اضربوه وانتفوا شعرَ لحيتِه ، فضربوه أربعين سوطاً ، وانتفوا شعرَ لحيتِه ورأسه وحاجبيه وأشفار عينيه وحبسوه .

• • •

حدثني أحمد بن زهير ، قال : حدثنا أبي ، قال : حدثني وهب بن جرير بن حازم ، قال : سمعتُ يونس بن يزيد الأيليّ ، عن الزهرّيّ ، قال : بلغني أنه لما بلغ طلحة والزبير منزل علىّ بذى قار انصرفوا إلى البصرة ، فأخذوا على المنكدر ، فسمعتُ عائشة رضي الله عنها تُباح الكلاب ، فقالت : أئى ماء هذا ؟ فقالوا : الحوَب ، فقالت : إنا لله وإنا إليه راجعون ! إني لهيّه ، قد سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولُ وعنده نساؤه : « ليتَ شعري أيتكنّ تنبّحها كلاب الحوَب ! » . فأرادت الرجوع ، فأثاها عبد الله بن الزبير فرغم أنه قال : كذّاب من قال إنّ هذا الحوَب . ولم يزل حتى مضت ، فقدّموا البصرة وعليها عثمان بن حنيف ، فقال لهم عثمان : ما تقسمتم على صاحبكم ؟ فقالوا : لم نره أولى بها منّا ، وقد صنع ما صنع ، قال : فإنّ الرجل أمرني فأكتب إليه فأعلمه ما جئتم له ، على أن أصلّي بالناس حتى يأتينا كتابه ، فوقفوا عليه وكتب ، فلم يلبث إلّا يومين حتى وثبوا عليه فقاتلوه بالزابوقة عند مدينة الرّزق ، فظهروا ، وأخذوا عثمان فأرادوا قتله ، ثم خشوا غضب الأنصار ، فنالوه في شعره وجسده . فقام طلحة والزبير خطيبين فقالا : يا أهل البصرة ، توبة بحوبة ، إنما أردنا أن يستعتب أمير المؤمنين عثمان ولم نرد قتله ، فغلب سُفهاء الناس الحلماء حتى قتلوه . فقال الناس لطلحة : يا أبا محمد ، قد كانت كُتبتك تأتينا بغير هذا ، فقال الزبير : فهل جاءكم مني كتاب في شأنه ؟ ثمّ ذكر قتلَ عثمان رضي الله عنه وما أتى إليه ، وأظهر عيب علىّ . فقام إليه رجلٌ من عبد القيس فقال : أيتها الرجل ، أنصت حتى نتكلّم ، فقال عبد الله بن الزبير : ومالكٍ والكلام ! فقال العبدىّ : يا معشر المهاجرين ، أنتم أوّل من أجاب رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فكان لكم بذلك فضل ، ثمّ دخل الناس في الإسلام كما دخلتم ، فلما توفّي رسول الله صلى الله عليه وسلم بايعتم رجلاً منكم ،

والله ما استأمرتمونا في شيء من ذلك فرضينا واتبعناكم ، فجعل الله عز وجل للمسلمين في إمارته بركة ، ثم مات رضى الله عنه واستخلف عليكم رجلاً منكم ، فلم تشاورونا في ذلك ، فرضينا وسلمنا ، فلما توفى الأمير جعل الأمر إلى ستة نفر ، فاخترتم عثمان وبايعتموه عن غير مشورة منا ، ثم أنكروا من ذلك الرجل شيئاً ، فقتلتموه عن غير مشورة منا ، ثم بايعتم علياً عن غير مشورة منا ، فما الذى نقصتم عليه فنقاتله ؟ هل استأثر بغير الحق ؟ أو عمل بغير الحق ؟ أو عمل شيئاً تنكروا ف نكون معكم عليه ! وإلا فما هذا ! فهموا بقتل ذلك الرجل ، فقام من دونه عشيرته ؛ فلما كان الغد وثبوا عليه وعلى من كان معه ، فقتلوا سبعين رجلاً .

• • •

رجع الحديث إلى حديث سيف ، عن محمد وطلحة . قالوا : فأصبح طلحة والزبير وبيت المال والحرس في أيديهما ، والناس معهما ، ومن لم يكن معهما مغمور مستسر ، وبعثنا حين أصبحنا بأن حُكَيْمًا في الجمع ، فبعثت : لا تجسبا عثمان ودعاه . ففعلا ، فخرج عثمان فضى لطلبته ، وأصبح حُكَيْم بن جبلة في خيله على رجل فيمن تبعه من عبد القيس ومن نزع إليهم من أفاء ربيعة ، ثم وجهوا نحو دار الرزق وهو يقول : لست بأخيه إن لم أنصره ، وجعل يشتم عائشة رضى الله عنها ، فسمعت امرأة من قومه فقالت : يا بن الحبيشة ، أنت أولى بذلك ! فطعننها فقتلها ، فغضبت عبد القيس إلا من كان اغتُمِر منهم ، فقالوا : فعلت بالأمس وعدت لمثل ذلك اليوم ! والله لندعنك حتى يقيدك الله . فرجعوا وتركوه ، ومضى حُكَيْم بن جبلة فيمن غزا معه عثمان بن عفان وحصره من نزاع القبائل كلها ، وعرفوا أن لا مقام لهم بالبصرة ، فاجتمعوا إليه ، فأنتهى بهم إلى الزابوقة عند دار الرزق ، وقالت عائشة : لا تقتلوا إلا من قاتلكم ، ونادوا من لم يكن من قتل عثمان رضى الله عنه فليكيف عنا ، فإننا لا نريد إلا قتلة عثمان ولا نبداً أحداً ، فأنشب حُكَيْم القتال ولم يرع للمنادى ، فقال طلحة والزبير : الحمد لله الذى جمع لنا ثأرنا من أهل البصرة ، اللهم لا تبقي منهم أحداً ، وأقيد منهم اليوم فاقتلهم . فجادوهم القتال فاقتلوا أشد

قتال ومعه أربعة قواد ، فكان حُكَيْمٌ بجيال طلحة ، وذَرِيحٌ بجيال الزبير ، وابن الحرث بجيال عبد الرحمن بن عتّاب ، وحرّوقص بن زهير بجيال عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، فزحف طلحة لحكم وهو في ثلثائه رجل ، وجعل حُكَيْمٌ يضرب بالسيف ويقول :

أَضْرِبُهُمْ بِالْيَاسِ ضَرْبَ غَلَامِ عَابِسٍ
من الحياة آيس في الغرقات نافس

فضرب رجل رجله فقطعها ، فحبا حتى أخذها فرمى بها صاحبه ، فأصاب جسده فصرعه ، فأتاه حتى قتله ، ثم اتكأ عليه وقال :

يا فخذ لن تراعى إن معى ذراعى
• أخنى بها كراعى •

وقال وهو يرتجز :

ليس على أن أموت عارُ والعارُ في الناس هو الفرارُ
• والمجدُ لا يفضحه الدمارُ •

فأتى عليه رجل وهو رثيث^(١) ، رأسه على الآخر ، فقال : مالك يا حُكَيْمٌ ؟ قال : قتلت ، قال : من قتلك ؟ قال : وسادق ، فاحتمله فضمه في سبعين من أصحابه ، فتكلم يومئذ حُكَيْمٌ وإنه لقائم على رجل ، وإن السيوف لتأخذهم فما يستعنع ، ويقول : إنا خلقنا هذين وقد باعنا علياً وأعطياه الطاعة ، ثم أقبلنا مخالفين محاربين يطلبان بدم عثمان بن عفان ، ففرقا بيننا ، ونحن أهل دار وجوار . اللهم لأنهما لم يريدوا عثمان . فنادى مناد : يا خبيث ، جزعت حين عضتك نكال الله عز وجل إلى كلام من نصّبك وأصحابك بما ركبتم من الإمام المظلوم ، وفرقتهم من الجماعة ، وأصبتم من الدماء ، ونلتم من الدنيا ! فذق وبال الله عز وجل وانتقامه ، وأقيموا فيمن أنتم .

وقتل ذَرِيحٌ ومن معه ، وأفلت حرّوقص بن زهير في نفر من أصحابه فلجئوا

(١) الرثيث : الجريح وبه رفق .

إلى قومهم ، ونادى مُنادى الزبير وطلحة بالبصرة : ألا من كان فيهم من قبائلكم أحدٌ ممن غزا المدينة فليأتنا بهم . فجيء بهم كما يُجاء بالكلاب ، فقتلوا فما أفلت منهم من أهل البصرة جميعاً إلا حرقوص بن زهير ؛ فإن بنى سعد منعه ، وكان من بنى سعد ، فسبهم في ذلك أمرٌ شديد ، وضربوا لهم فيه أجلاً وخشّثوا صدور بنى سعد وإنهم لعثمانية حتى قالوا : نعتزل ؛ وغضبت عبدُ القيس حين غضبت سعد لمن قتل منهم بعد الواقعة ومن كان هرب إليهم إلى ما هم عليه من لزوم طاعة عليّ ، فأمرنا للنّاس بأعطياتهم وأرأقهم وحقوقهم ، وفضلاً بالفضل أهل السمع والطاعة . فخرجت عبدُ القيس وكثير من بكر بن وائل حين زوّوا عنهم الفضول ، فبادروا إلى بيت المال ، وأكّبت عليهم الناس فأصابوا منهم ، وخرج القوم حتى نزلوا على طريق عليّ ، وأقام طلحة والزبير ليس معهما بالبصرة ثار إلا حرقوص ، وكتبوا إلى أهل الشام بما صنعوا وصاروا إليه : إنا خرجنا لوضع الحرب ، وإقامة كتاب الله عزّ وجلّ بإقامة حدوده في الشريف والضيع والكثير والقليل ، حتى يكون الله عزّ وجلّ هو الذي يردّنا عن ذلك ، فبايعنا خيار أهل البصرة ونجباؤهم ؛ وخالفنا شرارهم ونزاعهم ، فردّونا بالسلاح وقالوا فيما قالوا : نأخذُ أمّ المؤمنين رهينة ؛ أن أمرتّهم بالحقّ وحشّتهم عليه . فأعطاهم الله عزّ وجلّ سنة المسلمين مرة بعد مرة ، حتى إذا لم يبقَ حجة ولا عذر استبسل قتلة أمير المؤمنين فخرجوا إلى مضاجعهم فلم يفلت منهم مخبر إلا حرقوص بن زهير ، والله سبحانه مُقيده إن شاء الله . وكانوا كما وصف الله عزّ وجلّ ؛ وإنا نناشدكم الله في أنفسكم إلا نهضتم بمثل ما نهضنا به ؛ فنلقى الله عزّ وجلّ وتلقونه وقد أعذرنا وقضينا الذي علينا .

وبعثوا به مع سيّار العجليّ ، وكتبوا إلى أهل الكوفة بمثله مع رجل من بني عمرو بن أسد يدعى مظفر بن معرّض . وكتبوا إلى أهل الباقية وعليها سبرة ابن عمرو العبديّ مع الحارث السدوسيّ . وكتبوا إلى أهل المدينة مع ابن قدامة القشيريّ ، فدسّه إلى أهل المدينة .

وكتبت عائشة رضي الله عنها إلى أهل الكوفة مع رسولهم : أمّا بعد فإنّي أذكركم الله عزّ وجلّ والإسلام ، أقيموا كتاب الله بإقامة ما فيه ، اتقوا الله

واعتصموا بحبله ، وكونوا مع كتابه ؛ فإننا قدمنا البصرة فدعوناهم إلى إقامة كتاب الله بإقامة حدوده ، فأجابنا الصالحون إلى ذلك ؛ واستقبلنا من لا خير فيه بالسلاح ، وقالوا : لنُتبعنكم عثمان ، ليمز يدوا الحدود تعطيلاً ، فعاندوا فشهدوا علينا ٢١٣٣/١ بالكفر وقالوا لنا المنكر ، فقرأنا عليهم : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيحًا مِنْ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ^(١) ۖ فَآذِنَ لِي بَعْضُهُمْ ، واختلفوا بينهم ، فتركتهم وذلك ، فلم يمنع ذلك مَنْ كان منهم على رأيه الأول من وضع السلاح في أصحابي ، وعزم عليهم عثمان بن حنيف إلا قاتلوني حتى منعى الله عز وجل بالصالحين ، فرد كيدهم في نحورهم ، فكنتنا ستاً وعشرين ليلة ندعوهم إلى كتاب الله وإقامة حدوده — وهو حقن الدماء أن تُهراق دون من قد حل دمه — فأبوا واحتجوا بأشياء ، فاصطلحنا عليها ، فخافوا وغدروا وخانوا ، فجمع الله عز وجل لعثمان رضى الله عنه ثأرهم ، فأقادهم فلم يُفْلِت منهم إلا رجلٌ ، وأرد أنا الله ، ومنعنا منهم بعُمير ابن مرثد ومرثد بن قيس ، ونفر من قيس ، ونفر من الرباب والأزد . فالزموا الرضا إلا عن قتلة عثمان بن عفان حتى يأخذ الله حقه ، ولا تخاصموا الخائنين ولا تمنعوه ، ولا ترضوا ببدوي حدود الله فتكونوا من الظالمين . فكتبْتُ إلى رجال بأسمائهم . فنبطوا الناس عن منع هؤلاء القوم ونصرتهم واجلسوا في بيوتكم ؛ فإن هؤلاء القوم لم يرضوا بما صنعوا بعثمان بن عفان رضى الله عنه ، وفرقوا بين جماعة الأمة ، وخالفوا الكتاب والسنة ، حتى شهدوا علينا فيما أمرناهم به ، وحشناهم عليه من إقامة كتاب الله وإقامة حدوده بالكفر ، وقالوا لنا المنكر ، فأذكر ذلك الصالحون وعظموا ما قالوا ، وقالوا : مارضيتم أن قتلتم الإمام حتى خرجتم على زوجة نبيكم صلى الله عليه وسلم ؛ أن أمرتكم بالحق لتقتلوا وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأئمة المسلمين ! فغزوا وعثمان بن حنيف ٢١٣٤/١ معهم على من أطاعهم من جهال الناس وغوغائهم على زطهم وسيابجهم ، فلذنا منهم بطائفة من الفسطاط ؛ فكان ذلك الدأب ستة وعشرين يوماً

ندعوهم إلى الحقّ والألّا يحولوا بيننا وبين الحقّ فغدّروا وخانوا فلم نقايسهم^(١) ، واحتجّوا ببيعة طلحة والزبير ؛ فأبردوا بريدأ فجاءهم بالحجّة فلم يعرفوا الحقّ ، ولم يصبروا عليه ؛ فغادوني في الغلس ليقتلوني ؛ والذي يحاربهم غيري ، فلم يبرحوا حتى بلغوا سدّة بيتي ومعهم هادي يهلبهم إلىّ ، فوجدوا نفراً على باب بيتي ؛ منهم عُمر بن مرثد ، ومرثد بن قيس ، ويزيد بن عبد الله بن مرثد ؛ ونفر من قيس ، ونفر من الرّباب والأزد ، فدارت عليهم الرّحا ، فأطاف بهم المسلمون فقتلوهم ، وجمع الله عزّ وجلّ كلمة أهل البصرة على ما أجمع عليه الزّبير وطلحة ؛ فإذا قتلنا بثأرنا وسعنا العذر . وكانت الوقعة لخمس ليال بقين من ربيع الآخر سنة ست وثلاثين . وكتب عبيد بن كعب في جمادى .

حدثنا عمر بن شبّة ، قال : حدثنا أبو الحسن ، عن عامر بن حفص ، عن أشياخه ، قال : ضُرب عنق حُكَيْم بن جبلة رجلٌ من الحُدّاء يقال له ضُخَيْم ، قال رأسه ، فتعلّق بجلده ، فصار وجهه في قفاه . قال ابن المثنى الحُدّاني : الذي قتل حُكَيْمًا يزيد بن الأسحم الحُدّاني ، وجُد حُكَيْم قتيلاً بين يزيد بن الأسحم وكعب بن الأسحم ، وهما مقتولان .

حدثني عمر ، قال : حدثني أبو الحسن ، قال : حدثنا أبو بكر الهذليّ ، عن أبي المليح ، قال : لما قتل حُكَيْم بن جبلة أرادوا أن يقتلوا عثمان بن حنيف ، فقال : ما شئتم ، أمّا إن سهل بن حنيف وال على المدينة ، وإن قتلتموني انتصر . فخلّوا سبيله . واختلّفوا في الصلاة ، فأمرت عائشة رضي الله عنها عبد الله ابن الزبير فصلّى بالناس ، وأراد الزبير أن يعطى الناس أرزاقهم ويقسم ما في بيت المال ، فقال عبد الله ابنه : إن ارتزق الناس تفرّقوا . واصطلحوا على عبد الرحمن بن أبي بكر ، فصيّروه على بيت المال .

٣١٣٥/١

حدثني عمر ، قال : حدثنا أبو الحسن عليّ ، عن أبي بكر الهذليّ ، عن الجارود بن أبي سبيرة ، قال : لما كانت الليلة التي أخذ فيها عثمان بن حنيف ، وفي رحبة مدينة الرّزق طعامٌ يرزقه الناس ، فأراد عبد الله أن يرزقه أصحابه وبلغ حُكَيْم بن جبلة ما صنع بعثمان ، فقال : لست أخاف الله إن لم أنصره ،

(١) لم نقايسهم : لم نجارهم ونقابل المثل بالمثل .

فجاء في جماعة من عبد القيس وبكر بن وائل وأكثرهم عبد القيس ، فأتى ابن الزبير مدينة الرزق ، فقال : مَالِكُ يَا حَكِيمُ ؟ قال : نريد أن نرتزق من هذا الطعام ، وأن تخلّوا عثمان فيقيم في دار الإمارة على ما كتبتم بينكم حتى يقدم على ، والله لو أجد أعواناً عليكم أخيطكم بهم ما رضيت بهذه منكم حتى أقتلكم بمن قتلتم ، ولقد أصبحتم وإنّ دماءكم لنا لحلال بمن قتلتم من إخواننا ، أما تخافون الله عز وجل ؟ ! بم تستحلّون سفك الدماء ! قال : بدم عثمان ابن عفان ، قال : فالذين قتلتموهم قتلوا عثمان ! أما تخافون مقت الله ؟ فقال له عبد الله بن الزبير : لا نرتزقكم من هذا الطعام ، ولا نخلى سبيل عثمان ٣١٣٦/١ ابن حنيفة حتى يخلع علينا ، قال حكيم : اللهم إنك حكيم عدل فاشهد . وقال لأصحابه : إني لست في شك من قتال هؤلاء ، فمن كان في شك فلينصرف . وقتلتهم فاقتلوا قتالا شديداً ، وضرب رجل ساق حكيم فأخذ حكيم ساقه فرماه بها ، فأصاب عنقه فصرعه ووقّده ثم جبا إليه فقتله واتكأ عليه ، فرّ به رجل فقال : من قتلك ؟ قال : وسادتي ، وقتل سبعون رجلاً من عبد القيس . قال الهذلي : قال حكيم حين قطعت رجله :

أَقُولُ لَمَّا جَدَّ بِي زَمَاعِي لِلرَّجُلِ يَارَجُلِي لَنْ تَرَايَ

• إِنَّ مَعِي مِنْ نَجْدَةٍ ذِرَاعِي •

قال عامر ومسلمة : قتل مع حكيم ابنه الأشرف وأخوه الرّعل بن جبلة .

حدثني عمر ، قال : حدثنا أبو الحسن ، قال : حدثنا المشني بن عبد الله ، عن عوف الأعرجي ، قال : جاء رجل إلى طلحة والزبير وهما في المسجد بالبصرة ، فقال : نشدكما بالله في مسيركما ! أعهد إليكما فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً ! فقام طلحة ولم يجبه ، فناشد الزبير فقال : لا ، ولكن بلغنا أن عندكم دراهم فجننا نشارككم فيها .

حدثني عمر ، قال : حدثنا أبو الحسن ، قال : حدثنا سليمان بن أرقم ، عن قتادة ، عن أبي عمرة مولى الزبير ، قال : لما بايع أهل البصرة الزبير وطلحة ، قال الزبير : ألا ألف فارس أسير بهم إلى على ، فإذا بيّته وإما صبّحته ، لعلّي

أقتله قبل أن يصل إلينا ! فلم يجبه أحدٌ ، فقال : إن هذه لهى الفتنة التى كنا نحدث عنها ؛ فقال له مولاه : أتسميها فتنة وتقاتل فيها ! قال : ويحك ! إنا نبصّر ولا نبصّر ، ما كان أمر قطّ إلا علمتُ موضع قدمي فيه ، غير هذا الأمر فإنى لا أدرى أمقبل أنا فيه أم مُدبر !

حدثني أحمد بن منصور ، قال : حدثني يحيى بن معين ، قال : حدثنا هشام بن يوسف ، قاضى صَنْعَاءَ ، عن عبد الله بن مصعب بن ثابت ابن عبد الله بن الزبير ، عن موسى بن عقبة ، عن علقمة بن وقاص الليثي ، قال : لما خرج طلحة والزبير وعائشة رضى الله عنهم رأيتُ طلحة وأحبّ المجالس إليه أخلاها ، وهو ضاربٌ ببلحيته على زوره ، فقلت : يا أبا محمد ، أرى أحبّ المجالس إليك أخلاها ، وأنت ضارب ببلحيتك على زورك ؛ إن كرهت شيئاً فاجلس . قال : فقال لى : يا علقمة بن وقاص ، بينا نحن يدٌ واحدة على من سوانا ، إذ صرنا جبلين من حديد يطلبُ بعضنا بعضاً ، إنه كان منى في عثمان شئٌ ليس توبى إلا أن يُسفك دمي في طلب دمه . قال : قلت : فردّ محمد ابن طلحة فإنّ لك ضيعة وعيالا ؛ فإن يك شئٌ يخلفك ؛ فقال : ما أحبّ أن أرى أحداً يخفّ في هذا الأمر فأمنعه . قال : فأتيت محمد بن طلحة فقلت له : لو أقمت ، فإن حدث به حدثٌ كنتَ تخلفه في عياله وضيعته ، قال : ما أحبّ أن أسأل الرجال (١) عن أمره .

٣١٣٨/١

حدثني عمر بن شبة ، قال : حدثنا أبو الحسن ، قال : حدثنا أبو مخنف ، عن مجالد بن سعيد ، قال : لما قدمت عائشة رضى الله عنها البصرة كتبتُ إلى زيد بن صُوحان : من عائشة ابنة أبى بكر أمّ المؤمنين حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ابنها الخالص زيد بن صُوحان ، أمّا بعد : فإذا أتاك كتابي هذا فاقدّم ؛ فانصرنا على أمرنا هذا ، فإن لم تفعل فخذل الناس عن على .

فكتب إليها : من زيد بن صُوحان إلى عائشة ابنة أبى بكر الصديق

(١) ابن الأثير : « الركبان » .

حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أما بعد : فأنا ابنك الخالص إن اعترلت هذا الأمر ورجعت إلى بيتك ، وإلا فأنا أول من نابذك . قال زيد ابن صوحان : رحم الله أم المؤمنين ! أميرت أن تلزم بيتها وأميرنا أن نقاتل ، فتركت ما أميرت به وأميرتنا به ، وصنعت ما أميرنا به ونهستنا عنه !

ذكر الخبر عن مسير علي بن أبي طالب نحو البصرة

مما كتب به إلى السري ، أن شعيباً حدثه ، قال : حدثنا سيف ، عن عبيدة بن معتب ، عن يزيد الضخم ، قال : لما أتى علياً الخبر وهو بالمدينة بأمر عائشة وطلحة والزبير أنهم قد توجهوا نحو العراق ، خرج يبادر وهو يرجو أن يدرهم ويردهم ، فلما انتهى إلى الربدّة أتاه عنهم أنهم قد أمعنوا ، فأقام بالربدّة أياماً ، وأتاه عن القوم أنهم يريدون البصرة ، فسرى بذلك عنه ، وقال : إن أهل الكوفة أشدّ إلى حبا ، وفيهم رؤوس العرب وأعلامهم . فكتب إليهم : إنني قد اخترتكم على الأمصار وإنني بالأثرة .

حدثني عمر ، قال : حدثنا أبو الحسن ، عن بشير بن عاصم ، عن محمد ٣١٣٩/١ ابن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن أبيه ، قال : كتب علي إلى أهل الكوفة : بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد ، فإني اخترتكم والتزول بين أظهركم لما أعرف من مودتكم وحبكم لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم ، فن جاءني ونصرني فقد أجاب الحق وقضى الذي عليه .

حدثني عمر ، قال : حدثنا أبو الحسن . قال : حدثنا حبان بن موسى ، عن طلحة بن الأعم وبشر بن عاصم ، عن ابن أبي ليلى ، عن أبيه ، قال : بعث محمد بن أبي بكر إلى الكوفة ومحمد بن عون ، فجاء الناس إلى أبي موسى يستشيرونه في الخرج ، فقال أبو موسى : أمّا سبيل الآخرة فأن تقيموا ، وأمّا سبيل الدنيا فأن تخرجوا ، وأنتم أعلم . وبلغ محمد بن قول أبي موسى ، فبإياه وأغلظا له ، فقال : أما والله إن بيعة عثمان في عنتي وعنتي صاحبكما الذي أرسلكما ، إن أردنا أن نقاتل لا نقاتل حتى لا يبقى أحد من قتلنا

عثمان إلا قُتِلَ حيث كان - وخرج عليّ من المدينة في آخر شهر ربيع الآخر سنة ست وثلاثين ، فقالت أخت عليّ بن عدى من بنى عبد العزى ابن عبد شمس :

لَاهُمْ فَأَعْقِرْ بِعَلِيٍّ جَمَلَهُ وَلَا تُبَارِكْ فِي بَعِيرٍ حَمَلَهُ
• أَلَا عَلِيٌّ بْنُ عَدَى لَيْسَ لَهُ •

٣١٤٠/١

حدثني عمر ، قال : حدثنا أبو الحسن ، عن أبي مخنف ، عن نُسَيمِ ابن وعلة ، عن الشعبي ؛ قال : لما نزل عليّ بالربذة أئته جماعة من طيئ ، فقيل لعلّ : هذه جماعة من طيئ قد أتتك ، منهم من يريد الخروج معك ومنهم من يريد التسليم عليك ؛ قال : جزى الله كلاً خيراً وقضّل الله المجاهدين على القاعدتين أجراً عظيماً . ثم دخلوا عليه فقال عليّ : ما شهدتمونا به ؟ قالوا : شهدناك بكلّ ما تحبّ ، قال : جزاكم الله خيراً ! فقد أسلمتم طائعين وقاتلتم المرتدّين ووافيتم بصدقاتكم المسلمين . فنهض سعيد بن عبيد الطائي فقال : يا أمير المؤمنين ، إنّ من الناس من يعبّر لسانه عما في قلبه ، وإنّ والله ما كلّ ما أجد في قلبي يعبّر عنه لساني وسأجهد وبالله التوفيق ، أمّا أنا فسأنصح لك في السرّ والعلانية وأقاتل عدوك في كلّ موطن وأرى لك من الحقّ ما لا أراه لأحد من أهل زمانك لفضلك وقرابتك . قال : رحمك الله ! قد أدّى لسانك عما يحنّ ضميرك . فقُتِلَ معه بصفين رحمه الله .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالوا : لما قدم عليّ الربذة أقام بها وسرح منها إلى الكوفة محمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر ؛ وكتب إليهم : إنّي اخترتكم على الأمصار وفزعت إليكم لما حدث ، فكونوا لدين الله أعواناً وأنصاراً ، وأيدونا وانهضوا إلينا فالإصلاح ما نريد ، لتعود الأمة إخواناً ، ومن أحبّ ذلك وآثره فقد أحبّ الحقّ وآثره ، ومن أبغض ذلك فقد أبغض الحقّ وغمصه^(١) .

٣١٤١/١

ففضى الرجلان وبقي عليّ بالربذة يتهيأ ، وأرسل إلى المدينة فلحقه ما أراد

(١) غمصه : تهون به .

من دابة وسلاح ، وأمر أمره ^(١) وقام في الناس فخطبهم ؛ وقال : إن الله عز وجل أعزنا بالإسلام ورفعنا به وجعلنا به إخواناً بعد ذلّة وقلّة وتباغض وتباعد ؛ فجرى الناس على ذلك ما شاء الله ؛ الإسلام دينهم والحق فيهم والكتاب إمامهم ، حتى أصيب هذا الرجل بأيدي هؤلاء القوم الذين نزعهم الشيطان ليتزغ بين هذه الأمة ، ألا إن هذه الأمة لا بدّ مفترقة كما افترقت الأمم قبلهم ، فنعوذ بالله من شرّ ما هو كائن . ثمّ عاد ثانية ، فقال : إنه لا بدّ مما هو كائن أن يكون ، ألا وإن هذه الأمة ستستفترق على ثلاث وسبعين فرقة ؛ شرّها فرقة تتحلنى ولا تعمل بعَمَلِي ، فقد أدركتم رأيتم ^(٢) فالزموا دينكم واهدوا بهدي ^(٣) نبيكم صلى الله عليه وسلم ، واتبعوا سنته ، واعرضوا ما أشكل عليكم على القرآن ، فما عرفه القرآن فالزموه وما أنكره فردّوه ، وارضوا بالله جلّ وعزّ ربّاً وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ، وبالقرآن حكماً وإماماً .

كتب إلى السرى عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالوا : لما أراد على الخروج من الرّبذة إلى البصرة قام إليه ابن لرفاعة بن رافع ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أى شيء تريد ؟ وإلى أين تذهب بنا ؟ فقال : أمّا الذى نريد وننوى فالإصلاح ؛ إن قبلوا منا وأجابونا إليه ، قال : فإن لم يجيبوا إليه ؟ قال : ندعهم بعددهم ونعطهم الحق ونصبر ؛ قال : فإن لم يرضوا ؟ قال : ندعهم ما تركونا ، قال : فإن لم يتركونا ؟ قال : امتنعنا منهم ، قال : فنعم إذا . وقام الحجاج بن غزيرة الأنصارى فقال : لأرضيتك بالفعل كما أرضيتنى بالقول . وقال :

دَرَاكِهَا دَرَاكِهَا قَبْلَ الْمَوْتِ وَانْفِرْ بِنَا وَاسْمُ بِنَا نَحْوَ الصَّوْتِ
لَا وَالَّتِ نَفْسِي إِنْ هَيْتُ الْمَوْتِ .

والله لأنصرن الله عز وجل كما سمانا أنصاراً . فخرج أمير المؤمنين وعلى

(١) أمر أمره : اشتد .

(٢) ابن الأثير : « أدركتم ورأيتم » .

(٣) ابن الأثير والنويرى : « بهدي فإنه » .

مقدمته أبو ليلى بن عمر بن الجراح ، والرأية مع محمد بن الحنفية ، وعلى الميمنة عبد الله بن عباس ، وعلى الميسرة عمر بن أبي سلمة أو عمرو بن سفيان بن عبد الأسد ، وخرَجَ علىّ وهو في سبعمائة وستين ؛ وراجزُ علىّ يرجز به :

سِروا أبا بَيلَ وحُثُوا السَّيرَا إِذْ عَزَمَ السَّيْرَ وَقُولُوا خَيْرَا
حَتَّى يُبْلَقُوا وَتُلَاقُوا خَيْرَا نَغْزُو بِهَا طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَا

٣١٤٣/١ وهو أمام أمير المؤمنين ، وأمير المؤمنين علىّ على ناقة له حمراء يقود فرساً كُميّاً . فتلَقَّاهم بفيءٍ غلامٌ من بني سعد بن ثعلبة بن عامر يدعى مُرّة ، فقال : من هؤلاء ؟ فقيل : أمير المؤمنين ، فقال : سفرة فانية فيها دماء من نفوس فانية ؛ فسمعها علىّ فدعاه ، فقال : ما اسمك ؟ قال : مُرّة ، قال : أَمَرَ الله عيشك ، كاهن سائر اليوم ؟ قال : بل عائف ؛ فلما نزل بفيءٍ أتنه أسد وطبئٍ فعرضوا عليه أنفسهم ، فقال : الزموا قراركم ، في المهاجرين كفاية . وقديم رجلٌ من أهل الكوفة فيئد قبل خروج علىّ فقال : مَنْ الرجل ؟ قال : عامر بن مطر ، قال : اللبئى ؟ قال الشيبانيّ : قال : أخبرني عما وراءك ، قال : فأخبره حتى سأله عن أبي موسى ، فقال : إن أردت الصلح فأبو موسى صاحبُ ذلك ، وإن أردت القتال فأبو موسى ليس بصاحب ذلك ، قال : والله ما أريدُ إلا الإصلاح حتى يُرَدَّ علينا ، قال : قد أخبرتك الخبر ، وسكت وسكت علىّ . حدثني عمر ، قال : حدثنا أبو الحسن ، عن أبي محمد ، عن عبد الله بن عمير ، عن محمد بن الحنفية . قال : قدِمَ عثمان بن حنيف علىّ بالربذة وقد نتفوا شعر رأسه ولحيته وحاجبيه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، بعثتني ذا لحية وجئتُك أمرَد ، قال : أصبت أجراً وخيراً ، إن الناس وليسهم قبلي رجلان ، فعميلاً بالكتاب ، ثمّ وليهم ثالث ، فقالوا وفعّلوا ، ثمّ بايعوني ، وبايعني طلحة والزبير ، ثمّ نكثا بيعتي ، وألبأ الناس علىّ . ومن العجب انقيادهما لأبي بكر وعمر وخلافتهما علىّ ، والله إنهما ليعلمان أني لستُ بدون رجل ممن قد مضى ، اللهم فاحلل ما عقدا ، ولا تبرم ما قد أحكما في أنفسهما وأريهما المساءة فيما قد عملا .

كتب إلى السري عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالوا :
ولما نزل على الثعلبية أتاه الذي لقي عثمان بن حنيف وحرسه ، فقام وأخبر القوم
الخبر ، وقال : اللهم عافني مما ابتليت به طلحة والزبير من قتل المسلمين ،
وسلمنا منهم أجمعين . ولما انتهى إلى الإساد أتاه ما لقي حكيم بن جبلة
وقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فقال : الله أكبر ، ما^(١) ينجيني من
طلحة والزبير إذ أصابا ثأرهما أو ينجيهما ! قرأ : ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي
الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا ۚ ﴾^(٢) . وقال :
دعا حكيم دعوة الزماع حل بها منزلة النزاع

ولما انتهوا إلى ذي قار انتهى إليه فيها عثمان بن حنيف ، وليس في
وجهه شعر ، فلما رآه على نظر إلى أصحابه فقال : انطلق هذا من عندنا وهو
شيخ ، فرجع إلينا وهو شاب . فلم يزل بذى قار يتلو محمداً ومحمداً ، وأتاه الخبر
بما لقيت ربيعة وخروج عبد القيس ونزولهم بالطريق ، فقال : عبد القيس
خير ربيعة ، في كل ربيعة خير . وقال :

يَالْهَفَ نَفْسِي عَلَى رَبِيعَةٍ رَبِيعَةَ السَامِعَةِ الْمُطِيعَةِ
قَدْ سَبَقْتَنِي فِيهِمُ الْوَقِيعَةِ دَعَا عَلَى دَعْوَةِ سَمِيعَةِ
• حَلُّوا بِهَا الْمَنْزِلَةَ الرَّفِيعَةَ •

قال : وعرضت عليه بكر بن وائل ، فقال لهم مثل ما قال لطبي وأسد .
ولما قدم محمد ومحمد على الكوفة أتيا أبا موسى بكتاب أمير المؤمنين ، وقاما
في الناس بأمره ، لم يجابا إلى شيء ، فلما أمسوا دخل ناس من أهل الحجازي
على أبي موسى ، فقالوا : ما ترى في الخروج ؟ فقال : كان الرأي بالأمس
ليس باليوم ، إن الذي تهاونتم به فيما مضى هو الذي جرّ عليكم ما ترون ؛
وما بقي إلا هما أمران : القعود سبيل الآخرة والخروج سبيل الدنيا ،
فاختاروا . فلم ينفّر إليه أحد ، فغضب الرجال وأغلظا لأبي موسى ، فقال

(١) ابن الأثير : « وأما » .

(٢) سورة الحديد ٢٢ .

أبو موسى : والله إن بيعة عثمان رضى الله عنه لفي عنق وعنق صاحبكما ، فإن لم يكن بُدٌّ من قتال لا نقاتل أحداً حتى يُفرغ^(١) من قَتَلَةِ عثمان حيث كانوا . فانطلقا إلى على فوافياه بذى قار وأخبراه الخبر ، وقد خرج مع الأشتر وقد كان يعجل إلى الكوفة ، فقال على : يا أشتر ، أنت صاحبنا في أبي موسى والمعتز في كل شيء ، اذهب أنت وعبد الله بن عباس فأصلح ما أفسدت .

فخرج عبد الله بن عباس ومعه الأشتر ، فقدا الكوفة وكَلَّمَا أبا موسى واستعانا عليه بأناس من الكوفة ، فقال للكوفيين : أنا صاحبكم يوم الجَرَعَةِ وأنا صاحبكم اليوم ؛ فجمع الناس فخطبهم وقال : يا أيها الناس ، إن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الذين صحبوه في المواطن أعلم بالله جل وعز وبرسوله صلى الله عليه وسلم ممن لم يصحبه ، وإن لكم علينا حقاً فأنا مؤدبه إليكم .
 ٣١٤٦/١ كان الرأي ألا تستخفوا بسلطان الله عز وجل ، ولا تجترأوا على الله عز وجل ، وكان الرأي الثاني أن تأخذوا من قديم عليكم من المدينة فتردوهم إليها حتى يجتمعوا ، وهم أعلم بمن تصلح له الإمامة منكم ، ولا تسكنوا الدخول في هذا ، فأما إذ كان ما كان فإنها فتنة صماء ، النائم فيها خير من اليقظان ، واليقظان فيها خير من القاعد ، والقاعد خير من القائم ، والقائم خير من الراكب ، فكونوا جريئمة من جرائم العرب ، فاغمدوا السيوف ، وأنصِلُوا الأسنة ، واقطعوا الأوتار ، وآووا المظلوم والمضطهد حتى يلتئم هذا الأمر ، وتنجلي هذه الفِتْنَةُ .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالوا : ولما رجع ابن عباس إلى على بالخبر دعا الحسن بن على فأرسله ، فأرسل معه عمار بن ياسر ، فقال له : انطلق فأصلح ما أفسدت ؛ فأقبلا حتى دخلا المسجد ، فكان أول من أتاهما مسروق بن الأجدع ، فسلم عليهما ، وأقبل على عمار فقال : يا أبا اليقظان ، علام قتلتم عثمان رضى الله عنه ؟ قال : علتي شتم أعراضنا وضرب أبقارنا ! فقال : والله ما عاقبتكم بمثل ما عوقبتكم به ولئن صبرتم لكان خيراً للصَّابرين . فخرج أبو موسى ، فلقى الحسن فضمه إليه ، وأقبل على عمار فقال : يا أبا اليقظان ، أعدوت فيمن عدا على أمير المؤمنين ، فأحلت

(١) ابن الأثير والنويري : « فرغ » .

نفسك مع الفجار ! فقال : لم أفعل ، ولیم تسوفنى ؟ وقطع عليهما الحسن ، فأقبل عليّ أبى موسى ، فقال : يا أبا موسى ، لیم تثبّط الناس عنا ! فوالله ما أردنا إلا الإصلاح ، ولا مثل أمير المؤمنين يُخاف على شيء . فقال : صدقت بأبى أنت وأُمى ! ولكنّ المستشار مؤتمن ، سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إنها ستكون فتنة » ، القاعدُ فيها خيرٌ من القائم ، والقائم خير من الماشى ، والماشى خيرٌ من الراكب » ؛ قد جعلنا الله عزّ وجلّ لإخواننا ، وحرّم علينا أموالنا ودماءنا ، وقال : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ ﴾ ^(١) ، ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ ^(٢) . وقال جلّ وعزّ : ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ ﴾ ^(٣) . فغضب عمارٌ وساءَ هَ وقام وقال : يا أيّها الناس ، إنما قال له خاصّة : أنت فيها قاعدٌ خيرٌ منك قائمًا . وقام رجلٌ من بنى تميم ، فقال لعمار : اسكت أيّها العبد ، أنت أمس مع الغوغاء واليوم تُسافِه أميرنا ؛ وثار زيدُ بن صُوحان وطبقه وثار الناس ، وجعل أبو موسى يُكفِّفُ الناس ، ثم انطلق حتى أتى المنبر ، وسكن الناس ، وأقبل زيد على حمار حتى وقف بباب المسجد ومعه الكتابان من عائشة رضى الله عنها إليه وإلى أهل الكوفة ، وقد كان طلب كتاب العامة فضمه إلى كتابه ، فأقبل بهما ومعه كتاب الخاصة وكتاب العامة : أمّا بعد ، فثبّطوا أيّها الناس واجلسوا فى بيوتكم إلاّ عن قَتْلَةِ عثمان بن عفان رضى الله عنه . فلما فرغ من الكتاب قال : أمِرتُ بأمرٍ وأمرُنا بأمرٍ ؛ أمِرتُ أن تقرّ فى بيّنا ، وأمرنا أن نقاتل حتى لا تكون فتنة ، فأمرتنا بما أمِرت به ورَكبتُ ما أمرنا به . فقام إليه شبّث بن ربعى فقال : يا عُمَمانى - وزيد من عبد القيس عُمان وليس من أهل البَحْرَيْن - سَرَقْتَ بِجَلُولَاءِ فَطَعَلَكُ اللَّهُ ، وعصيتُ أم المؤمنين فقتلك الله ! ما أمرتُ إلاّ بما أمر الله عزّ وجلّ به بالإصلاح بين الناس ؛ فقلت : وربّ الكعبة ؛ وتهاوى الناس ^(٤) . وقام أبو موسى فقال : أيّها الناس ، أطيعونى تكونوا جَرثومة من جرائم العرب يأوى إليكم المظلوم ويأمن فيكم الخائِف ، إنّا أصحابُ محمد صلى الله عليه وسلم أعلم بما سمعنا ، إن الفتنة

(٢) سورة النساء : ٩٣ .

(١) سورة النساء : ٢٩ .

(٣) كذا فى أصول ط ، وفى العبارة غموض .

إذا أقبلت شبهت وإذا أدبرت بيّنت ، وإنّ هذه الفتنة باقيرة كدّاء البطن
تجرى بها الشّمال والجنوب والصّبا والدّبور ، فتسكن أحياناً فلا يدري من
أين تؤتسى ، تدّر الحليم كابن أمّس ، شيموا سيوفكم وقصّداوا^(١) رماحكم ،
وأرسلوا سهامكم ، واقطعوا أوتاركم ، والزمو بيوتكم . خلّوا قريشاً - إذ أبوا إلا
الخروج من دار الهجرة وفراق أهل العلم بالإمرة - ترتق فتقها ، وتشعب
صدعتها ، فإن فعلت فلا لنفسها سعت ، وإن أبّت فعلى أنفسها منت^(٢) .
سمّتها هريق في أديمها ؛ استنصحنوني ولا تستغشوني ، وأطيعوني يسلم
لكم دينكم ودنياكم ، ويشقى بجرّ هذه الفتنة منّ جناها .

فقام زيد فشال يده المقطوعة فقال : يا عبد الله بن قيس ؛ ردّ الفرات
عن دراجه^(٣) ، اردده من حيث يجيء حتى يعود كما بدأ ، فإن قدرت على
ذلك فستقدر على ما تريد ، فدع عنك ما لست مدركه . ثمّ قرأ :
﴿ اَلَمْ أَحَسِبِ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا ﴾^(٤) إلى آخر الآيتين ؛ سيروا إلى أمير
المؤمنين وسيد المسلمين ، وانفروا إليه أجمعين تصيوا الحق .

فقام القعقاع بن عمرو فقال : إني لكم ناصح ، وعليكم شفيق ، أحب
أن ترشدوا ، ولأقولنّ لكم قولاً هو الحق ، أمّا ما قال الأمير فهو الأمر لو أنّ
إليه سيلاً ، وأمّا ما قال زيد فزيد في الأمر فلا تستنصحوه فإنّه لا ينتزع
أحد من الفتنة طعن فيها وجرى إليها ؛ والقول الذي هو القول^(٥) إنه لا بدّ من
إمارة تنظم الناس وتزع الظالم وتزعّز المظلوم ، وهذا على يلى بما ولى ، وقد أنصف
في الدّعاء وإنما يدعو إلى الإصلاح ، فانفروا وكونوا من هذا الأمر بمراى ومسمع .
وقال سيّحان : أيّها الناس ، إنه لا بدّ لهذا الأمر وهؤلاء الناس من
وال يدفع الظالم ويّعزّز المظلوم ويجمع الناس ، وهذا واليكم يدعوكم لينظر
فيما بينه وبين صاحبيه ، وهو المأمون على الأمة ، الفقيه في الدّين ، فن نهض إليه
فإنّا سائرون معه . ولأنّ عمار بعد نزوّته الأولى . فلما فرغ سيّحان من
خطبته ، تكلم عمار فقال : هذا ابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم يستنفركم

(١) قصّلوا : اجعلوها قصداً ، أى قطعاً . (٢) منت ، أى جلبت لنفسها المنية .

(٣) درج السيل ومدرجه : منحدره وطريقه . (٤) سورة العنكبوت ٢٠١ .

(٥) النويرى وابن الأثير : « الحق » .

إلى زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى طلحة والزبير ، وإلى أشهد أنها زوجته في الدنيا والآخرة ، فانظروا ثم انظروا في الحق فقاتلوا معه ؛ فقال رجل : يا أبا اليقظان ، ليهو مع من شهدت له بالجنة على من لم تشهد له . فقال الحسن : اكفف عنا يا عمار ، فإن للإصلاح أهلاً .

وقام الحسن بن علي ، فقال : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ؛ أَجِيبُوا دَعْوَةَ أَمِيرِكُمْ ؛ وَسِيرُوا إِلَى إِخْوَانِكُمْ ، فَإِنَّهُ سَيُوجَدُ لِهَذَا الْأَمْرِ مَنْ يَنْفِرُ إِلَيْهِ ، وَاللَّهُ لَأَنْ يُلِيَهُ أُولُو النَّهْيِ أَمْثَلُ فِي الْعَاجِلَةِ وَخَيْرٌ فِي الْعَاقِبَةِ ، فَأَجِيبُوا دَعْوَتَنَا وَأَعِينُونَا عَلَى مَا ابْتَلَيْنَا بِهِ وَابْتَلَيْتُمْ . ٣١٥١/١
فسامح الناس وأجابوا ورضوا به . وأتى قومٌ من طَيْبِ عَدِيٍّ فقالوا : ماذا ترى وماذا تأمر ؟ فقال : ننتظر ما يصنع الناس ، فأخبر بقيام الحسن وكلام من تكلم ، فقال : قد بايعنا هذا الرجل ، وقد دعانا إلى جميل ، وإلى هذا الحدث العظيم لننتظر فيه ، ونحن سائرون وناظرون .

وقام هند بن عمرو ، فقال : إِنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ دَعَانَا وَأَرْسَلَ إِلَيْنَا رِسَالَهُ حَتَّى جَاءَنَا ابْنُهُ ، فَاسْمَعُوا إِلَى قَوْلِهِ ، وَانْتَهُوا إِلَى أَمْرِهِ ، وَانْفِرُوا إِلَى أَمِيرِكُمْ فَانظُرُوا مَعَهُ فِي هَذَا الْأَمْرِ وَأَعِينُوهُ بِرَأْيِكُمْ .

وقام حُجْرُ بْنُ عَدِيٍّ ، فقال : أَيُّهَا النَّاسُ أَجِيبُوا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَانْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا مَرُوءًا ، أَنَا أَوَّلُكُمْ . وقام الْأَشْتَرُ فَذَكَرَ الْجَاهِلِيَّةَ وَشَدَّتْهَا ، وَالْإِسْلَامَ وَرِخَاءَهُ ، وَذَكَرَ عُمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . فقام إليه الْمُقَطَّعُ بْنُ الْهَيْثَمِ بْنِ فَجِيعٍ الْعَامِرِيُّ ثُمَّ الْبُكَائِيُّ ، فقال : اسكت قبحك الله ! كَلْبٌ خُلِّيَ وَالنَّبَّاحُ ؛ فَثَارَ النَّاسُ فَأَجْلَسُوهُ .

وقام الْمُقَطَّعُ ، فقال : إِنَّا وَاللَّهِ لَا نَحْتَمِلُ بَعْدَهَا أَنْ يَبُوءَ أَحَدٌ بِذِكْرِ أَحَدٍ مِنْ أُمَّتِنَا ، وَإِنْ عَلَيْنَا عِنْدَنَا لِمَقْنَعٍ ، وَاللَّهِ لَنْ يَكُنَ هَذَا الضَّرْبُ لَا يَرْضَى بَعْلِي ، فَعُضَّ أَمْرُؤَ عَلَى لِسَانِهِ فِي مِشَاهِدِنَا ؛ فَأَقْبَلُوا عَلَى مَا أَحْتَاكُمْ ..

فقال الحسن : صدق الشيخ ، وقال الحسن : أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنِّي غَادِ فَنَشَاءُ مِنْكُمْ أَنْ يَخْرُجَ مَعِيَ عَلَى الظَّهْرِ ، وَمَنْ شَاءَ فَلْيَخْرُجْ فِي الْمَاءِ فَتَفَرَّ مَعَهُ تِسْعَةَ آلَافٍ ، فَأَخَذَ بَعْضُهُمُ الْبَرَّ ، وَأَخَذَ بَعْضُهُمُ الْمَاءَ وَعَلَى كُلِّ سَبْعِ رَجُلٍ ؛ أَخَذَ الْبَرَّ سِتَّةَ آلَافٍ وَمِائَتَانِ ، وَأَخَذَ الْمَاءَ أَلْفَانِ وَمِائَتَانِ .

وفيا ذكر نصر بن مزاحم العطار ، عن عمر بن سعيد ، عن أسد بن

عبد الله ، عَمَّنْ أدرك من أهل العلم : أن عبد خير الحسيّوانيّ قام إلى أبي موسى فقال : يا أبا موسى ، هل كان هذان الرّجلان - يعني طلحة والزبير - ممن بايع عليّاً ؟ قال : نعم ، قال : هل أحدث حدثاً يحلّ به نقضُ بيعته ؟ قال : لا أدري ، قال : لا دريت ، فلما تاركوك حتى تدرى ! يا أبا موسى هل تعلم أحداً خارجاً من هذه الفتنة التي تزعم أنها هي فتنة ؟ إنما بقي أربع فِرَقَ^(١) : علىّ بظهر الكوفة ، وطلحة والزبير بالبصرة ، ومعاوية بالشّام ، وفرقة أخرى بالحجاز ؛ لا يجيئ بها فيء ، ولا يقاتل بها عدوٌّ ؛ فقال له أبو موسى : أولئك خيرُ الناس ، وهي فتنة ؛ فقال له عبد خير : يا أبا موسى ، غلب عليك غيشك .

قال : وقد كان الأشتر قام إلى عليّ فقال : يا أمير المؤمنين ، إني قد بعثت إلى أهل الكوفة رجلاً قبل هذين فلم أره أحكم شيئاً ولا قدر عليه ، وهذان ٢١٥٣/١ أخلّق من بعثت أن يُنسبَ بهم الأمر على ما تحبّ ، ولست أدري ما يكون ، فإن رأيت - أكرمك الله - يا أمير المؤمنين أن تبعنني في أثرهم ، فإن أهل المصر أحسن شيء لي طاعة ، وإن قدمت عليهم رجوت ألاّ يخالفني منهم أحد . فقال له عليّ : الحقّ بهم ؛ فأقبل الأشتر حتى دخل الكوفة وقد اجتمع الناس في المسجد الأعظم ، فجعل لا يمرُّ بقبيلة يرى فيها جماعة في مجلس أو مسجد إلاّ دعاهم ويقول : اتبعوني إلى القصر ، فانتهي إلى القصر في جماعة من الناس ، فافتحم القصر فدخله وأبو موسى قائم في المسجد يخطب الناس ويثبّطهم ، يقول : أيّها الناس ، إن هذه فتنة عمياء صماء تطأُ خطاها ، النائم فيها خير من القاعد ، والقاعد فيها خير من القائم ، والقائم فيها خير من الماشي ، والماشي فيها خير من الساعي ، والساعي فيها خير من الرّاكب ؛ لأنها فتنة باقرة كداء البطن ، أنتكم من قبيل مأمّنكم ، تدع الحليم فيها حيران كابن أمّس . إنا معاشر أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أعلم بالفتنة ، لأنها إذا أقبلت شبّهت وإذا أدبرت أسفرت . وعمارٌ يخاطبه والحسن يقول له : اعتزل عمّلنا لا أمّ لك ! وتنج عن منبرنا . وقال له عمار : أنت لمعت هذا من رسول الله صلى الله

(١) ط : « قرون » ؛ والصواب ما أثبتته .

عليه وسلم ؟ فقال أبو موسى : هذه يدى بما قلت ، فقال له عمار : إنما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا خاصة ، فقال : « أنت فيها قاعداً خيراً منك قائماً » ، ثم قال عمار : غلب الله من غلبته وجاحده .

٣١٥٤/١

قال نصر بن مزاحم : حدثنا عمر بن سعيد ، قال : حدثني رجل ، عن نعيم ، عن أبي مریم الثقفي ، قال : والله إني لفي المسجد يومئذ وعمار يخاطب أبا موسى ويقول له ذلك القول ، إذ خرج علينا غلمان لأبي موسى يشتدون ينادون : يا أبا موسى ، هذا الأشر قد دخل القصر فصرَبنا وأخرجنا ؛ فتزل أبو موسى ، فدخل القصر ، فصاح به الأشر : اخرج من قصرنا لا أم لك ! أخرج الله نفسك ، فوالله إنك لمن المنافقين قديماً ، قال : أجلني هذه العشيّة ، فقال : هي لك ، ولا تبيتن في القصر الليلة . ودخل الناس ينتهبون متاع أبي موسى ؛ فنعهم الأشر وأخرجهم من القصر ، وقال : إني قد أخرجته ، فكف الناس عنه .

* * *

نزول أمير المؤمنين ذا قار

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو ، عن الشعبي ، قال : لما التقوا بذي قار تلقاهم على في أناس ، فيهم ابن عباس فرحب بهم ، وقال : يا أهل الكوفة ، أنتم وليتم شوكة العجم وملوكهم ، وفضضتم جموعهم ؛ حتى صارت إليكم مواربهم ، فأغنيتهم حموزتكم ، وأعنتم الناس على عدوهم ، وقد دعوتكم لتشهدوا معنا إخواننا من أهل البصرة ؛ فإن يرجعوا فذاك ما نريد وإن يلجؤا داويناهم بالرفق ، وبايتاهم حتى يبدعونا بظلم ، ولن ندع أمراً فيه صلاح إلا آثرناه على ما فيه الفساد إن شاء الله ، ولا قوة إلا بالله .

٣١٥٥/١

فاجتمع بذي قار سبعة آلاف ومائتان ، وعبد القيس بأسرها في الطريق بين على وأهل البصرة ينتظرون مرور على بهم ، وهم آلاف - وفي الماء ألفان وأربعمائة .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة بإسنادهما ، قال : لما نزل على ذا قار أرسل ابن عباس والأشر بعد محمد بن أبي بكر ومحمد

ابن جعفر ، وأرسل الحسن بن عليّ وعماراً بعد ابن عباس والأشتر ، فخفّ في ذلك الأمر جميع من كان نَفَرَ فيه ، ولم يقدّم فيه الوجوه أتباعهم فكانوا خمسة آلاف أخذ نصفهم في البرّ ونصفهم في البحر ، وخفّ من لم ينفر فيها ولم يعمل لها . وكان على طاعته ^(١) ملازماً للجماعة فكانوا أربعة آلاف ، فكان رؤساء الجماعة : القعقاع بن عمرو وسعّر ^(٢) بن مالك وهند بن عمرو والهيثم ابن شهاب ؛ وكان رؤساء التفّار : زيد بن صوحان ، والأشتر مالك بن الحارث ، وعدى بن حاتم ، والمسيب بن نجبة ، ويزيد بن قيس ومعهم أتباعهم وأمثال لهم ليسوا دونهم إلا أنهم لم يؤمّروا ؛ منهم حُجْر بن عدى وابن مسحد ووج البكري ؛ وأشباههما لم يكن في أهل الكوفة أحد على ذلك الرأي غيرهم . فبادروا في الوقعة إلا قليلاً ، فلما نزلوا على ذي قار دعا القعقاع بن عمرو فأرسله إلى أهل البصرة وقال له : التّو هذين الرجلين يا بن الحنظليّة — وكان القعقاع من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم — فادعُهما إلى الأئمة والجماعة ، وعظّم عليهما الفرقة ، وقال له : كيف أنت صانع فيما جاءك منهما مما ليس عندك فيه وصاة منّي ؟ فقال : نلقاهم بالتّذي أمرت به ، فإذا جاء منهما أمر ليس عندنا منك فيه رأيٌ اجتهدنا الرّأي وكلّمناهم على قدر ما نسمع ونرى أنه ينبغي . قال : أنت لها . فخرج القعقاع حتى قدّم البصرة ، فبدأ بعاشة رضى الله عنها فسلم عليها ، وقال : أيّ أمّة ؟ ما أشخصك وما أقدمك هذه البلدة ؟ قالت : أيّ بنى ، إصلاح بين الناس ، قال : فابعثي إلى طلحة والزبير حتى تسمعي كلامي وكلامهما ، فبعثت إليهما فجاءا ، فقال : إني سألت أمّ المؤمنين : ما أشخصها وأقدمها هذه البلاد ؟ فقالت : إصلاح بين الناس ، فما تقولان أنما ؟ أمّا بعلان أم مخالفان ؟ قالّا : متابعان ، قال : فأخبراني ما وجّه هذا الإصلاح ؟ فوالله لئن عرفنا لنصلحن ، ولئن أنكرناه لا نصلح . قالّا : قتلة عثمان رضى الله عنه ، فإنّ هذا إن ترك كان تركاً للقرآن ؛ وإن عمل به كان إحياء للقرآن . فقال : قد قتلتُما قتلة عثمان من أهل البصرة ، وأنتم قبل قتلهم أقرب إلى الاستقامة منكم اليوم ، قتلتم ستمائة إلا رجلاً ، فغضب لهم ستة آلاف ، واعتزلوكم

(١) ط : « وكان على طاعتنا » . وانظر التصويبات . (٢) ط : « سعد » ؛ وانظر الفهرس .

وخرجوا من بين أظهركم ، وطلبتم ذلك الذى أفلت - يعنى حرقوص بن زهير -
 فنبهه ستة آلاف وهم على رجل ، فإن تركتموه^(١) كنتم تاركين لما تقولون ؛
 وإن قاتلتهموهم والذين اعترفوكم فأدبلوا عليكم فالتذى حذرتهم وقربتهم^(٢) به هذا الأمر
 أعظم مما أراكم تكرهون ؛ وأنتم أحميم مضر وربيعة من هذه البلاد ، فاجتمعوا
 على حربكم وخذلانكم نصرة هؤلاء كما اجتمع هؤلاء لأهل هذا الحدث العظيم
 والذنب الكبير . فقالت أم المؤمنين : فتقول أنت ماذا ؟ قال : أقول هذا
 الأمر دواؤه التسكين ، وإذا سكن اختلجوا ، فإن أنتم بايعتمونا فعلامة خير
 وتبشير رحمة ودرك بئار هذا الرجل ، وعافية وسلامة لهذه الأمة ، وإن أنتم
 أبيتم إلا مكابرة هذا الأمر واعتسافه ، كانت علامة شر ، وذهاب هذا الثار ،
 وبعثة الله فى هذه الأمة هزاهزها ، فأثروا العافية ترزقوها ، وكونوا مفاتيح
 الخير كما كنتم تكونون ، ولا تعرضونا للبلاء ولا تعرضوا له فيصرعنا وإياكم .
 وأيم الله إننى لأقول هذا وأدعوكم إليه وإنسى لخائف ألا يتم حتى يأخذ الله عز
 وجل حاجته من هذه الأمة التى قل متاعها ونزل بها ما نزل ، فإن هذا الأمر
 الذى حدث أمر ليس يقدر ، وليس كالأمور ، ولا كقتل الرجل الرجل ، ولا
 النفر الرجل ، ولا القبيلة الرجل .

٣١٥٨/١

فقالوا : نعم ، إذا قد أحسنت وأصبت المقالة ؛ فارجع فإن قدّم على
 وهو على مثل رأيك صلح هذا الأمر . فرجع إلى على فأخبره فأعجبه ذلك ،
 وأشرف القوم على الصلح ؛ كثره ذلك من كرهه ، ورضيه من رضىه .

وأقبلت وفود البصرة نحو على حين نزل بذى قار ، فجاءت وفود نيم
 وبكر قبل رجوع القعقاع لينظروا ما رأى إخوانهم من أهل الكوفة ، وعلى أى
 حال نهضوا إليهم ، وليعلموهم أن الذى عليه رأيهم الإصلاح . ولا يخطر لم
 قتال على بال . فلما لقوا عشائرتهم من أهل الكوفة بالذى بعثهم فيه
 عشائرتهم من أهل البصرة وقال لهم الكوفيون مثل مقاتلتهم ، وأدخلوهم على على
 فأخبروه خبرهم ؛ سأل على جرير بن شريس عن طلحة والزبير ، فأخبره عن

(١) ابن الأثير والنويرى : « وإن تركتموه » . (٢) ابن الأثير والنويرى : « وقويت » .

دقيق أمرهما وجليله حتى تمثل له :

ألا أبلغ بني بكر رسولاً
سير جمع ظلمكم منكم عليكم
فليس إلى بني كعب سبيل
طويل الساعدين له فضول
وتمثل على عندها :

ألم تعلم أبا سيمان أنا
ويذهل عقله بالحرب حتى
نرد الشيخ مثلك ذا الصداع
يقوم فيستجيب لغير داع
فدافع عن خزاعة جمع بكر
وما بك يا مراقبة من دفاع

• • •

قال أبو جعفر : أخرج إلى زياد بن أيوب كتاباً فيه أحاديث عن
شيوخ ذكر أنه سمعها منهم ؛ قرأ على بعضها ولم يقرأ على بعضها ، فما لم
يقرأ على من ذلك فكتبته منه ؛ قال : حدثنا مصعب بن سلام التميمي ،
قال : حدثنا محمد بن سؤقة ، عن عاصم بن كليب الجرمي ، عن أبيه ،
قال : رأيت فيما يرى النائم في زمان عثمان بن عفان أن رجلاً يلي أمور الناس
مريضاً على فراشه وعند رأسه امرأة ؛ والناس يريدونه ويبهشون^(١) إليه ، فلونتهم
المرأة لانتهوا ؛ ولكنها لم تفعل ، فأخذوه فقتلوه . فكنت أقص رؤيائي على الناس
في الحضر والسفر ، فيعجبون ولا يدرون ما تأويلها ! فلما قتل عثمان رضي الله
عنه أتانا الخبر ونحن راجعون من غزاتنا ؛ فقال أصحابنا : رؤياك يا كليب .
فانتبهنا إلى البصرة فلم نلبث إلا قليلاً حتى قيل : هذا طلحة والزبير معهما
أم المؤمنين ؛ فراع ذلك الناس وتعجبوا ، فإذا هم يزعمون للناس أنهم إنما خرجوا
غضباً لعثمان وتوبة مما صنعوا من خذلانه ، وإن أم المؤمنين تقول : غضبنا
لكم على عثمان في ثلاث : إمارة الفسني ، وموقع الغمامة ، وضربة السوط والعصا ،
فما أنصفنا إن لم تغضب له عليكم في ثلاث جرتموها إليه : حرمة الشهر ، والبلد ،
والدم . فقال الناس : أفلم تبأيعوا علياً وتدخلوا في أمره ! فقالوا : دخلنا

(١) يبهشون إليه : يخفون .

واللَّجَّ (١) على أعناقنا . وقيل هذا على " قد أظلمكم ، فقال قومنا لى ولرجلين معى : انطلقوا حتى تأتوا علينا وأصحابه فسلوهم عن هذا الأمر الذى قد اختلط علينا ؛ فخرجنا حتى إذا دنونا من العسكر طلع علينا رجل جميل على بغلة ، فقلت لصاحبي : أرايت المرأة التى كنت أحدثكم عنها أنها كانت عند رأس الولى ؟ فإنها أشبه الناس بهذا ، ففطن أنا نخوض فيه ، فلما انتهى إلينا قال : قفوا ، ما الذى قلم حين رأيتموني ؟ فأبينا عليه ، فصاح بنا وقال : والله لا تبرحون حتى تخبروني ، فدخلتنا منه هيبة ، فأخبرناه فجاوزنا وهو يقول : والله لقد رأيت عجباً ، فقلنا لأذى أهل العسكر إلينا : من هذا ؟ فقال : محمد بن أبى بكر ، فعرفنا أن تلك المرأة عائشة رضى الله عنها ، فازددا لأمرها كراهية ، وانتهينا إلى على فسلمنا عليه ، ثم سأله عن هذا الأمر ، فقال : عدا الناس على هذا الرجل وأنا مُعتزل فقتلوه ، ثم ولّو وأنا كارهٌ ولولا خشية على الدين لم أجبههم ، ثم طفق هذان فى النكت فأخذت عليهما وأخذت عهدهما عند ذلك ، وأذنْتُ لهما فى العُمرة ، فقدما على أمتهما حليلة رسول الله صلى الله عليه وسلم فرضيا لها ما رغبا لنسائهما عنه ، وعرضاها لما لا يحل لهما ولا يصلح ؛ فاتبعتهما لكيلا يفتقوا فى الإسلام فتقاً ، ولا يخرقوا جماعة .

ثم قال أصحابه : والله ما نريد قتالهم إلا أن يقاتلوا وما خرجنا إلا لإصلاح . فصاح بنا أصحاب على : بايعوا بايعوا ، فبايع صاحبي ، وأما أنا فأمسكتُ وقلت : بعثنى قوبى لأمر ، فلا أحدث شيئاً حتى أرجع إليهم . فقال على : فإن لم يفعلوا ؟ فقلت : لم أفعل ، فقال : أرايت لو أنهم بعثوك رائداً فرجعت إليهم ، فأخبرتهم عن الكلا والماء فحالوا إلى المعاطش والجُدوبة ما كنت صانعاً ؟ قال : قلت : كنت تاركهم ومخالفهم إلى الكلا والماء ، قال : فد يدك ، فوالله ما استطعت أن أمتنع ، فبسطت يدي فبايعته . وكان يقول : على من أدهى العرب . وقال : ما سمعت من طلحة والزبير ؟ فقلت : أما الزبير فإنه يقول : بايعنا كرهاً ، وأما طلحة فقبل على أن يتمثل الأشعار ، ويقول :

أَلَا أَبْلِغُ بَنِي بَكْرِ رَسُولًا فَلَيْسَ إِلَى بَنِي كَعْبٍ سَبِيلُ
سَيَرَجُ ظَلَمَكُم مِّنْكُمْ عَلَيْكُمْ طَوِيلُ السَّاعِدِينَ لَهُ فَضُولُ

فقال : ليس كذلك ، ولكن :

أَلَمْ تَعْلَمْ أَبَا سَمْعَانَ أَنَّا نَصِمُ الشَّيْخَ مِثْلَكَ ذَا الصُّدَاعِ
وَيَذْهَلُ عَقْلُهُ بِالْحَرْبِ حَتَّى يَقُومَ فَيَسْتَجِيبُ لغيرِ دَاعِ

ثم سار حتى نزل إلى جانب البصرة ؛ وقد خَسَنَدَقَ طليحة والزبير ، فقال لنا أصحابنا من أهل البصرة : ما سمعتم إخواننا من أهل الكوفة يريدون ويقولون ؟ فقلنا : يقولون خرجنا للصَّحاح وما نريد قتالاً ؛ فبينما هم على ذلك لا يحدثون أنفسهم بغيره ، إذ ذُخِرَ صبيان العسكرين فتسابوا ثم تراموا ، ثم تتابع عبيد العسكرين ، ثم ثلث السفهاء ، ونشبت الحرب ، وألحَّتْهم إلى الخندق ، فاقتتلوا عليه حتى أجلسوا إلى موضع القتال ؛ فدخل منه أصحاب عليٍّ وخرج الآخرون .

ونادى عليٌّ : أَلَا لَاتُبْعُوا مُدْبِرًا ، وَلَا تُجْهِزُوا عَلَى جَرِيحٍ ، وَلَا تَدْخُلُوا الدَّوْرَ ، وَنَهَى النَّاسَ ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَيْهِمْ أَنْ اخْرُجُوا لِلْبَيْعَةِ ، فبَايَعَهُمْ عَلَى الرَّايَاتِ وَقَالَ : مَنْ عَرَفَ شَيْئًا فَلْيَأْخُذْهُ ، حَتَّى مَا بَقِيَ فِي الْعَسْكَرِينَ شَيْءٌ إِلَّا قَبْضٌ ، فَاثْبَتِي إِلَيْهِ قَوْمَ مِنْ قَيْسِ شَبَابٍ ، فَخَطَبَ خَطِيئُهُمْ ، فَقَالَ : أَيُنْ أَمْرَاؤُكُمْ ؟ فَقَالَ الْخَطِيبُ : أَصِيبُوا تَحْتَ نَظَارِ الْجَمَلِ ؛ ثُمَّ أَخَذَ فِي خُطْبَتِهِ ، فَقَالَ عَلِيٌّ : أَمَا إِنَّ هَذَا لَوِ الْخَطِيبِ السَّحْسَحُ . وَفَرَّغَ مِنَ الْبَيْعَةِ ؛ وَاسْتَعْمَلَ عَبْدَ اللَّهِ ابْنَ عَبَّاسٍ وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَقِيمَ حَتَّى يَحْكُمَ أَمْرَهَا ، فَأَمَرَنِي الْأَشْرَ أَنْ أَشْرِيَ لَهُ أَثْمَنَ بَعِيرٍ بِالْبَصْرَةِ فَفَعَلْتُ ، فَقَالَ : ائْتِ بِهِ عَائِشَةُ ، وَأَقْرئْهَا مِنِّي السَّلَامَ ، فَفَعَلْتُ ، فَدَعَتْ عَلَيْهِ وَقَالَتْ : ارْدُدْهُ عَلَيْهِ ؛ فَأَبْلَغْتَهُ ، فَقَالَ : تَلَوُمُنِي عَائِشَةُ أَنْ أَفْلَتْ ابْنَ أَخْتِهَا !

وَأَتَاهُ الْخَبْرُ بِاسْتِعْمَالِ عَلِيٍّ ابْنَ عَبَّاسٍ فَغَضِبَ وَقَالَ : عَلَامَ قَتَلْنَا الشَّيْخَ ! إِذِ الْيَمَنُ لِعَبِيدِ اللَّهِ ، وَالْحِجَازُ لِقُشَمٍ ، وَالْبَصْرَةُ لِعَبْدِ اللَّهِ ، وَالْكُوفَةُ لَعَلِيٍّ . ثُمَّ دَعَا بِدَايَتِهِ فَرَكِبَ رَاجِعًا . وَبَلَغَ ذَلِكَ عَلِيًّا فَنَادَى : الرَّحِيلُ ،

ثمَّ أَجَدَّ السَّبْرَ فَلَحِقَ بِهِ فَلَمْ يَرَهُ أَنَّهُ قَدْ بَلَغَهُ عَنْهُ وَقَالَ : مَا هَذَا السَّيْرُ ؟ سَبَقْتَنَا ! وَخَشِيَ أَنْ تُرِكَ وَالْخُرُوجُ أَنْ يُوقَعَ فِي أَنْفُسِ النَّاسِ شَرًّا .

كتب إلى السريّ ، عن شبيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالوا : لما جاءت وفودُ أهل البصرة إلى أهل الكوفة ورجع القعقاع من عند أمّ المؤمنين وطلحة والزبير بمثل رأيهم ، جمع على الناس ، ثمّ قام على الغرائر ، فحمد الله عزّ وجلّ وأثنى عليه وصلى على النبيّ صلى الله عليه وسلم . وذكر الجاهليّة وشقاءها والإسلام والسعادة وإنعام الله على الأمة بالجماعة بالخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثمّ الذي يليه ، ثمّ حدث هذا الحدث الذي جرّه على هذه ٣١٦٣/١ الأمة أقوامٌ طلبوا هذه الدنيا ، حسدوا من أفاءها الله عليه على الفضيلة ، وأرادوا ردّ الأشياء على أديبارها ، والله بالغ أمره ، ومصيب ما أراد . ألا وإنتى راحل غداً فارتحلوا ، ألا ولا يرتحلن غداً أحدٌ أعان على عثمان بشيء في شيء من أمور الناس ، وليُخَنر السفهاء عنى أنفسهم .

فاجتمع نفرٌ ، منهم علباء بن المهيم ، وعدى بن حاتم ، وسالم بن ثعلبة العبسيّ ، وشريح بن أوفى بن ضبيعة ، والأشتر ؛ في عدّة ممن سار إلى عثمان ، ورضى بسير من سار ، وجاء معهم ^(١) المصريون : ابن السوداء وخالد بن ملجم وتشاوروا ، فقالوا : ما الرأى ؟ وهذا والله علىّ ، وهو أبصر الناس بكتاب الله وأقرب ممن يطلب قتلة عثمان وأقربهم إلى العمل بذلك ، وهو يقول ما يقول ، ولم ينفر إليه إلاّ هم والقليل من غيرهم ، فكيف به إذا شامّ القوم وشامّوه ، وإذا رأوا قلّتنا في كثيرهم ! أنتم ^(٢) والله تراءون ، وما أنتم بأنّجى من شيء . فقال الأشتر : أمّا طلحة والزبير فقد عرفنا أمرهما ، وأمّا علىّ فلم نعرف أمره حتى كان اليوم ، ورأى الناس فينا والله واحد ، وإن يصطلحوا وعلىّ ^(٣) فعلىّ ٣١٦٤/١ دماننا ؛ فهلمّوا فلتواثب علىّ علىّ فلنحقّه بعثمان ؛ فتعود فتنة يرضى منا فيها بالسكون .

(٢) ابن الأثير والنويرى : « وأنتم » .

(١) ابن الأثير : « وجاءهم » .

(٣) ابن الأثير والنويرى : « مع على » .

فقال عبد الله بن السوداء: بشس الراى رأيت! أنتم يا قتلة عثمان من أهل الكوفة بنى قار ألفان وخمسائة أونحو من ستمائة، وهذا ابن الجنظلية وأصحابه فى خمسة آلاف بالأشواق إلى أن يجلدوا إلى قتالكم سيلاً، فارقأعلى ظلمك^(١).

وقال علباء بن الهيثم: انصرفوا بنا عنهم ودعوهم، فإن قلوا كان أقوى لعدوهم عليهم، وإن كثروا كان أخرى أن يصطلحوا عليكم؛ دعوهم وارجعوا فتعلقوا ببلد من البلدان حتى يأتىكم فيه من تتقون به، وامتنعوا من الناس. فقال ابن السوداء: بشس ما رأيت! ود والله الناس أنكم على جديلة^(٢)، ولم تكونوا مع أقوام برآء، ولو كان ذلك الذى تقول لتخطفكم كل شىء. فقال عدى بن حاتم: والله ما رضىت ولا كرهت، ولقد عجبت من تردّد من تردّد عن قتله فى خوض الحديث، فأما إذ وقع ما وقع ونزل من الناس بهذه المنزلة، فإن لنا عتاداً من خيول وسلاح محموداً، فإن أقدمتم أقدمنا وإن أمسكتم أحجمنا. فقال ابن السوداء: أحسنت!

وقال سالم بن ثعلبة: من كان أراد بما أتى الدنيا فإنى لم أريد ذلك، والله لئن لقيتهم غداً لا أرجع إلى بيتى، ولئن طال بقائى إذا أنا لاقيتهم لا يزد على جزر جزور. وأحلف بالله إنكم لتفرقون السيوف فرق قوم لاتصير أمورهم إلا إلى السيف. فقال ابن السوداء: قد قال قولاً.

وقال شريح بن أوفى: أبرموا أموركم قبل أن تخرجوا، ولا تؤخروا أمراً ينبغى لكم تعجيله؛ ولا تعجلوا أمراً ينبغى لكم تأخيره؛ فإنا عند الناس بشر المنازل، فلا أدرى ما الناس صانعون غداً إذا ما هم التقوا!

وتكلّم ابن السوداء فقال: يا قوم، إن عزكم فى خيلطة الناس، فصانعوهم، وإذا التى الناس غداً فأنشؤا القتال، ولا تفرغوه لل نظر، فإذا من أنتم معه لا يجد بداً من أن يتمتع؛ ويشغل الله علياً وطلحة والزبير ومن رأى رأيهم عمّا تكهرون. فأبصروا الراى، وتفرقوا عليه والناس لا يشعرون.

وأصبح على ظهر، ففضى ومضى الناس حتى إذا انتهى إلى عبّ القيس نزل بهم وبمن خرج من أهل الكوفة وهم أمام ذلك، ثم ارتحل

(١) يقال: ارقأ على ظلمك، أى أصلح أمرك أولاً. (٢) على جديلة، أى على رأى واحد.

حتى نزل على أهل الكوفة وهم أمام ذلك ، والناس متلاحقون به وقد قطعهم ، ولما بلغ أهل البصرة رأيهم ونزل على أبي جريح نزل ، قام أبو الجرباء إلى الزبير ابن العوام فقال : إن الرأي أن تبعث الآن ألف فارس فيمسوا هذا الرجل ويصبتوه قبل أن يوافي أصحابه ؛ فقال الزبير : يا أبا الجرباء ، إنا لنعرف ٣١٦٦/١

أمور الحرب ؛ ولكنهم أهل دعوتنا ؛ وهذا أمر حدث في أشياء لم تكن قبل اليوم ، هذا أمر من لم يلق الله عز وجل فيه بعذر انقطع عنده يوم القيامة ؛

ومع ذلك إنه قد فارقنا وافداهم على أمر ، وأنا أرجو أن يتم لنا الصلح ؛ فأبشروا واصبروا . وأقبل صبرة بن شيسان فقال : يا طلحة ، يا زبير ، انتهبنا هذا الرجل فإن الرأي في الحرب خير من الشدة . فقالا : يا صبرة إنا وهم مسلمون ، وهذا أمر لم يكن قبل اليوم فينزل فيه قرآن ، أو يكون فيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة ، إنما هو حدث . وقد زعم قوم أنه لا ينبغي تحريكه اليوم . وهم على ومن معه ، قلنا : نحن لا ينبغي لنا أن نتركه اليوم ولا نؤخره . فقال على : هذا الذي ندعوكم إليه من إقرار هؤلاء القوم شر وهو خير من شر منه ، وهو كأمر لا يدرك ، وقد كاد أن يبين لنا ، وقد جاءت الأحكام بين المسلمين بإيثار أعمها منفعة وأحوطها . وأقبل كعب بن سور فقال : ما تنتظرون يا قوم بعد توردكم أوائلهم ! اقطعوا هذا العنق من هؤلاء . فقالوا : يا كعب ، إن هذا أمر بيننا وبين إخواننا ، وهو أمر ملتبس ، لا والله ما أخذ أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم مذبح الله عز وجل نبيته طريقاً إلا علموا أين مواقع أقدامهم ؛ حتى حدث هذا فلمهم لا يدرون أمقبولون هم أم مدبرون ! إن الشيء يحسن عندنا اليوم ويقبح عند إخواننا ؛ فإذا كان من الغد قبيحاً عندنا وحسن عندهم ؛ وإنا لنحتج عليهم بالحجة فلا يزوتها حجة ، ثم يحتجون بها على أمثالها ، ونحن نرجو الصلح إن أجابوا إليه وتموا ، وإلا فإن آخر الدواء الكي .

وقام إلى على بن أبي طالب أقوام من أهل الكوفة يسألونه عن إقدامهم ٣١٦٧/١

على القوم ، فقام إليه فيمن قام الأعور بن بunan الميئدي ؛ فقال له على : على الإصلاح وإطفاء النائرة ، لعل الله يجمع شمل هذه الأمة بنا ويضع حرهم ؛ وقد أجابوني ، قال : فإن لم يجيبونا ؟ قال : تركناهم ما تركونا ، قال : فإن

لم يتركونا ؟ قال : دفعناهم عن أنفسنا ، قال : فهل لهم مثل ما عليهم من هذا ؟ قال : نعم .

وقام إليه أبو سلامة الدالاني فقال : أترى لهؤلاء القوم حجة فيما طلبوا من هذا الدم ، إن كانوا أرادوا الله عز وجل بذلك ؟ قال : نعم ، قال : فترى لك حجة بتأخيرك^(١) ذلك ؟ قال : نعم ، إن الشيء إذا كان لا يُدرك فالحكم فيه أحوطه وأعمه نفعاً ، قال : فما حالنا وحالكم إن ابتلينا غداً ؟ قال : إنني لأرجو ألا يقتل أحدٌ نَقَى قلبه لله منا ومنهم إلا أدخله الله الجنة .

وقام إليه مالك بن حبيب ، فقال : ما أنت صانع إذا لقيت هؤلاء القوم ؟ قال : قد بان لنا ولم أن الإصلاح الكف عن هذا الأمر ، فإن بايعونا فذلك ، ٣١٦٨/١
فإن أبوا وأبينا إلا القتال فصدع لا يلتئم ، قال : فإن ابتلينا فما بال قتلنا ؟ قال : من أراد الله عز وجل نفعه ذلك وكان نجاهه .

وقام على ، فخطب الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، امْلِكُوا أَنْفُسَكُمْ ، كَفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَلْسِنَتَكُمْ عَنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ ، فَإِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ ، وَاصْبِرُوا عَلَى مَا يَأْتِيكُمْ ، وَإِيَّاكُمْ أَنْ تَسْبِقُونَا فَإِنَّ الْخُصُومَ غَدًا مِنْ خِصَمِ الْيَوْمِ .
ثم ارتحل وأقدم ودفع تعبته التي قدم فيها حتى إذا أطل على القوم بعث إليهم حَكِيمَ بْنَ سَلَامَةَ وَمَالِكَ بْنَ حَبِيبٍ : إِنْ كُنْتُمْ عَلَى مَا فَارَقْتُمْ عَلَيْهِ الْقَعْقَاعَ ابْنَ عَمْرٍو فَكفُّوا وَأَقْرَبُوا نَزَلَ وَنَظَرَ فِي هَذَا الْأَمْرِ .

فخرج إليه الأحنف بن قيس وبنو سعد مشمرين ؛ قد منعوا حرقه ووص ابن زهير ، ولا يرون القتال مع علي بن أبي طالب . فقال : يا علي ، إن قومنا بالبصرة يزعمون أنك إن ظهرت عليهم غداً أنك تقتل رجالهم وتسي نساءهم . فقال : ما مثلي يُخاف هذا منه ، وهل يحل هذا إلا ممن^(٢) تولى وكفر ، ألم تسمع إلى قول الله عز وجل : ﴿ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ ﴾^(٣) ، وهم قوم مسلمون ! هل أنت مُغْنٍ عَن قَوْمِكَ ؟ قال : نعم ،

(١) ابن الأثير : « بتأخير ذلك » . التويرى : « بتأخير ذلك اليوم » .

(٢) ابن الأثير والتويرى : « لمن » .

(٣) سورة الفاشية ٢٢ ، ٢٣ .

واختر منى واحدة من ثنتين، إما أن أكون آتيك فأكون معك بنفسى، وإما أن أكف عنك عشرة آلاف سيف. فرجع إلى الناس فدعاهم إلى القعود وقد بدأ فقال: يال خندف، فأجابه ناس، ثم نادى يال تميم! فأجابه ناس، ثم نادى: يال سعد؛ فلم يبق سعدى إلا أجابه، فاعتزل بهم، ثم نظر ما يصنع الناس، فلما وقع القتال وظفر على جاءوا وافرین، فدخلوا فيما دخل فيه الناس.

وأما الذى يرويه المحدثون من أمر الأحنف، فغير ما رواه سيف عن ذكر من شيوخه. والذى يرويه المحدثون من ذلك ما حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا ابن إدريس، قال: سمعت حصيناً يذكر عن عمرو بن جأوان، عن الأحنف بن قيس، قال: قدما المدينة ونحن نريد الحج، فإذا لبمنازلنا نضع رحالنا إذ أتانا آت فقال: قد فرعوا وقد اجتمعوا في المسجد، فانطلقنا فإذا الناس مجتمعون على نقرة في وسط المسجد، وإذا على الزبير وطلحة وسعد بن أبى وقاص، وإنا كذلك إذ جاء عثمان بن عفان؛ فقبل: هذا عثمان قد جاء وعليه ملىة له صفراء قد قنع بها رأسه، فقال: أهاهنا على؟ قالوا: نعم، قال: أهاهنا الزبير؟ قالوا: نعم، قال: أهاهنا طلحة؟ قالوا: نعم، قال أنشدكم بالله الذى لا إله إلا هو؛ أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من يبتغ مرئى بنى فلان غفر الله له؛ فابتغته بعشرين أو بخمسة وعشرين ألفاً، فأتيت النبى صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله، قد ابتغته، قال: «اجعله في مسجدنا وأجره لك!» قالوا: اللهم نعم، وذكر أشياء من هذا النوع. قال الأحنف: فلقيت طلحة والزبير فقلت: من تأمرانى به وترضيانه لى؟ فإنى لا أرى هذا الرجل إلا مقتولا، قالوا: على؟ قلت: تأمرانى به وترضيانه لى؟ قالوا: نعم، فانطلقت حتى قدمت مكة، فبينما نحن بها إذ أتانا قتل عثمان رضى الله عنه وبها عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها، فلقيتها فقلت: من تأمرينى أن أبايع؟ قالت: على، قلت: تأمرينى به وترضينه

لى ؟ قالت : نعم ؛ فررتُ على على بالمدينة فباعته ، ثم رجعت إلى أهلى بالبصرة ولا أرى الأمر إلا قد استقام ، قال : فيينا أنا كذلك ؛ إذ آتاني آت فقال : هذه عائشة وطلحة والزبير قد نزلوا جانب الحرّيبية ، فقلت : ما جاء بهم ؟ قالوا : أرسلوا إليك يدعونك يستنصرون بك على دم عثمان رضى الله عنه ، فأتاني أفضعُ أمر أتاني قطاً ! فقلت : إن خذلاني هؤلاء ومعهم أم المؤمنين وحوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم لشديد ، وإن قتلى رجلاً ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أ مروني بيعته لشديد . فلما أتيتهم قالوا : جئنا لنستنصر على دم عثمان رضى الله عنه ، قتل مظلوماً ؛ فقلت : يا أم المؤمنين ، أنشدك بالله أقلتُ لك : من تأمرني به ؟ فقلت : على ؟ فقلت : أنا تأمرني به وترضينه لى ؟ قلت نعم ! قالت : نعم ، ولكنه بدّل . فقلت : يا زبير يا حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ياطلحة ، أنشدكما الله ، أقلتُ لكما : ما تأمراني فقلتما : على ؟ فقلت : أنا تأمراني به وترضيانه لى ؟ فقلتما نعم ! قالوا : نعم ، ولكنه بدّل ، فقلت : والله لا أقاتلُكم ومعكم أم المؤمنين وحوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أقاتل رجلاً ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أمرتموني ببيعته ؛ اختاروا منى واحدة من ثلاث خيصال : إما أن تفتحوا لى الجسر فألحق بأرض الأعاجيم حتى يقضى الله عز وجل من أمره ما قضى ، أو ألحق بمكة فأكون فيها حتى يقضى الله عز وجل من أمره ما قضى ، أو أعتزل فأكون قريباً . قالوا : إنا نأتمر ، ثم نرسل إليك . فائتمروا فقالوا : نفتح له الجسر ويخبرهم بأخباركم ! ليس ذاكم برأى ، اجعلوه ها هنا قريباً حيث تطئون على صماخه وتنظرون إليه . فاعتزل بالجلحاء من البصرة على فرسخين ، فاعتزل معه زهاء على ستة آلاف .

٣١٧١/١

ثم التى القوم فكان أول قتيل طلحة رضى الله عنه ، وكعب بن سور معه المصحف يذكّر هؤلاء وهؤلاء ؛ حتى قتل من قتل منهم ، ولحق الزبير بسقوان ، من البصرة كما كان القادسية منكم ، فلقى النّعر ، رجل من مجاشع ، فقال : أين تذهب يا حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ إلى ؟ فأنت فى دمتى لا يوصل إليك ، فأقبل معه ؛ فأنى الأحنف خبره فقيل : ذاك الزبير قد لُقى

بِسَقْفَانِ فَمَا تَأْمُرُ ؟ قَالَ : جَمَعَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى ضَرَبَ بَعْضُهُمْ حَوَاجِبَ
بَعْضٍ بِالسُّيُوفِ ثُمَّ يَلْحَقُ بَيْتَهُ ، فَسَمِعَهُ عَمِيرُ بْنُ جُرْمُوزَ وَفَضَّالَةَ بْنَ حَابِسَ ،
وَنُفَيْعَ ؛ فَرَكِبُوا فِي طَلَبِهِ ، فَلَقَوْهُ مَعَ النَّعْرِ ، فَأَتَاهُ عَمِيرُ بْنُ جُرْمُوزَ مِنْ خَلْفِهِ وَهُوَ ٣١٧٢/١
عَلَى فَرَسٍ لَهُ ضَعِيفَةٌ ، فَطَعَنَهُ طَعْنَةً خَفِيفَةً ، وَحَمَلَ عَلَيْهِ الزَّيْبِرُ وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ لَهُ
يُقَالُ لَهُ ذُو الْحِمَارِ ، حَتَّى إِذَا ظَنَّ أَنَّهُ قَاتِلُهُ نَادَى عَمِيرُ بْنُ جُرْمُوزَ : يَا نَافِعَ ،
يَا فَضَّالَةَ ، فَحَمَلُوا عَلَيْهِ فَقَتَلُوهُ .

حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ : مَعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ ، قَالَ : نَبَاتْنِي
أَبِي ، عَنْ حَصِينٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ جَاوَانَ ؛ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ ،
وَذَاكَ أَنِّي قُلْتُ لَهُ : أَرَأَيْتَ اعْتَرَلَ الْأَحْنَفَ مَا كَانَ ؟ فَقَالَ : سَمِعْتُ الْأَحْنَفَ
يَقُولُ : أَتَيْتُ الْمَدِينَةَ وَأَنَا حَاجٌّ ؛ فَذَكَرَ نَحْوَهُ . الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا قَضَى وَحَكَّمَ .

• • •

بعثة علي بن أبي طالب من ذي قار ابنه الحسن

وعمار بن ياسر ليستنفرأه أهل الكوفة

حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ شُبَّةَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا بِشِيرُ
ابْنِ عَاصِمٍ ، عَنْ ابْنِ أَبِي لَيْلَى ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : خَرَجَ هَاشِمُ بْنُ عَتَبَةَ إِلَى عَلِيٍّ
بِالرِّبْدَةِ ؛ فَأَخْبِرَهُ بِقُدُومِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ وَقَوْلِ أَبِي مُوسَى ، فَقَالَ : لَقَدْ أَرَدْتُ
عَزْلَهُ ، وَسَأَلَنِي الْأَشْثَرُ أَنْ أَقْرِهَ فَرَدَّ عَلَيَّ هَاشِمًا إِلَى الْكُوفَةِ وَكَتَبَ إِلَى أَبِي مُوسَى :
إِنِّي وَجَّهْتُ هَاشِمَ بْنَ عَتَبَةَ لِيُنْهَضَ مَعَنِي قَبْلَكَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى ، فَأَشْخِصْ
النَّاسَ فَإِنِّي لَمْ أُولِكُ الَّذِي أَنْتَ بِهِ إِلَّا لَتَكُونَ مِنْ أَعْوَانِي عَلَى الْحَقِّ . فَدَعَا
أَبُو مُوسَى السَّائِبَ بْنَ مَالِكَ الْأَشْعَرِيَّ ، فَقَالَ لَهُ : مَا تَرَى ؟ قَالَ : أَرَى أَنْ
تَتَّبِعَ مَا كَتَبَ بِهِ إِلَيْكَ ، قَالَ : لَكِنِّي لَا أَرَى ذَلِكَ . فَكَتَبَ هَاشِمُ إِلَى عَلِيٍّ : ٣١٧٣/١
إِنِّي قَدْ قَدِمْتُ عَلَى رَجُلٍ غَالٍ مَشَاقُّ ظَاهِرِ الْغُلِّ وَالشَّتَانِ . وَبَعَثَ بِالْكِتَابِ
مَعَ الْمُحَلِّ بْنِ خُلَيْفَةَ الطَّائِيَّ . فَبَعَثَ عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ وَعُمَارُ بْنُ يَاسِرٍ
يَسْتَنْفِرَانِ لَهُ النَّاسَ ، وَبَعَثَ قَرْظَةَ بْنَ كَعْبٍ الْأَنْصَارِيَّ أَمِيرًا عَلَى الْكُوفَةِ ،

وكتب معه : إلى أبي موسى : أما بعد ، فقد كنت أرى أن بعدك ^(١) من هذا الأمر الذي لم يجعل الله عز وجل لك منه نصيباً سيمنعك من ردّ أمرى ، وقد بعث الحسن بن علي وعمار بن ياسر يستنفران الناس ، وبعث قرظة بن كعب والياً على مصر ، فاعتزل تمسكنا مذموماً مدحوراً ، فإن لم تفعل فإننى قد أمرته أن يبايذك ، فإن نابذته فظفر بك أن يقطعك آراباً .

فلما قدم الكتاب على أبي موسى اعتزل ، ودخل الحسن وعمار المسجد فقالا : أيها الناس ، إن أمير المؤمنين يقول : إني خرجت مخرجي هذا ظالماً أو مظلوماً ؛ وإني أذكر الله عز وجل رجلاً رعى الله حقاً إلا نفر ، فإن كنت مظلوماً أعانني ، وإن كنت ظالماً أخذ مني ، والله إن طلحة والزبير لأول من يابغي ، وأول من غدر ، فهل استأثرت بمال ، أو بدلت حكماً ! فانفروا ، فمروا بمعروف وانتهوا عن منكر .

حدثني عمر ، قال : حدثنا أبو الحسن : قال : حدثنا أبو أميخنف ، عن جابر ، عن الشعبي ، عن أبي الطفيل ، قال : قال علي : يأتكم من الكوفة اثنا عشر ألف رجل ورجل ، فقعدت على نجفة ذي قار ، فأحصيتهم ٣١٧٤/١ فما زادوا رجلاً ، ولا نقصوا رجلاً .

حدثني عمر ، قال : حدثنا أبو الحسن ، عن بشير بن عاصم ، عن ابن أبي ليلى ، عن أبيه ، قال : خرج إلى علي اثنا عشر ألف رجل ، وهم أسباع : على قريش وكنانة وأسد وتيم والرباب ومزينة معقل بن يسار الرياحي ، وسُبُع قيس عليهم سعد بن مسعود الثقفي ، وسُبُع بكر بن وائل وتغلب عليهم وعلة بن مخدوج الداهلي ، وسُبُع مدحيج والأشعرين عليهم حُجْر ابن عدى ، وسُبُع بجملة وأنمار وخشم والأزد عليهم ميخنف بن سليم الأزدي .

* * *

نزول على الزاوية من البصرة

حدثني عمر بن شبة ، قال : حدثنا أبو الحسن ، عن مسلمة بن محارب ، عن قتادة ، قال : نزل على الزاوية وأقام أياماً ، فأرسل إليه الأحنف : إن

(١) ط : « أرى أن تعذب » ، وأثبت ما في التصويبات .

شئتَ أتيتُكَ ، وإن شئتَ كُففتُ عنكَ أربعة آلاف سيف ، فأرسل إليه على^١ : كيف بما أعطيت أصحابك من الاعتزال ! قال : إن من الوفاء لله عزَّ وجلَّ قتالهم ، فأرسل إليه : كُفَّ مَنْ قَدَرْتَ على كُفِّهِ . ثم سار على^٢ من الزاوية ، وسار طلحة والزبير وعائشة من القرصة ، فالتقوا عند موضع قصر عبيد الله - أو عبد الله - بن زياد ، فلما نزل الناسُ أرسل شقيق بن ثور إلى عمرو بن مروحوم العبدى : أن اخرج ، فإذا خرجت فمِلْ بنا إلى عسكر على^٣ . فخرجوا في عبد القيس وبكر بن وائل ، فعدوا إلى عسكر أمير المؤمنين ، فقال الناس : مَنْ كان هؤلاء معه غلب ، ودفع شقيق بن ثور رايتهم إلى مولى له يقال له : رَشْرَاشَة ، فأرسل إليه وعَلَّة بن مخلدج الذُّهَلِي : ضاعت الأحساب ، دفعت مكرمة قومك إلى رَشْرَاشَة ، فأرسل شقيق : أن أغنِ شأنك ؛ فإننا نغنى شأننا . فأقاموا ثلاثة أيام لم يكن بينهم قتال ، يرسل إليهم على^٤ ، ويكلّمهم ويردّهم .

حدثنا عمر ، قال : حدثنا أبو بكر الهذلي^٥ ، عن قتادة ، قال : سار على^٦ من الزاوية يريد طلحة والزبير وعائشة ، وساروا من القرصة يريدون علياً ، فالتقوا عند موضع قصر عبيد الله بن زياد في النصف من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين يوم الخميس ، فلما تراءى الجسيمان خرج الزبير على فرس عليه سلاح ، فقيل لعلي^٧ : هذا الزبير ؛ قال : أما إنه أحرى الرّجلين إن دُكر بالله أن يذكره ، وخرج طلحة ، فخرج إليهما على^٨ ، فدنا منهما حتى اختلفت أعناق دوابهم ، فقال على^٩ : لعمري لقد أعددتُما سلاحاً وخيلاً ورجالاً ، إن كنتم أعددتُما عند الله عذراً فاتقيا الله سبحانه ، ولا تكونا كالتى نقضت غزلهما من بعد قوة أنكاثاً . ألم أكن أخاكما في دينكما ، تحرّمان دمي وأحرّم دماءكما ! فهل من حدّث أحلّ لكما دمي ؟ قال : طلحة : ألّبت الناس على عثمان رضى الله عنه ، قال على^{١٠} : ﴿يَوْمَئِذٍ يُؤْفِقِهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقُّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾^(١) ؛ يا طلحة ، تطلب

بدم عثمان رضي الله عنه ! فلعن الله قَتَلَةَ عُمَانَ . يا زبير ، أتذكر يوم مررت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني غَنَمٍ ، فنظر إلى فضحكك وضحكك إليه ، فقلت ^(١) : لا يدع ابن أبي طالب زهوهُ ، فقال لك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « صه ، إنه ليس به زهو ، ولتقاتلنه وأنت له ظالم ؟ » فقال : اللهم نعم ، ولو ذكرتُ ما سرتُ مسيرى هذا ، والله لا أقاتلك أبداً . فانصرف على إلى أصحابه ، فقال : أمّا الزبير فقد أعطى الله عهداً ألاّ يقاتلكم ، ورجع الزبير إلى عائشة فقال لها : ما كنت في موطن منذ عقلت إلاّ وأنا أعرف فيه أمرى غير مَوطِئِي هذا ، قالت : فما تريد أن تصنع ؟ قال : أريد أن أدعهم وأذهب ؛ فقال له ابنه عبد الله : جمعت بين هذين الغارين ^(٢) ، حتى إذا حدث بعضهم لبعض أردت أن تركهم وتذهب ! أحسست رايات ابن أبي طالب ، وعلمت أنها تحملها فتيةٌ أنجاد ؛ قال : إني قد حلفت ألاّ أقاتله ، وأحفظه ما قال له ، فقال : كفر عن يمينك ، وقاتله ، فدعا بغلام له يقال له مكحول ، فأعتقه ، فقال عبد الرحمن بن سليمان التيمي :

لَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ أَخَا إِخْوَانٍ أَعْجَبُ مِنْ مُكْفَرِ الْإِيمَانِ
بِالْعِتْقِ فِي مَعْصِيَةِ الرَّحْمَنِ

وقال رجل من شعرائهم :

يُعْتِقُ مَكْحُولًا لَصَوْنِ دِينِهِ كَفَّارَةً لِّلَّهِ عَنْ يَمِينِهِ
وَالنَّكَثُ قَدْ لَاحَ عَلَى جَبِينِهِ

رجع الحديث إلى حديث سيف عن محمد وطلحة : فأرسل عمران ابن حصين في الناس يخذل من الفريقين جميعاً ، كما صنع

(١) ابن الأثير : « فقلت له » .

(٢) الفاران هنا : الجيشان .

الأحنف ، وأرسل إلى بني عدى فيمن أرسل ، فأقبل رسولُه حتى نادى على باب مسجدهم : ألا إنَّ أبا نُجَيْدَ عمران بن الحُصَيْن يقرئكم السلام ، ويقول لكم : والله لأن أكون في جبل حَضَن^(١) مع أعزُّ خضِر وضآن ، أجزُّ أصفافها ، وأشرب ألبانها ، أحبُّ إلىَّ من أن أرى في شيء من هذين الصفين بسهم ، فقالت بنو عدى جميعاً بصوت واحد : إنا والله لا نَدَع ثقلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم لشيء - يَعْنُونَ أمَّ المؤمنين .

• • •

حدثنا عمرو بن علي ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، قال : حدثنا أبو نعمة العدوي ، عن حُجَّير بن الربيع ، قال : قال لي عمران بن حصين : سرَّ إلى قومك أجمع ما يكونون ، فقم فيهم قائماً ، فقل : أرسلني إليكم عمران ابن حصين صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقرأ عليكم السلام ورحمة الله ، ويحلف بالله الذي لا إله إلا هو ، لأن يكون عبداً حبشياً مجدَّعاً يرعى أعترأ حَضِنَات^(٢) في رأس جبل حتى يدركه الموت ، أحبَّ إلىَّ من أن يرى بسهم واحد بين الفريقين ؛ قال : فرفع شيوخ الحنَّيَّ رءوسهم إليه ، فقالوا : إنا لا نَدَع ثقلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم لشيء أبداً .

• • •

رجع الحديث إلى حديث سيف عن محمد وطلحة : وأهل البصرة ٣١٧٨/١ فِرَق : فرقة مع طلحة والزبير ، وفرقة مع علي ، وفرقة لا ترى القتال مع أحد من الفريقين ، وجاءت عائشة رضي الله عنها من منزلها الذي كانت فيه حتى نزلت في مسجد الحُدَّان في الأزْد ، وكان القتال في ساحتهم ، ورأس الأزْد يومئذ صَبْرَة بن شَيْمَان ، فقال له كعب بن سور : إنَّ الجموع إذا تراءَوا لم تستطع ، وإنما هي بحور تدفق ، فأطعني ولا تشهدم ، واعتزل بقومك ، فإنِّي أخاف ألا يكون صلح ، وكن وراء هذه النطفة ، ودع هذين الغاريثين من مُضَر وربيعة ، فهما أخوان ، فإن

(١) ط : « حصين » ، وانظر اللسان (حصن) .

(٢) ط : « حصينات » .

اصطلحا فالصلح ما أردنا ، وإن اقتتلنا كنا حكماً عليهم مغدراً — وكان كعبٌ في الجاهلية نصرانياً — فقال صبرة : أخشى أن يكون فيك شيء من النصرانية ؛ أتأمرني أن أغيب عن إصلاح بين الناس ، وأن أخذل أم المؤمنين وطلحة والزبير إن ردوا عليهم الصلح ، وأدع الطلب بدم عثمان ! لا والله لا أفعل ذلك أبداً ، فأطبق أهل اليمن على الحضور .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الضريس السجكي ، عن ابن يعمر ، قال : لما رجع الأحنف بن قيس من عند عليّ لقيه هلال بن وكيع بن مالك بن عمرو ، فقال : ما رأيك ؟ قال : الاعتزال ، فما رأيك ؟ قال : مكافئة أم المؤمنين ، أفتدعنا وأنت سيدنا ! قال : إنما أكون سيدكم غداً إذا قتلت وبقيت ؛ فقال هلال : هذا وأنت شيخنا ! فقال : أنا الشيخ المعصّي ، وأنت الشاب المطاع . فاتبعت بنو سعد الأحنف ، فاعتزل بهم إلى وادي السباع ، واتبعت بنو حنظلة هلالا ، وتابعت بنو عمرو أبا الجرباء فقاتلوا . ٣١٧٩/١

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد ، عن أبي عثمان ، قال : لما أقبل الأحنف نادى : يا لأد^(١) ، اعتزلوا هذا الأمر ، وولّوا هذين الفريقين كيّسه وعجزه ، فقام المنجاب بن راشد فقال : يال الرباب ! لا تعتزلوا ، واشهدوا هذا الأمر ، وتولوا كيّسه ، ففارقوا . فلما قال : يال تميم ؛ اعتزلوا هذا الأمر وولوا هذين الفريقين كيّسه وعجزه ، قام أبو الجرباء — وهو من بني عثمان بن مالك بن عمرو بن تميم — فقال : يال عمرو ، لا تعتزلوا هذا الأمر وتولوا كيّسه . فكان أبو الجرباء على بني عمرو بن تميم ، والمنجاب بن راشد على بني ضبة ، فلما قال : يال زيد مسنة ، اعتزلوا هذا الأمر ، وولّوا هذين الفريقين كيّسه وعجزه . قال هلال بن وكيع : لا تعتزلوا هذا الأمر ؛ ونادى : يال حنظلة تولوا كيّسه ؛ فكان هلال على حنظلة ، وطاوعت سعد الأحنف ، واعتزلوا إلى وادي السباع .

(١) ط : « يالزيد » ، وهو أد بن طابخة ، أصل تميم . وانظر التصويبات .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قال :
 كان على هوازن وعلى بنى سليم والأعجاز مجاشع بن مسعود السلميّ ، وعلى
 عامر زفر بن الحارث ، وعلى غطفان أعصر بن النعمان الباهليّ ، وعلى بكر
 ابن وائل مالك بن مسمع ، واعتزلت عبد القيس إلى عليّ إلا رجلاً فإنه
 أقام ، ومن بكر بن وائل قبيّام ، واعتزل منهم مثل من بقي منهم ، عليهم
 سينان ، وكانت الأزديّ على ثلاثة رؤساء : صبرة بن شيمان ، ومسعود ، وزباد ٣١٨٠/١
 ابن عمرو ، والشواذب عليهم رجلان : عليّ مضر الحريّ بن راشد ،
 وعلى قضاة والتابع الرعيّ الحرّميّ - وهو لقب - وعلى سائر اليمن ذو الآجرة
 الحميريّ .

فخرج طلحة والزبير فتزلا بالناس من الزابوقة ، في موضع قرية الأرزاق ،
 فتزلت مضر جميعاً وهم لا يشكّون في الصلح ، ونزلت ربيعة فوقهم جميعاً
 وهم لا يشكّون في الصلح ، ونزلت اليمن جميعاً أسفل منهم ، وهم لا يشكّون
 في الصلح ، وعائشة في الحدان ، والناس في الزابوقة ، على رؤسائهم هؤلاء
 وهم ثلاثون ألفاً ، وردوا حكيماً ومالكاً إلى عليّ ؛ بأننا على ما فارقنا عليه القعقاع
 فاقدّم . فخرجنا حتى قدما عليه بذلك ، فارتحل حتى نزل عليهم بجالحم ،
 فتزلت القبائل إلى قبائلهم ؛ مضر إلى مضر ، وربيعه إلى ربيعة ، واليمن إلى
 اليمن ، وهم لا يشكّون في الصلح ، فكان بعضهم بخيال بعض ، وبعضهم
 يخرج إلى بعض ، ولا يذكرون ولا ينوون إلا الصلح ، وخرج أمير المؤمنين
 فيمن معه ، وهم عشرون ألفاً ، وأهل الكوفة على رؤسائهم الذين قدموا معهم
 ذا قار ، وعبد القيس على ثلاثة رؤساء : جذيمة وبكر على ابن الجارود ، والعمور
 على عبد الله بن السوداء ، وأهل هجر على ابن الأشجّ ، وبكر بن وائل من
 أهل البصرة على ابن الحارث بن نهار ، وعلى دنور بن عليّ الزط والسيابجة ، ٣١٨١/١
 وقدم عليّ ذا قار في عشرة آلاف ، وانضمّ إليه عشرة آلاف .

* * *

حدثني عمر بن شبة ، قال : حدثنا أبو الحسن ، عن بشير بن عاصم ،

عن فطر بن خليفة ، عن منذر الثوري ، عن محمد بن الحنفية ، قال : أقبلنا من المدينة بسبعمائة رجل ، وخرج إلينا من الكوفة سبعة آلاف ، وانضم إلينا من حولنا ألفان ، أكثرهم بكر بن وائل ، ويقال : ستة آلاف .

* * *

رجع الحديث إلى حديث محمد وطلحة : قالوا : فلما نزل الناس واطمأنوا ، خرج عليّ وخرج طلحة والزبير ، فتواقفوا ، وتكلموا فيما اختلفوا فيه ، فلم يجدوا أمراً هو أمثل من الصلح ووضع الحرب حين رأوا الأمر قد أخذ في الانقشاع ، وأنه لا يدرك ، فافترقوا عن موقفهم على ذلك ، ورجع عليّ إلى عسكره ، وطلحة والزبير إلى عسكرهما .

* * *

أمر القتال

وكتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالوا : وبعث عليّ من العشيّ عبد الله بن عباس إلى طلحة والزبير ، وبعثاهما من العشيّ محمد بن طلحة إلى عليّ ، وأن يكلم كل واحد منهما أصحابه ، فقالوا : نعم ، فلما أمسوا — وذلك في جمادى الآخرة — أرسل طلحة والزبير إلى رؤساء أصحابهما ، وأرسل عليّ إلى رؤساء أصحابه ، ما خلا أولئك الذين هضوا عثمان ، فباتوا على الصلح ، وباتوا ليلة لم يبيتوا بمثلها للعافية من الذي أشرفوا عليه ، والنزوع عما اشتبهوا الذين اشتبهوا ، وركبوا ما ركبوا ، وبات الذين أثاروا أمر عثمان بشر ليلة باتوها قطّ ، قد أشرفوا على الهلكة ، وجعلوا يتشاورون ليلتهم كلها ، حتى اجتمعوا على إنشأ الحرب في السرّ ، واستسروا بذلك خشية أن يُفطن بما حاولوا من الشرّ ، فغدوا مع الغلس ، وما يشعرون بهم جيرانهم ، انسلوا إلى ذلك الأمر انسلالاً ، وعليهم ظلمة ، فخرج مضربهم إلى مضربهم ، وربيعهم إلى ربيعهم ، ويمانيهم إلى يمانيهم ، فوضعوا فيهم السلاح ، فثار أهل البصرة ، وثار كل قوم في وجوه أصحابهم الذين بهتوهم ^(١) ،

(١) ابن الأثير والنويري : « أتوهم » . وبتوهم : كذبوهم .

وخرج الزبير وطلحة في وجوه الناس من مضر فبعثا إلى الميمنة ، وهم ربيعة يعبؤها^(١) عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وإلى الميسرة عبد الرحمن بن عتاب ابن أسيد ، وثبتا في القلب ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : طرقتا أهل الكوفة ليلا ، فقالا : قد علمنا أن علياً غير منته حتى يسفك الدماء ، ويستحل الحرمة ، وأنه لن يطاوعنا ، ثم رجعا بأهل البصرة ، وقصص أهل البصرة ، أولئك^(٢) حتى ردّوهم إلى عسكرهم ، فسمع على وأهل الكوفة الصوت ، وقد وضعوا رجلا قريبا من على ليخبره بما يريدون ، فلما قال : ما هذا ؟ قال : ذاك الرجل ٣١٨٣/١ ما فجعنا إلا وقوم منهم يبتئنا ، فرددناهم من حيث جاءوا ، فوجدنا القوم على رجل فركبونا ، وثار الناس ، وقال على لصاحب ميمنته : ائت الميمنة ، وقال لصاحب ميسرته : ائت الميسرة ، ولقد علمت أن طلحة والزبير غير منتهيين حتى يسفكا الدماء ، ويستحلا الحرمة ، وأنهما لن يطاوعانا ، والسببية لا تفر أنسابا . ونادى على في الناس : أيها الناس ، كفوا فلا شيء ، فكان من رأيهم جميعا في تلك الفتنة ألا يقتلوا حتى يبدءوا ؛ يطلبون بذلك الحجة ، ويستحقون^(٣) على الآخرين ، ولا يقتلوا مدبرا ، ولا يجهزوا على جريح ، ولا يبعثوا . فكان مما اجتمع عليه الفريقان نادوا فيما بينهما .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وأبي عمرو ، قالوا : وأقبل كعب بن سور حتى أتى عائشة رضى الله عنها ، فقال : أدركي فقد أبى القوم إلا القتال ، لعل الله يصلح بك . فركبت ، وألبسوا هودجها الأذراع ، ثم بعثوا جملة ، وكان جعلها يدعى عسكرا ، حملتها عليه يعلتي بن أمية ، اشتراه بمائتي دينار ، فلما برزت من البيوت — وكانت بحيث تسمع الغوغاء — وقفت ، فلم تلبث أن سمعت غوغاء شديدة ، فقالت : ما هذا ؟ قالوا : ضجة العسكر ، قالت : بخير أو بشر ؟ قالوا : بشر . قالت : فأى الفريقين كانت منهم هذه الضجة فهم المهزومون . وهى واقفة ، فوالله ما فجعها إلا الهزيمة ، ففضى الزبير من سنه في وجهه ، فسلكك وادى ٣١٨٤/١

(١) يعبؤها : يرثها . (٢) ابن الأثير : « أولئك الكوفيين » .

(٣) يستحقون : يطلبون الحق .

السباع ، وجاء طلحة سَهْمٌ غَرْبٌ^(١) يَخُلُّ ركبته بصفحة الفرس ، فلما امتلأ مَوْزَجُه دماً وثَقُلَ قال لغلّامه : ارد في وأمْسِكْنِي ، وابغْنِي^(٢) مكاناً أنزل فيه ، فدخل البصرة وهو يتمثل مثله ومثل الزبير :

فإن تكنِ الحوادثُ أَفْصَدَتْنِي وَأَخْطَأْهُنَّ سَهْمِي حِينَ أَرْمِي
فقد ضَيَّعْتُ حِينَ تَبَيْعْتُ سَهْمًا سَفَاهًا مَا سَفِهْتُ وَضَلَّ حِلْيِي
نَدِمْتُ نَدَامَةَ الْكُسْعِيِّ لَمَّا شَرَيْتُ رِضًا بَنِي سَهْمٍ بِرَغْنِي
أَطْعَمْتُهُمْ بِفُرْقَةٍ آلَ لَأْيٍ فَأَلْقَوْا لِلْسَّاعِ دَنِي وَلَحْمِي

خبر وقعة الجمل من رواية أخرى

قال أبو جعفر : وأما غير سيف فإنه ذكر من خبر هذه الوقعة وأمر الزبير وانصرافه عن الموقف الذي كان فيه ذلك اليوم غير الذي ذكر سيف عن صاحبيه ، والذي ذكر من ذلك بعضهم ما حدّثنيه أحمد بن زهير ، قال : حدّثنا أبي أبو خَيْثَمَةَ ، قال : حدّثنا وهب بن جرير بن حازم ، قال : سمعتُ أبي قال : سمعتُ يونس بن يزيد الأيبيّ ، عن الزهريّ ، في قصة ذكرها من خبر عليّ وطلحة والزبير وعائشة في مسيرهم الذي نحن في ذكره في هذا الموضع . قال : وبلغ الخبرُ عليّاً - يعني خبر السبعين الذين قُتِلوا مع العبدى بالبصرة - فأقبل - يعني عليّاً - في اثني عشر ألفاً ، فقدم البصرة ، وجعل يقول :

يَا لَهْفَ نَفْسِي عَلَى رَيْعَةٍ رَيْعَةَ السَّامَةِ الْمُطِيعَةِ

* سُنَّتْهَا كَانَتْ بِهَا الْوَقِيعَةُ *

فلما تواقفوا خرج عليّ على فرسه ، فدعا الزبير ، فتواقفا ، فقال عليّ للزبير : ما جاء بك ؟ قال : أنت ، ولا أراك لهذا الأمر أهلاً ، ولا أولى به

(١) سهم غرب : لا يدري راميّه .

(٢) ابني مكاناً ؛ أي التمس لي مكاناً .

منّا ؛ فقال عليّ : لست له أهلاً بعد عثمان ! قد كنا نعدُّك من بني عبدالمطلب حتى بلغ ابنُك ابنُ السوء ففرَّق بيننا وبينك ؛ وعظَّم عليه أشياء ، فذكرَ أن النبيّ صلى الله عليه وسلم مرَّ عليهما فقال لعليّ : « ما يقول ابن عمّتك ؟ ليقتاتيلنك وهولك ظالم » . فانصَرَف عنه الزبير ، وقال : فلاني لأقاتلُك . فرجع إلى ابنه عبد الله فقال : مآلي في هذه الحرب بصيرة ، فقال له ابنه : إنك قد خرجت على بصيرة ، ولكنك رأيتَ رايات ابن أبي طالب ، وعرفت أن تحتها الموت^(١) ، فحبُبت . فأحفظْه حتى أُرعد وغضب ، وقال : ويحك ! إنني قد حلفت له ألاّ أقاتله ، فقال له ابنه : كفر عن يمينك بعثق غلامك سرَّجس ، فأعتقه ، وقام في الصَّفّ معهم ، وكان عليّ قال للزبير : أطلب مني دمَ عثمان وأنت قتلته ! سلَّط الله على أشدِّنا عليه اليومَ ما يكره . وقال عليّ : يا طلحة ، جئت بعِرسِ رسول الله صلى الله عليه وسلم تقاتل بها وخبأت عِرسَك في البيت ! أما بايعتني ! قال : بايعتُك وعلى عُنق اللجج ، فقال ٣١٨٦/١ عليّ لأصحابه : أيتكم يعرض عليهم هذا المصحف وما فيه ، فإن قطعت يدهُ أخذه بيده الأخرى ، وإن قطعتُ أخذه بأسنانه ؟ قال فتى شابٌ : أنا ، فطاف عليّ على أصحابه يعرض ذلك عليهم ، فلم يقبله إلاّ ذلك الفتى ، فقال له عليّ : اعرضْ عليهم هذا ، وقل : هو بيننا وبينكم من أوّله إلى آخره ، والله في دمائنا ودمائكم . فحُمِل على الفتى وفي يده المصحف ، فقطعت يداه ، فأخذه بأسنانه حتى قُتل ، فقال عليّ : قد طاب لكم الضُّراب فقاتلوهم ، فقتل يومئذ سبعون رجلاً ، كلهم يأخذ بخطام الجمل ، فلما عقر الجمل وهُزِم الناس ، أصابت طلحة رمية فقتلته ، فيزعمون أن مروان بن الحَكَم رماه ، وقد كان ابن الزبير يأخذ بخطام جمل عائشة ، فقالت : من هذا ؟ فأخبرها ؛ فقالت : واكُكل أسماء ! فجرح ، فألقى نفسه في الجرح حتّى ، فاستُخرج فبرأ من جراحته ، واحتمل محمد بن أبي بكر عائشة ، فضرب عليها فسطاط ، فوقف عليّ عليها فقال : استفزّت الناس وقد فزوا ، فألبتَ بينهم ، حتى قُتل بعضهم بعضاً ... في كلام كثير . فقالت عائشة : يابن أبي طالب ،

(١) ابن الأثير : « الموت الأحمر » .

ملكته فأسجج ، نعم ما أبلت^(١) قومك اليوم ! فسرّحها على ، وأرسل معها جماعة من رجال ونساء ، وجهّزها ، وأمر لها باثني عشر ألفاً من المال ؛ فاستقل ذلك عبد الله بن جعفر ، فأخرج لها مالا عظيماً ، وقال : إن لم يُبَيِّزْهُ أمير المؤمنين فهو على . وقيل الزبير ، فزعموا أن ابن جرّومز هو الذي قتله ، وأنه وقف بباب أمير المؤمنين ؛ فقال لحاجبه : استأذن لقاتل الزبير ؛ فقال على : ائذن له ، وبشّره بالنار .

حدثني محمد بن عُمارة ، قال : حدثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا فضيل ، عن سفيان بن عتبة ، عن قرّة بن الحارث ، عن جَوْن بن قتادة . قال قرّة بن الحارث : كنتُ مع الأحنف بن قيس ، وكان جَوْن ابن قتادة ابن عُمى مع الزبير بن العوام ، فحدثني جَوْن بن قتادة ، قال : كنتُ مع الزبير رضى الله عنه ، فجاء فارسٌ يسير — وكانوا يسلمون على الزبير بالإمرة — فقال : السلام عليك أيّها الأمير ؛ قال : وعليك السلام ؛ قال : هؤلاء القوم قد أتوا مكان كذا وكذا ، فلم أرَ قوماً أرث سلاحاً ، ولا أقلّ عدداً ، ولا أرفع قلوباً من قوم أتوك ، ثمّ انصرف عنه . قال : ثمّ جاء فارسٌ فقال : السّلام عليك أيّها الأمير ؛ فقال : وعليك السلام ، قال : جاء القوم حتّى أتوا مكان كذا وكذا ، فسمعوا بما جمع الله عزّ وجلّ لكم من العدد والعدّة والحدّ ، فكدّف الله في قلوبهم الرعب ، فولّوا مدبرين ؛ قال الزبير : إيسهاً عنك الآن ؛ فوالله لو لم يجد ابن أبى طالب إلا العرفج لدبّ إلينا فيه ؛ ثمّ انصرف . ثمّ جاء فارس وقد كادت الخيول أن تخرج من الرّهج^(٢) . فقال : السلام عليك أيّها الأمير ، قال : وعليك السلام ، قال : هؤلاء القوم قد أتوك ، فلقيت عماراً فقلتُ له وقال لى ؛ فقال الزبير : إنه ليس فيهم ، فقال : بلى والله إنه لفيهم ؛ قال : والله ما جعله الله فيهم ، فقال : والله لقد جعله الله فيهم . قال : والله ما جعله الله فيهم ؛ فلمّا رأى الرجل يخالفه

(١) ابن الأثير : « ابلت » .

(٢) الرج : الثّبار .

قال لبعض أهله : اركب فانظر : أحقُّ ما يقول ! فركب معه ، فانطلقا وأنا أنظر إليهما حتى وقفا في جانب الخيل قليلا ، ثم رجعا إلينا ، فقال الزبير لصاحبه : ما عندك ؟ قال : صدق الرجل ؛ قال الزبير : يا جدُّع أنفاه - أو يا قَطْع ظَهْرَاه ؟ - قال محمد بن ثُمارة : قال عبيد الله : قال فضيل : لا أدرى أيُّهما قال - ثم أخذه أفكَل^(١) ، فجعل السلاح ينتفض ، فقال جون : ثكلتني أمي ، هذا الذي كنت أريد أن أموت معه ، أو أعيش معه ، والذي نفسى بيده ما أخذ هذا ما أرى إلا لشيء قد سمعته أوراؤه من رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما تشاغل الناس انصرف فجلس على دابته ، ثم ذهب ، فانصرف جون فجلس على دابته ، فلحق بالأحنف ، ثم جاء فارسان حتى أتيا الأحنف وأصحابه ، فترلا ، فأتيا فأكبّا عليه ، فناجياه ساعة ، ثم انصرفا . ثم جاء عمرو بن جُرْموز^(٢) إلى الأحنف ، فقال : أدركته في وادي السباع فقتلته ، فكان يقول : والذي نفسى بيده إن صاحب الزبير الأحنف .

حدثني عمر بن شبة ، قال : حدثنا أبو الحسن ، قال : حدثنا بشير ابن عاصم ، عن الحجاج بن أرطاة ، عن عمار بن معاوية الدُّهني - حتى من أحمس بجيلة - قال : أخذ عليٌّ مصحفًا يوم الجَمَل ، فطاف به في أصحابه ، وقال : مَنْ يأخذ هذا المصحف ، يدعوهم إلى ما فيه وهو مقتول ؟ فقام إليه فتى من أهل الكوفة عليه قباء أبيض محشو ، فقال : أنا ، فأعرض عنه ، ثم قال : مَنْ يأخذ هذا المصحف يدعوهم إلى ما فيه وهو مقتول ؟ فقال الفتى : أنا ، فأعرض عنه ، ثم قال : مَنْ يأخذ هذا المصحف يدعوهم إلى ما فيه وهو مقتول ؟ فقال الفتى : أنا ؛ فدفعه إليه ، فدعاهم فقطعوا يده اليمنى ، فأخذه بيده اليسرى ، فدعاهم فقطعوا يده اليسرى ، فأخذه بصدرة والد الماء تسيل على قباؤه ، فقتل رضي الله عنه ، فقال عليٌّ : الآن حل قتالهم ، فقالت أمّ الفتى بعد ذلك فيما ترى :

لَاهُمْ إِنَّ مُسْلِمًا دَعَاهُمْ يَتْلُو كِتَابَ اللَّهِ لَا يُخْشَاهُمْ

وَأَمُّهُمْ قَائِمَةٌ تَرَاهُمْ يَأْتِمِرُونَ النَّعَى لَا تَنْهَاهُمْ
« قَدْ خُضِبَتْ مِنْ عِلَاقٍ لِحَاهُمْ »

حدثني عمر ، قال : حدثنا أبو الحسن ، قال : حدثنا أبو مخنف ،
عن جابر ، عن الشعبي ، قال : حملت ميمنة أمير المؤمنين على ميسرة أهل
البصرة ، فاقتلوا ، ولأذ الناس بعائشة رضي الله عنها ، أكثرهم ^(١) ضَبَّة
والأزد ، وكان قتالهم من ارتفاع النهار إلى قريب من العصر ؛ ويقال : إلى
أن زالت الشمس ، ثم انهزموا ، فنادى رجل من الأزد : كروا ، فضربه محمد
ابن عليّ فقطع يده ، فنادى : يا معشر الأزد فربوا ، واستحرق القتلى بالأزد ^(٢) ،
فنادوا : نحن على دين عليّ بن أبي طالب ؛ فقال رجل من بني ليث بعد ذلك :

سائلُ بنا يومَ لقينا الأزدَا والخيلُ تعدو أشقراً وورداً
لما قطعنا كبدهم والزندا سُحقاً لهم في رأيهم وبعداً

حدثني عمر بن شبّة ، قال : حدثنا أبو الحسن ، قال : حدثنا جعفر
ابن سليمان ، عن مالك بن دينار ، قال : حمل عمار على الزبير يوم الجمل ،
فجعل يحوزة بالرمح ، فقال : أتريد أن تقتلني ؟ قال : لا ، انصرف ؛ وقال
عامر بن حفص : أقبل عمار حتى حاز الزبير يوم الجمل بالرمح ، فقال :
أقتلني يا أبا اليقظان ! قال : لا يا أبا عبد الله .

رجع الحديث إلى حديث سيف ، عن محمد وطلحة : قالوا : ولما
انهزم الناس في صدر النهار ، نادى الزبير : أنا الزبير ، هلموا إلى
أيّها الناس ، ومعه مولى له ينادى : أعن حواريّ رسول الله صلى الله عليه وسلم
تنهزمون ! وانصرف الزبير نحو وادي السباع ، واتبعه فرسان ، وتشاغل
الناس عنه بالناس ، فلما رأى الفرسان تبتّعه عطّف عليهم ، ففرق بينهم ،

(١) ابن الأثير : « وكان من أكثرهم » .

(٢) ابن الأثير : « في الأزد » .

فكروا عليه ، فلما عرفوه قالوا : الزبير ! فدعوه^(١) ، فلما نفر فيهم علباء بن الميثم ؛ ومرة القعقاع في نفر بطلحة وهو يقول : إلى عباد الله ، الصبر الصبر ! قال له : يا أبا محمد ؛ إنك لجريح ، وإنك عما تريد لعليل ؛ فادخل الأبيات ، فقال : يا غلام ، أدخلني وابغني مكاناً . فأدخل البصرة ومعه غلام ورجلان ، فاقبل الناس بعده ، فأقبل الناس في هزيمتهم تلك وهم يريدون البصرة . فلما رأوا الحمل أطافت به مضر عادوا قلوباً كما كانوا حيث التقوا ، وعادوا ٣١٩١/١ إلى أمر^(٢) جديد ، ووقفت ربيعة البصرة ، منهم ميمنة ومنهم ميسرة ، وقالت عائشة : خل يا كعب عن البعير ؛ وتقدم بكتاب الله عز وجل فادعهم إليه ، ودفعت إليه مصحفاً . وأقبل القوم وأمامهم السبيّة يخافون أن يجرى الصلح ، فاستقبلهم كعب بالمصحف ، وعلى من خلفهم يزعمهم ويأبون إلا إقداماً ، فلما دعاهم كعب رشقوه رشقاً^(٣) واحداً ، فقتلوه ، ورموا عائشة في هودجها ، فجعلت تنادي : يا بتي ، البقية البقية بعلو صوتها كثرة الله الله ، اذكروا الله عز وجل والحساب ، فيأبون إلا إقداماً ، فكان أول شيء أحدثته حين أبوا أن قالت : أيها الناس ، العنوا قتلة عثمان وأشياعهم ، وأقبلت تدعو .

وضج أهل البصرة بالدعاء ، وسمع على بن أبي طالب الدعاء فقال : ما هذه الضجّة ؟ فقالوا : عائشة تدعو ويدعون معها على قتلة عثمان وأشياعهم ، فأقبل يدعو ويقول : اللهم العن قتلة عثمان وأشياعهم . وأرسلت إلى عبد الرحمن ابن عتاب وعبد الرحمن بن الحارث : اثبتا مكانكما ، وذمرت الناس حين رأت أن القوم لا يريدون غيرها ، ولا يكفون عن الناس ، فازدلفت مضرس البصرة ، فقصفت مضر الكوفة حتى زوجم على ، فنخس على قفا محمد ، وقال : احمل ، فنكّل ، فأهوى على إلى الراية ليأخذها منه ، فحمل ، فترك الراية في يده ، وحملت مضر الكوفة ، فاجتلدوا قدّام الحمل حتى

(١) هنا نقص في أصول ط .

(٢) ابن الأثير والنويري : « في أمر » .

(٣) الرشق ، بالكسر : الوجه من الرمي .

٣١٩٢/١

ضربوا ، والمجنّبات على حالها^(١) ، لا تصنع شيئاً ، ومع على أقوام^(٢) غير مُضَرٍّ ،
فمنهم زيد بن صُوحان ، فقال له رجل من قومه : تنحّ إلى قومك ، مالك
ولهذا الموقف ! أَلَسْتَ تعلم أن مضرَ بجيالك ، وأنّ الحمل بين يديك ، وأن
الموتَ دونه ! فقال : الموت خير من الحياة ، الموت ما أريد ؛ فأصيب وأخوه
سَيِّحان ، وارْتُثَّ صِعَصعة ، واشتدّت الحرب . فلما رأى ذلك على بعث
إلى اليمن وإلى ربيعة : أن اجتمعوا على مَنْ يليكم ، فقام رجلٌ من عبد القيس
فقال : ندعوكم إلى كتاب الله عزّ وجلّ ؛ قالوا : وكيف يدعونا إلى كتاب
الله مَنْ لا يقيم حدودَ الله سبحانه ، ومن قتل داعيَ الله كعب بن سُرٍّ !
فرمته ربيعة رِشْقاً واحداً فقتلوه ، وقام مسلم بن عبد الله العجليّ مقامه ،
فرشقوه رِشْقاً واحداً ، فقتلوه ، ودعت يَمَنُ الكوفة يَمَنُ البصرة فرشقوهم .
كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ،
قالا : كان القتال الأول يستحرّ إلى انتصاف النهار ، وأصيب فيه طلحة
رضي الله عنه ، وذهب فيه الزبير ، فلما أَوْوَأ إلى عائشة وأبى أهل الكوفة إلاّ
القتال ، ولم يريدوا إلاّ عائشة ، ذمرتهم عائشة ، فاقتتلوا حتى تنادوا
فتحاجزوا ، فرجعوا بعد الظهر فاقتتلوا ، وذلك يومَ الخميس في جُمادى
الآخرة ، فاقتتلوا صدرَ النهار مع طلحة والزبير ، وفي وسطه مع عائشة ،
وتزاحف الناس ، فهزمت يَمَنُ البصرة يَمَنَ الكوفة ، وربّعةُ البصرة ربيعةُ
الكوفة ، ونهد على بمضر الكوفة إلى مضر البصرة ، وقال : إن الموت ليس
منه فَوَتْ ، يُلْركِ الهارب ، ولا يترك المقيم .

٣١٩٣/١

حدّثنى عمر ، قال : حدّثنا أبو الحسن ، قال : حدّثنا أبو عبد الله
القرشيّ ، عن يونس بن أرقم ، عن عليّ بن عمرو الكنديّ ، عن زيد بن
حساس ، قال : سمعتُ محمد بن الحنفية يقول : دفع إلى أبي الراجة يومَ
الحمل ، وقال : تقدّم ؛ فتقدّمتُ حتى لم أجد متقدّماً إلاّ على رومح ؛ قال :
تقدّم لا أمّ لك ! فتكاكأتُ وقلتُ : لا أجد متقدّماً إلاّ على سنان رُمح ،

(١) ابن الأثير والنويري : « والمجنّبتان على حالهما » .

(٢) ابن الأثير : « قوم من غير مضر » .

فتناول الراية من يدي متناول لا أدرى من هو ! فنظرت فإذا أبى بين يدي وهو يقول :

أَنْتِ الَّتِي غَرَّكَ مِنِّي الْحَسَنَى يَا عَيْشَ إِنَّ الْقَوْمَ قَوْمٌ أَعْدَا
الْخَفَضُ خَيْرٌ مِنْ قِتَالِ الْأَبْنَاءِ .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالوا :
اقتتل المجنبتان حين تزاحمتا قتالا شديداً ، يشبه ما فيه القسبان ، واقتتل أهل
اليمن ، فقتل على راية أمير المؤمنين من أهل الكوفة عشرة ، كلما أخذها رجل
قتل خمسة من همدان وخمسة من سائر اليمن ، فلما رأى ذلك يزيد بن
قيس أخذها ، فثبت في يده وهو يقول :

قَدْ عِشْتَ يَا نَفْسٍ وَقَدْ غَنَيْتِ دَهْرًا فَقَطِّكِ الْيَوْمَ مَا بَقِيَ
أَطْلُبُ طَوْلَ الْعُمَرِ مَا حَيَّتِ .

ولما تمثلها وهو قول الشاعر قبله . وقال نمران بن أبي نمران الهمداني :

جَرَدْتُ سِنْفِي فِي رِجَالِ الْأَزْدِ أَضْرِبُ فِي كَهُولِهِمِ وَالْمُرْدِ
كَلَّ طَوِيلِ السَّاعِدِينَ نَهْدِ .

وأقبلت ربيعة ، فقتل على راية الميسرة من أهل الكوفة زيد ، وصريح
صعبعة ، ثم سينحان ، ثم عبد الله بن ربيعة بن المغيرة ، ثم أبو عبيدة بن راشد
ابن سلمى وهو يقول : اللهم أنت هديتنا من الضلالة ، واستنقذتنا من
الجهالة ، وابتليتنا بالفتنة ، فكنا في شبهة وعلى ربيعة حتى قتل ، ثم الحصين
ابن معبد بن النعمان ، فأعطاه ابنه معبد ، وجعل يقول : يا معبد ، قرب لها
بؤها تحدث ، فثبت في يده .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالوا :
لما رأت الكُماة من مضر الكوفة ومضر البصرة الصبر تنادوا في عسكر عائشة
وعسكر على : يا أيها الناس ، طرّفوا إذا فرغ الصبر ، ونزع النصر . ففعلوا

يتوجّهون^(١) الأطراف : الأيدي والأرجل ، فما رُئيت وقعة قطّ قبلها ولا بعدها ، ولا يسمع بها أكثر يداً مقطوعة ورجلاً مقطوعة منها ، لا يُدرى مَنْ صاحبها . وأصابت يداً عبد الرحمن بن عتاب يومئذ قبل قتله ، وكان الرجل من هؤلاء وهؤلاء إذا أصيب شيء من أطرافه استعقّل إلى أن يُقتل .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الصعب بن عطية ابن بلال ، عن أبيه ، قال : اشتدّ الأمر حتى أُرِيت ميمنة الكوفة إلى القلب ، حتى لَزِقَتْ به ، ولَزِقَتْ ميسرة البصرة بقلوبهم ، ومنعوا ميمنة أهل الكوفة أن يختلطوا بقلوبهم ، وإن كانوا إلى جنبهم ، وفعلَ مثل ذلك ميسرة الكوفة وميمنة البصرة ، فقالت عائشة - رضى الله عنها - لمن عن يسارها : مَنْ القوم ؟ قال صَبْرَةُ بن شيمان : بَسُوكِ الْأَزْدَ ، قالت : يَالْ غَسَّانَ ! حَافِظُوا الْيَوْمَ جِلَادَكُمْ الَّذِي كُنَّا نَسْمَعُ بِهِ ، وَتَمَثَّلْتُ :

وَجَالِدٌ مِنْ غَسَّانِ أَهْلُ حِفَاظِهِ وَهَنْبٌ وَأَوْسٌ جَالِدَتُ وَشَيْبٌ

وقالت لمن عن يمينها : مَنْ القوم ؟ قالوا : بكر بن وائل ؛ قالت : لكم يقول القائل :

وَجَاءُوا إِلَيْنَا فِي الْحَدِيدِ كَأَنَّهُمْ مِنْ الْعِزَّةِ الْقَفَاءِ بَكْرُ بْنُ وَائِلٍ

إنما بإزائكم عبدُ القيس . فاقتتلوا أشدّ القتال من قتالهم قبل ذلك ، وأقبلت على كتيبة بين يديها ، فقالت : مَنْ القوم ؟ قالوا : بنو ناجية ، قالت : بَخْ بَخْ ! سيوفُ أبطحية ، وسيوفُ قرشية ، فجالدوا جلاداً يُتفادى منه . ثم أطافت بها بنو ضبّة ، فقالت : ويها جُمُرَةُ الجمرات ! حتى إذا رَقُوا خَالَطَهُمْ بنو عدى ، وكثروا حولها ، فقالت : مَنْ أنتم ؟ قالوا : بنو عدى^(٢) ، خالطنا إخواننا ، فقالت : ما زال رأس الحمل معتدلاً حتى قَتَلْتُ بنو ضبّة حولي ، فأقاموا رأسَ الحمل ، ثم ضربوا ضرباً ليس بالتعذير ،

(١) يتوجّهون الأطراف : يضربونهم في أيديهم وأرجلهم .

(٢) التويرى : « من بنى » .

ولا يعدّ لون بالتطريف ؛ حتى إذا كثر ذلك وظهر في العسكريين جميعاً .
راموا الجمل وقالوا : لا يُزال القومُ أو يصرع ، وأرزت مجنّبتا على فصارنا
في القلب ، وفعل ذلك أهلُ البصرة ، وكره القومُ بعضهم بعضاً ، وتلاقوا
جميعاً بقلبيهم ، وأخذ ابن يثرب برأس الجمل وهو يرتجز ، وادّعى قتل علباء
ابن الهيثم وزيد بن صوحان وهند بن عمرو ، فقال :

أَنَا لِمَنْ يُنْكِرُنِي ابْنُ يَثْرِبٍ قَاتِلُ عِلْبَاءَ وَهِنْدِ الْجَمْلَى
وَابْنِ لِيُصُوحَانَ عَلَى دِينِ عَلِيٍّ *

فناداه عمار : لقد لعمرى لذت^(١) بحريز ، وما إليك سبيل^(٢) ،
فإن كنت صادقاً فاخرج من هذه الكتيبة إلى ؛ فترك الزمام في يد رجل من
بنى عدى حتى كان بين أصحاب عائشة وأصحاب علي ، فزحم الناس عماراً
حتى أقبل إليه ، فاتقاه عمار بذرّفته ، فضربه فانتشبت سيفه فيها ، فعالجه
فلم يخرج ، فخرج عمار إليه لا يملك من نفسه شيئاً ، فأسفّ عمار لرجليه
فقطعهما ، فوقع على استه ، وحمله أصحابه ، فارتث بعد ، فأتي به علي ،
فأمّر بضرب عنقه . ولما أصيب ابن يثرب ترك ذلك العدوى الزمام ، ثم خرج
فنادى : من يبارز ؟ فحشّس عمار ، وبرز إليه ربيعة العقيلي - والعدوى
يدعى عمرة بن بجمرة ، أشدّ الناس صوتاً ، وهو يقول :

يَا أَمْنًا أَعَقَّ أُمَّ نَعْلَمُ وَالْأُمُّ تَغْدُو وَلَدًا وَتَرْحَمُ
أَلَا تَرَيْنَ كَمْ شَجَاعٍ يُكَلِّمُ وَتُخْتَلِي مِنْهُ يَدٌ وَمِقْصَمٌ^(٣) !

ثم اضطربا ، فأثخن كل واحد منهما صاحبه ، فاتا .

وقال عطية بن بلال : ولحق بنا من آخر النهار رجل يدعى الحارث ، من
بنى ضبة ، فقام مقام العدوى ، فأرأينا رجلاً قطّ أشدّ منه ، وجعل يقول :

(١) ابن الأثير : « عدت » .

(٢) ابن الأثير : « من سبيل » .

(٣) تختل : تقطع .

نَحْنُ بَنِي ضَبَّةَ أَصْحَابُ الْجَمَلِ^(١) نَعْنَى ابْنَ عَفَانَ بِأَطْرَافِ الْأَسَلِ
الموتُ أَحْلَى عِنْدَنَا مِنَ الْعَسَلِ رُدُّوا عَلَيْنَا شَيْخَنَا ثُمَّ يَجَلْ^(٢) ٣١٩٨/١

حدثني عمر بن شبة، قال: حدثنا أبو الحسن، عن المفضل بن محمد،
عن عدي بن أبي عدي، عن أبي رجاء العطاردي، قال: إني لأنظر إلى رجل
يومَ الجمل وهو يقلب سيفاً بيده كأنه مخراق، وهو يقول:

نَحْنُ بَنِي ضَبَّةَ أَصْحَابُ الْجَمَلِ نَنَازِلُ الْمَوْتَ إِذَا الْمَوْتُ نَزَلَ
وَالْمَوْتُ أَشْهَى عِنْدَنَا مِنَ الْعَسَلِ نَعْنَى ابْنَ عَفَانَ بِأَطْرَافِ الْأَسَلِ
رُدُّوا عَلَيْنَا شَيْخَنَا ثُمَّ يَجَلْ .

حدثني عمر، قال: حدثنا أبو الحسن، عن المفضل الضبي، قال:
كان الرجل وسيم بن عمرو بن ضرار الضبي.

حدثني عمر، قال: حدثنا أبو الحسن، عن الهذلي، قال: كان
عمرو بن يربني يحضض قومه يوم الجمل، وقد تعاوروا الخِطام يرتجزون:
نَحْنُ بَنِي ضَبَّةَ لَا تَفِرُّ حَتَّى نَرَى جَمَاعاً تَخِرُّ
يَخِرُّ مِنْهَا الْعَلَقُ الْمُحْمَرُّ

يَا أَمْنَا يَا غَيْشُ لَنْ تَرَاغَى كُلَّ بَنِيكَ بَطْلٌ شُجَاعُ
يَا أَمْنَا يَا زَوْجَةَ النَّبِيِّ يَا زَوْجَةَ الْمُبَارِكِ الْمُهْدِي

حتى قُتِلَ عَلَى الْخِطَامِ أَرْبَعُونَ رَجُلًا، وقالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:
ما زال جَمَلِي معتدلاً حتى فقدت أصواتَ بني ضَبَّةَ . وقتل يومئذ عمرو بن
يُربِّيَ علباء بن الهيثم السدوسي، وهند بن عمرو الجهملي، وزيد بن صوحان
وهو يرتجز ويقول:

(١) كذا في الكامل ١: ١١٢، قال: ونصب «بني» على الاختصاص، وفي ط: «نحن بنو» .

(٢) بجل، أي حسب، والبيت في اللسان ١٤: ٧٠ .

أَضْرِبُهُمْ وَلَا أَرَىٰ أَبَا حَسَنٍ كَفَىٰ بِهَذَا حَزَنًا مِنَ الْحَزَنِ
 • إِنَّا نَمِرُ الْأَمَرَ إِمْرَارَ الرَّسَنِ •

فَزَعِمَ الْمُهْذَلِيُّ أَنَّ هَذَا الشَّعْرُ تُمَثَّلُ بِهِ يَوْمَ صِفَتَيْنِ . وَعَرَضَ عِمَارُ لِعَمْرُو
 ابْنِ يَثْرِبٍ — وَعِمَارُ يَوْمَئِذٍ ابْنُ تِسْعِينَ سَنَةً ، عَلَيْهِ فَرَوٌ قَدْ شَدَّ وَسَطُهُ بِحَبْلِ
 مِنْ لَيْفٍ — فَبَلَدَهُ عَمْرُو بْنُ يَثْرِبٍ فَنَحَىٰ لَهُ كَرَقَتَهُ فَنَشَبَ سَيْفَهُ فِيهَا ، وَرَمَاهُ
 النَّاسَ حَتَّى صُرِعَ وَهُوَ يَقُولُ :

إِنْ تَقْتُلُونِي فَأَنَا ابْنُ يَثْرِبٍ قَاتِلُ عِلْبَاءَ وَهْنَدِ الْجَمَلِ
 • ثُمَّ ابْنُ صُوحَانَ عَلَى دِينَ عَلِيٍّ •

وَأَخَذَ أُسِيرًا حَتَّى انْتَهَىٰ بِهِ إِلَى عَلِيٍّ ، فَقَالَ : اسْتَبْقِنِي . فَقَالَ : أَبْعَد
 ثَلَاثَةَ ثُقُبَلٍ عَلَيْهِمْ بِسَيْفِكَ تَضْرِبُ بِهِ وَجُوهَهُمْ ! فَأَمَرَ بِهِ فَقُتِلَ .

وَحَدَّثَنِي عُمَرُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو مَخْنَفٍ ،
 عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ رَاشِدٍ ، عَنْ عَبَّادِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الرَّبِيعِ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ :
 مَشَيْتُ يَوْمَ الْجَمَلِ وَبِي سَبْعٌ وَثَلَاثُونَ جِرَاحَةً مِنْ ضَرْبَةٍ وَطَعْنَةٍ ، وَمَا رَأَيْتُ
 مِثْلَ يَوْمِ الْجَمَلِ قَطُّ ، مَا يَنْهَزُ مِنْ أَحَدٍ ، وَمَا نَحَنُ إِلَّا كَالْجَبَلِ الْأَسْوَدِ ، وَمَا
 يَأْخُذُ بِخِطَامِ الْجَمَلِ أَحَدٌ إِلَّا قُتِلَ ، فَأَخَذَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَتَابٍ فَقُتِلَ ،
 فَأَخَذَهُ الْأَسْوَدُ بْنُ أَبِي الْبَخْتَرِيِّ فَصُرِعَ ، وَجِئْتُ فَأَخَذْتُ بِالْخِطَامِ ، فَقَالَتْ
 عَائِشَةُ : مَنْ أَنْتَ ؟ قُلْتُ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الرَّبِيعِ . قَالَتْ : وَائْكُلْ أَسْمَاءَ ! وَمَرَّ
 بِي الْأَشْثَرُ ، فَعَرَفْتُهُ فَعَانَقْتُهُ ، فَسَقَطْنَا جَمِيعًا ، وَنَادَيْتُ : « اقْتُلُونِي وَمَا لِكَا » ؛
 فَجَاءَ نَاسٌ مِنْهُمْ ، فَقَاتَلُوا عَنَا حَتَّى تَحَاجَزْنَا ، وَضَاعَ الْخِطَامُ ، وَنَادَى
 عَلِيٌّ : اعْقِرُوا الْجَمَلَ ، فَإِنَّهُ إِنْ عُقِرَ تَفَرَّقُوا ؛ فَضْرَبَهُ رَجُلٌ فَسَقَطَ ، فَمَا
 سَمِعْتُ صَوْتًا قَطُّ أَشَدَّ مِنْ عَجَجِ الْجَمَلِ .

وَأَمَرَ عَلِيٌّ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ فَضْرَبَ عَلَيْهَا قَبَّةً ، وَقَالَ : انْظُرْ ، هَلْ وَصَلَ
 إِلَيْهَا شَيْءٌ ؟ فَأَدْخَلَ رَأْسَهُ ، فَقَالَتْ : مَنْ أَنْتَ ؟ وَيَلْسُكَ ! فَقَالَ : أَبْغِضُ
 أَهْلَكَ إِلَيْكَ ، قَالَتْ : ابْنُ الْحُسَيْنِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ؛ قَالَتْ : يَا ابْنُ أَنْتَ
 وَأُمِّي ! الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَاكَ .

حدثني إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد ، قال : سمعتُ أبا بكر ابن عيَّاش يقول : قال علقمة : قلت للأشتر : قد كنتَ كارهاً لقتل عثمان رضى الله عنه ، فما أخرجك بالبصرة ؟

قال : إن هؤلاء بايعوه ، ثم نكثوا — وكان ابن الزبير هو الذى أكره عائشة على الخروج — فكنت أدعو الله عز وجل أن يلقىَنيهِ ، فلقىني كفةً لكفةً ، فراضيت بشدة ساعدى أن أقتل فى الركاب فضربته على رأسه فصرعتُهُ .

قلنا فهو القائل : « اقتلُونى ومالِكاً » ؟ قال : لا ، ما تركته وفى نفسى منه شيء ، ذاك عبدُ الرحمن بن عتاب بن أسيد ، لقينى فاختلفنا ضربتين ، فصرعتنى وصرعتُهُ ، فجعل يقول . « اقتلُونى ومالِكاً » ، ولا يعلمون من مالِك ، فلو يعلمون لقتلُونى .
ثم قال أبو بكر بن عيَّاش : هذا كتابك شاهده .

حدثنى به المغيرة ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، قال : قلت للأشتر : حدثنى عبد الله بن أحمد ، قال : حدثنى أبى ، قال : حدثنى سليمان ، قال : حدثنى عبد الله ، عن طلحة بن النضر ، عن عثمان بن سليمان ، عن عبد الله بن الزبير ، قال : وقف علينا شاب ، فقال : احذروا هذين الرجلين ، فذكره — وعلامة الأشتر أن إحدى قدميه بادية من شيء يجدُّ بها — قال : لما التقينا قال الأشتر : لما قصد لى سوى رمحه لرجلى ، قلت : هذا أحمتى ، وما عسى أن يدرك منى لو قطعها ! أَلستُ قاتلته !

فلما دنا منى جمع يديه فى الرمح ، ثم التمس به وجهى ، قلتُ : أحدُ الأقْران .

حدثنى عمر بن شبة ، قال : حدثنا أبو الحسن ، عن أبى مخنف ، عن ابن عبد الرحمن بن جندب ، عن أبيه ، عن جدِّه ، قال : كان عمرو ابن الأشرف أخذ بخطام الحمل ، لا يدنو منه أحدٌ إلا خبطه بسيفه ، إذ أقبل الحارث بن زُهَيْر الأزدي وهو يقول :

يَا أَمَّنَّا يَا خَيْرَ أُمَّةٍ نَعْلَمُ أَمَا تَرَيْنَ كَمْ شُجَاعٍ يُكَلِّمُ!
 وَتُخْتَلِي هَامَتُهُ وَالْمِعْصَمُ! *

فاختلفا ضربتين ، فرأيتهما يفحصان الأرض بأرجلهما حتى ماتا .
 فدخلتُ على عائشة رضي الله عنها بالمدينة ، فقالت : مَنْ أَنْتَ ؟ قلت :
 رجل من الأزد ، أسكن الكوفة ؛ قالت : أشهدتنا يومَ الحمل ؟ قلت :
 نعم ؛ قالت : أَلْنَا أُمَّ عَلِينَا ؟ قلتُ : عليكم ؛ قالت : أتعرف الذي يقول :
 * يَا أَمَّنَّا يَا خَيْرَ أُمَّةٍ نَعْلَمُ *

قلت : نعم ، ذاك ابنُ عمِّي ، فبكتُ حتى ظننتُ أنها لا تسكت .

حدثني عمر ، قال : حدثنا أبو الحسن ، عن أبي ليلى ، عن دينار بن
 العيزار ، قال : سمعت الأشر يقول : لقيتُ عبد الرحمن بن عتاب بن
 أسيد ، فلقيت أشدَّ الناس وأروغَه ، فعانقته ، فسقطنا إلى الأرض جميعاً ، ٣٢٠٢/١
 فننادى : « اقْتُلُونِي وَمَالِكًا » .

حدثني عمر قال : حدثنا أبو الحسن ، عن ابن أبي ليلى . عن دينار
 ابن العيزار ، قال : سمعت الأشر يقول : رأيت عبد الله بن حكيم بن حزام
 معه رايةُ قريش ؛ وعدى بن حاتم الطائي^(١) وهما يتصاولان كالفتحَين ،
 فتعاورَناه فقتلناه — يعني عبد الله — فطعن عبد الله عدياً ففقد عينه .

حدثني عمر ، قال : حدثنا أبو الحسن ، عن أبي مخنف ، عن عمه
 محمد بن مخنف ، قال : حدثني عدةٌ من أشياخ الحنابلة شهدوا الجمل ،
 قالوا : كانت رايةُ الأزد من أهل الكوفة مع مخنف بن سليم ، فقتل يومئذ .
 فتناول الراية من أهل بيته الصَّعْب وأخوه عبد الله بن سليم ، فقتلوا ، فأخذها
 العلاء بن عروة ، فكان الفتح ، وهى فى يده ، وكانت راية عبد القيس من
 أهل الكوفة مع القاسم بن مسلم ، فقتل وقتل معه زيد بن صوحان وسيحان
 ابن صوحان ؛ وأخذ الراية عدةٌ منهم فقتلوا ؛ منهم عبد الله بن ربة^(٢) ،

(١) ابن الأثير : « وهو يقاتل عدياً » .

(٢) ط : « رقية » تحريف ، وانظر ص ٥١٥ من هذا الجزء .

وراشد. ثم أخذها مُنْقَذ بن النُّعْمان ، فدفعها إلى ابنه مُرَّة بن منقذ ، فانقضى الأمر وهي في يده ، وكانت راية بكر بن وائل من أهل الكوفة في بني ذُهل ، كانت مع الحارث بن حسان بن خُوط الذُّهليّ ، فقال أبو العرفاء الرقاشيّ : أبقِ على نفسك وقومك ، فأقدم وقال : يا معشر بكر بن وائل ، إنّه لم يكن أحدٌ له من رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل منزلة صاحبكم ، فانصروه ، فأقدم ، فقتل وقتل ابنه وقتل خمسة إخوة له ، فقال له يومئذ بشر بن خُوط وهو يقاتل :

أنا ابنُ حَسَّانَ بنِ خُوطٍ وأبي رسولُ بَكْرِ كَلِّها إلى النَّبيِّ
وقال ابنه :

أُنْعَى الرَّئيسَ الحارثَ بنَ حَسَّانَ لَإِلِ ذُهلٍ وَلَإِلِ شَيبانٍ
وقال رجل من ذُهل :

تَنَعَّى لَنَا خَيْرَ امْرِئٍ مِنْ عَدَنانٍ عِنْدَ الطَّمانِ وَزِزالِ الأقرانِ
وقتل رجال من بني محدوج ، وكانت الرياسة لهم من أهل الكوفة ، وقتل من بني ذُهل خمسة وثلاثون رجلاً ، فقال رجل لأخيه وهو يقاتل : يا أخي ، ما أحسن قتالنا إن كنّا على حقّ ! قال : فإنّا على الحقّ ، إن الناس أخذوا يميناً وشمالاً ، وإنما تمسكنا بأهل بيت نبينا ، فقاتلّا حتى قتلّا . وكانت رياسة عبد القيس من أهل البصرة — وكانوا مع عليّ — لعمر بن مرحوم ، ورياسة بكر بن وائل لشقيق بن ثور ، والرياسة مع رِشاشة مولاة ، ورياسة الأزْد من أهل البصرة — وكانوا مع عائشة — لعبد الرحمن بن جُثم بن أبي حُنين الحمّاميّ — فيما حدثني عامر بن حفص ، ويقال لبصرة بن شيمان الحدّانيّ — والرياسة مع عمرو بن الأشرف العتكيّ ، فقتل وقتل معه ثلاثة عشر رجلاً من أهل بيته .

حدثني عمر ، قال : حدثنا أبو الحسن ، قال : حدثنا أبو ليلى ، عن أبي عكاشة الحمّديّ ، عن رفاعة البجليّ ، عن أبي البختريّ الطائيّ ، قال :

أطافت ضبّة والأزد بعاشة يومَ الحمل ، وإذا رجالٌ من الأزد يأخذون بعُرّ الحمل فيفتّونه ويشمّونه ، ويقولون : بعُرّ جملِ أمّنا ريحُه المسك ؛ ورجل من أصحاب عليّ يقاتل ويقول :

جَرَدْتُ سِنِي فِي رِجَالِ الْأَزْدِ أَضْرِبُ فِي كَهُولِهِمْ وَالْمُرْدِ
• كُلِّ طَوِيلِ السَّاعِدَيْنِ نَهْدِهِ •

وماج الناس بعضهم في بعض ، فصرخ صارخ : اعقروا الحمل ؛ فصرّ به بُجَيْرُ بْنُ دُلْجَةَ الضَّبِّيُّ من أهل الكوفة ، فقيل له : لِمَ عَقَرْتَهُ ؟ فقال : رأيتُ قَوْمِي يَقْتُلُونَ ، فخفتُ أَنْ يَفْتَنُوا ، ورجوتُ إِنْ عَقَرْتَهُ أَنْ يَبْقَى لَهُمْ بَقِيَّةٌ .

حدثني عمر ، قال : حدثنا أبو الحسن ، قال : حدثنا الصلت بن دينار ، قال : انتهى رجلٌ من بني عُقَيْلٍ إلى كعب بن سُور - رحمه الله - وهو مقتول ، فوضع زَجَّ رحمة في عينيه ، ثم خَضَخَصَهُ ، وقال : ما رأيتُ مالا قطّ أحكم نقداً منك .

حدثني عمر ، قال : حدثنا أبو الحسن ، قال : حدثنا عَوَانَةُ ، قال : اقْتَتَلُوا يَوْمَ الْحَمْلِ يَوْمًا إِلَى اللَّيْلِ ، فقال بعضهم :

شَفَى السَّيْفُ مِنْ زَيْدٍ وَهِنْدٍ نَفْسَنَا شَفَاءُ وَمِنْ عَيْنِي عَدِيَّ بْنَ حَاتِمٍ
صَبَرْنَا لَهُمْ يَوْمًا إِلَى اللَّيْلِ كُلَّهُ بَصْمُ الْقَتَا وَالْمُرْهَقَاتِ الصَّوَارِمِ

وقال ابن صامت :

يَا ضَبُّ سِيرِي فَإِنَّ الْأَرْضَ وَاسِعَةٌ عَلَى شِمَالِكَ إِنْ الْمَوْتَ بِالتَّوَالِي
كَتَبْتُ كَشَعَايَ الشَّمْسِ إِذْ طَلَعَتْ لَهَا أَتَى إِذَا مَا سَالَ دَفَاعُ
إِذَا تُقِيمُ لَكُمْ فِي كُلِّ مُعْتَرَكٍ بِالْمَشْرِفَةِ ضَرْبًا غَيْرَ إِبْدَاعِ

حدثنا العباس بن محمد ، قال : حدثنا رَوْحُ بْنُ عُبَادَةَ ، قال : حَدَّثَنَا رَوْحُ ، عَنْ أَبِي رَجَاءٍ ، قال : رأيتُ رجلاً قد اصْطَلِمَتْ أذُنُهُ ، قلت :

أَخْلَقَهُ ، أَمْ شَيْءٌ أَصَابَكَ ؟ قَالَ : أَحَدْتُكَ ؛ بَيْنَا أَنَا أَمْشِي بَيْنَ الْقَتْلَى
يَوْمَ الْجَمَلِ ، فَلِذَا رَجُلٌ يَتَفَحَّصُ بِرِجْلِهِ ^(١) ، وَهُوَ يَقُولُ :

لَقَدْ أَوْرَدَتْنا حَوْمَةَ الْمَوْتِ أَثْمُنًا فَلَمْ نَنْصَرِفْ إِلَّا وَنَحْنُ رِوَاهُ
أَطْمُنًا قَرِيشًا ضَلَّةً مِنْ حُلُومِنَا وَنُصَرَّتْنَا أَهْلَ الْحِجَازِ عَنْهُ
قُلْتُ : يَا عَبْدَ اللَّهِ ، قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، قَالَ : ادْنُ مِنِّي ، وَلَقِّنْنِي فَإِنِّ
فِي أُذُنِي وَقْرًا ، فَدَنَوْتُ مِنْهُ ، فَقَالَ لِي : مِمَّنْ أَنْتَ ؟ قُلْتُ : رَجُلٌ مِنَ الْكُوفَةِ ؛
فَوُتِبَ عَلَيَّ ، فَاصْطَلَمْتُ أُذُنِي كَمَا تَرَى ، ثُمَّ قَالَ : إِذَا لَقِيتَ أَمْلَكَ فَأَخْبِرْهَا
أَنْ تُعْمِرَ بِنَ الْأَهْلِ بْنِ الضَّبِيِّ فَتَعْمَلَ بِكَ هَذَا .

حَدَّثَنِي عُمَرُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْمُفَضَّلُ الرَّائِي
وَعَامِرُ بْنُ حَفْصٍ وَعَبْدُ الْمُجِيدِ الْأَسَدِيُّ ، قَالُوا : جُرِحَ يَوْمَ الْجَمَلِ عُمَيْرُ بْنُ
الْأَهْلِ بْنِ الضَّبِيِّ ، فَرَّ بِهِ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ عَلِيٍّ وَهُوَ فِي الْجَرْحَى ، فَقَالَ لَهُ
عُمَيْرُ : ادْنُ مِنِّي ، فَدَنَا مِنْهُ ، فَقَطَعَ أُذُنَهُ ، وَقَالَ عُمَيْرُ بْنُ الْأَهْلِ :

لَقَدْ أَوْرَدَتْنا حَوْمَةَ الْمَوْتِ أَثْمُنًا فَلَمْ نَنْصَرِفْ إِلَّا وَنَحْنُ رِوَاهُ
لَقَدْ كَانَ عَنْ نَصْرِ ابْنِ ضَبَّةَ أُمِّهِ وَشَيْعَتِهَا مَدْدُوحةً وَغَنَاءُ
أَطْعَمْنَا بَنِي تَيْمٍ بِنَ مَرَّةٍ شَقَوَةً وَهَلْ تَيْمٌ إِلَّا أَعْبَدُوا وَإِمَاءُ ! ٣٢٠٦/١

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ ، عَنْ شُعَيْبٍ ، عَنْ سَيْفٍ ، عَنْ الْمُقْدَامِ الْحَارِثِيِّ ،
قَالَ : كَانَ مَنَا رَجُلٌ يَدْعِي هَانِيَّ بْنَ خَطَّابٍ ، وَكَانَ مِمَّنْ غَزَا عُثْمَانَ ، وَلَمْ
يَشْهَدْ الْجَمَلَ ، فَلَمَّا سَمِعَ بِهَذَا الرَّجُلِ - يَعْنِي رَجَزَ الْقَاتِلِ :

* نَحْنُ بَنِي ضَبَّةَ أَصْحَابُ الْجَمَلِ *
^(٢)

فِي حَدِيثِ النَّاسِ ، نَقَضَ عَلَيْهِ وَهُوَ بِالْكُوفَةِ :

أَبَتْ شَيْوُخُ مَذْجِجٍ وَهَمْدَانُ أَلَّا يَرُدُّوا نَفْسًا كَمَا كَانَ
* خَلَقًا جَدِيدًا بَعْدَ خَلْقِ الرَّحْمَنِ *
٣٢٠٦/٢

(١) ابْنُ الْأَثِيرِ : « بِرِجْلِهِ » .

(٢) ط : « نَحْنُ بَنُو » ، وَأَنْظَرْ ص ٥١٨ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الصّعب بن عطية ، عن أبيه ، قال : جعل أبو الجرباء يومئذ يرتجز ويقول :

أَسَامِعُ أَنْتَ مَطِيعٌ لَعَلِّي مِنْ قَبْلِ أَنْ تَذُوقَ حَدَّ الْمَشْرِ فِي
وَحَاذِلٍ فِي الْحَقِّ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ أَغْرِفُ قَوْمًا لَسْتُ فِيهِ بِعَنَى

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالوا : كانت أمّ المؤمنين في حَلَقَةٍ من أهل النَّجْدَاتِ والبصائر من أَفْنَاءِ مُضَرَ ، فكان لا يأخذ أحد بالزّمام إلّا كان يحمل الرّاية واللواء لا يحسن تركها ، وكان لا يأخذها إلّا معروف عند المُطِيفِينَ بالجمل فينتسب لها : أنا فلان بن فلان ، فوالله إن كانوا لَيَقَاتِلُونَ عليه ؛ وإنه للموت لا يوصل إليه إلّا بِطَلِيبَةٍ وَعَنَتِ ، وما رame أحد من أصحاب عليّ إلّا قُتِلَ أو أَفْلَتَ ، ثم لم يَعدْ . ولما اختلط الناس بالقلب جاء عديّ بن حاتم فحمل عليه ، ففَقِئَتْ عينه ونكل ، فجاء الأشتر فحامله عبد الرحمن بن عتّاب بن أسيد وإنه لأَقْطَعَ مَسْرُوفَ ، فاعتنقه ، ثم جلد به الأرض عن دابته ، فاضطرب تحته ، فأفْلَتَ وهو جريض .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، قال : كان لا يجيء رجل فيأخذ بالزّمام حتّى يقول : أنا فلان بن فلان يا أمّ المؤمنين ، فجاء عبدُ الله بنُ الزّبير ، فقالت حين لم يتكلم : مَنْ أَنْتَ ؟ فقال : أنا عبد الله ، أنا ابن أختك ، قالت : واثْكُلْ أسماء ! — تعني أختها — وانتهى إلى الجمل الأشتر وعديّ بن حاتم ، فخرج عبد الله ابن حَكِيم بن حزام إلى الأشتر ، فمشى إليه الأشتر ، فاختلفا ضربتين ، فقتله الأشتر ، ومشى إليه عبد الله بن الزّبير ، فضربه الأشتر على رأسه ، فجرحه جرحاً شديداً ، وضرب عبد الله الأشتر ضربة خفيفة ، واعتنق كل واحد منهما صاحبه ، ونحراً إلى الأرض يعتركان ، فقال عبد الله بن الزّبير : « اقْتُلُونِي وَمَا لَكَا » .

وكان مالك يقول : ما أحبّ أن يكون قال : « والأشتر » وأنّ لي حُمر

النَّعَمَ . وشدَّ أناس من أصحاب عليٍّ وأصحاب عائشة فافترقا ، وتنقذ كل واحد من الفريقين صاحبه .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الصَّعْب بن عطية ، عن أبيه ، قال : وجاء محمد بن طلحة فأخذ بزمام الحمل ، فقال : يا أمتاه ، مُرِّبِي بِأَمْرِكَ . قالت : آمركُ أن تكون كخير^(١) بنى آدم إن تُرَكْتَ . قال : فحمل فجعل لا يَحْمِلُ عليه أحد إلا حمل عليه ويقول^(٢) : « حَم لا يُنْصَرُونَ » ، واجتمع عليه نفر ، فكلَّتهم ادعى قتله : المكعبر الأسدي ، والمكعبر الضبي ، ومعاوية بن شدَّاد العبَّسي ، وعفَّان بن الأشقر النصري ، فأنفذه بعضهم بالرمح ، ففي ذلك يقول قاتله منهم :

وَأَشْعَثَ قَوَامٍ بِآيَاتِ رَبِّهِ قَلِيلِ الْأَذَى فَمَا تَرَى الْعَيْنُ مُسْلِمٍ
هَتَكَتْ لَهُ بِالرَّمْحِ جَيْبَ قَبِيصِهِ فَخَرَّ صَرِيحًا لِلْيَدَيْنِ وَلِلْقَمِ
يَذْكُرُنِي حَمَّ وَالرَّمْحُ شَاجِرٌ فَهَلَا تَلَا حَمَّ قَبْلَ التَّقْدِمِ
عَلَى غَيْرِ شَيْءٍ غَيْرَ أَنْ لَيْسَ تَابِعًا عَلِيًّا وَمَنْ لَا يَتَّبِعِ الْحَقَّ يَنْدَمُ

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الصَّعْب بن عطية ، عن أبيه ، قال : قال القعقاع بن عمرو للأشتر يولِّبه يومئذ : هل لك في العود؟ فلم يجبه . فقال : يا أشتر ، بعضنا أعلم بقتال بعض منك . فحمل القعقاع ، وإن الزمام مع زُفَر بن الحارث ، وكان آخر مَنْ أعقب في الزمام ، فلا والله ما بقي من بنى عامر يومئذ شيخ إلا أصيب قدام الحمل ، فقتل فيمن قُتل يومئذ ربيعة جدَّ إسحاق بن مسلم ، وزفر يرتجز ويقول :

يَا أَمْنَا يَا عَيْشَ لَنْ تُرَاعِيَ كُلُّ بَنِيكَ بَطَلٌ شَجَاعُ
* لَيْسَ بَوَهَامٍ^(٣) وَلَا بِرَاعِي *

(١) ابن الأثير : « خير » .

(٢) ابن الأثير : « وقال » .

(٣) ابن الأثير : « بوهواه » .

وقام القعقاع يرتجز ويقول :

إِذَا وَرَدْنَا آجِنًا جَهْرُنَاهُ وَلَا يُطَاقُ وَرْدُ مَا مَنَعْنَاهُ
تَمَثَّلَهَا تَمَثَّلَا .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ،
قالا : كان من آخر من قاتل ذلك اليوم زُفَر بن الحارث ، فزحف إليه
القعقاع ، فلم يبق حول الجمل عامر مكنهل إلاّ أصيب ، يتسرعون إلى
الموت ، وقال القعقاع : يا بُحَيْر بن دُلْجَة ، صَحِّ بِقَوْمِكَ فَلْيَسْعُرُوا الْجَمَلَ
قَبْلَ أَنْ يَصَابُوا^(١) ، وتصاب أم المؤمنين ؛ فقال : يالَ ضَبَّة ، يا عمرو بن دُلْجَة ،
ادْعُ بِي إِلَيْكَ ؛ فدعا به ، فقال : أنا آمن حتى أرجع ؟ قال : نعم . قال :
فاجتث ساق البعير ، فرمى بنفسه على شِقِّهِ وجرجر البعير . وقال القعقاع لمن
يليه : أنتم آمنون . واجتمع هو وزُفَر على قِطْعِ بَطْنَانَ البعير ، وَحَمَلَا
الهُودَجَ فوضعا ، ثم أطافا به ، وتَفَارَّ مَنْ وراء ذلك من الناس .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الصعب بن عطية ،
عن أبيه ، قال : لما أَمْسَى النَّاسُ وَتَقَدَّمَ عَلَى وَأَحِيطَ بِالْجَمَلِ وَمَنْ حَوْلَهُ ،
وَعَقَّرَهُ بُجَيْر بن دُلْجَة ، وقال : إنكم آمنون ؛ كفَّ بعضُ الناس عن
بعض . وقال علىّ في ذلك حين أَمْسَى وانخَسَسَ عَنْهُمْ الْقِتَالُ :

إِلَيْكَ أَشْكُو عَجْرِي وَبُجْرِي وَمَعْشَرًا غَشَّوْا عَلَيَّ بَصْرِي
قَتَلْتُ مِنْهُمْ مُضْرًا بِمُضْرِي شَفَيْتُ نَفْسِي وَقَتَلْتُ مَعْشَرِي

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن إسماعيل بن أبي خالد ،
عن حكيم بن جابر ، قال : قال طلحة يومئذ : اللهم أعطِ عِثَانَ مَنْتَى حَتَّى
يَرْضَى ؛ فجاء سهم غَرَبٍ وهو واقف ، فَخَلَّ رَكْبَتَهُ بِالسَّرَجِ ، وَثَبَتْ
حَتَّى امْتَلَأَ مَوْزِجُهُ^(٢) دَمًا ، فَلَمَّا ثَقُلَ قَالَ لِمَوْلَاهُ : ارْدَقْنِي وَابْغْنِي مَكَانًا

(١) ابن الأثير : « تصابوا » .

(٢) الموزج : الخلف ، فارسي معرب .

لا أعرف فيه ، فلم أر كالיום شيخاً أضيّع دماً [منى] ^(١) . فركب مولاه وأمسكه وجعل يقول : قد لحقنا القوم ، حتى انتهى به إلى دار من دور البصرة خربة ، وأنزله في فيثها ، فمات في تلك الخربة ، ودفن رضى الله عنه في بني سعد .

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن البخترى العبدى ، عن أبيه ، قال : كانت ربيعة مع على يوم الجمل ثلث أهل الكوفة ، ونصف الناس يوم الوقعة ، وكانت تعبيتهم مضر ومضر ، وربيعه وربيعه ، واليمن واليمن ؛ فقال بنو صوحان : يا أمير المؤمنين ، ائذن لنا نقف عن مضر ؛ ففعل ، فأتى زيد فقيل له : ما يوقفك حيال الجمل وبحيال مضر ! الموت معك وبإزائك ، فاعتزل إلينا ؛ فقال : الموت نريد . فأصيبوا يومئذ ، وأفلت صغصعة من بينهم .

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الصعب بن عطية ، قال : كان رجل منا يدعى الحارث ، فقال يومئذ : يال مضر ؛ علام يقتل بعضكم بعضاً ! تبادرون لاندري إلا أننا إلى قضاء ، وما تكفون في ذلك .

٣٢١١/١

حدثني عبد الله بن أحمد ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني سليمان ، قال : حدثني عبد الله بن المبارك ، عن جرير ، قال : حدثني الزبير بن الحرث ، قال : حدثني شيخ من الحرامين يقال له أبو جبير ، قال : مررت بكعب بن سور وهو آخذ بخطام جمل عائشة رضى الله عنها يوم الجمل ، فقال : يا أبا جبير ، أنا والله كما قالت القائلة :

• بُنَى لَا تَبْنَ وَلَا تُقَاتِلْ •

فحدثني الزبير بن الحرث ، قال : مر به على وهو قتيل ، فقام عليه فقال : والله إنك - ما علمت - كنت لصلياً في الحق ، قاضياً بالعدل ، وكيّاً وكيّاً ؛ فأثني عليه .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن ابن صعصعة المزنيّ -
أو عن صعصعة - عن عمرو بن جأوان ، عن جرير بن أشرس ، قال : كان
القتال يومئذ في صدر النهار مع طلحة والزبير ، فانهزم الناس وعائشة تَوَقَّع
الصّلاح ، فلم يَفْجَأْهَا إِلَّا الناس ، فأحاطت بها مُضَرّ ، ووقف الناس للقتال ،
فكان القتال نصف النهار مع عائشة . وعلى . . . (١) كعب بن سُور
أخذ مصحفَ عائشة وعلى فبدر بين الصّفين يناشدهم الله عزّ وجلّ في
دمائهم ، وأعطى دِرْعَه فرمى بها تحته ، وأتى بترّسه فتكّبه ، فرشقوه ٣٢١٢/١
رِشْقاً (٢) واحداً ، فقتلوه رضي الله عنه ، ولم يُسهلْوهم أن شدّوا عليهم ،
والنّسح القتال ، فكان أول مقتول بين يدي عائشة من أهل الكوفة .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن مخلّد بن كثير ، عن
أبيه ، قال : أرسلنا مسلم بن عبد الله يدعو بني أبينا ، فرشقوه - كما صنع
القلب بكعب - رِشْقاً واحداً ، فقتلوه ، فكان أولّ من قتل بين يدي
أمير المؤمنين وعائشة رضي الله عنها ، فقالت أمّ مسلم ترثيه :

لَا هُمْ إِنْ مُسْلِمًا أَتَاهُمْ مُسْتَسْلِمًا لِلْمَوْتِ إِذْ دَعَاهُمْ
إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لَا يَخْشَاهُمْ فَرَمَلُوهُ مِنْ دَمٍ إِذْ جَاهُمْ (٣)
وَأَتَاهُمْ قَائِمَةٌ تَرَاهُمْ يَأْتَمِرُونَ النَّيَّ لَا نَهَاهُمْ

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الصّعب بن حكيم
ابن شريك ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال : لما انهزمت مجنّبتا الكوفة عشية الجمل ،
صاروا إلى القلب - وكان ابن يثربيّ قاضي البصرة قبل كعب بن سُور ،
فشهدهم هو وأخوه يوم الجمل ، وهما عبد الله وعمرو ، فكان واقفاً أمام الجمل
على فرس - فقال على : مَنْ رجل يحمل على الجمل ؟ فانتدب له هند بن
عمرو المراديّ ، فاعترضه ابن يثربيّ ، فاختلفا ضربتين ، فقتله ابن يثربيّ ،

(١) نقص في أصول ط .

(٢) رشقاً واحداً ، أى وجهاً واحداً .

(٣) رملوه : لطموه .

ثم حمل سَيْبَحَانُ بْنُ صُوحَانَ ، فاعترضه ابن يَثْرِبَ ، فاخْتَلَفَا ضَرْبَتَيْنِ فَقَتَلَهُ
ابن يَثْرِبَ ، ثم حمل عِلْبَاءُ بْنُ الْهَيْثَمِ ، فاعترضه ابن يَثْرِبَ ، فَقَتَلَهُ ، ثم حمل
صَعْصَعَةُ فَضْرِبَهُ ، فَقَتَلَ ثَلَاثَةَ أَجْهَزَ عَلَيْهِمْ فِي الْمَعْرَكَةِ : عِلْبَاءُ ، وَهَنْدُ ،
وَسَيْبَحَانُ ، وَارْتُثَ (١) صَعْصَعَةُ وَزَيْدُ ، فَمَاتَ أَحَدُهُمَا ، وَبَقِيَ الْآخَرُ .

٣٢١٣/١

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ ، عَنْ شُعَيْبٍ ، عَنْ سَيْفٍ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُحَمَّدٍ ،
عَنِ الشَّعْبِيِّ ، قَالَ : أَخَذَ الْخِطَامَ يَوْمَ الْجَمَلِ سَبْعُونَ رَجُلًا مِنْ قُرَيْشٍ ، كُلُّهُمْ
يُقْتَلُ وَهُوَ آخِذٌ بِالْخِطَامِ ، وَحَمَلُ الْأَشْتَرِ فاعترضه عبد الله بن الزبير ،
فاخْتَلَفَا ضَرْبَتَيْنِ ، ضَرَبَهُ الْأَشْتَرُ فَمَاتَ ، وَوَاتَّيَبَهُ عَبْدُ اللَّهِ ، فَاعْتَنَقَهُ فَعَزَّ بِهِ ،
وَجَعَلَ يَقُولُ : « اقْتُلُونِي وَمَا لَكُمْ » — وَكَانَ النَّاسُ لَا يَعْرِفُونَهُ بِمَالِكٍ ، وَلَوْ قَالَ :
« وَالْأَشْتَرُ » ، وَكَانَتْ لَهُ أَلْفُ نَفْسٍ مَا نَجَا مِنْهَا شَيْءٌ — وَمَا زَالَ يَضْطَرِبُ فِي
يَدَيْ عَبْدِ اللَّهِ حَتَّى أَفْلَسَتْ ، وَكَانَ الرَّجُلُ إِذَا حَمَلَ عَلَى الْجَمَلِ ثُمَّ نَجَا لَمْ يَبْعُدْ .
وَجَرِحَ يَوْمِئِذٍ مَرْوَانَ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّبِيرِ .

حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عُمَى ، قَالَ : حَدَّثَنِي
سُلَيْمَانَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ ، عَنْ جَرِيرِ بْنِ حَازِمٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي
مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي يَعْقُوبَ وَابْنُ عَوْنٍ ، عَنْ أَبِي رَجَاءٍ ، قَالَ : قَالَ يَوْمِئِذٍ عَمْرِو بْنُ
يَثْرِبَ الضُّبِّيُّ ؛ وَهُوَ أَخُو عَمِيرَةَ الْقَاضِي :

نَحْنُ بَنِي ضَبَّةَ أَصْحَابُ الْجَمَلِ (٢) نَزَلُ بِالْمَوْتِ إِذَا الْمَوْتُ نَزَلَ

وَزَادَ ابْنُ عَوْنٍ — وَلَيْسَ فِي حَدِيثِ ابْنِ أَبِي يَعْقُوبَ :

الْقَتْلُ أَحْلَى عِنْدَنَا مِنَ الْعَسَلِ نَنْعَى أَبْنَ عَفَّانَ بِأَطْرَافِ الْأَسَلِ

• رُدُّوْا عَلَيْنَا شَيْخَنَا ثُمَّ بَجَلْ •

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ ، عَنْ شُعَيْبٍ ، عَنْ سَيْفٍ ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ أَبِي هَنْدٍ ،
عَنْ شَيْخٍ مِنْ بَنِي ضَبَّةَ ، قَالَ : ارْتَجَزَ يَوْمِئِذٍ ابْنُ يَثْرِبَ :

٣٢١٤/١

أَنَا لِمَنْ أَنْكَرَنِي ابْنُ يَثْرِبَ قَاتِلُ عِلْبَاءٍ وَهَنْدِ الْجَمَلِيِّ

(١) ارْتُثَ ، أَيْ حَمَلَ جَرِيحًا .

(٢) ط : « بَنُو » ، وَانْظُرْ ص ٥١٨ .

• وأبْنِ لِصُوحَانَ عَلَى دِينَ عَلِيٍّ •

وقال : مَنْ يُبَارِزُ ؟ فَبَرَزَ لَهُ رَجُلٌ ، فَقَتَلَهُ ، ثُمَّ بَرَزَ لَهُ آخَرُ فَقَتَلْتَهُ ، وَارْتَجَزَ وَقَالَ :

أَقْتَلُهُمْ وَقَدْ أَرَى عَلِيًّا وَلَوْ أَشَاءُ أَوْجَرْتُهُ عَمْرِيًّا

فَبَرَزَ لَهُ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ ؛ وَإِنَّهُ لَأَضْعَفُ مَنْ بَارَزَهُ ، وَإِنَّ النَّاسَ لَيَسْتَرْجِعُونَ حِينَ قَامَ عَمَّارٌ ، وَأَنَا أَقُولُ لِعَمَّارٍ مِنْ ضَعْفِهِ : هَذَا وَاللَّهِ لَأَحَقُّ بِأَصْحَابِهِ ، وَكَانَ قَضِيْفًا^(١) ، حَمَشَسَ السَّاقِينَ^(٢) ، وَعَلَيْهِ سَيْفٌ حَمَالُهُ تَشَفَّ عَنْهُ^(٣) قَرِيبٌ مِنْ لِبَطَةٍ ، فَيَضْرِبُهُ ابْنُ يَثْرُبَ بَسِيفِهِ ، فَتَنْشِبُ فِي حَتَجَتِهِ^(٤) ، وَضَرْبُهُ عَمَّارٌ وَأَوْهَطُهُ ، وَرَمَى أَصْحَابُ عَلِيٍّ ابْنَ يَثْرُبَ بِالْحِجَارَةِ حَتَّى أَثَخَنُوهُ وَارْتَشَوْهُ . كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ ، عَنْ شَعِيبٍ ، عَنْ سَيْفٍ ، عَنْ حَمَّادِ الْبُرْجُمِيِّ ، عَنْ خَارِجَةِ بْنِ الصَّلْتِ ، قَالَ : لَمَّا قَالَ الضَّبِّيُّ يَوْمَ الْجَمَلِ :

نَحْنُ بَنِي ضَبَّةٍ أَصْحَابُ الْجَمَلِ^(٥) نَنْعَى أَبْنَ عَقَّانَ بِأَطْرَافِ الْأَسَلِ^(٦) رُدُّوا عَلَيْنَا شَيْخَنَا ثُمَّ يَجَلَّ^(٧)

قال عُثْمَيْرُ بْنُ أَبِي الْحَارِثِ :

كَيْفَ نَرُدُّ شَيْخَكُمْ وَقَدْ قَتَلْتُمْ^(٨) نَحْنُ ضَرَبْنَا صَدْرَهُ حَتَّى انْجَفَلَ^(٩)

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ ، عَنْ شَعِيبٍ ، عَنْ سَيْفٍ ، عَنْ الصَّعْبِ بْنِ حَكِيمٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ ، قَالَ : عَقَرَ الْجَمَلُ رَجُلًا مِنْ بَنِي ضَبَّةٍ يُقَالُ لَهُ : ٣٢١٥/١ ابْنُ دُلْجَةِ — عَمْرُو أَوْ بُجَيْرٍ — وَقَالَ فِي ذَلِكَ الْحَارِثُ بْنُ قَيْسٍ — وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ عَائِشَةَ :

(١) الْقَضِيْفُ : الدَّقِيقُ الْعَظِيمُ ، الْقَلِيلُ الْهَم .

(٢) جَمَشَسَ السَّاقِينَ : دَقِيقَهُمَا .

(٣) ط : « بِشَقَّةٍ قَائِمَةٍ » ، وَانْظُرِ التَّصْوِيبَاتِ .

(٤) الْحِجْفَةُ : الرِّسُّ ؛ قِيلَ : هُوَ مَا كَانَ مِنَ الْجُلُودِ خَاصَةً .

(٥) ط « نَحْنُ بَنُو » ، وَانْظُرِ ص ٥١٨ .

(٦) قَحْلٌ ؛ فَسَرَهُ صَاحِبُ اللِّسَانِ وَقَالَ : « أَيْ مَاتَ وَجَفَّ جِلْدُهُ » .

(٧) انْجَفَلَ ، أَيْ سَقَطَ .

نَحْنُ ضَرْبًا سَاقَهُ فَأَنْجَدَلَا مِنْ ضَرْبَةٍ بِالْغَفْرِ كَانَتْ فَيَصَلَا^(١)
لَوْ لَمْ نَكُونْ لِلرَّسُولِ ثَقَلًا وَحُرْمَةً لَأَقْتَسَمْنَا عُجَلًا
وَقَدْ نُحِلَ ذَلِكَ الْمُثَنَّى بْنُ مَخْرَمَةَ مِنْ أَصْحَابِ عَلِيٍّ .

• • •

شِدَّةُ الْقِتَالِ يَوْمَ الْجَمَلِ وَخَبْرُ أَعْيَنَ بْنِ ضُبَيْعَةَ وَاطْلَاعُهُ فِي الْمَوْجِ

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ ، عَنْ شُعَيْبٍ ، عَنْ سَيْفٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ نُؤَيْرَةَ ،
عَنْ أَبِي عُمَانَ ، قَالَ : قَالَ الْقَعْقَاعُ : مَا رَأَيْتُ شَيْئًا أَشْبَهَ بِشَيْءٍ مِنْ قِتَالِ الْقَلْبِ
يَوْمَ الْجَمَلِ بِقِتَالِ صِفِّينَ ، لَقَدْ رَأَيْتُنَا نُدَافِعُهُمْ بِأَسْنَتِنَا وَنَتَكَبَّرُ عَلَى أَرْجَتِنَا ،
وَهُمْ مِثْلُ ذَلِكَ حَتَّى لَوْ أَنَّ الرِّجَالَ مَشَتْ عَلَيْهَا لَأَسْتَقَلَّتْ بِهِمْ .

حَدَّثَنِي عَيْسَى بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَرْوَزِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ
الْحُسَيْنِ الْعُرْتِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَعْلَى الْأَسْلَمِيُّ ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ قَرْمٍ ،
عَنْ الْأَعْمَشِ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَنَانَ الْكَاهِلِيِّ ، قَالَ : لَمَّا كَانَ يَوْمُ الْجَمَلِ
تَرَامِينَا بِالنَّبْلِ حَتَّى فَتَنَيْتُ ، وَتَطَاعَنَّا بِالرَّمَاكِ حَتَّى تَشَبَّكَتْ فِي صُدُورِنَا وَصُدُورِهِمْ ،
حَتَّى لَوْ سِيرَتْ عَلَيْهَا الْخَيْلُ لَسَارَتْ ، ثُمَّ قَالَ عَلِيٌّ : السَّيْفُ يَا أَبْنَاءَ الْمُهَاجِرِينَ .
قَالَ الشَّيْخُ : فَمَا دَخَلْتُ دَارَ الْوَلِيدِ إِلَّا ذَكَرْتُ ذَلِكَ الْيَوْمَ .

حَدَّثَنِي عَبْدُ الْأَعْلَى بْنُ وَاصِلٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو فُكَيْمٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا
فَطْرٌ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا بَشِيرٍ قَالَ : كُنْتُ مَعَ مَوْلَايَ زَمَنَ الْجَمَلِ ، فَمَا
مَرَرْتُ بِدَارِ الْوَلِيدِ قَطُّ ، فَسَمِعْتُ أَصْوَاتَ الْقَصَّارِينَ يَضْرِبُونَ إِلَّا ذَكَرْتُ
قِتَالَهُمْ .

٣٢١٦/١

حَدَّثَنِي عَيْسَى بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَرْوَزِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ
الْحُسَيْنِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَعْلَى ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مُسْلِمٍ ، عَنْ عَيْسَى
ابْنِ حِطَّانٍ قَالَ : حَاصَّ النَّاسَ حَيْصَةُ^(٢) ، ثُمَّ رَجَعْنَا وَعَانِشَةُ عَلَى جَمَلٍ

(١) انجدل : خر إلى الأرض صريعاً .

(٢) في اللسان : « في حديث يرويه ابن عمر أنه ذكر قتالا وأمرأ فحاص المسلمون حيصه -

ويروى : فجاض جيصه - معناه واحد - أي جالوا جولة يطلبون الفرار » .

أحمر ، في هَوْدَجٍ أحمر ، ما شَبَّهَتْهُ إِلَّا بِالْقَنْفِذِ مِنَ النَّبْلِ .

حدَّثني عبد الله بن أحمد ، قال : حدَّثني أبي ؛ قال : حدَّثني سليمان ، قال : حدَّثني عبد الله ، قال : حدَّثني ابن عون ، عن أبي رجاء ، قال : ذكروا يومَ الحملِ فقلتُ : كأنِّي أنظر إلى خِدرِ عائشةَ كأنه قَنْفِذٌ مما رُمِيَ فيه من النَّبْلِ ، فقلتُ لأبي رجاء : أَقَاتَلْتَ يومَئذٍ ؟ قال : واللهِ لقد رَمَيْتُ بِأَسْهَمٍ فَمَا أُدْرِي مَا صَنَعْتَن .

كتب إلى السَّريِّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن راشد السُّلَمِيِّ ، عن ميسرة أبي جميلة ، أن محمد بن أبي بكر وعُمَارَ بن ياسر أَتَيَا عائشةَ وقد عُقِرَ الحملُ ، فقطعا غُرْضَةً ^(١) الرَّحْلُ ، واحتَمَمَا الهودجَ ، فنَحَّيَاهُ حتى أمرهما على فيه أمره بعد ؛ قال : أدخِلَاهَا البصرةَ ، فأدخِلَاهَا دارَ عبد الله بنِ خلفِ الحِزْزَاعِيِّ .

كتب إلى السَّريِّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالوا : أمر على نفراً بِحَمَلِ الهَوْدَجِ من بين القتلى ، وقد كان القَعْقَاعُ وَزُفَرُ بن الحارث أنزلَاهُ عن ظهر البعير ، فَوَضَعَاهُ إلى جَنْبِ البعير ، فأقبل محمد ٢٢١٧/١ ابن أبي بكر إليه ومعه نفر ، فأدخل يده فيه ، فقالت : مَنْ هذا ؟ قال : أَخوكِ الْبَرَّ ، قالت : عَقُوق . قال : عُمَارُ بن ياسر : كيف رأيتَ ضَرْبَ بَنِيكَ اليومَ يَا أُمُّهُ ؟ قالت : مَنْ أَنْتَ ؟ قال : أَنَا ابْنُكَ الْبَارُّ عُمَارُ ؛ قالت : لَسْتُ لَكَ بِأُمٍّ ؛ قال : بلى ، وإن كرهْتِ . قالت : فخرتم أن ظفرتم ، وأتيتم مثل ما نَقَصْتُم ، هيهات ؛ والله لن يظفر مَنْ كان هذا دَابَّةً . وأبرزوها بهَوْدَجِهَا من القتلى ، وَوَضَعُوهَا ليس قَرِبَهَا أَحَدٌ ، وَكَأَنَّ هَوْدَجَهَا فَرَخٌ مَقْصَبٌ ^(٢) ، مما فيه من النَّبْلِ ، وجاء أعين بن ضُبَيْعَةَ المجاشعِي حتى اطلع في الهودج ، فقالت : إِلَيْكَ لَعْنُكَ اللَّهُ ! فقال : والله ما أرى إِلَّا حُمَيْرَاءَ ؛ قالت : هَتَكَ اللَّهُ سِتْرَكَ ، وقطع يَدَكَ ، وأبْدَى عَوْرَتَكَ ! فَفُتِّلَ بالبصرة

(١) الغُرْضَةُ : التصدير ، وهو للرحل كالخزام للرجل .

(٢) ط : « معصب » ، والفرخ : الزرع إذا تهيأ للانشفاق بعد ما يطلع ، ومعصب ؛ أي ذو

وسُلب ، وقطعت يده ، ورُمى به عرياناً في خربة من خربات الأزد ، فانتهى إليها على ، فقال : أي أمه ، يغفر الله لنا ولكم ، قالت : غفر الله لنا ولكم .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الصعب بن حكيم ابن شريك ، عن أبيه ، عن جده ، قال : انتهى محمد بن أبي بكر ومعه عمار ، فقطع الأنساع عن الهودج ، واحتملاه ، فلما وضعاه أدخل محمد يده وقال : أخوك محمد ، فقالت : مذمم ، قال : يا أختي ، هل أصابك شيء ؟ قالت : ما أنت من ذلك^(١) ؟ قال : فمن إذا ! الضلال ؟ قالت : بل الهداة ، وانتهى إليها على ، فقال : كيف أنت يا أمه ؟ قالت : بخير ، قال : يغفر الله لك . قالت : ولك .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالا : ولما كان من آخر الليل خرج محمد بعائشة حتى أدخلها البصرة ، فأنزلها في دار عبد الله بن خلف الخزاعي على صفيّة ابنة الحارث بن طلحة بن أبي طلحة ابن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار ، وهي أم طلحة الطلحات بن عبد الله ابن خلف . ٢٢١٨/١

وكانت الواقعة يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين ، في قول الواقدي .

* * *

مقتل الزبير بن العوام رضي الله عنه

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الوليد بن عبد الله ، عن أبيه ، قال : لما انهزم الناس يوم الجمل عن طلحة والزبير ، ومضى الزبير رضي الله عنه حتى مر بعسكر الأحنف ، فلما رآه وأخبر به قال : والله ما هذا بخيار^(١) ، وقال للناس : من يأتينا بخبره ؟ فقال عمرو بن جرموز لأصحابه :

(١) ابن الأثير : « وذلك » .

(٢) أي باختيار له إنما اضطر إلى ذلك . والكلمة في أصول ط غير واضحة .

أنا ، فأتبعه ، فلما لحقه نظر إليه الزبير - وكان شديد الغضب - قال :
 ما وراءك ؟ قال : إنما أردت أن أسألك ؛ فقال غلام للزبير يُدعى عطية
 كان معه : إنه مُعِدٌّ ؛ فقال : ما يَهولك من رجل ! وحضرت الصلاة ، فقال
 ابن جُرْمُوز : الصلاة ؛ فقال : الزبير : الصلاة ، فتنزلا ، واستدبره ابن
 جُرْمُوز فطعنه من خلفه في جُرْبَان^(١) دِرْعِه ، فقتله ، وأخذ فرسه وخاتمه
 وسلاحه ، وختلى عن الغلام ، فدفعه بوادي السباع ؛ ورجع إلى الناس بالخبر .
 فأما الأحنف فقال : والله ما أدرى أحسنت أم أسأت ! ثم انحدر إلى عليّ
 وابن جُرْمُوز معه ، فدخل عليه ، فأخبره ، فدعا بالسيف ، فقال : سيف
 طالما جلّى الكرب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ! وبعث بذلك
 إلى عائشة ، ثم أقبل على الأحنف فقال : تربصت ؛ فقال : ما كنت أراى
 إلا قد أحسنت ، وبأمرك كان ما كان يا أمير المؤمنين ، فافقتُ فإنّ طريقك
 الذى سلكت بعيد ، وأنت إلى غداً أحوج منك أمس ، فاعرف إحسانى ،
 واستصيف مودتى لغداً ، ولا تقولنّ مثل هذا ، فإنى لم أزل لك ناصحاً .

• •

من انهزم يوم الجمل فاختنى ومضى فى البلاد

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالوا :
 ومضى الزبير فى صدر يوم الهزيمة راجلاً نحو المدينة ، فقتله ابن جُرْمُوز ،
 قالوا : وخرج عثبة بن أبى سفيان وعبد الرحمن ويحيى ابنا الحكم يوم الهزيمة ،
 قد شُجِّجوا^(٢) فى البلاد ، فلقوا عصمة بن أبير التيمى ، فقال : هل لكم فى
 الجوار ؟ قالوا : من أنت ؟ قال : عصمة بن أبير . قالوا : نعم ، قال :
 فأنتم فى جوارى إلى الخول ؛ فضى بهم ، ثم حسّاهم وأقام عليهم حتى برءوا ،
 ثم قال : اختاروا أحب بلد إليكم أبلغكموه ، قالوا : الشام ، فخرج بهم
 فى أربعمئة راكب من تيسم الرباب ، حتى إذا غلوا^(٣) فى بلاد كلب بدومة

(١) الجربان : الجيب .

(٢) يقال : شج المغازة يشجها أى قطعها .

(٣) غل فى البلاد : ذهب وأبعد ؛ ومثلها أوغل .

قَالُوا : قَدْ وَفَّيْتَ ذِمَّتَكَ وَذِمَّتَهُمْ ، وَقَضَيْتَ الَّذِي عَلَيْكَ فَارْجِعْ ، فَارْجِعْ .
وفى ذلك يقول الشاعر :

٣٢٢٠/١ وَفَى ابْنُ أَبِيزٍ وَالرَّمَّاحُ شَوَارِعُ بَالِ أَبِي الْعَاصِي وَفَاءُ مُذَكَّرًا

وأما ابن عامر فإنه خرج أيضًا مشجعًا ، فلتقاه رجل من بني حُرْقُوص يُدْعَى مُرِيًّا ، فدعاه للجوار ، فقال : نعم ، فأجاره وأقام عليه ، وقال : أى البلدان أحب إليك ؟ قال : دمشق ، فخرج به في ركب من بني حُرْقُوص حتى بلغوا به دمشق . وقال حارثةُ بن بدر - وكان مع عائشة ، وأصيب في الواقعة ابنه أو أخوه زراع (١) :

أتاني من الأنباء أن ابنَ عامِرٍ أناخَ وألقى في دِمَشْقَ العَراسِيَا

وأوى مَرْوَانُ بنَ الحَكَمِ إلى أهل بيت من عنزة يومَ الهزيمة ، فقال لهم : أَعْلِمُوا مالِكَ بنَ مِسمعَ بمكاني ، فَأَتَوْا مالِكًا فَأخبروه بمكانه ، فقال لأخيه مقاتل : كيف نصنع بهذا الرجل الذي قد بعث إلينا يُعَلِّمُنَا بمكانه ؟ قال : ابعث ابنَ أُخِي فَأَجِرْهُ ، وَالتمسوا له الأمان من عليّ ، فإن آمَنَ فذاك الذي نحبّ وإن لم يؤمنه خرجنا به وبأسيافنا ؛ فإن عرض له جالِدُنَا دُونَهُ بِأَسِيفِنَا ، فإِذَا أَن نَسْلَمَ ، وَإِذَا أَن نَهْلِكَ كَرَامًا . وقد استشار غيره من أهله من قَبْلُ في الذي استشار فيه مقاتلاً ، فنهاه ، فأخذ برأى أخيه ، وترك رأيهم ، فأرسل إليه فَأَنْزَلَهُ داره ، وعزم على منعه إن اضطر إلى ذلك ، وقال : الموت دون الجوار وفاءً ، وحفظ لهم بنو مَرْوَانَ ذلك بعد ، وانتفعوا به عندهم ، وشرّفوهم بذلك ، وأوى عبد الله بن الزبير إلى دار رجل من الأزد يُدْعَى زُبَيْرًا ؛ وقال : ائْتِ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ فَأَعْلِمُهَا بِمَكَانِي ، وَإِيَّاكَ أَنْ يَطْلُعَ عَلَى هَذَا مُحَمَّدُ بنِ أَبِي بَكْرٍ ، فَأَتَتْ عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَأخبرَها ، فقالت : عليّ بمحمد ، فقال : يا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ ، إنه قد نهاني أن يعلم به محمد ، فأرسلت إليه فقالت : اذهب مع هذا الرجل حتى تعجِشتَ بابنِ أُخْتِكَ ؛ فانطَلَقَ معه فدخل بالأزد

(١) ط : « وفى نسخة أخرى ذراع » . وفى الحواشي : ربما كانت « ذراع » . وانظر المشتبه للذهبي .

على ابن الزبير ، قال : جئتُك والله بما كرهتُ ، وأبتُ أم المؤمنين إلا ذلك ، فخرج عبدُ الله ومحمدُ وهما يتشاوران ، فذكر محمدُ عثمانَ فشتمه وشتم عبد الله محمدًا حتى انتهى إلى عائشة في دار عبد الله بن خلف - وكان عبد الله ابن خلف قبل يوم الجمل مع عائشة ، وقتل عثمانُ أخوه مع عليٍّ - وأرسلت عائشةُ في طلب من كان جريحًا فضمت منهم ناسًا ، وضمت مروانَ فيمن ضمت ، فكانوا في بيوت الدار .

كتب إلى السريِّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالوا : وغشي الوجوه عائشةُ وعليٌّ في عسكره ، ودخل القعقاع بن عمرو على عائشة في أول من دخل ، فسأله عليها ، فقالت : إني رأيت رجلين بالأمس اجتسدا بين يدي وارتجزا بكذا ، فهل تعرف كُفؤيك منهما ؟ قال : نعم ، ذاك الذي قال : « أَعقُ أمٌ نَعْلُمُ » ، وكذبَ والله ، إنك لأبرُّ أم نَعْلُمُ ، ولكن لم تطاعني . فقالت : والله لوددت أني متُّ قبل هذا اليوم بعشرين سنة . وخرج فأتى عليًّا فأخبره أن عائشة سألته ، فقال : ويحك ! من الرجلان ؟ قال : ذلك أبو هالة الذي يقول :

• كما أرى صاحبه عليًّا •

فقال : والله لوددت أني متُّ قبلَ هذا اليوم بعشرين سنة ، فكان قولُهما واحدًا .

كتب إلى السريِّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالوا : وتسلل الجرحى في جوف الليل ، ودخلَ البَصْرَةُ مَنْ كان يطيق الانبعاث منهم ، وسألت عائشةُ يومئذٍ عن عِدَّة من الناس ، منهم من كان معها ، ومنهم من كان عليها ، وقد غشيها الناس ، وهى في دار عبد الله بن خلف ، فكلما نعى لها منهم واحد قالت : يرحمهُ الله ، فقال لها رجل من أصحابها : كيف ذلك ؟ قالت : كذلك قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : فلانٌ في الجنة ، وفلانٌ في الجنة . وقال عليٌّ بن أبي طالب يومئذٍ : إني لأرجو ألا يكون أحد من هؤلاء نَقِيَ قلبه إلا أدخله الله الجنة .

كتب إلى السريِّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عطية ، عن أبي أيوب ، عن عليٍّ ، قال : ما نُزِّلَ على النبيِّ صلى الله عليه وسلم آية أفرح له من

قول الله عز وجل: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ (١) ، فقال صلى الله عليه وسلم : « ما أصاب المسلم في الدنيا من مصيبة في نفسه فبذنب ، وما يعفو الله عز وجل عنه أكثر ، وما أصابه في الدنيا فهو كفارة له وعفو منه لا يعتد عليه فيه عقوبة يوم القيامة ، وما عفا الله عز وجل عنه في الدنيا فقد عفا عنه ، والله أعظم من أن يعود في عفوهِ » .

• • •

توجع علىّ على قتلى الجمل ودفنهم وجمعه ما كان في العسكر والبعث به إلى البصرة

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالوا : وأقام علىّ بن أبي طالب في عسكره ثلاثة أيام لا يدخل البصرة ، ونُذِب الناس إلى موتاهم ، فخرجوا إليهم فدفنهم ، فطاف علىّ معهم في القتلى ، فلما أتى بكعب بن سور قال : زعمت (٢) أنما خرج معهم السفهاء ، وهذا الخبر قد تروى . وأتى عاتى عبد الرحمن بن عتاب فقال : هذا يعسوب القوم — يقول الذى كانوا يطيفون به — يعنى أنهم قد كانوا اجتمعوا عليه ، ورضوا به لصلاتهم . وجعل علىّ كلما مرّ برجل فيه خير قال : زعم من زعم أنه لم يخرج إلينا إلاّ الغوغاء ، هذا العابد المجتهد . وصلىّ على قتلاهم من أهل البصرة ، وعلى قتلاهم من أهل الكوفة ، وصلى على قريش من هؤلاء وهؤلاء ، فكانوا مدنيّين ومكّيّين ، ودفن علىّ الأطراف في قبر عظيم ، وجمع ما كان في العسكر من شيء ، ثم بعث به إلى مسجد البصرة ؛ أن من عرف شيئاً فليأخذه ، إلاّ سلاحاً كان في الخزانة عليه سيمّة السلطان ، فإنه لما بقى لم يعرف ، خذوا ما أجلبوا به عليكم من مال الله عز وجل ، لا يحلّ لمسلم

(١) سورة الشورى ٣٠ .

(٢) ابن الأثير والنويرى : « أزعم » .

من مال المسلم المتوفى شئاً ، وإنما كان ذلك السلاح في أيديهم من غير تنفيل^(١) من السلطان .

* * *

عدد قتلى الجمل

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالوا : كان قتلى الجمل حول الجمل عشرة آلاف ؛ نصفهم من أصحاب عليّ ، ونصفهم من أصحاب عائشة ؛ من الأزد ألفان ، ومن سائر اليمن خمسمائة ، ومن مضر ألفان ، وخمسمائة من قيس ، وخمسمائة من تميم ، وألف من بني ضبة ، وخمسمائة من بكر بن وائل . وقيل : قتل من أهل البصرة في المعركة الأولى خمسة آلاف ، وقتل من أهل البصرة في المعركة الثانية خمسة آلاف ، فذلك عشرة آلاف قتل من أهل البصرة ، ومن أهل الكوفة خمسة آلاف . قالوا : وقتل من بني عدى يومئذ سبعون شيخاً ، كلهم قد قرأ القرآن ، سوى الشباب ومن لم يقرأ القرآن .

وقالت عائشة رضي الله عنها : ما زلت أرجو النصر حتى خفيت أصوات بني عدى .

* * *

دخول عليّ على عائشة وما أمر به من العقوبة فيمن تناولها

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالوا : ودخل عليّ البصرة يوم الاثنين ، فانتهى إلى المسجد ، فصلى فيه ، ثم دخل البصرة ، فأتاه الناس ، ثم راح إلى عائشة على بغلته ، فلما انتهى إلى دار عبد الله بن خلف وهي أعظم دار بالبصرة ، وجد النساء يبكين على عبد الله وعثمان ابني خلف مع عائشة ، وصفية ابنة الحارث مختمة^(٢) تبكي ، فلما

٣٢٢٥/١

(١) ط : « تنفل » . (٢) مختمة ، أي وضعت الحمار على وجهها .

رأته قالت: يا عليّ، يا قاتلَ الأُحبة، يا مفرقَ الجمع، أَيْمَنَ اللهُ بِنَيْكٍ مِنْكَ كما أَيْمَنَتِ وَلَدَ عبدِ اللهِ مِنْهُ! فلم يردَّ عليها شيئاً، ولم يزل على حاله حتى دخل على عائشة، فسَلَّمَ عليها، وقعدَ عندَها، وقال لها: جَبَّهْتُنَا صَفِيَّةُ، أما إِنِّي لم أَرها منذ كانت جاريةً حتى اليوم، فلما خرج عليّ أَقبلت عليه فأعادت عليه الكلام، فكفَّ بغلته وقال: أَمَّا لَهْمَمْتُ - وأشار إلى الأبواب من الدار - أن أفتح هذا الباب وأقتلَ من فيه، ثم هذا فأقتلَ مَنْ فيه، ثم هذا فأقتلَ مَنْ فيه، فأخبر عليٌّ بمكانهم عندها، فتغافل عنهم - فسكت. فخرج عليٌّ، فقال رجل من الأزد: والله لا تُفْلِتُنَا هذه المرأة. فغضب وقال: صَهْ! ^(١) لا تَهْتِكُنْ سِرّاً، ولا تَدْخُلِي دَاراً، ولا تَهَيِّجِي أَمْرَةً بِأَذَى، وإن شِئْتُمْ أَعْرَاضَكُمْ، وسَفِهْنِ أَمْرَاءَكُمْ وصلِّحَاءَكُمْ، فإِنَّهُنَّ ضِعَافٌ؛ ولقد كنا نؤمر بالكفِّ عَنْهُنَّ، وإِنَّهُنَّ لِمُشْرَكَاتٌ، وإن الرجل ليكافئ المرأة ويتناولها بالضرب فيُعِيرُ بها عَقِبَهُ من بعده، فلا يبلغنني عن أحدٍ عرض لامرأة فأُنْكَلُ به شرار الناس. ومضى عليٌّ، فلَسَحِقَ به رجل، فقال: يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قام رجلان ممن لقيتُ عليَ الباب، فتناولا مَنْ هُوَ أَمْضُ لَكَ شَتِيمةً من صَفِيَّةٍ. قال: ويحك! لعلها عائشة. قال: نعم، قام رجلان منهم على باب الدار فقال أحدهما:

• جُرِيتِ عَنَّا أَمْنًا عَقُوقًا •

وقال الآخر:

• يَا أَمْنًا تُوْبِي فَقَدْ خَطِيتِ •

فبعث القعقاعَ بن عمرو إلى الباب، فأقبل بمن كان عليه، فأحالوا على رجلين، فقال: أَضْرِبْ أَعْنَاقَهُمَا، ثم قال: لَأَنْهَكَنَّهُمَا عَقُوبَةً. فضرَبَهُمَا مائةً مائةً، وأخرجَهُمَا من ثِيَابِهِمَا.

كتب إلى السريِّ، عن شعيب، عن سيف، عن الحارث بن حَصِيْرَةَ، عن أبي الكنود، قال: هما رجلان من أزد الكوفة يقال لهما عِجْلٌ وسعد ابنا عبد الله.

(١) ابن الأثير والتويري: «مه».

بيعة أهل البصرة علياً وقسمه ما في بيت المال عليهم

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالوا :
 بايع الأحنف من العشيّ لأنه كان خارجاً هو وبنو سعد ، ثم دخلوا جميعاً
 البصرة ، فبايع أهل البصرة على راياتهم ، وبايع عليّ أهل البصرة حتى الجرحى
 والمستأمنين ، فلما رجع مروان لحق بمعاوية . وقال قائلون : لم يبرح المدينة حتى فرغ
 من صيفين .

قالا : ولما فرغ عليّ من بيعة أهل البصرة نظر في بيت المال فإذا فيه
 ستمائة ألف وزيادة ، فقسمها على من شهد معه [الوقعة] ، فأصاب كلّ رجل
 منهم خمسمائة خمسمائة ، وقال : لكم إن أظفركم الله عزّ وجلّ بالشأم مثلها إلى
 أعطياتكم . وخاض في ذلك السبئية ، وطعنوا على عليّ من وراء وراء .

* * *

سيرة عليّ فيمن قاتل يوم الجمل

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن راشد ،
 عن أبيه ، قال : كان من سيرة عليّ ألاّ يقتل مدبراً ولا يذفّف^(١) على
 جريح ، ولا يكشف سترّاً ، ولا يأخذ مالا ؛ فقال قوم يومئذ : ما يحلّ لنا
 دماءهم ، ويحرّم علينا أموالهم ؟ فقال عليّ : القوم أمثالكم ، من صفح عنا
 فهو منا ، ونحن منه ، ومن لجّ حتى يصاب فقتاله منّي على الصدر والظهر ،
 وإنّ لكم في خمسهِ لغنّى ، فيومئذ تكلمت الخوارج .

* * *

بعثة الأشر إلى عائشة

بجمل أشتراه لها وخروجها من البصرة إلى مكة

حدثنا أبو كريب محمد بن العلاء ، قال : حدثنا يحيى بن آدم ، عن
 أبي بكر بن عيّاش ، عن عاصم بن كليب ، عن أبيه ، قال : لما فرغوا يوم

(١) لا يذفّف : لا يجهز .

الجمل أمرني الأشتر فانطلقت فاشترتُ له جملاً بسبعمائة درهم من رجل من
مَهْرَة ، فقال : انطلق به إلى عائشة فقل لها : بعث به إليك الأشتر مالكُ
ابن الحارث ، وقال : هذا عيوض من بعيرك ، فانطلقت به إليها ، فقلت :
مالكُ يقرئك السلام ويقول : إن هذا البعير مكان بعيرك ؛ قالت : لا سلم
الله عليه ؛ إذ قتل يتعسوب العرب - تنعى ابن طلحة - وصنع بابتى أختي
ما صنع ! قال : فرددته إلى الأشتر ، وأعلمته ، قال : فأخرج ذراعين
شعراوين ؛ وقال : أرادوا قتلى فما أصنع !

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالوا :
قصدت عائشة مكة فكان وجهها من البصرة ، وانصرف مروان والأسود بن
أبي البختري إلى المدينة من الطريق ، وأقامت عائشة بمكة إلى الحج ، ثم
رجعت إلى المدينة .

• • •

ما كتب به علي بن أبي طالب من الفتح إلى عامله بالكوفة

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالوا :
وكتب علي بالفتح إلى عامله بالكوفة حين كتب في أمرها وهو يومئذ بمكة :

من عبد الله علي أمير المؤمنين . أما بعد ، فإننا التقينا في النصف من
جمادى الآخرة بالخرية - فناء من أفنية البصرة - فأعطاهم الله عز وجل سنة
المسلمين ، وقتل منا ومنهم قتلى كثيرة ، وأصيب ممن أصيب منا ثمانية من المشي ،
وهند بن عمرو ، وعلياء بن المهيم ، وسبحان وزيد ابنا صوحان ، ومحدوج .

وكتب عبيد^(١) الله بن رافع . وكان الرسول زفر بن قيس إلى الكوفة
بالبشارة في جمادى الآخرة .

(١) ط : « عبد الله » ؛ والصواب ما أثبتته .

٣٢٢٩/١

أخذ على البيعة على الناس

وخبر زياد بن أبي سفيان وعبد الرحمن بن أبي بكر

وكان في البيعة: عليك عهد الله وميثاقه بالوفاء لتكونن لسليمان سليماً ، ولحربنا حرباً ، ولتكنفن عنا لسانك ويدك . وكان زياد بن أبي سفيان ممن اعتزل ولم يشهد المعركة ، قعد . وكان في بيت نافع بن الحارث ، وجاء عبد الرحمن ابن أبي بكر في المستأمنين مسلماً بعد ما فرغ على من البيعة ، فقال له علي : وعمك المتريص المقاعد بي ! فقال : والله يا أمير المؤمنين ، إنه لك لوآد ، وإنه على مسرتك لحريص ، ولكنه بلغني أنه يشتكي ، فأعلم لك علمه ثم آتيك . وكنتم علياً مكانه حتى استأمره ، فأمره أن يعلمه فأعلمه ، فقال علي : امش أُمّاهي فاهدني إليه ، ففعل ؛ فلما دخل عليه قال : تقاعدت عني ، وتربصت - ووضع يده على صدره ، وقال : هذا وجع بيتن - فاعتذر إليه زياد ، فقبل عنده واستشاره . وأراده علي على البصرة ، فقال : رجل من أهل بيتك يسكن إليه الناس ؛ فإنه أجدر أن يطمئنوا أو ينقادوا ، وسأكفيكه وأشير عليه . فافترقا على ابن عباس ، ورجع علي إلى منزله .

. . .

تأمر ابن عباس على البصرة وتولية زياد الخراج

وأمر ابن عباس على البصرة ، وولى زياداً الخراج وبيت المال ، وأمر ابن عباس أن يسمع منه ، فكان ابن عباس يقول : استشرته عند هنة كانت من الناس ، فقال : إن كنت تعلم أنك على الحق ، وأن من خالفك على الباطل ، أشرت عليك بما ينبغي ، وإن كنت لا تدري ، أشرت عليك بما ينبغي كذلك . فقلت : إني على الحق ، وإنهم على الباطل ، فقال : اضرب بمن أطاعك من عصاك ومن ترك أمرك ، فإن كان أعز للإسلام وأصلح له أن يضرب عنقه فاضرب عنقه . فاستكتبته ، فلما ولّي رأيت ما صنع ، وعلمت أنه قد اجتهد لي رأيه ، وأعجلت السبئية علياً عن المقام ، وارتحلوا بغير إذنه ،

٣٢٣٠/١

فارتحل في آثارهم ليقطع عليهم أمراً إن كانوا أرادوه ، وقد كان له فيها مقام .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالوا : علم أهل المدينة بيوم الحمل يوم الخميس قبل أن تغرب الشمس من نسّر مرّاً بما حول المدينة ، معه شيء متعلقه ، فتأملته الناس فوقع ، فإذا كفّ فيها خاتم ، نقشه « عبد الرحمن بن عتاب » ، وجفل من بين مكة والمدينة من أهل البصرة ، من قرّب من البصرة أو بعد ، وقد علموا بالوقعة مما ينقل إليهم النُشور من الأيدي والأقدام .

* * *

تجهيز علي عليه السلام عائشة رضي الله عنها من البصرة

٢٢٣١/١

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالوا : وجهز علي عائشة بكل شيء ينبغي لها من مركب أو زاد أو متاع ، وأخرج معها كل من نجا ممن خرج معها إلا من أحب المقام ، واختار لها أربعين امرأة من نساء أهل البصرة المعروفات ، وقال : تجهزي يا محمد ، فبلغها ، فلما كان اليوم الذي ترحل فيه ، جاءها حتى وقف لها ، وحضر الناس ، فخرجت على الناس وودّعوها وودّعتهن ، وقالت : يا بتي ، تَعَتَّبْ بعضنا على بعض استبطاء واستزادة ، فلا يعتدّن أحد منكم على أحد بشيء بلغه من ذلك ؛ إنه والله ما كان بيني وبين علي في القديم إلا ما يكون بين المرأة وأحمائها ؛ وإنه عندي على معتبتي من الأخيار . وقال علي : يا أيها الناس ، صدقت والله وبررت ، ما كان بيني وبينها إلا ذلك ، وإنما لزوجة نبيكم صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة .

وخرجت يوم السبت لغرة رجب سنة ست وثلاثين ، وشيعها علي أميالا ، وسرح بنه معها يوماً .

* * *

ما روى من كثرة القتلى يوم الجمل

حدثني عمر بن شبة ، قال : حدثنا أبو الحسن ، قال : حدثنا محمد ابن الفضل بن عطية الخراساني ، عن سعيد القطعي ، قال : كنا نتحدث أن قتلى الجمل يزيدون على ستة آلاف .

حدثني عبد الله بن أحمد بن شيوه ، قال : حدثني أبي ، قال : ٢٢٢٢/١ حدثنا سليمان بن صالح ، قال : حدثني عبد الله ، عن جرير بن حازم ، قال : حدثني الزبير بن الحريث ، عن أبي لبيد لمازة بن زياد ، قال : قلت له : لم تسب علياً ؟ قال : ألا أسب رجلاً قتل منا ألفين وخمسمائة ، والشمس ها هنا ! قال جرير بن حازم : سمعت ابن أبي يعقوب يقول : قتل علي بن أبي طالب يوم الجمل ألفين وخمسمائة ؛ ألف وثلثمائة وخمسون من الأزد وثمانمائة من بني ضبة ، وثلثمائة وخمسون من سائر الناس .

وحدثني أبي ، عن سليمان ، عن عبد الله ، عن جرير ، قال : قتل المعرض بن عياط يوم الجمل ، فقال أخوه الحجاج :

لَمْ أَرْ يَوْمًا كَانَ أَكْثَرَ سَاعِيًا بِكَفِّ شِمَالٍ فَارَقَتْهَا يَمِينُهَا

قال معاذ : وحدثني عبد الله ، قال : قال جرير : قتل المعرض بن عياط يوم الجمل ، فقال أخوه الحجاج :

لَمْ أَرْ يَوْمًا كَانَ أَكْثَرَ سَاعِيًا بِكَفِّ شِمَالٍ فَارَقَتْهَا يَمِينُهَا

* * *

ما قال عمار بن ياسر لعائشة حين فرغ من الجمل

حدثني عبد الله بن أحمد ، قال : حدثني أبي ، عن سليمان ، قال : حدثني عبد الله ، عن جرير بن حازم ، قال : سمعت أبا يزيد المدني يقول : قال عمار بن ياسر لعائشة - رضى الله عنها - حين فرغ القوم : يا أم المؤمنين ، ٢٢٢٣/١ ما أبعد هذا المسير من العهد الذى عهد إليك ! قالت : أبو اليقظان ! قال :

نعم ، قالت : والله إنك — ما علمت — قوَال بالحق ؛ قال : الحمد لله الذى قضى لى على لسانك .

* * *

آخر حديث الجمل

بعثة على بن أبى طالب قيس بن سعد بن عبادة أميراً على مصر

وفى هذه السنة — أعنى سنة ست وثلاثين — قُتِلَ محمد بن أبى حذيفة ، وكان سبب قتله أنه لما خرج المصريون إلى عثمان مع محمد بن أبى بكر ، أقام بمصر ، وأخرج عنها عبد الله بن سعد بن أبى سرح ، وضبطها ، فلم يزل بها مقيماً حتى قُتِلَ عثمان رضى الله عنه ، وبويع لعلّ ، وأظهر معاوية الخلفاء ، وبايعه على ذلك عمرو بن العاص ، فسار معاوية وعمرو إلى محمد بن أبى حذيفة قبل قدوم قيس بن سعد مصر ، فعالجا دخول مصر ، فلم يقدر على ذلك ، فلم يزلوا يخذعان محمد بن أبى حذيفة حتى خرج إلى عريش مصر فى ألف رجل ، فتحصّن بها ، وجاءه عمرو فنصب المنجنيق عليه حتى نزل فى ثلاثين من أصحابه وأخذوا وقتلوا رحمهم الله .

وأما هشام بن محمد فإنه ذكر أن أبا مخنف لوط بن يحيى بن سعيد ابن مخنف بن سليم ، حدثه عن محمد بن يوسف الأنصارى من بنى الحارث بن الخزرج ، عن عباس بن سهل الساعدي أن محمد بن أبى حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف هو الذى كان سَرَبَ المصريين إلى عثمان بن عفان ، وإنهم لما ساروا إلى عثمان فحصره وثب هو بمصر على عبد الله بن سعد بن أبى سرح أحد بنى عامر بن لؤى القرشى ، وهو عامل عثمان يومئذ على مصر ، فطرده منها ، وصلّى بالناس ، فخرج عبد الله ابن سعد من مصر فترّل على تُخوم أرض مصر مما يلي فلسطين ، فانتظر ما يكون من أمر عثمان ، فطلع راكباً فقال : يا عبد الله ، ما وراءك ؟ خبرنا بخبر الناس خلفك ؛ قال : أفعل ، قتل المسلمون عثمان رضى الله عنه ، فقال عبد الله بن سعد : ﴿ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ ، يا عبد الله ، ثم صنعوا

ماذا ؟ قال : ثم بايعوا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب ، قال عبد الله بن سعد : ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ ^(١) ، قال له الرجل : كأن ولاية علي بن أبي طالب عدلت عندك قتل عثمان ! قال : أجل . قال : فنظر إليه الرجل ، فتأمله فعرفه وقال : كأنتك عبد الله بن أبي سرح أمير مصر ! قال : أجل ؛ قال له الرجل : فإن كان لك في نفسك حاجة فالنَّجاء النجاء ، فإن رأى أمير المؤمنين فيك وفي أصحابك سيئ ، إن ظفر بكم قتلكم أو نفاكم عن بلاد المسلمين ، وهذا بعدى أمير يقدم عليك . قال له عبد الله : ومن هذا الأمير ؟ قال : قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري ؛ قال عبد الله بن سعد : أبعد الله محمد بن أبي حذيفة ! فإنه بغى على ابن عمه ، وسعى عليه ، وقد كان كفله ورباه وأحسن إليه ، فأساء جواره ، ووثب على عماله ، وجهز الرجال إليه حتى قتل ، ثم ولى عليه من هو أبعد منه ومن عثمان ، لم يمتعه بسلطان بلاده حولا ولا شهراً ، ولم يره لذلك أهلا ، فقال له الرجل : انج بنفسك ، لا تقتل . فخرج عبد الله بن سعد هارباً حتى قدم على معاوية ابن أبي سفيان دمشق .

قال أبو جعفر : فخبّر هشام هذا يدل على أن قيس بن سعد ولى مصر ومحمد بن أبي حذيفة حي .

• • •

وفي هذه السنة بعث علي بن أبي طالب على مصر قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري ، فكان من أمره ما ذكر هشام بن محمد الكلبي ، قال : حدثني أبو مخنف ، عن محمد بن يوسف بن ثابت ، عن سهل بن سعد ، قال : لما قُتِل عثمان رضي الله عنه وولى علي بن أبي طالب الأمر ، دعا قيس ابن سعد الأنصاري فقال له : سر إلى مصر فقد وليتكمها ، واخرج إلى

رحلك، واجمع إليك^(١) ثقتاك ومن أحببت أن يصحبك حتى تأتيها ومعك جند، فإن ذلك أربع لعدوك وأعزّ لوليّك، فإذا أنت قد متها إن شاء الله فأحسن إلى المحسن، واشتد^(٢) على المريب، وارفق بالعامّة والخاصّة، فإن الرفق يُمّن.

فقال له قيس بن سعد: رحمك الله يا أمير المؤمنين! فقد فهمت ما قلت، أمّا قولك: أخرج إليها بجند، فوالله لئن لم أدخلها إلّا بجند آتيتها به من المدينة لا أدخلها أبداً، فأنا أدعُ ذلك الجند لك، فإن أنت احتجت إليهم كانوا منك قريباً، وإن أردت أن تبعثهم إلى وجه من وجوهك كانوا عدّة لك، وأنا أصير إليها بنفسيّ وأهل بيتيّ. وأمّا ما أوصيتني به من الرفق والإحسان، فإنّ الله عزّ وجلّ هو المستعان على ذلك.

قال: فخرج قيس بن سعد في سبعة نفر من أصحابه حتى دخل مصر، فصعد المنبر، فجلس عليه، وأمر بكتاب معه من أمير المؤمنين فقرأ على أهل مصر:

بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله على أمير المؤمنين إلى من بلغه كتابي هذا من المؤمنين والمسلمين. سلامٌ عليكم، فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو. أمّا بعد، فإنّ الله عزّ وجلّ بحسن صنعه وتقديره وتديره، اختار الإسلام ديناً لنفسه وملائكته ورسله، وبعث به الرّسل عليهم السلام إلى عباده، وخصّ به من انتخب من خلقه، فكان مما أكرم الله عزّ وجلّ به هذه الأمة، وخصّهم به من الفضيلة أن بعث إليهم محمداً صلى الله عليه وسلم، فعلمهم الكتاب والحكمة والفرائض والسنة، لكيما يهتدوا، وجمعهم لكيما لا يتفرّقوا، وزكّاهم لكيما يتطهّروا، ورفعهم لكيما لا يجوروا، فلما قضى من ذلك ما عليه قبضه الله عزّ وجلّ صلوات الله عليه ورحمته وبركاته. ثمّ إنّ المسلمين استخلفوا به أميرين صالحين، عملاً بالكتاب والسنة، وأحسنّا السيرة، ولم يعدوا السنة، ثمّ توفاهما الله عزّ وجلّ، رضى الله عنهما. ثمّ وليّ

(١) كذا في ابن الأثير والنويري، وفي ط: «إليه».

(٢) النويري: «واشدد».

بعدهما وال فأحدث أحداثاً ، فوجدت الأمة عليه مقالا فقالوا ، ثم نقموا عليه فغيّروا ، ثم جاءوني فبايعوني ، فأستهدى الله عز وجل بالهذى ، وأستعينه على التقوى . ألا وإن لكم علينا العمل بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، والقيام عليكم بحقه والتنفيذ لسنة ، والنصح لكم بالغيب ، والله المستعان ، وحسبنا الله ونعم الوكيل . وقد بعثت إليكم قيس بن سعد بن عبادة أميراً ، فوازيروه وكانفوه ، وأعينوه على الحق ، وقد أمرته بالإحسان إلى محسنكم ، والشدة على مُريبكم ، والرفق بعوامكم وخواصكم ، وهو ممن أرضى هديته ، وأرجو صلاحه ونصيحته . أسأل الله عز وجل لنا ولكم عملاً زاكياً ، وثواباً جزيلاً ، ورحمةً واسعة ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وكتب عبيد الله بن أبي رافع في صفر سنة ست وثلاثين .

قال : ثم إن قيس بن سعد قام خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على محمد صلى الله عليه وسلم ، وقال : الحمد لله الذي جاء بالحق ، وأمات الباطل ، وكبت الظالمين . أيّها الناس ، إنا قد بايعنا خير من نعلم بعد محمد نبينا صلى الله عليه وسلم ، فقوموا أيّها الناس فبايعوا ^(١) على كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، فإن نحن لم نعمل لكم بذلك فلا بيعة لنا عليكم .

فقام الناس فبايعوا ، واستقامت له مصر ، وبعث عليها عماله ، إلا أن قريةً منها يقال لها : «خَيْرُ بَتَا» فيها أناس قد أعظموا قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وبها ^(٢) رجل من كنانة ثم من بني مُدْلَج يقال له يزيد بن الحارث من بني الحارث بن مُدْلَج . فبعث هؤلاء إلى قيس بن سعد : إنا لا نقاتلك فابعث عمالك ، فالأرض أرضك ، ولكن أقرنا على حالنا حتى ننظر إلى ما يصير أمر الناس .

قال : ووثب مسلمة بن مخلد الأنصاري ، ثم من ساعده من رهط قيس ابن سعد ، ففنى عثمان بن عفان رضي الله عنه ، ودعا إلى الطلب بدمه ، فأرسل

(١) ابن الأثير والنويري : « فبايعوه » .

(٢) ابن الأثير والنويري : « عليهم » .

إليه قيس بن سعد : ويحك ، على^(١) تَشَبَّ ! فوالله ما أحبُّ أن لي ملك الشام إلى مصرَ وأنى قتلتك . فبعث إليه مسلمة : إني كافُّ عنك ما دمت أنت وإلى مصر .

قال : وكان قيس بن سعد له حزم ورأى ، فبعث إلى الذين يَخْرِبُتَا : إني لا أكرهكم على البيعة ، وأنا أدعُكم وأكفُّ عنكم . فهادتَهُم وهادَنَ مسلمة بن مخلد ، وجبَى الخراج ، ليس أحد من الناس ينارعه .

قال : وخرج أمير المؤمنين إلى أهل الجمل وهو على مصر ، ورجع إلى الكوفة من البصرة وهو بمكانه ، فكان أثقلَ خلق الله على معاوية بن أبي سفيان لقربه من الشام ، مخافة أن يُقبِلَ إليه على^٢ في أهل العراق ، ويُقبِلَ إليه قيس بن سعد في أهل مصر ، فيقع معاوية بينهما .

وكتب معاوية بن أبي سفيان إلى قيس بن سعد - وعلى^٣ بن أبي طالب يومئذ بالكوفة قبل أن يسير إلى صِفَين :

من معاوية بن أبي سفيان إلى قيس بن سعد . سلام عليك ، أما بعد ، فإنكم إن كنتم نقستم على عثمان بن عفان رضى الله عنه في أُنُوقِ رأيتموها ، أو ضربة سوط ضربها ، أو شتمة رجل ، أو في تسييره آخر ، أو في استعماله ٣٢٣٩/١ الفُتَى ، فإنكم قد علمتم - إن كنتم تعلمون - أن دمه لم يكن يحل لكم ، فقد ركبتم عظيمًا من الأمر ، وجئتم شيئًا إدا^(٢) ، فنبأ إلى الله عز وجل يا قيس ابن سعد . فإنك كنت في المجلبين على عثمان بن عفان - إن كانت التوبة من قتل المؤمن تُغْنِي شيئًا - فأما صاحبك فلإنا استيقنا أنه الذى أغرَى به الناس ، وحملهم على قتله حتى قتلوه ، وأنه لم يسلم من دمه عظم قومك ، فإن استطعت يا قيس أن تكون ممن يطلب بدم عثمان فافعل . تابِعْنَا على أمرنا ، ولك سلطانُ العراقين إذا ظهرت ما بقيت ، ولمن أحببت من أهل بيتك سلطان الحجاز ما دام لي سلطان ، وسلنى غير هذا مما تحب ، فإنك لا تسألنى

(١) ابن الأثير والنويرى : « أعلى ! » .

(٢) ابن الأثير والنويرى : « إمرأ » .

شيئاً إلا أوتيته ، واكتب إلى برأيك فيما كتبت به إليك . والسلام .
فلما جاءه كتاب معاوية أحب أن يدافعه ولا يبدى له أمره ، ولا يتعجل له حربه ، فكتب إليه :

أما بعد ، فقد بلغني كتابك ، وفهمت ما ذكرت فيه من قتل عثمان ، وذلك أمر لم أقارفه ، ولم أظف به . وذكرت أن صاحبي هو أغرى الناس بعثمان ، ودسهم إليه حتى قتلوه ، وهذا ما لم أطلع عليه ، وذكرت أن عظم عشريني لم تسلم من دم عثمان ، فأول الناس كان فيه قياماً عشريني . وأما ما سألتني من متابعتك ، وعرضت علي من الجزاء به ، فقد فهمته ، وهذا أمر ٣٢٤٠/١ لي فيه نظر وفكرة ، وليس هذا مما يسرع إليه ، وأنا كاف عنك ، ولن يأتيك من قبلي شيء تكرهه حتى ترى وفري إن شاء الله ، والمستجار الله عز وجل ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

قال : فلما قرأ معاوية كتابته ، لم يره إلا مقارباً مباعداً ، ولم يأمن أن يكون له في ذلك مباعداً مكايذاً ، فكتب إليه معاوية أيضاً :

أما بعد ، فقد قرأت كتابك ، فلم أرك تدنو فأعدك سلماً ، ولم أرك تباعد فأعدك حرباً ، أنت فيما هاهنا كخنك الجزور ، وليس مثلي يصانع المخادع ، ولا يستترع للمكايد ، ومعه عدد الرجال ، ويده أعتة الخيل ، والسلام عليك .

فلما قرأ قيس بن سعد كتاب معاوية ، ورأى أنه لا يقبل معه المدافعة والمماثلة ، أظهر له ذات نفسه ، فكتب إليه :

بسم الله الرحمن الرحيم . من قيس بن سعد ، إلى معاوية بن أبي سفيان . أما بعد ، فإن العجب من اغترارك بي ، وطمعك في ، واستسقاطك رأيي . أتسومني الخروج من طاعة أولى الناس بالإمرة ، وأقولهم للحق ، وأهداهم سبيلاً ، وأقربهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيلة ، وتأمرنى بالدخول في طاعتك ، طاعة أبعد الناس من هذا الأمر ، وأقولهم للزور ، وأضلهم سبيلاً ، وأبعدهم من الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم وسيلة ، ولد ضالين مضلين ، ٣٢٤١/١ طاغوت من طواغيت إبليس ! وأما قولك إنى مالى عليك مصرخيلاً ورجلاً^(١)

فوالله إن لم أشغلك بنفسك حتى تكون نفسك أهم إليك ؛ إنك لذو جسد ، والسلام . فلما بلغ معاوية كتاب قيس أيس منه ، وثقل عليه مكانه .

* * *

حدثني عبد الله بن أحمد المروزي ، (١) قال : حدثني أبي (١) قال : حدثني سليمان ، قال : حدثني عبد الله ، عن يونس ، عن الزهري ، قال : كانت مصر من حين علي ، عليها قيس بن سعد بن عباد ، وكان صاحب راية الأنصار مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان من ذوى رأى والبأس ، وكان معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص جاهدين على أن يخرجاه من مصر ليغلبا عليها ، فكان قد امتنع فيها بالدعاء والمكايدة ، فلم يقدر عليه ، ولا على أن يفتتحها مصر ؛ حتى كاد معاوية قيس بن سعد من قبيل علي ، وكان معاوية يحدث رجالا من ذوى رأى من قریش يقول : ما ابتدعت مكايدة قط كانت أعجب عندي من مكايدة كدت بها قيساً من قبيل علي وهو بالعراق حين امتنع مني قيس . قلت لأهل الشام : لا تسبوا قيس بن سعد ، ولا تدعوا إلى غزوه ، فإنه لنا شيعة ، يأتينا (٢) كيئس نصيحته (٢) سرا . ألا ترون ما يفعل بإخوانكم الذين عنده من أهل خير بيتنا ، يُجرى عليهم أعطياتهم وأرزاقهم ، ويؤمن سربهم ؛ ويحسن إلى كل راكب قدم عليه منكم ، لا يستنكرونه في شيء !

٢٢٤٢/١

قال معاوية : وهمت أن أكتب بذلك إلى شيعتي من أهل العراق ، فيسمع بذلك جواسيس علي عندي وبالعراق . فبلغ ذلك علياً ، ونماه إليه محمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر بن أبي طالب . فلما بلغ ذلك علياً اتهم قيساً ، كتب إليه يأمره بقتال أهل خير بيتنا - وأهل خير بيتنا يومئذ عشرة آلاف - فأبى قيس بن سعد أن يقاتلهم ، وكتب إلى علي : إنهم وجوه أهل مصر وأشرفهم ، وأهل الحفاظ منهم ، وقد رضوا مني أن أؤمن سربهم ، وأجرى عليهم أعطياتهم وأرزاقهم ، وقد علمت أن هواهم مع معاوية ، فليست مكائدهم بأمر أهون علي وعليك من الذي أفعل بهم ، ولو أنى غزوتهم

(١-١) ساقط من ط ، وانظر ص ٥٥٥ .

(٢-٢) ابن الأثير : « قد أتينا كتبه ونصيحته » .

كانوا لى قِرْنَا ، وهم أَسود العرب ، ومنهم بُسُربن أبى ^(١)أرطاة ، ومسلمة بن مخلد ، ومعاوية بن حُديح ، فذَرْنى فأنا أعلم بما أدارى منهم . فأبى على إلا قتالهم ، وأبى قيس أن يقاتلهم .

فكتب قيس إلى على : إن كنت تتهمنى فاعزلنى عن عملك ، وابعث إليه غيرة . فبعث على الأشتر أميراً إلى مصر ، حتى إذا صار بالقازم شرب شربة عسل كان فيها حتفه . فبلغ حديثهم معاوية وعمر ، فقال عمرو : إن لله جُنْداً من عَسَل .

فلما بلغ علياً وفاة الأشتر بالقلزم بعث محمد بن أبى بكر أميراً على مصر . فالزهرى يذكر أن علياً بعث محمد بن أبى بكر أميراً على مصر بعد مهلك الأشتر بقلزم ، وأما هشام بن محمد ، فإنه ذكر فى خبره أن علياً بعث بالأشتر أميراً على مصر بعد مهلك محمد بن أبى بكر .

* * *

رجع الحديث إلى حديث هشام عن أبى مخنف : ولما أيس معاوية من قيس ٣٢٤٣/١ أن يتابعه على أمره ، شق عليه ذلك ، لما يعرف من حزمه وبأسه ، وأظهر للناس قبيله ؛ أن قيس بن سعد قد تابعكم ، فادعوا الله له ، وقرأ عليهم كتابه الذى لان له فيه وقاره . قال : واختلق معاوية كتاباً من قيس بن سعد ، فقرأه على أهل الشام :

بسم الله الرحمن الرحيم ، للأمير معاوية بن أبى سفيان من قيس بن سعد ، سلام عليك ، فإننى أحمد إليكم الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعد ، فإننى لما نظرت رأيت أنه لا يسعنى مظاهرة قوم قتلوا إمامهم مسلماً محرماً برّاً تقيّاً ، فنستغفر الله عز وجل لذنوبنا ، ونسأله العصمة لديتنا . ألا وإننى قد ألقيت إليكم بالسلم ، وإنى أجبتك إلى قتال قتلة عثمان ، إمام الهدى المظلوم ، فعول على فيما أحببت من الأموال والرجال أعجل عليك ، والسلام . فشاع فى أهل الشام أن قيس بن سعد قد بايع معاوية بن أبى سفيان ، فسرحت عيون على بن أبى طالب إليه بذلك ؛ فلما أتاه ذلك أعظمه وأكبره ،

وتعجب له ، ودعا بنيته ، ودعا عبد الله بن جعفر فأعلمهم ذلك ، فقال :
ما رأيكم ؟ فقال عبد الله بن جعفر : يا أمير المؤمنين ، دَعُ ما يَرِيكَ إلى
ما لا يَرِيكَ ، اعزِل قيساً عن مصر . قال لهم عليّ : إني والله ما أصدق
بهذا علي قيس^(١) ؛ فقال عبد الله : يا أمير المؤمنين ، اعزِله ، فوالله لئن كان
هذا حقاً لا يعتزل لك إن عزلته . ٣٢٤٤/١

فأنهم كذلك إذ جاء^(٢) كتاب من قيس بن سعد فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد ، فلإني أخبر أمير المؤمنين أكرمه الله
أن قبيلي رجالاً معتزلين قد سألوني أن أكف عنهم ، وأن أدعهم على حالهم
حتى يستقيم أمر الناس ، ففري ويروا رأيهم ، فقد رأيت أن أكف عنهم ،
والأنا أتعجل حربهم ، وأن أتاقتهم فيما بين ذلك لعل الله عز وجل أن يقبل
بقلوبهم ، ويفرقهم عن ضلالتهم ، إن شاء الله .

فقال عبد الله بن جعفر : يا أمير المؤمنين ، ما أخوفني أن يكون هذا
مما لا لهم منه ، فمره يا أمير المؤمنين بقتالهم ، فكتب إليه عليّ :

بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد ، فيسر إلى القوم الذين ذكرت ، فإن
دخلوا فيما دخل فيه المسلمون وإلا فناجزهم إن شاء الله .

فلما أتى قيس بن سعد الكتاب فقرأه ، لم يمالك أن كتب إلى أمير
المؤمنين :

أما بعد يا أمير المؤمنين ، فقد عجبت لأمرك ، أنا أمرني بقتال قوم كافيين
عنك ، مفرغيك لقتال عدوك ! وإنك متى حاربتهم ساعدوا عليك عدوك ،
فأطعني يا أمير المؤمنين ، واكف عنهم ، فإن الرأي تركهم ، والسلام .
فلما أتاه هذا الكتاب قال له عبد الله بن جعفر : يا أمير المؤمنين ،
ابعث محمد بن أبي بكر على مصر يكفك أمرها ، واعزِل قيساً ، والله لقد
بلغني أن قيساً يقول : والله إن سلطاناً لا يتم إلا بقتل مسلمة بن مخلد لسلطان
سوء ؛ والله ما أحب أن لي ملك الشام إلى مصر وأني قتلت ابن المخلد . قال : ٣٢٤٥/١

(١) ابن الأثير والنويري : « عنه » .

(٢) ابن الأثير : « جاءهم » .

وكان عبد الله بن جعفر أخا محمد بن أبي بكر لأُمته ، فبعث على محمد بن أبي بكر على مصر ، وعزل عنها قيساً .

ولاية محمد بن أبي بكر مصر

قال هشام ، عن ابن مخنف : فحدثني الحارث بن كعب الوالبيّ — من والبة الأزد — عن أبيه ، أن عليّاً كتب معه إلى أهل مصر كتاباً ، فلما قدم به على قيس قال له قيس : ما بال أمير المؤمنين ! ما غيره ؟ أدخل أحد بني وبينه ؟ قال له : لا ، وهذا السلطان سلطانك !؟ قال : لا ، والله لا أقيم معك ساعة واحدة . وغضب حين عزله ، فخرج منها مقيلاً إلى المدينة ، فقدّمها ، فجاءه حسان بن ثابت شامئاً به — وكان حسان عثمانياً — فقال له : نزعك على بن أبي طالب ، وقد قتلت عثمان فبقى عليك الإثم ، ولم يحسن لك الشكر ! فقال له قيس بن سعد : يا أعمى القلب والبصر ، والله لولا أن ألقى بين رهطى ورهطك حرباً لضربت عنقك ؛ أخرج عني .

ثم إن قيساً خرج هو وسهل بن حنيف حتى قدما على عليّ ، فخبّره قيس ؛ فصدقه عليّ . ثم إن قيساً وسهلاً شهدا مع عليّ صيفين .

وأما الزهرى ، فإنه قال فيما حدثني به عبد الله بن أحمد ، قال : حدثني

أبي ، قال ، حدثني سليمان ، قال : حدثني عبد الله ، عن يونس ، عن

الزهرى ، أن محمد بن أبي بكر قدم مصر وخرج قيس فلاحق بالمدينة ،

فأخافه مروان والأسود بن أبي البختري ، حتى إذا خاف أن يؤخذ أو يقتل ،

ركب راحلته ، فظهر إلى عليّ . فبعث معاوية إلى مروان والأسود يتغيظ عليهما ،

ويقول : أمددتما عليّاً بقيس بن سعد ورأيه ومكانه ، فوالله لو أتكما أمددتماه

بمائة ألف مقاتل ما كان ذلك بأغيظ لي من إخراجكما قيس بن سعد إلى

عليّ . فقدم قيس بن سعد على عليّ ، فلما باثته الحديث وجاءهم قتل محمد

ابن أبي بكر ، عرف أن قيس بن سعد كان يقاسى أموراً عظماً من المكابدة ،

وأن من كان يهزه^(١) على عزل قيس بن سعد لم ينصح له ، فأطاع عليّ قيس

ابن سعد في الأمر كله .

(١) يهزه ، أى يحشه ويدفعه .

قال هشام : عن أبي مخنف ، قال : حدثني الحارث بن كعب الوالبي ، عن أبيه ، قال : كنت مع محمد بن أبي بكر حين قدم مصر ، فلما قدم قرأ عليهم عهداً :

بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما عهد عبد الله على أمير المؤمنين ، إلى محمد بن أبي بكر حين ولاه مصر ، وأمره بتقوى الله والطاعة في السر والعلانية ، وخوف الله عز وجل في الغيب والمشهد ، وباللين على المسلمين ، وبالغلظة على الفاجر ، وبالعدل على أهل الذمة ، وبإنصاف المظلوم ، وبالشدة على الظالم ، وبالعفو عن الناس ، وبالإحسان ما استطاع ، والله يجزي المحسنين ، ويعذب المجرمين . وأمره أن يدعو من قبله إلى الطاعة والجماعة ، فإن لم في ذلك من العاقبة وعظيم الثوبة مالا يتقدرون قدره ، ولا يعرفون كنهه ، وأمره أن يجبي خراج الأرض على ما كانت تجبي عليه من قبل ، لا يستقص منه ولا يبتدع فيه ، ثم يقسمه بين أهله على ما كانوا يقسمون عليه من قبل ، وأن يلين لهم جناحه ، وأن يواسي بينهم في مجلسه ووجهه ، وليكن القريب والبعيد في الحق سواء . وأمره أن يحكم بين الناس بالحق ، وأن يقوم بالقسط ، ولا يتبع الهوى ، ولا يخفف في الله عز وجل لومة لائم ، فإن الله جل ثناؤه مع من اتقى وأثر طاعته وأمره على ما سواه .

وكتب عبيد الله بن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم لغرة شهر رمضان .

قال : ثم إن محمد بن أبي بكر قام خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : الحمد لله الذي هدانا لهذا الذي كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، وبصرنا وإياكم كثيراً مما عسى^(١) عنه الجاهلون . ألا إن أمير المؤمنين ولا في أموركم ، وعهد إلى ما قد سمعتم ، وأوصاني بكثير منه مشافهةً ، ولن آلوكم خيراً ما استطعت ، ﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ ، فإن يكن ماترون من إمارتي^(٢) وأعمالى طاعة الله وتقوى ، فاحمدوا الله عز وجل على ما كان

(١) ابن الأثير والنويري : « مما كان عسى » .

(٢) ابن الأثير والنويري : « من إمارتي له » .

من ذلك، فإنه هو الهادي، وإن رأيتم عاملاً عمل غير^(١) الحق زائغاً، فارفعوه ٣٢٤٨/١ إلى، وعاتبوني فيه، فلاني بذلك أسعد، وأنتم بذلك جديرون. وقتنا الله وإياكم لصالح الأعمال برحمته، ثم نزل.

وذكر هشام، عن أبي مخنف، قال: وحدهني يزيد بن ظبيان الحمداني، أن محمد بن أبي بكر كتب إلى معاوية بن أبي سفيان لما ولي؛ فذكر مكاتبات جرت بينهما كرهت ذكرها لما فيه مما لا يحتمل سماعها العامة. قال: ولم يلبث محمد بن أبي بكر شهراً كاملاً حتى بعث إلى أولئك القوم المعتزلين الذين كان قيس وأدعهم. فقال: يا هؤلاء! إما أن تدخلوا في طاعتنا، وإما أن تخرجوا من بلادنا، فبعثوا إليه: إنا لا نفعل، دعنا حتى ننظر إلى ما تصبر إليه من بلادنا، ولا تعجل بحربنا. فأبى عليهم، فامتنعوا منه، وأخذوا حذرهم، فكانت وقعة صفتين، وهم لمحمد هائبون، فلما أتاها صبر معاوية وأهل الشام لعل، وأن علياً وأهل العراق قد رجعوا عن معاوية وأهل الشام، وصار أمرهم إلى الحكومة، اجترأوا على محمد بن أبي بكر، وأظهروا له المبارزة، فلما رأى ذلك محمد بعث الحارث بن جهمان الجعفي إلى أهل خيبريتا، وفيها يزيد بن الحارث من بني كنانة، فقاتلهم، فقتلوه. ثم بعث إليهم رجلاً من كلب يدعى ابن مضاهم، فقتلوه.

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة فيما قيل: قدم ماهويه مرزبان مرو مقراً ٣٢٤٩/١ بالصلح الذي كان جرى بينه وبين ابن عامر على علي. ذكر من قال ذلك:

قال علي بن محمد المدائني، عن أبي زكرياء العجلاني، عن ابن إسحاق، عن أشياخه، قال: قدم ماهويه أبراز مرزبان مرو على علي بن أبي طالب بعد الجمل مقراً بالصلح، فكتب له علي كتاباً إلى دهاقين مرو والأساورة والهند سلارين ومن كان في مرو:

بسم الله الرحمن الرحيم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإن ماهويه أبراز مرزبان مرو جاءني، وإنني رضى.

(١) ابن الأثير والنويري: «بغير».

عنه . وكتب سنة ست وثلاثين . ثم إنهم كفروا وأغلَقُوا أَبْرَشَهْرَ .

* * *

توجيه على خُليد بن طَريف إلى خراسان

قال على بن محمد المدائني : أخبرنا أبو مخنف ، عن حنظلة بن الأعمى ، عن ماهان الحنفي ، عن الأصمغ بن نُبَّاتة المُجاشعي ، قال : بعث على خُليد بن قرة اليربوعي - ويقال خُليد بن طريف - إلى خراسان .

* * *

ذكر خبر عمرو بن العاص ومبايعته معاوية

وفي هذه السنة - أعنى سنة ست وثلاثين - بايع عمرو بن العاص معاوية ، ووافقه على محاربة على ، وكان السبب في ذلك ما كتب به إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وأبي حارثة وأبي عثمان ، قالوا : لما أحيط بعمان - رضى الله عنه - خرج عمرو بن العاص من المدينة متوجهاً نحو الشام ، وقال : والله يا أهل المدينة ، ما يقيم بها أحد فيدركه قتل هذا الرجل إلاّ ضربه الله عز وجل بذل ؛ من لم يستطع نصره فليهرب . فسار وسار معه ابنه عبد الله ومحمد ، وخرج بعده حسان بن ثابت ، وتتابع على ذلك ما شاء الله .

قال سيف ، عن أبي حارثة وأبي عثمان ، قالوا : بينا عمرو بن العاص جالس بعسجلان ومعه ابنه ، إذ مرّ بهم راكب فقالوا : من أين ؟ قال : من المدينة ، فقال عمرو : ما اسمك ؟ قال : حنصيرة . قال عمرو : حُصِرَ الرجل ، قال : فما الخبر ؟ قال : تركت الرجل محصوراً ؛ قال عمرو : يُقتل . ثم مكثوا أياماً ، فرّ بهم راكب ، فقالوا : من أين ؟ قال : من المدينة ؛ قال عمرو : ما اسمك ؟ قال : قتال ؛ قال عمرو : قُتِلَ الرجل ، فما الخبر ؟ قال : قُتِلَ الرجل . قال : ثم لم يكن إلّا ذلك إلى أن خرجت ، ثم مكثوا أياماً ، فرّ بهم راكب ، فقالوا : من أين ؟ قال : من المدينة ؛ قال عمرو : ما اسمك ؟ قال : حرب ، قال عمرو : يكون حرب ؛ فما الخبر ؟ قال : قُتِلَ

عثمانُ بنُ عفَّانَ رضی الله عنه ، وبويع لعلی بن أبي طالب ، قال عمرو : أنا أبو عبد الله ؛ تكون حربٌ من حكَّ فيها قرحة نكأها ، رحم الله عثمانَ ورضی الله عنه ، وغفَّر له ! فقال سلامة بن زینباع الجُدائي : يا معشر قريش ، إنه والله قد كان بينكم وبين العرب بابٌ ، فاتخذوا باباً إذ كُسِر الباب . ٣٢٥١/١ فقال عمرو : وذلك الذي نريد . ولا يُصلح الباب إلا أشاف^(١) تُخرج الحق من حافرة البأس ، ويكون الناس في العدل سواء ، ثم تمثل عمرو في بعض ذلك :

يا لَهْفَ نَفْسِي عَلَى مَالِكٍ وَهَلْ يَضْرِفُ اللَّهْفُ حِفْظَ الْقَدَرِ !
أَنْزَعُ مِنَ الْحَرِّ أَوْدَى بِهِمْ فَأَعْذِرْهُمْ أَمْ بِقَوْمِي سَكَرًا !

ثم ارتحل راجلاً يبكي كما تبكي المرأة ، ويقول : واعثماناه ! أنعمي الحياء والدين ! حتى قدم دمشق ، وقد كان سقط إليه من الذي يكون عليهم ، فعمل عليه .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن عبد الله ، عن أبي عثمان ، قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم قد بعث عمرًا إلى عُثمان ، فسمع هنالك من حَبْرٍ شيئاً ، فلما رأى مِصداقته وهو هناك أرسل إلى ذلك الحبر ، فقال : حدثني بوفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخبرني من يكون بعده ؟ قال : الذي كتب إليك يكون بعده ، ومدته قصيرة ، قال : ثم من ؟ قال : رجل من قومه مثله في المنزلة ؛ قال : فما مدته ؟ قال : طويلة ؛ ثم يقتل . قال : أغيلة أم عن ملا ؟ قال : غيلة ؛ قال : فن يلى بعده ؟ قال : رجل من قومه مثله في المنزلة ، قال : فما مدته ؟ قال : طويلة ، ثم يُقتل ، قال : أغيلة أم عن ملا ؟ قال : عن ملا . قال : ذلك أشد ؟

فمن يلى بعده ؟ قال : رجل من قومه ينتشر عليه الناس ، وتكون على رأسه ٣٢٥٢/١ حرب شديدة بين الناس ، ثم يُقتل قبل أن يجتمعوا عليه ، قال : أغيلة أم عن ملا ؟ قال : غيلة ، ثم لا يروون مثله . قال : فن يلى بعده ؟ قال :

(١) الأشافي : جمع إثنى ؛ وهو المثقب .

أمير الأرض المقدسة ، فيطول ملكه ، فيجتمع أهل تلك الفرقة وذلك الانتشار عليه ، ثم يموت .

وأما الواقدي ، فإنه فيما حدثني موسى بن يعقوب ، عن عمه ، قال : لما بلغ عمرُ قتل عثمان رضي الله عنه ، قال : أنا عبد الله ، قتلته وأنا بوادي السباع ، من يلى هذا الأمر من بعده ! إن يسله طلحة فهو فتي العرب سيباً ، وإن يسله ابن أبي طالب فلا أراه إلا سيستظف الحق ، وهو أكره من يليه إلى . قال : قبله أن علياً قد بويع له ، فاشتد عليه ، وتربص أياماً ينظر ما يصنع الناس ، قبله مسير طلحة والزبير وعائشة وقال : أستاذني وأنظر ما يصنعون ، فأتاه الخبر أن طلحة والزبير قد قُتِلَا ، فأرتج عليه أمره ، فقال له قائل : إن معاوية بالشام لا يريد أن يبايع لعل ، فلو قاربت معاوية ! فكان معاوية أحب إليه من علي بن أبي طالب . وقيل له : إن معاوية يُعظم شأن قتل عثمان بن عفان ، ويحرص على الطلب بدمه ؛ فقال عمرو : ادعوا لي محمداً وعبد الله ، فدُعِيا له ، فقال : قد كان ما قد بلغكما من قتل عثمان رضي الله عنه ، وبيعة الناس لعل ، وما يُرصد معاوية من مخالفة علي ، وقال : ما تريان ؟ أمّا علي فلا خير عنده ، وهو رجل يُدلّ بسابقته ، وهو غير مُشركي في شيء من أمره . فقال عبد الله بن عمرو : توفي النبي صلى الله عليه وسلم وهو عنك راضٍ ، وتوفي أبو بكر رضي الله عنه وهو عنك راضٍ ، وتوفي عمر رضي الله عنه وهو عنك راضٍ ، أرى أن تكف يدك ، وتجلس في بيتك ، حتى يجتمع الناس على إمام فتابعه . وقال محمد بن عمرو : أنت ناب من أنياب العرب ، فلا أرى أن يجتمع هذا الأمر وليس لك فيه صوت ولا ذكر . قال عمرو : أمّا أنت يا عبد الله فأمرتني بالذى هو خير لي في آخرتي ، وأسلم في ديني ، وأمّا أنت يا محمد فأمرتني بالذى أنبه لي في دنياي ، وشر^(١) لي في آخرتي . ثم خرج عمرو بن العاص ومعه ابنه حتى قدم على معاوية ، فوجد أهل الشام يحضون معاوية على الطلب بدم عثمان ، فقال عمرو بن العاص : أنتم على الحق ، اطلبوا بدم الخليفة المظلوم — ومعاوية

(١) كتنا في ابن الأثير والنويري ، وفي ط : « أشر » .

لا يلتفت إلى قول عمرو — فقال ابنا عمرو لعمرو : ألا ترى إلى معاوية لا يلتفت إلى قولك ! انصرف إلى غيره . فدخل عمرو على معاوية فقال : والله لعجب لك ! إني أرفدك بما أرفدك وأنت معرض عني ! أما والله إن قاتلنا معك نطلب بدم الخليفة إن في النفس من ذلك ما فيها ، حيث نقاتل^(١) ٣٢٥٤/١ من تعلم سابقته وفضلته وقربته ؛ ولكننا إنما أردنا هذه الدنيا . فصالحه معاوية وعطف عليه .

توجيه علي بن أبي طالب جرير بن عبد الله البجلي إلى معاوية

يدعوه إلى الدخول في طاعته

وفي هذه السنة وجه علي عند منصرفه من البصرة إلى الكوفة وفراغه من الجمل جرير بن عبد الله البجلي إلى معاوية يدعوه إلى بيعته ، وكان جرير حين خرج علي إلى البصرة لقتال من قاتله بها بهمدان عاملا عليها ، كان عثمان استعمله عليها ، وكان الأشعث بن قيس على أذر بيجان عاملا عليها ، كان عثمان استعمله عليها ، فلما قدم علي الكوفة منصرفاً إليها من البصرة ، كتب إليهما يأمرهما بأخذ البيعة له على من قبلكهما من الناس ، والانصراف إليه . ففعل ذلك ، وانصرفا إليه .

فلما أراد علي توجيه الرسول إلى معاوية ، قال جرير بن عبد الله — فيما حدثني عمر بن شبة ، قال : حدثنا أبو الحسن ، عن عوانة — : ابعثنى إليه ، فإنه لي ود^(٢) حتى آتنيه فأدعوه إلى الدخول في طاعتك ، فقال الأشتر لعلي : لا تبعثه ، فوالله إنني لأظن هواه معه ؛ فقال علي : دعته حتى نظرت ما الذي يرجع به إلينا ؛ فبعثه إليه ، وكتب معه كتاباً يعلم فيه باجماع المهاجرين والأنصار على بيعته ، ونكت طلحة والزبير ، وما كان من حربه إياهما ، ويدعوه إلى الدخول فيما دخل فيه المهاجرون والأنصار من طاعته ، فشخص إليه جرير ، فلما قدم عليه ما طله واستنظره ، ودعا عمرًا فاستشاره فيما كتب به إليه ، فأشار عليه أن يرسل إلى وجوه الشام ، ويلزم علياً دم عثمان ، ويقاتله

٣٢٥٥/١

(٢) يقال : هو ودك ، أي حبيبك .

(١) ابن الأثير : « نقاتل » .

بهم ، ففعل ذلك معاوية ، وكان أهل الشام — فيما كتب إلى السري يذكر أن شعبياً حدثه عن سيف ، عن محمد وطلحة — لما قدم عليهم النعمان بن بشير بقميص عثمان رضي الله عنه — الذي قتل فيه مخصباً بدمه وبأصابع نائلة زوجته مقطوعة بالبراجم ؛ لإصبعان منها وشيء من الكف ، وإصبعان مقطوعتان من أصولهما ونصف الإبهام — وضع معاوية القميص على المنبر ، وكتب بالخبر إلى الأجناد ، وثاب إليه الناس ، وبكوا سنة (١) وهو على المنبر والأصابع معلقة فيه ، وآلى الرجال من أهل الشام ألا يأتوا النساء ، ولا يمستهم الماء للغسل إلا من احتلام ، ولا يناموا على الفرش حتى يقتلوا قتلة عثمان ، ومن عرض دونهم بشيء أو تفنى أرواحهم . فكنثوا حول القميص سنة ، والقميص يوضع كل يوم على المنبر ويجلده أحياناً فيلبسه . وعُلق في أردانه أصابع نائلة رضي الله عنها .

فلما قدم جرير بن عبد الله على علي — فيما حدثني عمر بن شبة ، قال : حدثنا أبو الحسن ، عن عوانة — فأخبره خبر معاوية واجتماع أهل الشام معه على قتاله ، وأنتهم سيكون على عثمان ، ويقولون : إن علياً قتله ، وآوى قتلاته ، ولأنهم لا ينتهون عنه حتى يقتلهم أو يقتلوه . فقال الأشتر لعلي : قد كنت نيتك أن تبعث جريراً ، وأخبرتك بعداوتة وغشته ، ولو كنت بعثتني كان خيراً من هذا الذي أقام عنده حتى لم يدع باباً يرجو فتحه إلا فتحه ، ولا باباً يخاف منه إلا أغلقه . فقال جرير : لو كنت ثم لقتلوك ؛ لقد ذكروا أنك من قتلة عثمان رضي الله عنه ، فقال الأشتر : لو أثبتهم والله يا جرير لم يعينني جوابهم ، ولحملت معاوية على خطة أعجله فيها عن الفكر ، ولو أطاعني فيك أمير المؤمنين لحبسك وأشباهك في محبس لا تخرجون منه حتى تستقيم هذه الأمور .

فخرج جرير بن عبد الله إلى قرقيسياء ، وكتب إلى معاوية ، فكتب إليه يأمره بالقدوم عليه . وخرج أمير المؤمنين فعسكر بالتحصيلة ، وقدم عليه عبد الله بن عباس بمن نهض معه من أهل البصرة .

خروج على بن أبي طالب إلى صفين

حدثني عبد الله بن أحمد المروزي ، قال : حدثني أبي ، عن سليمان ، عن عبد الله ، عن معاوية بن عبد الرحمن ، عن أبي بكر الهذلي ، أن علياً لما استخلف عبد الله بن عباس على البصرة سار منها إلى الكوفة ، فتهيأ فيها إلى صفين ، فاستشار الناس في ذلك ، فأشار عليه قوم أن يبعث الجنود ويقيم ، وأشار آخرون بالمسير . فأبى إلا المباشرة ، فجهز الناس . فبلغ ذلك معاوية ، فدعا عمرو بن العاص فاستشاره . فقال : أما إذ بلغك أنه يسير فسير بنفسك ، ولا تغب عنه برأيك ومكيدتك . قال : أما إذا يا أبا عبد الله فجهز الناس . فجاء عمرو فحضض الناس ، وضعف علياً وأصحابه ، وقال : إن أهل العراق قد فرقوا جمعهم ، وأوهنوا شوكتهم ، وفلّوا حدّهم . ثم إن أهل البصرة مخالفون لعلي ، قد وترهم وقتلهم ، وقد تقانت صناديدهم وصناديد أهل الكوفة يوم الجمل ، وإنما سار في شردمة قليلة ، ومنهم من قد قتل خليفتك ، فالله الله في حقكم أن تضيعوه ، وفي دمكم أن تبطلوه ! وكتب في أجناد أهل الشام ، وعقد لواءه لعمرو ، فعقد لوردان غلامه فيمن عقد ، ولابنيه عبد الله ومحمد ، وعقد علي لغلامه قنبر ، ثم قال عمرو : هل يُغنينَ وردانُ عني قنبراً وتُغنيَ السكونُ عني حميراً
• إذا الكُماة لبسوا السَنُوراً •

فبلغ ذلك علياً فقال :

لأُضِجَنَّ العاصيَ ابنَ العاصي سبعين ألفاً عاقِدي النواصي
مُجَنَّبِينَ الخيلَ بالقلاص مُسَهَّجِينَ حَلَقِ الدِّلاص^(١)

فلما سمع ذلك معاوية قال : ما أرى ابنَ أبي طالب إلا قد وفي لك ؛ فجاء معاوية يثنائي في مسيره . وكتب إلى كل من كان يرى أنه يخاف علياً

أو طعن عليه ومن أعظم دم عثمان واستعواهم إليه. فلما رأى ذلك الوليد بعث إليه يقول :

ألا أبلغ معاوية بن حرب
قَطَعَتِ الدهرَ كالأديم المعنى
وإنك والكتاب إلى علي
يُمْنِكَ الإمارة كل ركب
وليس أخو الترات بمن تَوَانَى
ولو كنت القتلَ وكان حياً
ولا نَكَلٌ عن الأوتارِ حتى
وقومك بالمدينة قد أٌيِّرُوا^(١)
فإنك من أخى نِقَةٍ مُلِمٍ^(٢)
تُهدِرُ في دِمَشقٍ فَا تَرِيمٍ^(٣)
كدافئة وقد حَلِمَ الأديم^(٤)
لأنقاض العراق بها رَسِمٍ
ولكن طالبُ الترةِ الغشومِ
لَجَرَدَ لا أَلْفٌ ولا سَنُومٍ^(٥)
يُبِيءُ بها، ولا بَرَمٌ جَثُومٍ^(٦)
فَهُمْ صَرَعَى كأنهمُ الهَشِيمُ^(٧)

وقال غير أبي بكر : فدعا معاوية شداد بن قيس كاتبه وقال : ابغني طوماراً ، فاتاه بطومار ، فأخذ القلم فكتب ، فقال : لا تسعجل ، اكتب :

ومستعجب مما يرى من أُنَاتِنَا ولو زَبَنَتِ الحربُ لم يترمرم^(٧)

ثم قال : اطوِ الطومار ، فأرسل به إلى الوليد ، فلما فتحه لم يجد فيه غير هذا البيت .

قال أبو بكر الهذلي : وكتب رجل من أهل العراق حيث سار على بن

(١) الملميم : من ألق من الأمر ما يلام عليه .

(٢) قال في اللسان : «الدم : الذي يرغب عن فعلته فيحال بينه وبين الألفة ؛ ويقيد إذا هاج فيرعى حوالى الدار ، وإن صال جعل له حجام يمنعه عن فتحه » ، واستشهد بالبيت .

(٣) في اللسان : « قال الوليد بن عقبة بن أبي عقبة من أبيات يحض فيها معاوية على قتال علي عليه السلام ، ويقول له : أنت تسعى في إصلاح أمر قد تم فساد كهدى المرأة التي تدبغ الأديم الحلم الذي وقعت فيه الحلمة فنقبت وأفسدته فلا ينتفع به » ، وأورد الأبيات برواية مخالفة . والحلمة : دودة تقع في الجلد فتأكله فإذا دبغ وهي موضع الأكل بقي رقيقاً . (٤) اللسان : « ولو كان القتل » .

(٥) لم يرد في رواية اللسان . (٦) اللسان : « قد تردوا » . (٧) لم يترمرم : لم يتحرك .

أبي طالب إلى معاوية بيتين :

٣٢٥٩/١

أَبْلِغْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَخَا الْعِرَاقِ إِذَا أُنْتَنَا
أَنَّ الْعِرَاقَ وَأَهْلَهُ عُنُقُ إِلَيْكَ فَهَيْتَ هَيْتًا

• • •

عاد الحديث إلى حديث عوانة . فبعث علي[ؑ] زياد بن النضر الحارثي طليعة[ؑ] في ثمانية آلاف ، وبعث معه شريح بن هاني في أربعة آلاف ، وخرج علي[ؑ] من النخيلة بمن معه ، فلما دخل المدائن شخّص[ؑ] معه من فيها من مقاتلة ، وولّى علي المدائن سعد بن مسعود الثقفي عم المختار بن أبي عبيد ، ووجه علي[ؑ] من المدائن معقل بن قيس في ثلاثة آلاف ، وأمره أن يأخذ على الموصل حتى يوافيه .

• • •

ما أمر به علي بن أبي طالب من عمل الجسر على الفرات

فلما انتهى علي[ؑ] إلى الرقة قال فيما حدثت عن هشام بن محمد ، عن أبي مخنف ، قال : حدثني الحجاج بن علي ، عن عبد الله بن عمار بن عبد يغوث البارق - لأهل الرقة : اجسروا لي جسراً حتى أعبر من هذا المكان إلى الشام ، فأبوا . وقد كانوا ضمّوا إليهم السفن ، فنهض من عندهم بدير من جسر منبج ، وخلف عليهم الأشتر . وذهب ليمضي بالناس كيما يعبر بهم على جسر منبج ، فناداهم الأشتر ، فقال : يا أهل هذا الحصن ، ألا إنني أقسم لكم بالله عز وجل ؛ لأن مضي أمير المؤمنين ولم تُجسروا له عند مدينتكم جسراً حتى يتعبّر لأجر دن فيكم السيف . ثم لأقتلن الرجال ولأخربن الأرض ، ولأخذن الأموال . قال : فلقني بعضهم بعضاً ، فقالوا : أليس الأشتر بنى بما حلف عليه ، أو يأتي بشر منه ؟ قالوا : نعم ، فبعثوا إليه : إننا ناصبون لكم جسراً ، فأقبلوا ، وجاء علي[ؑ] فنصبوا له الجسر ، فعبر عليه بالأنثقال والرجال . ثم أمر علي[ؑ] الأشتر فوقف في ثلاثة آلاف فارس ، حتى

٣٢٦٠/١

لم يبق من الناس أحد إلاّ عبر ، ثم إنه عبر آخر الناس رجلاً .

قال أبو مخنف : وحدّثني الحجاج بن عليّ ، عن عبد الله بن عمار بن عبد يغوث ، أنّ الخيل حين عبرت زحماً بعضها بعضاً ، فسقطت قلنسوة عبد الله بن أبي الحصين الأزديّ ، فنزل فأخذها ثم ركب ، وسقطت قلنسوة عبد الله بن الحجاج الأزديّ ، فنزل فأخذها ، ثم ركب ، وقال لصاحبه :

فإن يك ظنّ الزاجريّ الطير صادقاً كما زعموا أقتل وشيكاً وتقتل

فقال له عبد الله بن أبي الحصين : ما شيء أوثاه أحبّ إليّ مما ذكرت ؛ فقتل جميعاً يوم صفّين .

قال أبو مخنف : فحدّثني خالد بن قطن الحارثيّ ، أنّ عليّاً لما قطع الفرات دعا زياد بن النضر ، وشريح بن هانيّ ، فسرّحهما أمامه نحو معاوية على حالهما التي كانا خرجا عليها من الكوفة . قال : وقد كانا حيث سرّحهما من الكوفة أخذّا على شاطئ الفرات من قبيل البرّ مما يلي الكوفة حتى بلغا عانات ، فبلغهما أخذ عليّ على طريق الجزيرة ، وبلغهما أنّ معاوية قد أقبل من دمشق في جنود أهل الشام لاستقبال عليّ ، فقالا : لا والله ما هذا لنا برأى ؛ أن نسير وبيننا وبين المسلمين وأمير المؤمنين هذا البحر ! وما لنا خير في أن نلقى جنود أهل الشام بقلّة من معنا منقطعين من العدد والمدد . فذهبوا ليعبروا من عانات ، فذمّهم أهل عانات ، وحبسوا عنهم السفن ، فأقبلوا راجعين حتى عبروا من هيت ، ثم لحقوا عليّاً بقرية دون قرقيسياء ؛ وقد أرادوا أهل عانات ، فتحصّنوا وفرّوا ، ولما لحقت المقدّمة عليّاً قال : مقدّمتي تأتيني من ورائي . فتقدّم إليه زياد بن النضر الحارثيّ وشريح بن هانيّ ؛ فأخبراه بالذي رأيا حين بلغهما من الأمر ما بلغهما ، فقال : سدّتما . ثم مضى عليّ ، فلما عبر الفرات قدّهما أمامه نحو معاوية ، فلما انتهيا إلى سور الروم لقيهما أبو الأعور السلميّ عمرو بن سفيان في جند من أهل الشام ؛ فأرسل إلى عليّ : إنّنا قد لقينا أبا الأعور السلميّ في جند من

أهل الشام ، وقد دعوناهم فلم يُجبنا منهم أحد ، فرأنا بأمرك . فأرسل على إلى الأشتر ؛ فقال : يا مالك ، إن زياداً وشريحاً أرسلا إلىّ يعلماني أنهما لقيّا أبا الأعور السلمى في جمع من أهل الشام ، وأنبأني الرسول أنه تركهم متواقفين ، فالتجاء إلى أصحابك النجاء ، فإذا قدمت عليهم فأنت عليهم . وإياك أن تبدأ القوم بقتال إلا أن يبدؤوك حتى تلقاهم فتدعوهم وتسمع ، ولا تجرّ منك شيئاً نهم على قتالهم قبل دعائهم ، والإعذار إليهم مرة بعد مرة ، واجعل على ميمتك زياداً ، وعلى ميسرتك شريحاً ، وقف من أصحابك وسطاً ، ولا تدن منهم دنوً من يريد أن ينشب الحرب ، ولا تباعد منهم بُعد من يهاب البأس حتى أقدم عليك ، فإنني حيث السير في أثرك إن شاء الله . قال : وكان الرسول الحارث بن جهمان الجعفي ، فكتب على زياد وشريح :

أما بعد ، فإنني قد أمرتُ عليكما مالكا ، فاسمعا له وأطيعا ، فإنه ممن لا يخاف رقه ولا سقاطه ولا بطؤه عما الإسراع إليه أحزم ، ولا الإسراع إلى ما الإبطاء عنه أمثل ، وقد أمرته بمثل الذي كنتُ أمرتكما به ألا يبدأ القوم حتى يلقاهم فيدعوهم ويُعذر إليهم .

وخرج الأشتر حتى قدم على القوم ، فاتبع ما أمره على وكف عن القتال فلم يزاوا متواقفين حتى إذا كان عند المساء حمل عليهم أبو الأعور السدّقي ، فثبتوا له ، واضطربوا ساعة . ثم إن أهل الشام انصرفوا ، ثم خرج إليهم من الغد هاشم بن عتبة الزهري في خيل ورجال حسن عددها وعدتها ، وخرج إليه أبو الأعور فاقتلوا يومهم ذلك ، تحمّل الخيل على الخيل والرجال على الرجال ، وصبر القوم بعضهم لبعض ، ثم انصرفوا ، وحمل عليهم الأشتر ، فقتل عبد الله بن المنذر التنخعي ، قتله يومئذ ظبيان بن عمار التميمي ، وما هو إلا فتى حدث ، وإن كان التنخعي لفارس أهل الشام ، وأنجد الأشتر يقول :
وَيَحْكَمْ ! أروني أبا الأعور .

ثم إن أبا الأعور دعا الناس ، فرجعوا نحوه ، فوقف من وراء المكان الذي كان فيه أول مرة ، وجاء الأشتر حتى صف أصحابه في المكان الذي كان فيه أبو الأعور ، فقال الأشتر لسان بن مالك النخعي : انطلق إلى أبي الأعور .

فادعه إلى المبارزة ، فقال : إلى مبارزتي أو مبارزتك ؟ فقال له الأشتر : لو أمرتك بمبارزته فعلت ؟ قال : نعم ، والله لو أمرتني أن أعترض صفهم بسيفي ما رجعت أبداً حتى أضرب بسيفي في صفهم ، قال له الأشتر : يا بن أخي ، أطل الله بقاءك ! قد والله ازدادت رغبة فيك ، لا أمرتك بمبارزته ، إنما أمرتك أن تدعوه إلى مبارزتي ؛ إنه لا يبرز إن كان ذلك من شأنه إلا لنوى الأسنان والكفاءة والشرف ، وأنت - لربك الحمد - من أهل الكفاءة والشرف ، غير أنك فتيت حدث السن ، فليس بمبارز الأحداث ، ولكن ادعه إلى مبارزتي . فأتاه فنأدى : آمنوني فإنني رسول . فأومن ، فجاء حتى انتهى إلى أبي الأعور . قال أبو مخنف : فحدثني النضر بن صالح أبو زهير العبسي ، قال : حدثني سنان ، قال : فدنوت منه فقلت : إن الأشتر يدعوك إلى مبارزته . قال : فسكت عني طويلاً ثم قال : إن خفة الأشتر وسوء رأيه هو حملة على إجلاء عمال ابن عفان رضي الله عنه من العراق ، وانتراؤه عليه يقبح محاسنه ، ومن خفة الأشتر وسوء رأيه أن سار إلى ابن عفان رضي الله عنه في داره وقاره حتى قتله فيمن قتله ، فأصبح متبعاً بدمه ؛ ألا لا حاجة لي في مبارزته . قال : قلت : إنك قد تكلمت ، فاسمع حتى أجيبك ، فقال : لا ، لا حاجة لي في الاستماع منك ولا في جوابك ، اذهب عني . فصاح بي أصحابه فانصرف عنه ، ولو سمع إلي لأخبرته بعذر صاحبي وحيثيته . فرجعت إلى الأشتر ، فأخبرته أنه قد أبى المبارزة ، فقال : لنفسه نظر ، فواقفناهم حتى حجز الليل بيننا وبينهم ، وبتنا متحارسين ، فلما أصبحنا نظرنا فإذا القوم قد انصرفوا من تحت ليلتهم ، ويصبحنا على بن أبي طالب غدوة . فقدم الأشتر فيمن كان معه في تلك المقدمة حتى انتهى إلى معاوية ، فواقفه . وجاء علي في أثره فلحق بالأشتر سريعاً ، فوقف وتوافقوا طويلاً .

٣٢٦٤/١

ثم إن علياً طلب موضعاً لعسكره ، فلما وجده أمر الناس فوضعوا الأثقال ، فلما فعلوا ذهب شباب الناس وغلبتهم يستقون ، فنعمهم أهل الشام . فاقتتل الناس على الماء ، وقد كان الأشتر قال له قبل ذلك : إن القوم قد سبقوا إلى الشريعة وإلى سهولة الأرض وسعة المنزل ، فإن رأيت سرنا نجوزهم

إلى القرية التي خرجوا منها ، فإنهم يشخصون في أثرنا ، فإذا هم لحقونا نزلنا فكنّا نحن وهم على السواء ، فكسره ذلك على^١ ، وقال : ليس كل الناس يقوى على المسير ، فنزل بهم .

• • •

القتال على الماء

قال أبو مخنف : وحدّثني تميم بن الحارث الأزدي ، عن جندب بن عبد الله ، قال : إنّنا لما انتهينا إلى معاوية وجدناه قد عسكر في موضع سهل أفصح^(١) قد اختاره قبل قدومنا إلى جانب شريعة في القُرات ، ليس في ذلك الصُّنع شريعة غيرها ، وجعلها في حيزه ، وبعث عليها أبا الأعور يمنعها ويحميها ، فارتفعنا على الفرات رجاء أن نجد شريعة غيرَها نستغنى بها عن شريعتهم فلم نجدها ، فأتينا عليها فأخبرناه بعطش الناس ، وأنا لانجد غيرَ شريعة القوم . قال : فقَاتِلوهم عليها . فجاءه الأشعث بن قيس الكندي فقال : أنا أسير إليهم ، فقال له على^٢ : فسر إليهم . فساروسرنا معه ، حتى إذا دنونا من الماء ثاروا في وجوهنا ينضحوننا بالنبل ، ورشقناهم والله بالنبل ساعة ، ثم اطعنا والله بالرماح طويلا ، ثم صرنا آخر ذلك نحن والقوم إلى السيوف ، فاجتلدنا بها ساعة . ثم إنّ القوم أتاهم يزيد بن أسد البسجلى مُمِدًّا في الخيل والرجال ، فأقبلوا نحونا ، فقلت في نفسي : فأمر المؤمنين لا يبعث إلينا بمن يغنى عنا هؤلاء ، فذهبتُ فالتفتُ فإذا عدّة القوم أو أكثر ، قد سرحهم إلينا ليغنوا عنا يزيد بن أسد وأصحابه ، عليهم شبّث بن ربعي الرّياحي ، فوالله ما ازداد القتال إلّا شدة . وخرج إلينا عمرو بن العاص من عسكر معاوية في جند كثير ، فأخذ مُمدّا أبا الأعور ويزيد بن أسد ، وخرج الأشتر من قبل على^٣ في جمع عظيم . فلمّا رأى الأشتر عمرو بن العاص

(١) أفصح : فيج .

يُمِدُّ أَبَا الْأَعْوَرِ وَيَزِيدَ بْنَ أَسَدٍ ، أَمَدَ الْأَشْعَثِ بْنَ قَيْسٍ وَشَبَثَ بْنَ رِبْعِيٍّ ،
فَاشْتَدَّ قِتَالُنَا وَقَتْلَاهُمْ ، فَمَا أَنْسَى قَوْلَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَوْفٍ بْنِ الْأَحْمَرِ الْأَزْدِيِّ :

خَلُّوا لَنَا مَاءَ الْفُرَاتِ الْجَارِي أَوْ أَنْتُبُوا لِحَقْلٍ جَرَّارٍ
لِكُلِّ قَرْمٍ مُسْتَمِيتٍ شَارِي مُطَاعِنٍ بِرُمْحِهِ كَرَّارٍ
• ضَرَابَ هَامَاتِ الْعِدَا مِغْوَارٍ •

٣٢٦٦/١

قال أبو مخنف : وحدثنى رجل من آل خازجة بن التميمي أن ظبئان
ابن عُمارة جعل يومئذ يقاتل وهو يقول :

هَلْ لَكَ يَا ظَبْيَانُ مِنْ بَقَاءٍ فِي سَاكِنِ الْأَرْضِ بِغَيْرِ مَاءٍ
لَا وَإِلَهُ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ فَاضْرِبْ وَجْهَ الْغُدْرِ الْأَعْدَاءِ
بِالسَّيْفِ عِنْدَ حَمْسِ الْوَعَاءِ حَتَّى يُجْبِيوكَ إِلَى السَّوَاءِ

قال ظبئان : فضربناهم والله حتى خلّونا وإيتاه .

قال أبو مخنف : وحدثنى أبي يحيى بن سعيد ، عن عمته محمد بن مخنف ،
قال : كنت مع أبي مخنف بن سليم يومئذ ، وأنا ابن سبع عشرة سنة ، ولست
في عطاء ، فلما مُنِعَ النَّاسُ الْمَاءَ قَالَ لِي أَبِي : لَا تَبْرَحَنَّ الرَّحْلُ ، فَلَمَّا رَأَيْتُ
الْمُسْلِمِينَ يَذْهَبُونَ نَحْوَ الْمَاءِ لَمْ أَصْبِرْ ، فَأَخَذْتُ سَيْفِي ، وَخَرَجْتُ مَعَ النَّاسِ
فَقَاتَلْتُ ، قَالَ : وَإِذَا أَنَا بِغَلَامٍ مَمْلُوكٍ لِبَعْضِ أَهْلِ الْعِرَاقِ وَمَعَهُ قِرْبَةٌ ، فَلَمَّا
رَأَى أَهْلَ الشَّامِ قَدْ أَفْرَجُوا عَنِ الشَّرِيعَةِ اشْتَدَّ حَتَّى مَلَأَ قِرْبَتَهُ ، ثُمَّ أَقْبَلَ ، وَيَشْدُ
عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ فَيَضْرِبُهُ فَيَصْرَعُهُ ، وَسَقَطَتِ الْقِرْبَةُ مِنْهُ . قَالَ :
وَأَشْدَّ عَلَى الشَّامِيِّ فَاضْرِبُهُ فَأَصْرَعَهُ ، وَاشْتَدَّ أَصْحَابُهُ فَاسْتَنْقَذُوهُ ، فَسَمِعْتُهُمْ وَهُمْ
يَقُولُونَ : لَا نَأْمَنُ عَلَيْكَ . وَرَجَعْتُ إِلَى الْمَمْلُوكِ فَاحْتَمَلْتُهُ ، فَإِذَا هُوَ يَكْتُمُنِي
وَبِهِ جَرَحٌ رَغِيبٌ ^(١) ، فَمَا كَانَ أَسْرَعَ مِنْ أَنْ جَاءَهُ مَوْلَاهُ ، فَذَهَبَ بِهِ ، وَأَخَذْتُ قِرْبَتَهُ
وَهِيَ مَمْلُوءَةٌ ، وَآتَى بِهَا أَبِي مَخْنَفًا ، فَقَالَ : مِنْ أَيْنَ جِئْتَ بِهَا ؟ فَقُلْتُ : اشْتَرَيْتُهَا —

٣٢٦٧/١

(١) رَغِيبٌ ، أَيْ وَاسِعٌ .

وكرهت أن أخبره الخبر ، فـسـجـدَ عـلـى — فقـال : اسقِ القومَ ، فسقـيـتـهـم ، ثم شرب آخرهم ، ونازعني نفسي والله إلى القتال ، فأنطلق فأتقدم فيمن يقاتل ، فقاتلناهم ساعة ، ثم أشهد أنهم خلدوا لنا عن الماء ، فما أمسينا حتى رأينا سقائنا وسقائهم يزدحمون على الشريعة ، وما يؤذي إنسان إنساناً ، فأقبلت راجعاً ، فإذا أنا بمولى صاحب القرية ، فقلت : هذه قريبتك عندنا ، فأرسل من يأخذها ، أو أعلمني مكانك حتى أبعث بها إليك ، فقال : رحمك الله ! عندنا ما نكتفي به ؛ فانصرف وزهد ، فلما كان من الغد مرّ على أبي ، فوقف فسلم عليه ، ورآني إلى جنبتيه ، فقال : ما هذا الفتى منك ؟ قال : ابني ؛ قال : أراك الله فيه السرور ، أنقذ الله عز وجلّ أمس غلامي به من القتل ، حدثني شباب الحى أنه كان أمس أشجع الناس ، فنظر إلى أبي نظرةً عرفت منها في وجهه الغضب ، فسكت حتى إذا مضى الرجل قال : هذا ما تقدمت إليك فيه ! فحلفني ألا أخرج إلى قتال إلا بإذنه ، فما شهدت من قتالهم إلا ذلك اليوم حتى كان يوم من أيامهم .

قال أبو مخنف : وحدّثني يونس بن أبي إسحاق السبّيعي ، عن مِهران مولى يزيد بن هاني ، قال : والله إن مولاى يزيد بن هاني ليقاتل على الماء ، وإن القرية لى يده ، فلما انكشف أهل الشام انكشافاً عن الماء ، استدّرت حتى أسقى ، وإنّى فيما بين ذلك لأقاتل وأرامى .

قال أبو مخنف : وحدّثني يوسف بن يزيد ، عن عبد الله بن عوف بن الأحمر ، قال : لما قدمنا على معاوية وأهل الشام بصيفين ، وجدناهم قد نزلوا منزلاً اختاروه مستويّاً بسيطاً واسعاً ، أخذوا الشريعة ، فهبى في أيديهم ، وقد صفّ أبو الأعور السلمي عليها الخيل والرجال ، وقد قدّم المرامية أمام من معه ، وصفّ صفّاً معهم من الرماح والدّرّق ، وعلى رؤوسهم البسيّض ، وقد أجمعوا على أن يمتنعوا الماء ، ففرزنا إلى أمير المؤمنين ، فخبّرناه بذلك ، فدعا صعبعة ابن صوحان فقال له : ائت معاوية وقل له : إنّنا سيرنا مسيرنا هذا إليكم ، ونحن نكره قتالكم قبل الإعذار إليكم ، وإنك قدّمت إلينا خيلك ورجالك فقاتلنا قبل أن نقاتلك ، وبدأنّا بالقتال ، ونحن من رأينا الكفّ عنك حتى ندعوك

ونحتج عليك ، وهذه أخرى قد فعلتموها ، قد حُلِّم بين الناس وبين الماء ، والناس غير متّهمين أو يشربوا ، فابعث إلى أصحابك فليخلّوا بين الناس وبين الماء ، ويكفّوا حتى ننظر فيما بيننا وبينكم ، وفيما قدّمنا له وقدمتم له ، وإن كان أعجب إليك أن نترك ما جئنا له ، ونترك الناس يقتتلون على الماء حتى يكون الغالب هو الشارب . فعلنا . فقال معاوية لأصحابه : ما ترون ؟ فقال الوليد ابن عقبة : امنعهم الماء كما منعه عثمان بن عفّان رضى الله عنه ، حصروه أربعين صباحاً بمنعونه برّد الماء ، ولين الطعام ، اقتلهم عطشاً ، قتلتهم الله عطشاً ! فقال له عمرو بن العاص : خلّ بينهم وبين الماء ، فإن القوم لن يعطشوا وأنت ريان ؟ ولكن بغير الماء ، فانظر ما ^(١) بينك وبينهم ^(٢) . فأعاد الوليد بن عقبة مقالته ؛ وقال عبد الله بن أبي سرح : امنعهم الماء إلى الليل ، فإنهم إن لم يقدرُوا عليه رجعوا ، ولو قد رجعوا كان رجوعهم فكلاً ، امنعهم الماء منعهم الله يوم القيامة ! فقال صعصعة : إنما يمنعه الله عزّ وجلّ يوم القيامة الكفّرة الفسقة وشربة الخمر ؛ ضربك وضرب هذا الفاسق — يعنى الوليد بن عقبة — قال : فتواثبوا إليه يشتمونه ويتهدّدونه ، فقال معاوية : كفّوا عن الرجل فإنه رسول .

قال أبو مخنف : وحدّثنى يوسف بن يزيد ، عن عبد الله بن عوف بن الأحمر ، أن صعصعة رجع إلينا فحدّثنا عمّا قال لمعاوية ، وما كان منه وما ردّ ، فقلنا : فما ردّ عليك ؟ فقال : لما أردت الانصراف من عنده قلت : ما تردّ على ؟ قال معاوية : سيأتىكم رأيي ؛ فوالله ما راعنا إلا تسريته الخيل إلى أبي الأعور ليكفّهم عن الماء . قال : فأبرزنا على إلهيم ، فارتمينا ثم اطعنا ، ثم اضطربنا بالسيوف ، فنصّرنا عليهم ، فصار الماء في أيدينا ، فقلنا لا والله لا نسقيهموه ، فأرسل إلينا على : أن خذوا من الماء حاجتكم ، وارجعوا إلى عسكريكم ، واخلّوا عنهم ؛ فإن الله عزّ وجلّ قد نصركم عليهم بظلمهم وبغيهم .

(١) ابن الأثير « فيا » .

(٢) ابن الأثير : « وبين الله » .

* * *

دعاء على معاوية إلى الطاعة والجماعة

٣٢٧٠/١

قال أبو مخنف : حدثني عبد الملك بن أبي حرة الحنفي ، أن علياً قال : هذا يومٌ نُصِرْتُمْ فيه بالحمية ، وجاء الناس حتى أتوا عسكرهم ، فكث عليّ يومين لا يرسل إلى معاوية أحداً ، ولا يرسل إليه معاوية . ثم إن علياً دعا بشير بن عمرو بن محصن الأنصاري ، وسعيد بن قيس الهمداني ، وشبث بن ربعي التميمي ، فقال : ائتوا هذا الرجل فادعوه إلى الله وإلى الطاعة والجماعة ، فقال له شبث بن ربعي : يا أمير المؤمنين ، ألا تُطمع في سلطان توليه إياه ، ومنزلة يكون له بها أثره عندك إن هو بايعك ؟ فقال عليّ : ائتوه فalcوه واحتجوا عليه ، وانظروا ما رأيته — وهذا في أول ذي الحجة — فأتوه ، ودخلوا عليه ، فحمد الله وأثنى عليه أبو حمرة بشير بن عمرو ، وقال : يا معاوية ، إن الدنيا عنك زائلة ، وإنك راجع إلى الآخرة ، وإن الله عز وجل محاسبك بملكك ، وجازيك بما قدمت يداك ، وإني أنشدك الله عز وجل أن تفرق جماعة هذه الأمة ، وأن تسفك دماءها بينها ! فقطع عليه الكلام ، وقال : هلا أوصيت بذلك صاحبك ؟ فقال أبو حمرة : إن صاحبي ليس مثلك ، صاحبي أحق البرية كلها بهذا الأمر في الفضل والدين والسابقة في الإسلام ، والقربة من الرسول صلى الله عليه وسلم . قال : فيقول ماذا ؟ قال : يأمرك بتقوى الله عز وجل ، وإجابة ابن عمك إلى ما يدعوك إليه من الحق ، فإنه أسلم لك في دنياك ، وخير لك في عاقبة أمرك . قال معاوية : ونُظِّل^(١) دم عثمان رضي الله عنه ! لا والله لا أفعل ذلك أبداً . فذهب سعيد بن قيس يتكلم ، فبادره شبث بن ربعي ، فتكلم فحمد الله وأثنى عليه ، وقال : يا معاوية ، إني قد فهمت ما رددت علي ابن محصن ، إنه والله لا يخفي علينا ما تغزرو وما تطلب ؛ إنك لم تجد شيئاً تستغوي به الناس وتستميل به أهواءهم ، وتستخلص به طاعتهم ، إلا قولك : « قتل إمامكم مظلوماً » ، فنحن نطلب بدمه » ، فاستجاب

٣٢٧١/١

(١) ابن الأثير والنويري : « وترك » .

له سفهاء طغام ، وقد علمنا أن قد أبطأت عنه بالنصر ، وأُحْبِبَ له القتل ،
لهذه المنزلة التي أصبحت تطلب ، ورُبَّ متمنى أمر وطالبه ، الله عز وجل
يحول دونه بقدرته ، وربما أوى المتمنى أمنيته وفوق أمنيته ، والله مآلك في
واحدة منهما خير ، لئن أخطأت ما ترجو إنك لشر العرب حالا في ذلك ،
ولئن أصبت ما تمنى لاتصيبه حتى تستحق من ربك صلي النار ، فاتق الله
يا معاوية ، ودع ما أنت عليه ، ولا تنازع الأمر أهله .

فحميد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد ، فان أول ما عرفت فيه ^(١)
سفهك وخفة حلمك ، قطعك على هذا الحبيب الشريف سيد قومه منقطعه ،
ثم غيبت بعد فيما لا علم لك به ، فقد كذبت ، وأؤمت أيها الأعرابي الجلف
الجاني في كل ما ذكرت ووصفت . انصرفوا من عندي ، فإنه ليس بيني
وبينكم إلا السيف . وغضب ، وخرج القوم وشبث يقول : أفعليتنا تهول
بالسيف ! أقسم بالله ليُعجزكن ^(٢) بها إليك . فأتوا عليا وأخبروه بالذي كان
من قوله ، وذلك في ذى الحجة ، فأخذ علي يامر الرجل ذا الشرف ، فيخرج
معه جماعة ، ويخرج إليه من أصحاب معاوية آخر معه جماعة ، فيقتتلان
في خيلهما ورجلهما ثم ينصرفان . وأخذوا يكرهون أن يلقوا بجمع أهل
العراق أهل الشام لما يتخوفون أن يكون في ذلك من الاستئصال والهلاك ،
فكان علي يخرج مرة الأشتر ، ومرة حُجْر بن عدى الكندى ، ومرة
شُبَيْث بن ربعي ، ومرة خالد بن المعمر ، ومرة زياد بن النضر الحارثي ، ومرة
زياد بن خصفه التيمي ، ومرة سعيد بن قيس ، ومرة معقل بن قيس الرياحي ،
ومرة قيس بن سعد . وكان أكثر القوم خروجاً إليهم الأشتر ، وكان معاوية
يُخرج إليهم عبد الرحمن بن خالد المخزومي ، وأبا الأعور السلمي ، ومرة حبيب
ابن مسلمة الفهري ، ومرة ابن ذى الكلّاع الحميري ، ومرة عبيد الله بن عمر
ابن الخطّاب ، ومرة سُرحبيل بن السمُط الكندى ، ومرة حمزة بن مالك
الهمداني ، فاقستلوا من ذى الحجة كلها ، وربما اقتتلوا في اليوم الواحد مرتين
أوله وآخره .

(١) ابن الأثير والنويري : « به » .

(٢) ابن الأثير والنويري : « لنجعلنها » .

قال أبو مخنف : حدثني عبد الله بن عاصم^(١) الفاشي ، قال : حدثني رجل من قومي أن الأشتر خرج يوماً يقاتل بصفين في رجال من القراء ، ورجال من فرسان العرب ، فاشتد قتالهم ، فخرج علينا رجل والله لبعكنا رأيت رجلاً قطّ هو أطول ولا أعظم منه . فدعا إلى المبارزة ، فلم يخرج إليه أحد إلا الأشتر ، فاختلفا ضربتين ، فضربه الأشتر ، فقتله ، وإيم الله لقد كنا أشفقنا عليه ، وسألناه ألا يخرج إليه ، فلما قتله الأشتر نادى مناد من أصحابه :
يا سَهْمُ سَهْمَ ابن أبي العيرارِ يا خَيْرَ مَنْ نَعَلَهُ من زارِ
وزارة : حيّ من الأزد ، وقال : أقسم بالله لأقتلنّ قاتلك أو ليقتلنّي ، فخرج فحمل على الأشتر ، وعطف عليه الأشتر فضربه ، فإذا هو بين يدي فرسه ، وحمل عليه أصحابه فاستنقذوه جريحاً ، فقال أبو رُفَيْقَةَ الفهمي : هذا كان ناراً ، فصادف إعصاراً ، واقتتل الناس ذا الحجة كله ، فلما انقضى ذو الحجة تداعى الناس إلى أن يكف بعضهم عن بعض المحرم ، لعل الله أن يُجْرى صلحاً أو اجتماعاً ، فكف بعضهم عن بعض .

• • •

* * *

وحجّ بالناس في هذه السنة عبدُ الله بن العباس بن عبد المطلب بأمر عليٍّ
إيَّاه بذلك ، كذلك حدَّثني أحمد بن ثابت الرازي ، عمَّن ذكره ، عن إسحاق
ابن عيسى ، عن أبي معشر .

* * *

وفي هذه السنة مات قُدَّامة بن مظعون ، فيما زعم الواقدي . ٣٢٧٤/١

تم الجزء الرابع من تاريخ الطبرى
ويليه الجزء الخامس وأوله : ذكر حوادث سنة سبع وثلاثين

فهرس الموضوعات

السنة السادسة عشرة

٨ — ٥	ذكر بقية خبر دخول المسلمين مدينة بهرسير
١٦ — ٨	حديث المدائن القصوى التي كان فيها منزل كسرى
٢٠ — ١٦	ذكر ما جمع من فيء أهل المدائن
٢٤ — ٢٠	ذكر صفة قسم النوى الذى أصيب بالمدائن بين أهله
٣٥ — ٢٤	ذكر الخبر عن وقعة جالولاء الوقعة
٣٧ — ٣٥	ذكر فتح تكريت
٣٧	ذكر فتح ما سبذان
٣٨ — ٣٧	ذكر وقعة قرقيسياء
٣٩ — ٣٨	أخبار متفرقة

السنة السابعة عشرة

٤٨ — ٤٠	ذكر سبب تحول من تحول من المسلمين من المدائن إلى الكوفة وسبب اختطاطهم الكوفة
٤٩	إعادة تعريف الناس
٥٠ — ٤٩	فتوح المدائن قبل الكوفة
٥٢ — ٥٠	ذكر خبر حمص حين قصد من فيها من المسلمين صاحب الروم
٥٦ — ٥٣	ذكر فتح الجزيرة
٦٠ — ٥٦	خروج عمر بن الخطاب إلى الشام
٦٦ — ٦٠	خبر طاعون عمواس
٦٨ — ٦٦	ذكر خبر عزل خالد بن الوليد
٦٩ — ٦٨	ذكر تجديد المسجد الحرام والتوسعة فيه
٧٢ — ٦٩	ذكر خبر عزل المغيرة عن البصرة وولاية أبى موسى
٧٧ — ٧٢	فتح سوق الأهواز ومناذر ونهر تيرى
٧٩ — ٧٧	فتح تستر
٨٣ — ٧٩	غزو المسلمين فارس من قبل البحرين

فتح رامهرمز وتستر	٨٣ — ٨٩
فتح السوس	٨٩ — ٩٣
ذكر مصالحة أهل جندى سابور	٩٣ — ٩٤
أخبار متفرقة	٩٤ — ٩٥

* * *

السنة الثامنة عشرة

ذكر الأحداث التي كانت في سنة ثمان عشرة	٩٦ — ١٠١
ذكر القحط وعام الرمادة	٩٦ — ١٠١

* * *

السنة التاسعة عشرة

ذكر الأحداث التي كانت في هذه السنة	١٠٢ ، ١٠٣

* * *

السنة العشرون

ذكر الخبر عن فتح مصر والإسكندرية	١٠٤ — ١١٢
أخبار متفرقة	١١٢ ، ١١٣

* * *

السنة الحادية والعشرون

ذكر الخبر عن وقعة المسلمين والفرس بنهاوند	١١٤ — ١٣٩
ذكر الخبر عن أصبهان	١٣٩ — ١٤٣
أخبار متفرقة	١٤٤ — ١٤٥

* * *

السنة الثانية والعشرون

ذكر فتح همدان	١٤٦ — ١٥٠
فتح الري	١٥٠ ، ١٥١
فتح قومس	١٥١ ، ١٥٢
فتح جرجان	١٥٢ — ١٥٣
فتح طبرستان	١٥٣
فتح أذربيجان	١٥٣ — ١٥٥

١٦٠ - ١٥٥	فتح الباب
١٦٠	أخبار متفرقة
١٦٣ - ١٦٠	ذكر تعديل الفتوح بين أهل الكوفة والبصرة
١٦٦ - ١٦٣	ذكر عزل عمّار عن الكوفة
١٧٣ - ١٦٦	ذكر مصير يزيد جرد إلى خراسان وما كان السبب في ذلك

* * *

السنة الثالثة والعشرون

١٧٥ - ١٧٣	ذكر الخبر عن فتح توج
١٧٧ - ١٧٥	فتح إصطخر
١٧٩ - ١٧٨	ذكر فتح فسا ودارا بجرد
١٨٠	ذكر فتح كرمان
١٨١ - ١٨٠	ذكر فتح سجستان
١٨٣ - ١٨١	فتح مكران
١٨٦ - ١٨٣	خبر بير وذ من الأهواز
١٩٠ - ١٨٦	ذكر خبر سلمة بن قيس الأشجعي والأكراد
١٩٤ - ١٩٠	ذكر الخبر عن وفاة عمر رضى الله عنه
١٩٥	ذكر نسب عمر رضى الله عنه
١٩٦ - ١٩٥	تسميته بالفاروق
١٩٦	ذكر صفته
١٩٨ - ١٩٧	ذكر مولده ومبلغ عمره
٢٠٠ - ١٩٨	ذكر أسماء ولده ونسائه
٢٠٠	ذكر وقت إسلامه
٢٠٨ - ٢٠٠	ذكر بعض سيره
٢٠٩ - ٢٠٨	تسمية عمر رضى الله عنه أمير المؤمنين
٢٠٩	وضعه التاريخ
٢١٤ - ٢٠٩	حملة الدرّة وتدوينه الدواوين
٢١٨ - ٢١٤	ذكر بعض خطبه رضى الله عنه
٢١٩ - ٢١٨	من نذب عمر ورثاه - ذكر بعض ما رثى به
٢٢٧ - ٢١٠	شئ من سيره مما لم يحض ذكره
٢٤١ - ٢٢٧	قصة الشورى
٢٤١	عمّال عمر رضى الله عنه على الأمصار

السنة الرابعة والعشرون

- ذكر ما كان فيها من الأحداث المشهورة . . . ٢٤٣ - ٢٤٢
 خطبة عثمان وقتل عبيد الله بن عمر الهرمزان . . . ٢٤٤ - ٢٤٣
 ولاية سعد بن أبي وقاص الكوفة . . . ٢٤٤
 كتب عثمان رضى الله عنه إلى عماله وولاته والعامه . . . ٢٤٦ - ٢٤٤
 غزو أذربيجان وأرمينية . . . ٢٤٧ - ٢٤٦
 إجلاء الروم على المسلمين واستمداد المسلمين من بالكوفة . . . ٢٤٩ - ٢٤٧

* * *

السنة الخامسة والعشرون

- ذكر الأحداث المشهورة التي كانت فيها . . . ٢٥٠
 أخبار متفرقة . . . ٢٥٠

* * *

السنة السادسة والعشرون

- ذكر ما كان فيها من الأحداث المشهورة . . . ٢٥١
 أخبار متفرقة . . . ٢٥١
 ذكر سبب عزل عثمان عن الكوفة سعداً واستعماله عليها الوليد . . . ٢٥٢ - ٢٥١

* * *

السنة السابعة والعشرون

- ذكر الأحداث المشهورة التي كانت فيها . . . ٢٥٧ - ٢٥٣

* * *

السنة الثامنة والعشرون

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث المشهورة . . . ٢٦٣ - ٢٥٨

* * *

السنة التاسعة والعشرون

- ذكر ما كان فيها من الأحداث المشهورة . . . ٢٦٤
 ذكر الخبر عن سبب عزل عثمان أبا موسى عن البصرة . . . ٢٦٧ - ٢٦٤
 أخبار متفرقة . . . ٢٦٨ - ٢٦٧

* * *

السنة الثلاثون

- ذكر ما كان فيها من الأحداث المشهورة . . . ٢٦٩
 ذكر الخبر عن غزو سعيد بن العاص طبرستان . . . ٢٦٩ - ٢٧١
 ذكر السبب في عزل عثمان الوليد عن الكوفة وتوليته سعيداً عليها . . . ٢٧١ - ٢٨١
 ذكر الخبر عن سبب سقوط الخاتم من يد عثمان في بئر أريس . . . ٢٨١ - ٢٨٣
 أخبار أبي ذرٍّ رحمه الله تعالى . . . ٢٨٣ - ٢٨٦
 ذكر هرب يزيد جرد إلى خراسان . . . ٢٨٦ - ٢٨٧

* * *

السنة الحادية والثلاثون

- ذكر ما كان فيها من الأحداث المشهورة . . . ٢٨٨
 غزوة الصواري . . . ٢٨٨ - ٢٩٢
 ذكر الخبر عن مقتل يزيد جرد ملك فارس . . . ٢٩٣ - ٣٠٠
 شخص عبد الله بن عامر إلى خراسان وما قام به من فتوح . . . ٣٠٠ - ٣٠٣

* * *

السنة الثانية والثلاثون

- ذكر ما كان فيها من الأحداث المذكورة . . . ٣٠٤ - ٣٠٨
 ذكر الخبر عن وفاة أبي ذرٍّ . . . ٣٠٨ - ٣٠٩
 فتح مرو الروذ والطارقان والجزجان وطخارستان . . . ٣٠٩ - ٣١٣
 ذكر صلح الأحنف مع أهل بلخ . . . ٣١٣ - ٣١٦

* * *

السنة الثالثة والثلاثون

- ذكر تسيير من سير من أهل الكوفة إليها . . . ٣١٧ - ٣٢٦
 ذكر الخبر عن تسيير عثمان من سير من أهل البصرة إلى الشام . . . ٣٢٦ - ٣٢٩

* * *

السنة الرابعة والثلاثون

- ذكر ما كان فيها من الأحداث المذكورة . . . ٣٣٠
 ذكر خبر اجتماع المنحرفين على عثمان . . . ٣٣٠ - ٣٣٩

* * *

السنة الخامسة والثلاثون

- ٣٤٠ ذكر ما كان فيها من الأحداث .
 ذكر مسير من سار إلى ذى خشب من أهل مصر وسبب مسير
 ٣٦٥ - ٣٤٠ من سار إلى ذى المروة من أهل العراق
 ٣٩٦ - ٣٦٥ ذكر الخبر عن قتل عثمان رضى الله عنه .
 ٤٠٥ - ٣٩٦ ذكر بعض سير عثمان بن عفان رضى الله عنه .
 ٤١١ - ٤٠٥ ذكر الخبر عن السبب الذى من أجله أمر عثمان عبد الله بن
 العباس أن يهجم بالناس في هذه السنة .
 ذكر الخبر عن الموضع الذى دفن فيه عثمان رضى الله عنه ومن
 صلى عليه وولى أمره بعد ما قتل إلى أن فرغ من أمره
 ٤١٥ - ٤١٢ ودفنه .
 ٤١٧ - ٤١٥ ذكر الخبر عن الوقت الذى قتل فيه عثمان رضى الله عنه .
 ٤١٨ - ٤١٧ ذكر الخبر عن قدر مدة حياته .
 ٤١٩ - ٤١٨ ذكر الخبر عن صفة عثمان .
 ٤١٩ ذكر الخبر عن وقت إسلامه وهجرته .
 ٤٢٠ - ٤١٩ ذكر الخبر عما كان يكنى به عثمان بن عفان رضى الله عنه .
 ٤٢٠ ذكر نسبه .
 ٤٢١ - ٤٢٠ ذكر أولاده وأزواجه .
 ٤٢٢ - ٤٢١ ذكر أسماء عمال عثمان رضى الله عنه في هذه السنة على البلدان .
 ٤٢٣ - ٤٢٢ ذكر بعض خطب عثمان رضى الله عنه .
 ذكر الخبر عن كان يصلى بالناس في مسجد رسول الله صلى الله
 عليه وسلم حين حصر عثمان . ٤٢٣
 ٤٢٦ - ٤٢٣ ذكر ما رثى به من الأشعار .
 ٤٢٧ خلافة أمير المؤمنين على بن أبى طالب .
 ٤٣٥ - ٤٢٧ ذكر الخبر عن بيعة من بايعه والوقت الذى بويع فيه .
 ٤٤١ - ٤٣٥ اتساق الأمر في البيعة لعلى بن أبى طالب عليه السلام .
 ٤٤١ مسير قسطنطين ملك الروم يريد المسلمين .

...

السنة السادسة والثلاثون

- ٤٤٤ - ٤٤٢ تفريق على عماله على الأمصار .

- استئذان طلحة والزبير علياً ٤٤٤ - ٤٥٥
- خروج على إلى الربذة يريد البصرة ٤٥٥ - ٤٥٦
- شراء الجمل لعائشة رضي الله عنها ، وخبر كلاب الحووب . ٤٥٦ - ٤٥٨
- قول عائشة رضي الله عنها : والله لأطلبن بدم عثمان ، وخروجها
- وطلحة والزبير فيمن تبعهم إلى البصرة ٤٥٨ - ٤٦١
- دخولهم البصرة والحرب بينهم وبين عثمان بن حنيف . . . ٤٦١ - ٤٧٧
- ذكر الخبر عن مسير علي بن أبي طالب نحو البصرة . . . ٤٧٧ - ٤٨٧
- نزول أمير المؤمنين ذا قار ٤٨٧ - ٤٩٩
- بعثة علي بن أبي طالب من ذي قار ابنه الحسن وعمار بن ياسر
- ليستنفرا له أهل الكوفة ٤٩٩ - ٥٠٠
- نزول علي الزاوية من البصرة ٥٠٠ - ٥٠٦
- أمر القتال ٥٠٦ - ٥٠٨
- خبر وقعة الجمل من رواية أخرى ٥٠٨ - ٥٣٢
- شدة القتال يوم الجمل وخبر أعيان بن ضبيعة ، وإطلاعه في
- الهودج ٥٣٢ - ٥٣٤
- مقتل الزبير بن العوام رضي الله عنه ٥٣٤ - ٥٣٥
- من انهزم يوم الجمل فاختنق ومضى في البلاد . . . ٥٣٥ - ٥٣٨
- توجع علي على قتلى الجمل ودفنهم وجمعه ما كان في العسكر
- والبعث به إلى البصرة ٥٣٨ - ٥٣٩
- عدد قتلى الجمل ٥٣٩
- دخول علي على عائشة وما أمر به من العقوبة فيمن تناوها . ٥٣٩ - ٥٤١
- بيعة أهل البصرة علياً وقسمه ما في بيت المال عليهم . . ٥٤١
- سيرة علي فيمن قاتل يوم الجمل ٥٤١
- بعثه الأشتر إلى عائشة بجمل اشتراه لها وخروجها من البصرة إلى
- مكة ٥٤١ - ٥٤٢
- ما كتب به علي بن أبي طالب من الفتح إلى عامله بالكوفة . ٥٤٢
- أخذ علي البيعة على الناس وخبر زياد بن أبي سفيان وعبد الرحمن
- ابن أبي بكر ٥٤٣
- تأمير ابن عباس على البصرة وتولية زياد الخراج . . . ٥٤٣ - ٥٤٤
- تجهيز علي عليه السلام عائشة رضي الله عنها من البصرة . ٥٤٤
- ما روى من كثرة القتلى يوم الجمل ٥٤٥

- ما قال عمار بن ياسر لعائشة حين فرغ من الحمل . . . ٥٤٥ - ٥٤٦
 آخر حديث الحمل - بعثة علي بن أبي طالب قيس بن سعد
 ابن عبادة أميراً على مصر ٥٤٦ - ٥٥٥
 ولاية محمد بن أبي بكر مصر ٥٥٥ - ٥٥٨
 توجيه علي بن خنيد بن طريف إلى خراسان ٥٥٨
 ذكر خبر عمرو بن العاص ومبايعته معاوية ٥٥٨ - ٥٦١
 توجيه علي بن أبي طالب جرير بن عبد الله البجلي إلى معاوية
 يدعو إلى الدخول في طاعته ٥٦١ - ٥٦٢
 خروج علي بن أبي طالب إلى صفين ٥٦٣ - ٥٦٥
 ما أمر به علي بن أبي طالب من عمل الجسر على الفرات ٥٦٥ - ٥٦٩
 القتال على الماء ٥٦٩ - ٥٧٢
 دعاء علي معاوية إلى الطاعة والجماعة ٥٧٣ - ٥٧٥
 أخبار متفرقة ٥٧٦

رقم الإيداع	١٩٩٢ / ٣٥٥٣
التقييم الدولي	ISBN 977-02-3672-1

١ / ٩٢ / ٦٧

طبع بمطابع دار المعارف ١٩٩٢ (ج.م.ع.)